
MILLENIUM
فتاة لا يحبها الرجال
ستيغ لارسن

• الكتاب: فتاة لا يحبها الرجال
• المؤلف: ستيغ لارسن
• المترجمة: فاتن صبح
• الطبعة الأولى، 2010
• ISBN: 978-9953-68-465-0
• الناشر: سما للنشر
• العنوان: 10 شارع أبو فراس الحمداني
الدار البيضاء - المغرب
Email: sama@menara.ma
هاتف: 06 36 28 0522

بيروت
شارع جاندارك - بناية المقدسي
هاتف: 352826-01 فاكس: 343701-01

بيروت
ص. ب: 5158-113
هاتف: 352826-01 فاكس: 343701-01
Email: cca@ccaedition.com

الدار البيضاء
42 الشارع الملكي (الأحباس)- ص.ب: 4006 (سيدنا)
هاتف: 39 33 30 0522 فاكس: 26 57 30 0522
Email: markaz@wanadoo.net.ma

ستيغ لارسن

فتاة لا يحبّها الرجال

ترجمة: فاتن صبح

سما للنشر

يتضمن هذا الكتاب ترجمة لكتاب :
Original Title: **Män Som Hatar Kvinnor**
Author: **Stieg Larsson**
This edition is published by arrangement with

Originally published by Norstedts, Sweden

المقدمة

يوم جمعة من نوفمبر

الأمر نفسه يتكرر كل عام حتى يكاد يكون طقساً. كما أنه عيد مولده الثاني والثمانين. كان قد اعتاد عند استلام الزهرة على الورقة التي تلفّها ثم يرفع سماعة الهاتف ويجري اتصالاً بالتحرّي الرقيب موريل الذي انتقل عند بلوغه سن التقاعد للعيش في لايك سيلجان في دالارنا. لم يكن لصاحِبَي الأعوام الاثنين والثمانين العمر ذاته وحسب، بل كانا قد وُلدا في اليوم ذاته. لعل ذلك من سخريات القدر نظراً للظروف الراهنة. كان الشرطي العجوز يجلس بصحبة فنجان قهوته، منتظراً... وكان يتوقع تلقّي الاتصال، حتى إنه عندما رنّ الهاتف رفع السمّاعة، وقال فوراً، من دون انتظار:

«لقد وصلت؟ ما نوعها هذه السنة؟»

«ليست لديّ أي فكرة. ينبغي أن أستشير اختصاصياً ليخبرني إلى أي فصيلة تنتمي. إنها بيضاء اللون.»

«أفترض أن لا رسالة ترافقها.»

«كلا، لا شيء سوى الزهرة وحسب. الإطار مطابق لإطار العام الماضي، هو نفسه. يبدو أنه أحد الأنواع التي لم يجر تغليفها في متجر متخصص ببيع الزهور.»

«وماذا عن الختم البريدي؟ ماذا يقول؟»

«إنه من ستوكهولم.»

«هل هناك شيء مكتوب بخط اليد؟»

«إنه خط اليد ذاته كما في كل مرة، كتابة بأحرف كبيرة وخطوط مستقيمة مرتبة.»

كانت الكلمات التي تبادلها الرجلان كافية لمعرفة مضمون الموضوع المطروح، فلزم كل منهما الصمت ما يقارب الدقيقة من الزمن. استراح الشرطي المتقاعد في كرسي المطبخ ونفخ في غليونه.

كان يدرك أنه وصل إلى مرحلة ما عاد يُتوقّع منه فيها أن يصدر تعليقاً مختصراً مباشراً ولا أن يطرح سؤالاً فيه من حدّة الذهن ما قد يسلط الضوء على ناحية جديدة من القضية. تلك أيام ولّت منذ زمن بعيد، وبدا الحديث بين الرجلين أشبه بتقليد شعائري متعلق بلغز من ألغاز العالم لا يهتم سواهما بكشف النقاب عنه.

إن 'Leptospermum (Myrtaceae) rubinette' هو الاسم اللاتيني للزهرة. وهي نبتة بطول أربعة إنشات تقريباً ولها ورقة صغيرة أشبه بورقة نبتة الخلنج وزهرة بيضاء ذات خمس أوراق تويجية يبلغ عرضها إنشاً واحداً. هذه النبتة تنمو في أحراج أوستراليا ومرتفعاتها حيث نجدها بين النباتات الكثيفة. وهي تدعى هناك «ثلج الصحراء».

أكدت فيما بعد إحدى المتخصصات بعلم نبات الحدائق في أوبسالا أنها نبتة نادرة، بالكاد تنمو في السويد. وذكرت المتخصصة في تقريرها أن النبتة مرتبطة بشجرة الشاي وأنه يتم أحياناً المزج بينها وبين قريبتها الأكثر شيوعاً المعروفة بـ'Leptospermum scoparium' التي يكثر تواجدها في نيوزيلاندا. وأوضحت أن ما يميز نباتات الـrubinette هو نقاط زهرية صغيرة تحيط بالأوراق التويجية وتمنح الزهرة لونها الزهري الفاتح.

والواقع أن الـrubinette هي زهرة عادية المظهر بحد ذاتها، ليست لها أي خصائص علاجية ولا تُدخِل الإنسان في هلوسات من أي نوع كان. كما أنها لا تؤكل ولا تستعمل في صناعة الأصباغ النباتية. لكنها،

من ناحية ثانية، مهمّة، ذلك أن سكان أوستراليا الأصليين يعتبرون منطقة جبال آيرس والغطاء النباتي المحيط بها مكاناً مقدساً.

ذكرت عالمة النباتات أيضاً أنه لم يسبق لها أن رأت مثل هذه النبتة من قبل، لكنها نقلت عن زملاء لها بعد استشارتهم أنه جرت محاولات لإدخال النبتة إلى حدائق غوتنبورغ، وقد قام بعض العلماء المتخصصين بالنبات بزراعتها في بيوت زجاجيّة. لكن تصعب تربية الزهرة في السويد لأنها تحتاج إلى طقس جاف مما يحتّم إبقاءها في الداخل لستة أشهر من السنة. وهي لا تتمكن من العيش في تربة كلسية وينبغي ريها من الأسفل لأنها تمتص الماء عبر جذورها. إنها نبتة تحتاج إلى الكثير من الرعاية والدلال.

كان يفترض بندرة الزهرة أن تجعل نوعها نموذجاً يسهل تعقّب مصدره، لكن الأمر كان من الناحية العملية أقرب إلى المهمة المستحيلة. لم تكن هناك سجلات يمكن العودة إليها ولا وثائق أو دراسات للتحقق منها أو دراستها. كان يمكن لحفنة من الهواة المولعين بالأزهار النادرة، أو لبضع مئات منهم الوصول إلى البذور أو إلى الزهرة التي كان من المحتمل تبادلها بين الأصدقاء أو شراؤها والحصول عليها عبر البريد من أي مكان في أوروبا أو في أي من جهات الأرض الأربع.

كانت مجرد زهرة واحدة من سلسلة أزهار محيّرة تصل في الأول من نوفمبر من كل عام عبر البريد. وكانت أزهاراً جميلة ونادرة بمعظمها. وتكون الزهرة مثبّتة بعناية وسط ورقة ملونة تبعد عن الإطار المحيط بها ستة إنشات عرضاً وأحد عشر إنشاً طولاً.

لم تكن قصة الأزهار الغريبة هذه قد وصلت إلى وسائل الإعلام. ولم يكن على علم بها سوى عدد قليل من الناس. لطالما كان موضوع وصول الأزهار بشكل منتظم على مدى السنوات الثلاثين الماضية مدار فحص دقيق في المختبرات الجنائية التابعة للدولة، بين مجموعة من خبراء

البصمات والمحققين الجنائيين وخبراء الخط، إضافة إلى شخص أو شخصين من أقارب المتلقي.

لم يكن عدد المشتركين في هذه الدراما يتجاوز الثلاثة: صاحب عيد الميلاد المتقدم في السن، والشرطي التحرّي المتقاعد، ومرسل الزهرة نفسه. الرجلان الأولان، على الأقل، قد بلغا من العمر عتياً، مما يعني أن حلقة المطّلعين على سرّ الزهرة الغامضة ستضيق عمّا قريب.

كان الشرطي محتكاً، من النوع العتيق المتمرس الصلب ذي الباع الطويل. فهو لن ينسى أبداً القضية الأولى التي تسلّمها في حياته المهنية، حيث كان عليه القبض على أحد العمال العنيفين في محطة كهربائية ممن تعتعهم السكر قبل أن يسبب الأذى لعمال آخرين. وأثناء قيامه بعمله قام بالقبض على صيادين مخالفين للقانون، وعلى رجال ضربوا نساءهم، ومحتالين، وسارقي سيارات، وسكّيرين يقودون السيارات بجنون. كما تعامل مع لصوص، وتجار مخدرات، ومغتصبين، وأحد المدججين بالمتفجرات المختلين عقلياً. في خمسٍ من هذه القضايا كان المجرم يتصل بالشرطة بنفسه ويعترف بصوت مليء بالحزن والندم، بأنه قام بقتل زوجته أو شقيقه أو أحد أقربائه. لم يتطلب حل قضيتين أخريين سوى بضعة أيام، فيما استوجبت القضية الثامنة تدخّل قسم الشرطة الجنائية الوطنية ومساعدتها، واستغرقت عامين كاملين للتوصل إلى نتائج نهائية.

أما القضية التاسعة فقد تمّ حلها وفقاً لأهواء جهاز الشرطة أي أنهم حددوا من هو القاتل، لكن ولعدم كفاية الدليل، قرر المدعي العام التوقف عن متابعة النظر في القضية. وقد حتمت بالتالي القوانين والتشريعات السارية إقفال القضية ووضع حدٍّ لها، مما تسبّب في خوف التحري الرقيب. لكنه كان قادراً في نهاية المطاف على النظر بعين الإعجاب إلى تاريخ مهنته المشرّف عند العودة بالذاكرة الى ما حققه أثناء سنوات الخدمة.

كان يملأه شعورٌ بالرضى.

بالنسبة لتحرٍّ مثله، لم تنفك «قضية الزهرات المجفّفة» تقضّ مضجعه

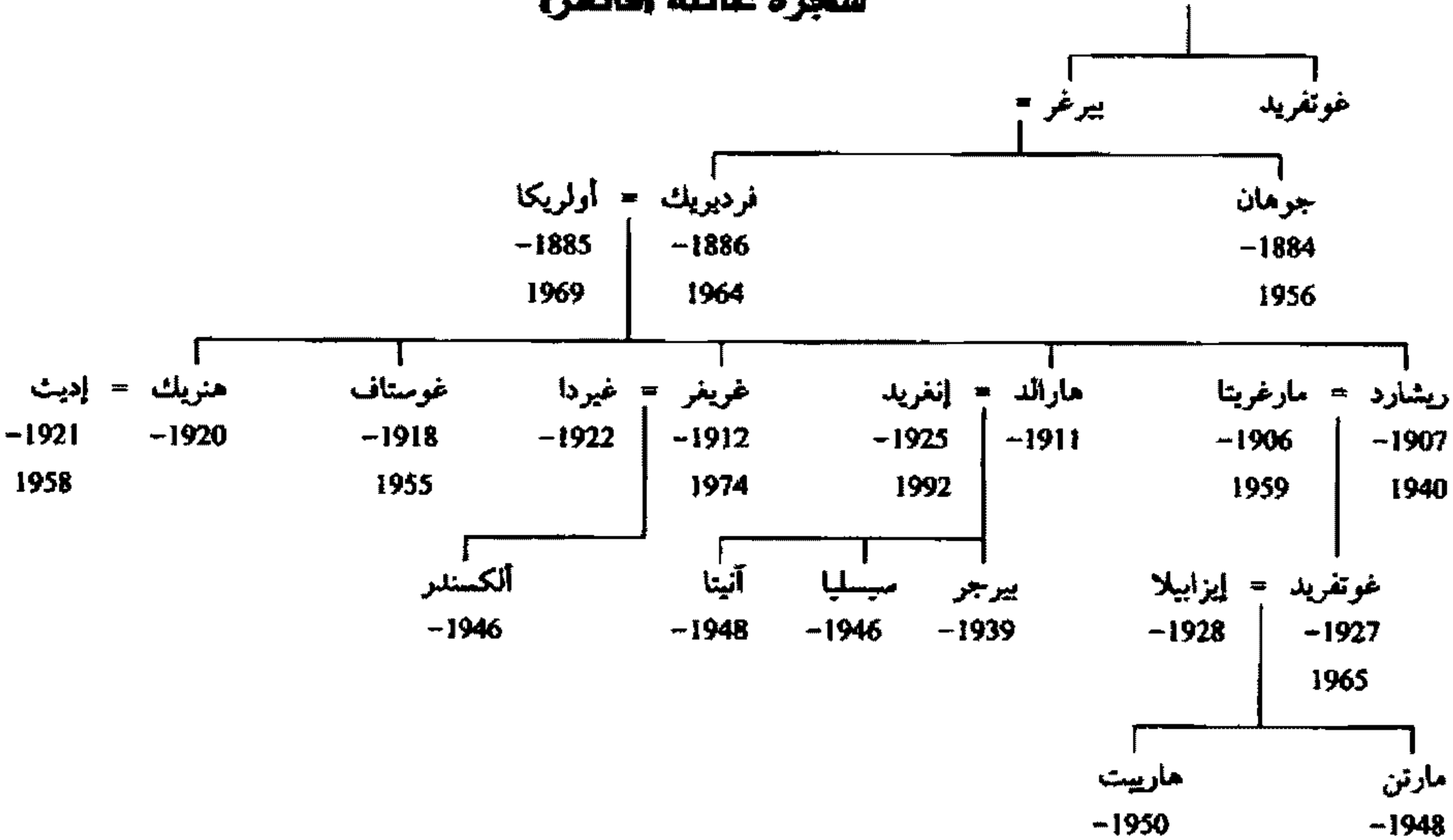
لسنواتٍ طوال. كانت تلك قضيته الأخيرة المحبِطة التي لم يتوصل إلى حلّها. الوضع كان تافهاً، لا معنى له بنحوٍ مضاعف، إذ إنه وبعد تمضية آلاف الساعات في إعمال تفكيره همّاً وقلقاً، والعمل على تحليل القضية في أثناء ساعات الدوام، وخارجها، لم يتمكن على مدى السنوات المنصرمة، أن يصنّف ما جرى في خانة جريمة ارتُكبت عن سابق تصوّر وتصميم.

كان الرجلان واثقَين أن الشخص الذي ألصق الأزهار على الورق كان يرتدي قفازات بحيث لم يظهر أي أثر لبصمات الأصابع على الإطار أو على الزجاج. ويعلمان أن الإطار يباع في مختلف متاجر بيع كاميرات التصوير أو محلات القرطاسية المنتشرة حول العالم. لم يكن هناك بكل بساطة أي خيطٍ أو دليل أو أثرٍ يمكن اتباعه. وغالباً ما كان يتم إرسال الطرد من ستوكهولم، إلاّ أنه أُرسل ثلاث مرات من لندن، ومرتين من باريس، ومرتين من كوبنهاغن، ومرة واحدة من كل من مدريد وبون وبيناسكولا، وفلوريدا. كان الرقيب التحري مضطراً للعودة إلى أطلس العالم لإعادة رسم خارطة البلدان المذكورة.

لبث ابن الثمانية والثمانين صاحب عيد الميلاد، طويلاً في مكانه، بعد أن وضع سمّاعة الهاتف، يحدّق في الزهرة الجميلة الخالية من أي معنى والتي لا يزال يجهل حتى اسمها، ثم رفع نظره إلى حائط فوق طاولته حيث عُلّقت ثلاثٌ وأربعون زهرة مجفّفة مؤطّرة في أطرها. كانت هناك أربعة صفوف يضم كلٌ منها عشر زهرات وصفٌ أخير في الأسفل ليس فيه سوى أربع زهرات. زهرة واحدة كانت مفقودة من الفتحة التاسعة المخصصة لها عند الصف الأعلى. لذا فإن زهرة «ثلج الصحراء» ستحمل رقم أربع وأربعين.

من دون أي إنذارٍ مسبق شهق بالبكاء. كان مندهشاً من نفسه لتدفّق المشاعر المفاجئ، بعد ما يقارب أربعين عاماً من الانقطاع الكامل عن هذه المشاعر.

شجرة عائلة «فانغر»



الجزء الأول

الحافز

20 ديسمبر - 3 يناير

18% من النساء في السويد تعرضن لتهديد رجل في وقت من الأوقات.

الفصل الأول

الجمعة، 20 ديسمبر

كانت المحاكمة قد انتهت بما كان محتماً، وقيل كل ما يمكن أن يقال، لكن لم يساوره أدنى شك في أنه سيخسر القضية. تسلّم نسخة من الحكم الصادر عند الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة وأصبح كل ما تبقّى عدا ذلك مجرد تحليلات وكلام صحافيين ينتظرون في الرواق خارج قاعة المحاكمات.

رآهم بلومفيست الخارق من الباب وتمهّل قليلاً. لم تكن لديه أي رغبة بمناقشة مضمون الحكم، إلا أنه لا يمكن تفادي الأسئلة. وهو من بين كل الناس كان يعلم أنها لا بد من أن تُطرَح وأن يجيب عنها.

فَكَّر، هكذا يُصنع من المرء مجرماً. استقام في مشيته وحاول أن يرسم على ثغره ابتسامة. حيّاه الصحافيون بشكل ودود، وخجول نوعاً ما.

قال بلومفيست، «لنرَ من لدينا هنا. . . 'أفتونبلاديت'، 'إكبريسين'، TT للخدمات الإعلانية، وTV4. . . من أين هذه؟. . . آه، أجل، 'داغنز نيتر'. لا بد أني أصبحت أحد المشاهير.»

«تصريح من فضلك، يا بلومفيست الخارق»! قال مراسل إحدى الصحف المسائية.

جَهد بلومفيست، عند سماع لقبه، في رسم ابتسامة وعدم تقليب عينيه كما يفعل دائماً. في أحد الأيام، حين كان في الثالثة والعشرين من

عمره، وكان قد بدأ لتوه أول عمل له كصحافي خلال العطلة الصيفية، كشف بلومفيست بالصدفة عصابة قامت بالسطو على خمسة مصارف وسرقتها على مدى العامين الماضيين. لم يكن هناك من شك في أن العصابة ذاتها هي التي نفذت كافة السرقات. كانت علامتهم المميزة هي السطو على مصرفين معاً في آن واحد بدقّة وانضباط عسكريين. كان أفرادها يضعون أقنعة شبيهة بشخصيات من عالم ديزني. فأطلقت الشرطة عليهم منطقياً لقب عصابة دونالد داك. أما الصحف فأعادت تسميتهم بعصابة الدبّ مما يوحي بمزيد من الشر ويتناسب مع حقيقة إطلاقهم لمرتين عيارات نارية تحذيرية عشوائياً غير آبهين، وقيامهم بإرهاب الفضوليين من المارة.

استهدفت السرقة السادسة أحد المصارف في أوسترغوتلاند في عزّ موسم العطلات. وقد صُودف وجود مراسل لإحدى المحطات الإذاعية في الوقت الذي تمت فيه عملية السطو. وحالما غادر السارقون المصرف، سارع الصحافي إلى هاتف عمومي وروى من الشارع أحداث عملية السطو على الهواء مباشرة للمستمعين كما شاهدها تماماً.

كان بلومفيست يمضي بضعة أيام مع صديقة له في منزل أهلها الصيفي بالقرب من كاترينهولم. لم يتمكن من أن يفسر لنفسه أو للشرطة السبب الذي دفعه إلى ربط الأحداث بعضها ببعض. لكنه وبينما كان يستمع للأخبار تذكّر مجموعة من أربعة رجال يتخذون أحد الأكواخ منزلاً صيفياً لهم على بعد بضع مئات الأمتار من مكان نزوله على الطريق ذاتها. وقد سبق له أن رآهم يلعبون بطابة من الريش فوق شبكة في الحديقة القريبة. كان الرجال الأربعة من ذوي الشعر الأشقر، أجسامهم رياضيّة، وكانوا يرتدون سراويل قصيرة من دون قمصان تغطي صدورهم العارية. من الواضح أنهم كانوا أقوياء البنية وكان هناك شيء ما يثير الانتباه إليهم مما جعله ينظر ناحيتهم مرتين. إذ لم يكتف بنظرة واحدة لأنهم كانوا يمارسون رياضتهم تلك تحت أشعة الشمس الحارقة ممعنين في امتحان

قدراتهم وطاقاتهم وتركيزها، وهذا ما لفت انتباه ميكائيل.

لم يكن هناك سبب وجيه يدفعه للشك في أن يكونوا لصوصاً يحترفون سرقة المصارف، لكنه مع ذلك تسلّق التل الذي يشرف على منزلهم الصيفي الصغير وأخذ يراقب. بدا الكوخ خالياً آنذاك. مضى على مراقبته ما يقارب الأربعين دقيقة قبل أن تأتي سيارة فولفو وتتوقف في الساحة، ويخرج منها الشبان الأربعة على عجل يحمل كل منهم حقيبة رياضية على كتفه بما يوحي أنهم كانوا عائدين من نشاط ما يتخطى رياضة السباحة وحسب. إلا أن أحدهم عاد إلى السيارة وأخذ من الصندوق شيئاً سرعان ما غطّاه بسترته خلسة. على الرغم من بعد المسافة التي كان بلومفيست يراقب منها، فقد استطاع أن يؤكد أنها قطعة سلاح من نوع AK4 لأنها كانت رفيقته الدائمة أيام خدمته العسكرية طوال عام كامل.

اتصل بالشرطة فكانت تلك بداية ثلاثة أيام من المراقبة المشدّدة للكوخ وتغطية إعلامية شاملة، مما دفع بلومفيست إلى الصفوف الأمامية وأكسبه مبالغ جيدة من المال من الصحيفة المسائية. أقامت الشرطة مركزاً لها في المكان هو عبارة حافلة مجهزة بالمعدات رُكنت في حديقة الكوخ حيث مكان إقامة بلومفيست.

وضعه سقوط عصابة الدب في موقع متقدم وأطلق شهرته كنجم صحافي شاب. غير أن الوجه السيئ للشهرة التي حصدها تَمثّل في أن الصحيفة الأخرى الصادرة مساء لم تتأخر عن وضع عنوان «بلومفيست الخارق يحلّ لغز عصابة الدب» مكتوباً بالخط العريض. أما القصة التي بدأت كنصّ ساخر، فقامت بكتابتها سيدة صحافية متقدمة في السن لها عمود في صحيفة تكتب فيه تعليقاتها وأخبارها، وضمّنت القصة عدداً من الإشارات إلى بطل روايات آستريد ليندغرين للفتيان. ولزيادة الأمور سوءاً، أوردت الصحيفة تفاصيل قصة بلومفيست مع العصابة كاملةً مع صورة لبلومفيست يبدو فيها فاغر الفم ويرفع سبّابته، كأنه يعطي التعليمات لشرطي يرتدي الزيّ الرسمي، فيما هو في الواقع يشير إلى المراحيض في الحديقة.

اعتباراً من ذلك اليوم، ورغم استيائه الشديد، صار زملاؤه يلقبونه «بلومفيست الخارق» وكانوا يلفظون النعت بطريقة استفزازية. ليست عدائية وشريرة تماماً، لكنها ليست ودودة كذلك. وعلى الرغم من احترامه لآستريد ليندغرين التي كان يهوى كتبها، فقد شعر بلومفيست بكره شديد تجاه اللقب الذي أطلق عليه. وتطلّب الأمر سنوات عدة ونجاحات صحفيّة متنوّعة وأكثر ثباتاً قبل أن يبهت أثر اللقب، لكنه كان لا يزال يغتمّ وينكفئ إذا ما ذكر هذا اللقب بمناسبة الحديث عنه بحضوره أو على مسمعه.

توصّل بلومفيست في تلك اللحظة إلى اصطناع ابتسامة وادعة وقال للمراسل الذي يعمل لإحدى الصحف المسائية:

«هيا، فكر في شيء ما، ابتكر، هذا ما تفعله عادة، أليس كذلك؟»

لم تكن نبرة صوته لاذعة. كان الجميع يعرفون بعضهم بعضاً هنا بطريقة ما ولم يكن أكثر نقّاد بلومفيست حدة حاضرين هذا الصباح. وكان قد عمل يوماً مع أحد الصحافيين الموجودين هنا. أما المراسلة الصحفية، التي تعمل لصالح TV4، فقد كاد أن يوقع بها في إحدى الحفلات التي حضرها منذ بضع سنوات.

قال أحد المراسلين العاملين في «داغنز نييتر» وكان من الواضح أنه صحافي بديل يعمل بدوام جزئي: «لقد تلقيت صفعة اليوم. أساؤوا فَهْمَك.»

على الرغم من جدية الوضع وخطورته، لم يتمكن بلومفيست ولا الصحفايون الآخرون من منع أنفسهم من التبسّم. تبادَل بلومفيست النظرات مع مراسلة تلفزيون TV4. كيف كان يشعر الصحافي الذي طرح السؤال يا ترى؟ كان أشبه بمراسل قناة رياضية قليل الظرف يدفع بميكروفونه بوجه البطل اللاهث المنقطع الأنفاس عند وصوله إلى خط النهاية.

أجاب بنوع من الحدّة: «لا يسعني سوى الأسف لأن المحكمة لم تتوصل إلى حكم مغاير.»

قالت مراسلة قناة TV4: «لكن الحكم بثلاثة أشهر سجن ومئة

وخمسين ألف كورون كتعويض عن العطل والضرر هو حكم قاس جداً.»

«ولكنني سأنجو.»

«هل ستعتذر من وينرشتروم؟ هل ستصافحه وتتصالحان؟»

«لا أعتقد ذلك.»

سأله مراسل «داغنز نيتر»: «أما تزال تصرّ على أنه محتال وغشّاش؟»

كانت المحكمة قد أصدرت للتو حكماً يقول إن بلومفيست أُدين بالتشهير والقدح والذم بحق الخبير المالي هانس-إريك وينرشتروم. كانت المحاكمة قد انتهت ولم تكن لديه أي نية للاستئناف. ما الذي سيحصل إذا ما كرر المزاعم ذاتها أمام منصة المحكمة؟ قرر بلومفيست أنه لا يود أن يعرف فعلاً.

«ظننت أن لدي سبباً وجيهاً يدفعني لنشر المعلومات التي بحوزتي. لكن المحكمة أصدرت حكماً مناقضاً وعليّ أن أقبل بأن القضية قد اتخذت مسارها القانوني الطبيعي. ينبغي لنا في هيئة التحرير أن نناقش الحكم الذي صدر قبل أن نتخذ قراراً مناسباً بما علينا أن نفعل. ليس لدي أي كلام أضيفه.»

سألته مراسلة الـ TV4: «لكن كيف يغيب عن بالك أن علينا كصحفيين أن نثبت ادعاءاتنا أمام الرأي العام؟»

كانت تعابيرها جدّ حيادية، لكن بلومفيست ظن أنه لمح طيفاً من الاستنكار والخيبة في عينيها.

كان المراسلون الصحفيون المتواجدون في ساحة الحدث بأجمعهم من المتمرسين، قديمي العهد بالمهنة، إلا إذا استثنينا الصحافي الذي يعمل لحساب «داغنز نييتر». بالنسبة لهم كانت الإجابة عن ذلك السؤال أبعد من أن تتخيّله عقولهم. كرر بلومفيست ما قاله لها سابقاً، «ليس لدي ما أضيفه.» لكن في حين تقبّل المراسلون الآخرون الأمر واكتفوا بهذه الإجابة، أوقفته مراسلة الـ TV4 خارج قاعة المحكمة وانهالت عليه بسيل من الأسئلة أمام عدسة كاميرا التصوير. كانت تتصرف معه بلطف بالغ

وأدلى بلومفيست بما يكفي من الإجابات الواضحة لإرضاء فضول كافة المراسلين الصحفيين الذين يقفون خلفها. كانت القصة ستتصدّر عناوين الصحف لكنه أعاد التذكير بأنها ليست حدث العام الأضخم. وقد سبق للصحافيين أن حصلوا على ما يريدون وعاد كل منهم إلى غرفة تحرير الأخبار الخاصة به.

فكر في التجول قليلاً، لكنه كان يوماً زمهريرياً برياح ديسمبر العاصفة وهو يشعر بالبرد أصلاً بعد تلك المقابلة. وفيما كان ينزل درج قاعة المحكمة، لمح ويليام بورغ يخرج من سيارته. لا بد أنه كان يجلس هناك طوال فترة إجراء المقابلة. تلاقت نظرات الرجلين وافتر ثغر بورغ عن ابتسامة.

«إن ورقة الحكم هذه التي تحملها بين يديك تستحق المجيء إلى هنا لرؤيتك.»

لم يقل بلومفيست شيئاً رداً على ما سمع. كانت معرفة بلومفيست وبورغ أحدهما بالآخر تعود إلى خمسة عشر عاماً. لقد عملا معاً كمراسلَين صحَفيّين متدربَين في القسم الاقتصادي لإحدى الصحف الصباحية. لعلها مجرد مسألة كيمياء بحتة تقع في أساس العداوة المتأصلة بين الرجلين مدى الحياة. ففي نظر بلومفيست، لم يكن بورغ سوى واحد من مراسلي الدرجة الثالثة، كما أنه شخص مشاكس، مثير للمتاعب يزعج كل من حوله بنكات سمجة وتعليقات مهينة حول مراسلين زملاء أقدم منه عهداً وأكثر منه خبرة. كما أنه يكنّ بغضاً خاصاً للصحافيين الأكبر منه سناً. والإناث منهن تحديداً. وقد حدث أن تنازعا مرة، ثم كرّت منذ ذلك الوقت سبحة الخصومات التي سرعان ما جعلت العداوة المهنية بينهما تتخذ طابعاً شخصياً.

اعتاد أحدهما أن يلتقي الآخر على نحو منتظم على مدى سنوات طويلة حتى نهاية فترة التسعينيات التي كرستهما عدوّين لدودين حقيقيين.

نشر بلومفيست كتاباً حول الصحافة الاقتصادية ضمّنه بشكل مكثف عدداً هائلاً من المقالات الغبية التافهة التي كتبها بورغ على سبيل التعريض، وجعله يبدو غبياً متفاخراً بنفسه يحصل على معلوماته بطريقة مقلوبة رأساً على عقب مراسلاً الشركات الإلكترونية التي تعيش على حافة الغرق مؤدياً لها فروض الطاعة ومُقرّاً بأنها مصدر معلوماته. وحين التقيا بعد ذلك صدفةً في إحدى الحانات في سودر انفجرت المعركة بينهما وتعاركا. ترك بورغ بعدئذ عالم الصحافة وهو يعمل اليوم في قطاع العلاقات العامة بمرتبٍ مرتفع نسبياً في إحدى الشركات التي، ولزيادة الأمور سوءاً، تدور في الفلك الذي يقع تحت نفوذ وسيطرة رجل الاقتصاد هانس-إريك وينرشتروم.

نظر أحدهما إلى الآخر لحظة امتدت طويلاً قبل أن يستدير بلومفيست على عقبيه وينصرف مبتعداً. لم يكن مستَغْرَباً من بورغ أبداً أن يقود سيارته إلى المحكمة ليشهد محاكمته بقصد الشماتة والسخرية.

توقفت الحافلة التي تحمل الرقم أربعين أمام سيارة بورغ مباشرةً فقفز بلومفيست الى الحافلة ناجياً بجلده. ثم ترجل عند وصوله إلى فريدهيمسبلان، حائراً في ما سيفعل. كان لا يزال يحمل الملف الذي يتضمن نص الحكم في يده. ثم توجه أخيراً إلى مقهى «آنا» القريب من مدخل المرآب المؤدي إلى مركز الشرطة.

بعد نصف دقيقة من طلبه فنجان قهوة بالحليب وسندويشاً سمع عناوين أخبار فترة الظهيرة عبر الراديو. وجاء في التفاصيل خبرٌ عن تفجير انتحاري في القدس تلاه خبرٌ آخر حول تعيين الحكومة لجنة للتحقيق في المزاعم حول تشكيل مجمّع جديد للشركات التجارية والصناعية بهدف التحكم بالإنتاج والأسعار والتسويق في مجال صناعة البناء.

صدر حكمٌ هذا الصباح بحق الصحافي ميكائيل بلومفيست من مجلة «ميلينيوم» يقضي بالسجن تسعين يوماً بسبب إقدامه على

ارتكاب جرم التشهير والقدح والذم بحق رجل الأعمال هانس-إريك وينرشتروم. وكان بلومفيست قد كتب مقالاً في وقت سابق من هذا العام حول ما يسمى بقضية «مينوس»، زعم فيه، أن وينرشتروم قد أساء استعمال أموال خزينة الدولة المخصصة للاستثمار الصناعي وقام بعقد صفقات شراء أسلحة من بولندا. وقد تم تغريم بلومفيست مبلغ مئة وخمسين ألف كورون سويدي مقابل العطل والضرر. وفي تصريح له، أعلن محامي وينرشتروم، السيد بيرتيل كامنيرماركر أن موكله راضٍ عن الحكم، وأضاف أنها كانت قضية تشهيرٍ مسيئة بشكل استثنائي.

لقد جاء نص الحكم في ستٍّ وعشرين صفحة مفصلاً أسباب إدانة بلومفيست بخمس عشرة تهمة بالتشهير والقدح والذم بحق رجل الأعمال هانس-إريك وينرشتروم. وستكلفه كل تهمة عشرة آلاف كورون وستة أيام في السجن يضاف إليها تكاليف المحكمة وأجور المحامي. لم يكن بلومفيست يجرؤ على التفكير في كافة المبالغ المتوجب عليه دفعها لكنه فكر في أن الأمور يمكن أن تكون أسوأ مما هي عليه لولا أن المحكمة برّأته من سبع تهمٍ أخرى.

وبينما هو يقرأ نص الحكم انتابه شعور متزايد بالانقباض في صدره ومعدته. وقد أدهشه ذلك كثيراً إذ إنه كان يعلم ومنذ بدء المحاكمة أن نجاته من الإدانة تتطلب معجزةً حقيقية وقد تقبّل النتيجة سلفاً، وكان يجلس في مكانه بهدوء طوال فترة المحاكمة التي امتدت يومين، وانتظر المحكمة على مدى أحد عشر يوماً آخر دون أن ينتابه شعور محدد فيما هي تقلب أوجه النظر بالقضية وتتوصل إلى وضع نص قرار الحكم الذي بين يديه. لم يكن يشعر الآن سوى بانزعاج وضيق شديد يغمر كيانه كله.

حين قضم لقمة من السندويش شعر بالخبز ينتفخ في فمه. فابتلع اللقمة بصعوبة، ودفع بصحنه جانباً.

كانت تلك هي المرة الأولى التي يُستدعى فيها بلومفيست للمثول أمام القاضي ولم تكن المحاكمة بتلك الخطورة العظيمة إذ لم تكن القضية سوى جنحة طفيفة. فهي لم تكن في النهاية من نوع السرقة المسلّحة أو جريمة قتل أو اغتصاب. غير أنها كانت تهمة خطيرة من وجهة نظر مالية إذ إن مجلة «ميلينيوم» لم تكن رائدة في عالم الإعلام وليست لديها مصادر معلومات مالية كبيرة، حتى إنها كانت على شفير الإفلاس. لكن الحكم أيضاً لم يكن مصيبةً أو مشكلة بحد ذاته. غير أن المشكلة تكمن في أن بلومفيست هو أحد مالكي مجلة «ميلينيوم» والحماقة أنه كان يعمل في الوقت نفسه كاتباً فيها وناشراً وكان هو من سيتكفل بدفع مبلغ المئة وخمسين ألف كورون مقابل العطل والضرر على الرغم من أن ذلك قد يطيح بمدخراته كلها. في حين أن المجلة ستتكفل بتكاليف المحاكمة. سينجح الأمر إذا ما تصرّف بحذر لتدبير المبالغ المطلوبة.

فكر ملياً في إمكانية بيع شقته، مع أن ذلك قد يحطّم فؤاده. ففي نهاية الثمانينيات أثناء فترة الازدهار حين كانت لديه وظيفة ثابتة وراتب جيد، أخذ يبحث عن مكانٍ دائمٍ للإقامة متنقلاً من شقة إلى أخرى قبل أن يعثر على شقة واسعة وفخمة بمساحة سبعمئة قدم مربعة تقع عند طرف بلدة بيلمانسغاتان. كان المالك السابق قد بلغ منتصف الطريق في تجهيز الشقة وجعلها مكاناً مريحاً للسكن، لكنه حصل فجأة على وظيفة محترمة في إحدى الشركات الإلكترونية خارج البلاد وتمكن بلومفيست من شراء الشقة منه بمبلغ مقبول.

رفض التصاميم التي كان مهندس الديكور الداخلي قد وضعها أصلاً وفضّل القيام بأعمال التجهيز بنفسه. دفع الكثير من المال لإصلاح الحمام والمطبخ وتجديدهما، لكن بدلاً من تلبيس الأرضية والجدران الداخلية بالخشب للحصول على شقة تحتوي على غرفتي نوم وفقاً لتصميمها الهندسي الأصلي، عمد إلى صقل البلاط وطلاء الجدران باللون الأبيض. وأخفى البقع القبيحة المنظر وراء لوحتين مائيتين لإيمانويل بيرنستون.

فكانت النتيجة أن حصل على مساحة واسعة وغرفة نوم خلف المكتبة وغرفتي طعام وجلوس بجانب المطبخ الصغير وراء الطاولة. كانت للشقة نافذتان عموديتان ناتئتان من الجدار المائل للشقة ونافذة أخرى في الجدار المثلث لواجهة البناء تطل على أسطح غاملاستان، القسم الأقدم من ستوكهولم وعلى مياه ريدارفياردن. كما كانت تطل على قناة 'سلاسن' وعلى مركز المدينة. لن يتمكن اليوم مطلقاً من دفع ثمن مثل هكذا شقة، وقد كان يرغب في الاحتفاظ بها بشدة.

لكن التخلي عن الشقة لم يكن ليساوي شيئاً مقابل الصفعة المؤلمة التي تلقّتها حياته المهنية. سيستغرق إصلاح ما تضرر وقتاً طويلاً، هذا إن كان يمكن إصلاحه أصلاً.

كانت المسألة مسألة ثقة، إذ إنه وفي المستقبل المنظور سيتردد المحررون جميعاً في نشر قصةٍ تحمل اسمه وتوقيعه. سيظل لديه بالطبع عدد من أصدقاء المهنة الذين يؤمنون بأنه وقع ضحية الحظ السيّئ والظروف غير الاعتيادية، لكن لم يعد مسموحاً له من الآن فصاعداً ارتكاب أدنى خطأ.

كان الشعور بالمذلة هو الأكثر إيلاماً بالنسبة لبلومفيست. كان يحمل بين يديه كل الأوراق الرابحة وخسر مع ذلك أمام شقيٍّ محتال، مجرد سافل حقير مضارب في البورصة... مجرد مبتدئ وكّل للدفاع عنه أحد المحامين المشهورين الذي أمعن في رشقه بنظرات الاستهانة والازدراء طوال فترة المحاكمة.

كيف أمكن للأمور أن تتدهور إلى هذه الدرجة بحق السماء؟

بدأت قضية وينرشتروم منذ عام ونصف بوعد قطعه بلومفيست في حجرة قيادة سفينة Malar-30 يبلغ طولها سبعاً وثلاثين قدماً وتدعى 'Midsummer Eve'. بدأ كل شيء عن طريق الصدفة، حين أراد زميل صحافي سابق يعمل اليوم كمتطفل على عالم العلاقات العامة في إحدى

مجالس المقاطعة أن يبهر صديقته الجديدة. فسارع إلى استئجار مركب «سكامبي» للإبحار على متنه وتمضية بضعة أيام رومانسية في أرخبيل ستوكهولم. كانت صديقته التي وصلت لتوها من هالستاهامار للدراسة في ستوكهولم قد وافقت على الخروج معه بعد أن تخلت عن ممانعتها بشرط أن يرافقهما أختها وصديقها في الرحلة. لم تكن لدى أي من ثلاثي هالستاهامار خبرة في الإبحار. ولسوء الحظ كان لزميل بلومفيست القديم من الحماسة أكثر مما لديه من الخبرة. فاتصل قبل ثلاثة أيام من انطلاقهم بصديقه بلومفيست يائساً وأقنعه بالمجيء كشخص خامس لديه خبرة بالإبحار.

لم يفكر بلومفيست طويلاً في العرض وقبل الدعوة بسرعة حين سمع وعوداً بتمضية بضعة أيام من الراحة على جزر الأرخبيل والتمتع بالأكل اللذيذ والرفقة الطيبة. كانت وعوداً لم يتحقق منها شيئاً إذ انقلب العرض إلى مصيبة أكبر مما كان يتصور. بدأت رحلة الإبحار بسلاسة مع أنهم لم يسلكوا الطريق البحري المعتاد، فأبحروا من بولاندو إلى مضيق فوراصند بسرعة لم تكن تتعدى تسع عقد. مع ذلك، لم يفارق صديقة زميله الجديدة الشعور بدوار البحر. كما غرقت أختها في جدال مع صديقها، ولم يبدِ أي من المجموعة أدنى اهتمام بتعلّم ولو قدر يسير من حرفة الإبحار. وسرعان ما اتضح أنهم كانوا يتوقعون من بلومفيست تولّي مهمة قيادة المركب في حين يقدمون له نصائح لا قيمة لها صادرة مع ذلك عن نوايا طيبة. بعد تمضيتهم الليلة عند خليج أنغسو، كان مستعداً أن يرسي المركب في فوراصند ويستقل الحافلة عائداً إلى الديار. غير أن رجاءاتهم المستعطفة اليائسة أقنعته بالبقاء.

في ظهيرة اليوم التالي وفي وقت مبكر بما يكفي للعثور على فسحة فارغة لرسو مركبه، قام بإرساء المركب عند رصيف تفريغ وتحميل السفن الخاص بالزوار على جزيرة آرهولما المبهجة المناظر. كانوا قد أنهوا لتوّهم تناول طعام الغداء حين لاحظ بلومفيست قدوم سفينة من نوع M-

30 مصنوعة من الزجاج الليفي الأصفر تُبحر بانسياب فوق مياه الخليج مستعينة بشراعها الأكبر وحسب. كانت السفينة تتهادى على صفحة الماء برشاقة بينما يبحث القائد عن مكان مناسب يرسو فيه. جالت عينا بلومفيست على الخليج فلاحظ عدم وجود فسحة كافية إلا بين مركب «سكامبي» الذي كان يقوده ومركب آخر محمل بغاز الهيدروجين على الجانب الأيمن. ستكون تلك فسحة مناسبة لرسو سفينة M-30 القليل العرض. وقف بلومفيست في مؤخر المركب وأشار إلى الفسحة المتوفرة الفارغة، فلوح له قائد M-30 تعبيراً عن شكره وتوجه بسفينته نحو الرصيف ليرسو. لاحظ بلومفيست أنه كان يبحر وحيداً وأنه لا ينوي إزعاج نفسه بتشغيل المحرك بل سيعتمد بدلاً من ذلك على دفع الهواء لتسيير شراع السفينة. سمع قرقعة سلسلة المرساة الحديدية ثم هبوط الأنبوب الأساسي بعد ثوانٍ قليلة، في حين تحرك بلومفيست بسرعة قطة ملسوعة بالماء الساخن ليوجه دفة السفينة نحو المساحة الفارغة، ويستعد في الوقت ذاته لربط حبل مقدم السفينة.

تسلّق بلومفيست الدرابزين ومدّ يده ليمسك بحبل السفينة ويشدها إلى المرسى. اتخذ القادم الجديد مساراً تصحيحياً أخيراً قبل أن تنساب سفينته بشكل رائع وبطيء جداً، وترسو بجانب «سكامبي». ألقى قبطان السفينة الحبل له فعرف عندئذ أحدهما الآخر وابتسما بسرور.

«مرحباً روبان، لماذا لا تدير المحرك حتى لا تخدش طلاء السفن الأخرى الراسية في المرفأ؟»

«مرحباً ميك، عرفت أن هناك شيئاً مألوفاً حولك منذ رأيتك من بعيد. كنت أود استعمال المحرك لو استطعت تشغيل تلك الخردة. لقد تعطلت منذ يومين وأنا في رودلوغا.»

وتصافح الرجلان من فوق الدرابزين.

منذ زمن بعيد، وفي مدرسة كانغشولمان أيام السبعينيات، كان بلومفيست وروبرت ليندبرغ صديقين، بل صديقين حميمين. لكن كما

يحلّ بجميع الصداقات المدرسية ذبلت علاقتهما بعد أن فرّقتهما الحياة كلّ على طريق. لقد التقى كل منهما بالآخر عشرات المرات على مدى السنوات العشرين الأخيرة. وقد جرى اللقاء الأخير منذ سبع أو ثماني سنوات. وها هما الآن يتفحّص أحدهما الآخر باهتمام بالغ. كان ليندبرغ ذا شعر متجعد وبشرة سمراء وذقن لم يحلقها منذ أسبوعين.

شعر بلومفيست بتحسن في معنوياته فور رؤيته صديق أيام المدرسة. وحين رحل شاب العلاقات العامة مع صديقته التافهة للرقص أمام المتجر العام عند الناحية الأخرى من الجزيرة، ظل هو مع طبق سمك الرنكة ومشروب كحولي قوي في حجرة قيادة الـ M-30، يستمتع بالنسائم مع رفيق المدرسة القديم.

في وقت ما من تلك الأمسية، وبعد هزيمتهما في المعركة أمام بعوض آرهولما الشنيع، ونزولهما إلى الحجرات الداخلية وتناول بضع كؤوس من المشروب الكحولي، اتخذ الحديث بين الصديقين طابع المزاح الودّي، ودار الحديث حول أخلاقيات عالم الشركات. كان ليندبرغ قد انتقل من المدرسة التي كانا فيها معاً إلى مدرسة ستوكهولم للاقتصاد ومن ثم توجه إلى عالم المصارف. أما بلومفيست فتخرّج من مدرسة ستوكهولم للصحافة وكرّس الكثير من حياته المهنية لكشف الفساد في عالم الأعمال والمصارف. بدأ الحديث بينهما يتطرق إلى الفساد على الصعيد الأخلاقي الذي يشوب بعض الاتفاقيات الذهبية التي وقّعت في التسعينيات. وقد أقرّ ليندبرغ بوجود شخص أو اثنين من السفلة عديمي الأخلاق في عالم الأعمال. ثم نظر فجأة إلى بلومفيست بملامح ملؤها الجدّ.

وقال له: «لماذا لا تكتب عن هانس-إريك وينرشتروم؟»

«لم أكن أعلم بوجود شيء ما يستحق أن أكتب عنه حول هذا الرجل.»

«ابحث بحق السماء! فتش. ما مدى معرفتك بما يُدعى برنامج AIA؟»

«حسناً، إنه نوع من برنامج مساعدات أنشئ في التسعينيات بهدف دعم الصناعة في الدول الاشتراكية سابقاً للوقوف على قدميها مجدداً. لقد تم التوقف عن العمل بالبرنامج منذ بضع سنوات. إنها قضية لم أبحث فيها قط.»

«هيئة المساعدة الصناعية هو مشروع تدعمه الدولة ويتولى إدارته ممثلو عشرات الشركات السويدية الكبرى. وقد حصل برنامج AIA على ضمانات من الحكومة لتنفيذ عدد من المشاريع بالاتفاق مع بولندا ودول البلطيق. وقد انضمّ ائتلاف اتحاد التجارة السويدي، ونقابة العمال كجهتين ضامنتين لجعل حركة العمال في الشرق أكثر قوة باتباع النموذج السويدي. من الناحية النظرية كان ذلك مشروعاً للدعم مبنياً على أساس تقديم المساعدة من أجل التوصل إلى الاكتفاء الذاتي، وكان يفترض بهذه المساعدة أن تمنح أنظمة الحكم في أوروبا الشرقية فرصة لإعادة هيكلة اقتصاداتها. أما من الناحية العملانية، فكان يعني أن الشركات السويدية سوف تحصل على إعانات مالية من الدولة لمشاركتها في البرنامج وتأسيس نفسها على أنها جزء من المالكين في شركات دول أوروبا الشرقية. كان ذلك الوزير اللعين في الحزب المسيحي من المناصرين الشديدي الحماسة لبرنامج AIA الذي كان سينشئ مصنعاً آلياً لإنتاج الورق في كراكوف وتأمين معدات جديدة لصناعة المعادن في ريغا، وبناء معملٍ للإسمنت في تالين، وغير ذلك من مشاريع. وكانت ستتولى توزيع المساعدات المالية لجنة AIA التي تضمّ عدداً من حيتان عالم المصارف والأعمال.»

«كانت تلك إذاً أموال عائدات الضرائب؟»

«كان نصفها متأتياً من مساهمات الحكومة، وتولّت المصارف والمؤسسات الكبرى تأمين المبالغ الباقية. لكن العملية بأسرها كانت أبعد من أن تكون مثالية. فهذه المصارف والمؤسسات كانت تأمل أن تجني أرباحاً مضاعفة من المشروع. وإلا لما كانت تكبدت عناء المشاركة أصلاً.»

«كم تبلغ قيمة المبالغ التي نتحدث عنها هنا؟»

«صبراً، اسمع ما سأقوله لك أولاً. لقد تعامل برنامج AIA من حيث المبدأ مع كبرى الشركات السويدية التي أرادت السيطرة على أسواق دول أوروبا الشرقية. شركات من أمثال ASEA، براون بوفري للصناعات الثقيلة، و'شانسكا للبناء'... وشركات أخرى على شاكلتها. ما أعنيه هو أنها ليست شركات مضاربة في الأسواق المالية.»

«هل تريد أن تخبرني من وراء ذلك أن شركة 'شانسكا' لا تقوم بالمضاربة. ألم يكن مديرها العام هو الذي طُرد بعد أن سمح لبعض عملائه بالمضاربة وخسارة نصف مليار دولار إثر حصول هبوط سريع في معدل التداول؟ ثم ماذا عن صفقات العقارات الهستيرية في كلٍّ من لندن وأوسلو؟»

«بالطبع، هناك حمقى في شركات العالم المنتشرة في أرجاء المعمورة، لكنك تعلم ما الذي قصدته بكلامي تماماً. فتلك الشركات تنتج في الواقع أشياء ملموسة. إنها العمود الفقري الذي تقوم عليه الصناعة في السويد.»

«وما هو المكان الذي يحتله وينرشتروم في تلك الصورة؟»

«وينرشتروم يحتل المقام الأكثر أهمية وحساسية. إنه الشخص الذي يظهر كالشبح من اللاشيء. هو الشخص الذي لا يملك أي خلفية أو مكانة في عالم الصناعات الثقيلة، ولا عمل لديه، ولا علاقة له بتلك المشاريع من قريب أو بعيد. إلا أنه من الذين جمعوا ثروة طائلة من عالم المضاربة في السوق المالية. أي أنه وكما يقال، مدخل من الباب الخلفي.»

بينما هو جالس في المركب، سكب بلومفيست لنفسه كأس براندي من نوع «ريميرشولمز» واسترخى في كرسيه محاولاً تذكّر القليل مما يعرفه عن وينرشتروم. لقد ولد في نورلاند حيث أنشأ في السبعينيات شركة استثمارات. حقق أرباحاً مالية وانتقل إلى ستوكهولم. وهناك ازدهرت أعماله كثيراً في الثمانينيات وأسس ما يعرف بـ«وينرشترومغروبن»، أو

مجموعة وينرشتروم. حين افتتح مكاتب في لندن ونيويورك، صار اسم الشركة يذكر في المقالات ذاتها التي يرد فيها اسم «بيجيه». كان يقوم بالمضاربة في الأسواق المالية ويتاجر بالأسهم وينشط في عقد الصفقات السريعة وقد ظهر في وسائل الإعلام كواحد من العديد من مشاهير السويد الفاحشي الثراء الذين يملكون منزلاً من الطراز الحديث في ستراندفاغن، وفيلاً صيفية فاخرة على جزيرة فارمدو، ويختاً يبلغ طوله اثنتين وثمانين قدماً اشتراه من أحد نجوم لاعبي التنس السابقين المفلسين. كان من أصحاب المؤسسات، محققي الأرباح الذين لا يعرفون الخسارة بطبيعتهم. لكن عقد الثمانينيات تميز بكونه عقداً عاد بالأرباح الهائلة على أصحاب المؤسسات والمضاربين والعاملين في قطاع العقارات. لكن وينرشتروم لم يكن من الذين حصدوا النجاحات المتوقعة وحققوا المكاسب. إلا أنه بقي في الظل على خلاف زملائه من أصحاب المهنة. كانت تنقصه زخرفة جان شتينبيك، ولم يعمد إلى نشر صورٍ له على صفحات الجرائد كما فعل بيرسي بارنيفيك. فودّع عالم العقارات وتوجه بدلاً من ذلك إلى الاستثمار بشكل مكثف في الدول الشيوعية سابقاً. ومع حصول الثورة الكبرى خلال التسعينيات وجد مدير شركة بعد آخر نفسه مجبراً على الاستثمار في مشروعه الذهبي، فظهرت شركة وينرشتروم بمكانة مرموقة، وأصبحت كما أطلقت عليها صحيفة «فاينانشال تايمز»، «قصة سويدي ناجح».

قال ليندبرغ: «وفي عام 1992، تواصل وينرشتروم مع برنامج AIA قائلاً إنه يريد التمويل. فقدم خطة عمل، مدعومة كما كان يبدو من عدة مؤسسات في بولندا، تهدف إلى تأسيس مصنع لإنتاج علب حفظ الطعام.»

«صناعة التعليب تقصد.»

«ليس تماماً، لكن شيء من هذا القبيل. لا أملك أدنى فكرة عمن كانوا معارفه من المنخرطين في البرنامج. لكنه خرج من المشروع بمبلغ ستين مليون كورون.»

«بدأ الموضوع يثير اهتمامي، دعني أحزر، لم يعرف أحد منذ ذلك الوقت أين ذهبت الأموال.»

افتر ثغر ليندبرغ عن ابتسامة ماكرة قبل أن يرتشف بضع جرعات إضافية من البراندي ويقول:

«خطأ. فما حدث بعد ذلك لم يتخطَّ سجلات حفظ تقليدية. إذ أنشأ وينرشتروم فعلاً مصنعاً للتعليب في بولندا، في لودز تحديداً. كانت الشركة تدعى 'مينوس'. وقد تلقّت AIA بعض التقارير المثيرة للاهتمام خلال عام 1993، ليخيم الصمت التام بعد ذلك. وفي العام 1994، ومن دون أي سابق إنذار، انهارت الشركة وأقفلت.»

وضع ليندبرغ كأسه الفارغة متعمداً قرعها على الطاولة وإحداث صوت.

«تكمن مشكلة برنامج AIA في عدم وجود نظام حقيقي يصدر التقارير الخاصة بتنفيذ المشروع بانتظام. لا بدّ أنك تذكر تلك الأيام حين كان الجميع متفائلاً عند انهيار جدار برلين. كان سيتم إدخال الديموقراطية إلى الجزء الواقع خلف ذاك الجدار، وينتهي التهديد بإشعال حرب نووية، وكان البلاشفة ينقلون وينتظمون في صفوف الرأسماليين الصغار بين ليلة وضحاها. أرادت الحكومة أن تنشر الديموقراطية في الشرق. وأراد كل رأسمالي أن يلتحق بالجانب الذي يملك حظاً وافراً بالفوز ويساعد في بناء أوروبا الجديدة.»

«لم أكن أعلم أن الرأسماليين شغوفون إلى هذا الحد بالانخراط في الأعمال الخيرية.»

«صدقني، لقد كان ذلك الحلم الذي يتلذذ به الرأسماليون. فروسيا وأوروبا الشرقية قد يشكلان السوق الأكبر الذي لم يستثمر بعد الصين. لم تكن لدى قطاع الصناعة أي مشكلة في ضم الجهود والتعاون مع الحكومة لا سيما وأنه لم يكن مطلوباً من الشركات إلا أن تقدم استثمارات رمزية. وباختصار، ابتلع برنامج AIA ما يقارب ثلاثين مليار كورون من أموال

دافعي الضرائب. وكان يفترض به أن يعود بأرباح مستقبلية. من حيث الشكل، كان AIA عبارة عن مبادرة أطلقتها الحكومة إلا أن التأثير الحقيقي لقطاع الصناعة كان من الضخامة بحيث إن لجنة برنامج AIA كانت في الواقع تعمل بشكل مستقل.»

«وهل من قصة وراء كل ذلك؟»

«تحلّ بالصبر. حين بدأ العمل بالمشروع، لم تكن هناك مشكلة في التمويل. لم تكن السويد قد أصيبت بعد بصدمة معدلات الفائدة. وكانت الحكومة مسرورة بالانهماك في الترويج لبرنامج AIA على أنه أضخم مجهود تبذله السويد في نشر الديموقراطية في الشرق.»

«وكان أن حصل كل ذلك في ظل الحكومة المحافظة؟»

«لا تقحم السياسة في ذلك. الأمر برمّته يتمحور حول المال، وما من فارق بين الحزب الديموقراطي الاشتراكي وحزب المعتدلين في تعيين الوزراء. وهكذا سارت الأمور بالسرعة القصوى. ومن ثم بدأت حملات النقد الخارجي، وتلتها بعد ذلك مشكلة بعض الديموقراطيين المجانين، أنت تذكرهم، لتبدأ بعد ذلك الشكوى من النقص في الإشراف على ما كان برنامج AIA وقد ورّط نفسه فيه. اختلط الأمر مرة على أحد الأتباع الطيّعين للبرنامج فمزج بين الـAIA وهيئة التنمية الدولية السويدية وظنها أحد المشاريع الخيرية كتلك التي يتم تنفيذها في تانزانيا. وفي ربيع العام 1994، تم تعيين لجنة للتحقيق في الأمر. في تلك الأثناء كانت تسود المخاوف والقلق إزاء العديد من المشاريع، لكن أحد أول تلك المشاريع التي تم التحقيق فيها كان مشروع 'مينوس'.»

«ولم يتمكن وينرشتروم أن يبين وجهة استعمال كل الرساميل المخصصة لتنفيذ المشروع.»

«سارت الأمور أبعد من ذلك، إذ أصدر وينرشتروم تقريراً ممتازاً بيّن فيه أن ما يقارب أربعة وخمسين مليون كورون تم استثمارها في تنفيذ مشروع 'مينوس'. لكن تبيّن وجود العديد من المشكلات الإدارية الهائلة

الموروثة من بولندا القديمة بشكل حال دون إقامة مصنع حديث للتعليب قادر على تأدية وظيفته. على الصعيد العملي، تم إقفال المصنع الذي أسسه وينرشتروم بفعل المنافسة التي لقيها من قبل مشروع مماثل ألماني التمويل. كان الألمان يبذلون أقصى جهودهم لإحكام السيطرة على سوق الدول الشرقية الاشتراكية السابقة بأكمله.»

«قلت لي إنه تمّ تمويله بمبلغ ستين مليون كورون.»

«تماماً، لكن المبلغ كان بمثابة قرض من دون فوائد. والفكرة من وراء ذلك، كانت بالطبع أن تقوم الشركات بدفع المبلغ الذي استدانته على مدى سنوات. لكن مصنع 'مينوس' فشل ولم يتحمل وينرشتروم أي لوم على ما حصل. هنا تدخلت الضمانات التي قدمتها الدولة، وحكم على وينرشتروم بدفع تعويض عن الضرر والخسارة. كان كل ما يتعين عليه هو أن يعيد المبلغ الذي ضاع حين انهار مصنع 'مينوس'. وتمكن أن يبين كذلك أنه قد خسر مبلغاً إضافياً من ماله الخاص.»

«دعني أرى إن كنت أفهم الأمر بشكل صحيح. أمّنت الحكومة مبالغ تقدر بالمليارات على شكل ضرائب كما أمنت دعم الديبلوماسيين لفتح الأبواب أمام تنفيذ المشاريع. حصلت القطاعات الصناعية على الأموال واستخدمتها للاستثمار في مشاريع ضخمة تعود عليها لاحقاً بأرباح طائلة. بكلام آخر، إنه 'البيزنس' ببساطة.»

«أنت تسخر من الأمر، كان يفترض بأموال القروض أن تعاد للدولة.»

«لكنك قلت إنها كانت مشاريع تمويل من دون فوائد. مما يعني أن دافعي الضرائب لم يحصلوا على شيء بتاتاً مقابل تأمين الأموال نقداً. لقد حصل وينرشتروم على ستين مليون كورون واستثمر منها أربعة وخمسين مليوناً. فأين ذهبت الملايين الستة الأخرى؟»

«حين اتضح أن لجنة منبثقة عن برنامج AIA ستقوم بالتحقيق، أرسل وينرشتروم شيكاً إلى اللجنة لتبيان الفارق بين المبلغ المستدان والمبلغ

المدفوع. وهكذا تمت تسوية المسألة من الناحية القانونية على الأقل.»

«يبدو الأمر وكأن وينرشتروم لم يبدد سوى القليل من أموال الـ AIA. لكن مقارنة بمبلغ النصف مليار كورون الذي اختفى من قبل 'شانسكا'، أو ما فعله رئيس ومدير عام مشروع ABB الذهبي بمبالغ تزيد على مليار كورون والتي تُغضب الرأي العام حقاً، لا تبدو قصة وينرشتروم بالشيء الكبير الذي يستحق الكتابة حوله. لقد سئم قرّاء اليوم سماع أخبار المضاربين غير الكفوئين، حتى لو كان ذلك يمسّ المال العام. فهل تتضمن القصة المزيد من التفاصيل المثيرة للاهتمام؟»

«بل إنها تصبح أكثر تشويقاً.»

«كيف لك أن تعرف كل هذه التفاصيل عن صفقات وينرشتروم في بولندا؟»

«كنت أعمل لدى مصرف 'هاندلسبانكن' في التسعينيات. واحزر من كان يزود ممثل المصرف في AIA بالتقارير؟»

«هذا رائع. أخبرني المزيد عن ذلك.»

«حسناً، كانت لجنة AIA تحصل على التقارير من وينرشتروم نفسه. وتم سحب جميع الملفات ذات الصلة، كما تمّ دفع الفارق بين المبلغ المسحوب والمنفق. وكانت إعادة مبلغ الستة ملايين خطوة ذكية من قبل وينرشتروم.»

«لِمَ لا تصل إلى بيت القصيد مباشرة؟»

«ولكن، يا عزيزي بلومفيست، هذا هو بيت القصيد تماماً. اكتفت لجنة AIA بتقرير وينرشتروم. واقتنعت أنه كان مجرد استثمار فاشل خاسر، ذهب إلى الجحيم. ولم يحصل أي انتقاد للطريقة التي تمت فيها إدارة المشروع. نظرنا في الكشوفات والبيانات والفواتير والتحويلات فوجدنا أن كل شيء مذكور ومحتسب بدقة متناهية. أنا صدقت ذلك، ورئيسي صدق أيضاً. ولجنة AIA صدقته كذلك. ولم يكن لدى الحكومة شيء تقوله.»

«وأين المثير للاهتمام؟»

بدا لينديرغ فجأة رصيناً، «هنا تصبح القصة دقيقة تحتاج إلى الحكمة في معالجتها. وبما أنك صحافي، فليس هذا كلاماً للنشر.»

«هيا، كفّ عن ذلك! لا يمكن أن تجلس هنا بهدوء وتقول لي كل تلك الأخبار لتخبرني بعد ذلك أني لا أستطيع نشرها.»

«بالطبع يمكنني ذلك. كل ما أخبرتك به حتى الآن مذكور ومدوّن علناً. يمكنك أن تطلع على التقرير إذا أحببت. أما بقية القصة، ما لم أخبرك به بعد، فيمكنك الكتابة عنه شرط أن تذكرني في قصتك على أنني مصدر سري.»

«حسناً، لكن كلمة 'سري' في التعبير الصحفي المتداول، تعني أنني أُخبرت بأمور سرية بناءً على الثقة وأنه لا يسمح لي بنشرها أو الكتابة عنها.»

«فلتذهب التعابير الصحفية إلى الجحيم. يمكنك أن تكتب ما تشاء وتنشره على أن لا تذكرني وأبقى مصدراً مجهول الهوية. هل اتفقنا على ذلك؟»

أجاب بلومفيست: «بالطبع.»

كان يعلم في قرارة نفسه أن قبوله بالأمر خطأ.

«حسناً، إذاً. جرت أحداث 'مينوس' منذ ما يزيد على عقد من الزمن، مباشرة بعد انهيار جدار برلين، وأخذ البلاشفة يتصرفون كرأسماليين شرفاء. كنت أحد الأشخاص الذين قاموا بالتحقيق مع وينرشتروم. وظللت أفكر طوال الوقت أن شيئاً غريباً يكتنف قصته.»

«لماذا لم تقل ذلك حين وقّعت على التقرير؟»

«لقد ناقشت الأمر فعلاً مع رئيسي في العمل. لكن المشكلة أنه ما من ممسك يدينه. كانت الملفات كلها صحيحة، ولم أجد من حلٍّ أمامي سوى أن أوقّع على التقرير. كل مرة أرى فيها إسم وينرشتروم يرد في الإعلام لا يسعني إلا أن أفكر في 'مينوس' ليس أقله أنه بعد بضع

سنوات، وفي منتصف التسعينيات، أبرم المصرف الذي أعمل فيه صفقة تجارية مع وينرشتروم ذاك. صفقة تجارية ضخمة جداً تبين في النهاية أنها لم تعد بالكثير من الأرباح على المصرف.»

«هل كان في الأمر غِشّ؟»

«كلا، لم تتم الأمور بهذا الوضوح، أقصد ليس علناً. لقد حقق كلا الطرفين بعض الأرباح من الصفقة. لقد كان الأمر أشبه... لا أعرف كيف أشرح لك الأمر تماماً، كما أني أتكلم عن الجهة التي أعمل لديها، ولا أود أن أقوم بذلك فعلاً. لكن ما صعقني هو ذلك الانطباع الدائم، الذي كما يقولون لم يكن إيجابياً. في حين أن الإعلام يُظهر وينرشتروم على أنه رائد مالي عظيم. إنه يفلح في إظهار تلك الصورة، فهي 'رأسماله' بين الناس.»

«أعلم ما الذي تقصده.»

«انطباعي الشخصي عن ذلك الرجل هو أنه مجرد إنسان بسيط. حتى إنه ليس ذلك الخبير المالي العبقري اللامع. أعتقد في الواقع أنه مطبق الجهل حيال بضعة أمور مالية على الرغم من أنه يحيط نفسه بمجموعة من المستشارين الشبان الأقوياء حاذقي الذكاء. أضف إلى كل ذلك أنه لا يعنيني أنا كشخص.»

«ماذا إذاً؟»

«ذهبت منذ بضع سنوات إلى بولندا من أجل قضية أخرى مختلفة بالكامل كلفني بها المصرف. كان لمجموعتنا موعد عشاء مع بعض المستثمرين في لودز ووجدت نفسي أجلس إلى الطاولة ذاتها مع رئيس البلدية. أخذنا نتحدث عن الصعوبات التي يواجهها الاقتصاد البولندي في النهوض على قدميه وأمور أخرى تدور في الإطار ذاته، وأتيت عرضاً في سياق الحديث على ذكر مشروع 'مينوس'. فرمقني رئيس البلدية للحظة بنظرة ملؤها الدهشة والتعجب، وكأنه لم يسمع في حياته قط بكلمة 'مينوس'. ثم عاد وأخبرني أن ذلك كان مجرد مشروع تافه مقزز للنفس لم

يعد بأي فائدة على البلد. ثم ضحك وقال حرفياً، إنه لو كانت تلك المشاريع أفضل ما يستطيع المستثمرون في السويد القيام به، فالسلام على الحياة الاقتصادية في السويد كلها. هل تتابع ما أقول؟»

«من الواضح أن رئيس بلدية لودز شخص ذكي، لكنه تابع.»

«كان عندي اجتماع صباحي في اليوم التالي، لكن لم يكن لدي ما أقوم به طوال ساعات النهار المتبقية. ومن دون أن أعرف السبب لذلك، وجدتني أقود سيارتي متوجهاً لرؤية مصنع 'مينوس' المقفل، الواقع في البلدة الصغيرة خارج حدود لودز. وقد فوجئت إذ رأيت بناء متضعضعاً هو عبارة عن مصنع 'مينوس' العظيم. إنه مجرد مخزن مبني من الحديد المطعج كان الجيش الأحمر قد شيّده في الخمسينيات. وجدت هناك حارساً يتحدث القليل من الألمانية فاستنتجت من كلامه أن أحد أبناء عمه كان يعمل في مشروع 'مينوس'. وذهبنا معاً إلى منزله القريب، حيث عمل الحارس على تفسير كلام قريبه. هل يهمك أن تسمع ما كان لديه ليقوله لي؟»

«أنا متشوق لذلك، ولا يسعني أن أصبر أكثر.»

«افتتح 'مينوس' أبوابه في خريف العام 1992. وكان يضم ما يقارب الخمسة عشر موظفاً، معظمهم من النساء العجائز. كانوا يتقاضون مرتباً شهرياً يقدّر بمئة وخمسين كوروناً. لم تكن هناك آلات تعمل في البداية، لذا أمضت القوة العاملة وقتها في تنظيف المكان. وفي أوئل أكتوبر وصل من البرتغال ثلاثة صناديق صغيرة الحجم تحتوي على ماكينات. لكنها كانت قديمة الطراز وغير صالحة للاستعمال كلياً. لا يمكن أن تكون القيمة الفعلية للمعدات التافهة قد تعدّت بضعة آلاف من الكورونات. عملت الآلات قليلاً، لكنها لم تنفك تتعطل. من الطبيعي أنه لم يكن هناك قطع غيار مناسبة فشهد مصنع 'مينوس' فترات توقف عن العمل لا تحصى.»

قال بلومفيست: «ها هي الأحداث التي قد بدأت تشكل نواة قصة، ما الذي كانوا يصنعونه في 'مينوس' ذاك؟»

«طوال عام 1992 وحتى منتصف العام 1993، أنتج المصنع صناديق

صغيرة بسيطة كعلب مساحيق الغسيل، وعلب لوضع البيض وأشياء أخرى من هذا القبيل. ثم بدأوا بتصنيع الأكياس الورقية. لكن المصنع لم يتمكن قط من الحصول على ما يكفي من المواد الأولية الخام، لذا لم يطرح السؤال الذي يستقصي حجم الإنتاج.»

«لا يبدو لي ذلك استثماراً عملاقاً فعلاً.»

«ألقيت نظرة على الأرقام، فوجدت أن القيمة التأجيرية العامة للمبنى على مدى عامين لا يمكن أن تتخطى مبلغ خمسة عشر ألف كورون. كما يمكن أن يكون مجموع الأجور قد وصل إلى مئة وخمسين ألف كورون سويدي كحد أقصى، علماً أني أطرح رقماً سخياً هنا. وإذا احتسبنا تكاليف الآلات والنقل... التي هي عبارة عن حافلة صغيرة مقفلة لتوصيل علب البيض... فإني أخمّن أنها تكاليف وصلت إلى مئتين وخمسين ألف كورون. إضافة إلى تكلفة الرخص وبعض السفرات ذهاباً وإياباً، إذ من الواضح أن أحداً من السويد قام بزيارة موقع المصنع بضع مرات. يبدو لي من كل ما سبق أن العملية بأسرها تطلبت ما يقل عن مليوني كورون. وفي أحد أيام صيف العام 1993، ظهر رئيس عمال في المصنع وأبلغ من فيه أنه سيتم إقفاله، لتأتي بعد فترة قصيرة إحدى الحافلات وتنقل الآلات. وداعاً 'مينوس'.»

لطالما خطرت 'Midsummer Eve' على بال بلومفيست أثناء سير مجريات المحاكمة. شعر لفترات طويلة من الأمسية أن نبرة الحديث الدائر أعادته إلى سنوات الدراسة، كانا كأنهما ما يزالان تلميذين في المدرسة يدور بينهما نقاش ودي الطابع. تشاركا كصبيين في عمر المراهقة الأعباء العامة لتلك المرحلة من العمر. أما كشخصين ناضجين، فكان كل منهما غريباً عن الآخر ولم يعودا الآن سوى صنفين مختلفين من البشر. أثناء إجراء الحديث، خطر لبلومفيست أنه ما عاد يستطيع أن يتذكر فعلاً ما الذي جعلهما صديقين أيام الدراسة. عادت به الذكرى إلى ليندبرغ كصبي

متحفظ شديد الحياء مع الفتيات. أما كراشد فقد كان شخصاً ناجحاً. . . حسناً، إنه شخص يتسلق سلم النجاح في عالم المصارف.

نادراً ما كان ليندبرغ يشرب إلى درجة الثمل، لكن اللقاء الصدفة الذي جمعهما حوّل رحلة الإبحار الكارثية إلى أمسية جميلة. ولأن الحديث بمجمله كان يرجّع صدى أيام الدراسة معاً، لم يأخذ بلومفيست في البداية قصة ليندبرغ حول وينرشتروم على محمل الجد. إلا أن حدسه المهني أصابه بالفضول رويداً رويداً. وصار بالتالي يصغي باهتمام لما يُقال، فبدأت الاعتراضات المنطقية تطفو على وجه الحديث.

وقال، «انتظر للحظة، وينرشتروم من ألمع الأسماء التي تحتل صدارة أسماء عالم المضاربة في السوق. لقد جنى من المضاربة المليارات من المال، أليس كذلك؟»

«'وينرشتروم غروب' تتربع على عرش من المال تقدر قيمته بحوالى مئتي مليار. لا شك أنك ستسألني، لماذا يقحم ملياردير نفسه في متاعب عملية نصب وسرقة مجرد مبلغ تافه لا يساوي سوى خمسين مليوناً.»

«حسناً، لنضع الأمور في هذا النصاب: لماذا قد يخاطر باسمه وسمعة شركته الجيدة في التورط بمثل عملية نصب واحتيال سافرة كهذه؟»

«لم تكن عملية سافرة إلى هذا الحد من الوضوح، نظراً لحقيقة أن لجنة الـAIA والمصرفيين جميعاً والحكومة ومدققي حسابات البرلمان كلهم يوافقون على حسابات وينرشتروم من دون وجود صوت معارض واحد خارج عن المجموعة.»

«مع ذلك لا يزال المبلغ سخيفاً ليقوم بمثل هذه المخاطرة الكبرى من أجله.»

«حتماً. لكن فكر فقط أن مجموعة وينرشتروم هي شركة استثمار تتعامل بالعقارات والضمانات والنقد الأجنبي. . . والعملات المختلفة. أقام وينرشتروم علاقات مع برنامج AIA عام 1992 حين كانت الأسواق في أدنى مستوياتها. أتذكر خريف العام 1992؟»

«أذكره! وكيف لي أن أنساه؟ كانت قيمة الرهن على شقتي غير ثابتة في حين ارتفع معدل الفائدة إلى خمسة بالمئة خلال شهر أكتوبر. ثم علقت في دفع فائدة بمعدل تسعة عشر بالمئة لمدة عام كامل.»

قال ليندبرغ: «لقد كانت تلك بالفعل أياماً صعبة خسرت فيها مبلغاً كبيراً من المال. وكان هانس-إريك وينرشتروم كأي لاعب آخر في السوق يصارع بكل قوته لمواجهة المشكلة عينها. كانت للشركة مليارات من الأموال بالعملات المختلفة على شكل سندات إضافة إلى شيكات لنا، لذا لم يكن لديها الكثير من السيولة. وفجأة لم يعد بإمكانهم اقتراض المبالغ التي يرغبون فيها. الوضع الطبيعي في مثل هذه الحالة هو التخفيف من عبء بعض الأملاك عبر بيع جزء منها ومعاودة الانطلاق بعد الهزيمة، لكن في عام 1992 لم يكن أحد يرغب في شراء العقارات.»

«بسبب المشكلات في السيولة النقدية.»

«تماماً. لم تكن مجموعة وينرشتروم الشركة الوحيدة التي قامت بذلك. فكل رجل أعمال...»

«لا تقل رجال أعمال. سمّهم ما شئت إلا رجال أعمال لأن تلك التسمية بمثابة إهانة لمهنة جدّية.»

«حسناً، كان كل مضارب في البورصة يعاني من مشكلات في السيولة. انظر إلى الأمر من هذه الزاوية: حصل وينرشتروم على ستين مليون كورون. أعاد منها ستة ملايين ولكن بعد ثلاث سنوات. في حين أن الكلفة الحقيقية لمشروع 'مينوس' لم تتخطّ المليونين، وهذا لا يعتبر سوى مبلغ زهيد كفائدة على مبلغ الستين مليوناً على مدى ثلاثة أعوام. ووفقاً لطريقة استثماره للمال، قد يكون ضاعف المبلغ الذي أخذه من برنامج الـAIA عشر مرات. وهكذا فإننا لم نعد نتحدث عن مجرد مسألة تافهة. إنها قضية 'سكال' بالمناسبة.»

الفصل الثاني

الجمعة، 20 ديسمبر

جاء دراغان آرمانسكي إلى بلاد كرواتيا من هذا العالم منذ ستة وخمسين عاماً. والده كان أرمنياً من أصل يهودي من بيلاروسيا. أما أمه فكانت من مسلمي البوسنة من سلالة يونانية. وقد تولّت بنفسها أمر تربيته وتعليمه، مما يعني أنه كراشد كان يتم تصنيفه ضمن المجموعة الواسعة غير المتجانسة التي يعرّف عنها الإعلام بطائفة المسلمين. وقد سجلته سلطات الهجرة السويدية على أنه صربي، مما يثير الكثير من الاستغراب. أما جواز سفره فيؤكد أنه مواطن سويدي وتظهر الصورة الملصقة عليه وجهاً مربع الشكل وفكين قويين وملامح تدل على عمر متقدم وشعراً بدأ يتغير لونه إلى رمادي عند الصدغين. كان ينعت عند مناداته بـ«العربي»، مع أنه لا يحمل في عروقه قطرة دماء عربية واحدة.

كانت ملامحه أشبه برئيس عمل محلي نموذجي في فيلم أميركي بوليسي تدور أحداثه حول عصابة من المجرمين. إلا أنه كان في الواقع مديراً مالياً موهوباً بدأ حياته المهنية مع بداية السبعينيات كمدقق حسابات مبتدئ في شركة ميلتون للأمن. وشهدت العقود التالية تقدمه لاحتلال منصبي الرئيس والمدير العام للشركة كما المدير المنفّذ.

بات عالم الاهتمام بالأمن يخطف لبّه. كان الأمر بالنسبة له أشبه بألعاب الحرب الإلكترونية من حيث الإشارة إلى مكامن التهديد وتطوير استراتيجيات مضادة والبقاء طوال الوقت متفوقاً على الجواسيس

الاقتصاديين والمبتزّين واللصوص. بدأ الأمر بالنسبة له حين اكتشف كيف أن عملية نصب قام بها أحد العملاء من خلال اللجوء إلى اتباع أسلوب مبتكر في عملية حفظ الدفاتر. ومن بين مجموعة من عشرات الأشخاص، تمكن هو من دون سواه من معرفة من كان وراء عملية النصب. وتمت على إثر ذلك ترقيته فلعب دوراً أساسياً في تطور الشركة إذ كان خبيراً في عمليات النصب التي تحصل في القطاع المالي، ليصبح بعد خمسة عشر عاماً الرئيس والمدير العام. وقد حوّل شركة ميلتون الأمنية إلى إحدى شركات السويد الأكثر كفاءةً وثقةً من بين منافساتها من الشركات.

كان لدى تلك الشركة ثلاثمئة وثمانون موظفاً يعملون بدوام كامل وثلاثمئة آخرين يشتغلون بدوام حر. إلا أنها كانت تعتبر إحدى الشّركات الصغرى مقارنة بـ«فلاك» أو «الشركة السويدية لخدمات الحراسة». حين انضم آرمانسكي إلى الشركة في البداية كان اسمها «جوهان فردريك ميلتون للأمن العام AB»، وكانت لديها لائحةٌ تتضمن عدداً من مراكز التسوق التي تحتاج إلى حراس مفتولي العضلات وأشخاص يرشدون المشترين ويراقبون عمليات البيع والبائعين على حدٍّ سواء. في حين أن الشركة، وتحت قيادته، أصبحت تُعرف على نطاقٍ دولي باسم «ميلتون للأمن». وقد قامت هذه الشركة باستثمارات عدة في قطاع التكنولوجيا المتقدمة الآخذ في الازدهار. وتم استبدال المراقبين الليليين الذين تجاوزوا مرحلة الشباب ومحبي أزياء العمل وطلاب الجامعات بمحترفين يتمتعون بمهارات رجال الأمن الحقيقيين. وظّف آرمانسكي رجال شرطة سابقين ناضجين ليشغلوا وظائف رؤساء العمليات في الشركة، وخبراء سياسيين متخصصين في مجال الإرهاب الدولي وخبراء في حقل حماية الشخصيات والتجسس الصناعي. أما النقطة الأهم فكانت تكمن في توظيف أفضل التقنيين في قطاع الاتصالات وأكثر الخبراء كفاءة في مجال تكنولوجيا المعلوماتية. انتقل مركز الشركة من سلونا إلى المكاتب الواقعة بالقرب من سلاسن الموجودة في قلب العاصمة ستوكهولم.

مع بداية الثمانينيات، باتت شركة «ميلتون للأمن» مجهزة لتقديم مستوى جديد من الحماية والأمن لمجموعة خاصة من العملاء، والمؤسسات المتوسطة الحجم وأفراد المجتمع الموسرين من نجوم روك حديثي الثراء، ومضاربين في الأسواق المالية، ومجموعة المضاربين قليلي الخبرة في مجال التجارة التكنولوجية. كان جزء من نشاط الشركة مكرساً لتأمين حراس شخصيين للحماية وإيجاد حلول أمنية لشركات سويدية متواجدة خارج البلاد، لاسيما تلك العاملة في الشرق الأوسط. بات هذا المجال من العمل يشكل سبعين بالمئة من حجم أعمال الشركة. وبقيادة آرمانسكي، ازدادت المبيعات من حوالى أربعين مليون كورون سويدي إلى ما يقارب المليارين. فقد تبيّن أن تأمين الحماية للآخرين عمل مدرّ للأرباح.

كانت العمليات تتوزع على ثلاثة مجالات أساسية: الاستشارات الأمنية، التي تنطوي على تحديد جدية التهديدات الحقيقية أو عدمها. اتخاذ إجراءات دفاعية عادة ما تعني تركيب كاميرات مراقبة لأهداف أمنية، وأجهزة إنذار ضد السرقة والحرائق، وآليات الإقفال الإلكتروني، وأنظمة المعلوماتية، إضافة إلى مجال تأمين الحماية للأفراد أو الشركات. ثم اتسع سوق العمل في المجال الأخير على مدى السنوات العشر الأخيرة بحدود أربعين ضعفاً. وقد ظهر مؤخراً نوع من الحماية لمجموعة جديدة من العملاء: إنها حماية النساء الفاحشات الثراء من أصدقائهن السابقين أو من أزواجهن أو من المراوغين الذين قد يحاولون إيذاءهن. إضافة إلى ذلك، كانت شركة «ميلتون للأمن» تعمل بالتعاون والتنسيق مع شركات مشابهة ذات سمعة حسنة في كل من أوروبا والولايات المتحدة الأميركية. كما تتولى الشركة حماية وتوفير الأمن للعديد من الزوار الدوليين إلى السويد، بمن في ذلك إحدى الممثلات الأميركيات التي كانت تقوم بتصوير فيلم لها على مدى شهرين في ترولهاتان. إذ شعرت الوكالة أن وضعها يستوجب تأمين حراس شخصيين لها يرافقونها حيثما تذهب في النزهات القليلة التي تقوم بها حول الفندق.

ثمة نطاق حماية رابع أضيق مجالاً ينطوي على توفير الأمن لبضعة موظفين فقط ويدعى PI أو P-In، والذي يعني التحقيقات الشخصية، حيث يتدخل الجهاز الداخلي الخاص، الـ«بيندرز».

لم يكن آرمانسكي شغوفاً من الأساس بهذا الجزء من العمل. فهو كثير المتاعب قليل الإنتاج. كما كان يفرض مستوى أكثر تطلباً على صعيد خبرة الموظفين وقدرتهم على المحاكمة أكثر مما يعتمد على معرفتهم بتكنولوجيا الاتصالات أو بتركيب أجهزة المراقبة. كان يتم القبول بإجراء تحقيقات شخصية حين يتعلق الأمر بتأمين معلومات سرية والقيام ببعض التحقيقات التي تسبق التوظيف أو التدقيق في صحة الشكوك التي تدور حول إقدام أحد الموظفين على تسريب معلومات خاصة بالشركة التي كانوا يعملون لحسابها أو المتورطين منهم بأعمال إجرامية. في مثل هذه الحالات كان الـ«بيندرز» يشكل جزءاً أساسياً من النشاط التنفيذي لعملية الحماية. ولكن في بعض الأحيان كان زبائن الشركة يقحمون مشاكلهم الشخصية التي عادة ما تخلق اضطرابات غير مرحّب بها. فكانت تصادف الرئيس مشكلات من نوع... أريد أن أعرف مع أي صنف من الشبان التافهين تخرج ابنتي... أظن أن زوجتي تخونني... لابأس بالشاب لكنه يرافق بعض الأصحاب الفاسدين... إني أتعرّض للابتزاز... كل تلك الحالات وأمثالها كان يقابلها آرمانسكي بالرفض الفوري، وبـ«لا» غير قابلة للنقاش. فإذا كانت الفتاة راشدة بما يكفي، فلديها الحق في الخروج مع أي تافه يعجبها، كما أنه كان يظن أن مسألة الخيانة الزوجية أمر يعالجه الزوجان بنفسيهما. ففي ثنايا تلك الطلبات توجد فخاخ قد تقود إلى فضائح وتخلق مشكلات قانونية لشركة «ميلتون للأمن». لهذا السبب كان دراغان آرمانسكي يرصد عن قرب مثل تلك المهمات على الرغم من المردود المتواضع الذي كانت تعود به على الشركة.

لم يكن الموضوع الصباحي الذي يعمل على معالجته إلا تحقيقاً

شخصياً عادياً. سوّى آرمانسكي التجعيدة على سرواله قبل أن يسترخي في كرسيه المريح. نظر إلى زميلته ليزبث سالاندر الأصغر منه سنّاً، البالغة اثنين وثلاثين عاماً نظرة مليئة بالشك. خطر له للمرة الألف أن ما من أحد يوازيها في التميز والكفاءة داخل شركة أمن رفيعة المقام. كان الشعور بعدم الثقة حكيماً وغير عقلاني في آنٍ واحد. كانت سالاندر بنظر آرمانسكي ومن دون شك، المحققة الأكثر كفاءة التي التقاها يوماً طوال سنوات ممارسته لهذه المهنة. وخلال الأعوام الأربعة من عملها لديه، لم تتردد في قبول أي عمل يوكل إليها ولم تقدّم مرّة تقريراً من الدرجة الثانية.

على العكس، كانت تقاريرها تشكل درجة بحدّ ذاتها. وكان آرمانسكي على قناعة أن الفتاة تتمتع بموهبة فريدة من نوعها. يمكن لأي كان أن يعثر على معلومات موثوقة أو أن يتحقق منها من محاضر الشرطة، لكن سالاندر كانت تمتلك مخيلة وتعود كل مرة بشيء مختلف عما كان هو نفسه يتوقع. ولم يستطع أن يفهم مطلقاً كيف كانت تفعل ذلك. كان يخطر له أحياناً أن قدرتها على جمع المعلومات ما هي إلا عمل سحري محض. كانت على علم بكافة أنواع الأرشيف البيروقراطية ظهراً عن قلب. وفضلاً عن هذا كله، كانت تتمتع بالمقدرة على أن تدبّ كالنعاس في الشخص الذي تستجوبه وتحصل منه على ما تريد من معلومات. وعندما تشم رائحة أخبار نتنة سرية ينبغي التفتيش عنها، كانت تنطلق كصاروخ موجّه لا يقف شيء بوجهه.

كانت تتمتع بهذه الميزة الاستثنائية طوال الوقت تقريباً.

كان يمكن لتقاريرها أن تكون كارثية على كل من يقع في نطاق راداراتها. لا يمكن لآرمانسكي مطلقاً أن ينسى اليوم الذي أوكل فيه إليها القيام بعملية تحقق روتينية بصدد أحد الباحثين العاملين في حقل صناعة الأدوية قبل أن تشتري الشركة جميع حصصه. كان يفترض أن ينجز العمل في غضون أسبوع واحد، إلا أن المدة طالت. بعد مرور أربعة أسابيع من الصمت المطبق وتلقّي العديد من ملاحظات التذكير التي تجاهلتها، عادت

سالاندر بتقرير يوثّق أن الشخص موضوع الاستقصاء كان من الذين ينجذبون إلى إغواء الأولاد الصغار. وقد سبق له في مناسبتين أن مارس الجنس مقابل المال مع إحدى العاهرات التي تبلغ ثلاثة عشر عاماً في منطقة تالين. كما أن هناك دلائل تشير إلى وجود اهتمام مشبوه بابنة المرأة التي يعيش معها حالياً.

كانت لسالاندر عادات تقود آرمانسكي إلى حافة اليأس. ففي قضية الانحراف تلك، لم تكلّف سالاندر نفسها عناء رفع سماعة الهاتف والاتصال بآرمانسكي أو حتى القدوم إلى مكتبه بهدف التحدث إليه. بل، وعوضاً عن ذلك، ومن دون الإشارة ولو بكلمة واحدة إلى أن التقرير قد يتضمن مواد ومعلومات متفجرة، وضعته على مكتبه في إحدى الأمسيات حين كان يهم بالتوقف عن العمل والمغادرة. ولم يقرأه إلا في وقت متأخر من المساء بينما كان يسترخي قبالة شاشة التلفزيون مع زوجته يتناولان كأس نبيذ في فيلّتهما الواقعة في ليندينغو.

كان التقرير كما جرت العادة، يكاد يكون بدقة تقريراً علمياً بحتاً، مزوداً بالتذييلات المناسبة أسفل الصفحة والكلام المقتبس بحرفيته والمصادر التي أتت منها المعلومات. الصفحات الأولى كانت تتحدث عن خلفية الشخص موضوع البحث، ومستواه العلمي، ومهنته، ووضعه المالي. لم يتعثر آرمانسكي في قراءته بقنابل إلا حين وصل إلى الصفحة الرابعة والعشرين التي تذكر زيارات الشخص إلى تالين بالنبرة والأسلوب الجافين ذاتهما التي ذكرت فيهما أنه يقطن في ولينتونا ويقود سيارة فولفو كحلية اللون. كما عمدت إلى توثيق معلوماتها بفهرس موسّع مفصل يضم صوراً لفتاة الثالثة عشرة برفقة الشخص المعني. وقد تمّ التقاط صور لهما في ردهات أحد فنادق تالين حيث تبدو يد الرجل متسللة تحت قميص الفتاة. وكانت سالاندر قد قامت بتعقب أثر الفتاة المطلوبة وحصلت منها على أحداث الرواية مسجلة على شريط.

خلق التقرير الفوضى التي أراد آرمانسكي تجنّبها تماماً. فاضطر أولاً

إلى ابتلاع بضعة أقراص دواء وصفها له طبيبه، ثم الاتصال بالزبون طالباً لقاء طارئاً. وفي النهاية، وبعد اعتراضات حادة اللهجة، اضطر إلى إحالة القضية إلى الشرطة. وهو ما كان يعني أن شركة «ميلتون للأمن» تخاطر بالوقوع في شبكة مشكلات معقدة. فإذا لم تتأكد صحة الإثباتات التي أحضرتها سالاندر، أو تمت تبرئة الرجل من الاتهامات الموجهة إليه، فهذا يعني أن الشركة ستقع في خطر مواجهة تهمة التشهير والقدح والذم. لقد كان كل ذلك كابوساً حقيقياً.

غير أن برودة إحساس ليزبث سالاندر المذهل لم يكن أكثر ما أصاب آرمانسكي بالحزن. فصورة شركة «ميلتون للأمن» كانت من الثوابت التي ينبغي الحفاظ عليها. كانت سالاندر تحتل الموقع المناسب في الصورة المرسومة للشركة. عميلة آرمانسكي هذه كانت امرأة شابة شاحبة الوجه، مصابة بانعدام الشهية للطعام، ذات شعر أحمر قصير أشبه بفتائل الإشعال، وأنف وحاجبين مثقوبين لتعليق الأقراط. كما كان لديها على عنقها وشم بطول إنش تقريباً يصوّر نحلة، إضافة إلى وشم على شكل حلقة فوق ذراعها اليسرى وآخر فوق كاحلها الأيسر. حتى إن آرمانسكي رأى وشم تنين على كتفها اليسرى في إحدى المرات التي كانت تلبس فيها سترة تكشف عن ظهرها. كانت الطبيعة قد أنعمت عليها بشعر أحمر اللون إلا أنها كانت تواظب على صبغه بالأسود القاتم. حتى لتبدو كأنها قد عادت لتوّها من تمضية أسبوع من الهرج والسكر برفقة عصابة من محبي موسيقى الـ«هارد روك».

لم يكن لديها في الواقع اختلال في عادات تناول الطعام، كان آرمانسكي واثقاً من ذلك. إذ بدت على العكس من ذلك أنها لا توفر أي نوع من الوجبات السريعة. لكنها ولدت نحيلة بطبيعتها، بعظام رفيعة جعلتها تبدو أقرب إلى الفتاة منها إلى امرأة. كانت ذات أطراف نحيلة، ويدين صغيرتين، ومعصمين ضيقين وثديين مسطحين كالأولاد. كانت في

سنّ الرابعة والعشرين، لكنها تبدو أحياناً في الرابعة عشرة فقط.

وكان لها أيضاً فم كبير وأنف دقيق وعظمتا وجنتين بارزتان وهو ما كان يمنحها ملامح آسيوية. أما حركاتها فكانت رشيقة، متمططة كحركة أرجل العنكبوت، وحين كانت تعمل على الكومبيوتر كانت أصابعها تتسابق برشاقة في النقر على المفاتيح. كان نحولها الفائق الحدّ يجعل مهنة عرض الأزياء مستحيلة بالنسبة لها، لكن القليل من التبرج المناسب كان كفيلاً بنشر صورها على لوحات إعلانات تنتشر حول العالم. كانت أحياناً تضع أحمر شفاه أسود اللون، وعلى الرغم من الوشوم المتواجدة بوفرة في أنحاء جسدها وفي الأنف والحاجبين المثقوبين كانت تبدو... تبدو... جذابة. كان الأمر عصياً على التفسير أو الشرح.

والواقع أن عمل سالاندر لدى دراغان آرمانسكي كان أمراً مدهشاً بحد ذاته. فهي لم تكن من نوع النساء اللواتي يتواصل آرمانسكي معهن بطبيعة الحال.

وقد تم توظيفها على أنها فتاة متعددة المواهب. كان هولجر بالمغرين المحامي شبه المتقاعد الذي يدير أعمال ج. ف. ميلتون العجوز هو من قال لآرمانسكي إن ليزبث سالاندر تلك فتاة سريعة البديهة من النوع الذي يحب تجربة كل شيء في الحياة. رجاه بالمغرين أن يمنحها فرصة، فوعده آرمانسكي أن يفعل على الرغم من أنه يخالفه الرأي حيالها. فبالمغرين كان من الرجال الذي يعني لهم رفض طلباتهم تحفيزاً لمضاعفة الجهود، لذا كان من الأسهل القبول بما يطلبه مباشرة. كان آرمانسكي على علم بأن بالمغرين هو من الأشخاص الذين كرسوا حياتهم للعناية بالأولاد المصابين باضطرابات والذين يعانون من مشكلات في حياتهم إضافة إلى اهتمامه بأوضاع اجتماعية ناشزة أخرى، إلا أنه كان يتمتع بحكم جيد على الأمور.

وقد شعر بالندم لقرار قبوله توظيف الفتاة لحظة رآها. لم تبدُ له شخصاً صعب المراس بل كانت مثالاً للصعوبة الخالصة بحدّ ذاتها. لقد

تركت المدرسة ولم تحصل على مستوى علمي عالٍ.

عملت خلال الأشهر القليلة الأولى بعد ترك المدرسة بدوام عمل كامل، تقريباً. كانت تأتي إلى المكتب بين الحين والآخر، فتعدّ القهوة وتذهب إلى البريد، وتهتم بنسخ الملفات، إلا أن التقيد بساعات العمل المنتظمة أو قوانين العمل الروتينية في المكتب كان أشبه باللعنة بالنسبة لها. لذا فقد اشتهرت بأنها تتمتع بموهبة إغاظة كافة الموظفين. وصارت تُعرف في أوساطهم بـ«الفتاة صاحبة خليتي الدماغ»، واحدة للتنفس وأخرى للوقوف. لم تكن تتحدث عن نفسها مطلقاً وكان كل من يحاول التحدث إليها من زملائها يستسلم بسرعة إزاء تقطيرها في إعطاء الإجابات. لم يكن سلوكها وتصرفاتها تحفز على عدم الثقة أو توحي بالصداقة. وسرعان ما أصبحت غريبة عن الجماعة تجول في ممرات شركة «ميلتون للأمن» كقطة تائهة. كانت تعرف عموماً بالحالة الميؤوس منها.

بعد شهر كامل لم يشهد سوى المشكلات، أرسل آرمانسكي بطلبها عاقداً العزم على تسريحها. أصغت لقائمة المخالفات التي قامت بها من دون اعتراض ولم تُظهر أبسط علامات التعجب، إذ لم يرها ترفع أحد حاجبيها ولو لمرة واحدة. وخلُص في نهاية المطاف إلى أنها لا تتحلى بـ«بالسلوك المناسب» وكان على وشك أن يخبرها بأن من الأفضل لها ربما لو تبحث عن فرصة توظيف في إحدى الشركات الأخرى التي قد تستغل مهاراتها بشكل أفضل. عندئذ فقط قاطعته قائلة:

«هل تعرف شيئاً، إن كنت تريد عبداً مأموراً للقيام بأعباء المكتب، يمكنك الحصول على واحدٍ من وكالة توظيف العمال المؤقتين. أما أنا فيمكنني تدبر أمري، وإن كنت لا تعرف كيف تحسن توظيفي لأكثر من القيام بتنظيم البريد، فأنت مجرد أحمق.»

تسمّر آرمانسكي في كرسيه مذهولاً، غاضباً من كلامها، لكنها تابعت وكأن شيئاً لم يكن:

«الديك من بين الموظفين رجلٌ هنا، أمضى ثلاثة أسابيع في كتابة تقرير لا فائدة منه إطلاقاً حول ذاك الموظف المتعلم الشاب الذي يفكرون في توظيفه في إحدى الشركات التجارية الكبرى. كنت أنسخ له قسماً من تلك التفاهات له الليلة الماضية وها إني أرى الملف على طاولتك اليوم.»

تحوّل نظر آرمانسكي إلى التقرير الموجود أمامه، وقال في محاولة لتغيير موضوع الحديث: «ولكن لا يفترض بك قراءة التقارير السرية.»

«من الواضح أنه لا يسمح لي بقراءتها، لكن أنظمة الأمن في شركتك تعاني الكثير من النواقص. كان يفترض بموظفك أن يعمل وفقاً لتوجيهاتك على نسخ مثل تلك الأمور بنفسه، إلا أنه أوكل إليّ كتابة التقرير قبل أن يتوجه إلى الحانة لتمضية سهرته. وقد وجدت بالمناسبة تقريره السابق في سلة المهملات.»

«وجدت ماذا؟»

«لا تقلق، أعدته إلى صندوق أغراضه.»

بدا آرمانسكي مرتاعاً وهو يسألها: «هل أعطاك سلسلة الأرقام والأحرف الخاصة بفتح خزنته الحديدية؟»

«ليس تماماً، بل كان قد دوّنها على ورقة صغيرة يبقيها تحت أحد دفاتر السجلات. إضافة إلى كلمة سر فتح الكومبيوتر الخاص به. لكن النقطة الأهم هنا هي أن مزحة استئجار تحرٍّ خاص مثله لم تأت بأي نتيجة تذكر فقد قام بتحقيقات خاصة لا قيمة لها. إذ فاتته حقيقة أن الشاب الذي يتحرى بشأنه واقع تحت ديون قديمة بسبب لعب القمار وأنه يتعاطى الكوكايين كمكنسة شفط كهربائي. أو أن صديقته السابقة قد لجأت إلى مركز لمعالجة مشاكل المرأة الاجتماعية بعد أن برّحها ضرباً.»

جلس آرمانسكي في كرسيه يقلّب صفحات التقرير. لقد تمّت صياغته بلغة واضحة تماماً ووفرة في ذكر المراجع التي استقت المعلومات منها، إضافة إلى تعليقات من أصدقاء الشخص موضوع البحث ومعارفه. رفع أخيراً نظره إليها متفوهاً بكلمتين فقط: «أثبتي لي ذلك».

«كم من الوقت تمهلني؟»

«ثلاثة أيام، إن لم تستطيعي في نهايتها إثبات مزاعمك وادعاءاتك، بعد ظهر اليوم الثالث تحديداً، فستُطردين.»

بعد مضي ثلاثة أيام، سلمت تقريراً حوّل، بمضمونه المسهب التفاصيل والشروحات، والوافر المراجع، الرجل الحسن الأخلاق ظاهرياً إلى حل آخر فاسد، سافل لا يمكن الاعتماد عليه. اطّلع آرمانسكي على تقريرها في عطلة نهاية الأسبوع قارئاً محتواه عدة مرات، كما أمضى جزءاً من نهار الاثنين يعيد بفتور التحقق من تأكيداتها على بعض المزاعم. لقد عرف، حتى قبل أن يبدأ، بأن المعلومات الواردة ستكون بمنتهى الدقة.

غمر آرمانسكي شعور بالذهول كما بالغضب من نفسه لإساءة الحكم عليها. لقد ظنها مجرد فتاة حمقاء بل وحتى متخلفة عقلياً. لم يتوقع من شخص مثلها فاتته عدة صفوف مدرسية، ولم يتمكن من التحصيل الجامعي والحصول على شهادة، أن يكتب تقريراً خالياً من الأخطاء اللغوية. كان يتضمن معلومات وملاحظات مفصلة، حيث لم يستطع ببساطة أن يفهم كيف تمكنت من الحصول على كل تلك الوقائع.

لم يكن ليتصور أن أي شخص آخر من شركة «ميلتون للأمن» قادر على الحصول على معلومات مستقاة من دفتر المذكرات اليومية لأحد الأطباء العاملين في مركز معالجة مشاكل المرأة. وحين سألها كيف تمكنت من القيام بذلك ردّت بعدم نيتها حرق مصادر معلوماتها. بدا واضحاً أن سالاندر لم تكن مستعدة لمناقشة طرق قيامها بعملها لا معه ولا مع سواه. لقد أزعجه ذلك حتماً، لكن ليس بما يكفي لمقاومة رغبة امتحانها مجدداً.

شغلت المسألة تفكيره لعدّة أيام. تذكر كلام هولجر بالمغرين يقول له: «كل واحد في الحياة يستحق فرصة.» فكر في سنوات تربيته على دين الإسلام، الذي علمه أن الواجب تجاه الله يقتضي مساعدة المنبوذين. لم

يكن يؤمن بالله طبعاً ولم يرتّد أياً من الجوامع مذ كان في سنّ المراهقة، لكنه أدرك أن ليزبث سالاندر من بين كل الناس كانت شخصاً يحتاج إلى المساعدة القصوى، وأنه لم يلتزم بهذا المبدأ طوال العقود القليلة الماضية من حياته.

بدلاً من طردها من العمل، دعاها آرمانسكي إلى اجتماع حاول خلاله معرفة الأسباب التي تجعل هذه الفتاة الصعبة المراس مهيأة للمضي قدماً في العمل لديه. تأكدت انطباعاته حول معاناة سالاندر من بعض المشاكل العاطفية الخطيرة، لكنه اكتشف كذلك أنه خلف هذا المظهر المتألم المنطوي على ذاته، يوجد شخص يمتلك ذكاءً غير اعتيادي. كان يجدها لاذعة مزعجة لكنها بدأت تروق له بشكل مذهل.

على مدى الأشهر القليلة اللاحقة، أخذ آرمانسكي الفتاة تحت جناحه ورعاها. كان يعتبرها في الواقع بمثابة مشروع اجتماعي صغير يعمل عليه. أوكل إليها مهمات بحث خالية من الصعوبات وحاول تزويدها بالإرشادات المناسبة حول طرق البدء بتنفيذها. كانت تصغي إلى ما يقوله باهتمام وصبر ثم تمضي في القيام بالمهمة بالطريقة التي تراها هي مناسبة. كان قد طلب إلى المدير التقني في شركة «ميلتون» إعطاءها بعض الدورات الأساسية في علم تكنولوجيا المعلوماتية. فكانا يمضيان كل فترات بعد الظهر معاً إلى أن عاد المدير بتقرير يكشف أنها تتمتع بفهم عال لعالم الكومبيوترات يفوق فَهْمَ معظم الموظفين العاملين في الشركة. إلا أنه، وعلى الرغم من النقاشات المتكررة حيال كيفية التقدم بالعمل، والعروض التي تقدم لها بمنحها تدريبات في المنزل، وأشكال أخرى من الإغراءات، كان من الواضح أن لا نية لسالاندر للتقيد بأنظمة العمل في مكاتب «ميلتون». وقد وضع ذلك آرمانسكي في موقف صعب.

لم يكن ليتساهل مع أي من الموظفين الآخرين الذين يدخلون الشركة ويخرجون منها على هواهم، كما أنه لم يكن ليطلب منها في ظل الظروف الطبيعية العادية سوى الالتزام بالقوانين وتغيير عاداتها أو الرحيل. لكن

شعوراً غامضاً كان ينبئه أنه إذا حذّر سالاندر بشكل نهائي من مغبة ممارستها تلك أو هدّد حتى بطردها من الشركة، فإنها ستهزّ كتفيها بلامبالاة وتدير ظهرها وترحل.

ثمة مشكلة أكثر خطورة كانت تواجهه، تتمثل في تحديد مشاعره الخاصة حيال المرأة الشابة. كانت أشبه بالرغبة الملحة في الحكاك، أشبه بطارد للبعوض، مقززة للنفس ومغرية في الوقت نفسه. لم يكن انجذاباً شهوانياً، أو أنه لا يظنه كذلك على الأقل. فالنساء اللواتي يجذبنه كنّ عادة من الشقراوات المتناسقات الجسم، بشفاه ممتلئة تحرك مخيّلته. إضافة إلى أنه متزوج منذ عشرين عاماً من امرأة فنلندية اسمها ريتفا لا تزال تلبّي، رغم كل هذه السنوات، كل تلك المتطلبات. لم يخنها طوال حياته قط، حسناً... كاد يحصل ذلك في إحدى المرات وكانت زوجته لتتفهم المسألة لو علمت بشأنها. لكن زواجه كان سعيداً وكانت له ابنتان من عمر سالاندر. لم يكن مهتماً بأي حال بالفتيات ذوات الصدر المسطح اللواتي قد يظنّهن المرء من بعيد صبية غاية في النحول. لم يكن ذاك هو الصنف الذي يستهويه من النساء.

لكنه كان مع ذلك يجد نفسه متلبساً بأحلام يقظة غير ملائمة حول ليزبث سالاندر، وأدرك أنه ليس متحرراً تماماً من تأثيرها. إلا أن ذاك الانجذاب كان بنظر آرمانسكي يقتصر على كون سالاندر مخلوقة غريبة الأطوار بالنسبة إليه. وكأنه وقع بحب إحدى اللوحات التي تصور حورية ما أو جرة يونانية قديمة. كانت سالاندر تمثل بالنسبة إليه حياة غير حقيقية، حياة تذهله على الرغم من عدم قدرته على المشاركة فيها، وكانت تحرّم عليه المشاركة فيها بجميع الأحوال.

كان آرمانسكي جالساً في إحدى المرات في أحد مقاهي ستورتورغت في غاملاستان حين دخلت سالاندر تتهادى في مشيتها وجلست إلى طاولة على بُعد مسافة قصيرة من طاولته. كانت برفقة ثلاث فتيات وصبي يتّبعون جميعاً الطريقة ذاتها في اللباس تقريباً. أخذ آرمانسكي يراقبها باهتمام.

بدت له متحفظة كما تكون أثناء العمل، لكن طيف إبتسامة كان يلوح فوق ثغرها عند سماعها قصة روتها إحدى رفيقاتها ذات الشعر الأرجواني اللون.

تساءل آرمانسكي في نفسه عما قد يكون ردّ فعلها لو أتى إلى المكتب ذات يوم صابغاً شعره بالأخضر، مرتدياً سروال جينز ممزقاً وجاكيْت جلد مغطاة بالكتابات والمسامير. لعلها قد تُعْجَب به.

كانت تجلس وهي تدير ظهرها له تقريباً، ولم تستدر للنظر باتجاهه مرة واحدة، غير متنبهة على ما يبدو لوجوده. لقد أزعجه حضورها بما يثير الاستغراب. وحين وقف في النهاية ليتسلل مغادراً، استدارت فجأة وحدقت فيه بإمعان تام، وكأنها كانت تدرك وجوده طوال الوقت وتلتقطه على رادارها. أخذه تحديقها فيه على حين غرة فشعر بأنه يتعرض لهجوم مباغت وتظاهر بعدم رؤيته لها ومرّ من دون أن يلقي التحية عليها حتى، إلا أنه كان واثقاً بأنها تبعته بعينيها اللتين ظلتا تحرقان عنقه حتى انعطف حول الزاوية وغاب عن نظرها.

نادراً ما كانت تضحك، لكن آرمانسكي ظن أن سلوكها مع الوقت كان يصبح أكثر ليونة ولطفاً. وهو لا يكون قاسياً بحقها إن قال إن لديها حس فكاهة جافاً، يستدعي ابتسامة ملتوية ساخرة من حين لآخر.

كان انعدام الاستجابة العاطفية لديها يثير غيظ آرمانسكي إلى درجة أنه كان يرغب أحياناً في الإمساك بها وهزّها بعنف. كانت تنتابه رغبة عميقة في اقتحام عالمها المغلق وكسب صداقتها أو احترامها على الأقل.

مرة واحدة فقط وبعد مضي تسعة أشهر من العمل معه حاول مناقشة تلك الأحاسيس معها. كان ذلك في إحدى أمسيات عيد الميلاد أثناء الحفلة التي تقيمها شركة «ميلتون للأمن» في ديسمبر من كل عام. ولمرة يتيمة لم يتصرف برزانة. لم يحصل شيء غير لائق، بل حاول وحسب، إخبارها أنها تعجبه فعلاً. أكثر ما أراده هو أن يشرح كم يشعر بالرغبة في حمايتها، وأن يبلغها بأنها إذا احتاجت إلى المساعدة في أي أمر كان، فلا

يجب أن تتردد في المجيء إليه. حتى إنه حاول ضمها إليه تعبيراً عن الصداقة والود طبعاً.

تلوّت بحركة سريعة وأفلتت من بين ذراعيه وغادرت الحفلة. لم تأتِ إلى مكتبه بعد ذلك أو تجيب على الهاتف النقال. كان غيابها أشبه بالعذاب، بل شكلاً من أشكال التعذيب الشخصية الطابع. لم يكن لديه أحد يناقش معه مسألة مشاعره وأدرك للمرة الأولى وبوضوح مذهل مدى التأثير المدمّر الذي تملكه عليه.

بعد مرور ثلاثة أسابيع وبينما كان آرمانسكي يعمل حتى وقت متأخر من المساء على مراجعة دفاتر الشركة مع اقتراب نهاية العام، ظهرت سالاندر مجدداً. دخلت المكتب بصمت وهدوء كالشبح وأدرك أنها كانت تقف في الظلال عند الباب تراقبه. لم تكن لديه أي فكرة عن الوقت الذي أمضته في مكانها على هذا النحو.

سألته: «هل تودّ تناول بعض القهوة؟»

قدمت له فنجان قهوة إسبريسو من الآلة. أخذه منها بصمت ممزوج بشيء من الارتياح والرعب حين أغلقت الباب وراءها بقدمها. جلست خلف الطاولة قبالته ونظرت في عينيه مباشرة. ومن ثم طرحت السؤال الذي لا يمكن تفاديه أو السخرية منه.

«هل تشعر بالانجذاب نحوي يا دراغان؟»

جلس آرمانسكي كمن أصيب بالشلل التام وهو يتساءل يائساً عن كيفية الإجابة. شعر بدافع قوي للادعاء في البداية أنه شعر بالإهانة. لكنه رأى تعابير وجهها وخطر له أنها المرة الأولى التي تطرح فيها سؤالاً ذا طابع شخصي كهذا. كانت جدية في طرحها وإذا حاول التبسم فستعتبر أن في الأمر إهانة لها. أرادت أن تتحدث إليه، وتساءل كم من الوقت استغرقت لتستجمع شجاعتها وتطرح مثل هذا السؤال. وضع القلم من يده ببطء وانحنى في كرسيه، ها قد شعر بالاسترخاء أخيراً.

قال لها: «ما الذي يجعلك تفكرين على هذا النحو؟»

«الطريقة التي تنظر بها إليّ، والطريقة التي لا تنظر بها إليّ كذلك. والمرات التي أوشكت أن تمدّ يدك فيها وتلمسني ثم تعود وتوقف نفسك.»

ابتسم لها وقال: «أظن أنك كنت لتعضّين يدي لو أني تجرأت ولامستك بإصبعي.»

لم تردّ له ابتسامته بل جلست تنتظر.

«أنا رئيس عملك يا ليزبث، وحتى لو كنت أشعر بالانجذاب نحوك فلن أمتثل للأمر مطلقاً.»

ظلت تنتظر.

«حسناً، أجل، لقد شعرت في بعض المرات بالانجذاب نحوك. لا يمكنني أن أشرح الأمر، لكن الأمر هو على هذا النحو. تعجبينني كثيراً لسبب ما لا أستطيع أن أفهمه حقاً. لكنه ليس انجذاباً جسدياً.»

«هذا جيد، لأن الاتصال الجسدي لن يحصل مطلقاً.»

أطلق آرمانسكي ضحكة. إنها المرة الأولى التي تقول فيها شيئاً شخصياً، وها هي كلماتها تأتي محبطة بأكثر ما يستطيع أي رجل تخيّله. وكافح لإيجاد الكلمات المناسبة.

«ليزبث، أفهم أنك لا تبالين برجل يزيد عمره على الخمسين.»

رفعت يدها تقاطعه بقولها: «ليس الأمر أنني لا أبالي برجل يزيد عمره على الخمسين وهو رئيسي في العمل. انتظر، دعني أتكلم. أحياناً تكون أحمق وبيروقراطياً بشكل يثير الجنون، لكنك رجل جذاب في الواقع... كما... أشعر أيضاً... لكنك رئيس عملي وقد سبق لي أن التقيت زوجتك وأريد الحفاظ على وظيفتي. الأمر الأكثر حماقة الذي قد أفعله هو التورط معك.»

لم يقل آرمانسكي شيئاً إذ كان لا يكاد يستطيع أن يتنفس.

«أدرك تماماً ما الذي فعلته من أجلي، ولا يسعني إلا أن أكون ممتنة لذلك. أقدر لك أن تتجاوز أحكامك المسبقة وتمنحني فرصة المحاولة. لكني لا أريدك أن تكون حبيباً لي. كما أنك لست أبي.»

أطلق آرمانسكي تنهيدة بعد برهة وسألها: «ما الذي تريدينه مني بالضبط؟»

«أريد أن أكمل العمل معك، إن كان ذلك يناسبك.»

أومأ مجيباً بقدر ما استطاع من صدقية: «أريدك أن تعملي معي فعلاً. لكني أود أن تشعري بنوع من الصداقة حيالي وأن تثقي بي.»

فأومأت برأسها.

قال لها: «أنت لست من النوع الذي يشجع على عقد صداقة معه.»

شعر أنها تعود للانطواء على نفسها لكنه تابع قائلاً: «أفهم أنك لا تريدين أن يتدخل أحد بحياتك، وسأحاول الا أفعل ذلك. لكن هل هناك مشكلة إن ظللت تعجبينني؟»

فكرت سالاندر في الأمر فترة طويلة. وكانت إجابتها بأن وقفت من مكانها واستدارت من حول الطاولة وعانقته. حين حررته فقط، تمكن من الإمساك بيدها.

«هل نستطيع أن نكون صديقين؟»

أومأت مرة واحدة.

كانت تلك المرة الوحيدة التي تُظهر له شيئاً من الرقة، والمرة الوحيدة التي تلامسه فيها. إنها اللحظة التي يتذكرها آرمانسكي بأمل خائب.

وبعد مضي أربع سنوات لم تتكرم بالبوح بكلمة واحدة عن حياتها الخاصة أو ماضيها أمام آرمانسكي. وقد قام في إحدى المرات بتوظيف معرفته بفنون الـ«بيندرز» حيالها. كما أنه أجرى حديثاً طويلاً مع هولجر بالمغرين الذي لم يبدُ متفاجئاً لرؤيته. وما اكتشفه في نهاية المطاف، لم يزد من ثقته بها. لم يذكر أي كلمة مما حدث أمامها ولم يدعها تعلم أنه

يتطفل على حياتها وينبش أمورها. بل عمل عوضاً عن ذلك، على إخفاء اضطرابه وتوجسه وزيادة حذره.

قبل نهاية تلك الأمسية الغريبة، كان كل من سالاندر وآرمانسكي قد توصّلا إلى اتفاق بينهما. ستعمل لديه في المستقبل وسيكون عملها تنفيذ مشاريع ومهمات على أساس دوام حرّ. وستتلقى مرتباً شهرياً متواضعاً سواء قامت بتنفيذ مهمات أم لا. لكن المبالغ المالية الكبرى ستحصل عليها لقاء المهمات التي تكلّف بها. يمكنها العمل بالطريقة التي تريد شرط أن تتعهد، في المقابل، بعدم التصرف بطريقة تسبب له حرجاً أو توقع شركة «ميلتون للأمن» في خطر التعرّض لفضائح.

كان آرمانسكي يعتبر هذا الحلّ مريحاً له وللشركة ولسالاندر على حدٍّ سواء. ها قد أزال العنصر المشاكس من قسم التحقيقات الخاصة وصار عدد الموظفين يقتصر على موظف واحد يعمل بدوام كامل. هو أحد الزملاء القدامى ممن يقومون بأعمال المكتب الروتينية بشكل رائع، ويتولى توزيع الشيكات على نحو منتظم. كان آرمانسكي يحيل كافة المهمات المعقدة والشائكة إلى سالاندر وإلى بضعة تحريين آخرين يعملون أيضاً بدوام حُر، فهؤلاء في النهاية مجرد متعاقدين مستقلين لا تتحمل شركة «ميلتون للأمن» مسؤولية حقيقية تجاههم. وبما أنه يضطلع شخصياً بمهمة إيكال الأعمال إليها، فسيضمن حصولها على مرتب جيد على الدوام. كان هذا المرتب سيكون أكبر لو أن سالاندر تواظب على إنجاز مهامها بالتزام ولا تعمل بشكل مزاجي.

تقبّلها آرمانسكي كما هي، لكنه لم يكن ليسمح لها بأن تلتقي الزبائن مباشرة. غير أن مهمة اليوم تعتبر استثناءً للقاعدة.

أخذت سالاندر تستعد للنهار العظيم، فارتدت قميصاً أسود عليه صورة مخلوق بأنياب بارزة وكلمات تقول «أنا أيضاً مخلوق غريب» وتنورة

ذات حاشية ممزّقة متنسلة وجاكيت جلد متوسطة الطول، بالية نوعاً ما، مع حزام جلدي مرصع بالمسامير، وانتعلت حذاء يحمل اسم ماركة «دوك مارتن» وجوارب مخططة أفقياً باللونين الأخضر والأحمر تصل إلى مستوى الركبة. وقد استعملت في تبرّجها مجموعة من الألوان تشير في عدم تناسقها إلى إمكانية إصابتها بعمى ألوان خطير. لقد كانت بكلام آخر، مبهرجة بشكل استثنائي.

تنهّد آرمانسكي لرؤيتها وحوّل نظره باتجاه الضيف صاحب النظارات ذات الزجاجات السميكة. كان المحامي ديرك فرود مصراً على لقاء الموظف الذي أعدّ التقرير شخصياً وطرح بعض الأسئلة عليه. وكان آرمانسكي قد لجأ إلى كافة الطرق الدبلوماسية وبذل كل ما بوسعه لتجنب عقد اللقاء بين الطرفين، متذرعاً مرة بأن سالاندر تعاني من الزكام، ومرة بأنها غارقة حتى أذنيها في العمل على قضية أخرى، ومرة بأنها كانت خارج البلاد. لكن المحامي كان يجيبه بهدوء قائلاً إن القضية ليست طارئة وإنه غير مستعجل ويستطيع الانتظار بضعة أيام أخرى. لم يجد آرمانسكي مهرباً في النهاية من جمع الاثنين معاً في مكتبه. ها هو فرود الآن، الذي يبدو في أواخر الستين من العمر، ينظر بذهول تام إلى ليزبث سالاندر التي كانت تردّ نظراته ولا تعكس ملامحها أي لباقة أو مشاعر دافئة.

تنهد آرمانسكي ونظر مرة أخرى إلى ملف ميكائيل بلومفيست الذي وضعته على طاولته. كان الاسم متبوعاً برقم ضمان اجتماعي مطبوعاً على الغلاف بترتيب. قرأ الاسم بصوت مرتفع، فانتفض السيد فرود في مكانه وكأن سحراً ما قد فُكّ عنه، وسأل: «إذاً ما الذي يمكنك أن تخبرني به عن ميكائيل بلومفيست؟»

«هذه هي الآنسة سالاندر التي أعدّت التقرير». توقف آرمانسكي عن الكلام وتردد قبل أن يتابع وهو يرسم على شفتيه ابتسامة توحي بالاعتذار في حين كان يقصد الإيحاء بالثقة وقال: «لا يخدعنّك صغر سنّها، إنها إحدى أكثر باحثاتنا كفاءةً.»

«أنا مقتنع بذلك. أخبرني ما الذي عثرت عليه؟» أتت نبرة كلامه جافة توحي بعكس ما تفوّه به تماماً.

من الواضح أنه لم تكن لدى فرود أي فكرة حول كيفية التعامل مع سالاندر. فلجأ إلى توجيه السؤال إلى آرمانسكي، وكأنها لم تكن موجودة معهما أصلاً. نفخت سالاندر بعلكتها بالوناً كبيراً. وقبل أن يتمكن آرمانسكي من الإجابة، قالت: «هلا سألت الزبون ما إذا كان يود سماع تفاصيل القصة أو خلاصتها؟»

سادت فترة قصيرة من الصمت المحرج قبل أن يستدير فرود أخيراً نحو سالاندر ويحاول إصلاح الضرر عبر القول بنبرة ودية: «سأكون ممتناً لو تكرم الشابة بإعطائنا ملخصاً شفهياً بأبرز النتائج.»

بدت تعابيرها عدائية فجأة بما أرسل قشعريرة في عمود فرود الفقري. وبالسرعة ذاتها لانت ملامحها التي كانت منذ لحظة فقط تفوح بالعدائية مما جعله يتساءل ما إذا قد تخيّل الملامح السابقة أصلاً. وحين بدأت تتكلم بدت أشبه بموظف حكومي يؤدي واجبه.

«اسمح لي أن أقول لك أولاً إنه لم يكن تقريراً معقداً جداً، باستثناء حقيقة أن وصف المهمة بحدّ ذاته أمر غامض إلى حدّ ما. لقد أردتَ أن تعرف 'كل شيء يمكن نبشه عنه'، لكنك لم تلمّح إلى شيء محدد تود معرفته عنه. لهذا السبب بدا الأمر نوعاً من الخليط الذي يمزج أحداث حياته كلها معاً. لقد جاء التقرير في مئة وتسع وثلاثين صفحة، إلا أن مئة وعشرين صفحة منه عبارة عن نسخ مقالات كتبها وقصاصات من مجلات مرفقة بالملف الأصلي. بلومفيست شخصية عامة ليس لديها الكثير من الأسرار لتخفيها.»

سألها فرود: «لكن لا يخلو الأمر من وجود بعض الأسرار، أليس كذلك؟»

أجابته بشكل حيادي: «الكل منا أسراره، جلّ ما في الأمر أن نعرف ما هي.»

«لنسمع ما لديك.»

«ولد ميكائيل بلومفيست في الثامن عشر يناير من العام 1960، مما يعني أنه الآن في الثانية والأربعين من عمره. مكان الولادة بورلانج لكنه لم يعش فيها قط. والداه كورت وآنيتا بلومفيست كانا في الخامسة والثلاثين من عمريهما تقريباً حين أنجبته أمه. لكنهما توفيا. والده كان يعمل في تركيب المعدات والآليات، ولهذا السبب كان كثير التجوال. أما والدته وحسبما أرى لم تكن سوى ربة منزل. غيّرت العائلة مكان إقامتها فانتقلت للعيش في ستوكهولم حيث بدأ ميكائيل يذهب إلى المدرسة. له أخت تصغره بثلاثة أعوام، اسمها آنيكا وهي محامية. كما أن لديه بعض أبناء العم من الذكور والإناث. ألم تكن تقول إنك ستقدم لنا القهوة؟»

كان السؤال الأخير في حديثها موجهاً إلى آرمانسكي الذي سكب على عجل ثلاثة فناجين من حاوية حفظ الحرارة التي أمر بإحضارها إلى مكتبه قبل بدء الاجتماع. ثم أشار لسالاندر بمتابعة الكلام.

«إذاً، وفي العام 1966 كانت العائلة تعيش في ليللا إسبنغين. ذهب بلومفيست أولاً إلى مدرسة في بلوما ومن ثم إلى ابتدائية كانغشولمن. كانت علاماته المدرسية جيدة عند تخرّجه من المرحلة المتوسطة، وتجد نسخات عنها في الملف. حين كان في المدرسة الإعدادية درس الموسيقى وكان يعزف على آلة الطبل في فرقة روك تدعى 'بوتستراب' أنتجت أغنية خاصة كانت تبثها الإذاعات في صيف عام 1979. وعمل بعد ذلك كجابي ضرائب وادّخر بعض المال وسافر خارج البلاد. غاب حوالي العام وشملت جولته بمعظمها دول آسيا كالهند وتايلاند ومن ثم توجه إلى أستراليا. بدأ دراسة الصحافة في ستوكهولم حين كان في الحادية والعشرين من عمره، لكنه توقف عن الدراسة بعد إنهاء السنة الأولى ليتمم خدمته العسكرية في كيرونا كجندي يحسن استخدام البندقية في لابلاند. كان منخرطاً أثناء الخدمة في نوع من الوحدات التي تتطلب الكثير من القوة الرجولية وكانت علاماته جيدة. أكمل حين انتهى من خدمة الجيش

اختصاص الصحافة، وحصل على شهادة فيها ثم نزل إلى ميدان العمل مباشرة بعد التخرج وهو يعمل كصحافي منذ ذلك الحين. إلى أي مدى تريد مني الغوص في التفاصيل؟»

«أخبريني ما ترينه مهماً فقط.»

«هو أشبه بالخنزير العملي في قصة الخنازير الثلاثة. إنه إلى الآن صحافي ممتاز. وقد كانت لديه في الثمانينيات الكثير من الوظائف المؤقتة، فعمل أولاً في مجال الصحافة الإقليمية، ومن ثم في ستوكهولم. تجد في الملف لائحة بأسماء الأماكن التي كانت له فيها وظائف. أما القفزة النوعية فكانت مع القصة التي كتبها حول عصابة الدب، تلك التي تضم سارقي المصارف الذين تعرّف إليهم.»

«أجل، قصة 'بلومفيست الخارق'.»

«إنه يمقت هذا اللقب، وهو أمر مبرر. كنت لأوجه لكمة موجعة إلى كل من تسوّل له نفسه نعتي بـ'بيبي لونغستوكينغ' على صفحات الإعلانات في الصحف.»

وجّهت نظرة قاتمة ذات معنى الى آرمانسكي الذي كان يبتلع ريقه بصعوبة. في أكثر من مناسبة كان يفكّر في سالاندر على أنها تشبه «بيبي لونغستوكينغ» تماماً. أشار لها بيده أن تكمل حديثها.

«يوضح أحد المصادر أنه أراد بعد حصول الحادثة أن يكون مراسلاً لنقل قصص الجرائم، وقد عمل في هذا المجال فعلاً لحساب إحدى الصحف الصادرة مساءً. لكنه أصبح مشهوراً في عمله كمراسل صحفي سياسي واقتصادي. كان يعمل في البداية لنفسه، وليس كموظف براتب، لحساب العديد من الجهات، لكنه كان يحتل منصب موظف بدوام كامل في إحدى الصحف المسائية، وذلك في أواخر الثمانينيات. ترك عمله سنة 1990 ليعمل على إطلاق المجلة الشهرية المعروفة بـ«ميلينيوم». بدأت المجلة كمجلة غريبة من دون وجود شركة نشر كبرى تمسك بيدها وتساعدها. توسع توزيع المجلة إذ يبلغ مبيعها اليوم حوالى إحدى

وعشرين ألف نسخة شهرياً. مكاتب الإدارة تقع في غوتغاتان على بعد أبنية قليلة من هنا.»

«إنها مجلة يسارية.»

«هذا يعتمد على كيفية تعريفك لمفهوم 'اليسار'. يُنظر إلى 'ميلينيوم' عموماً على أنها ناقدة للمجتمع، لكني أظن أن مَن يدينون بمذهب إلغاء الحكومة، يظنونها مجلة تضم مجموعة من الحمقى البرجوازيين ويتم تصنيفها في صفوف مجلتي 'أرينا' و'أوردفرونت'. في حين أن منظمة الطلاب المعتدلين يعتقدون ربما أن كافة المحررين فيها من البلاشفة. ما من شيء يشير إلى أن بلومفيست كان ناشطاً سياسياً يوماً، حتى أثناء انتشار موجة اليسار حين كان في المدرسة الإعدادية. وعندما كان يواظب على دراسة الصحافة، أقام علاقة مع فتاة كانت ناشطة في حينها في حركة النقابيين وهي اليوم تحتل مقعداً في البرلمان كممثلة عن الحزب اليساري. ولعلّ وصمه بالميول إلى الحزب اليساري يعود الى أنه صحافي يكتب عن القضايا المالية، كان متخصصاً في إعداد التقارير التي تحقق بشأن الفساد والصفقات المشبوهة في عالم الأعمال والشركات. لقد هدّم صور العديد من السياسيين والقياديين في عالم الاقتصاد وكانوا يستحقون ذلك فعلاً، وكان السبب في تقديم الكثير من الاستقالات وإحداث ضجة قانونية وقضائية. أكثر تلك القضايا شهرة، كانت قضية 'أربوغا' التي انتهت بإقالة جبرية لأحد سياسيي الحزب المحافظ والحكم على مستشار سابق بالسجن لمدة عام كامل بتهمة اختلاس المال العام. لا يمكن اعتبار لفت الانتباه للجرائم الحاصلة مؤشراً على ميول الشخص إلى الحزب اليساري.»

«أفهم ما الذي تقصدينه بذلك. ماذا بعد؟»

«قام بتأليف كتابين، أحدهما عن قضية 'أربوغا'، والآخر حول الصحافة المالية بعنوان 'فرسان الهيكل' صدر منذ ثلاثة أعوام فقط. لم أقرأ الكتاب شخصياً، لكن بالحكم على المراجعات والتعليقات الواردة

بشأنه، يبدو لي أنه كان كتاباً مثيراً للجدل. إذ أشعل فتيل الكثير من النقاشات والمناظرات الإعلامية.»

سألها فرود: «ماذا عن رصيده المالي؟»

«ليس من الأثرياء، لكنه لا يتضور جوعاً. أرفقت بالملف عائدات أموال الضرائب. لديه حساب مصرفي بقيمة مئتين وخمسين ألف كورون سويدي، كمعاش تقاعد وحساب ادخار. كما أن لديه حساباً مصرفياً آخر بقيمة مئة ألف كورون سويدي يستخدمه للإنفاق النقدي الخاص بتسيير أعمال المجلة والسفر. يملك شقة في بيلمانسغاتان تبلغ مساحتها سبعمئة قدم مربع دفع ثمنها بالكامل، وليست لديه أي ديون أو قروض يسددها. لديه مقتنيات أخرى تتمثل بوجود ملكية له في ساندهامن على جزر الأرخبيل. هي عبارة عن كوخ تبلغ مساحته مئتين وسبعين قدماً مربعاً، مفروش ومعدّ لأن يكون منزلاً صيفياً قريب من الماء واقع في الجزء الأكثر جاذبية من القرية. يبدو أن أحد أعمامه قد اشتراه في الأربعينيات حين كان لا يزال بالإمكان العيش في مثل تلك الأماكن وقد وقع بين يديه في نهاية المطاف. تم اقتسام التركة بحيث حصلت شقيقته على شقة والديه في ليللا إسينغين وحصل بلومفيست على الكوخ. ليست لدي أي فكرة عما قد تكون قيمته اليوم، لكنه يستحق بضعة ملايين طبعاً. إلا أنه لا يرغب في بيعه على ما يبدو كما أنه غالباً ما يذهب إلى ساندهامن.»

«وماذا عن المداخيل التي يحققها؟»

«إنه أحد مالكي مجلة 'ميلينيوم'، لكنه لا يتقاضى إلا نحو اثني عشر ألف كورون كمرتب شهري. ما يكسبه عدا ذلك، يأتيه من قيامه ببعض الأعمال المتفرقة لعدة جهات والمدخول الإجمالي يتغيّر تبعاً لذلك. حقق أرباحاً هائلة منذ ثلاثة أعوام حين حصل على مبلغ قارب الأربعمئة ألف وخمسين كوروناً في عام واحد. أما العام الماضي، فقد حصل على مئة وعشرين ألفاً من عمله فحسب، كموظف حرّ.»

قال فرود: «سيضطر إلى دفع مئة وخمسين ألفاً منها بدل ضرائب

إضافة إلى أتعاب المحامي والمصاريف. لنفترض إذن أن المبلغ الإجمالي الذي دفعه كان مرتفعاً جداً، كما أنه سيخسر الكثير من المال أثناء تمضية فترة السجن.»

تابعت سالاندر: «مما يعني أنه سيُمسح مالياً ويصبح معدوماً.»

«هل هو شخص صادق؟»

«هذا هو رأسمال ثقته، إذا صحّ التعبير. فالصورة التي يحرص على إبرازها هي تلك التي تظهره على أنه حارس المبادئ الأخلاقية القويمة في مواجهة عالم الأعمال الفاسد. وغالباً ما تدعوه المحطات التلفزيونية على نحو منتظم كمتحدّث للكلام عن تلك المسائل.»

قاطعها فرود قائلاً: «لعله لم يتبقّ له الكثير من هذا الرصيد بعد إدانته اليوم.»

«لا أريد أن أدّعي أني أعرف تماماً المتطلبات المتوجبة على الصحافي ولكن بعد هذه الانتكاسة، سيطول الوقت كثيراً ربما قبل أن يربح السيد التحري بلومفيست الجائزة الكبرى للصحافة. لقد جعل من نفسه مدعاة للسخرية هذه المرة. هذا إن كان يسمح لي بالإدلاء بأي تعليق...»

اتسعت عينا آرمانسكي دهشة، فطوال سنوات عملها لديه، لم تدلِ سالاندر بأي تعليق شخصي في ما يتعلق بالتحقيق حول أي شخص كان. كل ما كان يعنيها هو الحقائق الجافة وحسب.

«لم يكن جزءاً من المهمة أن أتحقق من مسألة الحقيقة في قضية 'وينرشتروم'، لكنني تابعت مسار القضية، وعليّ أن أعترف بأني أصبت بالدهشة والعجب. فقد بدا لي أن في الأمر خطأ ما... إنه خلاف المنتظر بالكامل أن يقوم ميكائيل بلومفيست بنشر أمر غير مستند إلى دلائل وإثباتات.»

حكّت سالاندر رقبتها. بدا فرود مذهولاً، في حين تساءل آرمانسكي ما إذا كان مخطئاً أو أنها كانت غير واثقة فعلاً كيف تكمل حديثها.

فسالاندر التي يعرفها لم تكن غير واثقة قط أو مترددة فيما تود أن تقول. وقد بدا في النهاية أنها اتخذت قرارها.

«إنه كلام غير قابل للنشر إذا صح التعبير... لم أقم بدراسة قضية 'وينرشتروم' بنحو جيد، لكنني أظن أن ميكائيل بلومفيست قد تمّ خداعه. وأعتقد أن هناك شيئاً ما في القضية مختلفاً تماماً عما أشار إليه حكم المحكمة.»

أمعن آرمانسكي النظر في سالاندر يتفرّس فيها بعينين باحثتين، ولاحظ أنه للمرة الأولى منذ بدأت تلاوة تقريرها، كان الزبون يظهر حيالها أكثر من مجرد لياقة وتهذيب عاديين. فكّر في نفسه أن قضية «وينرشتروم» تحمل أهمية خاصة بالنسبة لفرود. أو بنحو أصح فكّر أن فرود لم يكن مهتماً بقضية 'وينرشتروم' بحدّ ذاتها، بل إنه بدأ يُظهر اهتماماً حين أشارت سالاندر إلى أن بلومفيست تمّ خداعه.

سألها: «بأي معنى كنت تقصدين ما قلته بالضبط؟»

«إنه ظَنٌّ خاص بي، لكنني على قناعة تامة أن أحداً قد خدعه.»

«وما الذي يدفعك إلى التفكير على هذا النحو؟»

«كل ما في خلفية بلومفيست يُظهر أنه من الصحافيين الذين يحرصون كثيراً على الدقّة في تأدية عملهم. كان يستحصل على كافة الوثائق الضرورية قبل أن يشرع في نشر أي قضية مثيرة للجدل. لقد حضرت إحدى جلسات الاستماع في القضية وشهدت ما يحصل. بدا أنه استسلم للأمر من دون أي دفاع حقيقي. وهذا لا يتفق مع شخصيته وطريقته في التعاطي مع الأمور إطلاقاً. إن كنا سنصدق المحكمة فهي تقول إن بلومفيست قد اخترع القصة بأكملها من دون أن يوفر إثباتاً واحداً وقام بنشرها وكأنه ينشر قنبلة انتحارية صحفية. ليس هذا أسلوب بلومفيست بالمطلق.»

«ما الذي تظنين أنه حصل؟»

«لا يسعني سوى التخمين وحسب. كان بلومفيست يؤمن بقصته،

لكن شيئاً ما حصل طوال هذه المدة وتبين أن المعلومات خاطئة. وهذا يعني بدوره أنه إما أن مصدر المعلومات كان شخصاً يثق به أو أن أحدهم قد تعمّد تزويده بالمعلومات المزيفة، وهو ما يبدو معقداً على نحو يقلل من احتمال حدوثه أصلاً. الاحتمال الآخر هو أن يكون بلومفيست قد تعرّض لتهديد خطير جعله يستسلم ويقر بالغلبة للطرف الآخر ويفضّل أن يظهر على أنه مجرد أحمق غير كفء بدلاً من أن يدافع عن نفسه ويُظهر براءته. لكني أتكهن وحسب، كما سبق أن أخبرتكما.»

حينما حاولت سالاندر متابعة قراءة تقريرها، رفع فرود يده بوجهها مشيراً إليها بالتوقف عن الكلام. تسمّر في مكانه للحظة يطرق بأطراف أصابعه على ذراع الكرسي قبل أن يلتفت إليها مجدداً بتردد واضح.

«إذا ما اتخذنا القرار بتكليفك الكشف عن الحقيقة في قضية 'وينرشتروم'... فما هو احتمال العثور على أمور جديدة؟»

«لا يسعني الإجابة عن هذا السؤال. قد لا يكون هناك شيء جديد أجده أو أضيفه لما نعرف أصلاً.»

«لكن هل ستكونين مستعدة للقيام بالمحاولة؟»

هزّت كتفيها وقالت: «لست أنا من يستطيع اتخاذ القرار. فأنا أعمل لدى السيد آرمانسكي، وهو من يقرر نوع المهمات التي يجب أن توكل إليّ. ثمّ إن ذلك يعتمد على نوع المعلومات التي تريد مني الكشف عنها.»

«دعيني أضع الأمور على النحو التالي... وأفترض أننا نتكلم هنا بناءً على الثقة، وأن لا أحد سوانا سيعرف بما يدور هنا، أليس كذلك؟» أومأ له آرمانسكي فتابع قائلاً: «لست أعلم شيئاً حيال هذه المسألة بالتحديد، لكنني أدرك بما لا يرقى إليه الشك أنه في أوضاع أخرى لم يكن وينرشتروم يتصرف بمصداقية. وأن قضية 'وينرشتروم' تلك تركت أثراً خطيراً على حياة ميكائيل بلومفيست، وأنا مهتمٌ كثيراً بمعرفة ما إذا كان هناك من صحة في تخميناتك.»

اتخذ النقاش فيما بينهم منحىً غير متوقع، وغدا آرمانسكي فوراً في موقع التأهب. فما يطلبه فرود من شركة «ميلتون للأمن» هو أن تنبش قضية سبق أن بتّت المحكمة فيها وانتهت. قضية كانت تشكل نوعاً من التهديد ربما على بلومفيست ذاك، وإن ارتضى آرمانسكي القيام بالمهمة، فهذا يعني أن شركة «ميلتون للأمن» تعرّض نفسها لخطر الاصطدام برتل من محامي مجموعة «وينرشتروم». لم يطمئن آرمانسكي إطلاقاً لإرسال سالاندر في مهمة كهذه وإطلاق العنان لها لأنها ستنطلق فعلاً كصاروخ لا يمكن لشيء أن يقف بوجهه.

لم تكن تلك قضية تهمّ الشركة. وقد أوضحت سالاندر منذ البداية أنها لا تريد من آرمانسكي أن يتعاطى معها وكأنه والدها بالتبني أو أن يقلق بشأنها. وحرص آرمانسكي فعلاً منذ عقد الاتفاقية بينهما على ألا يتصرف على أنه أبوها. لكنه في الواقع لم يكفّ يوماً عن الشعور بالقلق حيالها. حتى إنه كان يجد نفسه أحياناً متلبساً بمقارنة سالاندر بابنتيه. كان يعتبر نفسه أباً صالحاً من النوع الذي لا يتدخل في شؤون حياتهما على نحو غير ضروري. لكنه كان يعلم أنه لن يتساهل مطلقاً إذا ما تصرفت إحدى ابنتيه على النحو الذي تفعله سالاندر أو يتغاضى عن اتباع إحداهما نمط الحياة الذي تتبعه هذه الفتاة.

في أعماق قلبه الكرواتي أو البوسني ربما أو الأرمني، لم يتمكن من التخلي عن قناعة أن حياة سالاندر كانت تسير نحو الهاوية. بدت الضحية الأمثل لكل من كان يضمر لها الأذى، وكان يخشى الصباح الذي يصحو فيه على خبر ينبئه أن أحدهم قد سبب لها الأذى.

قال آرمانسكي مطلقاً تحذيراً يكشف من خلاله مدى جدية العرض الذي طرحه فرود: «لكن استقصاءً من هذا النوع قد يكون مكلفاً.»

أجابه فرود: «سنحدد سقفاً لمتطلبات المهمة إذاً. لست أطلب المستحيل. لكن من الواضح أن زميلتك، كما أكدت لي، غاية في الكفاءة.»

استدار آرمانسكي ينظر إليها وقد رفع أحد حاجبيه وسألها: «ما رأيك يا سالاندر؟»

«لست أعمل على أي قضية أخرى في الوقت الراهن.»

«حسناً، لكنني أود أن نتوصل إلى اتفاق حول القيود المفروضة على هذا النوع من الأعمال. دعينا نستمع إلى ما تبقى من التقرير.»

«لم يعد هناك الكثير لأضيفه سوى بعض المعلومات المتعلقة بحياته الشخصية. لقد تزوج في العام 1986 من مونيكا آبراهامسون ورزقا في العام نفسه بابنة تدعى بيرنيلا. لم يدم زواجهما طويلاً وتطلقا في العام 1991. تزوجت آبراهامسون مجدداً لكنهما لا يزالان صديقين على ما يبدو. تعيش الطفلة مع والدتها ولا ترى بلومفيست كثيراً.»

طلب فرود المزيد من القهوة وتوجه إلى سالاندر بالسؤال: «قلت إن كلاً منا لديه أسرار. فهل وجدت أياً منها يتعلق ببلومفيست؟»

«عنيت بذلك أن كل الناس لديها أمور تعتبرها خاصة بها وحدها، وأنها لا تريد نشرها في العلن. من الواضح أن بلومفيست ناجح جداً مع النساء. كانت لديه العديد من العلاقات العاطفية، والكثير من المغامرات. إلا أن شخصاً واحداً ظل يظهر في حياته على نحو منتظم طوال سنوات، إنها علاقة غير عادية.»

«بأي معنى؟»

«إريكا برجر رئيسة التحرير في مجلة 'ميلينيوم': امرأة من الطبقة المخملية، أمها سويدية، ووالدها بلجيكي مقيم في السويد. التقى كل من برجر وبلومفيست في كلية الصحافة وصارت علاقتهما منذ ذلك الحين تمر بمراحل وصال حيناً وانقطاع تام أحياناً.»

قال فرود: «قد لا يكون ذلك غير اعتيادي.»

«كلا، قد لا يكون كذلك فعلاً، لكن للمصادفة أن برجر امرأة متزوجة من فنان اسمه غريغر بيكمان، وهو ليس من كبار المشاهير وقد اقترف أموراً فظيعة متعددة في المجالس العامة.»

«إنها زوجة غير مخلصة إذاً.»

«بيكمان يعرف بعلاقتهما. إنه على ما يبدو أمر مقبول من الأطراف الثلاثة المعنية. أحياناً تنام في شقة بلومفيست وأحياناً في منزلها. لا أعلم كيف ينجح الأمر تماماً، لكن ذلك على الأرجح كان عاملاً مساهماً في فرط عقد زواج بلومفيست من آبراهامسون.»

الفصل الثالث

الجمعة، 20 ديسمبر ـ السبت، 21 ديسمبر

رفعت إريكا برجر نظرها بحيرة حين دخل بلومفيست مكاتب التحرير. ومعالم الصدمة واضحة على وجهه. كانت مكاتب مجلة «ميلينيوم» تحتل قلب الموقع الفخم لمنطقة غوتغاتان فوق مكاتب منظمة «غرينبيس». كان بدل الإيجار مرتفعاً قليلاً بالنسبة لمكاتب مجلة من هذا النوع، لكن الجميع وافق على الاحتفاظ بالمكان.

نظرت إلى الساعة فوجدت أنها أصبحت الخامسة وعشر دقائق، وأن الظلام قد خيّم على ستوكهولم منذ زمن طويل. كانت تتوقع قدومه مع حلول فترة الغداء.

«أنا آسف.» هذا كل ما تمكّن من قوله قبل أن تنطق هي بكلمة واحدة.

وتابع بعد بضع لحظات قائلاً: «لكني كنت أشعر بثقل وقع الحكم وما كنت أرغب في التحدث إلى أحد. تمشيت لوقت طويل لأعيد التفكير في الأمور بروية.»

«سمعت الحكم عبر الراديو. كما اتصلت هي من تلفزيون TV4 تريد تعليقاً على ما حصل.»

«وماذا قلت لها؟»

«قلت لها ما معناه أننا نود قراءة الحكم بتأنٍّ وتمعّن قبل إصدار أي إعلان. لذا لم أدلِ بأي تعليق فعلي. ولا يزال رأيي الشخصي كما هو:

إننا نتبع الاستراتيجية الخاطئة. إذ إننا نبدو ضعفاء أمام وسائل الإعلام. سيبثون برنامجاً بهذا الخصوص الليلة.»

بدا بلومفيست واجماً، مكسور الخاطر.

«كيف تشعر؟»

هزّ بلومفيست كتفيه ورمى بكرسيه المفضل ذي المسندين قرب النافذة بجانب مكتب إريكا. كان التقشف يطغى على ديكور المكتب، حيث كانت هناك فقط طاولة عادية وخزانة كتب عملية وبقية أثاث مكتبي بخس الثمن. لقد تمّ شراء كل شيء من IKEA إلا الكراسي ذات المسندين الفخمة والمريحة وطاولة صغيرة توضع عند نهاية الأريكة، كانت إريكا تحب أن تقول عنها إنها امتياز يتماشى مع تنشئتها الثرية. كانت تقعد على أحد الكراسي تثني قدميها تحتها حين تريد أن تجلس بعيداً عن طاولة المكتب. نظر بلومفيست نحو شوارع غوتغاتان حيث الناس يتدافعون مسرعين تحت جنح الليل، يقومون بالتبضع استعداداً لعيد الميلاد ملاحظاً أن حركة السوق كانت في أوجها.

قال: «أفترض أن الأمور ستمضي بسلام في النهاية، لكنني أشعر الآن أني جلبت لنفسي الإجحاف وسوء المعاملة والغبن.»

«أجل، أستطيع أن أتخيل ذلك. الأمر سواء بالنسبة لنا جميعاً. جان داهلمان غادر إلى منزله باكراً اليوم.»

«أفترض أنه لم يطِر فرحاً عند سماع الحكم.»

«ليس بالشخص الإيجابي النظرة في جميع الأحوال.»

هزّ ميكائيل رأسه تأييداً لكلامها. لقد عمل داهلمان كمدير تحرير طوال الأشهر التسعة المنصرمة. بدأ عمله في المجلة مع انطلاقة قضية «وينرشتروم»، فوجد نفسه ضمن أسرة تحرير عالقة في شباك الأزمة. حاول بلومفيست أن يتذكر ما كانت الأسباب المقنعة التي دفعته وبرجر إلى اتخاذ قرار توظيفه في المجلة. كان كفؤاً من دون شك، وقد عمل في قسم الأخبار في محطة TT، كما في إحدى الصحف المسائية وقدّم

برنامجاً بعنوان Eko عبر الراديو. لكن، من الواضح أنه كان يمقت الإبحار عكس التيار. طوال العام الماضي. كان شعور بالندم يلازم بلومفيست لتوظيفه داهلمان الذي يمتلك عادة مغيظة تتمثل في النظر إلى الأمور بأكبر قدر من السلبية.

سأل بلومفيست من دون أن يزيح نظره عن حركة الشارع أمامه: «هل اتصل كريستر؟»

كان كريستر مالم المدير الفني ومصمم غلاف «ميلينيوم». كما كان أحد الشركاء المالكين في المجلة إضافة إلى برجر وبلومفيست. لكنه كان في رحلة خارج البلاد مع صديقه الحميم.

«اتصل ليلقي التحية.»

«سيكون عليه تولي المسؤولية بدلاً مني كناشر.»

«رأفة بنفسك مايك. عليك أن تكون معتاداً بصفتك رئيس نشر المجلة على اللكمات المتتالية، فذلك جزء من هذه المهنة.»

«أنت محقة بهذا الشأن، ولكن أنا من قام بكتابة ذلك المقال ونشره في المجلة التي يصادف أني ناشرها. وهذا يجعل كل شيء يبدو مختلفاً مفاجئاً. إذ يبدو أنها مسألة سوء تقدير.»

شعرت برجر أن الاضطراب الذي كانت تكبته طوال النهار يكاد يصل إلى حافة الانفجار. ففي غضون الأسابيع التي سبقت بدء المحاكمة، كان بلومفيست يسير مغموراً بالهم والكَدَر. لكن لم يسبق لها أن رأته قط بمثل هذا الوجوم وانكسار الخاطر. مشت نحوه حيث يجلس بجانب الطاولة وجلست في حضنه وساقاها تمتدان واحدة من كل جانب وأحاطت عنقه بذراعيها. وقالت له: «أصغِ إليّ يا ميكائيل، كلانا يعلم بالضبط كيف حصلت الأمور، وأنا أُلام بقدر ما تُلام أنت تماماً. كل ما علينا فعله هو الانحناء حتى مرور العاصفة بسلام.»

«ما من عاصفة ستمر بسلام. ففي ما يتعلق بالإعلام، الحكم يعتبر بمثابة الضربة القاضية، تماماً كمن أصيب بطلق ناري في مؤخرة الرأس.

ما عاد بالإمكان أن أبقى في موقع ناشر مجلة 'ميلينيوم'. من الأهمية بمكان الحفاظ على مصداقية المجلة بالنسبة للقراء وإيقاف النزيف. تعلمين ذلك جيداً بقدر ما أعلم أنا.»

«إن كنت تظن أني أنوي تركك تتحمل كامل المسؤولية، فاللعنة عليك، لأنك لا تزال تجهل كل شيء عني على الرغم من السنوات الطوال التي عملنا فيها معاً.»

«أعلم كيف تفكّرين في الأمور يا ريكي، فأنت من النوع المخلص إلى أقصى حد لزملائه. ولو كنت تملكين الخيار، لواصلت حربك مع محامي وينرشتروم حتّى تخسري مصداقيتك أنت كذلك. لكن يفترض بنا أن نكون أذكى من ذلك.»

«وهل تظن أن من الذكاء أن تغرق وحدك وأن أجعل الأمر يبدو وكأني تخليت عنك.»

«إذا قدّر لـ 'ميلينيوم' النجاة الآن، فإن الأمر يعتمد عليك لإنجاحها. كريستر شخص رائع لكنه لا يعرف إلا ما يختص بالصور والتصفيفات الطباعية، ولا يملك أدنى فكرة عن حرب الناس مع أصحاب المليارات. فهذا ليس من اختصاصه. سيكون عليّ أن أختفي عن الصورة قليلاً لأنني أنا الناشر والمراسل والعضو في مجلس الإدارة. وينرشتروم يعلم بأني أعلم ما الذي فعله، وأنا على كامل الثقة بأنه طالما أنا قريب من 'ميلينيوم' في أي موقع كان، فسيحاول تدميرنا.»

«لماذا لا نقوم إذاً بنشر كل ما نعرفه عنه؟ فلتكن حرباً حتى النهاية، إما أن نغرق بالكامل أو أن ننجو.»

«لأنه لا يسعنا إثبات أي شيء، ولست أملك في الوقت الحالي أي مصداقية تخوّلني فعل أي شيء على الإطلاق. لنتقبّل أن وينرشتروم قد ربح هذه الجولة.»

«حسناً، إن قمت بإبعادك، فما الذي ستفعله؟»

«كي أكون صادقاً، أقول إني بحاجة إلى أخذ فرصة. لقد استنفدت

كل طاقاتي. سأبقى وحدي فترة من الزمن، سأمضي بعضاً منها في السجن، ومن ثم سنرى ما الذي يحصل.»

طوقته برجر بذراعيها وجذبته إلى صدرها وضمّته إليها بقوة.

وسألته: «هل تود بعض الرفقة الليلة؟»

أومأ لها بلومفيست إيجاباً.

«جيد، لأني سبق أن أخبرت غريغر أني سأبيت في منزلك الليلة.»

كانت أضواء الشارع التي تعكسها زوايا النوافذ هي كل ما ينير الغرفة. وحين استسلمت برجر للنوم أخيراً عند الثانية فجراً، ظل بلومفيست مستيقظاً يتأمل حنايا جسدها في الضوء الخافت. كانت الأغطية لا تستر إلا النصف الأسفل فأخذ يراقب حركة ثدييها يعلوان وينخفضان ببطء تناغماً مع وتيرة تنفسها. كان يشعر بالارتياح وقد زال الإحساس بالانقباض أسفل معدته. كانت تمتلك هذا التأثير عليه، وكان يعلم أنه يملك التأثير ذاته عليها.

خطر له أنهما معاً منذ عشرين عاماً، طوال هذه المدة ولا يفترقان. بالنسبة له كان بإمكانه أن يمضي معها عقدين آخرين من الزمن، على الأقل. لم يحاول أحدهما إخفاء علاقته بالآخر بنحو جدي حتى لو كان ذلك يقود أحياناً إلى أوضاع محرجة في تعاملهما مع الناس.

التقيا في إحدى الحفلات حين كانا في سنتهما الدراسية الثانية في حقل الصحافة. وتبادلا أرقام الهاتف قبل أن يودع أحدهما الآخر في نهاية السهرة. كانا يدركان أن الأمر سينتهي بهما إلى النوم معاً في السرير ذاته. وحققا عملياً هذا الاعتقاد من دون أن يخبر أحدهما شريك حياته بما حصل.

كان بلومفيست واثقاً أنه ليس حباً قديم الطراز من النوع الذي يؤدي إلى التشارك في العيش تحت سقف واحد، أو الاشتراك في دفع إيجار المنزل، أو إحضار شجرة الميلاد كل عام، وإنجاب الأولاد. خلال

الثمانينيات، حين لم يكن أي منهما مرتبطاً بعلاقة أخرى، ناقشا مسألة الانتقال للعيش معاً في منزل واحد. كان يرغب هو في ذلك لكن إريكا كانت تتراجع دائماً في اللحظة الأخيرة، قائلة إن الأمر لن ينجح وإنهما كانا سيخاطران بفقدان ما لديهما إن وقعا في الحب مرة أخرى. لطالما تساءل بلومفيست ما إذا بالإمكان أن تمتلكه مثل هذه الرغبة أو أن يشعر بالانجذاب نحو أي امرأة أخرى سواها. لقد كانا في الواقع متناغمين إلى حدٍّ بعيد ومتفقين مما جعل العلاقة بينهما أشبه بالإدمان على الهيروين.

كانا يمضيان أحياناً أوقاتاً طويلة معاً بحيث تظنهما ثنائياً حقيقياً، وكانت تمرّ أحياناً أخرى أسابيع بأكملها أو أشهراً لا يرى فيها أحدهما الآخر. إلا أن المدمنين على الكحول كانوا ينجذبون إلى متجر الكحول في البلدة بعد طول انقطاع وكانا يعودان لبعضهما البعض في النهاية.

من الواضح أن الأمور لم تكن لتنجح بينهما على المدى الطويل. فهذا النوع من العلاقة كان محكوماً بالتسبب بالألم. لقد أخلف كل منهما وعوداً لم يحققها وهجر أحباء له. وانهار زواجه نتيجة عدم قدرته على الابتعاد عن إريكا برجر. لم يكذب قط على زوجته مونيكا بشأن مشاعره، لكنها ظنت أن الوضع سينتهي حين يتزوجان وتولد ابنتهما. وكانت برجر قد تزوجت في الفترة ذاتها من غريغر بيكمان. ظنّ بلومفيست أيضاً أن ما بينهما سينتهي. ولم يرَ أحدهما الآخر طوال العام الأول لزواج كلٍّ منهما إلا في الإطار المهني. ومن ثمّ أسسا معاً مجلة «ميلينيوم»، وكانت بضعة أسابيع كفيلة بمحو كافة النوايا الحسنة حيث قاما في وقت متأخر من إحدى الليالي بممارسة الجنس بشغف فوق طاولتها. أدى ذلك إلى فترة من الاضطرابات في حياتهما رغب بلومفيست خلالها كثيراً أن يمضي وقتاً أكبر مع عائلته ويرى ابنته تكبر. لكنه كان في الوقت ذاته منجذباً إلى حدّ لا حيلة معه نحو برجر. وكما خمّنت سالاندر تماماً كان عدم إخلاصه المتكرر هو ما دفع زوجته للرحيل عنه.

بدا أن بيكمان تقبّل العلاقة بينهما مما أثار الكثير من الغرابة. لطالما

كانت برجر منفتحة بشأن مشاعرها حيال ميكائيل. وقد أخبرت زوجها حالما مارسا الجنس معاً مجدداً. لعل تقبّل مثل هذا الوضع كان يتطلّب روحية فنان، شخصاً كزوجها غارقاً في إبداعاته، بل وغارقاً في نفسه بحيث لا يرفض أن تنام زوجته مع رجل آخر. حتى إنها كانت تقسم عطلتها بحيث تتمكن من تمضية أسبوعين منها مع حبيبها في منزله الصيفي في ساندهامن. لم يكن بلومفيست ينظر بعين الإعجاب والتقدير إلى بيكمان ذاك، ولم يتمكن يوماً من فهم حبّ برجر له، لكنه كان سعيداً بأنه يتقبّل فكرة أن زوجته تحبّ رجلين اثنين في آنٍ واحد.

لم يجد بلومفيست إلى النوم سبيلاً، فاستسلم لفشل المحاولات الخائبة عند الساعة الرابعة فجراً. ذهب إلى المطبخ وقرأ نص حكم المحكمة مرة جديدة من بدايته إلى نهايته. انتابه وهو يحمل الملف بين يديه إحساس بأن شيئاً قدرياً قد طبع اللقاء الذي حصل في آرهولما. لم يكن واثقاً مما إذا كان ليندبرغ قد أخبره بتفاصيل عملية الاحتيال التي قام بها وينرشتروم بهدف إجراء حديث عادي وحسب يتم خلال تبادل الأنخاب في خلوة حجرة السفينة، أو أنه كان يرغب في نشر القصة فعلاً.

كان يميل إلى تصديق الشق الأول من الاعتقاد. لكن من المحتمل أن يكون ليندبرغ ولأسباب شخصية بحتة أو لأسباب تتعلق بالعمل، قد رغب في تدمير وينرشتروم، واغتنم فرصة وجوده مع صحافي أسير على متن سفينة عائمة على صفحة المياه لتحقيق رغبته. لقد كان ليندبرغ من رجاحة العقل بما يكفي ليصرّ على أن يعتبره بلومفيست مصدر معلومات مجهولاً. بدءاً من تلك اللحظة، كان يمكن لليندبرغ أن يقول ما يشاء لأن صديقه لن يتمكن من كشف مصدر معلوماته.

إذا كان اللقاء الذي تمّ في آرهولما مجرد مكيدة، فلا يمكن لليندبرغ أن يمثّل دوره بشكل أفضل مما قام به. لكن لا بدّ أن يكون اللقاء الذي جمع بين الطرفين كان قد حصل صدفة.

لا يمكن أن تكون لليندبرغ أدنى فكرة عن مدى مقت بلومفيست لوينرشتروم وأمثاله. لكل هذه الأسباب مجتمعة، وبعد سنوات من الدراسة، صار مقتنعاً بينه وبين نفسه بأن ليس هناك مدير مصرف أو أحد إداريي الشركات المشهورين غير مصاب باختلال وهلوسة.

لم يكن سبق لبلومفيست أن سمع بليزبث سالاندر ولا علم له مطلقاً بالتقرير الذي قدمته في وقت سابق من ذاك اليوم، لكنه لو استمع له لكان وافقها الرأي حين تحدثت عن كرهه للمضاربين، قائلاً إن ذلك لم يكن تعبيراً عن أصوليته السياسية اليسارية المنحى. لم يكن بلومفيست من النوع الذي لا يهتم للسياسة، لكنه كان متشككاً إلى أقصى حد حيال ميوله السياسية. لقد أدلى بصوته مرة واحدة في الانتخابات البرلمانية التي جرت عام 1982، ومن ثم فقد جنح بتردد نحو الحزب الاشتراكي الديموقراطي متصوراً أن لا شيء أسوأ من بقاء غوستا بوهمان ثلاثة أعوام إضافية كوزير للمال وثوربيون فالدين (أو أولا أولستن) في سدة رئاسة الوزراء. فأدلى بصوته لصالح أولف بالمه ولم يحصل في النهاية إلا على حادثة اغتيال رئيس وزرائه إضافة إلى فضيحة «البوفورس» و«إيب كارلسون».

كان ازدراؤه لزملائه من الصحافيين المختصين بالشؤون المالية يعود إلى شيء ما في تفكيره واضح وضوح فكرة المبادئ الأخلاقية. كانت المعادلة بهذه البساطة. مدير المصرف الذي يقدم بتهور على هدر مبالغ تقدّر بالمليارات في سوق المضاربة المالية يجب أن يقال من وظيفته. والمدير الإداري الذي يُدخل الشركة في صفقات خطرة جوفاء، يجب أن يدفع ثمن ذلك بالحبس مدة من الزمن في السجن. ومالك الأراضي القذر الذي يجبر الشبان على دفع أثمان باهظة وأخذ الرشوة من تحت الطاولة مقابل شقة مؤلفة من غرفة واحدة وحمام مشترك، يجب أن يشنق حتى تجف الدماء من عروقه.

إن عمل الصحافي المالي برأيه هو التدقيق في وجود أسماك القرش تلك، المسؤولة عن خلق الأزمات المالية والمضاربة وهدر أموال صغار

المستثمرين، والتمعن في مجالس إدارة الشركات بالحماسة وعدم الشفقة ذاتهما التي يلاحق فيها المراسلون الصحفيون السياسيين ويبيّنون أدنى هفوات أعضاء البرلمان والوزراء الخارجين عن الخط المستقيم. وهو لا يستطيع على الإطلاق أن يفهم السبب الذي يجعل العديد من الصحافيين الماليين المهمّين يعاملون جراء العالم المالي وكأنهم نجوم الصف الأول.

كانت آراؤه تلك، وعدم انقياده، غالباً ما تُدخله في صراعات جمة مع زملاء المهنة. كان أحدهم هو بورغ على سبيل المثال، الذي نصّب نفسه عدواً له مدى الحياة. إن ضلوعه بدور الناقد الاجتماعي حوّله إلى أحد ضيوف المنابر التلفزيونية ذوي الألسنة اللاذعة، حيث كان يتم استدعاؤه دائماً للتعليق على رؤساء ومدراء عامّين يتلبّسون بارتكاب عمليات تساوي المليارات.

لم يكن ميكائيل يلاقي أي صعوبة في تصوّر قوارير الشمبانيا التي تفتح احتفالاً ويتطاير رذاذها تهليلاً في بعض غرف المكاتب الخلفية لبعض الصحف في ذلك المساء تحديداً.

كانت إريكا تتخذ الموقف الذي يؤمن هو به حيال دور الصحفي في العمل. وحتى أثناء وجودهما على مقاعد الدراسة كانا يستمتعان بتخيّل وجود مجلة تتخذ من ذلك شعاراً لها.

كانت إريكا رئيس العمل الأفضل الذي يمكن لبلومفيست تخيّله. كانت منظّمة جيدة، تستطيع إدارة الموظفين بلطف وثقة من دون أن تكون في الوقت ذاته خائفة من المواجهة. كما كانت تستطيع أن تكون قاسية جداً عندما تستدعي الضرورة. إضافة إلى كل ذلك كانت تتمتع بحدس رائع في ما يتعلق باتخاذ القرارت حيال مضمون العدد القادم من المجلة. وغالباً ما كانت لها آراء مختلفة عن ميكائيل وكان يحصل بينهما نقاشات مفيدة كثيرة، لكن ثقة أحدهما بالآخر ما كانت لتتزعزع مطلقاً، وقد ألّفا معاً فريقاً لا يمكن هزمه. كان هو يقوم بالعمل الميداني في تعقب أحداث القصة، في حين كانت هي المسؤولة عن وضعها في الإطار المناسب والترويج لها.

كانت «ميلينيوم» باكورة إبداعهما المشترك، إلا أنه ما كان يمكن أن تصير حقيقة لولا موهبتها في البحث عن مصادر التمويل. لقد كان اتحاداً جميلاً يجمع بين شاب من الطبقة العاملة وفتاة من المجتمع الراقي. لقد جاءت إريكا من عالم الأثرياء القدامى. وزرعت بذرة المال الأولى في المشروع وتحدّثت إلى والدها ومعارفها المتعددين للاستثمار فيه بمبالغ ضخمة.

لطالما تساءل بلومفيست عن السبب الذي جعل إريكا تضع مجلة «ميلينيوم» كهدف أعلى لها. لقد كانت أحد المالكين، بل صاحبة الحصة الأكبر، وهي رئيسة التحرير التي تعمل في مجلتها الخاصة بما يمنحها صيتاً وسيطرة على مجال الإعلام ما كانت لتحصل عليه في عمل آخر إلا بصعوبة. وعلى خلاف ميكائيل، ركزت إريكا على مجال التلفزيون بعد التخرج من كلية الصحافة. كانت تبدو قوية ورائعة أمام الكاميرا وتستطيع أن تكون الأفضل في المنافسة. كما كان لديها معارف جيدون من الطبقة البيروقراطية يدعمونها. ولو أنها التزمت بهذا النوع من العمل لكانت حصلت الآن على وظيفة في إحدى القنوات التلفزيونية خوّلتها قبض راتب أكبر من الذي تخصصه لنفسها الآن.

كذلك فإن برجر أقنعت كريستر مالم بشراء حصة له في المجلة. كان مالم أحد مشاهير اللوطيين الذين يجاهرون في الإعلان عن ميولهم الجنسية وقد ظهر مع صديقه في مقالات تحمل عنوان «أعيش في المنزل مع». بدأ الاهتمام به حين انتقل للعيش مع آرنولد ماغنوسن، الممثل الشهير الذي مثّل في المسرح الملكي الدرامي ممن أحدثوا نقلة حقيقية بلعبه دوراً في مسرحية عاطفية. وقد أصبح كل من كريستر وآرن منذ ذلك الوقت مادة إعلامية دسمة.

في سن السادسة والثلاثين كان يتم السعي وراء مالم كمصور محترف ومصمم أعطى مجلة «ميلينيوم» مظهرها الحديث. كان يدير أعماله من مكتب يقع في الطابق نفسه الذي توجد فيه مكاتب مجلة «ميلينيوم» ويقوم

بالتصميم الغرافيكي على مدى أسبوع واحد من كل شهر.

كان فريق عمل «ميلينيوم» يتألف من ثلاثة موظفين يعملون بدوام كامل، ومتدرب بدوام كامل، وموظفَين بدوام جزئي. لم تكن بالمشروع المربح لكنها كانت تسير من دون ربح أو خسارة، وكانت عائدات المبيعات والإعلانات تزداد بشكل تدريجي ولكن ثابت. ولا تزال المجلة حتى اليوم تُعرف بأسلوبها التحريري الصريح والموثوق.

أما الوضع الآن فكان مرجحاً للتغيّر برمّته. أخذ بلومفيست يقرأ البيان الصحفي الذي أنهى هو وبرجر كتابة مسوّدته والذي تم تحويله بسرعة إلى وكالات الأخبار ونشره على الموقع الإلكتروني لـ 'Aftonbladet'.

المراسل الصحفي المدان بحكم محكمة يغادر مجلة «ميلينيوم»

صحافي ستوكهولم (.T.T) ميكائيل بلومفيست يتنحى عن منصبه كناشر لمجلة «ميلينيوم»، هذا ما أعلنته رئيسة التحرير وصاحبة القسم الأكبر من الأسهم، إريكا برجر.

بلومفيست يغادر «ميلينيوم» بملء إرادته. وتقول برجر التي ستتسلّم دور الناشر، «لقد أتعبته الأحداث الدرامية للأشهر القليلة الماضية ويحتاج إلى فترة من الراحة.»

كان بلومفيست أحد مؤسسي مجلة «ميلينيوم» التي بدأت العمل في العام 1990. ولا تعتقد برجر أن المجلة ستعاني من ارتدادات ما يسمى بقضية «وينرشتروم».

وستصدر المجلة كالمعتاد في الشهر المقبل، كما تؤكد برجر. وتضيف، «لقد لعب ميكائيل بلومفيست دوراً أساسياً في تطور المجلة، لكننا اليوم نفتح صفحة جديدة.»

تعلن برجر أنها تنظر إلى قضية «وينرشتروم» على أنها نتاج سلسلة من الأحداث والظروف المشؤومة. وإنها تأسف للإزعاج الذي سببته تلك القضية للسيد هانس-إريك وينرشتروم. الاتصال ببلومفيست للحصول على تعليق منه حول ما حصل، أمر غير ممكن.

حين تمّ إرسال البيان الصحفي عبر البريد الإلكتروني قالت برجر: «إن هذا يثير جنوني. سيعتقد معظم الناس أنك أحمق وأني مجرد سافلة استغلت الفرصة للسيطرة على المجلة.»

ردّ عليها: «سيكون لدى أصدقائنا موضوع جديد يتحدثون عنه.» حاول بلومفيست التخفيف من حدة الموقف لكنها لم تكن مستمتعة إطلاقاً بما يحدث.

«لست أملك خطة بديلة، لكنني أظن أن ما نقوم به خطأ.»

قال بلومفيست: «إنها الطريقة الوحيدة للخروج من الأزمة. إذا انهارت المجلة، فستضيع السنوات التي تعبنا في العمل عليها سدىً. سبق أن تلقينا ضربة من عائدات الإعلانات. كيف هي الحال مع شركة الكومبيوتر بالمناسبة؟»

تنهدت وقالت: «لقد أخبروني هذا الصباح أنها ما عادت تريد تخصيص مساحة لها على صفحات العدد المقبل.»

«يمتلك وينرشتروم حصة كبيرة في تلك الشركة لذا فليس الأمر مصادفة.»

«يمكننا استقدام بعض الزبائن الجدد. قد يكون حوتاً كبيراً لكنه لا يملك كل شيء في السويد ونحن لدينا معارفنا واتصالاتنا.»

وضع بلومفيست ذراعه حولها وقرّبها إليه قائلاً: «يوماً ما سنوجه ضربة قاضية للسيد وينرشتروم ضربة تهتز لها جدران 'وول ستريت' نفسها. لكن على 'ميلينيوم' اليوم أن تخرج من دائرة الضوء.»

«أعلم كل ذلك، لكني لا أحب أن أظهر بمظهر السافلة، وأن أدفعك إلى الوقوع في وضع مزرٍ بادعائنا أن هناك نوعاً من الشقاق بيني وبينك.»

«ما دمنا، أنت وأنا، يثق أحدنا بالآخر يا ريكي، فستظل هناك فرصة. علينا أن نستمع لنبض الأحداث وهي تقول لنا الآن إنه وقت الانسحاب من أرض المعركة.»

ترددت في الاعتراف بأن هناك منطقاً محبطاً في كلامه.

الفصل الرابع

الاثنين، 23 ديسمبر ـ الخميس، 26 ديسمبر

ظلت برجر في منزله طوال عطلة نهاية الأسبوع. وكانا لا ينهضان من السرير إلا للذهاب إلى المرحاض أو لإحضار شيء ما يتناولانه، لكنهما لم يمارسا الحب طوال هذا الوقت. إذ استلقيا معاً لساعات يتحدثان عن المستقبل ويقيّمان الأوضاع ويدرسان كافة الاحتمالات والخيارات المطروحة أمامهما. مع حلول فجر نهار الاثنين أتى اليوم الذي يسبق عيد الميلاد، فودعته بقبلة على وعد بلقاء قريب، وقادت السيارة متوجهة إلى المنزل.

أمضى بلومفيست نهار الاثنين في غسل الصحون وتنظيف الشقة والذهاب إلى مكتب المجلة لجمع الأغراض عن طاولته. لم تكن لديه نية فسخ علاقته نهائيا بالمجلة، لكنه توصّل إلى إقناع برجر بضرورة انفصاله عن سير أمور العمل لفترة من الزمن. وهو سيعمل من المنزل.

كانت مكاتب المجلة مغلقة بسبب عطلة عيد الميلاد ولم يكن أحد من زملائه موجوداً هناك. كان يغوص بين كومات من الورق ويرتب الأوراق والكتب في العلب التي سيأخذها معه حين رنّ هاتف المكتب.

سمع على الطرف الآخر صوتاً غير مألوف ولكنه مفعم بالأمل يقول:

«أنا أبحث عن ميكائيل بلومفيست.»

«هو يتكلم.»

«اعذرني لإزعاجك على هذا النحو من دون استئذان، إذا صحّ

التعبير. أدعى ديرك فرود» سارع بلومفيست إلى تدوين الاسم والتوقيت قبل أن يسمعه يتابع قائلاً: «أنا محامٍ، أمثّل موكلاً يرغب كثيراً بالتحدث إليك.»

«لابأس بذلك، لكن هلا طلبت من موكلك أن يتصل بي.»

«أقصد أنه يود التحدث إليك شخصياً.»

«حسناً، أعطه موعداً وارسله إلى مكتبي فوراً. يستحسن بك أن تسرع لأني أرتب أشيائي استعداداً للمغادرة الآن.»

«يود موكلي أن تقوم أنت بزيارته في هيديستاد، إنها لا تبعد من هنا سوى ثلاث ساعات بالقطار.»

دفع بلومفيست الملفّات جانباً. للإعلام قدرة على دفع أكثر الناس جنوناً للاتصال من أجل النزاع على أتفه الأمور. كل غرفة تحرير أخبار في العالم تظل على اطلاع دائم بالأحداث عبر المتابعين لأخبار الصحون الطائرة، والعالمين بخطوط اليد، والأطباء العلميين، والمجانين المهووسين.. أي كل نوع من أنواع النظريات التآمرية.

استمع بلومفيست في إحدى المرات إلى محاضرة للكاتب كارل ألفار نيلسون في قاعة AFB بمناسبة ذكرى اغتيال رئيس الوزراء أولف بالمه. كانت المحاضرة خطيرة وجدية، وكان بين الحضور أشخاص مثل لينارت بودشتروم وأصدقاء آخرين لبالمه. إلا أن عدداً مفاجئاً من هواة المحققين كان حاضراً أيضاً. أحدهم كان امرأة في الأربعينيات تناولت الميكروفون المقدم إليها عرَضاً بين أحد الأسئلة والأجوبة، وخفضت صوتها حتى بات همساً لا يكاد يكون مسموعاً. هذا الأمر وحده كان كفيلاً بالإيذان بحدوث تطور مثير للاهتمام ولم يتفاجأ أحد حين بدأت المرأة كلامها بالإدعاء، «أنا أعلم من قام بقتل أولف بالمه.» واقترح أحدهم من على المنصة بشيء من السخرية والتهكم أنه إذا كانت المرأة تمتلك مثل هذه المعلومات فمن المفيد أن تبلغها فوراً إلى لجنة التحقيق في قضية مقتل بالمه. لكنها سارعت إلى القول: «لا أستطيع ذلك. الأمر

جدّ خطير.» خرجت كلماتها همساً بحيث كان يصعب فهمها.

تساءل بلومفيست ما إذا كان فرود هذا هو واحد آخر من قائلي الحقيقة الذين يحاولون الإفصاح عن مكان في مستشفى الأمراض العقلية حيث تجري الـ«سابو» أو الشرطة الأمنية أبحاثاً حول السيطرة على تفكير الإنسان.

رد بلومفيست: «أنا لا ألبّي الدعوات إلى المنازل.»

«آمل أن أقنعك بأن تكون هذه الدعوة استثناءً، فعمر موكلي يفوق الثمانين عاماً وسيرهقه كثيراً المجيء إلى ستوكهولم. أما إذا أصررت على موقفك، فستتمكن حتماً من التوصل إلى تسوية ما لتدبّر أمر لقاء بينكما. لكن وبصدق سيكون من الأفضل لو تكرّم...»

«من هو موكلك؟»

«شخص أشك أن يعني اسمه لك شيئاً في مجال عملك، إنه هنريك فانغر.»

استراح بلومفيست في كرسيه مندهشاً. لقد سبق أن سمع بهنريك فانغر بالتأكيد. إنه أحد أركان قطاع الصناعة والرئيس السابق لمجموعة شركات «فانغر». وقد اشتهر يوماً في مجال إنشاء معامل نشارة الأخشاب، والمناجم، وصناعة الحديد غير القابل للصدأ، وتصنيع المعادن والنسيج. كان فانغر أحد الحيتان الكبيرة في عالم التجارة في أيامه، ويحظى بسمعة طيبة على أنه رئيس قديم الطراز وصاحب شرف ممن لا ينحنون أمام العواصف مهما كانت عاتية. إنه أحد حجارة الزاوية في الاقتصاد السويدي، وأحد أركان المدرسة القديمة العشرين إضافة إلى ماتس كارلغرين صاحب «مودو»، وهانس-ويرثين صاحب «إلكترولوكس» القديم. إنه عمود الاقتصاد الفقري الضامن لحُسن حال الدولة، وإلى ما هنالك.

إلا أن شركات «فانغر» التي تملكها العائلة قد أنهكتها على مدى الأعوام الخمسة والعشرين الماضية كثرة إعاة التنظيم، وأزمات الأسواق

المالية والأزمات على الفوائد، والمنافسة الحادة من السوق الآسيوي، وتراجع الصادرات، ومشاكل أخرى أدّت مجتمعة إلى وقوع اسم «فانغر» في حالة من الركود. ويدير الشركة اليوم مارتن فانغر، وهو اسم مرتبط لدى بلومفيست برجل قصير القامة، سمين، ذي شعر كثيف عادة ما تمرّ صورته على شاشة التلفزيون. لم يكن يعرف عنه الكثير. فهنريك فانغر كان خارج الصورة على مدى السنوات العشرين الماضية على الأقل.

«لماذا يريد هنريك فانغر لقائي؟»

«لقد عملت كمحامٍ لحساب السيد فانغر لعدة سنوات، وأفضّل أن يخبرك بالأمر بنفسه. غير أني أستطيع أن أقول لك من ناحية أخرى إن السيد فانغر قد يرغب في مناقشة عرض عمل محتمل معك.»

«عرض عمل؟ ليست لدي أدنى نية لقبول فرصة عمل لصالح شركة 'فانغر'. ماذا؟ هل تحتاجون إلى سكرتير إعلامي للشركة؟»

«ليس تماماً، لا أعلم كيف أصيغ الأمر بعبارة أخرى. إن السيد فانغر تواق للقائك واستشارتك بشأن مسألة خاصة.»

«لا يمكن أن تكون أكثر مواربة وإبهاماً، أليس كذلك؟»

«أستميحك عذراً لأني لا أستطيع أن أفصح أكثر، لكن هل من طريقة لأقنعك بأن تقوم بزيارة هيديستاد؟ من الطبيعي أن نتكفل نحن بكافة مصاريف الرحلة والنفقات المتوجبة إضافة إلى دفع مبلغ محترم من المال.»

«لقد جاء اتصالك في وقت أكاد أقول فيه إنه غير مناسب. لدي الكثير من الأمور التي تستدعي اهتمامي الشخصي، و... أفترض أنك رأيت العناوين التي تتصدر الأخبار في الأيام القليلة الماضية.»

أطلق فرود ضحكة وقال: «تقصد قضية 'فينرشتروم'؟ أجل، لا بد أنها تحمل قيمة تشويقية معينة. لكن، لأصدقك القول إن الضجة الإعلامية المثارة حول القضية والمحاكمة هي ما شدّ انتباه السيد فانغر إليك. يريد أن يوكلك بمهمة تقوم بها على حريتك. لستُ سوى رسول قام بالبلاغ أما

حول ماذا تدور القضية فهذا أمر لا يسع أحداً شرحه إلا السيد فانغر نفسه.»

«إنها إحدى المكالمات الهاتفية الأكثر غرابة التي تلقيتها منذ وقت طويل. دعني أفكر في الأمر، كيف أستطيع الاتصال بك؟»

جلس بلومفيست يحدق في الفوضى العارمة التي تعمّ طاولة مكتبه. ما كان يسعه أن يتصور نوع العمل الذي يود السيد فانغر عرضه عليه، إلا أن المحامي نجح بلا شك في إثارة فضوله.

قام عبر الإنترنت بإجراء بحث يستطلع فيه أخبار شركة «فانغر». تعاني الشركة الآن من حال ركود لكنها تظهر في الإعلام بشكل يومي تقريباً. قام بحفظ العشرات من المقالات التحليلية الخاصة بالشركة. ثم أجرى بحثاً عن فرود، إضافة إلى هنريك ومارتن فانغر.

تبين له أن مارتن فانغر شخص دؤوب يتمتع بالكثير من القدرات كرئيس ومدير عام لشركة «فانغر». أما فرود فكان من النوع الذي يحب البقاء في الظل، ولا يرغب في لفت الأنظار إليه. يحتل منصباً في مجلس إدارة نادي هيديستاد الريفي، وهو عضو ناشط في نادي الروتاري. وكان هنريك فانغر وبشكل استثنائي هو وحده من ظهر في المقالات التي تقدم شرحاً عن خلفية الشركة. كان بريد هيديستاد قد نشر منذ عامين تنويهاً بأحد عظماء الشركة السابقين بمناسبة حلول عيد مولده الثمانين، يتضمن موجزاً قصيراً عنه. جمع أوراق الملف الذي يضم ما يقارب الخمسين صفحة. ثم قام في النهاية بإفراغ محتويات أدراج مكتبه وأحكم إغلاق العلب، وغادر متوجهاً إلى منزله من دون أن تكون لديه أدنى فكرة ما إذا كان سيعود للمكتب أم لا.

أمضت سالاندر ليلة الميلاد في مأوى آبلفيكن للعجزة الواقع في أبلاندس فالي. لقد أحضرت معها الهدايا: قارورة عطر تحمل ماركة

«ديور» وكاتو إنكليزي بالفواكه من متجر «آهلينز». كانت تشرب القهوة وهي تراقب صاحبة السنوات الست والأربعين التي تحاول بأصابع متعثرة فك عقدة ربطة الهدية المقدمة إليها. كانت عينا سالاندر تمتلئان حناناً، لكن حقيقة أن هذه المرأة الغريبة الأطوار هي أمها لم تنفك تذهلها. فهي ما استطاعت ملاحظة أي تشابه بينهما لا من ناحية الشكل ولا من ناحية الطبيعة.

استسلمت أمها أخيراً وتوقفت عن المحاولة ونظرت بعجز إلى العلبة أمامها. لم يكن ذلك اليوم أفضل أيام حياتها. دفعت سالاندر إليها بالمقص الذي كان على مرأى منها تماماً على الطاولة أمامها فبدت كأنها استيقظت فجأة من سبات عميق.

«لا بد أنك تظنينني غبية.»

«كلا، أمي أنت لست غبية، لكن الحياة لم تكن منصفة معك.»

«هل رأيت أختك؟»

«لم أرها منذ وقت بعيد.»

«هي لا تأتي إلى هنا مطلقاً.»

«أعلم أمي. إنها لا تأتي لرؤيتي أنا أيضاً.»

«هل تعملين؟»

«أجل، وأنا أبلي حسناً.»

«أين تقيمين؟ حتى إني لا أعرف مكان إقامتك.»

«أنا أقيم في شقتك القديمة في لانداغاتان. أنا أعيش هناك منذ وقت طويل، كان عليّ الاهتمام بأمر المدفوعات المستحقة.»

«لعلّي أستطيع خلال فترة الصيف أن أقوم بزيارتك.»

«بالطبع، في فترة الصيف.»

أخيراً فتحت أمها هدية الميلاد وتنشقت رائحة العطر فأعجبت به كثيراً وقالت: «شكراً لك كاميللا.»

«ليزبث أمي. أنا أدعى ليزبث.»

بدت أمها محرجة من الموقف. أخبرتها سالاندر بوجوب ذهابهما إلى غرفة مشاهدة التلفزيون.

أمضى بلومفيست ساعة كاملة في مشاهدة برامج ديزني الخاصة بليلة الميلاد مع ابنته بيرنيلا في سولينتونا في منزل زوجته السابقة مونيكا وزوجها الجديد. بعد نقاشات طويلة مع أمها اتفقا على إهداء بيرنيلا جهاز iPod وMP3 لا يزيد حجمها على حجم علبة الكبريت من أجل حفظ المجموعة الكبيرة من الأغاني المسجلة على عدد من الأقراص المدمجة لديها.

أمضى الأب وابنته الوقت معاً في غرفة الفتاة في الطابق العلوي من المنزل. تم طلاق والدي بيرنيلا حين كانت في الخامسة من عمرها، وحظيّت بأب جديد بعمر السابعة. كانت بيرنيلا تأتي لزيارته مرة واحدة كل شهر، وتمضي برفقته عطلات تمتد أسبوعاً كاملاً في منزله الصيفي في ساندهامن. كانا يتفقان جيداً أثناء تمضية الوقت معاً، لكن بلومفيست ترك لابنته اتخاذ القرار بشأن عدد المرات التي تود رؤيته فيها. وقد لاحظ أنها أكثرت من عدد الزيارات بعد أن تزوجت أمها ثانية. لقد مرّت بضع سنوات انقطع فيها اللقاء بينهما تقريباً، لكنها باتت خلال السنتين الماضيتين تريد رؤيته بشكل أكبر.

تابعت الابنة مجريات القضية وهي تعتقد بحزم بأن الأمور جرت كما يقول والدها: هو بريء ولكنه لا يستطيع إثبات براءته.

أخبرته عن نشوء نوع من العلاقة مع أحد زملاء المدرسة وهو شاب في صف آخر. وفاجأته عندما قالت له إنها انضمت لتصبح إحدى أتباع الكنيسة بحيث امتنع عن التعليق.

كان مدعواً للبقاء على العشاء لكنه كان ملتزماً بالخروج مع أخته وعائلتها إلى ضاحية ستاكيت الفخمة.

كما تمت دعوته صبيحة ذلك اليوم للاحتفال بليلة الميلاد مع عائلة بيكمان في سالتسجيوبادن.

رفض الدعوة شاكراً أصحابها متيقناً أن هناك حدوداً لمجاراة عائلة بيكمان وواثقاً أنه لا يطمح لمعرفة ذلك الحدّ.

وجد نفسه بدلاً من ذلك يطرق باب آنيكا بلومفيست أو آنيكا جيانيني بشكل أصحّ، التي تعيش مع زوجها الإيطالي المولد وولديهما. كانت برفقة سريّة كاملة من أقارب زوجها على وشك قصّ فخذ الخنزير والبدء بتناول طعام العيد. انشغل أثناء العشاء بالإجابة عن أسئلة تدور حول القضية والمحاكمة والاستماع للكثير من نصائح لا معنى لها، إنما نابعة من نوايا طيبة.

الشخص الوحيد الذي لم يكن لديه شيء يقوله بخصوص الحكم هو أخته مع أنها المحامي الوحيد في الغرفة. كانت قد شغلت وظيفة كاتب في محكمة المقاطعة، ومن ثم مساعدة المدعي العام لعدة سنوات قبل أن تقرر مع ثلاثة من زملائها المحامين فتح مكتب محاماة خاص في منطقة كانغشولمان. كانت مختصة بالقوانين المتعلقة بالشؤون العائلية. وخلافاً لتقديره للأحداث، بدأت أخته الصغرى تظهر على صفحات الجرائد كمرافعة عن النساء اللواتي يتعرضن للضرب أو التهديد وتطل على شاشات التلفزيون كباحثة ومحكّمة بين عدد مختار من المختصين، وكداعية ومناصرة لحقوق المرأة.

بينما كان يساعدها في تحضير القهوة وضعت يدها على كتفه وسألته عن أحواله. فأخبرها أنه يشعر بالوهن وبالتعب من الحياة.

قالت له: «ليتوكل عنك محامٍ حقيقي في المرة المقبلة.»

«لعل ذلك لم يكن ليشكل فارقاً كبيراً في هذه القضية تحديداً. لكننا سنتحدث بالأمر بالتفصيل يا أختاه في وقت لاحق ربما حين يكون الغبار قد زال وانجلت الأمور.»

عانقته وطبعت قبلة على وجنته قبل أن يتعاونا في حمل صينية القهوة

وكمكة الميلاد والعودة إلى غرفة الضيوف. استأذن بعدها بلومفيست طالباً استعمال الهاتف في المطبخ. اتصل بالمحامي في هيديستاد وسمع حين فُتح الخط هرج أصوات يملأ المكان.

قال له فرود: «ميلاداً مجيداً، هل أجرؤ على أن آمل أنك اتخذت القرار بالمجيء؟»

«لا أملك أي خطط جاهزة في الوقت الحالي، ويحدوني الفضول لمعرفة المزيد. سأحضر في اليوم التالي للميلاد إن كان ذلك يناسبك.»

«ممتاز، ممتاز. يسرني هذا كثيراً. أرجو أن تعذرني، لكن لدي أولاد وأحفاد يملأون المكان ولا أكاد أسمعك أو أفكر بوضوح. هل أستطيع الاتصال بك غداً لتحديد الوقت؟ كيف أستطيع الاتصال بك؟»

كان بلومفيست يشعر بالندم لقراره قبل أن يغادر المنزل حتى، لكن من غير اللائق معاودة الاتصال لإلغاء الموعد. لهذا السبب، وفي صبيحة يوم السادس والعشرين من يناير، كان على متن القطار المتجه شمالاً. كان حائزاً على رخصة قيادة لكنه لم يشعر يوماً بضرورة امتلاك سيارة.

كان فرود محقاً، إذ إن الرحلة لم تستغرق وقتاً طويلاً. فبعد اجتياز منطقة أوبسالا كانت سلسلة من البلدات الصناعية الصغيرة تمتد على طول ساحل نورلاند. كانت هيديستاد إحدى أصغر تلك البلدات التي تبعد ما يزيد على ساعة من الزمن شمال غافلي.

كانت عاصفة ثلجية كبرى قد ضربت المكان ليلة الميلاد لكن السماء كانت الآن صافية وشمر بالهواء يلفح ببرودة الجليد الذي يغطي الأرض. حين ترجّل بلومفيست في هيديستاد، أدرك لتوه أنه لم يكن يرتدي ما يكفي من الملابس التي تحميه من قسوة شتاء نورلاند. تعرّف إليه فرود وكان من اللطافة بحيث اصطحبه من رصيف المحطة واقتاده مباشرة إلى دفء سيارة المرسيدس. كانت عملية إزالة الثلوج من وسط شوارع هيديستاد تسير على قدم وساق. شق فرود طريقه بحذر عبر الطرقات

الضيقة المفتوحة أمام السيارات. كان ركام الثلوج على حافتي الطريق يجسّد صورة مخالفة لستوكهولم. بدت البلدة الصغيرة كما لو أنها كوكب آخر، مع أنها لم تكن تبعد أكثر من ثلاث ساعات عن سيرغيلز تورغ الواقعة وسط ستوكهولم. استرق نظرة إلى المحامي الجالس بجانبه، فلاحظ أن لديه وجهاً بارز العظام تنتشر فوقه شعيرات بيضاء متفرقة شوكية ونظارات بزجاجتين سميكتين تستريح فوق أنفٍ طويلٍ مهيب.

سأله فرود: «أهي المرة الأولى التي تزور فيها هيديستاد؟»

أومأ له بلومفيست إيجاباً.

«إنها بلدة صناعية صغيرة فيها مرفأ. ويبلغ عدد سكانها أربعة وعشرين ألف نسمة فقط. لكن الناس يحبون العيش فيها. السيد فانغر يقيم عند الطرف الجنوبي من البلدة.»

«وهل تعيش أنت هنا أيضاً؟»

«في الوقت الراهن أجل. ولدت في 'سكان' جنوباً، لكنني بدأت العمل لحساب السيد فانغر بعد تخرّجي مباشرةً من الجامعة في العام 1962. كنت أعمل كمحامٍ للشركة ومع مرور السنوات أصبحنا أنا والسيد فانغر صديقين. أنا اليوم بحكم المستقيل رسمياً من مزاولة المهنة، والسيد فانغر هو موكلي الوحيد. هو أيضاً وصل إلى سن التقاعد ولم يعد بحاجة كثيراً لخدماتي.»

«إلا من أجل جرّ صحافيين من ذوي السمعة المدمَّرة.»

«لا تقلل من تقدير قيمة نفسك. لست الشخص الأول الذي يخسر مباراة في وجه هانس-إريك ويترشتروم.»

التفت بلومفيست إلى فرود غير واثقٍ من كيفية قراءة الإجابة الأخيرة التي نطقها المحامي للتو. سأله: «هل لهذه الدعوة علاقة بوينرشتروم؟»

أجابه فرود: «كلا، إلا أن السيد فانغر ليس بعيداً عن دائرة أصدقاء وينرشتروم وقد تابع مسار المحاكمة باهتمامٍ شديد. لكنّه يريد لقاءك لمناقشة أمرٍ مختلفٍ بالكامل.»

«أمر لا تريد إخباري به البتة.»

«لست في موقع يخولني إخبارك به. لقد تدبرنا كل شيء بحيث نتمكن من تمضية الليلة في منزل السيد فانغر، لكن إن لم تشأ ذلك فيمكننا حجز غرفة لك في فندق 'غراند أوتيل' في البلدة.»

«قد أستقل القطار العائد إلى ستوكهولم الليلة.»

كانت طرقات بلدة هيدبي غير معبدة، وعمد فرود إلى المناورة في شق طريقه عبر الأثلام المغطاة بالجليد التي حفرتها إطارات السيارات الأخرى. كان وسط البلدة القديم يضم عدداً من المنازل المنتشرة على طول خليج بوثنيا، أما المنازل المحيطة بهما فكانت أكثر حداثة. تستقبلك البلدة بمساحة يابسةٍ واسعة وتكمل مسيرها فوق جسرٍ يؤدي إلى جزيرة على شكل هضبة. على القسم البري من الجسر تقع كنيسةٌ حجريةٌ بيضاء صغيرة وتلتمع وسط الشارع إشارة ضوئية قديمة الطراز مكتوب عليها «مقهى وفرن سوزان». اجتاز فرود الإشارة مسافةً تقارب المئة ياردة قبل أن ينعطف يساراً نحو ساحةٍ ترابيةٍ منكوشةٍ حديثاً أمام مبنىً حجري. كان منزل المزرعة صغيراً جداً بحيث لا يمكن وصفه بالقصر الإقطاعي، لكنه كان حتماً أكبر من بقية منازل المنطقة. إنه ملك السيد.

قال له فرود: «ها هي مزرعة فانغر، وقد كانت تعج يوماً بالحياة والصخب لكن اليوم، لا يقيم فيها سوى هنريك ومدبرة شؤون المنزل. هناك الكثير من غرف الضيوف.»

خرجا من السيارة وأشار له فرود باتجاه الشمال.

«اقتضت التقاليد أن يعيش القيّم على شؤون فانغر هنا، إلا أن مارتن فانغر رغب في الحصول على شيء أكثر عصريةً فبنى له ذلك المنزل هناك.»

نظر بلومفيست من حوله متسائلاً عن نوع المَسّ الجنوني الذي دفعه إلى قبول تلبية دعوة فرود. وقرر أنه إذا أُتيح له، فسيعود إلى ستوكهولم في الأمسية ذاتها. كانت سلالم حجرية تؤدي إلى المدخل، لكن الباب

فُتح قبل أن يصلا. تعرّف إلى هنريك فانغر فوراً لأنه كان قد رأى صورته على صفحة الإنترنت.

كان أصغر سناً وأكثر شباباً في الصورة، لكنه بدا للوهلة الأولى مليئاً بالحياة بالنسبة لرجل في الثانية والثمانين من عمره: كان يتمتع بجسد نحيل مفتول، ووجه قاسي الملامح تركت عليه السنوات أثرها الواضح، وشعر رمادي اللون مسرّح إلى الوراء بطريقة مرتبة. كان يرتدي سروالاً مكوياً بعناية وقميصاً أبيض وسترة بنية. كان شارباه رفيعين ويضع نظارات ذات إطار حديدي.

قال: «أدعى هنريك فانغر وأشكر موافقتك على المجيء لزيارتي.»

«مرحباً، لقد كانت دعوة مفاجئة.»

«لنذهب إلى الداخل حيث الجو أكثر دفئاً. لقد رتبت غرفة للضيوف من أجلك. هل تود أن تغتسل وتبدّل ملابسك؟ سنتناول العشاء بعد فترة قصيرة. هذه آنا نيغرين التي تقوم برعايتي.»

صافح بلومفيست امرأة قصيرة بدينة في الستينيات من العمر أخذت معطفه وعلقته في الخزانة الموجودة في القاعة. وأعطته حذاءين جافين بدلاً من الحذاء الذي ينتعله.

شكرها ميكائيل والتفت نحو هنريك فانغر بقول: «لست واثقاً أني سأبقى لتناول العشاء، الأمر يعتمد فقط على ما هي لعبة الليلة.»

تبادل فانغر وفرود النظرات. كان هناك تفاهم غريب بين الرجلين لم يتمكن بلومفيست من تفسير معناه.

قال فرود: «أعتقد أني سأنتهز الفرصة لتركَكما وحدكما. عليّ العودة إلى المنزل لضبط أمور الأحفاد قبل أن يقلبوا البيت رأساً على عقب.»

التفت نحو ميكائيل وقال له: «أنا أعيش إلى يمين هذا المنزل، على الناحية الأخرى من الجسر. إنه المنزل الثالث باتجاه مسرب المياه نزولاً من الفرن. إن احتجت إليّ، اتصل بي وحسب.»

مدّ بلومفيست يده إلى جيبه وضغط على زرّ التسجيل. لم تكن لديه

أي فكرة عما يريده فانغر منه، إلا أنه بعد الأشهر الاثني عشر الماضية من الأضرار الفادحة المتلاحقة التي لحقت به جراء قضية «وينرشتروم» كان يحتاج إلى تسجيل دقيق يوثق كافة الأحداث الغريبة التي تحصل من حوله، ودعوة غير منتظرة إلى هيديستاد تدخل ضمن إطار الأحداث الغريبة التي يتحدث عنها تماماً.

ربّت فانغر على كتف فرود مودّعاً وأغلق الباب قبل عودته إلى تركيز اهتمامه على بلومفيست.

«في هذه الحال سأدخل صلب الموضوع مباشرة. ليس هناك من لعبة، كل ما أطلبه منك هو أن تستمع لما لدي لأقوله ومن ثم تقرر بنفسك. أنت صحافي وأنا أريد أن أوكلك بمهمة تقوم بها وفقاً لوقتك. سبق لآنا أن سكبت لنا القهوة في مكتبي في الأعلى.»

كان المكتب مستطيل الشكل تزيد مساحته على ألف وثلاثمئة قدم مربع. وكان أحد الجدران مغطى من الأرض حتى السقف برفوف من الكتب بطول ثلاثين قدماً. كانت مكتبة تضم مجموعة مميزة من الكتب الأدبية بما في ذلك السير الذاتية وكتب التاريخ والاقتصاد، إضافة إلى العديد من الكتب المصورة. لم تكن الكتب مرتبة وفق ترتيب واضح معيّن بل بدا الأمر أشبه برفوف من الكتب المستعملة. على الجهة المقابلة كانت طاولة من خشب السنديان الغامق اللون. وعلى الحائط خلف الطاولة كانت مجموعة واسعة من الأزهار المحفوظة بترتيب وعناية.

من على الطاولة وعبر النافذة كان المنظر يطل على الجسر والكنيسة. كان في المكتب أريكة وطاولة لتقديم القهوة التي أعدّتها المدبرة وأبقتها في غلاية تحفظ الحرارة وأعدّت إلى جانبها بعض أنواع الكعك والحلوى.

أشار فانغر باتجاه الصينية لكن بلومفيست تظاهر بعدم رؤيته وقام بدلاً من ذلك بالتجول في أرجاء الغرفة متفحصاً رفوف الكتب أولاً ومتوجهاً نحو الجدار حيث عُلّقت الأزهار المحفوظة في أطرها. كانت طاولة

المكتب مرتبة ولا يوجد عليها سوى بضع أوراق مكدسة بعضها فوق بعض. وعلى الطرف الآخر كانت هناك صورة يحدها إطار فضي اللون لفتاة ذات شعر غامق، كانت جميلة إنما صاحبة نظرات تدل على الشقاوة. ظن بينه وبين نفسه أنها امرأة شابة على طريق أن تصبح خطرة. من الواضح أنها كانت لوحة بهت لونها بفعل السنوات التي مرّت على وجودها هناك على طاولة المكتب.

سأله فانغر: «هل تذكرها يا ميكائيل؟»

«أتذكرها؟» تساءل متعجّباً

«أجل، لقد سبق أن التقيتها، لقد أتيت إلى هذه الغرفة من قبل في الواقع.»

استدار بلومفيست وهز رأسه.

«كلا، وكيف لك أن تتذكر؟ كنت أعرف أباك. لقد وظفت والدك لدي كعامل في تركيب الآلات والماكينات لعدة مرات في الخمسينيات والستينيات. كان رجلاً موهوباً وقد حاولت إقناعه بمتابعة علمه ليصبح مهندساً. لقد أمضيتَ صيف عام 1963 بأكمله هنا في هذا المنزل، حين قمنا بإدخال معدات جديدة إلى مصنع الورق في هيديستاد. كان يصعب إيجاد مكان لإقامة العائلة فقمنا بحلّ المشكلة بأن أقمتم في المنزل الخشبي القائم على الجهة الأخرى من الطريق. يمكنك رؤيته عبر النافذة.»

حمل بلومفيست الصورة التذكارية بين يديه.

«إنها هارييت فانغر حفيدة أخي ريشارد. قامت بالاهتمام بك عدة مرات في ذلك الصيف. كنتما بعمر السنتين وعلى وشك أن تبلغا الثالثة. لعلكما بلغتما هذه السن في ذلك الصيف نفسه. لست أذكر. التقطت لها هذه الصورة حين كانت في الثالثة عشرة من عمرها.»

«أنا آسف، لكنني لا أذكر شيئاً من كل ما تخبرني به.» لم يستطع بلومفيست أن يتأكد أن فانغر كان يقول الحقيقة حتى.

«أفهمك. لكنني أتذكرك. اعتدت أن تركض في أرجاء المزرعة وأنت تجرّ هاريت وراءك. لا أزال أتمكن من سماع صراخكما حين تقعان أرضاً. وأذكر أني أعطيتك لعبة في إحدى المرات هي عبارة عن جرّار ثقيل أصفر اللون مصنوع من صفائح معدنية كنت ألعب به وأنا صبي صغير. لقد أعجبك كثيراً حينذاك. أعتقد أن الأصفر كان لونه.»

سرت موجة من البرودة في أوصال بلومفيست. إنه يتذكر الجرار الأصفر فعلاً. كان قد احتفظ به لفترة طويلة على أحد رفوف غرفة نومه.

«هل تتذكر تلك اللعبة؟»

«أتذكرها، وستسرّ لمعرفة أن ذاك الجرّار لا يزال موجوداً حتى اليوم وبحال جيدة، في متحف الألعاب في ستوكهولم. كان قد أعلن يوماً عن قيامه بجمع الألعاب الأصلية القديمة التي يزيد عمرها على عشر سنوات.»

أطلق فانغر ضحكة تنمّ عن ابتهاج وقال: «حقاً؟ دعني أريك شيئاً...»

ذهب الرجل العجوز إلى المكتبة وسحب ألبوماً للصور عن أحد الرفوف المنخفضة. لاحظ بلومفيست أنه يعاني من صعوبة في الانحناء وأنه اضطر للاستناد إلى الرف حين قرر أن يستقيم. وضع الألبوم على الطاولة. كان يعلم عما يبحث، عن صورة بالأبيض والأسود حيث يبدو ظل المصور عند الزاوية السفلى لناحية اليسار. أما في واجهة الصورة فيبدو صبي ذو شعر فاتح اللون يرتدي سروالاً قصيراً ويحدق في الكاميرا، وترتسم على ملامحه علامات نوع من الاضطراب.

«هذا أنت. والداك يجلسان على مقعد الحديقة في خلفية الصورة. وهاريت تختبئ بظلال أمك، والصبي إلى يسار والدك هو شقيق هاريت، مارتن الذي يدير شركة 'فانغر' اليوم.»

من الواضح أن أمه كانت حاملاً، كانت أخته في طريقها إلى العائلة. أخذ ينظر إلى الصورة وينتابه مزيج من المشاعر المختلطة بينما فانغر يسكب القهوة ويدفع إليه بصحن الحلويات.

«أعلم أن أباك قد توفي. هل لا تزال أمك على قيد الحياة؟»

أجابه بلومفيست: «كلا، توفيت منذ ثلاث سنوات.»

«كانت امرأة لطيفة، أذكرها جيداً.»

«لكنني واثق أنك لم ترسل في طلبي للتحدث عن الأيام الغابرة والأوقات الجميلة التي أمضيتها مع عائلتي.»

«أنت محق. كنت أعمل عدة أيام على ما أريد قوله لك، والآن بعد أن أتيت فعلاً، لا أعلم من أين أبدأ. أفترض أنك قمت ببعض الأبحاث، لذا أنت تعلم أني كنت أملك نفوذاً في قطاع الصناعة في السويد وفي سوق العمل. والآن أنا رجل عجوز يُحتمل أن يفارق الحياة قريباً. ولعل الموت هو النقطة الأمثل التي ننطلق منها في حديثنا.»

أخذ بلومفيست رشفة من فنجان القهوة اللاذعة المغلية على الطريقة النورلاندية من دون أدنى شك، وتساءل إلى أين يمكن أن يقود هذا الحديث.

«أعاني من ألم في الورك وباتت النزهات الطويلة أمراً من الماضي. ستكتشف بنفسك يوماً ما كيف تتسلل القوة هاربة من الإنسان. لست سقيماً ولا فاسد العقل، ولست كذلك مهووساً بالموت، لكني وصلت إلى عمرٍ يفرض عليّ تقبّل فكرة أن وقتي في هذه الحياة يكاد يشارف على النهاية. حيث تحتاج إلى إغلاق الحسابات وتصفية الأعمال العالقة. هل تفهم ما الذي أعنيه؟»

هزّ بلومفيست رأسه في إشارة إلى أنه فهم. كان فانغر يتكلم بنبرة ثابتة رزينة، وسبق لبلومفيست أن حكم عليه بأنه ليس عليلاً ولا فاقداً لقواه العقلية. وقال مجدداً: «أكثر ما يثير فضولي هو سبب وجودي هنا.»

«لأني أريد أن أطلب مساعدتك في تصفية أحد الأمور العالقة.»

«ولماذا تطلب ذلك مني أنا تحديداً؟ ما الذي يجعلك تظن أني قادر على مساعدتك؟»

الأخبار. وكنت أعلم من تكون بالطبع. لعل السبب يعود إلى أني أجلستك على ركبتيّ حين كنت صغيراً. لكن لا تسئ فهمي...» لوّح هنا بيده في إشارة إلى استبعاد الفكرة وتابع قائلاً: «... لست أتطلع إليك لمساعدتي من أجل أسباب عاطفية. كل ما في الأمر هو أنه انتابني دافع ما للاتصال بك أنت على نحو محدد.»

أطلق ميكائيل ضحكة ودية وقال: «حسناً، لا أتذكر أني كنت أجلس على ركبتيك. لكن كيف لك أن تقيم مثل هذا الارتباط؟ لقد كان ذلك في الستينيات.»

«لقد أسأت فهمي. انتقلت عائلتك للعيش في ستوكهولهم حين حصل والدك على وظيفة له كرئيس عمال مشغل في مصنع 'زاريندر'. كنت أنا من حصل له على هذه الوظيفة، كنت أعلم أنه عامل جيد. اعتمدت على رؤيته طوال السنوات التي كانت تربطني فيها مصالح مع 'زاريندر'. لم نكن صديقين حميمين لكننا كنا نجري بعض الأحاديث معاً. آخر مرة رأيته فيها كانت في العام الذي سبق وفاته، وأخبرني حينئذ أنك كنت تدرس في كلية الصحافة. كان فخوراً بك إلى أقصى حدّ. ومن ثم حصلت على شهرة واسعة بعد قصة القبض على عصابة السطو على المصارف. لقد تابعتُ سيرتك المهنية وقرأت العديد من مقالاتك على مرّ السنين. لقد قرأت في الواقع الكثير من أعداد مجلة 'ميلينيوم'.»

«حسناً، أنا أتابع مسار حديثك لكن ماذا تريدني أن أفعل بالضبط؟»

نظر إلى يديه وارتشف قهوته، وكأنه كان بحاجة إلى استراحة قبل أن يتمكن أخيراً من افتتاح الحديث مجدداً وقول ما يريد.

«قبل أن أبدأ الحديث يا ميكائيل أود أن أعقد اتفاقاً معك. أود منك أن تقوم بأمرين من أجلي. أولهما مجرد عذر أتذرع به والثاني تعبير عن غايتي الحقيقية.»

«أي نوع من الاتفاقات؟»

«سوف أخبرك قصة مؤلفة من جزءين. الجزء الأول يتعلق بعائلة

فانغر. وسيكون هذا هو العذر. إنها قصة طويلة محزنة، وسأحاول التقيد بالحقيقة من دون تلميع أو تبخير. والجزء الثاني من القصة يتعلق بهدفي الحقيقي. قد تظن أن بعضاً من أجزاء القصة... مجرد ضرب من الجنون. ما أريده منك هو أن تسمعني حتى النهاية وتصغي لكل ما أريد منك أن تفعل وما أعرضه عليك، قبل أن تتخذ قرارك حول ما إذا كنت ستقبل القيام بالعمل أم لا.»

أطلق بلومفيست تنهيدة من الأعماق. من الواضح أن فانغر لم يكن ليسمح له بالمغادرة في الوقت المناسب للحاق بالقطار الذي يغادر بعد الظهر. كان واثقاً أنه إذا اتصل بفرود طالباً منه أن يقلّه إلى محطة القطار، فإن محرّك السيارة سيرفض أن يدور بسبب برودة الطقس.

لا شك أن الرجل العجوز فكّر عميقاً وطويلاً في كيفية حجز الرجل. انتاب بلومفيست شعوراً بأن كافة الأحداث المتلاحقة التي حصلت منذ لحظة وصوله كانت مدبّرة: بدءاً بالمقدمة المفاجئة التي تقول إنه التقى مضيفه حين كان طفلاً، وصورة والديه في الألبوم، والتشديد على حقيقة أن والده وفانغر كانا صديقين، إضافة إلى إطراء الرجل العجوز له بقوله إنه يعرفه كميكائيل بلومفيست الصحافي وإنه لم ينفك يتابع مسيرته المهنية لسنوات من بعيد... لا شك أن كل ما ورد في كلامه يحمل روح الحقيقة، لكنه كان إضافة إلى ذلك نوعاً من التأثير النفسي الأولي. ففانغر من أكثر المتلاعبين المحنكين المتمرسين مهارة، وإلا كيف أصبح أحد أهم الصناعيين في السويد؟

أدرك بلومفيست أن ما يريد فانغر طلبه منه أمر لن تكون لديه أدنى رغبة في القيام به. وبالتالي كل ما عليه فعله هو أن يعرف ما يريد ويرفض طلبه ويشكره معتذراً عن التنفيذ، واللحاق ربما برحلة قطار بعد الظهر.

قال له: «أرجو أن تعذرني سيد فانغر، لقد مضى على وجودي هنا عشرون دقيقة، سأمنحك بالضبط نصف ساعة إضافية لتخبرني بما تريد، سأتصل بعدها بسيارة أجرة لتقلني إلى محطة القطار وأعود إلى دياري.»

للحظة خاطفة، زال قناع الطيبة الذي كان يتخفى الزعيم وراءه. واستطاع بلومفيست أن يلمح معالم وجه القائد الاقتصادي عديم الرحمة الذي يعود إلى أيام التمتع بالقوة في مواجهة الانتكاسة. التوت شفتاه وافترتا عن ابتسامة واجمة.

قال له: «أفهمك.»

«لست مضطراً للمراوغة في الحديث معي. أخبرني ببساطة ما الذي تريد مني فعله لأتمكن من اتخاذ القرار بشأن رغبتي في القيام به أو لا.»

«إذاً، إن لم أتمكن من إقناعك في خلال نصف ساعة من الزمن، فلن أستطيع فعل ذلك في شهر كامل، هذا ما تفكر فيه.»

«شيء من هذا القبيل.»

«لكن قصتي طويلة تنطوي على الكثير من التعقيدات.»

«اختصرها وبسّط أحداثها. هذا ما نفعله نحن في مجال الصحافة. الوقت يمرّ، تسع وعشرون دقيقة.»

رفع فانغر يده في حركة استسلام وقال: «هذا يكفي، أفهم قصدك. لكن المبالغة في الأمور ليست بالتصرف الأمثل على الصعيد النفسي. ما أحتاج إليه هو شخص يستطيع إجراء أبحاث معمقة ويفكر بطريقة نقدية ويتمتع إضافة إلى ما سبق بالأمانة والاستقامة. أظن أنك تمتلك هذه الصفات، ولست أقدّم لك إطراءً في هذا المجال. ينبغي بالصحافي الجيد أن يحظى بتلك المميزات وقد قرأت كتاب 'فرسان الهيكل' الذي قمت أنت بتأليفه باهتمام بالغ. صحيح أني اخترتك لأني كنت أعرف والدك ولأني أعرف من تكون. وإن كنت قد فهمت المسألة بشكل صحيح، أقول إنك تركت العمل في المجلة التي أسست على إثر نتائج قضية 'وينرشتروم'. مما يعني أنك من دون عمل في الوقت الراهن، ولعلك واقع كذلك في أزمة مالية حرجة.»

«وأنك تستطيع بالتالي استغلال الورطة التي أنا فيها لمصلحتك الشخصية، أليس كذلك؟»

«ربما. لكن يا ميكائيل، إن كنت تسمح لي بمناداتك ميكائيل وحسب، أنا لن أكذب عليك. لقد بلغت من التقدم في السن ما لا يخولني ذلك. إن لم يعجبك ما سأقول، يمكنك أن تقول لي بأن أتدبر أموري وأذهب إلى الجحيم. وسيكون عليّ حينئذ أن أوكل شخصاً آخر بالمهمة.»

«حسناً، قل لي ما هي هذه المهمة؟»

«ما مقدار المعلومات التي لديك عن عائلة فانغر؟»

«حسناً، لديّ ما تمكنت من قراءته على صفحات الإنترنت منذ اتصل بي فرود نهار الاثنين. في عهدك، كانت شركة 'فانغر' إحدى أهم المؤسسات الاقتصادية في السويد. إلا أنها اليوم غير موجودة نوعاً ما. إنها بإدارة مارتن فانغر. أعلم القليل بعد عن العائلة لكن ما الذي ترمي إليه؟»

«مارتن... إنه رجل طيب، يصلح في الأساس كمدير في أيام الرخاء. لكنه لا يصلح لأن يكون المدير الإداري للشركة في وقت الأزمات. يسعى وراء التحديث والتخصصية وهذا تفكير جيد، لكنه لا يستطيع المضي في تنفيذ أفكاره في حين أن الإدارة المالية تعاني ضعفاً كذلك. منذ خمسة وعشرين عاماً كان همّ شركة 'فانغر' الفعلي ينحصر في منافسة الخصم الخطر المتمثل بمجموعة شركات 'والنبرغ'. كان لدينا أربعون ألف موظف في كل أنحاء السويد في تلك الأيام. واليوم هناك العديد من هذه الوظائف في البرازيل أو في كوريا. لقد انخفض عدد موظفينا إلى نحو عشرة آلاف موظف، وفي غضون سنةٍ أو اثنتين، إن لم ينفخ مارتن بعض الرياح في أشرعة السفينة، فسيصل العدد إلى خمسة آلاف، وهو عدد تحتاج إليه المشاريع التصنيعية الصغيرة. وستودع بالتالي شركات 'فانغر' في مزابل التاريخ كومة واحدة.»

أومأ بلومفيست الذي كان توصّل إلى الخلاصة ذاتها تقريباً بناءً على ما قرأه من معلومات جمعها من صفحات الإنترنت.

«شركة "فانغر" لا تزال من بين الشركات القليلة الباقية في البلاد التي تملكها بضع عائلات وتدير شؤونها. يشكل ثلاثون من أفراد العائلة الأقلية التي تملك أسهماً في الشركة. لطالما كانت هذه نقطة قوة الشركة لكنها أيضاً أكبر نقاط ضعفنا.» توقف فانغر عن الكلام قليلاً ثم تابع بنبرة تنطوي على إلحاح متزايد: «يمكنك طرح الأسئلة فيما بعد يا ميكائيل، لكن أريد منك أن تصدّق كلامي حين أقول لك إني أكنّ الكراهية لمعظم أفراد عائلتي. إنهم بغالبيتهم من اللصوص، البخلاء، الضعاف، العاجزين عن حمل المسؤولية. لقد قمت بإدارة الشركة لخمسة وثلاثين عاماً في أجواء تميزت في أكثر الأحيان بالمشاجرة من دون هوادة على أمور زهيدة. كانوا أعداءً أسوأ وألدّ من الشركات المنافسة والحكومة. قلت إني أردت توكيلك بمهمة من جزءين. أود منك أولاً، أن تدوّن تاريخ عائلة فانغر أو سيرتها. يمكننا تسميتها بهدف التبسيط، سيرتي الذاتية الشخصية. سأضع في تصرفك كل المذكرات والأرشيف الذي تحتاج إليه. ويمكنك الوصول إلى أكثر أفكاري عمقاً وتستطيع نشر كل القذارات التي تضع يديك عليها وتنبشها. أظن أن القصة التي ستضعها، تظهر أكثر كتابات شكسبير تراجيدية مجرد قصص تسلية للعائلة.»

«لماذا؟»

«لماذا أريد نشر تاريخ عائلة فانغر الزاخر بالفضائح، أم لماذا أطلب إليك أن تكتب هذا التاريخ؟»

«الاثنين معاً على ما أظن.»

«لأصدقك القول، لا أكترث ما إذا تمّ نشر الكتاب أصلاً. لكنني أعتقد أن القصة يجب أن تكتب ولو لم يصدر منها سوى نسخة واحدة فقط تسلّمها أنت مباشرة للمكتبة الملكية. أريد للقصة أن تكون موجودة من أجل الأجيال القادمة بعد موتي. الحافز الذي يدفعني للقيام بذلك هو أبسط ما يمكن أن تتصوره: الانتقام.»

«ومتى تريد أن تنتقم؟»

«أنا فخور بأن اسمي ارتبط بالقول الشائع عن رجل يحفظ كلمته ويتذكر وعوده. لم أقم يوماً بأية ألاعيب سياسية. ولم أصادف يوماً مشاكل في التفاوض مع الاتحادات التجارية. حتى رئيس الوزراء إيرلاندر كان يكنّ لي الاحترام في عهده. المسألة بالنسبة لي كانت مسألة أخلاق، إذ كنت مسؤولاً عن إعالة آلاف الناس، وكنت أهتم بأمر الموظفين الذين يعملون لدي. بما يثير ما يكفي من الغرابة، يتمتع مارتن بالمواقف ذاتها، مع أنه شخص يختلف عني كثيراً. هو أيضاً حاول القيام بما هو صائب. من المحزن أن نشكل أنا ومارتن استثناء نادراً في العائلة. هناك الكثير من الأسباب التي تضع شركة 'فانغر' على المحك اليوم، إلا أن أحد هذه الأسباب الرئيسية هو جشع أقربائي ومحدودية تفكيرهم. إن قبلت بأداء المهمة، سأشرح لك بالتفصيل كيف عملت العائلة على نسف المؤسسة.»

قال بلومفيست، «لن أكذب عليك كذلك، إن عملية إجراء البحث ووضع كتابٍ كهذا قد يتطلب أشهراً، ولست أملك الدافع أو الطاقة على القيام بذلك.»

«أعتقد أن بإمكاننا مناقشة الأمر.»

«أشك في ذلك، لكنك قلت إن هناك أمرين اثنين، الكتاب كان العذر، فما هي غايتك الحقيقية؟»

وقف فانغر بجهدٍ مجدداً وتناول صورة هارييت فانغر عن طاولة المكتب ووضعها أمام بلومفيست.

«بينما أنت تكتب السيرة أريدك أن تدقق النظر في أمور العائلة بعيني الصحافي. سأمنحك كذلك الذرائع لتتدخل وتنبش في تاريخ العائلة. ما أريده منك هو أن تحل لغزاً. هذه هي مهمتك الأصلية.»

«أي لغز؟»

«هارييت كانت حفيدة أخي ريشارد. كنا خمسة أشقاء وكان ريشارد أكبرنا سناً وقد ولد عام 1907. وأنا كنت الأصغر سناً إذ ولدت عام 1920. لا أفهم كيف يمكن لله أن يخلق هذا القطيع من الأولاد

الذين. . .» بدا أن فانغر قد أضاع لبضع لحظات سياق تسلسل الأحداث وكان غارقاً في أفكاره. إلا أنه تابع كلامه بحسم متجدد قائلاً: «دعني أخبرك عن أخي ريشارد. وفكر في ما سأقوله على أنه نموذج بسيط من الرواية التاريخية التي أريد منك أن تكتبها.»

سكب المزيد من القهوة في فنجانه.

وأضاف: «في العام 1924، أي في سن السابعة عشرة كان أخي ريشارد من القوميين المتعصبين المعادين للسامية. انضم إلى رابطة الاشتراكيين الوطنيين الأحرار السويدية التي تعتبر أولى المجموعات النازية في السويد. أليس مذهلاً كيف أن النازيين ينجحون دائماً في تبنّي كلمة 'حرية'؟»

سحب فانغر ألبوم صورٍ آخر وتصفّحه إلى أن وصل إلى الصفحة التي كان يبحث عنها قائلاً: «ها هو ريشارد مع الطبيب البيطري بيرجر فوروغارد الذي سرعان ما أصبح قائد ما يُعرف بحركة 'فوروغارد' أو الحركة النازية الضخمة التي نشأت أوائل الثلاثينيات. إلا أن ريشارد انفصل عنه وانضم بعد بضع سنوات لاحقة إلى منظمة القتال الفاشي السويدية المعروفة بـ SFBO، وهناك تعرّف إلى بير انغدال وآخرين أصبحوا فيما بعد عاراً على الأمة.»

قلب صفحة الألبوم فظهر ريشارد فانغر بالزي العسكري.

«انخرط في صفوف الجيش مخالفاً بذلك رغبة والدنا، وشق طريقه في الثلاثينيات في صفوف غالبية المجموعات النازية في البلاد. يمكنك أن تكون واثقاً أن اسمه كان وارداً على جدول النشاطات الخاصة بكافة المنظمات التآمرية الموتورة التي كانت موجودة في ذلك الوقت. تأسست عام 1933 حركة 'ليندولم' أي حزب العمال الاشتراكي الوطني. ما مدى معرفتك بتاريخ النازية في السويد؟»

«لست بمؤرخ لكني قرأت بعض الكتب الخاصة بهذا الموضوع.»

«اندلعت عام 1939 الحرب العالمية واشتعلت عام 1940 حرب الشتاء

في فنلندا. انضم عدد كبير من مناصري حركة 'ليندولم' إلى صفوف المتطوعين الفنلنديين. كان ريشارد أحد هؤلاء المتطوعين وكان في ذلك الوقت قائداً في الجيش السويدي. قتل في فبراير من العام 1940، مباشرةً قبل توقيع معاهدة السلام مع الاتحاد السوفياتي، وأصبح بالتالي أحد شهداء الحركة النازية وتمت تسمية إحدى مجموعات القتال باسمه. حتى إنه إلى اليوم تقوم حفنة من الأغبياء بالتجمع حول قبره في ستوكهولم كل سنة تكريماً لذكرى وفاته.»

«أفهم ذلك.»

«في عام 1926 حين كان في التاسعة عشرة من عمره، كان يخرج برفقة فتاة تدعى مارغريتا وهي ابنة أحد الأساتذة في فالون. كانا قد التقيا في إطار إحدى الاجتماعات السياسية ونشأت بينهما علاقة أدت إلى إنجاب طفلٍ صبي اسمه غونفريد، وذلك في العام 1927. تزوج الثنائي عند ولادة الطفل. خلال النصف الأول من الثلاثينيات أرسل أخي زوجته وابنها ليعيشا هنا في هيديستاد بينما تمركز هو مع كتيبته في غافلي. كان يسافر متجولاً في أوقات فراغه داعياً للنازية ومروِّجاً لأفكارها. عام 1936 حصل شجار عنيف بينه وبين والدي أسفر عن قيام أبي بقطع الإمداد المالي عنه. اضطر ريشارد بعد ذلك إلى كسب معيشته بنفسه. فانتقل مع عائلته إلى ستوكهولم حيث عاشوا في حالة فقرٍ نسبياً.»

«ألم يكن لديه ماله الخاص؟»

«الإرث الذي كان لديه في المؤسسة كان مشروطاً. إذ لم يكن قادراً على بيع حصته لأي شخصٍ آخر خارج أفراد العائلة. وأسوأ من أوضاعهم المعيشية الضيقة كانت أطباع ريشارد الوحشية داخل منزله إذ كان يضرب زوجته ويسيء معاملة ابنه. كبر غونفريد في جوٍّ من الخوف والمضايقة، كان بعمر الثالثة عشرة حين قتل أبوه. أظن أن ذلك كان أسعد أيام حياته. أشفق والدي على الأرملة وطفلها وجلبهما للعيش هنا في هيديستاد حيث وجد شقةً لمارغريتا وحرص على أن تعيش حياة كريمة. ولئن كان ريشارد

يجسد الناحية القائمة المتعصبية للعائلة فابنه غوتفريد كان مثالاً للطبع الكسول المتبلد. حين بلغ سن الثامنة عشرة، قررتُ أخذه تحت جناحي ورعايته، فقد كان في النهاية ابن أخي المتوفى وعليك أن تأخذ في الحسبان أن فارق العمر بين غوتفريد وبيني لم يكن كبيراً. إذ لم أكن أكبره سوى بسبع سنوات، لكني كنت مع ذلك أحد أعضاء مجلس إدارة الشركة وكان واضحاً أني كنت الشخص الذي سيسلمه أبي إدارة الشركة. في حين كان يُنظر إلى غوتفريد على أنه غريب ليس إلا.»

استغرق فانغر في التفكير لحظةً ثم قال: «لم يكن أبي يعرف حقاً كيف يتعامل مع حفيده ذاك، لذا كنت أنا من أمّن له وظيفة في الشركة وكان ذلك بعد الحرب. كان يحاول القيام بعملٍ ذي فائدة لكنه كان كسولاً. تميز بجاذبيته وحلوِ معشره، كما كانت له طريقته الخاصة في التعامل مع النساء. ومرت فترات في حياته كان يكثر فيها من تناول الكحول. لا يسهل وصف مشاعري حياله... لم يكن من النوع الذي لا ينفع للقيام بشيء لكنه كان من النوع الاتكالي وغالباً ما كان يخيب أملي إلى حدٍّ بعيد. تحوّل مع مرور السنوات إلى مدمن على الكحول وتوفي في العام 1965، كان ضحية حادثة غرق عرضية. حصل ذلك على الطرف الآخر من جزيرة هيديبي حيث كان يملك كوخاً صغيراً وحيث اعتاد كذلك أن يختبئ ويشرب حتى الثمل.»

قال بلومفيست مشيراً إلى الصورة على الطاولة: «إنه إذاً والد هارييت ومارتن؟» وكان عليه أن يعترف بتردد أن قصة العجوز مثيرة للاهتمام.

«صحيح. في أواخر الأربعينيات التقى غوتفريد فتاة ألمانية اسمها إيزابيلا كوينغ التي قدمت إلى السويد بعد الحرب. كانت في غاية الجمال أعني أنها كانت تشرق جمالاً بما يشبه 'غاربو' أو 'إنغريد برغمان'. لعل هارييت تحمل في جيناتها من خصائص أمها أكثر مما ترث عن أبيها. فكما ترى من الصورة كانت الفتاة جميلةً حتى وهي بعمر الرابعة عشرة.»

أخذ كل من فانغر وبلومفيست يتأملان الصورة.

«لكن دعني أكمل. ولدت إيزابيلا عام 1928 وهي لا تزال على قيد الحياة. كانت في الحادية عشرة عندما بدأت الحرب، يسعك أن تتصور كيف هو الأمر بالنسبة إلى مراهقة تعيش في برلين أثناء القصف الجوي. لا بد أنها شعرت بأنها في الجنة عندما وطئت قدماها أرض السويد. كانت لسوء الحظ تشارك غوتفريد العديد من علّاته، فكانت تتميز بالكسل وترتاد الحفلات من دون انقطاع. جابت أنحاء واسعة من السويد وقامت برحلات إلى خارج البلاد، وكانت تفتقر إلى أي إحساس بالمسؤولية مما ترك أثره الواضح على الولدين. ولد مارتن عام 1948 ثم هارييت عام 1950. تميزت طفولتهما بالفوضوية مع أم لا تنفك تتركهما وأب بحالة سكر شبه دائمة.

عام 1958 طفح كيلي وقررت محاولة كسر الحلقة المفرغة. كان غوتفريد وإيزابيلا يعيشان في هيديستاد في ذلك الوقت فأصررت على أن ينتقلا للعيش هنا. إذ كان كل من مارتن وهارييت متروكين لتدبر أمورهما بنفسيهما.»

نظر فانغر إلى الساعة للتحقق من الوقت.

«تكاد نصف الساعة التي منحتني إياها تنتهي لكنني على وشك الوصول إلى نهاية القصة. هلا تمنحني مهلةً لأكمل.»

أشار بلومفيست بالموافقة.

«سأختصر إذاً. لم تكن لدي ذرية، على خلاف أشقائي وأفراد عائلتي الآخرين الذين كانوا مهووسين على ما يبدو بالانتشار وزيادة عدد أبناء عائلة فانغر. انتقل غوتفريد وإيزابيلا للعيش هنا فعلاً إلا أن زواجهما كان يتخبط على صخور المشاكل المتلاحقة. بعد عام واحد فقط عاد غوتفريد للعيش في الكوخ. كان يمكث هناك وحيداً ولا يعود إلى إيزابيلا إلا حين يصبح الطقس هناك شديد البرودة. صرت أهتم بمارتن وهارييت اللذين أصبحا بطريقة أو بأخرى الولدين الذين لم أنجب.

كان مارتن ولأقول لك الحقيقة في بعض من فترات شبابه يبعث فيّ

الخوف من أن يسير على خطى والده. كان ضعيف الشخصية، منطوياً على نفسه، غارقاً في حزن دائم. لكنه كان يتمكن أحياناً كذلك أن يكون مليئاً بالبهجة والحماسة. مرّ ببضع فترات من الاضطراب في سنوات مراهقته لكنه تمكن من السير باستقامة مع بدء سنوات الدراسة الجامعية. حسناً... إنه وبالرغم من كل شيء الرئيس والمدير العام لما تبقى من شركة 'فانغر'، مما يعود عليه بالفخر على ما أفترض.»

«وماذا عن هارييت؟»

«هارييت هي حدقة عيني. حاولت منحها الشعور بالأمان وتنمية ثقتها بنفسها فصار أحدنا يحب الآخر. كنت أنظر إليها على أنها ابنتي وباتت هي أقرب إليّ مما كانت لوالديها الحقيقيين. كما ترى، كانت هارييت مميزة جداً بالنسبة لي. وكأخيها كانت هارييت مصابة بالانطوائية، وأغرقت نفسها كمراهقة بقضايا دينية خلافاً لبقية أفراد العائلة. إلا أنها كانت تتمتع بموهبة واضحة وذكاء حاد، إضافة إلى المبادئ الأخلاقية والصلابة. حين كانت في الرابعة عشرة من عمرها أو في الخامسة عشرة، كنت مقتنعاً أنها هي دون سواها من بين المجموعة المكونة من أخيها وأبناء أعمامها وعماتها وأقاربها من ذوي القدرات العادية، المحيطين بي، مقدّر لها أن تدير أعمال شركة 'فانغر' يوماً ما، أو أن تلعب على الأقل دوراً مركزياً فيها.»

«ما الذي حصل إذاً؟»

«وصلنا الآن إلى السبب الحقيقي الذي يجعلني أوظفك. أريدك أن تكتشف لي مَن من أفراد العائلة قام بقتل هارييت. ومن ذا الذي أمضى السنوات الأربعين الماضية تقريباً يحاول دفعي إلى حافة الجنون.»

الفصل الخامس

الخميس، 26 ديسمبر

للمرة الأولى منذ بداية حديثه الطويل، نجح الرجل العجوز في إصابة بلومفيست بالدهشة. فاضطر الأخير إلى الطلب إليه تكرار ما قاله ليتأكد أن ما سمعته أذناه صحيح. لم يكن أي مقطع من مقاطع الحديث يشير إلى حصول جريمة ما.

«إنه الرابع والعشرون من سبتمبر عام 1966. كانت هارييت في السادسة عشرة من عمرها وقد بدأت للتو السنة الإعدادية الثانية في المدرسة. كان اليوم نهار سبت تبين أنه سيكون الأسوأ في حياتي. لقد كررت مسار الأحداث في رأسي مرات كثيرة بحيث صرت أستطيع أن أروي تفاصيل ما حصل ذلك اليوم دقيقة بدقيقة، عدا الأمر الأكثر أهمية الذي حدث.»

قام بحركة استعراضية ذات معنى، وقال: «هنا في هذا المنزل بالذات، كان يجتمع عدد كبير من أفراد عائلتي. كان ذلك بمناسبة إقامة العشاء السنوي البغيض. وهي أحد التقاليد التي أدخلها جدّ جدي إلى العائلة والتي تحولت في ما بعد إلى أبغض المناسبات وأمقتها. وصل التقليد إلى خواتيمه في الثمانينيات حين وضع مارتن ببساطة أحد القوانين التي تنص على أن تنحصر كافة النقاشات التي تتعلق بأمور العمل بالاجتماعات الدورية المنتظمة لمجلس الإدارة وتتم الموافقة عليها عبر التصويت. كان ذلك هو القرار الأفضل الذي اتخذه على الإطلاق.»

«قلت إن هارييت تعرضت للقتل. . . »

«انتظر. دعني أخبرك ما الذي حصل. كان نهار سبت كما سبق أن قلت لك. وكان كذلك هو اليوم المقرر لإقامة الحفل الموافق حصوله مع مهرجان عيد الطفل الذي ينظمه نادي الرياضة في هيدستاد. كانت هارييت قد ذهبت إلى البلدة خلال النهار لحضور العرض الاحتفالي مع بعض أصدقاء المدرسة. وقد عادت إلى جزيرة هيدبي بعد الساعة الثانية من بعد الظهر تماماً. كان يفترض بحفل العشاء أن يبدأ عند الساعة الخامسة عصراً، وكان يتوقع أن تشارك هي في الحفل مع بقية شبان أفراد العائلة من عمرها.»

نهض فانغر من مكانه وتوجه إلى النافذة. أومأ لبلومفيست الانضمام إليه وأشار له بإصبعه قائلاً: «عند الساعة الثانية والربع، بعد دقائق قليلة من عودتها إلى المنزل، حصل حادث درامي هناك في الخارج فوق الجسر. أحد الرجال ويدعى غوستاف آرونسون، هو شقيق أحد المزارعين في أوسترغاردن، وصاحب قطعة أرض صغيرة على جزيرة هيدبي انقلبت سيارته على الجسر واصطدمت مقدمتها بمقدمة شاحنة محملة بالوقود. كان واضحاً أن كلاهما كان يقود بسرعة قياسية، وما كان يفترض به أن يكون مجرد حادث اصطدام طفيف تحول إلى كارثة حقيقية. سائق الشاحنة الذي يُعتقد أن الحدس قاده ليوجه مقوده من أجل أن يبتعد بشاحنته ويتجنب الارتطام بالسيارة، اصطدم بحافة الجسر وانقلب الصهريج واستقر فوق الجسر وظل الصهريج متدلياً من فوق الحافة. وقد انغرز أحد أعمدة الدرابزين في خزان المحروقات وأخذ الوقود الحامي القابل للاشتعال يتدفق بقوة. كان آرونسون في هذه الأثناء مسمراً في مكانه داخل السيارة يصرخ من الألم. سائق الحافلة كان مصاباً أيضاً، لكنه نجح في إخراج نفسه من حجرة القيادة.»

عاد الرجل العجوز يجلس في كرسيه.

«ليس للحادث في الواقع علاقة مباشرة بهارييت لكنه كان يحمل

دلالة مهمة بشكل استثنائي. ما حدث بعد ذلك كان مجزرة حقيقية: هرع الناس على جانبي الجسر في محاولة منهم لتقديم المساعدة ومدّ يد العون للمصابين، كان خطر اشتعال النار وشيكاً منذراً بالخطر، وانطلقت صفارات الإنذار تملأ المكان. وبدأ يتوافد إلى المكان رجال الشرطة، وسيارات الإسعاف، وفرق الإنقاذ، وأفواج الإطفاء ومتفرّجون فضوليون. ومن الطبيعي أن يكون الكل مجتمعاً عند جهة البر في حين أن المتواجدين على الجزيرة بذلوا ما في وسعهم لمحاولة إخراج آرونسون من بين الحطام. وهو أمر لاقى تنفيذه صعوبة هائلة، إذ كان الرجل عالقاً ومصاباً بجروح بالغة.

لجأنا إلى الحيلة لمحاولة فتح السيارة وتحرير المصاب بداخلها بأيدينا العارية، لكن ذلك لم ينجح. كان يجب أن نقوم بقطع هيكل السيارة أو تفكيكه لكي يتمكن الرجل من الخروج، إلا أنه لم يسعنا أن نخاطر في القيام بأي خطوة تهدد إشعال شرارة النيران. كنا نقف وسط بحر من الوقود، بالقرب من خزان حافلة مستلقية إلى جانبها. إن انفجر الخزان نُقتل جميعاً. استغرق الأمر وقتاً طويلاً قبل أن تمكنا من الحصول على المساعدة من جهة البر، إذ كانت الشاحنة تحتل عرض الطريق فوق الجسر تماماً وكان العبور فوقها أشبه بالدوس على قنبلة موقوتة.»

لم يستطع بلومفيست أن يقاوم الشعور بأن العجوز كان يسرد على مسامعه أحداثاً تمرّن على أدائها بإتقان دون إغفال أي من التفاصيل، متعمداً إثارة اهتمامه. كان امتياز الرجل كراوٍ، أمراً لا جدال حوله. لكن من ناحية أخرى كان لا بدّ من التساؤل إلى أين تقود أحداث تلك القصة؟

«الأمر المهم بخصوص الحادث هو أن الجسر ظل مقفلاً طوال أربع وعشرين ساعة. ومضى نهار الأحد بطوله قبل أن يتم تنظيف آخر أثر للوقود عن الأرض. وبات بالإمكان اللجوء لاستعمال الرافعة لفتح طريق الجسر أمام السيارات. خلال الساعات الأربع والعشرين تلك، كادت جزيرة هيديبي تكون معزولة بالكامل عن العالم. والطريقة الوحيدة للعبور

إلى البرّ كانت تقضي باستعمال قارب لإطفاء الحرائق تمّ استقدامه لنقل الأشخاص من المرفأ الذي لا يتسع إلا للقوارب الصغيرة على هذا الجانب، إلى ناحية المرفأ القديم الواقع أسفل الكنيسة. اقتصر استعمال القارب لساعات طويلة على فرق الإنقاذ دون سواهم. ولم يبدأ نقل سكان الجزيرة المنقطعين عن بقية العالم إلا في وقت متأخر من ليل السبت. هل تفهم المغزى من وراء ذلك وأهميته؟»

أجاب بلومفيست: «أفترض أن شيئاً ما حدث لهارييت هنا على الجزيرة. ولائحة المشتبه بهم تضم العدد اللامتناهي من الأشخاص الذين كانوا محتجزين هنا. إنه أشبه بنوع من ألغاز الغرفة المقفلة التي تتخذ شكل الجزيرة، أليس كذلك؟»

ابتسم فانغر بمرارة وقال: «لا تعلم إلى أي مدى أنت محق يا ميكائيل. على الرغم من أني قرأت كل ما كتبته دوروثي سايرز، لا تزال تلك هي الحقائق: وصلت هارييت إلى الجزيرة حوالى الساعة الثانية وعشر دقائق. وإن كنا سنحتسب الأولاد والضيوف غير المتزوجين، فإن العدد الكلي كان يفوق الأربعين من أفراد العائلة الذين وصلوا تباعاً على مدى ساعات النهار. إضافة إلى الخدم والمقيمين في المنزل أصلاً، كان هناك أربعة وستون شخصاً آخر موجودين في المكان هنا أو في محيط المزرعة. البعض منهم، أي أولئك الذين كانوا سيمضون الليلة، كانوا مشغولين بترتيب أمورهم، ووضع أغراضهم في منازل المزرعة المجاورة أو في غرف الضيوف.

كانت هارييت من الأشخاص الذين كانوا يقيمون سابقاً في المنزل القائم على الجانب الآخر من الطريق. لكن، ونظراً لأن كلاً من غوتفريد وإيزابيلا لا يقيمان في المكان بشكل دائم، ولأنه كان يمكن للمرء أن يرى بوضوح مدى الحزن الذي يسببه ذاك للفتاة، ويترك أثراً سلبياً على مسار دراستها، وإلى كل ما هنالك، قررت في العام 1964 عندما بلغت الرابعة عشرة من عمرها أن أرتب لانتقالها للعيش في هذا المنزل. فكرت إيزابيلا

في أن إعفاءها من مسؤولية الاهتمام بابنتها أمر لابأس به. كانت سنتان قد مضتا على إقامة هارييت في المنزل. لذا كانت هناك في ذلك اليوم، نعلم أنها التقت أخي الأكبر، هارالد في الساحة وتبادلا بعض الكلمات. ومن ثم صعدت السلالم إلى هذه الغرفة وألقت التحية عليّ. وقالت إنها تريد أن تحدثني بأمر ما، لكنني انشغلت بأفراد العائلة الآخرين الذين بدأوا بالتوافد ولم أحظَ بأي فرصة للتحدث معها على انفراد. كانت تبدو مضطربة وقلقة وقد وعدتها أن آتي إلى غرفتها حين يتسنّى لي بعض الوقت. غادرت الغرفة عبر هذا الباب فكانت تلك المرة الأخيرة التي رأيتها فيها. إذ بعد لحظات من مغادرتها حصل حادث التحطم الرهيب على الجسر وما تلاه من ضوضاء وغوغائية خرّب كافة خطط النهار.»

«كيف ماتت؟»

«الأمر كثير التعقيد، ويفرض عليّ رواية الأحداث بالتسلسل الزمني الذي حصلت فيه. حين وقع الحادث ترك الناس ما بين أيديهم من أعمال وهرعوا إلى الموقع. أنا... أظن أني انهمكت على مدى الساعات القليلة التي تلت الحادث، وتوليت مسؤولية المساعدة بحماسة في عمليات الإنقاذ والتنظيفات. نزلت هارييت إلى الجسر فور وقوع الحادث، لقد رآها كثيرون، لكن خطر حدوث انفجار دفعني لأن آمر كل من ليس له عمل في المساعدة بإخراج آرونسون من السيارة الابتعاد إلى الوراء. لم يبقَ سوى خمسة منا بجانب السيارة، حيث بقيت أنا وأخي هارالد. وكان هناك رجل يدعى ماغنوس نيلسون وهو أحد العمال لدي. كما كان هناك عامل منشرة يدعى سيكستن نوردلاندر يملك منزلاً بالقرب من مرفأ صيد السمك، إضافة إلى رجل آخر يدعى جيركير آرونسون لا يبلغ من العمر سوى ستة عشر عاماً. كان يفترض بي أن أبعده عن موقع الحادث لكنه كان ابن أخ غوستاف الموجود في السيارة.

عند الساعة الثانية وأربعين دقيقة تقريباً، كانت هارييت هنا في مطبخ هذا المنزل. شربت كوباً من الحليب وتحدثت بشكل مقتضب إلى

آستريد، الطاهي الذي يعمل لدينا. وأخذا يراقبان الجلبة الحاصلة عند الجسر من النافذة.

وعند الساعة الثانية وخمس وخمسين دقيقة، اجتازت هارييت الساحة. لقد رأتها إيزابيلا. بعد دقيقة واحدة التقت أوتو فالك، راعي أبرشية هيديبي. في ذلك الوقت، كانت دار الأبرشية، تقع حيث هي فيلاّ مارتن فانغر اليوم، وكان الراعي يعيش على هذه الجهة من الجسر. كان الراعي في سريره يتعافى من إصابة بالزكام حين وقع الحادث، ففاته أن يشهد الأحداث الدرامية بشكل مباشر، إلا أن أحدهم اتصل به وأخبره بما يحصل وكان في طريقه إلى الجسر حين أوقفته هارييت على الطريق. من الواضح أنها كانت تريد أن تخبره شيئاً ما، لكنه لوّح لها بيده مبعداً إياها عن طريقه وأكمل سيره مسرعاً. كان فالك آخر من رآها على قيد الحياة.»

سأله بلومفيست مجدداً: «كيف ماتت؟»

«لا أعرف.» أجابه فانغر ومزيج من الاضطراب والقلق يسيطر على ملامحه. ثم تابع يقول: «لم نتمكن من إخراج آرونسون من السيارة حتى الساعة الخامسة عصراً، وقد نجا بالمناسبة مع أنه لم يكن بحالة جيدة في البداية، وكان خطر اندلاع حريق قد زال بعد الساعة السادسة. كانت الجزيرة في ذلك الوقت لا تزال مقطوعة عن العالم، لكن الأمور مع ذلك أخذت تهدأ نوعاً ما. لم يلاحظ أحد غياب هارييت إلا حين جلسنا إلى المائدة لتناول العشاء الذي تأخر كثيراً حتى الساعة الثامنة. أرسلت أحد بنات عمي لإحضار هارييت من غرفتها لكنها عادت تقول إنها لم تجدها هناك. لم يشغل الموضوع بالي كثيراً إذ ظننت أنها قد ذهبت في نزهة طويلة ولم يخبرها أحد أنه قد تم تعديل موعد العشاء. وكنت مضطراً أثناء السهرة أن أخوض في الكثير من النقاشات والجدالات مع أفراد العائلة. فقط، حين ذهبت إيزابيلا في صباح اليوم التالي لتحضرها أدركنا أن لا أحد يعرف مكانها وأن أحداً لم يرها منذ اليوم السابق.»

رفع ذراعيه وفتحهما واسعاً بدهشة يقول: «ومنذ ذلك اليوم اختفت

هارييت دون أن يبدو لها أي أثر.»

ردّد بلومفيست كلمة فانغر بلهجة السؤال قائلاً: «اختفت؟»

«لم نتمكن طوال تلك السنوات أن نجد لها أي أثر مهما كان نوعه.»

«لكن إن كانت قد اختفت كما تقول، فلا يمكن أن تكون واثقاً أنها تعرضت للقتل.»

«أتفهّم اعتراضك على افتراضي وقولك إنه ليس بالضرورة أن تكون قد قتلت. لطالما راودتني هذه الأفكار وطالما فكرت أنها تتماشى مع ما تقوله لي الآن، لكن حين يحصل اختفاء أحد الأشخاص هكذا من دون أن يترك أي أثر وراءه، فهناك واحد من أربعة احتمالات يمكن أن يكون قد حدث. يمكن أن تكون قد رحلت بناء على رغبتها الخاصة وبقرار حرّ منها واختبأت في مكان ما عن أعين الناس. ويمكن أن تكون قد تعرّضت لحادث ما أودى بحياتها. كما يمكن أن تكون قد انتحرت. وأخيراً، يمكن أن تكون ضحية جريمة قتل ما. سبق لي أن قيّمت كافة هذه الاحتمالات.»

«لكنك تؤمن أن أحدهم قد تعمّد التخلّص من هارييت، لماذا؟»

رفع فانغر إصبعه في الهواء وقال: «لأنه الاستنتاج الوحيد المنطقي. لقد تأملت منذ بداية الأمر أن تكون قد هربت من تلقاء نفسها. لكن مع مرور الأيام، أدركت أن هذا مستبعد. أعني، كيف يمكن لفتاة في السادسة عشرة من عمرها، آتية من عالم محتضن إلى هذا الحدّ، حتى لو كانت فتاة قوية قادرة، أن تتمكن من تدبّر أمورها وحدها؟ كيف يمكن لها أن تبقى مختبئة دون أن يتم اكتشاف أمرها؟ من أين لها أن تحصل على المال الكافي لتعيش؟ حتى لو كانت قد حصلت على وظيفة لها بالفعل في مكان ما، فلا تزال بحاجة إلى بطاقة ضمان اجتماعي وعنوان إقامة لها.»

رفع إصبعين وقال: «الفكرة الثانية التي راودتني تفترض إمكانية تعرّضها لحادث ما. هلاّ تسديني خدمة؟ اذهب إلى الطاولة وافتح الدُّرج الأول. تجد خارطة هناك.»

فعل بلومفيست كما طُلِب إليه وفتح الخارطة المطوية وبسطها فوق طاولة تقديم القهوة. كانت جزيرة هيدبي عبارة عن أرض غريبة الشكل بطول يقارب الميلين وعرض يبلغ حوالي الميل كحدّ أقصى. كانت الغابة تغطي الجزء الأكبر جداً من الجزيرة. وكانت هناك مساحة ينتشر فيها البناء بجانب الجسر وحول المنزل الصيفي الصغير على المرفأ. أما على الناحية الأخرى من الجزيرة، فكان هناك عقار صغير، هو أوسترغاردن المكان الذي انطلق منه آرونسون المسكين بسيارته.

قال فانغر: «تذكر أنه لم يكن بإمكانها مغادرة الجزيرة، يمكن أن تموت بحادث ما على جزيرة هيدبي كما في أي مكان آخر. يمكن أن يصعقك البرق ويودي بحياتك، لكن لم تكن هناك أي عاصفة رعدية ذلك اليوم. يمكن أن تلاقي حتفك بالوقوع عن ظهر حصان أو أن تسقط في بئر ما أو تتعثر وتنزلق في شق صخري. ما من شك أن هناك مئات الطرق التي قد توقعك ضحية حادث ما هنا. لقد فكرت في معظم تلك الطرق.»

رفع ثلاث أصابع.

«ليس هناك أمر واحد مؤكد في كل ما سبق ذكره، وهذا ينطبق على الاحتمال الثالث كذلك الذي يقول إن الفتاة وخلافاً لكل المؤشرات، ربما تكون قد انتحرت. فلا بدّ أن تكون جثتها في مكان ما من هذه البقعة المحصورة الحدود.»

خبط فانغر بقبضته على الخارطة أمامه، وقال: «خلال الأيام التي تلت اختفاءها، بحثنا في كل مكان محتمل ومشطنا المنطقة بأسرها. لقد انكبّ الرجال على التفتيش في كل حفرة، والبحث في كل متر من الأرض وفوق الصخور وتحت كل شجرة منزوعة من الجذور. فتشنا داخل كل بناء ومدخنة وبئر ومزرعة وكوخ.»

أبعد الرجل العجوز ناظريه عن بلومفيست وحدّق في الظلمة التي تعمّ المكان خارج النافذة. ثم غدا صوته منخفضاً وأشدّ حميمية.

«فتّشت عنها فصل الخريف بطوله، حتى بعد أن توقفت فرق البحث

عن العمل واستسلم الجميع وأصيبوا باليأس. حين لم أكن منكباً على عملي، كنت أذرع الجزيرة ذهاباً وإياباً في نزهات طويلة. حلّ فصل الشتاء ولم نكن قد وجدنا لها أثراً بعد. تابعت عمليات التفتيش في الربيع إلى أن أدركت إلى أي مدى كان بحثي سخيفاً، مخالفاً للمعقول. وحين حل الصيف وظّفت ثلاثةً من حراس الأحراش الأشداء ذوي الخبرة فأعادوا البحث من بدايته مصحوبين بكلاب صيد. مشطوا كل قدم مربع من الجزيرة. وبدأت أفكر حينها أنه لا بد من أن يكون أحدهم قد قتلها، فجعلتهم يفتشون كذلك عن قبرٍ ما. ظل العمل مستمراً طوال ثلاثة أشهر. ولم نجد أي أثرٍ مطلقاً للفتاة وكأنها قد تبخرت في الهواء.»

فكر بلومفيست قائلاً: «يسعني التفكير في عدد من الاحتمالات الممكنة هنا.»

«دعنا نستمع لها إذاً.»

«يمكن لها أن تكون قد غرقت، إما عبر حادثة ما أو بنحو متعمد. نحن هنا على جزيرة ويمكن للمياه أن تخفي في أعماقها أي شيء.»

«صحيح ما تقول، لكنه ليس بالاحتمال الوارد كثيراً. لتفكر في الأمر التالي: إن كانت هارييت قد تعرضت لحادثٍ ما وغرقت فعلاً، فمن المنطقي أن يكون قد حصل ذلك في المحيط القريب للقرية. تذكر أن الضوضاء والاهتياج اللذين سادا منطقة الجسر كانا من أكثر الأمور الباعثة على الإثارة والاهتمام على جزيرة هيديبي منذ عقودٍ كثيرة. لم يكن ذلك بالوقت المناسب الذي تفكر فيه فتاة في السادسة عشرة من العمر تتمتع بإحساسٍ عادي من الفضول أن تذهب في نزهةٍ إلى الجهة الأخرى من الجزيرة. لكن الأمر الأكثر أهميةً هو عدم وجود تيارات قوية في هذا المكان وأن الرياح في ذلك الوقت من العام، تهب من الشمال أو الشمال الشرقي. وإن سقط أي شيء في الماء فلا بدّ أن يظهر في مكان ما على طول الشاطئ الممتد على ناحية البر، والمكان ممتلئ بالأبنية السكنية هناك. لا تظن أننا لم نفكر في الأمر من قبل. لقد مشّطنا كافة النقاط

والمواقع التي ظننا أنها قد تكون ذهبت إليها على طول الشاطئ. كما وظفت شباناً من نادي الغطس هنا في هيدستاد للبحث في أعماق المياه. وقد أمضوا ما تبقّى من الموسم في تمشيط قعر البحر والتفتيش على طول الشاطئ... لذا أنا مقتنع أنها لم تغرق، لو أنها فعلت لكانت جثتها طفت على سطح المياه، وعثرنا عليها.»

«لكن ألا يمكن أن تكون قد أصيبت بحادث ما في مكان آخر؟ فالجسر كان مقفلاً بالطبع، لكن المسافة المؤدية إلى البر ليست بعيدة. لعلها قد سبحت نحو البر أو ذهبت عبر مركب.»

«كان ذلك في سبتمبر والمياه كانت شديدة البرودة بحيث يصعب على هارييت الذهاب سباحة خاصة في وسط كل تلك الضوضاء والفوضى. لكن إن خطر لها فجأة أن تقطع المسافة سباحة للوصول إلى الجهة الأخرى من البرّ، فكان لا بدّ أن يراها أحدهم بل وأن تلفت أنظار الكثيرين. كان هناك عشرات الأعين المسلّطة على الجسر وكان هناك على اليابسة مئتان أو ثلاثمئة شخص على طول الشاطئ يراقبون المشهد.»

«أيمكن أن تكون قد استقلت مركباً ما؟»

«كلا، ففي ذلك النهار لم يكن هناك سوى ثلاثة عشر مركباً على جزيرة هيديبي. معظم المراكب التي تستعمل للسياحة والاستمتاع كانت جاهزة كذلك. وعند مرفأ المراكب الصغيرة، الموجود بالقرب من المباني كان مركبان من نوع 'بيتيرسون'. كما كان هناك سبعة مراكب تجديف 'إيكا' مرصوفة تسير على صفحة المياه، خمسة منها راسية عند الشاطئ. أسفل الأبرشية، كان أحد مراكب التجذيف راسياً عند الشاطئ والآخر في المياه. عند أوسترغاردن كان هناك مركب تجديف شراعي، ومركب آلي. لقد تمّ التحقق من كافة المراكب والتأكد من أن كلاً منها في الموقع الذي يفترض أن يكون فيه. فلو أنها جدفت هاربة في أحد المراكب، كان ينبغي لها أن تترك المركب على الجانب الآخر من الشاطئ.»

رفع فانغر يده ومدّ أصابعه الأربع.

«إذاً لم يعد هناك إلا احتمال واحد معقول، ألا وهو أن هارييت قد اختفت بشكل يخالف إرادتها. أي أن أحدهم قد قتلها وتخلّص من جثتها.»

أمضت سالاندر صباح الميلاد تقرأ كتاب ميكائيل بلومفيست المثير للجدل حول الصحافة المالية بعنوان «فرسان الهيكل: رواية تحذيرية للصحافيين الماليين». كان الغلاف عصرياً من تصميم كريستر مالم تظهر فيه صورة مبنى بورصة ستوكهولم.

كان مالم قد لجأ من أجل تصميم الغلاف إلى برنامج الـ Photoshop على الكومبيوتر ولم يكن يلزم سوى بضع لحظات ليدرك من ينظر إلى الصورة أن المبنى معلق في الهواء. كان غلافاً درامياً يُعد القارئ لمضمون المواضيع المطروحة في المجلة.

استطاعت سالاندر أن تلاحظ أن بلومفيست كاتب من النوعية الممتازة. كان أسلوب الكتاب صريحاً يشد القرّاء وحتى أولئك الذين لا يملكون أي دراية في متاهة الصحافة المالية، كان بإمكانهم أن يتعلموا شيئاً من قراءة الكتاب. كانت نبرة الكتاب حادة وساخرة لكن فوق كل شيء كانت مقنعة.

كان الفصل الأول من الكتاب نوعاً من إعلان حرب. لم يحاول بلومفيست تنميق كلامه. على مدى السنوات العشر الأخيرة، ظهرت في السويد مجموعة من الصحافيين الماليين السويديين الخاضعين المتزلفين غير الكفوئين المتفاخرين من غير وجه حق، ممن لا يسجل تاريخهم أي أثر للتفكير النقدي المثمر. وقد توصّل إلى هذه النتيجة لأنه لاحظ مرة تلو أخرى، أن العديد من الصحافيين يسعدون بتكرار عبارات المدراء رؤساء شركات المضاربة المالية من دون أي اعتراض عليها حتى لو كانت المعلومات الواردة مغلوطة أو مضللة. فإما أن الصحافيين كانوا من السذاجة وسهولة الانخداع مما يفترض تكليفهم بأعمال أخرى أو أنهم من الأشخاص الذين يخونون مهنة الصحافة عن إدراك ووعي تامين. لطالما

أعلن بلومفيست أنه يشعر بالخجل من أن يوصف بأنه صحافي مالي، لأنه بذلك يعرّض نفسه لخطر تصنيفه مع آخرين لا يعتبرهم مراسلين صحفيين على الإطلاق.

كان يقارن جهود الصحافيين الماليين بطريقة عمل ناقلي أخبار الجرائم أو المراسلين الأجانب. ويصف صرخة الاستنكار والغضب التي تنطلق من أحد المراسلين القضائيين لدى تلاوة حكم المدعي العام في جريمة قتل كأنه نص مُنزل من دون إجراء تقييم نقدي أو من دون مناقشة حجج هيئة الدفاع أو إجراء مقابلات مع عائلة الضحية قبل تكوين رأي حول ما هو معقول وما هو غير محتمل الوقوع. بالنسبة لبلومفيست، فإن القواعد ذاتها تنطبق على الصحافيين الماليين من دون شك.

تضمنت بقية فصول الكتاب سلسلة من الإثباتات والبراهين التي تدعم قضيته. وقد خصص فصلاً كاملاً مطولاً للتقارير التي تناولت إحدى الشركات الإعلانية التجارية في ستّ صحف يومية، إضافة إلى صحف متخصصة مثل *Financial Journal*، و*Dagens Industri*، وكذلك التقرير المالي الوارد على التلفزيون السويدي بعنوان 'A-ekonomi'. نقام أولاً بنقل وتلخيص ما أورده الصحافيون وكتبوه. ثم قارن ما قيل وكتب مع واقع الأمر. في معرض وصفه لتطور سير الشركة كان يطرح مرة بعد أخرى الأسئلة البسيطة التي يمكن أن يسألها أي صحافي يتمتع بالجدية في العمل والتي أغفلها جميع الصحافيين الماليين ولم يأتوا على ذكرها. كان ذلك عملاً متقناً من قبل بلومفيست.

وتطرق في فصل آخر من الكتاب إلى الـ IPO لبورصة «تيليا»، فكان هذا القسم هو الأكثر تهكماً وسخرية، انتقد بعنف بعض الكتاب الماليين مشيراً إليهم بالاسم، أحد هؤلاء كان ويليام بورغ الذي بدا أن بلومفيست يكنّ له عداوة خاصة. وفي الفصل الأخير أورد مقارنة بين مستوى كفاءة الصحفيين الماليين السويديين وبين كفاءة الصحافيين الأجانب. كما ضمّن الكتاب وصفاً لمدى جدية الصحافيين في صحيفتي *Financial Times*

و*The Economist* الصادرتين في لندن، وبعض الصحف المالية الألمانية التي أوردت مواضيع مشابهة. ولم تأتِ نتائج المقارنة لصالح الصحافيين السويديين. أما الفصل الأخير فتضمن موجزاً عن أبرز الاقتراحات التي يمكن اللجوء إليها لمعالجة الوضع المؤسف. في حين رجّعت الخاتمة صدى المقدمة، وجاء فيها:

> إذا كان كل مراسل صحفي معتمد في البرلمان يدعم، من دون حسٍّ نقدي، كافة القرارات المتخذة بغضّ النظر عن سخافتها أو أهميتها، وإذا أبدى أي صحافي سياسي ضعفاً مشابهاً في إطلاق الحكم الصائب، فيجب أن يصار إلى طرده أو نقله على الأقل إلى قسم لا يُحدِث فيه مثل هذا الضرر. ففي عالم التقارير المالية يبدو واضحاً غياب البعثات الصحفية المعروفة التي تضطلع بتحقيقات جدية وتقديم معطيات موضوعية للقراء، في حين يتم التصفيق لأسوأ المقالات والتي تحقّق أكبر النجاحات. على هذا النحو يتم خلق مستقبل السويد وما تبقّى من ثقة بالجسم الصحفي المهني تتم المساومة عليه.

لم تجد سالاندر صعوبة في فهم النقاش المحتدم في الكتاب حول منشورات 'Journalist' وبعض الصحف المالية، على الصفحات الأولى وفي الأقسام الخاصة بالشؤون المالية للصحف اليومية. وعلى الرغم من عدم ذكر سوى بضعة صحافيين بالاسم في الكتاب، فقد اعتقدت سالاندر أن حقل الصحافة كان ضيقاً بحيث يعرف الجميع من هم الأفراد الذين يقصدهم بلومفيست تماماً حين ينقل الكلام الذي ورد لهم في صحف معينة. لقد خلق بلومفيست لنفسه عدداً من الأعداء اللدودين، مما انعكس في التعليقات الشديدة اللهجة التي وردت في المحاكمة في قضية «وينرشتروم».

أغلقت الكتاب ونظرت في الصورة المطبوعة على الغلاف الخلفي

للكتاب، حيث صورة بلومفيست ذي الشعر الأشقر الداكن الذي تنساب منه خصلة على جبينه بعدم مبالاة، كأن الهواء قد لعب به وشعثه. أو كأن (وهذا أكثر قبولاً) كريستر مالم تقصّد التقاط هذه الصورة له. كان ينظر إلى عدسة الكاميرا وعلى فمه ابتسامة ساخرة وتعابير تتعمد ربما أن تكون ساحرة وصبيانية. *إنه رجل وسيم للغاية تنتظره ثلاثة أشهر في السجن.*

قالت سالاندر لنفسها: «مرحباً بلومفيست، أنت مسرور جداً بنفسك، أليس كذلك؟»

عند الغداء تناولت سالاندر هاتفها المحمول المزوّد بخدمة الإنترنت وأرسلت رسالة إلكترونية تقول: «هل لديك وقت؟» وقّعت باسم Wasp وأرسلتها إلى العنوان التالي: Plague_xyz_666@hotmail.com . ولمزيد من الحرص، أخضعت الرسالة لبرنامج الترميز PGP.

ثم ارتدت سروال جينز أسود وكنزة صوفية سميكة وسترة داكنة اللون وقفازين مناسبين وقبعة ووشاحاً وانتعلت حذاءً شتوياً ملائماً. ونزعت الأقراط من حاجبيها وجانبي أنفها، ووضعت أحمر شفاه زهري اللون وتحققت من مظهرها في مرآة الحمام. كانت تبدو كأي امرأة أخرى ذاهبة في نزهة خلال عطلة نهاية الأسبوع، كانت تعتبر أن ملابسها تنكرية بشكل يناسب المهمة التي ستقوم بها خلف خطوط العدو. سارت في النفق من زينكينسدام وصولاً إلى أوسترمالستروغ، متجهة نحو ستراندفاغن. وتهادت في مشيتها على طول مبنى القوات العسكرية المركزي تقرأ الأرقام الموجودة على المباني المجاورة. كادت تصلت إلى جسر ديورغاردن حين توقفت عن السير ونظرت إلى الباب الذي كانت تبحث عنه. اجتازت الشارع وانتظرت على مسافة بضعة أقدام من الباب المطل على الشارع.

لاحظت أن معظم الناس الذين كانوا يمشون في الطقس البارد في اليوم الذي يلي عيد الميلاد كانوا يسيرون على الرصيف عدا قليل منهم فقط يمشون بمحاذاته.

اضطرت للانتظار نصف ساعة قبل أن تظهر امرأة عجوز تتكئ على عكاز متجهة باتجاه دجوغاردن. توقفت المرأة عن السير وتأملت سالاندر بارتياب، فابتسمت لها سالاندر بالمقابل. ردّت العجوز بعكازها التحية ونظرت إليها وكأنها تحاول أن تتذكر متى رأت الشابة آخر مرة. استدارت سالاندر وابتعدت بضع خطوات كأنها كانت تنتظر أحدهم بفارغ الصبر وراحت تذرع الأرض ذهاباً وإياباً. وحين التفتت كانت السيدة قد وصلت إلى الباب وكانت تدخل الرقم السري ببطء في القفل المرمّز. ولم تجد سالاندر أي صعوبة في أن تلاحظ أن الرقم هو 1260.

انتظرت خمس دقائق إضافية قبل أن تتجه إلى الباب. كبست الأزرار المناسبة لإدخال الرقم السري وسمعت صوت فتح القفل. استرقت النظر إلى المدخل، فرأت كاميرا مثبتة في أحد الأماكن لأهداف أمنية لكنها تجاهلتها، إذ كانت من النوع الذي تعتمده شركة «ميلتون للأمن» والذي لا يعمل إلا إذا اشتغل جهاز الإنذار منبئاً بحصول عملية سطو أو هجوم على المكان. دخلت فوجدت إلى اليسار قفص مصعد قديم، وباباً آخر بقفل مرمّز. جرّبت إدخال الرقم 1260 مجدداً ففتح الباب على مدخل لسرداب التخزين وغرفة مليئة بالنفايات. كان المكان مهملاً جداً. أمضت ثلاث دقائق تتفحص زوايا السرداب وتدقق النظر حيث لاحظت وجود باب يفتح على غرفة ملابس. ثم استعملت مجموعة أدوات فتح أقفال كانت قد «استعارتها» من صانع أقفال شركة «ميلتون للأمن» فانفتح الباب على ما بدا لها أشبه بغرفة اجتماعات جمعية فيها مقعدان للرئاسة. في مؤخرة السرداب كانت هناك غرفة للاسترخاء والراحة. وأخيراً وجدت ما كانت تبحث عنه: غرفة علب الكهرباء الصغيرة للمبنى. تحققت من المدّادات وأجهزة القياس، وعلب فتائل الإشعال، وعلب التوصيلات الكهربائية وسحبت من جيبها كاميرا رقمية من نوع Canon لا يزيد حجمها على حجم علبة السجائر. والتقطت ثلاث صور.

وفي طريقها للخروج من المكان وقع نظرها على لائحة المقيمين في

المبنى إلى جانب المصعد ورأت اسم «وينرشتروم» ورقم شقته الموجودة في الطابق الأخير.

غادرت المبنى بخطى متسارعة نحو المتحف الوطني حيث توجهت إلى الكافيتيريا مباشرة لتناول بعض القهوة والحصول على بعض الدفء. وبعد حوالى نصف الساعة عادت إلى سودر وصعدت إلى شقتها.

كانت قد تلقّت جواباً على البريد الذي أرسلته إلى العنوان الإلكتروني Plague_xyz_666@hotmail.com. حين فككت الرمز عبر نظام الـPGP حصلت على مضمون الرسالة وهو الرقم: 20.

الفصل السادس

الخميس، 26 ديسمبر

كان بلومفيست قد تخطى الموعد الذي حدده بفترة طويلة. كانت الساعة تشير إلى الرابعة والنصف، ولم يكن هناك أمل في اللحاق بقطار بعد الظهر، ولكن كانت لا تزال لديه فرصة ركوب قطار التاسعة والنصف مساءً. وقف بجانب النافذة يفرك عنقه وهو يحدّق في واجهة الكنيسة المضاءة القائمة على الجهة الأخرى من الجسر. كان فانغر قد عرض له دفتر قصاصات يحتوي على مقالات من الصحف المحلية وما تناقلته وسائل الإعلام. كان هناك اهتمام إعلامي بالمسألة فترة من الزمن نظراً لأنها تتعلق باختفاء فتاة من عائلة مشهورة في عالم الصناعة. لكن حين لم يتم العثور عليها، ولم تسجّل التحقيقات أي تقدّم ملحوظ، بَهُتَ الاهتمام بالقضية تدريجياً.

على الرغم من أن تلك المسألة ترتبط بعائلة بارزة في المجتمع، فإن قصة «هاربيت فانغر» أصبحت طيّ النسيان بعد ستة وثلاثين عاماً من حصولها. والنظرية التي سادت مقالات أواخر الستينيات كانت تفترض أن الفتاة قد غرقت وجرفها التيار إلى البحر. كانت تلك مأساة حقيقية، لكنها يمكن أن تحصل لأية عائلة.

كان بلومفيست مذهولاً تماماً لسماع أحداث الرواية التي قصّها الرجل العجوز على مسمعه، لكن ما إن استأذن العجوز بحجة الدخول إلى المرحاض حتى عاد الشعور بالشك يسيطر على بلومفيست. لم يكن

الراوي قد وصل إلى النهاية بعد، وقد وعده بلومفيست أخيراً أن يصغي إلى كامل القصة.

حين عاد فانغر إلى الغرفة سأله بلومفيست: «ما الذي تظنه حصل لها؟»

«يعيش هنا عادة حوالى خمسة وعشرون شخصاً على مدار السنة. لكن بسبب تجمع أفراد العائلة كان هناك ما يزيد على ستين شخصاً على جزيرة هيديبي في ذلك اليوم. يمكن استثناء ما بين عشرين إلى خمسة وعشرين شخصاً من هذا العدد. أعتقد أن أحداً ما من البقية، وعلى الأرجح أنه شخص من أفراد العائلة قد قام بقتل هارييت وإخفاء جثتها.»

«لدي عشرات الاعتراضات على ما قلت.»

«فلأستمع إليها.»

«حسناً، الاعتراض الأول، لو أن أحدهم قام فعلاً بإخفاء الجثة، كان لا بدّ من العثور عليها بعد عملية البحث الدقيقة التي وصفتها لي.»

«كي أقول لك الحقيقة، كانت عمليات البحث أكثر كثافة مما وصفته لك. لم تكن كذلك إلى أن أخذت أفكر أن هارييت كانت ضحية جريمة ما وأفكر في الطرق الكثيرة التي كان يمكن أن تكون مسؤولة عن اختفائها. لا يعني إثبات ذلك، لكنه على الأقل يظل احتمالاً وارداً.»

«أخبرني بذلك.»

«هارييت اختفت قرابة الساعة الثالثة من بعد ظهر ذلك اليوم. حوالى الساعة الثانية وخمس وخمسين دقيقة رآها باستور فالك الذي كان يهرع نحو الجسر. وفي الوقت ذاته تقريباً وصل مصور فوتوغرافي يعمل لدى إحدى الصحف المحلية والتقط على مدار الساعة التالية لوصوله عدداً هائلاً من اللقطات الفوتوغرافية التي تصوّر الدراما. ونحن، أقصد الشرطة، عاينت الصور وأكدت أن هارييت لم تكن من بين الأشخاص الظاهرين في الصور. في حين أن كل من في البلدة ظهر على الأقل في واحدة من الصور، باستثناء الأطفال الصغار.»

تناول فانغر ألبوم صور آخر ووضعه على الطاولة. قال له: «تلك هي الصور التي تعود لذلك اليوم. الصورة الأولى التقطت في هيدستاد خلال مهرجان عيد الطفل. المصوِّر نفسه التقط هذه الصورة حوالى الساعة الواحدة وخمس عشرة دقيقة وها هي هارييت تظهر فيها.»

التقطت الصورة من الطابق الثاني لأحد المباني ويظهر فيها الشارع حيث تجري أحداث المهرجان، وتحديداً لدى مرور المهرِّجين والفتيات فوق الشاحنات بملابس السباحة. كان المتفرجون يجوبون الأرصفة. وأشار فانغر إلى صورة أحد الأشخاص المتواجدين بين الحشود.

«تلك هي صورة هارييت وقد التقطت قبل حوالى ساعتين من اختفائها. إنها مع أحد أصدقاء المدرسة في البلدة. وهذه آخر صورة التقطت لها. لكن هناك صورة أخرى أكثر إثارة للاهتمام.»

تصفَّح فانغر أوراق الألبوم وكان يضم حوالى مئة وثمانين صورة لحادثة الجسر موزّعة على خمس لفائف. بعد سماع الرواية صعُب عليه رؤية أحداثها فجأة موثقة بصور بالأبيض والأسود. كان المصور محترفاً وقد نجح في التقاط الصور المتعلقة بالحادث. عدد كبير من تلك الصور كان يركز على الأنشطة المحيطة بالشاحنة المقلوبة. لم يجد بلومفيست أي صعوبة في التعرف إلى الشاب هنريك فانغر الملطخ بالزيت الساخن وهو يشير بأصابعه ليفهم الفريق ما الذي يريده منه.

أشار الرجل العجوز إلى رجل يرتدي قميصاً بكمّين طويلين ينحني إلى الأمام ويوجه إصبعه إلى شيء ما داخل حطام سيارة أرونسون، وقال: «هذا أخي هارالد. صحيح أنه يمكن الا يكون شخصاً ودوداً لكني أظن أن من الممكن حذفه من لائحة المشتبه بهم. إلا أنه ولفترة قصيرة حين أسرع في العودة إلى المزرعة ليغير حذاءه أمضى طوال فترة بعد الظهر على الجسر.»

قلّب فانغر المزيد من الصفحات. وشاهدت الصور، واحدة تلو الأخرى، كانت إحداها تركز على شاحنة الوقود، وأخرى على الحضور

المتواجدين على الشاطئ. وثالثة على سيارة أرونسون. إضافة إلى بعض الصور العامة واللقطات القريبة المأخوذة بعدسة متطورة تكشف تفاصيل الأمور.

قال له فانغر: «هذه صورة مثيرة للاهتمام، إذ إننا نستطيع أن نحدد أنها التقطت بين الساعة الثالثة وأربعين دقيقة والثالثة وخمس وأربعين دقيقة، أو بعد حوالى خمسٍ وأربعين دقيقة من لقاء هارييت بفالك. ألقِ نظرة على المنزل، نافذة الطابق الثاني الوسطى. تلك هي غرفة هارييت. في الصورة السابقة كانت النافذة مغلقة، أما في هذه الصورة فهي مفتوحة.»

«لا بد أن أحدهم كان في غرفة هارييت.»

«لقد سألت الجميع، لم يشأ أحد الاعتراف بأنه قام بفتح النافذة.»

«هذا يعني أن هارييت قامت بفتحها بنفسها وأنها كانت لا تزال حية في تلك اللحظات، أو أن أحدهم يكذب عليك. لكن لماذا قد يذهب قاتل إلى غرفتها ويفتح النافذة؟ ولماذا قد يكذب أحدهم بهذا الشأن؟»

هزّ فانغر رأسه إذ لم يكن هناك أي تفسير واضح للأمر.

«اختفت هارييت في وقت ما قرابة الساعة الثالثة أو بعد هذا الوقت بزمن قصير. وهذه الصور تعطي انطباعاً عن مكان تواجد أشخاص محددين في ذلك الوقت. مما يجعلني أحذف عدداً منهم عن لائحة المشتبه بهم. ويجعلني أستنتج في الوقت نفسه أن بعض الأشخاص الذين لم يظهروا في الصور، ينبغي إضافتهم إلى اللائحة.»

«لم تجب عن سؤالي المتعلق برأيك حول احتمالات إخفاء الجثة. أدرك طبعاً أنه لا بدّ من وجود تفسير معقول. علّه يكون نوعاً من الخدع الوهمية القديمة الشائعة.»

«هناك في الواقع العديد من الطرق العملية الممكنة لتنفيذ الأمر. انقضّ المجرم على الضحية في وقت ما حوالى الساعة الثالثة. يفترض أن القاتل أو القاتلة لم يلجأ إلى استعمال أي نوع من الأسلحة، وإلا كانت

لتظهر آثار دماء. أظن أن هاريت تعرضت للخنق، وأفترض أن ذلك تمّ هنا خلف جدار الساحة، في مكان ما خارج نطاق رؤية المصور وفي نقطة مخفية عن المنزل. هناك ممر إن سلكت طريقاً مختصراً، إلى الأبرشية، حيث المكان الأخير الذي شوهدت فيه، والعودة منه إلى المنزل. اليوم هناك ممر زهور ضيق لكنه كان في الستينيات مغطى بالحصى والحجارة يستعمل كموقف للسيارات. كل ما كان على القاتل فعله هو فتح صندوق السيارة ووضع هاريت بداخله. حين بدأنا البحث على الجزيرة في اليوم التالي، لم يكن أحد يظن أن هناك جريمة ارتُكبت. ركزنا عمليات البحث على الشواطئ وداخل الأبنية والغابات الأكثر قرباً من القرية.»

«لذا لم يكن أحد يتحقق من وجود شيء ما داخل صناديق السيارات.»

«وفي الأمسية التالية كان القاتل يشعر بالحرية فقاد السيارة وتوجه نحو الجسر لإخفاء جثتها في مكان آخر بعيد.»

«تحت أعين كل أولئك الذين كانوا يقومون بأعمال البحث. إن كان ذلك ما حصل فعلاً، فإننا نتكلم عن مجرم يقتل بدماء باردة.»

أطلق فانغر ضحكة مريرة قائلاً: «ها قد أعطيت لتوّك وصفاً مناسباً تماماً لبضعة أفراد من عائلة فانغر.»

أكملا النقاش أثناء تناول العشاء عند الساعة السادسة تماماً. قدّمت لهما آنّا لحم الأرانب المحمر مع البطاطا وهلام الكشمش. سكب فانغر نبيذاً أحمر. كان لا يزال أمام بلومفيست متسع من الوقت للّحاق بآخر قطار. وخطر له بأنه حان الوقت لتلخيص الأمور.

«أعترف أن القصة التي أخبرتني بها مذهلة. لكنني لا أزال أجهل لماذا أردتني أن أسمعها.»

«لقد سبق أن أخبرتك لماذا أطلعتك على القصة. أريد أن أعلق الخنزير الذي قتل هاريت من عنقه. وأريد أن أوظّفك لتجد ذاك القاتل.»

«لماذا؟»

وضع فانغر السكين والشوكة من يده وقال: «اسمع يا ميكائيل، على مدى ستة وثلاثين عاماً كدت أصل مرات عديدة إلى حافة الجنون وأنا أتساءل ما الذي حصل لهارييت. وكنت أكرّس مع انقضاء السنوات المزيد من الوقت لكشف لغز القضية.»

صمت لبضع لحظات ونزع النظارة عن عينيه وأمعن النظر في بقعة غير مرئية على زجاج العدسة. ثم رفع نظره إلى بلومفيست، وتابع الحديث قائلاً: «لأصدقك القول تماماً، إن اختفاء هارييت كان السبب الرئيسي لانسحابي التدريجي من إدارة الشركة. لقد فقدت كل حافز. كنت أعلم بوجود قاتل ما قريب مني وكان قلقي خلال البحث عن الحقيقة قد بدأ يؤثر على أدائي في العمل. أسوأ ما في الأمر أن العبء لم يصبح أقل وطأة مع مرور الزمن، بل على العكس من ذلك، أصبح أكثر ثقلاً. وحوالى العام 1970 مرت فترة من الزمن شعرت فيها بالرغبة في البقاء وحيداً. ثم انضم مارتن إلى مجلس الإدارة واضطر لأن يتولى المزيد من الأعمال التي كنت أقوم بها. قدمت استقالتي في العام 1976 وتولى مارتن المنصب الذي كنت أشغله كرئيس ومدير عام للشركة. لا يزال لدي مقعد في مجلس الإدارة لكني لم أتخذ قرارات ذات أهمية منذ بلغت الخمسين. على مدى السنوات الستة والثلاثين الماضية، لم يمضِ يوم واحد، لم أفكر فيه ملياً في قصة اختفاء هارييت. لعلك تظنني مهووساً بالقضية، معظم أقاربي يظنون ذلك أيضاً.»

«كانت حادثة مثيرة للرعب.»

«كانت أكثر من هذا، كانت حادثة دمّرت حياتي. وهذا أمر أصبحت أكثر إدراكاً له مع مرور الوقت. هل تتمتع بسلامة عقل في التفكير في أمورك الخاصة؟»

«أعتقد ذلك. أجل.»

«أعتقد ذلك أيضاً. لا يسعني أن أنسى ما الذي حصل. إلا أن

دوافعي تغيرت مع الوقت. لعله كان الأسى في البداية ما دفعني لمحاولة ما حل بها. أردت أن أعثر عليها لأحظى بفرصة دفنها بشكل لائق. كان الأمر يتعلق حينئذ بتحقيق العدالة لهاريت.»

«وبأي معنى تغيرت تلك الدوافع؟»

«لقد تحولت الآن أكثر نحو إيجاد ذلك السافل الذي ارتكب الجريمة. لكن المضحك في الأمر هو أني كلما تقدمت في السن ازددت تعلقاً بالأمر. كأنه هوايتي المفضلة.»

«هواية؟»

«أجل، يسعني استعمال هذه الكلمة. حين توقفت تحقيقات الشرطة في القضية، تابعت أنا السير. وقد حاولت التقدم في القضية بشكل منهجي وعلمي، فجمعت كافة المعلومات التي استطعت العثور عليها بما في ذلك صور وتقارير الشرطة، كما قمت بتدوين كل ما أخبرني به الناس حول ما كانوا يفعلونه في ذلك اليوم. لذا أكون قد أمضيت فعلياً نصف حياتي في جمع معلومات خاصة بذلك اليوم.»

«أفترض أنك تدرك أنه بعد ستة وثلاثين عاماً يُحتمل أن يكون القاتل قد مات ودفن؟»

«لا أعتقد ذلك.»

رفع بلومفيست حاجبيه متعجباً من نبرة اليقين التي سمعها في صوت محدّثه.

«لِنُنهِ طعام العشاء ونَعُدْ إلى الأعلى. لا يزال هناك تفصيل آخر قبل أن أختتم الرواية. وهو التفصيل الأكثر إثارة للحيرة على الإطلاق.»

ركنت سالاندر سيارة الكورولا المزوّدة بجهاز الإرسال الآلي بالقرب من محطة سكة الحديد في صانديبرغ. كانت قد استعارت سيارة التويوتا تلك من موقف سيارات شركة «ميلتون للأمن». لم تكن قد طلبت الإذن

للقيام بذلك تماماً إلا أن آرمانسكي لم يمنعها يوماً بشكل واضح من استعمال سيارات شركة «ميلتون». خطر لها أنها عاجلاً أو آجلاً ستضطر للحصول على سيارة خاصة بها. كانت تملك إحدى الدراجات المستعملة من نوع 'Kawasaki-125'، تقودها في فصل الصيف. إلا أن الدراجة كانت تُمضي فصل الشتاء في العليّة.

سارت إلى هوغلينتافاغن، قرعت جرس المدخل عند الساعة السادسة تماماً. بعد بضع لحظات سمعت صوت تكتكة قفل البوابة المطلّة على الشارع قبل أن تفتح وتصعد طابقين آخرين وترن جرس الباب الذي كتب بجانبه اسم «سفينسون». لم تكن تملك أدنى فكرة عمن يكون سفينسون ذاك أو إن كان هناك أحد يعيش في هذه الشقة.

قالت: «مرحباً 'بلاغ'.»

«أهلاً 'واسب'. لا تأتين إلى هنا إلا إن كنت تريدين شيئاً.»

كانت الشقة مظلمة كالعادة ولم يكن هناك سوى ضوء مصباح وحيد يتسرب إلى القاعة من غرفة النوم التي كان يستعملها كمكتب للقيام بأعماله. كان طول الرجل الذي يكبر سالاندر ثلاث سنوات ستة أقدام وكان يزن حوالى ثلاثمئة وثلاثين باونداً. أما هي فطولها أربعة أقدام ووزنها تسعين باونداً ولطالما شعرت بأنها صغيرة جداً بجانب «بلاغ». كانت رائحة نتنة فاسدة تفوح من المكان.

«تفوح من المنزل رائحة توحي بأن القرود تسكنه، وهذا لأنك لا تستحم أبداً 'بلاغ'. إن صادف وخرجت يوماً، فقد أزودك بنصائح حول أنواع الصابون. يبيعون منها في 'كونسوم'.»

افتر ثغره عن ابتسامة باهتة لكنه لم يقل شيئاً. أشار إليها أن تتبعه إلى المطبخ. جلس في كرسي بالقرب من الطاولة من دون أن يشعل النور. الضوء الوحيد كان يتسرب إلى المطبخ، متسللاً عبر النافذة من المصباح الموجود في الشارع.

«أقصد أني لا أملك شهادات في مسألة الترتيب والتنظيف، لكن إن

كانت لديّ علب حليب قديمة نتنة تفوح منها رائحة الديدان فإني أجمعها وأرميها خارجاً.»

أجابها: «أنا أعيش على راتب التقاعد الخاص بالمعوّقين مما يعني أني غير كفؤ اجتماعياً.»

«لهذا السبب منحتك الحكومة هذا المكان ونسيت أمرك. ألا تخشى أن يشكوك الجيران للمفتشين؟ فينتهي بك الأمر في مزرعة للحيوانات.»

«هل لديك شيئاً لي؟»

فتحت سالاندر سحابة جيب سترتها وسلّمته خمسة آلاف كورون.

«هذا كل ما استطعت تأمينه. إنه مبلغ من مالي الخاص. ولا أستطيع في الواقع أن أخصص لك معاش إعالة.»

«ما الذي تريدينه؟»

«الكف الإلكتروني الذي حدثتني عنه منذ شهرين، هل حصلت عليه؟»

افتر ثغره عن ابتسامة وألقى صندوقاً على الطاولة.

«أرني كيف يعمل.»

أمضت الدقائق التالية تصغي باهتمام لكلامه، ومن ثمّ قامت بتجربة الكف بنفسها. قد يكون «بلاغ» شخصاً غير كفؤ اجتماعياً لكنه من دون أدنى شك عبقري.

انتظر فانغر إلى أن يجذب اهتمام بلومفيست مجدداً. نظر الأخير إلى ساعة يده وقال: «تفصيل آخر بعد، مثير للحيرة.»

قال له فانغر: «لقد ولدت أنا في الأول من نوفمبر. حين كانت هارييت في الثامنة من عمرها أهدتني وردة مجففة موضوعة في إطار.»

استدار فانغر حول الطاولة وأشار بإصبعه إلى الزهرة الأولى. كانت من نوع السنبل البري موضوعة في الإطار بطريقة غير متقنة.

«إنها الزهرة الأولى التي تلقيتها وكان ذلك في العام 1958.»

ثم أشار إلى زهرتين أخريين وقال: «وهذه تلقيتها في العام 1959، وهذه في العام 1960.» كانت إحدى هاتين الزهرتين من نوع رجل الغراب والثانية من نوع الأقحوان.

«أصبح ذلك تقليداً لديها. كانت تصنع الإطار في وقت ما من فصل الصيف وتحتفظ به حتى تاريخ مولدي. اعتدت أن أعلّق الأزهار على حائط هذه الغرفة. عام 1966 اختفت هارييت وانكسر التقليد.»

أشار فانغر إلى ثغرة في صفّ الأطر التي تحتوي الزهرات. فشعر بلومفيست بوبر عنقه يرتفع. كان الحائط مرصعاً بالأزهار المجففة.

«عام 1967، أي بعد عام واحد على اختفائها، تلقيت هذه الزهرة يوم عيد مولدي. كانت من نوع البنفسج.»

«كيف وصلتك الزهرة؟»

«كانت مغلّفة بما يسمونه 'ورق الهدايا'، وقد تم تسليمها بالبريد في مغلف آتٍ من ستوكهولم. لم يكن هناك عنوان يمكن إرسال الردّ إليه ولا كانت هناك رسالة مرفقة.»

قام بلومفيست بحركة مستعرضة مشيراً إلى الحائط وقال: «تعني أن ...»

«تماماً، تحديداً في عيد مولدي من كل عام. أتعلم ما الشعور الذي ينتابك حينئذ؟ إنها هدية مرسلة إليّ، كأن القاتل يتعمّد تعذيبي. أمرضني القلق الذي كنت أحسّه وأنا أفكر في أن إخفاء هارييت حصل لأن أحدهم كان يريد الانتقام مني. إذ لم يكن خافياً على أحد نوع العلاقة الخاصة التي بين هارييت وبيني ولم يكن سراً أني أعتبرها ابنة لي.»

سأله بلومفيست: «ما الذي تريده مني؟»

حين أعادت سالاندر سيارة الكورولا إلى موقف شركة «ميلتون» حرصت على الذهاب إلى المرحاض في الطابق الأعلى داخل المكتب.

استعملت بطاقتها لفتح الباب وأخذت المصعد إلى الطابق الثالث مباشرة لتفادي المرور عبر مدخل الطابق الثاني واللقاء بمأمور الدوام. استعملت المرحاض وسكبت فنجان قهوة من آلة صنع القهوة التي اشتراها آرمانسكي حين أدرك في النهاية أن سالاندر لن تعدّ القهوة لأحد إذا ما توقّع منها القيام بذلك وحسب. ثم ذهبت إلى مكتبها وعلّقت سترتها الجلدية فوق ذراع الكرسي.

كان مكتبها جزءاً من المكتب الأساسي منفصولاً بواسطة لوح زجاجي لا تتعدى مساحته بضعة أمتار مربعة. كان هناك فوق الطاولة جهاز كومبيوتر شخصي قديم الطراز من نوع Dell، إضافة إلى هاتف وكرسي واحد وسلة مهملات معدنية ورف للكتب. وكانت توجد على الرفّ مجموعة من الكتيبات ودليل يضم أسماء وعناوين وأرقام هواتف وثلاثة دفاتر بيضاء لتدوين الملاحظات. أما دُرْجا طاولة المكتب فكانا يحويان بعض أقلام الحبر وبعض ملاقط الأوراق ومفكّرة. عند حافة النافذة كان هناك وعاء تعيش فيه نبتة ذات أوراق بنية ذابلة. تأمّلت سالاندر تلك النبتة طويلاً، وكأنها المرة التي تراها فيها، ومشت إليها وحملتها ورمتها في سلة المهملات بإمعان.

نادراً ما يكون لديها عمل تقوم فيه داخل المكتب، لم تكن تزوره إلا بضع مرات خلال السنة. فقط حين تكون بحاجة إلى الجلوس وحدها من أجل إعداد تقرير ما ومراجعته قبل تسليمه. لقد أصر آرمانسكي أن يكون لها مكتبها الخاص. وكان يبرر إصراره هذا بالقول إنه بتخصيص مكتب خاص لها ستشعر بأنها جزء من الشركة ولو كانت تعمل بدوام حرّ. كانت تشك في أن آرمانسكي يأمل بهذه الطريقة أن يحظى بفرصة لمراقبتها عن كثب والتدخل في شؤونها. تم إعطاؤها في البداية مساحة للعمل في مكان بعيد في الرواق في غرفة أكبر مساحة كان يُفترض بها أن تتشاركها مع زميل لها، لكن بما أنها لم تكن تتواجد في المكتب إطلاقاً قرر آرمانسكي نقلها إلى حجرة صغيرة في آخر الرواق.

سحبت الكف الإلكتروني وأخذت تنظر إليه وتعضّ شفتها السفلى في حركة تدلّ على استغراق في التفكير.

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة وكانت وحدها في الطابق. وقد انتابها شعور مفاجئ بالملل.

نهضت بعد برهة من مكانها ومشت إلى آخر الرواق وجرّبت أن تفتح باب مكتب آرمانسكي، لكنها وجدته مقفلاً. نظرت من حولها لترى إن كان هناك من يراها. إلا أن احتمال وجود أحد في الممرّ قرابة منتصف ليل السادس والعشرين من ديسمبر لم يكن وارداً. فتحت الباب بنسخة مزورة من البطاقة الخاصة بقفل مكتب آرمانسكي كانت قد كلّفت نفسها عناء تزويرها قبل عدة سنوات.

كان مكتب آرمانسكي واسعاً: أمام طاولة المكتب كان كرسيان للضيوف، وطاولة مؤتمرات كبيرة في الزاوية مع ثمانية كراسي. كان المكان مرتباً لا نقص فيه. مرّت فترة طويلة منذ أن تطفلت على مكتبه لكن بما أنها دخلته الآن... أمضت وقتاً لتوسيع معلوماتها حيال ما يتعلق بعملية البحث عن جاسوس مشتبه به داخل الشركة، والتعرف إلى هوية الزميل الذي زرع كعميل سرّي في قلب شركة مهددة بالتعرض للسطو على يد عصابة للسرقة. واطلعت على المعايير المتخذة سرّاً لحماية إحدى الزبائن الخائفات على ولدها من أن يخطفه أبوه.

قامت في النهاية بإعادة الأوراق كما كانت تماماً وخرجت من مكتب آرمانسكي وأقفلت الباب وراءها وتوجهت عائدة إلى المنزل. شعرت بالرضا عن سير أحداث النهار.

قال الرجل العجوز: «لا أعلم إن كنا سنتوصل إلى معرفة الحقيقة، لكنني أرفض أن أودِّع القبر من دون أن أحاول للمرة الأخيرة. أريد أن أعهد إليك بأن تعاين كل ما لدي من إثباتات لآخر مرة.»

أجابه بلومفيست: «هذا جنون.»

«ولماذا تعتبر الأمر جنوناً؟»

«سمعت ما يكفي عن الموضوع. أفهم أساك وحزنك يا هنريك لكن ينبغي أن أكون صادقاً معك. ما تطلبه منّي مضيعة للمال والوقت على حدّ سواء. إنك تسألني أن أستحضر حلاًّ للغز عجزت عن تفكيكه على مدى سنوات الشرطة والمحققون الذين يمتلكون مصادر أهم بكثير مما لدي أنا. ما تطلبه إليّ هو الكشف عن ملابسات جريمة بعد أربعين عاماً على ارتكابها. كيف سأتمكن من القيام بذلك؟»

قال له فانغر: «لم نناقش بعد مسألة الأجر الذي ستتقاضاه لقاء ذلك.»

«لن يكون هذا ضرورياً.»

«لا يمكنني إجبارك على القيام بشيء لكن اسمع لما سأعرضه عليك. سبق لفرود أن وضع نصّ عقد، يمكننا مناقشة تفاصيله. إلا أنه في المبدأ عقد بسيط لا يحتاج إلاّ إلى توقيعك.»

«هذا سخيف حقاً يا هنريك، لا أعتقد فعلاً أني أستطيع حلّ لغز اختفاء هارييت.»

«وفقاً للعقد، لن تكون مضطراً لذلك. كل ما يشترطه نص العقد هو أن تبذل قصارى جهدك. إن فشلت، ستكون تلك مشيئة الله، أو القدر إن كنت لا تؤمن بالله.»

أطلق بلومفيست تنهيدة من الأعماق. كان الإحساس بالضيق يزداد شيئاً فشيئاً وكل ما كان يرغب فيه في تلك اللحظة هو مغادرة هيديبي، لكنّه لانّ تحت وطأة الإصرار.

«حسناً، دعني أستمع لنص العقد.»

«أريدك أن تقيم في هيديبي وتعمل فيها لمدة عام كامل. وأريد منك أن تتفحص بتمعن تام تقارير التحقيق في قضية اختفاء هارييت، كل ورقة على حدة. وأن تنظر إلى الأمر برمّته من منظار آخر جديد. أريد منك أن تعاين كافة الخلاصات القديمة التي توصلنا إليها تماماً كما تفعل عند إجراء

أي تحقيق صحفي. أريد منك أن تبحث عن شيء يمكن أن يكون قد فاتنا أنا أو الشرطة أو المحققين الذين عملوا على القضية.»

«إنك تطلب إليّ أن أدع مهنتي وحياتي الخاصة جانباً لعام كامل من أجل أن أكرّس نفسي للعمل على قضية ليست سوى مضيعة للوقت.»

افتر ثغر فانغر عن ابتسامة: «بالنسبة لما يتعلق بالمهنة، يمكننا القول بإنها الآن في حالة المراوحة والركود.»

لم يكن بحوزة بلومفيست أي تعليق على ذلك.

«أريد شراء سنة من حياتك ومنحك عملاً، سيكون الراتب أفضل من أي راتب آخر تلقيته في حياتك. سأدفع لك مئتي ألف كورون في الشهر، مما يعني مليونين ونصف المليون كورون تقريباً إن قبلت البقاء والعمل لمدة عام كامل.»

كان بلومفيست مذهولاً.

«ليست لديّ أية هواجس أو أوهام. إن إمكانية نجاحك في المهمة ضئيلة جداً. لكن إن خالفت كافة التوقعات وفككت اللغز فإني أقدم لك علاوة عبارة عن دفعة مضاعفة أو مبلغ 4,8 مليون كورون. وسأكون أكثر سخاءً معك وأجعل المبلغ خمسة ملايين كورون.»

استند فانغر إلى الوراء وأمال برأسه جانباً.

«يمكنني أن أحوّل المبلغ إلى رقم الحساب الذي تريد، في أي مكان من العالم. يمكنك أيضاً أن تحصل على مالك في حقيبة. لذا يعود الأمر لك وحدك بشأن الإفصاح عن المبلغ الذي حصلت عليه لمصلحة الضرائب.»

تلعثم بلومفيست وهو يقول: «ليس هذا... دليل عافية.»

أجابه فانغر: «ولماذا هو كذلك؟ أنا في الثانية والثمانين من عمري، ولا أزال بكامل قواي العقلية. أملك ثروة خاصة طائلة أستطيع أن أنفقها كما يحلو لي. ليس لديّ أولاد ولا نية لي إطلاقاً أن أترك ميراثاً لأقارب أمقتهم. سبق أن أعربت عن رغبتي الأخيرة وكتبت وصيتي، التي

خصصت بموجبها القسم الأكبر من تلك الثروة لصندوق جمعية حماية الحياة البرية العالمية. عدد ضئيل من المقرّبين مني سيحصل على مبالغ محترمة بمن في ذلك آنا.»

هزّ بلومفيست رأسه.

قال له فانغر: «حاول أن تفهمني. أنا رجل اقتربت منيّته. هناك شيء واحد في العالم أريد الحصول عليه، ألا وهو الإجابة عن السؤال الذي عذبني نصف حياتي. لا أتوقع الحصول على إجابة، لكنني أملك المصادر التي تخولني القيام بمحاولة واحدة أخيرة. هل يقع الأمر خارج حدود المنطق؟ أنا أدين بذلك لهاربيت... ولي.»

«ستدفع ملايين الكورونات مقابل لا شيء. كل ما سأفعل هو توقيع العقد والعبث بأصابعي لمدة عام كامل.»

«لن تفعل ذلك مطلقاً. بل على العكس ستعمل بجدّ أكبر من أي وقت مضى.»

«كيف يمكنك أن تكون واثقاً؟»

«لأني أستطيع أن أقدم لك شيئاً لا يمكنك شراؤه مقابل أي ثمن، ومع ذلك إنه أكثر ما تريده في العالم.»

«وما تُراه يكون ذلك؟»

ضاقت عينا فانغر وهو يقول: «يمكنني أن أعطيك رأس هانس-إريك وينرشتروم. أستطيع أن أثبت أنه مخادع نصاب. يصادف أنه بدأ حياته المهنية معي منذ خمسة وثلاثين عاماً، ويسعني أن أقدم لك رأسه على طبق من فضة. حلّ لي اللغز فتتمكن من أن تحوّل هزيمتك في المحكمة إلى قصة العام.»

الفصل السابع

الجمعة، 3 يناير

وضعت إريكا كوب القهوة على الطاولة أمامها روقفت بالقرب من النافذة تمتع نظرها برؤية غاملاستان. كانت الساعة التاسعة صباحاً وقد أذابت أمطار رأس السنة ثلوج الميلاد.

قالت: «لطالما أحببت المنظر من هنا. شقة كهذه يمكن أن تتكفل بمعيشتك في سالتسجيوبادن.»

أجابها بلومفيست: «المفاتيح بحوزتك، يمكنك المجيء من منزلك الفخم إلى هنا ساعة تشائين.»

أقفل حقيبته ووضعها بالقرب من المدخل.

استدارت برجر ورمقته بنظرة غير مصدقة وقالت: «لا يمكن أن تكون جدياً يا ميكائيل. نحن نمر في أسوأ أزمة لنا وها أنت ترتب حقائبك لتذهب وتعيش في تجوتاهيجتي.»

«بل هيدستاد التي لا تبعد سوى ساعتين بالقطار، ولن أذهب للعيش هناك للأبد.»

«من الممكن أن تكون البلاد التي تذهب إليها أولان باتور أو أي بلد آخر، الأمر سيان. ألا تدرك أن الأمر يبدو وكأنك تهرب متذللاً؟»

«هذا ما أقوم به تحديداً. كما يفترض بي أن أمضي فترة من الوقت في السجن.»

كان كريستر مالم جالساً في الأريكة لكنه كان منزعجاً. إنها المرة الأولى منذ تأسيس شركة «ميلينيوم» يرى فيها كريستر كلاً من برجر وبلومفيست متخاصمين إلى هذا الحدّ. لم ينفصلا على مدى سنوات. كانت تمر بينهما فترات خصام لكن الجدالات كانت تنحصر دائماً بالأمور الخاصة بالعمل، وكانا يحلان كافة المسائل العالقة بينهما من دون استثناء وسرعان ما يتعانقان ويختليان معاً في إحدى الزوايا الخاصة بهما أو يذهبان إلى السرير. لم يكن الخريف الماضي ممتعاً بالنسبة لهما وها هما كأن خليجاً ضخماً يفصل بينهما. تساءل مالم إن كان ما يشهده بداية نهاية «ميلينيوم».

قال بلومفيست: «لا أملك خياراً. بل لا نملك خياراً.»

سكب لنفسه فنجان قهوة وجلس على كرسي طاولة المطبخ. هزت برجر رأسها وجلست على كرسي آخر قبالته.

وسألته: «ماذا تظن أنت يا كريستر؟»

كان يتوقع السؤال ويخشى اللحظة التي سيتخذ فيها موقفاً. لقد كان الشريك الثالث لكن الجميع كانوا يعلمون أن «ميلينيوم» تعني بلومفيست وبرجر. المرة الوحيدة التي يطلبان فيها مشورته كانت عندما يختلفان على رأي ما.

أجابها مالم: «صدقاً، كلاكما يعلم تماماً أن ما أفكر فيه لا يهم.»

كان ينغلق على نفسه، ويحب صناعة الصور، ويعشق العمل بالرسوم التصويرية. لم يكن يعتبر نفسه فناناً قط، لكنه كان يعلم أنه مصممٌ رائع. لكنه كان من الناحية الأخرى عاجزاً عن حلّ المسائل المعقدة واتخاذ القرارات الحاسمة.

نظر كل من بلومفيست وبرجر أحدهما إلى الآخر من فوق الطاولة. كانت هي باردة وغاضبة. وكان هو يشحذ تفكيره.

فكّر مالم في نفسه أن ما يدور ليس جدالاً... بل طلاقاً.

قال بلومفيست: «حسناً، دعوني أطرح قضيتي مرة واحدة وأخيرة.

هذا لا يعني أني تخليت عن 'ميلينيوم'. لقد أمضينا أوقاتاً طويلة في العمل بصدق على إنجاح المجلة.»

«لكنك لن تكون متواجداً في المكتب والآن سنضطر أنا وكريستر لتحمّل العبء وحدنا. ألا يمكنك أن ترى ذلك؟ فأنت من يسير بقدميه نحو منفى يفرضه على نفسه.»

«الأمر الثاني، أحتاج إلى فرصة يا إريكا، لم أعد أؤدي عملي جيداً، لقد احترقت، قد تكون هذه الراحة السنوية في هيدستاد هي ما أحتاج إليه تماماً.»

«كل ما تقوله سخيف، قد تأخذ وظيفة في السيرك كذلك.»

«أعلم، لكني سأحصل على مليونين ونصف المليون كورون مقابل التمدد على ظهري لعام كامل ومع ذلك لن أضيع وقتي سدىً. الأمر الثالث، الجولة الأولى مع وينرشتروم قد انتهت، وقد تغلّب عليّ. والجولة الثانية لم تكد تبدأ ولن يكف عن محاولة إغراق 'ميلينيوم' لأنه يعرف أن الهيئة الإدارية هنا تدرك ما الذي ينويه وسيظل يجرب تدميرنا ما دامت المجلة موجودة.» .

«أعلم ما الذي يفعله. لقد شهدت أولى نواياه عند الاطلاع على أرقام المبيعات للإعلان الشهري على مدى الأشهر الستة الأخيرة.»

«لهذا السبب تحديداً عليّ الخروج من المكتب. أنا أشْبَه بالخرقة الحمراء التي تثير غضبه واستياءه، إنه مهووس بكل ما يتعلق بي. ما دمتُ أنا هنا سيظل يضايقنا. علينا الآن أن نحضّر للجولة الثالثة. إن كان هناك من فرصة ضئيلة بوجه وينرشتروم فعلينا التراجع والتفكير في استراتيجية جديدة بالكامل. علينا أن نعثر على شيء جديد نواجهه به. سيكون هذا عملي هذا العام.»

قالت له برجر: «أفهم ذلك كله. اذهب وخذ إجازة لك، سافر إلى الخارج وتشمّس شهراً على رمال الشاطئ. استمتع برفقتك على الـ 'كوستا برافا' واسترخِ. اذهب إلى ساندهامن وتأمل الأمواج المتلاطمة.»

«وحين أعود لن يكون هناك شيء قد تغير. سيقوم وينيرشروم بسحق مجلة 'ميلينيوم' إن لم نسترضه ونتنحى جانباً. تعلمان ذلك جيداً. الأمر الوحيد الذي يمكن أن يوقفه عند حدّه هو أن نعثر على ما نستطيع أن نواجهه به.»

«وهذا ما تظن أنك ستعثر عليه في هيدستاد، أليس كذلك؟»

«لقد تحققت من السجلات والوثائق. سبق لوينرشتروم أن عمل في شركة 'فانغر' من العام 1969 حتى العام 1972. كانت لديه وظيفة في الإدارة وكان مسؤولاً عن تعيينات الوظائف الاستراتيجية في الشركة. وقد ترك عمله على عجل. فلماذا نستثني من حساباتنا احتمال أن يكون هنريك فانغر قد سجل عليه أمراً ما.»

«لكن ماذا لو كان ما فعله يعود إلى ثلاثين عاماً مضت ويصعب إثباته اليوم؟»

«وعدني فانغر أن يحدّثني بالأمر بالتفصيل. إنه مهووس بفتاته المفقودة، إنه الأمر الوحيد الذي يكترث له على ما يبدو وإن كان هذا يعني أنه سيحرق وينرشتروم. أظن أنها فرصة مناسبة ليفعل. لا يمكننا بالطبع تجاهل مثل هذه الفرصة، إنه أول شخص يقول إنه مستعد للكشف عن إثباتات تدين وينرشتروم بالوثائق.»

«لا نستطيع استعمال تلك الإثباتات حتى ولو عدت ببراهين دامغة تؤكد بما لا شك فيه أن وينرشتروم نفسه قد قام بخنق الفتاة. ليس بعد كل هذه السّنوات، وقد يقوم بخنقنا في المحكمة.»

«خطرت لي الفكرة لكنها لا تجدي نفعاً: إذ كان وينرشتروم قد واظب على دراسته في كلية الاقتصاد في ستوكهولم ولم تكن تربطه أي علاقة بشركات 'فانغر' خلال الفترة التي اختفت فيها الفتاة.»

توقف بلومفيست عن الكلام قليلاً لكنه عاد يقول: «لست أتخلى عن 'ميلينيوم' يا إريكا، لكن من المهم جداً أن يبدو الأمر وكأني فعلت حقاً. يجب أن تمضي أنت وكريستر في متابعة أمور المجلة. إن استطعتما...

إن حظيتما بفرصة . . . إذا أمكن عقد هدنة مع وينرشتروم فلا ترددا. لن أتمكن من ذلك إن كنت لا أزال في هيئة تحرير المجلة.»

«حسناً، لكن الوضع مزرٍ وأظن أنك بذهابك إلى هيدستاد تتعلق بحبال الهواء ليس إلا.»

«أليس لديك فكرة أفضل من هذه؟»

هزت برجر كتفيها وهي تقول: «يجدر بنا التحقق من المصادر فوراً، وكتابة القصة من البداية. علينا القيام بذلك حالاً.»

«تلك القصة ماتت منذ زمن بعيد يا ريكي.»

أسندت برجر رأسها إلى راحتيها وهي تشعر بالانكسار التام. لم تشأ في البداية أن تتقاطع نظراتها مع نظرات بلومفيست حين قالت: «أنا غاضبة جداً منك، ليس لأن القصة التي كتبت لم تكن مبنية على أي أساس، فأنا كنت متحمّسة لها مثلك. كما أني لست حانقة عليك لأنك تتخلى عن عملك كناشر، إذ إنه قرار ذكي في الوضع الراهن. يسعني أن أمضي قدماً وأجعل الأمر يبدو وكأن هناك شقاقاً بيني وبينك أو صراعاً على مركز القوة. أفهم المنطق الذي يجعلك تتحدث عن جعل وينرشتروم يصدِّق أني لا أشكل أي أذى له وأنك أنت من يشكل التهديد الحقيقي.»

توقفت عن الكلام ونظرت في عينيه مباشرة وقالت: «لكني أظنك ترتكب خطأً فادحاً، لن ينخدع وينرشتروم بتصرّفك. سيمضي قدماً في تدمير مجلة 'ميلينيوم'. الفارق الوحيد أنه بدءاً من اليوم سأحاربه وحدي. تعلم أن هيئة التحرير تحتاج إليك الآن أكثر من أي وقت مضى. حسناً، يسعدني كثيراً أن تشن حرباً طاحنة على وينرشتروم، لكن ما يغضبني هو أن تترك السفينة فجأة وهي تغرق. أنت تتخلى عني في وقت الشدة والمجلّة تمر في بأسوأ أزمة لها.»

اقترب بلومفيست منها ومدّ يده مداعباً شعرها.

«أنت لست وحدك، لديك كريستر وبقية الموظفين الذين يدعمونك.»

«لكن لا تقل لي جان دالمان. أعتقد بالمناسبة أنك ارتكبت خطأً بتوظيفه. لا أقول إنه غير كفؤ، لكنه يسبب الأذى أكثر مما يعود بالخير على المجلة. فقد راح يتجول سعيداً بالمشاكل التي تعرّضتَ لها في الخريف. لا أعلم ما إذا كان يأمل أن يأخذ مكانك أو أنها مجرد كيمياء تجعل العلاقة بينه وبين بقية الموظفين بهذه المرونة.»

أجاب بلومفيست: «أخشى أنك على حق.»

«ما الذي ينبغي أن أفعله إذاً؟ هل أطرده؟»

«أنت رئيسة التحرير يا إريكا، والمساهم الأساسي في شركة 'ميلينيوم'. إن اضطررت لطرده، فافعلي.»

«لم يسبق لنا أن طردنا أحداً من العمل يا ميك. وها أنت الآن تضعني أمام اتخاذ هذا القرار أيضاً. لم يعد الذهاب إلى المكتب صباحاً بالأمر الممتع.»

في هذه اللحظة بالذات، فاجأهما مالم بأن نهض من مكانه.

«إن كنت تريد اللحاق بذلك القطار، علينا المغادرة الآن.»

همّت برجر بالاعتراض لكنه رفع يده بوجهها وقال: «انتظري يا إريكا، سبق أن سألتني رأيي في القضية. حسناً، ما أظنه هو أن الوضع مثير للاشمئزاز. لكن إن كانت الأمور كما يقول بلومفيست، بأنه يريد الرحيل، فعلينا أن نسمح له بذلك من أجل مصلحته. إننا ندين له بذلك وأكثر.»

أخذ كلاهما يحدق في مالم مذهولاً ونظر هو إلى بلومفيست محرجاً.

«تعلمان أنتما الاثنين أن 'ميلينيوم' مجلتكما وأنها تمثلكما دون سواكما. أنا مجرد شريك ولطالما كنتما منصفَيْن معي وأنا أحب المجلة وجميع تلك الأمور التي تقال في مثل هذه المناسبة، ولكن تستطيعان استبدالي بمدير فني آخر بكل سهولة. وبما أنكما طلبتما رأيي، فها قد قلته. أما فيما يتعلق بدالمان، فأنا أوافقكما الرأي. وإن كنت تريدين طرده

يا إريكا، سأقوم بذلك عنك، ما دام لدينا سببٌ وجيهٌ للقيام بذلك. من الواضح أن رحيل ميكائيل في هذا الوقت أمر مؤسف جداً، لكن لا أظن أننا نملك الخيار. سأوصلك إلى محطة القطار بنفسي يا ميكائيل. إريكا وأنا سنقوم بحراسة القلعة إلى أن تعود.»

قالت برجر بهدوء: «ما أخشاه هو ألا يعود ميكائيل مطلقاً.»

كان اتصال آرمانسكي عند الساعة الواحدة والنصف قد أيقظ سالاندر من نومها.

أجابته وهي لا تزال نصف نائمة: «ما الأمر؟»

كانت تشعر بطعم مرير كريه في حلقها.

«إنه ميكائيل بلومفيست. تحدثت للتو إلى عميلنا، المحامي فرود.»

«وماذا يعني ذلك؟»

«قال إنه بإمكاننا وقف عملية التحري عن وينرشتروم.»

«وقفها؟ لكني سبق وبدأت العمل عليها.»

«لم يعد المحامي مهتماً للأمر.»

«بهذه البساطة؟»

«إنه الشخص الوحيد المخوّل اتخاذ مثل هذا القرار.»

«لقد اتفقنا على أجر محدد.»

«كم من الوقت خصصت للقيام بهذا العمل؟»

فكرت سالاندر في الأمر قبل أن تقول: «ثلاثة أيام بلياليها.»

«لقد اتفقنا على سقف محدد يقدر بأربعين ألف كورون. سأدوّن فاتورة بعشرة آلاف كورون. سأمنحك خمسة آلاف وهو سعر مقبول بدل عمل ثلاثة أيام. سيكون مضطراً للدفع لأنه هو من بادر إلى طرح الموضوع.»

«وماذا أفعل بالمعلومات التي جمعت؟»

«هل هناك شيء مثير للاهتمام؟»

«كلا.»

«لم يطلب فرود تقريراً. ضعي ما جمعت من معلومات جانباً في حال عاد وطلبها. وإلا يمكنك تمزيقها لاحقاً. سأدبر لك عملاً آخر في الأسبوع المقبل.»

جلست سالاندر لبرهة تحمل الهاتف بين يديها وتتأمله بعد أن أقفل آرمانسكي الخط. ثم نهضت وتوجهت إلى إحدى زوايا الغرفة حيث تعلق قصاصات من الورق تدون عليها الملاحظات وأخذت تقرأها إضافة إلى الأوراق التي كانت تكدّسها على الطاولة. كل ما نجحت في جمعه كان يقتصر على قصاصات من الصحف والمجلات والمقالات التي أخذتها من المواقع الإلكترونية. حملت الأوراق ووضعتها في دُرج الطاولة.

قطبت جبينها. كان تصرّف بلومفيست الغريب في قاعة المحكمة يمثل تحدياً مثيراً للاهتمام، ولم تكن سالاندر من النوع الذي يحبذ التوقف عن قضية كانت قد بدأت العمل عليها.

للناس أسرارهم دائماً. والمهم هو أن نعرف كيف نعثر عليها.

الجزء الثاني

تحليل العواقب

3 يناير ـ 17 مارس

ست واربعون بالمئة من النساء في السويد
تعرضن للعنف على يد رجل

الفصل الثامن

الجمعة، 3 يناير ـ الأحد، 5 يناير

حين وصل بلومفيست إلى محطة القطار في هيدستاد للمرة الثانية، كانت السماء زرقاء صافية والهواء محمّلاً ببرودة الثلوج التي تغطي المكان. كان مقياس درجة الحرارة المعلّق على حائط المحطة يشير إلى الصفر. وكان هو ينتعل حذاءً غير مناسب للمشي. وخلافاً لزيارته السابقة لم يكن هناك سيد فرود ينتظر قدومه ويدعوه إلى دفء سيارته ويقله إلى المكان الذي يقصده. كان بلومفيست قد أخبرهما عن تاريخ وصوله لكنه لم يحدد موعد وصول القطار الذي يفترض وجود حافلة متوجهة إلى هيديبي لكنه لم يشعر بالرغبة في تكبّد عناء جرّ حقيبتي ملابس كبيرتين وحقيبة كتف ثقيلة، فاختار أن يجتاز الساحة أمام المحطة ويتوجه إلى موقف سيارات الأجرة.

كانت الثلوج قد تساقطت بغزارة على طول ساحل نورلاند بين فترتي الميلاد ورأس السنة. وتشير الأخاديد المحفورة في الثلج والأكوام المتكدسة على جانبي الطريق أن وتيرة العمل كانت على أشدها في هيدستاد. كان سائق سيارة الأجرة المدعو حسين حسب ما تقول البطاقة الملصقة على النافذة قد أومأ برأسه لبلومفيست عندما سأله عما إذا كان الطقس قاسياً. وأخبره بلكنة أهل نورلاند المفخّمة أنها العاصفة الثلجية الأسوأ التي شهدتها المنطقة منذ عقود، واعترف بمرارة أنه نادم لعدم قضاء عطلة عيد الميلاد في اليونان.

وجّهه بلومفيست نحو حديقة منزل هنريك فانغر المنكوشة حديثاً حيث ترجّل وأخرج الحقائب ووضعها على الحصى وراقب سيارة الأجرة تتوجه عائدة إلى هيدستاد. انتابه شعور مفاجئ بالوحدة وعدم اليقين.

سمع صوت الباب يفتح وراءه. ورأى فانغر يلف نفسه بمعطف فرو ثقيل وينتعل حذاءً شتوياً ويضع على رأسه قلنسوة مع قطعتي فرو تغطيان الأذنين. أما بلومفيست فكان يرتدي سروال جينز وسترة جلد رقيقة.

تصافح الرجلان وقال فانغر: «إن كنت ستعيش هنا، عليك أن تتعلم كيف ترتدي ملابس تمنحك المزيد من الدفء في هذا الوقت من العام. هل أنت واثق أنك لا تريد البقاء في البيت الرئيسي؟ ألا تودّ ذلك فعلاً؟ سيكون علينا إذاً أن نبدأ إعداد مكان إقامتك الجديد ووضع أغراضك فيه.»

كان أحد شروط المفاوضات مع فانغر وديرك فرود إقامته في منزل مستقل حيث يستطيع تولي القيام بالأعمال المنزلية وحده والخروج منه والدخول إليه ساعة يشاء. أرشد فانغر بلومفيست إلى الطريق المؤدية نحو الجسر واستدار ليفتح الباب على حديقة أخرى منكوشة حديثاً أمام باب يوصل إلى منزل خشبي صغير قريب من طرف الجسر. لم يكن باب المنزل مقفلاً، فدخلا القاعة المتواضعة حيث وضع بلومفيست حقائب السفر المنهكة مع تنهيدة.

«هذا ما نسميه منزل الضيوف وهو المكان الذي نستقبل فيه الأشخاص الذين يودون المكوث لفترة من الزمن. كما أنه المكان الذي أقمت فيه مع عائلتك عام 1963. إنه أحد أقدم الأبنية في البلدة، لكن تم إدخال بعض التحديث عليه. وقد طلبت من الناطور نيلسون إشعال النار في الموقد هذا الصباح.»

كان المنزل يتألف من مطبخ واسع وغرفتين صغيرتين ولم تكن المساحة الإجمالية للمنزل كله تتعدى خمسمئة قدم مربع. كان المطبخ يحتل نصف تلك المساحة وكان لافتاً بطرازه الحديث جداً، مزوداً بموقد

كهربائي وثلاجة صغيرة لحفظ الطعام. أما على الحائط المقابل للباب الأمامي فكان يوجد موقد حديدي ضخم قد أُشعلت فيه النيران فعلاً في وقت سابق من النهار.

«لا تحتاج إلى استعمال موقد الحطب إلا إذا اشتدت برودة الطقس. سلة الحطب المقطّع موجودة في الممر وستجد الحطب في سقيفة التخزين في الخلف. لم يكن أحد يسكن المنزل طوال فصل الخريف. المدافئ التي تعمل على الكهرباء عادة ما تكون كافية لأن تبعث الحرارة في كل أرجاء المكان. احرص فقط على أن تعلّق ملابسك في الموضع المناسب وإلا أشعلت ناراً في المنزل كله.»

نظر بلومفيست من حوله. كانت النوافذ تطل على ثلاثة اتجاهات مختلفة وكان يشرف عندما يجلس إلى طاولة المطبخ على الجسر الذي يبعد حوالى مئة قدم. كان أثاث المطبخ عبارة عن ثلاث خزائن كبرى وبعض الكراسي ومقعد قديم ورف لوضع الصحف. وفوق كل هذا كانت هناك أعداد من مجلة *See* تعود إلى العام 1967. وفي إحدى الزوايا كانت طاولة صغيرة تصلح لأن تكون مكتباً.

كان هناك أيضاً بابان يؤديان إلى غرفتين أصغر مساحة. الغرفة التي تقع إلى اليمين والأقرب إلى الجدار الخارجي كانت حجرة صغيرة مع طاولة وكرسي وبعض الرفوف التي تمتد على طول الحائط. أما الغرفة الأخرى بين الممر والمكتب الصغير فكانت غرفة نوم بسرير مزدوج ضيق وطاولة بجانب السرير وخزانة ملابس. على الجدران تتوزع لوحات زيتية تصوِّر مشاهد طبيعية. كان أثاث المنزل عتيقاً وطلاء الجدران باهت اللون، لكن المكان كان نظيفاً تفوح منه رائحة طيّبة. لا بدّ أن أحدهم قام بتنظيف المكان بشكل متقن. كان لغرفة النوم باب آخر يفتح على الممر، حيث تم تحويل غرفة المخزن إلى حمام مزوّد بدشّ.

قال له فانغر: «قد تواجه مشكلة في الحصول على المياه، لقد تحققنا من أن كل شيء يسير على ما يرام، لكن أنابيب المياه ليست مدفونة عميقاً

داخل الأرض، وإن استمر هذا الطقس البارد طويلاً قد تتجلّد. هناك دلو في الممر لذا تستطيع أن تأتي إلينا للحصول على المياه حين تحتاج.»

قال له بلومفيست: «سأكون بحاجة إلى هاتف.»

«لقد سبق أن طلبت لك واحداً. سيتم تركيب الجهاز بعد يوم غد. حسناً، الأمر يعود لك، إن حدث وغيرت رأيك، اعلم أنه سيكون مرحباً بك في المنزل الأساسي دائماً وفي أي وقت.»

أجابه بلومفيست: «لابأس بالوضع هنا.»

«ممتاز، لا تزال أمامنا ساعتان قبل أن يحل الظلام، هلا نذهب في نزهة حول المكان لتتعرف إلى أرجاء القرية؟ أتسمح لي أن أقترح عليك أن تنتعل حذاءً شتوياً وجوارب إضافية؟ سوف تجد الحذاء عند الباب الأمامي.»

نهض بلومفيست كما أشار عليه فانغر وقرر القيام بالتسوق لشراء ملابس داخلية أكثر دفئاً وحذاءً شتوياً جديداً في اليوم التالي.

بدأ الرجل العجوز الرحلة بأن شرح لبلومفيست أن جاره الذي يقيم على الجهة الأخرى من الطريق يدعى غونار نيلسون وهو المساعد الذي يصر فانغر على تسميته الناطور. لكن سرعان ما أدرك بلومفيست أنه المراقب العام لكافة الأبنية الموجودة على جزيرة هيديبي، كما أنه يتولى مسؤولية الاهتمام بالعديد من الأبنية في هيدستاد.

«والده هو ماغنوس نيلسون وكان يعمل ناطوراً لديّ في الستينيات وكان أحد الرجال الذين ساعدوا يوم حصول الحادث على الجسر. استقال ماغنوس من عمله وهو يعيش في هيدستاد، وغونار يعيش هنا مع زوجته هيلينا. أما أولادهما فقد غادروا البلدة.»

توقف فانغر عن الكلام لبرهة كي يصيغ العبارة التالية: «ميكائيل، إن التفسير الرسمي لوجودك هنا هو أنك تساعدني في كتابة سيرتي الذاتية. سيمنحك هذا عذراً لإجراء التحقيقات وطرح الأسئلة والإضاءة على النقاط

الغامضة. حقيقة المهمة التي أنت من أجلها هنا ستبقى محصورة بيننا نحن الثلاثة، أنا وأنت وديرك فرود.»

«أفهمك، ولكني أكرر ما قلته لك سابقاً: لن أتمكن من حلّ اللغز.»

«كل ما أطلبه إليك هو أن تبذل قصارى جهدك. لكننا يجب أن نكون حريصين بشأن ما سنقوله للآخرين. غونار في السادسة والخمسين من العمر مما يعني أنه كان في التاسعة عشرة من عمره عند اختفاء هارييت. هناك سؤال واحد فقط لم أحصل له على إجابة قط، هارييت وغونار كانا صديقين حميمين، أظن أن قصة رومنسية طفولية كانت تدور بينهما. كان يهتم كثيراً لأمرها بجميع الأحوال. لكن يوم اختفائها، كان هو في هيدستاد، كان من بين الأشخاص المحتجزين على الجهة الأخرى من الجسر. وبسبب العلاقة التي كانت تربطهما، تعرض لتحقيق دقيق. كان الأمر مزعجاً جداً بالنسبة له. كان يمضي النهار مع بعض الأصدقاء، ولم يعد إلى هنا حتى المساء. تحقّقت الشرطة من صدق ادعائه أنه كان في مكان آخر غير مكان الجريمة فوجدت كلامه صادقاً تماماً.»

«أفترض أن لديك لائحة بأسماء كل من كانوا على الجزيرة وماذا كان يفعل كل منهم في ذاك اليوم.»

«صدقت، هلا نتابع؟»

توقفا عند تقاطع الطريق فوق الهضبة، حيث أشار فانغر بإصبعه نزولاً نحو مرفأ صيادي السمك القديم الذي ما عاد يستعمل إلا للمراكب الصغيرة.

«كافة أراضي جزيرة هيديبي ملك لعائلة فانغر أو ملك لي أنا على وجه التحديد. الاستثناء الوحيد الخارج عن ملكيتي هو المزرعة في أوسترغاردن وبضعة منازل أخرى هنا في القرية. الأكواخ عند المرفأ ملكية خاصة لكنها لا تستعمل إلا صيفاً وغالباً ما تكون خالية من أصحابها في فصل الشتاء، باستثناء ذاك المنزل الواقع على أبعد نقطة عند الطرف، حتى إنه يمكنك أن ترى الدخان يتصاعد من المدخنة.»

رأى بلومفيست فعلاً الدخان المتصاعد وكان يشعر أن عظامه ستتجلد من البرد.

«إنه أشبه بحظيرة تكاد لا تصلح للسكن، لكن أوجين نورمان يعيش فيه على مدار السنة. إنه في أواخر السبعينيات وهو رسام لا يُمدح ولا يُذَم. أظن شخصياً أن عمله نوع من الزينة التافهة التي لا تحمل قيمة معيّنة. لكنه أكثر شهرة في رسم المشاهد الطبيعية. يمكن اعتباره شخصاً غريب الأطوار بكافة المقاييس هنا في البلدة.»

أرشد فانغر بلومفيست وعرّفه إلى كافة أرجاء الموقع وشرح له عن كل منزل في القرية. كانت القرية تتألف من ستة أبنية واقعة على الجهة الغربية من الطريق وأربعة أبنية أخرى شرقاً. المنزل الأول الأقرب إلى منزل الضيوف وإلى عقار فانغر يعيش فيه بلومفيست حالياً، وكان ملكاً لهارالد فانغر، شقيق هنريك فانغر. إنه بناء حجري مستطيل الشكل مؤلف من طبقتين ويبدو مهجوراً للوهلة الأولى. فالستائر مسدلة فوق النوافذ والممر المؤدي إلى المدخل الأساسي غير سالك بعد أن سدّته الثلوج التي تصل سماكتها إلى قدم ونصف. عندما نظرا مرة أخرى إلى المكان، لاحظا وجود آثار أقدام فوق صفحة الثلج لشخص ما شق بقدميه الممر من الطريق باتجاه الباب الرئيسي.

«هارالد من النوع المتوحد الذي يعيش منعزلاً عن بقية الناس. لم نتفق أنا وهو حول رأي يوماً. إنه أحد مالكي الأسهم وبعيداً عن خلافاتنا في ما يتعلق بأمور الشركة، لم يكن أي منا يتحدّث إلى الآخر قرابة ستين عاماً. إنه في الثانية والتسعين من عمره اليوم، وهو الوحيد الذي لا يزال على قيد الحياة من بين الأشقاء الأربعة الآخرين. سأطلعك على التفاصيل لاحقاً لكنه طبيب متمرس أمضى معظم حياته المهنية في أوبسالا. وقد عاد إلى هيديبي حين بلغ السبعين من عمره.»

«لا يكترث أحدكما للآخر، وأنتما جاران يعيش أحدكما بالقرب من الآخر.»

«أجده شخصاً بغيضاً، وكنت أفضّل لو بقي في أوبسالا، لكنه يملك هذا المنزل هنا. هل أبدو لك رجلاً خبيثاً؟»

«بل تبدو كرجل لا يحب أخاه كثيراً.»

«لقد أمضيت السنوات الخمس والعشرين الأولى أعتذر من أشخاص من أمثال هارالد لأننا أبناء عائلة واحدة. ثم اكتشفت أن صلة القربى لا تشكل ضمانة للشعور بالمحبة وليست لديّ أسبابٌ كثيرة تدفعني للدفاع عن هارالد.»

المنزل التالي كان ملكاً لإيزابيلا، والدة هارييت.

«ستبلغ الخامسة والسبعين هذا العام، ولا تزال امرأة مستهترة تتبع الموضة كما كانت طوال حياتها. إنها الشخص الوحيد في القرية الذي يتحدث إلى هارالد، ويزوره من وقت لآخر، لكن ليس لديهما الكثير من الأمور المشتركة بأي حال.»

«كيف كانت علاقتها بهارييت؟»

«سؤال وجيه. ينبغي إدخال النساء ضمن دائرة المشتبه بهم. سبق أن أخبرتك أنها كانت تترك ولديها معظم الوقت ليتدبرا أمورهما بنفسيهما. لا يسعني أن أكون واثقاً، لكني أظن أنها كانت امرأة طيبة غير أنها ببساطة لم تستطع أن تتولى مسؤولياتها كأم. لم تكن يوماً قريبة من هارييت، لكنهما لم تكونا يوماً عدوّتين كذلك. يمكن لإيزابيلا أن تكون قاسية أحياناً، لكن أحياناً تكون غير موجودة، ستفهم عما أتكلم حين تراها وتتعرف إليها.»

جارة إيزابيلا كانت سيسيليا فانغر، ابنة هارالد.

«كانت متزوجة يوماً وتعيش في هيدستاد. لكنها انفصلت عن زوجها منذ حوالى عشرين عاماً. أنا أملك هذا المنزل، وقد عرضت عليها الانتقال إليه والإقامة فيه. إنها معلمة وتعتبر النقيض الصارخ لوالدها من نواحٍ متعددة. يسعني أن أضيف كذلك أنها لا تتحدث إليه إلا عندما تقتضي الضرورة ذلك.»

«كم تبلغ من العمر؟»

«لقد ولدت عام 1946. مما يعني أنها كانت في العشرين من عمرها عندما اختفت هارييت. أجل، كانت أحد الضيوف المدعوين على الجزيرة في ذلك اليوم. قد تبدو لك سيسيليا خفيفة العقل إلا أنها أكثر فطنة ومكراً من غالبية أفراد العائلة. لا تقلل من تقديرها. إن كان من أحد سيبحث في مسألة وجودك هنا فستكون هي. يسعني أن أضيف أيضاً أنها إحدى الأقارب الذين أكنّ لهم أعلى تقدير.»

«هل يعني ذلك أنك تستبعدها من دائرة المشتبه بهم؟»

«لم أقل ذلك. أريدك أن تجري تحقيقاً في المسألة من دون أي عوائق، ويغض النظر عما أظنه أو أؤمن به.»

المنزل الأكثر قرباً من بيت سيسيليا كان ملكاً لهنريك فانغر، لكنه كان يؤجره إلى ثنائي متقدم في السن شكّل في السابق جزءاً من فريق الإدارة في شركات «فانغر». وقد انتقلا للعيش في جزيرة هيديبي في الثمانينيات، لذا لا علاقة لهما بقضية اختفاء هارييت. المنزل التالي يعود لبيرجر فانغر، شقيق سيسيليا. كان المنزل خالياً لعدّة سنوات، وذلك منذ أن انتقل بيرجر للعيش في منزل حديث في هيدستاد.

كانت معظم الأبنية المنتشرة على طول الطريق كانت من الحجر الصلب وتعود إلى مطلع القرن العشرين. والمنزل الأخير كان يختلف عن سواه من المنازل وقد وضع تصميمه أحد المهندسين المعماريين على الطراز العصري من أحجار القرميد البيضاء وإطارات النوافذ السوداء. كان تصميماً لافتاً، وأدرك بلومفيست أنّه لا بد أن يكون المنظر من الطابق العلوي مذهلاً، يطل على البحر من جهة الشرق وعلى هيدستاد من جهة الشمال.

«هذا هو منزل مارتن شقيق هارييت، رئيس شركات 'فانغر' ومديرها العام. كانت الأبرشية تقوم هنا لكن حريقاً ضخماً هدم المكان في السبعينيات وبنى مارتن هذا المنزل هنا عام 1978 حين تولى منصب الرئيس المدير العام.»

والبناء الأخير على الجهة الشرقية للطريق تعيش فيه غيردا فانغر أرملة غريغر شقيق هنريك مع ابنها ألكسندر.

«غيردا شخص مريض، إنها تعاني من الروماتيزم. أما ألكسندر فيملك حصة صغيرة في شركة 'فانغر'، لكنه يدير عدداً من المصالح الخاصة به، بما في ذلك بعض المطاعم. عادة ما يمضي بضعة أشهر من كل عام في باربادوس، حيث استثمر مبلغاً محترماً من المال في قطاع السياحة.»

بين منزلَيْ غيردا وهنريك مساحة من الأرض يقع فيها بناءان خاليان أصغر مساحة. كانا يستعملان كمنزلين لاستضافة أفراد عائلة «فانغر». وعلى الجهة الأخرى من منزل هنريك مسكن خاص يقيم فيه موظف متقاعد آخر مع زوجته. لكنه كان خالياً في الشتاء بسبب عودة الزوجين إلى إسبانيا.

عادا إلى تقاطع الطريق لتنتهي جولتهما هناك. كان الظلام قد بدأ يحل على المكان، فقال له بلومقيست: «سأفعل ما وظفتني لأقوم به هنريك. سأدون لك سيرتك الذاتية، وسأجاريك بقراءة كافة المعلومات المتعلقة بهارييت بقدر ما استطعت من عناية واهتمام وبحسٍّ نقدي. أريد منك فقط أن تدرك أني لست تحرّياً خاصاً.»

«لا أتوقع منك شيئاً.»

«لا بأس.»

قال له فانغر: «أنا شخص يحب التجوال ليلاً والسهر، لذا أنا في خدمتك في أي وقت بعد موعد الغداء. سأتدبر لك مكتباً هنا في منزلي، يمكنك العمل فيه ساعة تشاء.»

«كلا، شكراً لك. لدي مكتب خاص في منزل الضيوف، وسأعمل هناك.»

«كما تشاء.»

«إن أردت أن أتحدث إليك سنفعل ذلك في مكتبك، لكني لن أنهال عليك بالأسئلة بدءاً من الليلة.»

بدا الرجل العجوز خجولاً بما لا يحتمل وهو يقول: «أفهمك.»

«ستستغرق قراءة الوثائق بضعة أسابيع. سنعمل على جبهتين. سنلتقي بضع ساعات يومياً، بحيث أتمكن من طرح بعض الأسئلة عليك وجمع بعض المعلومات لكتابة سيرتك الذاتية. وعندما تكون لدي أسئلة حول هارييت أود مناقشتها معك سأعلمك.»

«يبدو هذا مقبولاً.»

«أريد أن تتوفر لي حرية التصرف لأقوم بعملي، ولا أريد أن أكون محكوماً بساعات عمل محددة.»

«ستكون أنت من تقرر بنفسك كيفية القيام بالعمل.»

«أدرك أنك تعي تماماً أني مضطر لقضاء بضعة أشهر وراء قضبان السجن. لا أعلم متى سيكون هذا تحديداً، لكني لن ألجأ للاستئناف. سيتم ذلك في وقت ما من هذا العام ربما.»

قطّب فانغر وقال: «لسوء الحظ، سيكون علينا حلّ تلك المشكلة في الوقت المناسب. تستطيع أن تطلب التأجيل دائماً.»

«إن كان ذلك متاحاً، وحصلت على ما يكفي من معلومات، سأتمكن من العمل على الكتاب وأنا داخل السجن. شيء واحد إضافي: لا أزال أحد المالكين في مجلة 'ميلينيوم' وهي الآن تمر بأزمة. إن حصل شيء ما يستدعي حضوري إلى ستوكهولم، سأضطر لأن أترك ما أفعله وأذهب إلى هناك.»

«أنا لا أتخذ منك عبداً مملوكاً. أريد منك أن تقوم بالعمل الذي أوكله إليك على أكمل وجه، لكنك تستطيع طبعاً أن تضع جدولاً زمنياً يناسبك، وتقوم بالعمل كما تراه مناسباً. إن أردت أخذ عطلات ما افعل على راحتك، لكن إن اكتشفت أنك لا تؤدي ما هو مطلوب منك ولا تقوم بعملك كما ينبغي، سأعتبر ذلك نكثاً للعقد الذي بيننا.»

نظر فانغر ناحية الجسر، كان رجلاً هزيلاً كئيباً، وخطر لبلومفيست أنه في تلك اللحظة أشبه بفزاعة سوداوية المزاج.

«في ما يتعلق بمجلة 'ميلينيوم'، ينبغي أن نناقش نوع الأزمة التي تتعرض لها وما إن كان هناك من طريقة يمكنني بواسطتها المساعدة على إنقاذها.»

«المساعدة الأفضل التي تستطيع تقديمها لي هي أن تقدّم لي رأس وينرشتروم على صحن من فضة هنا والآن.»

حملق الرجل العجوز ببلومفيست قائلاً: «كلا، لا أفكر في القيام بذلك الآن. السبب الوحيد الذي دفعك للقيام بهذه المهمة هو أني وعدتك بفضح أمر وينرشتروم. إن منحتك هذه المعلومات الآن، ستتوقف عن تنفيذ ما طلبته منك حين ترغب في ذلك. سأعطيك المعلومات بعد عام من الآن.»

«أعذرني هنريك لما سأقول، ولكنك قد تكون فارقت الحياة بعد عام من الآن.»

أطلق فانغر تنهيدة من الأعماق وأخذ يتأمل مرفأ الصيد.

«هذا منصف، سأتحدث إلى فرود لنرى ما يمكننا فعله بهذا الخصوص. لكن في ما يتعلق بمجلة 'ميلينيوم'، قد أتمكن من المساعدة بطريقة أخرى. كما فهمت لقد بدأ المعلنون بسحب إعلاناتهم.»

«المعلنون هم المشكلة الراهنة التي تواجه المجلة، لكن الأزمة أكثر عمقاً من ذلك. إنها مسألة ثقة. لا يهم كم عدد المعلنين في المجلة ما دام لا يقوم قرّاء بشرائها.»

«أدرك ذلك تماماً. لا أزال أحد أعضاء مجلس إدارة إحدى الشركات الكبرى في البلاد، على الرغم من دوري الهامشي فيها. علينا وضع الإعلانات في مكان ما. دعنا نخصص وقتاً لمناقشة المسألة. هل ترغب في تناول العشاء...»

«كلا، أريد أن أبدأ ترتيب أغراضي، وشراء بعض الخضار، والقيام بجولة في المكان. غداً، سأذهب إلى هيدستاد لشراء بعض الملابس الشتوية.»

«فكرة جيدة.»

«أود أن يتم نقل الملفات المتعلقة بقضية هارييت إلى شقتي.»

«يجب التعامل معها...»

«بعناية تامة، أفهمك.»

عاد بلومفيست إلى منزل الضيوف. كانت أسنانه تصطك من البرد عند وصوله إلى الداخل. كان مقياس الحرارة المعلق خارج النافذة يشير إلى خمس عشرة درجة مئوية تحت الصفر. لم يتذكر أنه شعر يوماً بمثل البرد الذي أحسه بعد قيامه بتلك النزهة التي لم تدم أكثر من عشرين دقيقة.

أمضى ساعة كاملة يرتب أغراضه داخل المنزل الذي يفترض أن يكون مكان إقامته للعام القادم. وضع ملابسه في الخزانة داخل غرفة النوم، وأغراضه الخاصة الأخرى في خزانة الحمام الصغيرة. أما حقيبته الثانية، فكانت عبارة عن حقيبة بعجلات، أخرج منها بعض الكتب والأقراص المدمجة وآلة تشغيل الأقراص المدمجة ومفكرات تدوين الملاحظات ومسجلة من نوع Sanyo، وآلة تصوير تحمل ماركة Microtek، وآلة طابعة صغيرة محمولة، وكاميرا رقمية Mintola، وعدداً من الأغراض الأخرى كان يعتبرها العدّة الأساسية لتمضية عام كامل في المنفى.

رتّب الكتب والأقراص المدمجة على الرف في المكتب إضافة إلى عدد من المجلدات التي تضم أبحاثاً ومعلومات عن هانس-إريك وينرشتروم. لم تكن المعلومات التي يحتفظ بها ذات قيمة، لكن لم يكن بوسعه الاستغناء عنها. عليه أن يحوّل هذين الملفّين بطريقة ما إلى حَجَري أساس للمضي قدماً في وظيفته.

أخيراً، قام بفتح حقيبة الكتف ووضع جهاز الـiBook على طاولة المكتب. ثم توقف عما كان يفعله ونظر من حوله كالأبله مرتبكاً. لا بدّ أن يكون ذلك أحد معالم العيش في الريف. لم يكن هناك من مكان

لتوصيل القطع بالتيار الكهربائي. لم يكن يملك حتى هاتف يستعمله لتوصيل الجهاز والتمكن من الوصول للإنترنت.

اتصل بلومفيست بشركة Telia للاتصالات من هاتفه النقال. بعد فترة وجيزة من التشويش تمكن من التحدث إلى أحدهم لمعرفة نظام الاتصال الذي اعتمده فانغر في منزل الضيوف. أراد أن يعلم ما إذا كان الاتصال قابلاً لأن يتلقى خدمات الـADSL للإنترنت، وقد تمّ إبلاغه بالفعل بأن ذلك ممكن عن طريق محطة توصيل في هيديبي وأن العملية سوف تستغرق بضعة أيام.

كانت الساعة قد تجاوزت الرابعة حين فرغ من العمل الذي بين يديه. وضع جوارب شتوية سميكة والحذاء المستعار وارتدى سترة إضافية. وقف عند الباب الأمامي للمنزل حائراً إذ لم يكن قد استلم أية مفاتيح للمنزل الذي يقيم فيه حالياً، وتمرّد حدسه المديني النشأة على فكرة المغادرة وترك باب المنزل غير مقفل. عاد إلى المطبخ وأخذ يفتح الأدراج مفتشاً. عثر أخيراً على مفتاح متدلٍ من مسمار مغروز بجانب الخزانة.

كانت الحرارة قد انخفضت إلى ثماني عشرة درجة مئوية تحت الصفر. مشى فوق الجسر بخطى سريعة وتابع الطريق صعوداً متجاوزاً الكنيسة. كان متجر «كونوسم» لا يبعد لحسن الحظ سوى ثلاثمئة ياردة تقريباً. ملأ كيسين ورقيّين كبيرين بالأغراض المنزلية وحملهما إلى المنزل قبل أن يعود أدراجه لعبور الجسر مجدداً والتوقف عند «مقهى سوزان» هذه المرة. كانت المرأة التي تقف وراء الطاولة في الخمسينيات من العمر. سأل ما إذا كانت سوزان هي نفسها ثم عرّفها بنفسه قائلاً إنه سيكون دون أدنى شك من مرتادي المقهى الدائمين. كان في تلك الساعة الزبون الوحيد في المقهى. قدمت له سوزان القهوة حين طلب بعض السندويشات واشترى رغيفاً من الخبز. تناول نسخة من بريد هيدستاد

أخذها من كومة صحف وجلس إلى طاولة تطلّ على الجسر والكنيسة التي قد أضيئت واجهتها. كانت أشبه ببطاقة عيد ميلاد. استغرقته قراءة الصحيفة حوالى أربع دقائق. الخبر الأوحد الذي أثار اهتمامه كان شرح مقتضب يفيد أن أحد السياسيين المحليين ويدعى بيرجر فانغر من الحزب الليبرالي سوف يستثمر في IT TechCent وهو مركز للتطوير التكنولوجي في هيدستاد. بقي ميكائيل جالساً في المقهى حتى موعد الإقفال عند السادسة مساءً.

عند السابعة والنصف اتصل ببرجر لكن تبين له أن الاتصال بها على ذلك الرقم غير ممكن في الوقت الراهن. جلس على مقعد في المطبخ وحاول قراءة صفحات رواية تحكي حسب ما ورد في التلخيص الموجود على الغلاف الخارجي أن مضمونها يدور حول الظهور العلني المثير الأول لمراهقة متعصبة للنساء. تدور أحداث القصة حول محاولة الكاتبة التحكم بحياتها الجنسية أثناء رحلة لها إلى باريس. وتساءل بلومفيست ما إذا كان يصلح تصنيفه كمتعصب للنساء إذا ما قام بكتابة رواية عن حياته الجنسية الخاصة بأسلوب طالب ثانوية. ربما لا. لقد قام بشراء الرواية لمجرد أن الناشر قد وسم صاحبها الذي أصدرها كأول عمل له على بأنه «كارينا رادبيرغ» الجديد. سرعان ما تيقن أن الوضع ليس كذلك لا من حيث الأسلوب ولا المضمون. وضع الكتاب جانباً لبرهة وقرأ بدلاً منه رواية «هوبالانغ كاسيدي» الواردة في إحدى نسخ *Rekordmagasinet* الصادرة في منتصف الخمسينيات.

لم ينفك يسمع مع مرور كل نصف ساعة قرع جرس الكنيسة المقتضب الأجش. كان يمكن رؤية الأضواء تسطع من زجاج نوافذ منزل الحانوتي الواقع على الجانب الآخر من الطريق، لكن بلومفيست لم يرَ أحداً داخل المنزل. كان منزل هارالد فانغر مظلماً. وحوالى الساعة التاسعة اجتازت سيارة الجسر واختفت وراءه. وعند منتصف الليل انطفأت أضواء واجهة الكنيسة. من الواضح أن ذلك كان قمة حياة الاستمتاع في

هيديبي في ليلة جمعة من إحدى أمسيات يناير المبكرة. كان الصمت يخيّم على المكان بشكل مريب.

حاول الاتصال ببرجر مجدداً، لكنه لم يسمع إلا تسجيلاً لصوتها طالباً منه أن يترك اسمه ورسالة صوتية. فكان هذا ما فعله، قبل أن يطفئ الضوء ويخلد إلى النوم. آخر ما فكّر فيه قبل أن يغفو أنه كان يجازف كثيراً بالإصابة بالجنون التام هنا في هيديبي.

كان مستغرباً بالنسبة إليه الاستيقاظ على هذا القدر من السكون المطبق. انتقل بلومفيست من مرحلة النوم العميق إلى الاستيقاظ الكامل في جزء من الثانية، واسترخى في الفراش من دون حراك يصغي إلى الصمت المخيم على كافة أرجاء المكان. كانت الغرفة باردة، أمال برأسه ونظر في ساعة يده الملقاة على طاولة بجانب السرير، كانت العقارب تشير إلى الساعة السابعة وثماني دقائق. لم يكن يوماً من الأشخاص الذين يشعرون بنشاط في الصباح للنهوض من الفراش باكراً، لطالما كان يصعب عليه أن يصحو من دون صوت جرس منبه يرنّ مرّتين على الأقل. أما اليوم فقد استيقظ من تلقاء نفسه، حتى إنه كان يشعر بنوع من الراحة.

وضع بعض الماء على النار من أجل إعداد القهوة قبل أن يدخل للاستحمام. انتابه شعور مفاجئ بالمتعة في معايشة هذا الوضع القائم، بلومفيست *الخارق* في رحلة بحث في *الماضي البعيد*.

كانت مياه الاستحمام تتحول من ساخنة إلى جليدية عند أدنى لمسة، وليس هناك من صحيفة صباحية تنتظر على طاولة المطبخ، والزبدة كانت أشبه بقطعة ثلج. لم يجد سكّيناً لقطع الجبنة في دُرْج أدوات المطبخ. كان الظلام لا يزال حالكاً في الخارج، وكان مقياس الحرارة يشير إلى ست درجات تحت الصفر. وكان يوم سبت.

محطة الحافلات المتوجهة إلى هيدستاد كانت على الطريق إلى «كونوسم». بدأ بلومفيست رحلة المنفى عبر تنفيذ مخططه للذهاب إلى

أسواق البلدة والتبضع. ترجل من الحافلة بالقرب من محطة سكة الحديد وقام بجولة في ساحة البلدة الرئيسية. اشترى حذاءً شتوياً وزوجاً من الملابس القطنية التحتية الطويلة وعدّة سترات قطنية إضافة إلى معطف شتوي يصل طوله حتى منتصف الفخذ، وقبعة صوفية وقفازين. وجد في متجر الأدوات الكهربائية تلفزيوناً محمولاً صغيراً. أكّد له موظف المبيعات أنه سيتمكن على الأقل من التقاط محطة SVT وتلفزيون الدولة الرسمي في هيديبي، وأبلغه بلومفيست أنه سيعود للمطالبة بماله في حال تبيّن أن ما قاله له غير صحيح.

عرّج في طريقه على المكتبة لشراء بعض البطاقات لتدوين الملاحظات وقام باستعارة كتابين من نوع القصص الغامضة لإليزابث جورج. اشترى كذلك بعض الأقلام ودفاتر تدوين الملاحظات وحقيبة للظهر يضع فيها مشترياته.

وأخيراً ابتاع له علبة سجائر. كان قد توقف عن التدخين منذ عشر سنوات، لكنه في هذه الأثناء سيعود إلى عادته السيئة ويدخن بعض السجائر من وقت لآخر. دسّ العلبة في جيب سترته من دون أن يفتحها. كانت محطته الأخيرة عند طبيب العيون حيث اشترى زوجاً آخر من العدسات اللاصقة وطلب محلولاً خاصاً بها.

عند الساعة الثانية تماماً كان قد عاد إلى هيديبي وبدأ يزيل الأوراق التي تحمل الأسعار عن الملابس التي اشتراها حين سمع الباب الأمامي يفتح. كانت هناك امرأة شقراء في الخمسينيات من العمر تطرق على باب المطبخ المفتوح وهي تجتاز العتبة. كانت تحمل قالب حلوى شبيهاً بقطعة الإسفنج على صينية.

«مرحباً، لقد أتيت لألقي التحية وأعرّفك بنفسي وحسب. أدعى إيلينا نيلسون وأعيش على الجانب الآخر من الطريق. سمعت أننا سنصبح جارين.»

تصافحا وعرّفها بنفسه.

«آه، أجل. لقد رأيتك على التلفزيون. سيكون جميلاً أن نرى الأضواء تملأ المكان هنا مساءً.»

سكب لها بعض القهوة. راحت تعتذر عن شرب القهوة، لكنها عادت وجلست على طاولة المطبخ واختلست النظر من النافذة إلى الخارج.

«ها هو هنريك قادم برفقة زوجي. يبدو أنهما يجلبان لك بعض الصناديق.»

كان فانغر وغونار نيلسون يسيران جنباً إلى جنب ويدفعان لوحاً مزوّداً بمجلات، فسارع بلومفيست إلى الخارج لملاقاتهما والمساعدة في حمل الصناديق. وضعوا العلب المرتبة على الأرض بالقرب من الموقد، وأخرج بلومفيست فناجين القهوة وقَطَع قالب الحلوى الذي أحضرته السيدة نيلسون.

كانت عائلة «نيلسون» بغاية اللطف. لم يكونا ثنائياً متطفلاً فضولياً حيال سبب وجود بلومفيست في هيدستاد، كان مجرد حقيقة عمله لحساب السيد هنريك فانغر يشكل تفسيراً كافياً في الواقع. لاحظ بلومفيست مدى التفاعل بين الثنائي نيلسون وفانغر مستنتجاً أن العلاقة بينهما تسودها العفوية وتخلو من أي نوع من المسافة التي تفترضها علاقة السيد بالخدم. لقد تحدثوا عن شؤون القرية والرجل الذي قام ببناء منزل الضيوف حيث يقيم هو حالياً. كان أحد أفراد الثنائي نيلسون يسارع إلى إنقاذ السيد فانغر كلما خانته ذاكرته. أما فانغر من ناحيته فكان يسرد قصة مضحكة عن كيفية قيام عائلة «نيلسون» في إحدى الليالي بالكشف عن أحد مخبولي القرية وهو يحاول، من فوق الجسر، كسر نافذة منزل الضيوف، حيث قام نيلسون بسؤال الجاني الأحمق عن سبب عدم اقتحامه المنزل عبر الباب الأمامي غير المقفل. تأمل السيد نيلسون جهاز التلفزيون الصغير الذي اشتراه بلومفيست بارتياب ودعاه للقدوم إلى منزله إن كان يرغب في متابعة برنامج ما.

لم يطل فانغر البقاء بعد رحيل الثنائي نيلسون. خطر له أنه من

الأفضل لو يترك بلومفيست يرتب أشياءه براحته وينظّم ملفاته بنفسه واثقاً أنه سوف يذهب إليه في حال واجه أية مشكلة.

حين صار وحده مجدداً، حمل بلومفيست الصناديق إلى مكتبه وبدأ ينقّب في محتوياتها.

لقد استمر تحقيق فانغر في مسألة اختفاء حفيدة أخيه ستة وثلاثين عاماً. تساءل بلومفيست ما إذا كان ذلك ينمّ عن هوسٍ مرضي أم أن الأمر تطوّر على مدى السنين ليأخذ شكل المباراة الذهنية. لكن الواضح أن الرجل المسن قد اتبع في تحقيقه طريقة منهجية تشبه طريقة عالم آثار هاوٍ، كانت مادة البحث ستملأ رفوفاً كاملة بطول عشرين قدماً.

كان القسم الأكبر من تلك المواد يتألف من ستة وعشرين مجلداً يضم نسخاً من التحقيق الذي أجرته الشرطة. يصعب التصديق أن قضية عادية حول أحد الأشخاص المفقودين قد تنتج مثل هذا الكمّ الهائل من الملفات. لا شك أن فانغر كان يتمتع بما يكفي من السلطة والقوة لجعل شرطة هيدستاد تسير في التحقيق وتتعقب كافة الأدلة العملية والمحتملة.

إضافة إلى كل ذلك كانت هناك القصاصات وألبومات الصور والخرائط والنصوص التي تتحدث عن هيدستاد وشركة «فانغر»، ومفكرة هاريت (مع أنها لا تضم الكثير من الصفحات)، وكتبها المدرسية ووثائقها الطبية. إضافة إلى ستة عشر مجلداً من الأوراق المطبوعة يحتوي كل منها على مئة صفحة أو أكثر، كانت تلك المجلدات عبارة عن سجلات التحقيقات الرسمية التي يحتفظ بها فانغر. وقد دوّن في تلك المفكرات بخط يده المتقن تحليلاته الخاصة ونظرياته وبعض الاستطرادات. تصفح بلومفيست عدداً منها فوجد أن النص المكتوب يحمل قيمة أدبية، وانتابه شعور أن تلك النصوص كانت مجرد نسخ عادية عن الكثير من دفاتر تدوين الملاحظات. كانت هناك عشرة مجلدات تضم معلومات عن أفراد عائلة «فانغر». كانت كلها صفحات مطبوعة تحتوي على قدر من

المعلومات التي تمّ جمعها على مدى سنوات، إنها التحقيقات التي قام بها فانغر حول أفراد عائلته.

حوالى الساعة السابعة سمع مواء قط عند مدخل بيته. كان هرّ بنّي اللون قد مرّ بجانبه مسرعاً إلى الدفء.

قال له: «قط عاقل».

أخذ القط يتجول في أرجاء المنزل يشتمّ الزوايا لبرهة. قدّم له ميكائيل بعض الحليب في الصحن فلعقه الضيف بأكمله. من ثمّ قفز إلى مقعد المطبخ وتكوّر فوقه ومكث من دون حراك.

كانت الساعة قد تجاوزت العاشرة قبل أن يتمكن بلومفيست من إلقاء نظرة أولية شاملة على المواد الموجودة بين يديه وترتيبها على الرفوف. أعدّ لنفسه القهوة وسندويشين. لم يكن قد تناول وجبة لائقة طوال النهار، لكنه شعر بالغرابة لعدم رغبته في تناول الطعام. قدّم للقط قطعة من السجق وبعض قطع الكبد. بعد أن تناول قهوته أخذ علبة السجائر من جيب محفظته وفتحها.

تحقق من هاتفه الخلوي لكنه وجد أن برجر لم تتصل. حاول الاتصال بها مجدداً، إلا أنه لم يسمع سوى الصوت المسجّل نفسه.

إحدى الخطوات الأولى التي قام بها بلومفيست كانت معاينة خارطة جزيرة هيديبي التي سبق له أن استعارها من فانغر. وقام بتدوين أسماء أصحاب المنازل إذ لا تزال الأسماء حاضرة في ذهنه. كانت عائلة «فانغر» تضم عدداً كبيراً من الأشخاص بحيث يتطلب التعرف إلى كل من أصحاب الأسماء الواردة وقتاً.

قبل حلول منتصف الليل مباشرة، ارتدى بلومفيست ملابس تبعث الدفء وانتعل حذاءه الجديد، ثم عبر الجسر وسار على طول الممر الضيق أسفل الكنيسة. كانت طبقة من الجليد قد تشكلت فوق ذاك الممر

وعلى أرض المرفأ القديم، لكنه تمكن من أن يرى في البعيد فسحة من المياه أكثر ظلمة. وبينما هو واقف هناك، انطفأت أضواء واجهة الكنيسة وساد الظلام الحالك من حوله. كانت الأرض من تحته مغطاة بصفحة من الجليد والسماء من فوقه مرصعة بالنجوم.

شعر بلومفيست فجأة بالكآبة. لم يكن يفهم كيف سمح لفانغر بأن يقنعه بتولي تلك المهمة. لقد كانت برجر محقة: كان يجدر به أن يكون في ستوكهولم، في السرير معها مثلاً، يضع الخطط لحملاته الآتية ضد وينرشتروم. لكنه شعر باللامبالاة حيال ذلك أيضاً، ولم تكن لديه أدنى فكرة حول كيفية البدء بوضع قواعد استراتيجية مضادة.

لو كان الوقت لا يزال نهاراً لكان سار مباشرة إلى منزل فانغر، ليلغي العقد الموقّع بينهما ويعود إلى الديار. لكنه كان يستطيع من حيث يقف، على المكان المرتفع بالقرب من الكنيسة، أن يرى كافة المنازل الواقعة على جانب الجزيرة. كان منزل هارالد فانغر مظلماً، لكن النور في منزل سيسيليا كان مضاءً، كذلك في فيلاّ مارتن البعيدة والمنزل المؤجر. على مرفأ المراكب الصغيرة كانت الأضواء تنبعث من كوخ الرسّام وبعض غيوم الدخان الصغيرة تتصاعد من المدخنة. كما رأى بعض الأنوار في الطابق العلوي للمقهى وتساءل بلومفيست ما إذا كانت سوزان تعيش هناك، وإذا كان الأمر كذلك، فهل هي تعيش وحدها؟

استيقظ صباح يوم الأحد مرتعباً على أصوات رنين مدوية تملأ منزل الضيوف. استغرقه الأمر بضع ثوانٍ ليصحو تماماً وينتبه إلى أن تلك أصوات جرس الكنيسة تدعو أفراد الرعية إلى القداس الصباحي. كانت الساعة قرابة الحادية عشرة. ظل مستلقياً في السرير إلى أن سمع المواء الملحّ عند الباب فنهض لإطعام القط.

استحم عند الظهيرة وتناول الفطور. وذهب مذعناً إلى مكتبه وتناول المجلد الأول من تحقيقات الشرطة. انتابته موجة من التردد. لمح من

زاوية النافذة العليا مقهى «سوزان» على الجسر. دسّ المجلّد في حقيبة الكتف وارتدى ملابس مناسبة وخرج. حين وصل إلى المقهى وجده يعج بالزبائن، وتلقّى عندئذ إجابة عن سؤال ظل يراوده: كيف يمكن لمقهى واقع في أبعد نقطة من هيديبي أن ينجح في إعالة صاحبه؟ كانت سوزان متخصصة في العمل لحساب مرتادي الكنيسة وكانت على الأرجح تعدّ القهوة والحلوى للمآتم والمناسبات الأخرى.

اختار الذهاب في نزهة بدلاً من المكوث في المقهى. كان متجر «كونوسم» يقفل أيام الآحاد، لكنه تابع السير بضع مئات الياردات باتجاه هيدستاد حيث قام بشراء بعض الصحف من محطة للوقود. أمضى ساعة كاملة يتجول في أرجاء هيديبي متفرجاً على أنحاء البلدة الواقعة قبل الجسر. كان وسط البلدة هو المكان الأقرب إلى الكنيسة ويقع بعد متجر «كونوسم» حيث بعض الأبنية القديمة الحجرية المؤلفة من طبقتين، وقد خطر لبلومفيست أنها شيدت في العقد الأول من القرن أو في العشرينيات منه ربما، وكانت تقوم على شارع أساسي لا يمتدّ طويلاً. شمال تلك الطريق نحو البلدة كانت أبنية لائقة المظهر تضم شققاً سكنية للعائلات. وعلى طول الممر المائي جنوب الكنيسة كانت هناك شقق معظمها لغير المتزوجين. بدت هيديبي مكاناً مقبولاً نسبياً لصنّاع القرار في هيدستاد وللمدنيين العاديين.

حين عاد إلى الجسر، كان سيل الزبائن في المقهى قد خفّ قليلاً، لكن سوزان كانت لا تزال ترفع الأطباق عن الطاولات.

قال لها محيياً: «إنها زحمة نهار الأحد، أليس كذلك؟»

أومأت له إيجاباً وهي تدسّ خصلة من شعرها وراء إحدى أذنيها وقالت: «أهلاً ميكائيل».

«ها إنك لا تزالين تتذكرين اسمي.»

أجابته: «إنه اسم يصعب نسيانه، لقد تابعت مجريات المحاكمة على التلفزيون.»

تمتم يقول: «ينبغي ملء فترة الأخبار بحدث ما». ثم تابع السير نحو طاولة تقع في الزاوية تطل على الجسر. حين التقت عيناه بعيني سوزان افتر ثغرها عن ابتسامة.

عند الساعة الثالثة من بعد الظهر أبلغته سوزان أنها ستغلق المقهى لبقية النهار. بعد زحمة مرتادي الكنيسة لم يدخل المقهى ويغادره إلا عدد ضئيل من الزبائن. كان بلومفيست قد أنهى قراءة ما يزيد على خُمْس المجلد الأول من التحقيق الذي أجرته الشرطة. دسّ دفتر الملاحظات في الحقيبة ومشى فوق الجسر مسرعاً في العودة للمنزل.

كان القط ينتظره على الدرج. نظر من حوله متسائلاً من هو صاحب هذا القط الشريد. لكنه مع ذلك سمح له بالدخول معه إلى المنزل، فهو يشكل على الأقل نوعاً من رفيق وحدته الدائمة.

أجرى محاولة يائسة أخرى للتحدث إلى برجر. من الواضح أنها كانت لا تزال غاضبة منه. كان بإمكانه أن يحاول الاتصال بها على خطها المباشر في المكتب أو أن يطلب رقم هاتف منزلها، لكنه سبق أن ترك لها ما يكفي من الرسائل. لذا تخلّى عن الفكرة وعمد بدلاً منها إلى صنع القهوة وأبعد القط قليلاً إلى حافة المقعد وجلس إلى الطاولة وفتح الملف أمامه.

أخذ يقرأ المعلومات على مهل، بتمعن تام إذ لم يكن يشاء أن يفوته أي تفصيل مهما كان. وحين أغلق الملف كان قد ملأ عدداً من الصفحات في دفتر ملاحظاته الخاص مع هوامش تذكير وأسئلة كثيرة يأمل الحصول على إجابات لها في الملفات القادمة. كانت المعلومات بأكملها واردة وفق ترتيب زمني. لم يتسنّ له أن يعرف ما إذا كان فانغر قد قام بإعادة ترتيبها على هذا النحو أو أن ذلك كان النظام الذي تتبعه الشرطة في إيراد المعلومات في ذاك الوقت.

كانت الصفحة الأولى عبارة عن نسخة مصورة من تقرير مكتوب

بخط اليد بعنوان مركز طوارئ شرطة هيدستاد. كان الشرطي الذي تلقّى الاتصال قد ذيّل التقرير بتوقيع «ش. م. ريتينغر»، وقد افترض بلومفيست أن الأحرف الأولى تعني «الشرطي المناوب». كان المتصل هنريك فانغر وقد تمّ تدوين عنوانه ورقم هاتفه. وكان تاريخ التقرير يعود إلى نهار الأحد الواقع في الخامس والعشرين من سبتمبر من عام 1966، عند الساعة الحادية عشرة والدقيقة الرابعة عشرة. وكان نص التقرير مقتضباً وقد جاء فيه:

اتصال من هنريك فانغر يبلغ ان ابنة أخيه (؟) هارييت اولريكا فانغر المولودة في 15 يناير 1950 (16 عاماً) قد اختفت من منزلها الواقع على جزيرة هيديبي منذ بعد ظهر السبت. أبدى المتصل قلقاً شديداً.

وأرسل تبليغ عند الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة يشير إلى أن دورية على مركب P-014 قد تمّ إرسالها إلى الموقع.

كما كان هناك تبليغ آخر عند الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين مكتوباً بخط يد أكثر إبهاماً من ذاك المدوّن بخط ريتينغر يذكر أن *الشرطي ماغنوسن يقرّ بأن الجسر المؤدي إلى جزيرة هيديبي لا يزال مقفلاً. والانتقال يتم عبر المركب.* وكان في أسفل التقرير توقيع غير مقروء.

عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة الرابعة عشرة يعود ريتينغر ويذكر: *اتصال هاتفي بالشرطي ماغنوسن في هيدستاد يؤكد أن هارييت فانغر البالغة ستة عشر عاماً مفقودة منذ فترة مبكرة من بعد ظهر نهار السبت. العائلة تعبّر عن قلقها الشديد إزاء ذلك. لا يعتقد أنها نامت في منزلها الليلة الفائتة. ولا يمكن أن تكون قد غادرت الجزيرة نظراً إلى أن الجسر مسدود. ما من أحد من أفراد العائلة على علم بمكان وجود هارييت.*

عند الساعة الثانية عشرة والدقيقة التاسعة عشرة: *غ. م. يطّلع عبر الهاتف على الوضع.*

والتبليغ الأخير المدون عند الساعة الواحدة والدقيقة الثانية والأربعين يذكر: غ.م. موجود على مسرح الحدث في هيدستاد وسيئولى القضية.

كشفت الصفحة التالية أن الحرفين الأولين «غ. م.» يعودان إلى اسم غوستاف موريل الذي وصل إلى جزيرة هيديبي عبر المركب وتولى زمام الأمور وأعدّ تقريراً رسمياً حول اختفاء هارييت فانغر. وخلافاً للنصوص الأولية والكلمات المختصرة التي لا طائل منها، كانت تقارير موريل مطبوعة ومقروءة بشكل واضح تماماً. وقد أتت الصفحات التالية على ذكر التدابير التي اتخذت عندئذ بموضوعية وإسهاب في سرد التفاصيل أصابا بلومفيست بالدهشة.

قام موريل أولاً بالتحدث إلى هنريك فانغر إضافة إلى إيزابيلا فانغر، والدة هارييت. ثم قابل على التوالي كلاً من أولريكا فانغر وهارالد فانغر وغريغر فانغر وشقيق هارييت، مارتن فانغر وآنيتا فانغر. توصل بلومفيست في النهاية إلى أن كافة تلك المقابلات قد أجريت وفقاً لأهمية كل فرد في العائلة بالنسبة للقضية بدءاً من الأكثر أهمية إلى الأقل أهمية.

أولريكا فانغر كانت والدة هنريك فانغر ومن الواضح أنها كانت تحتل مقاماً أقرب إلى ملكة أرملة ورثت عرش زوجها وجاهه. كانت أولريكا تلك تعيش على عقار تملكه عائلة «فانغر» ولم تكن قادرة على تقديم أية معلومات. لقد أوت إلى الفراش باكراً في الليلة السابقة ولم تكن قد رأت هارييت لعدة أيام. بدا أنها أصرّت على رؤية المحقق التحري موريل لمجرد أنها كانت ترغب في أن تبدي رأيها حول ضرورة تحرك الشرطة فوراً.

هارالد فانغر كان يحتل المرتبة الثانية على القائمة. لم يكن قد رأى هارييت سوى لبرهة قصيرة وذلك عند عودتها من ساحة الاحتفالات في هيدستاد، لكنه لم يلمحها منذ حصول الحادث على الجسر ولا يعلم أي شيء عن مكان وجودها.

غريغر فانغر شقيق كل من هنريك وهارالد ذكر أنه قد رأى المفقودة ذات الستة عشر ربيعاً في مكتبة هنريك فانغر وهي تطلب التحدث إلى هنريك بعد زيارتها لهيدستاد في وقت سابق من ذاك اليوم. أشار غريغر فانغر إلى أنه لم يكن قد تحدث إليها وأن كل ما فعله هو إلقاء التحية عليها وحسب. وهو لا يملك أدنى فكرة أين يمكن أن تكون لكنه أعرب عن وجهة نظره القائلة بأنها ذهبت ربما من دون تفكير لزيارة أحد الأصدقاء وإنها سرعان ما ستظهر. وعندما سئل عن كيفية مغادرتها الجزيرة في هذه الحال، لم تكن لديه أية إجابة.

تم التحقيق مع مارتن فانغر على نحو صوري وحسب. لقد كان يتابع السنة الأخيرة في المدرسة الإعدادية في أوبسالا حيث كان يعيش في منزل هارالد فانغر. لم يتسع له المكان في سيارة هارالد، فاستقل القطار إلى المنزل في هيدبي ووصل متأخراً جداً فعلق على الجهة الخاطئة من مكان وقوع الحادث على الجسر ولم يتمكن من العبور إلا في ساعة متأخرة من المساء بواسطة المركب. تم التحقيق معه على أمل أن تكون أخته قد أسرّت إليه والمحت أمامه ربما عن نيّة في الهرب. لاقى السؤال قدراً هائلاً من احتجاجات والدة هارييت فانغر، لكن لعل المحقق موريل كان يفكر في تلك اللحظة أن هرب هارييت من المنزل أفضل ما يمكن أن يأمله. لكن مارتن لم يكن قد تحدّث مع أخته منذ عطلة فصل الصيف ولم يكن يملك أي معلومات ذات قيمة.

آنيتا فانغر، ابنة هارالد فانغر، تم تصنيفها خطأً على القائمة على أنها ابنة عمّ هارييت الأولى. كانت في عامها الأول في جامعة ستوكهولم وقد أمضت عطلة الصيف في هيدبي. كانت بعمر هارييت تقريباً وقد أصبحت الفتاتان صديقتين. أقرّت أنها وصلت إلى الجزيرة مع والدها نهار السبت وأنها كانت تتطلع قدماً لرؤية هارييت، لكنها لم تحظَ بفرصة العثور عليها. وذكرت آنيتا أنها لا تشعر بالارتياح للموضوع برمته وأن هارييت ليست من النوع الذي يغادر المنزل على هذا النحو من دون أن يبلغ العائلة

بوجهته. وقد أكد كل من هنريك وإيزابيلا فانغر الأمر عينه. وبينما كان المحقق موريل يجري تحقيقاته مع أفراد العائلة، أصدر أمراً إلى ماغنوسن ويبرغمان في الدورية رقم 014 بتنظيم أول حملة تفتيش قبل مغيب الشمس. كان الجسر لا يزال مسدوداً أمام السيارات لذا كان من الصعوبة بمكان استقدام أية تعزيزات. كانت مجموعة البحث تتألف من ثلاثين من رجال ونساء من مختلف الأعمار. ضمت المساحات التي دخلت نطاق التفتيش المنازل غير المأهولة بالسكان عند مرفأ الصيد والشاطئ وعلى طول الممر المائي، إضافة إلى الجزء الأقرب من الغابة إلى القرية، وعلى التلة المسماة سودربيرجيت الواقعة خلف مرفأ الصيد. وقد تم البحث في الموقع الأخير المذكور لأن أحدهم طرح نظرية تقول بأن هارييت ذهبت إلى هناك للحصول على رؤية أفضل لمشهد الحادث على الجسر. أرسلت الدوريات كذلك إلى أوسترغاردن وكوخ غوتفريد الواقع على الجانب الآخر من الجزيرة الذي كانت هارييت تزوره من وقت لآخر.

لكن عملية التفتيش لم تكن مثمرة ولم تتوقف إلا بعد وقت طويل من هبوط الظلام على المكان عند الساعة العاشرة ليلاً. وقد انخفضت درجة الحرارة إلى ما دون الصفر.

خلال فترة بعد الظهر اتّخذ المحقق موريل مقراً له غرفة الرسم في الطابق الأرضي من مكاتب «فانغر» العقارية بعد أن وضعها هنريك فانغر تحت تصرفه. وقد اتخذ من هناك عدداً من التدابير.

قام برفقة إيزابيلا فانغر بمعاينة غرفة هارييت للتأكد من أن شيئاً لم يكن مفقوداً، سواء كان ذلك ملابس أو حقيبة سفر أو أي شيء يدلّ على هرب هارييت من المنزل. وضعت ملاحظة تقول إن إيزابيلا لم تكن بغاية التعاون وتشير إلى أنها بدت غريبة بالكامل عن خزانة ملابس ابنتها. إذ ذكرت أمام المحقق، *غالباً ما كانت ترتدي سراويل الجينز، لكنها جميعاً متشابهة، أليس كذلك؟* كانت حقيبة يد هارييت لا تزال على الطاولة وكان فيها بطاقة هويتها ومحفظة نقود تحتوي على تسعة كورونات وخمسين أوراً

إضافة إلى مشط للشعر ومرآة وفوطة. ثم أُقفلت غرفة هارييت بعد تفتيشها.

أرسل موريل بطلب عدد أكبر من الأشخاص للتحقيق معهم، بمن في ذلك أفراد العائلة والموظفين. وقد تم تدوين محاضر التحقيق بعناية تامة ودقة متناهية.

عندما بدأ المشاركون في عملية البحث الأولى العودة بتقارير مخيّبة للآمال، قرر المحقق إجراء تفتيش آخر أكثر دقة ومنهجية. وقد تم استدعاء المزيد من التعزيزات ذلك المساء وطوال فترة الليل. أجرى موريل عدداً من الاتصالات من بينها مكالمة مع رئيس نادي هيدستاد للقيادة والتوجيه طالباً مساعدته في استدعاء المتطوعين للانخراط في فرق البحث. وقد أُبلغ عند منتصف الليل أن ثلاثة وخمسين عضواً معظمهم من قسم الشباب سيكونون في منطقة «فانغر» عند السابعة صباحاً. أما هنريك فانغر فقد استدعى عمال الفترة الصباحية في مصنع الورق وعددهم خمسين رجلاً. كما رتّب ما يلزم لتأمين الطعام والشراب للجميع.

تمكن بلومفيست من رسم صورة حية في مخيلته لمسار الأحداث التي كانت تجري على أرض «فانغر» في تلك الأيام. من المؤكد أن الحادث على الجسر ساهم في نشر حالة من الارتباك خلال الساعات الأولى، لأنه جعل من الصعب استقدام التعزيزات ولأن الناس ظنوا بطريقة ما أن تزامن حصول هذين الحدثين في المكان عينه والتوقيت المتقارب لا بد أنه أمر مترابط. عندما تم رفع حافلة الوقود ذهب المحقق موريل إلى الجسر بنفسه للتأكد من أن الأمر لم ينته بوجود هارييت فانغر بشكل من الأشكال تحت الأنقاض. كان ذلك التصرف المتهور هو الوحيد الذي استطاع ميكائيل ملاحظته في سلوك المحقق نظراً إلى أن الفتاة المفقودة كانت من دون أدنى شك قد شوهدت على الجزيرة بعد حصول الحادثة.

خلال الساعات الأربع والعشرين الأولى من الحيرة والارتباك، خابت

آمالهم بتبدّل الأحوال ووصول المسألة سريعاً إلى خواتيمها السعيدة. واستبدلت تدريجياً بنظريتين اثنتين. على الرغم من الصعوبات الواضحة التي تعتري إمكانية رحيلها عن الجزيرة من دون أن يلاحظ أحد ذلك، رفض موريل أن يسقط من حسابه احتمال هربها. وقرر إرسال مذكرات تفتيش عن هاربيت فانغر إلى كل مكان وأصدر التعليمات لشرطيي الدوريات في أنحاء هيدستاد بإبقاء أعينهم مفتوحة في قضية البحث عن الفتاة المفقودة. كذلك أرسل زميلاً له من قسم الجنايات للتحقيق مع سائقي حافلات النقل وعمال محطة سكة الحديد لمعرفة ما إذا كان أحدهم قد رآها.

ولما لم ترد التقارير حاملة أخباراً إيجابية، ازدادت إمكانية وقوع هاربيت فانغر ضحية أحد أنواع الحوادث. وقد انتهى الأمر بهذه الفرضية أن سيطرت على مسار التحقيق للأيام التالية.

فرقة البحث الكبرى التي شكلت بعد يومين من حادثة الاختفاء قامت بعملها بفاعلية وفقاً لاستنتاجات بلومفيست. أشرف على تنظيم عملية البحث الشرطة ورجال الإطفاء ممن لديهم خبرة واسعة في القيام بعمليات مشابهة. بعض أجزاء جزيرة هيدبي لا يكاد يكون من الممكن الوصول إليها، لكنها كانت مع ذلك تحتل مساحة صغيرة وحسب وقد تمّ تمشيط الجزيرة بشكل دقيق في يوم واحد. أحد المراكب التابعة للشرطة ومركبان من نوع «بيترسون» لمتطوعين قامت ما بوسعها للبحث في أعماق المياه المحيطة بالجزيرة.

تتابعت عمليات البحث في اليوم التالي معزّزة بالمزيد من الرجال. تمّ إرسال الدوريات للقيام بمسح ثانٍ ولا سيما للمنطقة التي هي مسرح الحدث إضافة إلى منطقة أخرى معروفة بـ«القلعة»، لم تعد اليوم سوى مستودع مهجور بعد أن شيّد أثناء الحرب العالمية الثانية. وقد فتشوا في ذلك اليوم الحفر والخنادق والآبار ومخازن حفظ الخضار والأكواخ ومستودعات منازل القرية كلها.

كانت ثمة نبرة غضب واضحة يمكن ملاحظتها في المذكرات الرسمية إثر طلب إيقاف عمليات البحث في اليوم الثالث على اختفاء الفتاة. لم يكن موريل طبعاً على علم بالأمر لكنه كان قد بلغ في الواقع في تلك المرحلة أقصى ما يمكن أن تتوصل إليه تحقيقاته. أصيب بالحيرة وكافح للتعرف إلى الخطوة الضرورية التالية أو الذهاب إلى أي مكان آخر لمتابعة عمليات البحث. بدا أن هارييت فانغر قد تحللت في الهواء وتبخرت معلنة بدء سنوات عذاب هنريك فانغر.

الفصل التاسع

الاثنين، 6 يناير ـ الأربعاء، 8 يناير

تابع بلومفيست القراءة حتى ساعات الفجر الأولى ولم يستيقظ إلا في وقت متأخر من صباح يوم عيد الظهور. كانت سيارة كحلية اللون، حديثة الطراز من نوع «فولفو» قد توقفت أمام منزل فانغر. ما إن لامست يد بلومفيست قبضة الباب حتى فتحه رجل ما في طريقه للخروج من المنزل. كاد يصطدم أحدهما بالآخر إذ بدا الرجل على عجلة من أمره وقال: «تفضل؟ كيف لي أن أساعدك؟»

أجابه بلومفيست: «أنا هنا لرؤية هنريك فانغر».

التمعت عينا الرجل وابتسم ومدّ له يده قائلاً: «لا بد أنك ميكائيل بلومفيست، الشخص الذي يساعد هنريك في وضع سجلّ تاريخ العائلة، أليس كذلك؟»

تصافح الرجلان. من الواضح أن فانغر قد بدأ بنشر أخبار القصة الملفقة عن حقيقة وجود بلومفيست. كان الرجل بديناً، جراء سنوات طوال من المفاوضات داخل المكاتب وقاعات الاجتماعات، إلا أن بلومفيست لاحظ فوراً الشبه بين ملامح وجه الرجل ووجه هارييت فانغر.

قال له الرجل: «أدعى مارتن فانغر، أهلاً بك في هيدستاد.»

«شكراً لك.»

«رأيتك على شاشة التلفزيون منذ فترة غير بعيدة.»

«يبدو أنه لم يبقَ أحد لم يرني على شاشة التلفزيون.»

«ليس وينرشتروم. . . بالشخص المحبوب في أوساط هذه العائلة.»

«لقد ذكر لي هنريك هذا. أنتظر سماع بقية الرواية.»

ضحك مارتن فانغر وقال: «أخبرني أنه قام بتوظيفك منذ بضعة أيام. أفاد أنك قبلت هذه الوظيفة بسبب قضية 'وينرشتروم' ربما.»

تردد بلومفيست قبل أن يتخذ القرار بقول الحقيقة: «كان ذلك أحد الأسباب المهمة. لكن لأصدقك القول، كنت بحاجة إلى الرحيل عن ستوكهولم وظهر خيار المجيء إلى هيدستاد في اللحظة المناسبة. هذا ما أظنه على الأقل. لا يعني الادعاء أن المحاكمة لم تحصل يوماً. وإني مضطر بجميع الأحوال إلى تمضية فترة من الزمن في السجن.»

أومأ مارتن فانغر وقد بدت ملامحه جدية فجأة: «هل يمكنك الاستئناف؟»

«لن يجدي ذلك نفعاً.»

نظر فانغر إلى ساعة يده.

«ينبغي أن أكون في ستوكهولم الليلة، لذا أجدني مضطراً للمغادرة الآن، سأعود في غضون بضعة أيام. تعالى إلى منزلي لتناول العشاء معاً. أرغب فعلاً في سماع ما الذي جرى حقاً أثناء المحاكمة. هنريك في الأعلى، اذهب إليه مباشرة.»

كان فانغر يجلس على الأريكة في مكتبه حيث يوجد على الطاولة الصغيرة أمامه صحف *Hedestad Courier* و*Dagens Industri* و*Svenska Dagbladet*، إضافة إلى الصحيفتين المحليتين الصادرتين مساءً.

«التقيت مارتن في الخارج.»

أجابه فانغر: «كان مسرعاً لإنقاذ الإمبراطورية. . . أتريد بعض القهوة؟»

«أجل، شكراً لك.» جلس بلومفيست وهو يتساءل لماذا يبدو فانغر مرحاً إلى هذا الحد.

«اسمك مذكور في الصحيفة.»

أخذ فانغر إحدى الصحيفتين اللتين تصدران مساءً وكانت مفتوحة على صفحة تحمل عنواناً يقول: «طريق الإعلام المختصر». كان المقال لأحد أصحاب الأعمدة الثابتة في الصحيفة الذين عملوا سابقاً لحساب مجلة *Monopoly Financial Magazine* وروّجوا لأنفسهم على أنهم من الأشخاص الذين يسخرون بقوة من كل من يتعاطف مع أي قضية أو يندفع للدفاع عن أي مسألة. يمكن للمدافعين عن حقوق النساء والمناهضين للتعصب العرقي والناشطين البيئيين أن يثقوا بإصابتهم بإحدى شظايا هذا الهزء. لم يكن كاتب المقال معروفاً بأنه من المتبنين أو الداعمين لأي قضية أو مبدأ خاص. الآن، وبعد مرور عدة أسابيع على صدور الحكم في قضية «وينرشتروم»، كان الكاتب يصوّب نيران هجماته على ميكائيل بلومفيست الذي وصفه على أنه أحمق بالكامل. كما تمّ تصوير إريكا برجر على أنها مجرد بلهاء إعلامية جميلة لا تتمتع بالكفاءة:

تسري شائعة مفادها أن مجلة «ميلينيوم» على حافة الانهيار على الرغم من أن مديرة التحرير المسؤولة هي إحدى المدافعات عن حقوق النساء اللواتي يرتدين التنانير القصيرة ويتبرجن ويظهرن بشفاههن المنتفخة أمام عدسات كاميرات التلفزيون. لقد عاشت المجلة لعدة سنوات تحافظ على الصورة التي روّج لها رؤساء التحرير من المراسلين الشباب الذين يتولون القيام بالتحقيقات الصحفية بهدف نشر فضائح عالم الأعمال. هذه الخدعة الإعلانية قد تنطلي على الشباب الذين لا يؤمنون بضرورة وجود الحكومات ولا يريدون إلا سماع مثل هذه الرسائل. غير أن تلك الألاعيب لا تنفع في أروقة محكمة

الولاية. وهذا ما اكتشفه «بلومفيست الخارق» مؤخراً.

فتح بلومفيست هاتفه النقال ليتحقق من ورود أي اتصال من برجر، لكنه لم يجد أي رسائل. انتظر فانغر بصمت دون أن ينطق بأي كلمة. أدرك بلومفيست أن العجوز كان يتيح له كسر جدار الصمت.

قال بلومفيست: «إنه مجرد مخبول.»

أطلق فانغر ضحكة، لكنه قال: «قد يكون كذلك فعلاً. لكنه ليس الشخص الذي صدر بحقه حكم المحكمة.»

«هذا صحيح. ولن يكون كذلك مطلقاً. إنه من النوع الذي لا يقول الحقيقة قط، بل ممن يركبون التيار السائد ويقومون برمي الحجر الأخير بأكثر طريقة مدمرة يستطيعون إليها سبيلاً.»

«لقد كان لي الكثير من الأعداء على مدى السنوات الطوال، وإن كان من أمر تعلمته فهو ألا أتورط في حروب خاسرة بنحو محتم، وألا أسمح من ناحية أخرى لمن أهانني أياً كان بأن ينجو بفعلته. وفّر وقتك ووجّه الضربة المضادة القاضية عندما تكون في موقع القوة، حتى لو لم تعد ترغب في ردّها حقاً.»

«أشكر لك نصيحتك الحكيمة يا هنريك. أود منك الآن أن تخبرني عن عائلتك.» وضع آلة التسجيل بينهما على الطاولة وضغط زر التشغيل.

«ما الذي تريد معرفته؟»

«لقد أنهيت قراءة المجلد الأول المتعلق بحادثة الاختفاء وعمليات البحث، لكن هناك ذكر لعدد كبير من أفراد عائلة 'فانغر' الذين أريد أن أعرف عنهم أكثر.»

وقفت سالاندر قرابة العشر دقائق في القاعة الخالية تسمر عينيها على القطعة النحاسية التي نقش عليها «المحامي ن. إ. بيورمان» قبل أن تطرق الباب. سمعت طقطقة فتح قفل الباب الأمامي.

كان يوم ثلاثاء، وهذا اجتماعهما الثاني، وكان ينتابها شعور سيئ حيال ذلك.

لم تكن تخاف بيورمان ذاك لأن سالاندر نادراً ما كانت تخاف أحداً أو شيئاً. كما أنها كانت تشعر من ناحية أخرى بعدم الارتياح مع الوصي الجديد. فقد كان سلفه، المحامي هولجر بالمغرين شخصاً مختلفاً بالكامل، كان سيداً لبقاً ولطيفاً. إلا أن بالمغرين أصيب بذبحة منذ ثلاثة أشهر فورثه نيلز إريك بيورمان وفقاً لنظام بيروقراطي هرميّ يحتم ذلك.

على مدى السنوات الاثنتي عشرة التي أمضتها سالاندر تحت الوصاية الاجتماعية والنفسية، بما في ذلك سنتين في عيادة الأطفال لم تقدّم يوماً إجابة موحدّة على السؤال البسيط، «كيف حالك اليوم؟»

حين بلغت عامها الثالث عشر قررت المحكمة وفقاً للقوانين المرعية الإجراء المتعلقة بالوصاية على القاصرين أنه يجب أن يعهد بها إلى رعاية أطباء عيادة الأطفال للأمراض النفسية في أوبسالا. ارتكز الحكم بشكل أساسي إلى حقيقة إصابتها باضطراب عاطفي وعدائية خطيرة تجاه زملاء صفها وتجاه نفسها ربما.

كافة محاولات الأساتذة أو المسؤولين عن الفتاة الذين يتمتعون بسلطة ما لإجراء حديث معها حول مشاعرها وحياتها العاطفية أو صحتها كانت تلاقي صمتاً مطبقاً من ناحيتها وقدراً هائلاً من التحديق المركّز الطويل في الأرض أو الجدران أو الأسقف بما يثير إحباطاً وغضباً شديدين. كانت تثني ذراعيها فوق صدرها وترفض الخضوع لأي امتحان نفسي. إن مقاومتها كافة محاولات قياسها ووزنها وتحليلها وتعليمها كانت تنطبق أيضاً على أدائها المدرسي، إذ كان يمكن للهيئة التعليمية حملها بالقوة إلى الصف وتثبيتها بالمقعد لكنه لم يكن بوسع أياً كان منعها من إقفال أذنيها أو إجبارها على رفع القلم أو كتابة أي شيء. أكملت سنوات الدراسة الإلزامية التسع الأولى من دون الحصول على شهادة.

لقد أدى ذلك بالتالي إلى صعوبات هائلة في تشخيص إعاقتها

العقلية. وببساطة واختصار، كانت ليزبث سالاندر شخصاً يصعب التعامل معه بكل المقاييس.

مع بلوغها عامها الثالث عشر اتُّخذ القرار بوضعها في عهدة وصي يهتم بأمورها ويرعى مصالحها وممتلكاتها إلى أن تبلغ السن القانونيّة. كان المحامي بالمغرين ذاك الوصي الذي على الرغم من الصعوبة التي واجهته في البداية معها، حقق نجاحاً حيث فشل الأطباء والمعالجون النفسيون. وقد اكتسب مع مرور الوقت قدراً هائلاً من الثقة وما لا يستهان به من مودة الفتاة ومحبتها له.

مع بلوغها سن الخامسة العشرة توصل الأطباء إلى نوع من الاتفاق فيما بينهم يقول إنها ليست شخصاً عنيفاً ولا تشكل في النهاية أي خطر على نفسها. تم تصنيف عائلتها على أنها غير مؤهلة لتربيتها وأن لديها بعض الأقارب ممن قد يتولون شؤونها ويشرفون على حسن سير حياتها، وتقرّر على إثر ذلك إطلاق سراح ليزبث سالاندر من أسر عيادة الأطفال للأمراض النفسية في أوبسالا وإعادة إدماجها في المجتمع عن طريق عائلة بالتبني.

لم تكن تلك بالرحلة السهلة. إذ هربت من منزل العائلة الأولى التي احتضنتها بعد أسبوعين اثنين فقط من انضمامها إليها. كذلك لاقت العائلتان الثانية والثالثة على التوالي مصير العائلة الأولى عينه. في تلك المرحلة أجرى بالمغرين نقاشاً جدياً معها شارحاً لها بكل وضوح أنها إذا أصرت على اتباع ذاك الطريق الذي كانت تسلكه فستعود إلى سجن المؤسسات الاجتماعية مجدداً. ترك هذا التهديد الأثر المطلوب عليها بحيث قبلت البقاء في أحضان العائلة الرابعة التي انضمت إليها لتكون أحد أفرادها، وهي عبارة عن ثنائي متقدم في السن يعيش في ميدسمو ماركراانسن.

إلا أن ذلك لم يكن ليعني بأن تحسن التصرف. ففي عمر السابعة عشرة ألقت الشرطة القبض على سالاندر أربع مرات، مرتين منهما كانت

بحالة تسمم متقدمة بحيث انتهى بها الأمر في غرفة الطوارئ في المستشفى، وكانت في مرة أخرى تحت تأثير المخدرات بشكل واضح. ووجدت كذلك في إحدى المرات في منتهى الثمل بثياب ممزقة تماماً ومظهر رث في مقعد خلفي لسيارة مركونة في سودر مالارستراند. كانت برفقة رجل يوازيها في السكر ويكبرها عمراً بأضعاف.

المرة الأخيرة التي تمّ القبض عليها كانت قبل ثلاثة أسابيع من بلوغها الثامنة عشرة، حيث كانت ثملة بالكامل وقامت بركل أحد الركاب الرجال على رأسه ودفعته نحو أبواب محطة أنفاق «غاملاستان». وقد تمت إدانتها بتهمة الاعتداء والضرب. ادعت سالاندر أن الرجل كان يتحرّش بها وأن هناك شهوداً على أقوالها. أسقط القاضي عندئذ الدعوى وأغلق ملف القضية. إلا أن سجلها الحافل بالسوابق دفع محكمة المقاطعة إلى إصدار أمر يقضي بإخضاعها لفحص يهدف إلى تقييم وضعها النفسي. ولما رفضت الخضوع للفحص جرياً على عادتها، والإجابة عن أيّ أسئلة توجّه إليها أو المشاركة في الاختبارات المفترض إجراؤها، قام الأطباء الذين تلجأ إليهم اللجنة الوطنية للصحة بتقديم رأي مبني على «ملاحظاتهم حول المريض» وليس وفقاً لمعطيات موضوعية. ولم يكن واضحاً بالتحديد ما الذي يمكن ملاحظته حين تكون المسألة متعلقة بشابة تجلس بصمت مطبق على كرسي وذراعاها مثنيتان فوق صدرها وشفتها السفلى مدلاة للأمام بلامبالاة. التحديد الوحيد الذي يمكن الركون إليه هو أنها كانت تعاني بالتأكيد من أحد أنواع الاضطراب العاطفي الذي تحتّم طبيعته عدم تركه من دون علاج. أوصى تقرير الطب الشرعي بعلاجها في إحدى عيادات الأمراض النفسية التي لا تسمح بمغادرة مرضاها. وضع مساعد رئيس اللجنة الاجتماعية تقريراً يعكس رأيه الداعم لما توصلت إليه نتائج الخبراء النفسيين.

نظراً إلى سجلها الشخصي خلص التقرير إلى أنها كان معرضة *لخطر حقيقي بالإدمان على الكحول والمخدرات* وإلى أنها كانت *تفتقر إلى إدراك*

الذات. عند تلك المرحلة من حياتها كان سجلها قد أصبح حافلاً بتعابير مثل *انطوائية، كبت اجتماعي، فقدان التركيز، انانية، سلوك غير اجتماعي يدل على اضطرب نفسي، صعوبة في التعاون، عدم القدرة على التعلم*. كان كل من يقرأ سجل سالاندر يميل إلى الاعتقاد أنها شخص متخلّف إلى حدّ خطير. نقطة سوداء أخرى تضاف إلى ملفها تتمثل برؤية شرطة الدوريات للفتاة في عدد من المرات مع «عدد من الرجال» في المنطقة المحيطة بمارياتورغيت. وقد تمّ توقيفها مرة وتفتيشها بحثاً عن أسلحة في تانتولاندن وكانت مع رجل يكبرها سناً مجدداً. وكان يُخشى أن تكون سالاندر تدير عمليات دعارة ما أو أن تكون قد انجرّت للعمل كبائعة هوى.

وحين اجتمع قضاة محكمة المقاطعة أو المؤسسة التي ستقرر مستقبلها للبتّ في قضيتها أسفرت النتائج عن أحكام استسلامية. من الواضح أنها كانت طفلة مثيرة للشغب والمشاكل، وأنه من غير الوارد بالنسبة للمحكمة أن تتوصل لقرار آخر سوى القبول بتوصيات كلّ من المرجعيتين الاجتماعية والطبية النفسية.

في صباح اليوم المقرر فيه صدور قرار المحكمة، تم استحضار سالاندر من عيادة الأمراض النفسية للأطفال حيث قيّدت على إثر حادثة غاملاستان. كانت تشعر بأنها سجينة أحد مخيمات الاعتقال، إذ لم يكن لديها أي أمل أنها ستظل على قيد الحياة يوماً آخر. كان بالمغرين أول من وقع عليه نظرها داخل قاعة المحكمة، واستغرقت برهة من الزمن لتدرك أنه لم يكن حاضراً بصفته وصياً عليها بل كممثل قانوني يتولى الدفاع عن موكلته.

تفاجأت لكونه كان يقف في صفها تماماً وأنه قدّم مرافعة مؤثرة ضد إخضاعها لحكم المؤسسات الاجتماعية. لم تكن تتظاهر مطلقاً بالدهشة عندما رفعت حاجبيها بل كانت تصغي بتمعن لكل كلمة كان ينطق بها. كان بالمغرين لامعاً خلال ساعتين من استجوابه الطبيب المدعو جسبر هـ.

لودرمان الذي وقّع نص التوصية التي تقر بوجوب حجز سالاندر في إحدى مؤسسات الرعاية الاجتماعية. لقد أخضع كل تفصيل وارد في التقرير للتدقيق والنقد وطلب إلى الطبيب شرح الأساس العلمي الذي استند إليه في كتابة كل جملة واردة في التقرير. وتبين في النهاية أنه نظراً لرفض المريض متابعة وإنهاء أي من الاختبارات والفحوصات، لم تكن الأسس التي اعتمدها الطبيب سوى ضرب من التخمين والاستنتاج.

مع انتهاء المرافعة، هدد بالمغرين بالقول إن الالحاق القهري بإحدى المؤسسات الاجتماعية ليس منافياً لقرارات مجلس النواب في حالات مماثلة وحسب، بل قد يكون في مثل هذه الحالة على وجه التحديد مثار جدالات حادة في الأوساط السياسية والإعلامية. لذا تكمن مصلحة الجميع في إيجاد حل بديل مناسب للمسألة. لم تكن تلك اللغة معتادة في إجراء مداولات حول هذا النوع من القضايا، وبدأ كل من القضاة يتململ في مكانه بغضب واضح.

أتى الحل على شكل تسوية. إذ توصلت المحكمة إلى قرار يقضي بأن ليزبث سالاندر كانت فعلاً من المصابين باضطراب عاطفي، إلا أن حالتها لا تقتضي احتجازها بالضرورة. ومن جهة أخرى، أُخذت توصية مسؤول الأحوال الاجتماعية المتعلقة بالوصاية عليها بعين الاعتبار. استدار رئيس المحكمة تعلو وجهه ابتسامة خبيثة، نحو هولجر بالمغرين الذي كان لا يزال حتى ذلك الوقت وصياً عليها، وسأله إذا كان يرغب في الاستمرار في مهمته كوصي. من الواضح أن رئيس القضاة كان يعتقد أن بالمغرين سيتنحى عن أداء المهمة ويحاول الدفع باتجاه إلقاء المسؤولية على كاهل شخص آخر. إلا أن بالمغرين وخلافاً لتوقعات القاضي تماماً، أعلن أنه سيكون مسروراً لقيامه بمهمة الوصي على الآنسة سالاندر، لكن بشرط واحد يقضي «أن تقبل الآنسة سالاندر الوثوق به والقبول به وصياً عليها.»

استدار ليقف قبالتها وجهاً لوجه. كان الذهول يبدو جلياً على ملامح ليزبث سالاندر من جراء انتقالها من يد إلى يد وتدافع وتيرة الأحداث على

مدى ساعات النهار. لم يكن أحد حتى الآن قد سألها رأيها في كل ما يحصل. نظرت إلى هولجر بالمغرين مطولاً وهزت رأسها نزولاً بالموافقة مرةً وحيدة.

كان بالمغرين مزيجاً خاصاً من خريجي المدارس التقليدية القديمة الذين يجمعون في شخصيتهم بين رجال القانون والمرشدين الاجتماعيين. تم تعيينه بداية عضواً سياسياً في لجنة الأحوال الاجتماعية وقد أمضى حياته كلّها تقريباً يعالج مشاكل الشباب. ثمة إحساس شبه قسري من الاحترام كاد يلامس الصداقة تولّد مع مرور الوقت بين بالمغرين والشابة التي يحتضنها تحت جناحيه والتي كانت من دون شك الشخص الأصعب مراساً الذي تعامل معه في يوم من الأيام.

دامت العلاقة بينهما أحد عشر عاماً، امتدت من عام بلوغها من الثالثة عشرة حتى العام الماضي، وقد قامت سالاندر قبل بضعة أسابيع فقط من حلول عيد الميلاد بزيارة بالمغرين في منزله بعد أن فوّتت موعد أحد لقاءاتهما الشهرية المتفق عليها مسبقاً. ولما لم يفتح لها أحد الباب رغم سماعها أصواتاً صادرة من داخل الشقة، اقتحمتها عن طريق تسلق أنابيب المياه المؤدية إلى شرفة الطابق الرابع من المبنى. وجدته ممدداً على الأرض غير فاقد للوعي وإنما عاجزاً عن الحراك أو الكلام. اتصلت بسيارة إسعاف ورافقته إلى مستشفى سودر ينتابها شعور متزايد بالرعب واضطراب حاد في المعدة. نادراً ما كانت تغادر الرواق خارج وحدة العناية المركزة على مدى ثلاثة أيام متواصلة. كحارس أمين ظلت عيناها تراقبان كل طبيب أو ممرض يدخل الغرفة أو يخرج منها. كانت تذرع أرض الرواق كروح هائمة تحدّق في كل طبيب يقترب من الغرفة أو يمرّ بمحاذاتها. وأخيراً، اصطحبها أحد الأطباء الذي لم تعرف اسمه قط إلى مكتبه ليشرح لها مدى خطورة الحالة. كان السيد بالمغرين يعاني وضعاً صحياً حرجاً إثر نزيف دماغي حادّ. لم تكن استعادته لوعيه بالأمر

المتوقع. لم يكن يتجاوز الرابعة والستين من عمره لكنها لم تذرف دمعة واحدة أو تتغير أي من ملامحها. بل وقفت في مكانها وغادرت المستشفى من دون عودة.

بعد مرور أربعة أسابيع أعلنت لجنة الوصاية عن لقاء سالاندر الأول بالوصي الجديد. أوحى لها حدسها الأول بأن تتجاهل النداءات الموجّهة إليها إلا أن بالمغرين زرع في عقلها الواعي أن كل تصرف تقدم عليه له عواقبه. وقد تعلّمت أن تحلل العواقب وتوصلت بالتالي إلى خلاصة مفادها أن الطريقة الأسهل للخروج من الدوامة التي تعيشها في الحاضر تكمن في إرضاء لجنة الوصاية والتصرف كما لو أنها كانت تكترث فعلاً لما توصي به.

على هذا النحو وفي ديسمبر، أخذت لنفسها فترة راحة من قيامها بالبحث الذي تجريه حول ميكائيل بلومفيست وذهبت إلى مكتب بيورمان في سانت إريكسبلان حيث قامت امرأة متقدمة في السن، تمثل اللجنة بتسليم المحامي بيورمان ملف سالاندر الحافل. سألت المرأة عن سير أحوال سالاندر برقة، وبدت راضية عن الإجابة التي تمثلت بصمت مطبق. بعد حوالى نصف ساعة تُركت سالاندر بعهدة المحامي بيورمان.

كانت سالاندر قد حسمت قرارها بشأن عدم ارتياحها للمحامي بيورمان ذاك. أخذت تراقبه خلسة وهو يتصفح ملفها قارئاً بعض مقاطعه. العمر: يزيد على الخمسين. الجسد مفتول العضلات. يقوم بتمارين كرة يد أيام الثلاثاء والخميس من كل أسبوع. أشقر. شعره خفيف. له شق خفيف في الذقن. يستعمل «هيوغو بوس» بعد الحلاقة. يرتدي بذلة زرقاء. يضع ربطة عنق حمراء مع دبوس ذهبي وأزرار مبهرة منقوش عليها أحرف 'NEB'. ويضع نظارات ذات إطار معدني. المجلات المكدسة على الطاولة الموجودة جانباً تشير إلى اهتماماته بشؤون الصيد والرماية.

خلال سنوات معرفتها ببالمغرين، كان يقدّم لها القهوة كلما اجتمعا ويحرص على التحدث إليها. أسوأ تصرفاتها المتمثلة بالهرب من منازل

العائلات التي تبثّها وتغيّبها المنتظم عن المدرسة ما كانت تغيظه أو تجعله يثور غضباً بوجهها. والمرة الوحيدة التي شعر فيها بالمغرين بالحزن الحقيقي كانت حين أوقفت بتهمة الاعتداء والضرب على إثر إقدام أحد المغفلين بالتحرش بها في غاملاستان. *هل تعلمين ما الذي فعلته؟ لقد قمت بإيذاء كائن بشري آخر يا ليزبث.* بدا كأستاذ مدرسة عتيق وعمدت إلى تجاهل كل كلمة توبيخ يوجهها إليها بصبر.

لم يكن لدى بيورمان وقت لإجراء حتى حديث مقتضب معها. فذهب فوراً إلى الاستنتاج، وفقاً لقوانين الوصاية المعمول بها، عدم التوافق بين واجبات بالمغرين وبين واقع سماحه لسالاندر بتولي مسؤولية قيامها بشؤونها المنزلية وتحمّل نفقاتها الخاصة وحدها. وقد لجأ بيورمان بداية إلى فتح باب المساءلة، عبر توجيهه أسئلة مثل: *كم تتقاضين في الشهر؟ أريد نسخة عن ملفاتك المالية. مع من تمضين أوقاتك؟ هل تدفعين الإيجار في موعده؟ هل تشربين الكحول؟ هل يوافق بالمغرين على تلك الأقراط المنتشرة فوق وجهك؟ هل تهتمين بالنظافة؟*

تباً لك.

لقد أصبح بالمغرين وصياً عليها بعد تعرضها لكافة أنواع الشرور والأذى. وكان يصرّ على الاجتماع بها مرة واحدة في الشهر على الأقل، أو أكثر أحياناً. بعد أن عادت إلى لونغاتان أصبحا جارَيْن عملياً. إذ كان هو يعيش في هورنسغاتان على بُعد بضعة أبنية من مكان إقامتها، وكان يلتقي أحدهما الآخر صدفة من وقت لآخر فيذهبان لتناول القهوة في مقهى «غيفي» أو أي مقهى آخر قريب. لم يحاول بالمغرين قط فرض أي شيء عليها، وكان يقوم بزيارتها بضع مرات، ويجلب لها هدايا رمزيّة في عيد ميلادها. كانت مدعوة لزيارته ساعة تشاء وهو امتياز لم تستغلّه مطلقاً. لكنها حين انتقلت للعيش في سودر، اعتادت تمضية ليلة عيد الميلاد من كل عام برفقته بعد أن تذهب لزيارة أمها. كانا يتناولان عشاء الميلاد معاً ويلعبان الشطرنج. لم تكن تستمتع بهذه اللعبة فعلاً لكنها بعد أن تعلمت

قواعدها لم تخسر قط. كان هو أرمل، ورأت سالاندر أن من واجبها التعاطف معه وتمضية فترات العطل الموحشة برفقته.

لطالما كانت تعتبر أنها مدينة له، وهي من الأشخاص الذين يسددون ما يترتب عليهم من ديون.

كان بالمغرين هو من ساهم بتأجير شقة والدتها في لونداغاتان ريثما تصبح سالاندر بحاجة إلى الإقامة في منزل خاص بها. لم تكن مساحة الشقة تزيد على خمسمئة قدم مربع وكانت بحالة مزرية تتطلب الكثير من التجديد والإصلاحات لكنها كانت تشكل على الأقل سقفاً يؤويها.

ها قد ذهب بالمغرين الآن وأوشك رباط اجتماعي آخر مع مجتمع مستقر على الانقطاع. كان نيلز بيورمان شخصاً مختلفاً بالكامل. يستحيل أن تمضي ليلة الميلاد في منزله. تمثّلت خطوته الأولى بوضع قوانين جديدة في إدارة حسابها في مصرف هاندلسبنكن. لم يسبق أن واجه بالمغرين أي مشاكل في تعديل شروط وصايته بحيث تسمح لها بالاهتمام بشؤونها المالية الخاصة. كانت تدفع ما يتوجب عليها من مستحقات وتستطيع استعمال مدخراتها بالطريقة التي تراها هي مناسبة.

قبل اجتماعها ببيورمان خلال الأسبوع الذي يسبق عيد الميلاد أعدّت سالاندر نفسها جيداً، وما إن حضرت إليه حتى حاولت أن تشرح له أن سلفه كان يثق بها وأنها لم تفسح له المجال كي لا يكون كذلك. لقد أتاح لها بالمغرين الاهتمام بشؤونها الخاصة ولم يتدخل يوماً في حياتها.

قال لها بيورمان وهو يضرب بأصابعه فوق أوراق الملف: «هنا تكمن إحدى المشاكل.»

ومن ثمّ ألقى محاضرة مطوّلة حول الأنظمة والقوانين التي وضعتها الحكومة في ما يتعلق بمسائل الوصاية.

«لقد سمح لك أن تتصرفي على هواك من دون ضوابط، أليس كذلك؟ أتساءل كيف استطاع أن ينجو بفعلته تلك.»

ذلك لأنه كان مولعاً بالديموقراطية الاجتماعية وأمضى حياته في

العمل مع الأولاد الذين يواجهون مشاكل واضطرابات.

أجابته سالاندر: «لم أعد طفلة صغيرة.» وكأن إجابتها تلك كانت تشكل تفسيراً كافياً.

«كلا، لم تعودي طفلة. لكن تمّ تعييني وصياً عليك، وما دمتُ مضطلعاً بهذه المهمة، فسأكون أنا المسؤول عنك قانونياً ومالياً.»

فتح حساباً مصرفياً جديداً باسمها وكان يفترض بها أن تقدم تقريراً بذلك إلى شؤون الموظفين في شركة «ميلتون» وتبدأ بتقديمه من الآن فصاعداً. ها قد ولّت الأيام الجميلة وانتهت. سيتولى بيورمان في المستقبل دفع مستحقاتها وستحصل هي على نفقة شهرية. أبلغها أنه يتوقع منها أن تحصل على فواتير تبيّن جميع نفقاتها. وستتلقى مبلغ ألف وأربعمئة كورون كل أسبوع وذلك من أجل نفقات الطعام والملابس وشراء بطاقات مشاهدة أفلام السينما وأمور أخرى من هذا القبيل.

كانت سالاندر تكسب سنوياً ما يزيد على مئة وستين ألف كورون. وكان بإمكانها مضاعفة ذلك المبلغ عن طريق العمل بدوام كامل، وقبول كافة المهمات التي يوكلها آرمانسكي إليها. لكن نفقاتها كانت محدودة ولم تكن بحاجة إلى كل ذلك المال. كان بدل إيجار كلفة شقتها يقارب ألفي كورون في الشهر، وعلى الرغم من مدخولها المتواضع، كانت تدّخر مبلغاً يساوي تسعين ألف كورون مسجلة في حسابها. لكنها لم تعد تستطيع التصرف به.

قال لها: «كل هذا يندرج في إطار تحمّلي مسؤولية أمورك المالية. ينبغي أن تضعي الأموال جانباً وتدخريها من أجل مستقبلك. لكن لا تقلقي بهذا الشأن، سأهتم بنفسي بكافة تلك الأمور.»

انا اهتم بأموري مذ كنت في العاشرة أيها المخبول!

«أنت تتولين شؤونك بشكل جيد اجتماعياً، لذا لا حاجة لأن تنضمي إلى أي من المؤسسات الاجتماعية. لكن هذا المجتمع يبقى مسؤولاً عنك.»

سألها مدققاً حول نوع المهمات التي توكل إليها في شركة «ميلتون للأمن». اتّبعت حدسها في الكذب بشأن نوع العمل الذي تقوم به هناك. ولم تأت الإجابة التي قدمتها له سوى وصف للأسابيع الأولى التي أمضتها في شركة «ميلتون». تركت لدى بيورمان انطباعاً أن وظيفتها لا تتعدى القيام بإعداد القهوة للموظفين وترتيب البريد الوارد للشركة. وهاتان مهمتان تلائمان بما يكفي شخصاً بليداً مثلها، وقد بدا راضياً تماماً عن الإجابة.

لم تكن تدرك ما الذي دفعها للكذب تحديداً لكنها كانت تثق أن ما قامت به كان قراراً حكيماً.

أمضى بلومفيست خمس ساعات كاملة مع فانغر، وقد تطلبت طباعة الملاحظات التي سجلها وجمع أحداث تاريخ العائلة وتنظيمها بشكل متكامل ومفهوم، قسماً كبيراً من الليل وطوال نهار الثلاثاء. كان سجل تاريخ العائلة الذي حصل عليه عبارة عن نسخة تختلف كلياً عن تلك التي يتم تظهيرها على أنها الصورة الرسمية للعائلة. فلكل عائلة من العائلات بعض القصص الخفية والأخبار التي تظل طي الكتمان لكن لدى عائلة «فانغر» مقداراً هائلاً منها.

كان بلومفيست يضطر لأن يذكّر نفسه مراراً بأن مهمته الحقيقية لا تنطوي على كتابة السيرة الذاتية لعائلة «فانغر»، بل الكشف عما حصل لهارييت فانغر. لم تكن كتابة سيرة عائلة «فانغر» سوى القصة الظاهرية. أما هو فسيحصل بعد عام من الزمن على راتبه التافه، إذ إن العقد الذي كتب نصّه فرود قد تمّ التوقيع عليه وانقضى الأمر. إنه في الواقع يأمل أن تكون مكافأته الحقيقية معلومات حول وينرشتروم يدّعي فانغر أنها بحوزته. لكن بعد أن استمع لفانغر بدأ يدرك أنه لا يفترض بالعام المقبل أن يكون مضيعة للوقت. إن وضع كتاب حول عائلة «فانغر» سيحمل قيمة هامة. لقد كانت ببساطة تامة قصة رائعة راقته كتابتها.

لم تخطر له قط فكرة إمكانية تسليط الضوء على قاتل هارييت فانغر، هذا إذا افترضنا أنها قد تعرّضت للقتل فعلاً، وأنها لم تمت ببساطة على إثر حادث عَرَضي ما. كان بلومفيست يوافق فانغر الرأي حول انتفاء وجود احتمالات هرب فتاة في السادسة عشرة من عمرها واعتمادها على نفسها والبقاء مختبئة طوال ستة وثلاثين عاماً على الرغم من كل الجهود التي بذلتها الجهات البيروقراطية الحكومية في العثور عليها. ومن جهة أخرى، لم يستثنِ من حساباته إمكانية أن تكون هارييت فانغر قد هربت فعلاً متوجهة إلى ستوكهولم ربما أو أن يكون مكروهاً ما قد ألمّ بها على الطريق، كأن تكون وقعت ضحية المخدرات أو أعمال الدعارة أو اعتداء ما أو حادثة أودت بحياتها ببساطة.

أما فانغر فكان مقتنعاً من ناحيته أن هارييت قد تعرضت للقتل وأن أحداً من أفراد العائلة مسؤول عن ذلك بالتعاون والتكافل ربما مع شخص آخر. كان يستند في حجته هذه إلى واقع أن هارييت اختفت أثناء ساعات الارتباك حين كانت الجزيرة منقطعة عن بقية المنطقة وكانت كل الأنظار والاهتمامات تَصبّ تركيزها على الحادثة.

كانت برجر محقة بقولها إن قبوله القيام بهذه المهمة كان يتخطى كل تفكير متعقّل إذا كان الهدف منها يقتصر فقط على حلّ لغز عملية القتل. إلا أن بلومفيست كان قد بدأ يرى أن مصير هارييت قد لعب دوراً مركزياً في أوساط العائلة، لاسيما بالنسبة إلى هنريك فانغر. لا فرق إذا كان محقاً أو لا، فإن أصابع اتهام فانغر الموجهة ضد أقاربه كانت تحمل أهمية كبرى في مسار تاريخ العائلة. لقد صدر الاتهام بشكل علني منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً وقد طبع الاجتماعات العائلية وفتح الباب أمام عداوات مريرة ساهمت في زعزعة أحوال الشركة. وسيشكل إجراء دراسة حول اختفاء هارييت فصلاً قائماً بحدّ ذاته من الرواية، وسيقوم مقام الدليل في تاريخ خصومات العائلة لا سيما مع توافر هذا الكمّ الهائل من المعلومات. سيكون رسم خارطة شخصيات العائلة إحدى النقاط التي سينطلق منها

سواء كانت قضية اختفاء هارييت هي المهمة الأولى التي سيضطلع بها أو كان تدوين السيرة الذاتية للعائلة هو العمل الذي سيقوم به خلال العام. ولم يكن ما جمعه سوى مقتطف من حديثه الطويل الأول مع فانغر.

كانت العائلة تتألف من حوالى مئة فرد، بمن في ذلك الأولاد وأبناء الأعمام المباشرين وأبناء أعمامهم. كانت العائلة كبيرة جداً بحيث اضطر إلى وضع قاعدة معلومات مفصّلة على جهاز الـiBook الخاص به. لجأ إلى برنامج NotePad الموجود على الموقع الإلكتروني (www.ibrium.se) وهو أحد الابتكارات القيّمة التي أنتجها رجلان من الجامعة الملكية التقنية وقاما بتوزيعها على أن تصبح أحد برامج الكومبيوتر التي يستعملها المستخدم لفترة تجريبية يقوم بعدها بدفع رسوم رمزية لصاحب الملكية الفكرية لقاء الاستمرار في استخدام البرنامج. قليلة هي البرامج المفيدة بالنسبة لصحافي استقصائي مثله. وهكذا فتح لكل من أفراد العائلة ملفاً خاصاً به، ضمن قاعدة المعلومات التي وضعها.

يمكن لتاريخ شجرة العائلة أن يعود إلى أوائل القرن السادس عشر، حيث كان اسم العائلة «فانغيرساد». ووفقاً لفانغر، يمكن أن يكون أصل الاسم مشتقاً من الكلمة الإيرلندية «فان غيرشتات» فإذا كان الأمر كذلك فإنها عائلة تعود جذورها إلى القرن الثاني عشر.

في العصور الحديثة، جاءت العائلة من شمال فرنسا، وحطت الرحال في السويد في عهد الملك جان بابتيست برنادوت وذلك في أوائل القرن التاسع عشر. كان ألكسندر فانغيرساد جندياً، ولم يكن على معرفة شخصية بالملك لكنه حصل على امتياز تعيينه رئيس ثكنة عسكرية. وقد منح عام 1818 مقاطعة هيديبي كمكافأة لخدماته. وكان ألكسندر فانغيرساد صاحب ثروة خاصة به أنفقها على شراء أجزاء واسعة من غابات نورلاندة. أما ابنه أدريان فقد وُلد في فرنسا لكنه انتقل، بناءً لطلب والده، للعيش في هيديبي، تلك المنطقة النائية عن نورلاند، والبعيدة عن صالونات فرنسا من أجل أن يتولى إدارة شؤون المقاطعة. أدخل الزراعة وتربية الحيوانات

مستخدماً أساليب حديثة مستوردة من أوروبا، وأسس مصنعي الأخشاب والورق اللذين بنيت حولهما منطقة هيدستاد.

حفيد ألكسندر كان يدعى هنريك وقد قام باختصار اسم العائلة إلى «فانغر». أسس لعلاقات تجارية مع روسيا وأنشأ أسطولاً تجارياً صغيراً من سفن الإبحار السريعة التي تجوب المياه بين البلطيق وألمانيا، وفتح أيضاً قنوات تجارية مع إنكلترا وصناعاتها المعدنية في منتصف الثمانينيات. أدخل هنريك فانغر الأكبر التنويع في الأعمال التجارية للعائلة وباشر العمل بشكل متواضع في قطاع المناجم وأسس لأولى الصناعات المعدنية المتعددة في نورلاند. كان له ولدان، بيرجر وغوتفريد اللذان أرسيا قواعد التجارة المتقدمة على نطاق واسع في عائلة «فانغر».

سأله فانغر: «هل تعرف شيئاً عن قوانين الميراث القديمة؟»

أجاب بلومفيست: «كلا.»

«يصيبني الموضوع بالحيرة كذلك. وفقاً لتقاليد العائلة، تصارع كل من بيرجر وغوتفريد فيما بينهما بشراسة، كانا يتنافسان بنحو أسطوري على الاستئثار بالسلطة والتأثير في مصالح العائلة. وقد هدد صراعهما على مركز القوة من جوانب متعددة بقاء الشركة ونجاتها. فقرر والدهما لهذا السبب وقبل فترة وجيزة من وفاته، إنشاء نظام يحصل بموجبه كل فرد من أفراد العائلة على حصة له من الميراث، وحصة من أرباح الشركة. لا شك أن نواياه كانت سليمة، إلا أن خطوته تلك أدت إلى خلق حالة تحتّم وجود مجلس إدارة يقتصر على أفراد العائلة بدلاً من استقدام كفاءات من خارج الوسط العائلي والدخول في علاقات عمل مع شركاء آخرين.»

«وهل لا يزال القانون معمولاً به حتى يومنا هذا؟»

«تماماً. إذا رغب أحد أفراد العائلة في بيع حصته، ينبغي أن تبقى ضمن الإطار العائلي. يضم لقاء المساهمين السنوي خمسين بالمئة من أفراد العائلة. ويملك مارتن وحده عشرة بالمئة من الحصص، أما أنا فصرت أملك خمسة بالمئة فقط بعد أن قمت ببيع بعض الحصص إلى مارتن

وآخرين. أخي هارالد يملك سبعة بالمئة من الحصص إلا أن معظم الذين يحضرون اجتماع المساهمين لا تتعدى حصصهم النصف أو الواحد بالمئة.»

«يخيّل إليّ أن ذلك يعود إلى العصور الوسطى بطريقة ما.»

«الأمر بغاية التفاهة. فهو يعني أنه إذا أراد مارتن تطبيق سياسة جديدة ما، فعليه أن يضيّع وقتاً على عملية حشد الدعم لضمان حصوله على تأييد عشرين أو خمسة وعشرين بالمئة من المساهمين على الأقل. إنه أشبه بعملية ترقيع تدخل فيه التحالفات والفصائل والجماعات.»

تابع فانغر سرد روايته بالقول:

«توفي غوتفريد فانغر عام 1901 من دون ذرية. أو بالأحرى، وليسامحني الله على ما قلت، كانت له أربع بنات، إلا أنه في تلك الأيام لم تكن النساء تُحتسب فعلاً. كانت كل منهن تمتلك حصة لكن الرجال كانوا يشكلون العنصر الذي تعود إليه فوائد الملكية. بعد أن حصلت المرأة على حق التصويت في القرن العشرين صار يُسمح لها بحضور اجتماعات المساهمين.»

«يا له من أمر ليبرالي.»

«لا داعي لأن تكون متهكّماً إلى هذا الحد. لقد كان ذلك زمناً مغايراً. بأي حال، كان لشقيق غوتفريد، بيرجر فانغر، ثلاثة صبية، هم: جوهان وفريدريك وجيديون. وقد ولدوا جميعاً أواخر القرن التاسع عشر تقريباً. يمكننا تجاهل وجود جيديون تماماً لأنه قام ببيع كامل حصته والهجرة إلى أميركا. ولا يزال قسم من عائلته يعيش هناك. لكن جوهان وفريدريك فانغر كانا من أدخل العصرنة والحداثة إلى شركة 'فانغر'.»

تناول فانغر إحدى الصور من الألبوم وسمح لبلومفيست برؤية مجموعة من صور أفراد العائلة بينما يتابع حديثه. كانت الصور تعود إلى تسعينيات القرن التاسع عشر وتظهر رجلين بذقنين تظهران عزماً وصلابة وبشعر متهدل يحدق كل منهما في عدسة الكاميرا دون أن تعكس ملامحه ولو طيف ابتسامة.

«جوهان فانغر الذي كان عبقري العائلة. وقد تخصص في قطاع الهندسة وطوَّر قطاع التصنيع بإدخاله عدداً من الاختراعات الجديدة التي حصل على براءة اختراعها وسُجّلت باسمه. أصبح تصنيع المعادن والحديد من ركائز الشركة، إلا أن عالم الأعمال لم يتوقف عند هذا الحدّ وتوسّع ليشمل قطاعات أخرى مثل صناعة الأقمشة. توفي جوهان فانغر عام 1956 وكانت له ثلاث فتيات: صوفيا وماريت وإنغريد اللواتي كنّ فعلياً النساء الأُوَل اللواتي حظين بالقبول لحضور اجتماعات المساهمين في الشركة.

«والأخ الآخر هو فريدريك فانغر وهو والدي. وكان أحد رجال الأعمال وقياديي عالم الصناعة ممن حوّلوا اختراعات جوهان إلى قيمة مالية. عاش والدي حتى عام 1964. وظلّ عنصراً ناشطاً في إدارة أمور الشركة حتى وفاته، على الرغم من أنه أسند إليّ مهمة القيام بالعمليات الروتينية اليومية في الخمسينيات.

«كان تماماً مثل الجيل السابق، إنما بشكل معاكس. ففي حين أن جوهان لم ينجب سوى البنات.» وقد أظهر فانغر لبلومفيست بعض الصور لنساء يضعن على رؤوسهن قبعات ذات أطر عريضة ويحملن المظلات التي تقي حرّ الشمس. ثم أكمل حديثه قائلاً: «فإن فريدريك أي والدي لم ينجب سوى الصبية. كنا خمسة أشقاء: ريشارد وهارالد وغريغر وغوستاف وأنا.»

كان بلومفيست قد وضع شجرة العائلة على عدد من أوراق الطباعة الملصقة بعضها ببعض. ووضع خطاً تحت أسماء جميع الموجودين في جزيرة هيديبي ممن حضروا اجتماع العائلة عام 1966 أي الذين يُعتبرون، نظرياً على الأقل، على علاقة ما باختفاء هاريت فانغر.

وقد استثنى من خطوته هذه الأولاد الذين تقلّ أعمارهم عن اثني عشر عاماً. كان عليه أن يحصر عملية الأسماء تلك في مكان ما. بعد

قليل من التفكير استثنى كذلك هنريك فانغر نفسه. فلو كان للعجوز أي علاقة بحادثة اختفاء حفيدة أخيه، لوجب تصنيف أفعاله على مدى السنوات الست والثلاثين الماضية في خانة الاضطراب النفسي. لذلك فإن والدة فانغر، التي كانت قد بلغت عام 1966 سن الواحدة والثمانين يمكن شطبها من اللائحة. على هذا النحو لم يتبقَّ سوى ثلاثة وعشرين فرداً من العائلة وهم الذين وفقاً لفانغر يجب إدراجهم ضمن قائمة «المشتبه بهم». سبعة من هؤلاء كانوا في عداد الأموات ومعظمهم كان قد بلغ سناً متقدّمة.

لم تكن لدى بلومفيست نية مشاركة فانغر اعتقاده بأن أحد أفراد العائلة يقف وراء اختفاء هارييت. ثمة عدد آخر من الأشخاص ينبغي إدراجه على لائحة المشتبه فيهم.

كان ديرك فرود قد بدأ العمل لدى فانغر كمحامٍ في ربيع العام 1962. إضافة إلى أفراد العائلة، يجب طرح السؤال عمن كان في طاقم الخدم الذي يعمل لدى هارييت عندما اختفت؟ فغونار نيلسون، سواء كان موجوداً في المكان أم لا كان يبلغ من العمر تسعة عشر عاماً ووالده المدعو ماغنوس كانا حاضرين على الجزيرة تماماً كما كان الرسام نورمان وراعي الأبرشية فالك. هل كان فالك متزوجاً؟ كذلك فإن أرونسون، المزارع الموجود في أوسترغاردن إضافة إلى ابنه جيركر أرونسون كانا يعيشان على الجزيرة أيضاً مجاورَين بما يكفي لهارييت فانغر وقد عايشاها وهي تكبر عاماً بعد عام، فأي نوع من العلاقة كانت تربطهما بها؟ هل لا يزال أرونسون متزوجاً؟ هل كان هناك أشخاص آخرون يعيشون في المزرعة في ذاك الوقت؟

بينما كان بلومفيست يدوّن كافة الأسماء، طالت اللائحة لتشمل أربعين شخصاً. كانت الساعة قد أصبحت الثالثة والنصف فجراً، وكان مقياس الحرارة يسجل إحدى وعشرين درجة مئوية تحت الصفر. كان يتوق لسريره الخاص في بلماغاتان.

فريدريك فانغر
(1964-1886)
متزوج من أولريكا
(1696 -1885)

ريشارد (1940-1907)
متزوج من مارغريتا
(1959-1906)

غوتفريد (1965-1927)
متزوج من إيزابيلا (-1928)
مارتن (-1948)
هارييت (1950-؟)

هارالد (-1911)
متزوج من إنغريد (1992-1925)
بيرجر (-1939)
سيسيليا (-1946)
آنيتا (-1948)

غريغر (1947-1912)
متزوج من غيردا (-1922)
الكسندر (-1946)

غوستاف (1955-1918)
غير متزوج
ليس له أولاد

هنريك (-1920)
متزوج من إديث
(1958-1912)
ليس له أولاد

جوهان فانغر
(1956-1884)
متزوج من غيردا
(1960-1888)

صوفيا (1977-1909)
متزوجة من إيكي سيوغرين
(1967-1906)

ماغنوس سيوغرين (1994-1929)
سارة سيوغرين (-1931)
إريك سيوغرين (-1951)
هاكان سيوغرين (-1955)

ماريت (1988-1911)
متزوجة من الفوت غونثر
(1987-1904)
اوسيان غونثر (-1930)
متزوج من اغنس (-1933)
جاكوب غونثر (-1952)

إنغريد (1990-1916)
متزوجة من هاري كارلمان
(1984-1912)
ماريا كارلمان (-1944)
غونار كارلمان (-1948)

أيقظه أحد العمال، اسمه تيليا، عند الساعة الحادية عشرة صباحاً. كان منعزلاً تماماً ولم يسبق له أن شعر بالشلل التام على الصعيد المهني كما هو الآن. ومن ناحية أخرى، ظل هاتفه الخاص يصر على صمته بعناد. بدأ يشعر بأنه بات أكثر تشبثاً برأيه وأنه لن يتصل بالمكتب.

فتح صفحة البريد الإلكتروني الوارد ومرر نظره سريعاً على ما يقارب ثلاثمئة وخمسين رسالة وصلته على مدى الأسبوع الماضي. حفظ عشرة منها في ملف خاص وكانت البقية عبارة عن رسائل لا أهمية لها أو تقتصر على إعلانات ترويجية لبعض المنتجات أو بريد ورده بسبب اشتراكه على بعض المواقع الإلكترونية. الرسالة الأولى التي تلقاها كانت من العنوان البريدي التالي: demokrat88@yahoo.com وقد ورد فيها: آمل أن تتعفن حيث أنت أيها الخنزير الأخرق المغفل المخبول. وقرّر بلومفيست حفظ هذا البريد بالذات في ملف كان يسميه، «النقد الذكي».

وكتب إلى العنوان البريدي Erika.berger@millennium.se يقول: «مرحباً ريكي. أود أن أخبرك فقط أن شبكة الاتصالات هنا تعمل ويمكننا التواصل حين تغفرين لي. هيديبي منطقة ريفية تستحق زيارتها. م.»

حين اقترب موعد تناول الغداء، وضع جهاز الـiBook في الحقيبة ومشى نحو مقهى «سوزان» فوق الجسر. جلس إلى طاولته المعتادة في الزاوية. أحضرت له سوزان القهوة وبعض السندويشات وألقت نظرة متسائلة على جهاز الكومبيوتر الذي يضعه أمامه. سألته عن الموضوع الذي يعمل عليه. كانت تلك هي المرة الأولى التي يلجأ فيها بلومفيست إلى القصة الملفقة. تبادلا اللياقات الاجتماعية. وحثته سوزان على التحدث إليها مجدداً حين يكون مستعداً لسماع بعض القصص والاعترافات الحقيقية.

«إنني أقوم بخدمة عائلة 'فانغر' منذ خمس وثلاثين سنة، وأنا على معرفة تامة بكافة الأقاويل التي تحكى هنا وهناك عن العائلة.»

أنهت جملتها وتبخترت في مشيتها واختفت في المطبخ.

مع الأولاد والأحفاد وأولاد الأحفاد الذين لم يكلف نفسه إدراجهم على اللائحة كان لدى الأخوين فريدريك وجوهان فانغر اليوم ما يقارب الخمسين ولداً وحفيداً. كانت طبيعة العائلة معمّرة ويعيش أفرادها طويلاً. فريدريك فانغر نفسه عاش حتى عمر ناهز الثامنة والسبعين وشقيقه جوهان عاش حتى سن الثانية والسبعين. وكان أحد أولاد فريدريك الذين لا يزالون على قيد الحياة، يدعى هارالد كان بعمر الثانية والتسعين أما هنريك فكان يبلغ الثانية والثمانين من العمر.

الاستثناء الوحيد من هذه القاعدة كان غوستاف الذي توفي جراء إصابته بداء الرئة بعمر السابعة والثلاثين. لطالما أوضح فانغر أن غوستاف كان يشكو من علة دائمة وقد ذهب في طريقه من دون أن يكون مناسباً لبقية أفراد العائلة. لم يتزوج يوماً ولم يكن له أولاد من صلبه.

أما الآخرون ممن توفوا عن عمر مبكر فقد استسلموا لعناصر أخرى غير المرض. ريشارد فانغر على سبيل المثال قتل خلال حرب الشتاء عن عمر يناهز الثالثة وثلاثين فقط. وغوتفريد فانغر والد هارييت كان قد مات غرقاً في العام الذي سبق اختفاءها. أما هارييت نفسها فقد اختفت حين كانت بعمر السادسة عشرة فقط. لفت انتباه ميكائيل التشابه الغريب في أوساط تلك العائلة تحديداً وهو أن الجدّ والأب والابنة قد لاقوا جميعاً مصيراً مأساوياً. ووراء ريشارد، الوحيد المتبقي على قيد الحياة، كان مارتن فانغر، الذي كان غير متزوج بعد على الرغم من سنواته الأربع والخمسين. إلا أن فانغر كان يفسر الأمر بالقول إن ابن أخيه كان ناسكاً يخلص لامرأة واحدة تعيش في هيدستاد.

لاحظ بلومفيست وجود ميزتين اثنتين في شجرة العائلة. الأولى، أن لا أحد في عائلة «فانغر» قد تطلّق أو تزوج مرتين حتى لو كانت الزوجة قد توفيت عن عمر مبكر. وتساءل في قرارة نفسه عن مدى شيوع الأمر في

الإحصاءات. سيسيليا فانغر انفصلت عن زوجها على مدى أعوام طوال لكن من الواضح أنهما بقيا متزوجين ولم يتطلقا.

والميزة الأخرى التي لفتت انتباهه هي أنه في حين لعب أولاد فريدريك فانغر بمن فيهم هنريك أدوراً قيادية في عالم الأعمال وأقاموا مبدئياً داخل منطقة هيدستاد أو في محيطها، كان أفراد عائلة جوهان فانغر التي لم تضم سوى الفتيات قد تزوجن وتفرقن في كل من ستوكهولم ومالمو وغوتبورغ أو هاجرن إلى بلدان الاغتراب. وكانت زياراتهنّ لهيدستاد تقتصر على تمضية عطلات الصيف أو حضور الاجتماعات المهمة. وحدها إنغريد التي كان ابنها غونار كارلمان يعيش في هيدستاد كانت تشكل الاستثناء داخل هذه القاعدة. وكان يعمل كرئيس تحرير *Hedestad Courier*.

إذا ما اتبع بلومفيست طريقة تفكير التحري الخاص قد يظن بحسب تصور فانغر أن أحد الدوافع الخفية وراء قتل هارييت قد يكون متعلّقاً بهيكلية الشركة. فواقع إعلانه في وقت سابق مدى أهمية هارييت بالنسبة له شكل ربما دافعاً لإيذاء فانغر نفسه. أو لعل هارييت اكتشفت بعض المعلومات الحساسة التي تتعلق بأمور الشركة وأصبحت بالتالي تشكل تهديداً لأحدهم. لم تكن تلك سوى تصورات محض، إلا أنه وبهذه الطريقة كوّن حلقة تضم ثلاثة عشر شخصاً يعتبر أن لهم أهمية خاصة بالنسبة للقضية.

حديث بلومفيست مع فانغر في اليوم السابق سلّط الضوء على إحدى النقاط الأخرى. منذ بداية لقائهما والرجل العجوز يتحدث مع بلومفيست عن عدد من أفراد عائلته بطريقة توحي بالكثير من النفور والاحتقار. وقد صعقه هذا التصرّف إلى حدّ بعيد. تساءل بلومفيست ما إذا كانت شكوك الرجل المتقدم في السن حيال عائلته قد طبعت حكمه في قضية اختفاء هارييت، لكنه بات يدرك الآن أن فانغر قد أصدر تقييماً يستند إلى حقائق وينم عن تفكير عميق.

عكست الصورة التي كانت ملامحها قد بدأت تظهر صورة عائلة ناجحة على الصعيدين الاجتماعي والمالي، ولكنها عاجزة بوضوح وبكافة الطرق عن التفاعل فيما بينها.

كان والد هنريك فانغر رجلاً بارداً عديم الإحساس أقدم على إنجاب الأولاد مبكراً تاركاً لزوجته مسألة تربيتهم والاهتمام بشؤونهم. حتى بلوغهم سن السادسة عشرة، كان الأولاد لا يكادون يرون والدهم إلا خلال الاجتماعات العائلية الخاصة حيث كان يتوقع حضورهم بشكل غير ملحوظ. لا يستطيع هنريك أن يتذكر أباه في موقف يعبّر عن أي مظهر من مظاهر الحب تجاه أولاده، ولو بأبسط أشكاله. بل على العكس من ذلك، لطالما كان الأب ينعت ابنه بعدم الكفاءة وكان الابن محط انتقاد مدمر على نحو دائم. نادراً ما كان يتم اللجوء إلى العقاب الجسدي، إذ إنه لم يكن ضرورياً. والمرات الوحيدة التي كسب فيها احترام والده كانت في مراحل لاحقة في حياته وذلك من خلال ما حققه من إنجازات في مؤسسة «فانغر».

غير أن ريشارد، الأخ الأكبر، تمرّد على الوضع. بعد حصول جدال لم تناقش أسبابه مطلقاً ضمن أوساط العائلة، انتقل الصبي لمتابعة دراسته في أوبسالا. وهناك زُرعت فيه بذور النازية والانخراط في صفوفها التي سبق لفانغر أن أتى على ذكرها، والتي قادت في نهاية المطاف إلى المتاريس الفنلندية. ما لم يذكره العجوز سابقاً هو اضطلاع الأخوين الآخرين بمهمات مماثلة. ففي عام 1930، لحق الأخوان هارالد وغريغر بخطوات ريشارد في أوبسالا. كان الاثنان متقاربين جداً إلا أن فانغر لم يكن واثقاً إلى أي حدّ كانا يمضيان الوقت مع ريشارد. من الواضح تماماً أن الإخوة جميعاً انضموا إلى حركة «بير إيندال» الفاشية المسماة «السويد الجديدة». وقد أخلص هارالد في السير على خطى «بير إيندال» على مدى سنوات عديدة، فانخرط أولاً في الاتحاد الوطني للسويد ثم في المجموعة

المعارضة السويدية وأخيراً في حركة السويد الجديدة وذلك بعد فترة الحرب. وظل هارالد عضواً في الحركة إلى أن توفي إيندال في الثمينيات، ومن المؤكد أنه كان في بعض الفترات أحد المساهمين الأساسيين في تهجين الحركة الفاشية السويدية.

درس هارالد فانغر الطب في أوبسالا واستقر مباشرة تقريباً في أوساط مهووسة بالتطهير العرقي والبيولوجيا الخاصة بالعرق. وقد عمل لفترة من الزمن في مؤسسة البيولوجيا العرقية في السويد. وأصبح كطبيب أبرز قياديي الحملات الهادفة إلى التطهير العرقي وإزالة العناصر غير المرغوب فيها بين السكان.

هذا تسجيل صوتي لهنريك فانغر في الشريط الثاني، رقم 02950، يقول:

حتى إن هارالد ذهب أبعد من ذلك بكثير، فشارك في العام 1937 وتحت اسم مستعار حمداً لله في تأليف كتاب بعنوان «شعب أوروبا الجديدة» لم أعرف بالأمر حتى السبعينيات. لدي نسخة من الكتاب يمكنك قراءتها. لا شك أنها أكثر الكتب التي نُشرت باللغة السويدية إثارة للاشمئزاز. لم يدافع هارالد عن التطهير العرقي وحسب بل تخطاه إلى الدفاع عن مسألة القتل الرحيم التي تروّج لوضع حدّ لحياة كل من ينافي ذوقه الجمالي ولا يتناسب مع الصورة التي رسمها حول العرق السويدي الأمثل. كان يدعو بكلام آخر، إلى القتل بالجملة بنص كتب بلغة أكاديمية بليغة وتضمّن كافة الحجج والبراهين الطبية المطلوبة. تخلّصوا من كل من هو مصاب بإعاقة. لا تسمحوا لشعوب العرق السامي بالتكاثر، إذ إن لديها ميولاً منغولية معاقة. الأشخاص المصابون بأمراض عقلية ينبغي أن ينظروا إلى الموت على أنه الحلّ الذي يحررهم من حالتهم، أليس كذلك؟ الفاجرات من النساء، والمتشردون والبدو الرحّل، واليهود- يمكنك أن تتصور كيف هو الأمر. كان يمكن وفقاً لتخيلات أخي أن تكون أوشفيتز واقعة في دالارنا.

بعد نهاية الحرب، أصبح غريغر فانغر أستاذاً في إحدى المدارس الثانوية، ثم مدير مدرسة هيدستاد الابتدائية. ظن فانغر أنه ما عاد ينتمي إلى أي من الأحزاب بعد الحرب وتخلى عن النازية. وتوفي غريغر عام 1974، ولم يعرف أنه انضم في الخمسينيات إلى الفرقة غير الفاعلة سياسياً وغير الواقعية إطلاقاً، التي تدعى الحزب الوطني الشمالي، إلى أن فتّش في بريد أخيه. وظل عضواً في تلك الفرقة حتى مماته.

وهذا تسجيل صوتي آخر لهنريك فانغر الشريط الثاني، رقم 04167:

ثلاثة من أشقائي إذن كانوا مجانين على الصعيد السياسي. فإلى أي مدى كانوا مختلين على صعد أخرى؟

الشقيق الوحيد الذي كان يستحق النظر إليه بعين التعاطف والتفهم برأي فانغر كان غوستاف العليل الذي توفي بداء الرئة عام 1955. لم يكن لغوستاف يوماً اهتمام بالسياسة ويدا أنه كان من نوع الأشخاص الذين يتمتعون بروح فنية كارهة للجنس البشري، ولا يهتمون مطلقاً بعالم الأعمال أو العمل في مؤسسة «فانغر».

سأل بلومفيست فانغر: «أنت وهارالد الوحيدان المتبقيان على قيد الحياة. فلماذا عاد إلى هيدبي؟»

«عاد إلى الديار عام 1979. إنه يملك المنزل الذي يقيم فيه.»

«لا بد أن العيش بجوار شقيق تكرهه أمر مثير للغرابة.»

«أنا لا أكره أخي. إن كانت هناك من مشاعر حياله فهي الشفقة. إنه أخرق تماماً، وهو الذي يكنّ لي الكراهية.»

«يكرهك؟»

«تماماً. أظن أن ذاك هو سبب عودته إلى هنا. بحيث يتمكن من تمضية سنواته الأخيرة يمقتني عن مسافة قريبة.»

«ولماذا يكرهك؟»

«لأنني تزوجت.»

«أظن أنه سيكون عليك تفسير قولك هذا.»

فقد فانغر الاتصال بأخويه باكراً. كان الوحيد الذي أبدى استعداداً للانخراط في عالم الأعمال، وكان هو رجاء والده الأخير. لم تكن لديه اهتمامات سياسية وقد ابتعد عن أوبسالا. وقام بدلاً من ذلك بدراسة الاقتصاد في ستوكهولم. وبعد أن بلغ عامه الثامن عشر لم ينفكّ ينتهز كل فرصة، وكافة العطلات الصيفية في العمل في أحد مكاتب الشركة الواقعة ضمن مؤسسة «فانغر»، أو العمل مع فريق الإدارة في إحدى الشركات التابعة للمؤسسة. وقد أصبح على اطلاع بكافة المتاهات في مصالح العائلة.

في العاشر من يونيو من العام 1941، وفي خضّم الحرب التي تدور رحاها على نطاق العالم، أرسل فانغر إلى ألمانيا في زيارة تستمر ستة أسابيع إلى مكاتب شركة «فانغر» في هامبورغ. لم يكن فانغر حينئذ يتجاوز الواحدة والعشرين من العمر وكان العميل الألماني المدعو هيرمان لوباخ الذي يعتبر إحدى دعائم المؤسسة مرافقه ومعلمه.

«لن أضجرك بالتفاصيل المملة، لكني سأخبرك أني حين ذهبت إلى هناك كان كل من هتلر وستالين ما يزالان صديقين ولم يكن هناك بعد ما يُعرف بالجبهة الشرقية. كان الجميع ما يزالون يعتقدون أن هتلر لا يُهزم. وكان هناك مزيج من مشاعر... التفاؤل والإحباط. أعتقد أن هاتين هما الكلمتان المعبرتان بعد مضي ما يزيد على نصف قرن من الزمن، كان لا يزال من الصعوبة بمكان توصيف الحالة السائدة في ذلك الوقت. لا تسئ فهمي، لم أكن نازياً، وكان هتلر يبدو بنظري أحد الشخصيات التافهة في إحدى الأوبرات الهزلية الراقصة. لكن كاد يكون مستحيلاً عدم التقاط عدوى التفاؤل بالمستقبل، التي كانت تجتاح عامة الناس في هامبورغ. وعلى الرغم من تسلل الحرب بخطى حثيثة، والغارات الجوية المتعددة التي كانت تستهدف هامبورغ خلال فترة تواجدي هناك، بدا أن الناس

يعتقدون بأن المسألة لا تتعدى كونها إزعاجاً مؤقتاً سرعان ما سيزول ويحلُّ السلام وأن هتلر سيؤسس أوروبا الجديدة Neuropa. أراد الناس أن يؤمنوا بأن هتلر هو الله بحد ذاته. هذا ما بدا الأمر عليه في الدعاية التي كانت تروّج له.»

فتح فانغر أحد ألبومات الصور التي كانت بحوزته.

«هذا هو مرافقي لوباخ. وقد اختفى عام 1944، تاه على الأرجح إثر إحدى غارات القصف. لم يعرف أحد مصيره. خلال الأسابيع التي أمضيتها في هامبورغ أصبح أحدنا قريباً للآخر. كنت أقيم معه ومع عائلته في شقة أنيقة في أحد أحياء هامبورغ الراقية. كنا نمضي أوقاتاً طويلة معاً كل يوم. لم يكن مؤيداً للنازية أكثر مما كنت أنا نفسي، لكنه كان عضواً في الحزب بحكم الضرورة والواقع. وكانت بطاقة العضوية تلك تفتح الأبواب أمامه على مصراعيها وتؤمن الفرص الكثيرة لمؤسسة 'فانغر'، وكنا نستغل الأمر في عالم الأعمال تحديداً. إذ عمدنا إلى بناء عربات نقل للقطارات لحسابهم. ولطالما كنت أتساءل ما إذا كان أي من تلك العربات يتجه إلى بولندا. كما كنا نقوم ببيع أقمشة لصنع زيّهم العسكري وأنابيب محطاتهم الإذاعية، رغم أننا لم نكن نعرف رسمياً وجهة استعمال تلك البضائع على وجه التحديد. وكان لوباخ يدرك تماماً كيف يرسي بنود عقد أو اتفاقية ما، إذ كان شخصاً مرحاً مسلياً بطبيعته. إنه مثال النازي المخلص، وقد بدأت أدرك تدريجياً أنه رجل يحاول يائساً إخفاء سرّ ما.

«في ساعات الصباح الأولى من الثاني والعشرين من يونيو من العام 1914، قام لوباخ بإقفال باب غرفة نومي. كانت الغرفة مجاورة لغرفة نوم زوجته وأشار إليّ بأن أبقى صامتاً، وارتدي ملابسي وأرافقه. نزلنا السلالم وجلسنا في ردهة مخصصة للمدخنين. أمضى لوباخ الليل بطوله مستيقظاً. وكان يدير جهاز الراديو، وأدركت أن أمراً خطيراً قد حصل. كانت عملية 'باربوسا' قد بدأت، حيث قامت ألمانيا باجتياح الاتحاد السوفييتي في إحدى ليالي منتصف الصيف.» قام فانغر عندئذ بحركة تدل على

الاستسلام، ثم تابع قائلاً: «تناول لورباخ كأسين وسكب كمية وافرة من الكحول لكل منا. من الواضح أنه كان مصعوقاً تماماً للحدث. وعندما سألته عن معنى كل ذلك، أجاب بعمق أن ذلك يعني نهاية ألمانيا والنازية. لم أصدقه تماماً، لأن هتلر بدا في نهاية المطاف من الذين لا يُقهرون ولا يعرفون الهزيمة، إلا أنني ولورباخ شربنا نخب سقوط ألمانيا قبل أن يحوّل اهتمامه إلى مسائل عملية.»

أومأ بلومفيست في إشارة منه إلى أنه لا يزال يتابع أحداث الرواية.

«أولاً، لم يكن الاتصال بأبي للحصول منه على تعليمات ممكناً، إلا أنه قرر وبمبادرة منه قطع زيارتي لألمانيا وإعادتي إلى الديار. ثانياً، لقد طلب إليّ إسداءه خدمة ما.»

أشار فانغر إلى إحدى الصور المصغرة لامرأة سوداء الشعر تظهر ثلاثة أرباعها فقط.

«كان لورباخ متزوجاً منذ أربعين عاماً، لكنه التقى عام 1919 بامرأة رائعة الجمال عمرها يبلغ نصف عمره ووقع في علاقة حب يائسة معها. كانت فقيرة، مجرد خياطة بسيطة. تقرّب لورباخ منها وكأمثاله الكثر من الرجال الأثرياء استطاع أن يؤمّن لها شقة لا تبعد كثيراً عن المكتب. وأصبحت المرأة عشيقته، وأنجبت له عام 1921 ابنة تمّ تعميدها باسم إديث.»

قال بلومفيست: «رجل مسنّ ثري وامرأة شابة فقيرة، وطفلة زنا ما كانت لتشكل فضيحة كبرى في الأربعينيات.»

«أنت محقٌّ تماماً، لولا أمر وحيد. كانت المرأة من أصل يهودي، وكان لورباخ بالتالي والداً لطفلة يهودية وسط ألمانيا النازية. كان ما يصفونه بـ 'الخائن لعرقه'.»

«آه... إن هذا يغيّر الوضع كثيراً. ما الذي حصل بعدئذ؟»

«تمّ القبض على والدة إديث في العام 1939. واختفت ولا يمكن التكهن بمصيرها حيث لا شيء مؤكداً. لقد كان معروفاً بالطبع أن لديها

ابنة لم يتم تسجيلها أو إدراج اسمها على أي من لوائح جوازات السفر والتي كان يتم الآن البحث عنها من قبل جهاز الشرطة النازي السري 'الغستابو' الذي كانت مهمته تقتضي تعقّب اللاجئين اليهود. في صيف العام 1941، وخلال الأسبوع الذي وصلت فيه إلى هامبورغ، كان قد انتشر خبر ارتباط والدة إديث بعلاقة ما مع لوباخ وكان قد تمّ استدعاؤه لإجراء مقابلة. اعترف لوباخ بعلاقته بالمرأة وبأبوته للطفلة لكنه أعلن أنه لا يملك أدنى فكرة أين يمكن أن تكون ابنته وأنه لم يتصل بها منذ عشر سنوات.»

«أين كانت الطفلة إذاً؟»

«كنت أراها يومياً في منزل لوباخ. شابة لطيفة هادئة في الحادية والعشرين من العمر تقوم بترتيب غرفتي وتنظيفها وتساعد في تحضير طعام العشاء. مع حلول العام 1937، كانت ملاحقة الألمان لليهود واضطهادهم قد طالت لعدة سنوات وكانت والدة إديث قد اتصلت بلوباخ وتوسّلت إليه المساعدة. وقد ساعدها بالفعل، كان لوباخ يحب ابنته غير الشرعية بقدر ما يحب أولاده الشرعيين الآخرين. وقد خبأها في المكان الذي لا يمكن أن يتوقع فيه أحد وجودها، إذ كانت ظاهرة أمام الجميع. لقد رتّب للحصول على أوراق مزيفة لها واستقدمها إلى منزله على أنها الخادمة.»

«هل كانت زوجته تعلم حقيقة هويتها؟»

«كلا، بدا أنها لا تملك أدنى فكرة. لقد نجح الأمر لأربع سنوات كاملة، لكن لوباخ كان قد بدأ يشعر بأن الخناق يضيق عليه. لن تكون سوى مسألة وقت قبل أن يطرق 'الغستابو' باب منزله. فذهب إلى ابنته وعرّفني إليها على أنها فعلاً كذلك. كانت غاية في الخجل، ولم تتجرأ أن تنظر في عينيّ حتى. لا بدّ أنها أمضت نصف فترة الليل مستيقظة تنتظر الاتصال. توسّل إليّ لوباخ أن أنقذ حياتها.»

«كيف ذلك؟»

«كان قد تدبّر كل شيء بنفسه. كان يفترض بي البقاء ثلاثة أسابيع

إضافية أستقل بعدها قطار المساء المتجه إلى كوبنهاغن ومتابعة طريقي بواسطة أحد المراكب التي تعبر الممر المائي، وهي رحلة آمنة حتى في زمن الحرب. إلا أنه وبعد يومين من حديثنا، كان يفترض بناقلة تملكها مؤسسة 'فانغر' أن تغادر هامبورغ باتجاه السويد. أراد لوباخ إرسالي مع الشحنة ومغادرة ألمانيا من دون أي تأخير. كان يفترض بالأجهزة الأمنية أن توافق على التغيير الذي طرأ على خطة السفر، لكن ذلك لم يدخل إلا في إطار الشكليات ولم يكن يعتبر مشكلة. وقد أرادني لوباخ أن أكون على متن الحافلة.»

«برفقة إديث كما أفترض.»

«لقد تم تهريب إديث على متن الحاقلة نفسها إذ تمت تخبئتها داخل أحد الصناديق الثلاثمئة التي تحتوي على الآلات والمعدات. كانت مهمتي تقتضي حمايتها إذا كشف أمرها بينما نحن داخل مياه ألمانيا الإقليمية، ومنع قبطان السفينة من الإقدام على أي تصرف أحمق. وإلا كان يفترض بي الانتظار ريثما نبتعد مسافة كافية عن ألمانيا قبل أن أسمح لها بالخروج من الصندوق.»

«يبدو الأمر مرعباً.»

«بدت مسألة بسيطة بالنسبة لي، لكن الرحلة تحوّلت إلى كابوس حقيقي. كان القبطان يدعى أوسكار غارانث ولم يكن راضياً تماماً عن قصة تحمّله مسؤولية وريث رئيس عمله المغرور. غادرنا هامبورغ في أواخر يونيو حوالى الساعة التاسعة مساءً تقريباً. كنا نشق طريقنا خارجين من المرفأ حين انطلقت صفارات الإنذار معلنةً اقتراب الغارات الجوية. غارة قصف بريطانية، كانت أعنف ما رأيت في حياتي وقد كانت تستهدف المرفأ بشكل أساسي طبعاً. لكننا نجونا بطريقة ما. وبعد أن عانينا من عطل في المحرّك، وليلة عاصفة وسط مياه مليئة بالقنابل والألغام، وصلنا بعد ظهر اليوم التالي إلى كارلسكرونا. لعلك ستسألني عما حدث للفتاة.»

«أظنني أعلم ما الذي حلّ بها.»

«شعر أبي بغضب مبرّر. لقد عرّضت كل شيء للخطر بمغامرتي الغبية تلك. وكان يمكن أن يتم ترحيل الفتاة من السويد في أي وقت. لكنني كنت قد وقعت بحبها يائساً تماماً كما وقع لوياخ بحب والدتها. تقدمت بطلب يدها ومنحت والدي مهلة أخيرة، فإما أن يقبل بزواجنا أو يبحث عن شخص آخر سواي لإدارة مصالح العائلة. فأذعن لزواجي بعد أن عجز عن إيجاد حل آخر.»

«ولكن، هل ماتت؟»

«أجل ماتت شابة جداً عام 1958. كانت مصابة منذ الولادة بمرض في القلب. وتبين أني عاجز عن الإنجاب، لهذا السبب يكرهني أخي.»

«لأنك تزوجت بها.»

«لأني، ولأستعمل كلامه حرفياً، قد تزوجت من عاهرة يهودية قذرة.»

«لكنه مجنون.»

«ما كنت لأستطيع إيجاد صيغة أفضل للتعبير عن الأمر.»

الفصل العاشر

الخميس، 9 يناير - الجمعة، 31 يناير

وفقاً لـ *Hedestad Courier*، كان الشهر الأول الذي أمضاه بلومفيست في البلدة هو الأكثر برودة الذي تسجله ذاكرة السكان فيها أو الأبرد منذ حرب فصل الشتاء لعام 1942 (حسب ما أخبره فانغر). بعد مرور أسبوع واحد فقط على وجوده في هيديبي، كان قد تعلّم كل ما يتعلق بالثياب الداخلية الطويلة، والجوارب الصوفية والكنزات الشتوية السميكة.

أمضى أياماً مزرية عديدة خلال منتصف الشهر حين انخفضت درجة الحرارة لتلامس السبع وثلاثين درجة مئوية تحت الصفر. لم يكن قد شهد شيئاً كهذا في حياته، ولا حتى أثناء العام الذي أمضاه في الخدمة العسكرية في كيرونا في لابلاند.

انفجر أحد قساطل المياه في أحد الأيام إثر تجمّد المياه فيه. فأعطاه نيلسون وعاءين بلاستيكيين كبيرين من المياه للطهي والاستحمام، إلا أن البرد كان مقرزاً. تكونت أزهار من الجليد على الجوانب الداخلية للنوافذ ولم يكن يتسلل إليه الدفء مهما أطعم الموقد حطباً. كان يمضي أوقاتاً طويلة كل يوم في تقطيع الحطب في الكوخ الصغير المجاور للمنزل.

كان يصل أحياناً كثيرة إلى حدّ البكاء وتدغدغ مخيلته فكرة أن يستقل أول قطار متوجه جنوباً. لكنه كان يعمد بدلاً من ذلك إلى ارتداء كنزة إضافية ولف كتفيه بغطاء آخر والجلوس في كرسي المطبخ لتناول القهوة

وقراءة محاضر قديمة وضعها رجال الشرطة يوماً ما.

ثم تغيرت حالة الطقس وارتفعت درجات الحرارة بشكل ثابت لتستقر على عشر درجات مئوية تحت الصفر.

كان بلومفيست قد بدأ يتعرف إلى الناس في هيديبي. وفى مارتن فانغر بوعده ودعاه لتناول وجبة من لحم الغزال في منزله. وقد انضمت إليهما خليلته. كانت إيفا في الواقع امرأة لبقة اجتماعية ومسلية. وقد وجدها بلومفيست في الواقع فائقة الجاذبية. كانت طبيبة أسنان تعيش في هيدستاد لكنها كانت تمضي عطلات الأسبوع في منزل مارتن. أدرك بلومفيست تدريجياً أن أحدهما يعرف الآخر منذ عدة سنوات وأنهما لم يبدآ يخرجان معاً حتى وصل كل منهما إلى منتصف العمر. من الواضح أن أياً منهما لم يجد سبباً للارتباط بالآخر من خلال الزواج.

قال مارتن ضاحكاً: «إنها طبيبة أسناني في الواقع.»

أجابت إيفا تربت على ركبته بحنو: «والزواج من أحد أفراد هذه العائلة المصابة بالجنون ليس ما أرد القيام به حقاً.»

كانت ألوان أثاث فيلّا مارتن تتوزع بين الأبيض والأسود والفضي. كما كانت هناك قطع فنية ثمينة تحمل تواقيع مصممين ذائعي الصيت كانت لترضي ذوق الخبير كريستر مالم الرفيع. كان المطبخ مجهزاً ليرتقي إلى مستوى ومواصفات أكثر طهاة العالم حرفية ومهارة. في غرفة الجلوس، كنت تجد جهاز ستيريو حديث الطراز عالي التقنية مع مجموعة من هائلة من أسطوانات موسيقى الجاز بدءاً بتومي دورسي إلى جون كولتران. كان مارتن فانغر من أصحاب الأموال الطائلة وقد أتى تصميم منزله ليجمع بين الرفاهية والحياة العملية. إلا أنه كان بعيداً عن أن يحمل أي بصمة أو طابع شخصيين. كانت الأعمال الفنية المنتشرة على الجدران من لوحات ورسومات من النوع الذي تجده في 'IKEA'. أما رفوف المكتبة الموجودة في القسم الذي رآه بلومفيست من المنزل على الأقل فكانت

تضم موسوعة سويدية وبعض الكتب الخفيفة التي لا تغني الفكر فعلاً من النوع الذي يقدمه الناس هدية في أعياد الميلاد. من بين كل الأشياء التي وقع عليه نظره في أرجاء المنزل، استطاع بلومفيست أن يلاحظ مظهرين شخصيين اثنين يطبعان حياة مارتن فانغر. إنهما الطهي والموسيقى. كانت أسطوانات الفونوغراف البالغ عددها ثلاثة آلاف أو أكثر تنطق جهاراً بحبه لعالم الموسيقى، وكرشه المنتفخ فوق وسطه كان دليلاً ساطعاً على ولع مارتن بالأكل.

أما الرجل نفسه فكان مزيجاً من البساطة والحدّة والودّ. ليس من الضرورة أن يتمتع أحدهم بذكاء حاد أو قدرات تحليلية هائلة ليدرك أن رئيس شركة «فانغر» ومديرها العام كان رجلاً يعاني من عدد من المشاكل. فبينما كان الجميع يستمع لموسيقى «ليلة في تونس» كان الحديث يدور حصراً حول مؤسسة «فانغر»، ولم يكن مارتن يخفي أن الشركة كانت تصارع للبقاء. كان يدرك تماماً أن ضيفه الذي لا يكاد يعرفه ينتمي إلى عالم الصحافة المختصة بالشؤون المالية، ولم يتوانَ مع ذلك في مناقشة مشاكل الشركة الداخلية بانفتاح بدا أنه يلامس حدّ الاستهتار. لعله افترض أن بلومفيست أصبح أحد أفراد العائلة بما أنه يعمل لحساب عمه الموقر، وكما الرئيس والمدير العام السابق، كانت وجهة نظر مارتن تقول إن أفراد العائلة هم وحدهم الملامون على الحال الذي وصلت إليه الشركة اليوم. لكنه بدا من جهة أخرى وكأنه مسرور لضرب الجنون الذي أصاب العائلة بما لا يقبل الإصلاح. كانت إيفا تومئ من حين لآخر دون أن تدلي بأي حكم شخصي. لا شك أنهما ناقشا القضية من قبل وتوصلا إلى رؤية موحدة.

تقبّل مارتن قصة استخدام بلومفيست من أجل كتابة السيرة الذاتية للعائلة، وسأله عن كيفية سير العمل. أخبره بلومفيست مبتسماً أن المشكلة الأكبر التي يعانيها تكمن في تذكره أسماء كافة شخصيات العائلة والأقارب. وسأله ما إذا كان يستطيع زيارته مجدداً من أجل إجراء مقابلة

معه بهذا الخصوص. فكر مرتين في إدارة دفة الحديث نحو مناقشة هوس الرجل العجوز بقضية اختفاء هارييت. لا بد أن فانغر قد أضجر أخاه بنظرياته، وأن مارتن يدرك أنه إذا كان بلومفيست سيكتب تاريخ عائلة «فانغر» فلن يتمكن من إغفال حقيقة اختفاء أحد أفراد العائلة في ظروف مأساوية غامضة. إلا أن مارتن لم يبدِ أي رغبة في مناقشة الموضوع.

انتهت الأمسية عند الثانية فجراً بعد تناول عدد من كؤوس من الفودكا. كان بلومفيست يشعر بقليل من السكر وهو يجر قدميه بتثاقل مسافة ثلاثمئة ياردة متوجهاً نحو منزل الضيوف. كانت أمسية لطيفة جداً.

في إحدى فترات بعد الظهر من أسبوعه الثاني في هيديبي، سمع بلومفيست طرقاً على الباب. وضع جانباً أوراق محضر الشرطة رقم ستة في السلسلة، كان قد سحبها من ملف بدأ قراءته للتو وخرج من المكتب وأغلق الباب وراءه. فتح باب المنزل ليرى امرأة شقراء تلف نفسها بمعطف تتقي به برد الشتاء.

«مرحباً، فكرت في المجيء لإلقاء التحية وحسب. أدعى سيسيليا فانغر.»

تصافحا وذهب لإحضار فنجانين من القهوة الساخنة. بدت سيسيليا، ابنة هارالد فانغر، امرأة منفتحة آسرة. تذكر بلومفيست أن فانغر تحدث عنها بنبرة إعجاب وتقدير، وذكر له كذلك أنها لا تتحدث مع والدها الذي يقيم بجوارها. تحدثا لبرهة قبل أن تفصح له عن السبب الحقيقي لزيارتها.

قالت: «فهمت أنك قد أتيت إلى هنا لأنك بصدد وضع كتاب عن تاريخ العائلة. لست واثقة تماماً إن كنت أهتم فعلاً بالفكرة أو لا. جلّ ما يهمني هو أن أعرف أي نوع من الأشخاص أنت.»

«حسناً، هنريك فانغر هو من وظفني للقيام بهذه المهمة. إنها قصته بطريقة أو بأخرى.»

«وهنريك الطيب لا يملك موقفاً حيادياً تماماً حيال أفراد العائلة.»

تأملها بلومفيست للحظة غير واثق مما ترمي إليه في حديثها هذا.

«وهل تعارضين وضع كتاب يروي تاريخ عائلة 'فانغر'؟»

«لم أقل ذلك. ثم إن ما أفكر فيه أو أظنه ليست له أي أهمية. لكن لعلك أصبحت تدرك الآن أن حمل اسم العائلة لم يكن دائماً بالأمر السهل.»

لم تكن لبلومفيست أدنى فكرة عما يمكن أن يكون فانغر قد قاله لتلك المرأة أو إلى أي مدى أفصح عن حقيقة مهمته هنا أمام سيسيليا. رمى يديه في الهواء مستسلماً.

«لقد وقّعت عقداً مع عمك يُلزمني بموجبه أن أدوّن سيرة العائلة. لديه وجهات نظر مشرقة حيال بعض أفرادها لكني سألتزم حرفياً بكل كلام يمكن توثيقه.»

افترّ ثغر سيسيليا فانغر عن ابتسامة تخلو من الدفء، وقالت: «ما أود معرفته هو التالي: هل سيكون عليّ الذهاب إلى المنفى أو الهجرة بعيداً من هنا عند صدور الكتاب؟»

أجابها بلومفيست بالقول: «لا أتوقع حدوث ذلك. سيتمكن الناس عندئذ من إدراك حقائق الأمور، وتمييز الخراف من الماعز.»

«كوالدي مثلاً؟»

أجاب بلومفيست: «والدك، النازي المشهور؟»

أدارت سيسيليا فانغر عينيها وقالت: «والدي شخص مجنون. لا أراه سوى بضع مرات في السنة.»

«لماذا لا تودين رؤيته؟»

«انتظر لحظة، قبل أن تبدأ تطرح عليّ أسئلة لا تنتهي... هل تخطط لتدوين كل كلمة أنطق بها؟ أو هل يسعني أن أتبادل الحديث معك بشكل طبيعي؟»

«عملي يقتضي أن أدوّن كتاباً تبدأ أحداثه مع قدوم ألكسندر فانغيرساد

إلى السويد في عهد الملك برنادوت وصولاً إلى الزمن الحاضر. إنها مهمة تستوجب تغطية أحداث أمبراطورية أعمال العائلة على مدى عقود طويلة، لكنه كتاب سيناقش أيضاً أسباب مواجهة الأمبراطورية تلك الصعوبات الراهنة وسيتطرق كذلك إلى مسائل العداوة بين أفراد العائلة الواحدة. يستحيل في مثل مطالعة كهذه أن أتحاشى نشر بعض الغسيل المتسخ فوق السطوح. إلا أن ذلك لا يعني أني أخطط لإظهار الصورة الشريرة لأي كان. لقد سبق أن التقيت مارتن فانغر على سبيل المثال، يبدو شخصاً متعاطفاً إلى أبعد الحدود وهذا ما سأصفه به في الكتاب.»

لم تقدّم سيسيليا فانغر أي تعليق على ما قاله.

«ما أعرفه عنك هو أنك معلمة في . . .»

«بل أنا أسوأ من ذلك في الواقع، إني أحتل منصب الناظرة في المدرسة الابتدائية في هيدستاد.»

«أعتذر. أدرك أن عمك مولعٌ بك، وأنك كنت متزوجة وأنك منفصلة عن زوجك. . . وهذا كل شيء حتى الآن. لذا تفضلي وتابعي، وتكلمي إليّ من دون أن تكون لديك أية مخاوف حيال تدوين كلامك بشكل حرفي. أنا واثق أني سآتي إليك طارقاً بابك يوماً ما وقريباً. ستكون ساعتئذ مقابلة رسمية ويمكنك حينئذ أن تختاري الإجابة عن أسئلتي أو لا.»

«لذا أستطيع أن أتحدث إليك الآن أو في ذلك الوقت. . . ويكون الكلام الذي أقول غير قابل للنشر كما يقال؟»

«بالطبع.»

«إذاً ما سأقوله الآن هو حديث غير قابل للنشر؟»

«بالتأكيد. فهذه زيارة ذات طابع اجتماعي في النهاية.»

«حسناً. هل أستطيع أن أسألك أمراً إذاً؟»

«تفضلي رجاءً.»

«إلى أي حدّ سيتطرق هذا الكتاب لقضية هارييت؟»

عض بلومفيست شفته وقال بما استطاع من طبيعية: «لأكون صادقاً معك، ليس لدي أدنى فكرة عن ذلك. قد تغطي قضيتها فصلاً كاملاً من الكتاب. لقد كان ذلك حادثاً مأساوياً ألقى بظلال ثقيلة على كاهل عمك، على الأقل.»

«لكنك لست هنا لتبحث في قضية اختفائها، أليس كذلك؟»

«وما الذي يدفعك للتفكير في ذلك؟»

«حسناً، لقد جلب نيلسون أربعة صناديق ثقيلة زاخرة بالملفات إلى هنا. قد تكون تلك تحقيقات هنريك الخاصة التي أجراها على مدى سنوات. أنا فتشت في غرفة هارييت العتيقة، حيث يبقي تلك الملفات ووجدت أنها اختفت من هناك.»

لم تكن سيسيليا فانغر بالمرأة المغفلة.

أجابها بلومفيست: «سيكون عليك أن تتحدثي بالأمر مع هنريك نفسه، وليس معي أنا. لكن لن يفاجئك أن تعرفي أن هنريك قد تحدث عن قصة اختفاء الفتاة مطولاً، وظننت أن من المثير للفضول قراءة المعلومات التي تمّ جمعها حول الموضوع.»

افتر ثغر سيسيليا عن ابتسامة أخرى تخلو من أي أثر للفرح وقالت: «أتساءل أحياناً من أكثر جنوناً، أبي أو عمي. لا بد أني استمعت إلى كلامه حول اختفاء هارييت ألف مرة.»

«ما الذي تظنين أنه حدث لها؟»

«هل هذا سؤال يدخل في إطار المقابلة؟»

أجاب ضاحكاً: «كلا، أشعر بالفضول فقط.»

«ما يثير فضولي هو إن كنت أنت من المجانين المهتمين للقضية أيضاً. ما إن كنت قد ابتلعت طعم اعتقاد هنريك الراسخ أو إن كنت أنت في الواقع من تحفزه على المضي قدماً.»

«وهل تظنين أن قضية هنريك مجرد جنون مطبق؟»

«لا تسئ فهمي. إنه أكثر الناس الذين أعرفهم حناناً، وأعمقهم تفكيراً

وفهماً، لكن فيما يخصّ هذه القضية بالتحديد أظنه استحواذياً، مهووساً.»
«لكن هارييت قد اختفت حقاً.»
«لقد سئمت نفسي هذه القصة برمّتها. لقد سمّمت حياتنا لعقود من الزمن، ولا تزال تفعل.» وقفت عندئذ من مكانها فجأة ووضعت معطف الفرو عليها وقالت: «عليّ أن أذهب. تبدو شخصاً ودوداً. وهذا ما يعتقده مارتن أيضاً، لكن حكمه على الأمور لا يصيب دائماً ولا يعتمد عليه. اعتبر نفسك مرحّباً بك لتناول القهوة في منزلي ساعة تشاء. غالباً ما أكون متواجدة هناك مساءً.»
أجابها بلومفيست: «شكراً لك. لكنك لم تجيبي عن السؤال الذي لم يكن وارداً في إطار المقابلة.»
توقفت قليلاً عند الباب وأجابت من دون أن تستدير وتنظر إليه: «لا فكرة لدي. أظنه كان حادثاً ما ذا تفسير بسيط جداً سيصيبنا جميعاً بالذهول إذا ما وجدناه.»
استدارت فقط لتبتسم له، وكان في تلك الابتسامة شيء من الدفء لاحظه للمرة الأولى. ومن ثمّ غادرت.

إن كان لقاؤه الأول بسيسيليا فانغر يعتبر مقبولاً، فإن الوصف ذاته لا ينطبق على تعارفه بإيزابيلا. لقد كانت والدة هارييت كما حذره هنريك فانغر تماماً حين قال: لقد أثبتت أنها امرأة أنيقة تذكره بلورين باكال على نحو غامض. كانت نحيفة ترتدي معطفاً أسود طويلاً من صوف الغنم مع قبعة سوداء ملائمة. وكانت تتكئ أيضاً على عصا سوداء حين التقاها بلومفيست صدفة للمرة الأولى صباح أحد الأيام بينما كان في طريقه إلى مقهى «سوزان». بدت كواحدة من مصاصي الدماء المتقدمات في السن، كان جمالها أخاذاً إنما ساماً كالأفعى تماماً. من الواضح أن إيزابيلا فانغر كانت في طريق العودة إلى منزلها بعد قيامها بنزهة صباحية. نادته للاقتراب منها فيما كان يمشي عند أحد التقاطعات.

«مرحباً أيها الشاب، أنت هناك، أجل، تعال إلى هنا.»

كان يصعب أن يخطئ المرء أو تفوته نبرة الأمر في صوتها. نظر بلومفيست من حوله وخلُص إلى أنه المقصود بالنداء، ففعل كما أمرته.

قالت له المرأة: «أدعى إيزابيلا فانغر.»

مدّ يده التي تجاهلتها وقال: «أهلاً بك. أنا أدعى ميكائيل بلومفيست.»

«وهل أنت ذلك الذي يحشر أنفه في أمورنا العائلية؟»

«حسناً، إن كنت تقصدين أني الشخص الذي وظفه هنريك فانغر بموجب عقد لمساعدته على وضع كتابه المتعلق بعائلة 'فانغر'، فإني هذا الشخص بالفعل.»

«ليس هذا من شأنك مطلقاً.»

«وأي شيء هو هذا؟ أهو واقع أن هنريك فانغر قدم لي عرضاً، أو أني قبلت به؟»

«تعلم ما الذي أقصده تماماً. لا آبه لأولئك الذين يسترقون النظر إلى حياتي.»

«أنا لا أسترق النظر إلى حياتك، أما الباقي فعليك مناقشته مع هنريك نفسه.»

رفعت إيزابيلا عصاها وضغطت بطرفها على صدر بلومفيست. لم تغرزها كثيراً إلا أنه أخذ خطوة احترازية إلى الوراء تتملكه الدهشة.

قالت له: «ابقَ بعيداً عن طريقي وحسب.» واستدارت على عقبيها متوجهةً بخطى غير ثابتة إلى منزلها. بقي بلومفيست مسمّراً في مكانه محدّقاً في إثرها وكأنه رجل قد صادف لتوه إحدى شخصيات الكوميديا الحقيقيين الذين لا يقرأ عنهم إلا في الكتب. وحين رفع نظره من جديد رأى فانغر يتأمل المشهد من نافذة مكتبه. كان يحمل كوباً في يده رفعه بوجهه في تحية هزل واضحة.

النزهة الوحيدة التي كان بلومفيست يقوم بها خلال الشهر الأول من وجوده هناك كانت تقتصر على رحلة بالسيارة إلى الخليج الواقع على بحيرة سيلجان. كان قد استعار سيارة المرسيدس من فرود وسار عبر المناظر المغطاة بالثلوج لتمضية فترة بعد الظهر مع التحري المحقق موريل. حاول بلومفيست تكوين انطباع عن موريل ذلك مبني على طريقة قراءته لمحاضر الشرطة. وكان ما توصّل إليه صورة عن رجل عجوز قاسي الملامح نحيل، يتحرك بانسياب وبطء ويتكلم ببطء أكثر.

أحضر بلومفيست معه دفتراً لتدوين الملاحظات كان قد سجّل عليه عشرة أسئلة، تعبّر بشكل أساسي عن أفكار استمدها من المحاضر التي كان ينكب على قراءتها. أجاب موريل عن كلٍّ من الأسئلة المطروحة بلغة الأستاذ المحاضر. أخيراً، وضع بلومفيست دفتر تدوين الملاحظات جانباً موضحاً أن تلك الأسئلة ما كانت إلا عذراً للقائه. فما أراده فعلاً هو الجلوس وإجراء حديث عادي معه وطرح سؤال مفصلي وحيد: هل تركت التقارير أي تفصيل وحيد ورد في التحقيق لم تأت على ذكره المحاضر المدونة؟ هل توجد هنالك أية معلومة سيكون المحقق على استعداد لمشاركته إياها؟

كان موريل كما فانغر قد أمضى ستة وثلاثين عاماً يبحث في القضية اللغز، مما دفع بلومفيست ليتوقع بعض المقاومة والرفض إذ كان العنصر الجديد الذي اقتحم المكان وبدأ البحث في الأدغال حيث تاه موريل من قبل. إلا أنه لم يلاحظ أي أثر للعدائية تجاهه. ملأ موريل غليونه تبغاً بطريقة متقنة وأشعله قبل أن يجيب.

«حسناً، نعم. من الواضح أنه كانت لدي أفكاري الخاصة إلا أنها أفكار غامضة، مبهمة عابرة لا أكاد أستطيع التعبير عنها بالكلمات.»

«ما الذي تظن أنه حدث؟»

«أعتقد أن هارييت تعرضت لعملية قتل. هنريك وأنا متفقان على ذلك. إنه التفسير المنطقي الوحيد لما جرى. لكننا لم نكتشف الدافع وراء

ذلك مطلقاً. أعتقد أنها قتلت لسبب محدد جداً، إذ لم تكن حادثة ناتجة عن عمل جنوني أو حادثة اغتصاب أو ما شابه ذلك. لو أننا عرفنا الدافع، لتمكنّا من معرفة هوية القاتل.» توقف موريل عن الكلام مفكراً للحظة ثم تابع: «العل الجريمة كانت ابنة ساعتها دون أن يكون قد تمّ التخطيط لها من قبل. وأعني بذلك أن أحدهم قد اغتنم الفرصة عندما سنحت خلال المعمعة الحاصلة إثر وقوع الحادثة. أخفى القاتل الجثة وأزالها في وقت لاحق حين كنا نجري عمليات البحث عنها.»

«لكننا نتكلم هنا عن شخص ذي أعصاب من حديد ودم بارد.»

«هناك تفصيل واحد بعد... ذهبت هارييت إلى هنريك تريد التحدث إليه. عند التفكير ملياً في الأمر، أجدها طريقة غريبة في التصرف، فهي كانت تدرك تماماً أنه منشغل حتى أذنيه بأقاربه الذين يطوفون من حوله. أظن أن وجود هارييت على قيد الحياة كان يشكل تهديداً جدياً لأحدهم، لأنها كانت ستبوح بشيء ما لهنريك وأن القاتل كان يعلم أنها على وشك أن... حسناً أن تفشي السر وتفضح المستور.»

«وهنريك كان منهمكاً بالتحدث مع عدد من أفراد العائلة.»

«كان هناك أربعة أشخاص في الغرفة إضافة إلى هنريك. أخوه غريغر، أحد أبناء عمه ويدعى ماغنوس سيوغرين، واثنان من أولاد هارالد هما بيرجر وسيسيليا. لكن ذلك لا يدلنا على شيء. لنفترض أن هارييت اكتشفت أن أحدهم قد اختلس مالاً من الشركة، إنها مجرد فرضية طبعاً. لعلها كانت على علم بالأمر منذ عدة أشهر، وقد تكون ناقشت الأمر كذلك يوماً مع الشخص المعني. لعلها حاولت ابتزازه في مرحلة ما، أو أنها أحست بالشفقة ربما لحاله ولم تشعر بالارتياح لفضح أمره. لعلها قررت كل ذلك فجأة وأخبرت القاتل بالأمر فشعر بالإحباط وأقدم على قتلها.»

«لقد استخدمت تعبيري 'هو'، و'إنه'.»

«القاعدة تقول إن القتلة في معظم الأحيان هم من الرجال. لكن من

الصحيح أيضاً أن في عائلة 'فانغر' الكثير من النساء، من ذوات الشخصية القوية المثيرة للمتاعب.»

«لقد سبق أن التقيت إيزابيلا.»

«إنها إحدى أولئك النساء اللواتي أتكلم عنهن. لكن هناك أخريات. يمكن لسيسيليا فانغر أن تكون من النوع التهكمي السريع الانفجار. هل صادف أن التقيت سارة سبوغرين؟»

هز بلومفيست رأسه في إشارة بالنفي.

«إنها ابنة صوفيا فانغر، إحدى بنات عم هنريك. عندما نتحدث عنها، فإننا نتحدث عن صنف من السيدات المزعجات المستهترات بحق. لكنها كانت تعيش في مالمو ونظراً لبعدها الذي أستطيع أن أؤكده، أقول إنها لا تملك أي دافع لقتل الفتاة.»

«لذا تم شطب اسمها عن لائحة المشتبه فيهم.»

«المشكلة هي أنه مهما قلّبنا أوجه الأمور لم نتوصل إلى معرفة مَن يتمتع بالدافع للقتل. وهذا هو المهم.»

«لقد كرست جهداً كبيراً في العمل على هذه القضية. هل تتذكر وجود أي دليل لم تقتفِ أثره؟»

أطلق موريل ضحكة وقال: «كلا. لقد كرّست وقتاً لا حدود له في العمل على هذه القضية، ولا يسعني التفكير في أي خيط دليل لم أتبعه حتى نهايته العقيمة المريرة، واستمر ذلك حتى بعد أن حصلت على ترقيتي وتم نقلي من هيدستاد.»

«نقلك؟»

«أجل، فأنا لست من هيدستاد أصلاً. لقد أديت واجبي كضابط هناك من العام 1963 حتى العام 1968. ثم حصلت بعد ذلك على ترقية لرتبة مدير مراقب، وانتقلت إلى قسم شرطة غافلي لتمضية ما تبقى من سنوات الخدمة. لكنني حتى أثناء تواجدي في غافلي تابعت في التنقيب والبحث في المسألة.»

«أفترض أن هنريك ليس من النوع الذي يستسلم بسهولة.»

«هذا صحيح لكنه ليس السبب. إن أحجية هارييت لا تزال تذهلني حتى يومنا هذا. أعني... إن المسألة على هذا النحو: لكل رجل شرطة لغز خاص يبقى من دون حل. أتذكر من الأيام التي أمضيتها في هيدستاد كيف كان الزملاء الأكثر قدماً يتحدثون في المقهى عن قضية 'ريبيكا'. هناك ضابط على وجه التحديد يدعى تورستنسون، مضت سنوات على وفاته الآن، ظل يعمل على تلك القضية أعواماً متتالية. كان يكرس لها ساعات فراغه وعطلاته. وكلما ساد الهدوء بين أولئك المشاغبين المحليين كان يعيد نبش الملفات ودرسها من جديد.»

«وهل كانت تلك أيضاً قضية متعلقة باختفاء فتاة ما؟»

بدت الدهشة على ملامح موريل، لكنه عاد وابتسم حين أدرك أن بلومفيست كان يبحث عن وجه الشبه بين القصتين.

«كلا، ليس هذا السبب الذي جعلني أروي لك الحادثة. بل أنا أقصد بذلك أن أظهر لك كيف هي روح رجل الشرطة وطريقة تفكيره. قضية 'ريبيكا' تلك تعود إلى زمن يسبق ولادة هارييت فانغر وقد عفا عليها الزمن. في وقت ما من الأربعينيات تم الاعتداء على امرأة في هيدستاد واغتصابها وقتلها. ليس ذلك بالأمر غير الاعتيادي. فكل رجل شرطة يضطر في مرحلة ما من حياته المهنية إلى التحقيق في نوع كهذا من الجرائم، لكنني أتحدث عن صنف القضايا الذي يرافقك كظلك ويجري في دمك أثناء التحقيق فيه وبعده. قتلت هذه الفتاة بأكثر الطرق وحشية. عمد القاتل إلى تقييدها ووضع رأسها في نيران الموقد المشتعل. يمكن لأي كان أن يتخيل كم من الوقت بقيت الفتاة قبل أن تموت أو أي عذاب قد عانته.»

«يا إلهي نجّنا.»

«بالضبط. كان الأمر غاية في المأساوية. كان تورستنسون المسكين هو المحقق الأول الذي يصل إلى مسرح الجريمة بعد العثور على

الضحية. ولم يتم التوصل إلى الكشف عن المجرم، على الرغم من استدعاء خبراء من ستوكهولم. لم يستطع التخلي عن القضية مطلقاً.»

«أستطيع أن أفهم ذلك.»

«قضية 'ريبيكا' بالنسبة لي أنا كانت قضية هارييت. لكننا في هذه الحال لا نعرف كيف ماتت أصلاً. لا يسعنا حتى إثبات وقوع الجريمة. إلا أنني لم أتمكن قط من التخلي عن القضية». توقف يفكر في كلامه ملياً قبل أن يتابع قائلاً: «يمكن لعمل المحقق في جرائم القتل أن يكون المهنة الأكثر توحداً في العالم. رفاق الضحية يصابون بالحزن والإحباط، لكنه عاجلاً أم آجلاً، أي بعد مرور بضعة أسابيع أو أشهر، يعودون إلى ممارسة شؤونهم الحياتية بشكل اعتيادي. بالنسبة للأفراد الأكثر قرباً من الضحية يستغرق الأمر وقتاً أطول، لكن في معظم الأحيان وإلى درجة ما، هم أيضاً يتخطون المأساة والحزن. يجب على الحياة أن تستمر، وهي تستمر فعلاً. إلا أن الجرائم التي لا يتم التوصل إلى معرفة مرتكبيها تظل تنخر وتتغلغل عميقاً ولا يبقى في النهاية سوى شخص واحد يفكر في الضحية ليلاً نهاراً: إنه الشرطي الذي تولى عملية التحقيق في القضية.»

ثلاثة أشخاص آخرون من عائلة «فانغر» كانوا يعيشون على جزيرة هيديبي. ألكسندر فانغر، ابن غريغر من مواليد عام 1946، وهو يعيش في المنزل الخشبي الذي تم تجديده. أخبر فانغر بلومفيست أن ألكسندر يعيش في الوقت الراهن غربي الهند حيث يكرس وقته للقيام بهواياته المفضلة في الإبحار وتمضية الوقت واللهو والمرح دون أن يكلف نفسه عناء القيام بأي عمل مفيد. كان ألكسندر في العشرين من العمر وقد كان هناك في ذلك اليوم.

كان ألكسندر يعيش في المنزل ذاته مع أمه غيردا، التي تبلغ الثمانين من العمر وهي أرملة غريغر فانغر. لم يرها بلومفيست قط إذ كانت طريحة الفراش تقريباً.

ثالث أفراد العائلة كان هارالد فانغر. خلال الشهر الأول من إقامته في المنطقة لم ينجح بلومفيست أن يلمحه مرة واحدة. كان منزل هارالد وهو الأقرب إلى كوخ بلومفيست يبدو كئيباً منذراً بالشرور بستائره السوداء التي تغطي نوافذه كافة. كان يخيّل إلى بلومفيست أحياناً أنه يلمح تلك الستائر تتحرك كلما مرّ من أمام المنزل، وقد حدث مرة عندما أوى إلى الفراش متأخراً أنه لمح نوراً ما ينبعث من إحدى غرف الطابق العلوي للمنزل. كانت الستائر منشقة قليلاً بعضها عن بعض. ظل مسمّراً في مكانه لأكثر من عشرين دقيقة يقف في عتمة مطبخه ويراقب من النافذة الضوء المتسرب قبل أن يسأم ويرتعش من البرد فيقرر الذهاب إلى الفراش. في الصباح كانت الستائر قد أسدلت وعادت كما كانت من جديد.

بدا هارالد طيفاً غير مرئي حاضراً أبداً، تاركاً بغيابه أثراً بالغاً على الحياة في القرية. في مخيلة بلومفيست كان هارالد يتخذ يوماً بعد يوم شكل الشخصية الشريرة «غولوم» الذي يتجسس على محيطه من وراء الستائر، ويكرس نفسه للبقاء في ظل كهفه المحجوب عن الناس والاحتفاظ بأسرار لا يعرفها أحد سواه.

كان يزور هارالد مرة في اليوم إحدى الخادمات اللواتي تساعدن في تنظيف البيت (وهي امرأة متقدمة في السن عادةً) تأتي من الجهة المقابلة للجسر. كانت تجلب إليه أكياس الخضار، تجرها فوق صفحة الثلوج إلى باب منزله. هز نيلسون رأسه حين سأله بلومفيست عن هارالد. قال له إنه عرض أن يقوم بحراثة أرض الحديقة، لكن هارالد رفض ذلك لأنه لا يقبل أن يطأ أحد أملاكه. مرة واحدة فقط، أثناء فصل الشتاء الأول بعد عودة هارالد إلى جزيرة هيديبي، قاد نيلسون التراكتور إلى هناك للمساعدة في إزالة الثلوج من الحديقة الخلفية للمنزل تماماً كما كان يفعل بباقي الممرات المؤدية إلى البيوت الأخرى. خرج هارالد من منزله يحث الخطى على نحو مذهل وهو يصرخ ويشير إليه ويحثه على الرحيل.

لسوء الحظ، لم يكن نيلسون قادراً على تنظيف حديقة منزل

بلومفيست لأن البوابة المؤدية إليها ضيقة جداً ولا تسمح بدخول التراكتور. رفش وعامل يشغّل يديه كانا الطريقة الوحيدة لتنفيذ المهمة.

في منتصف يناير طلب بلومفيست إلى محاميه أن يسأل متى يفترض به تمضية الأشهر الثلاثة الإلزامية في السجن. كان قلقاً حيال الانتهاء من المسألة بأسرع وقت ممكن. تبين له أن الدخول إلى السجن أسهل مما كان يتوقع بكثير. بعد بضعة أسابيع فقط من النقاش صدر مرسوم يقضي أن يسلّم بلومفيست نفسه في السابع عشر من مارس في سجن رولاكر الواقع خارج أوسترساند وهو نوع من السجون التي لا تتبع إجراءات أمنية مشددة. أبلغه المحامي أن هناك احتمالاً بتقصير مدة الحكم.

أجابه بلومفيست بنبرة تخلو من الحماس: «حسناً.»

جلس في كرسي المطبخ وأخذ يداعب القط، الذي كان يحل ضيفاً على بلومفيست من يوم إلى آخر ويمضي الليل معه. علم من عائلة نيلسون أن القط يدعى «تيورفين». لم يكن ملكاً لشخص محدد بل كان يقوم بزيارات دورية إلى جميع المنازل.

كان بلومفيست يلتقي رئيس عمله بعد ظهر كل يوم تقريباً. كانا يجريان في بعض الأحيان أحاديث مقتضبة، ويجلسان أحياناً أخرى لساعات طويلة معاً.

غالباً ما كانت الأحاديث بين الرجلين تدور حول نظرية ما يطرحها بلومفيست ليقوم فانغر بهدمها في نهاية المطاف. حاول بلومفيست الحفاظ على مسافة محددة تبقيه بعيداً عن المهمة المولج القيام بها، لكن لحظات كانت تمر ويجد نفسه فيها لا حول له ولا قوة مذهولاً أمام لغز اختفاء الفتاة.

كان بلومفيست قد أكد لبرجر أنه سيضع خطة ليمضي في صراعه ضد وينرشتروم، لكن بعد شهر كامل من وجوده في هيدستاد لم يكن قد

فتح أياً من الملفات التي أجبرته على الوقوف على منصة المحكمة. إنما وخلافاً لذلك، فقد تعمّد دفع القضية جانباً لأنه في كل مرة يفكر في وينرشتروم وفي وضعه الخاص كان يغرق في حالة من الإحباط والقلق والاضطراب. تساءل في سره ما إذا كان على طريق الإصابة بالجنون كما الرجل العجوز. سمعته المهنية قد انهارت بالكامل، ووسيلته لمعالجة الأمر كانت تكمن في اختبائه في بلدة صغيرة بعيدة يطارد الأشباح.

كان من الواضح لفانغر أن بلومفيست لم يكن متزناً طوال الوقت. مع نهاية يناير، اتخذ الرجل العجوز قراراً أصابه بالدهشة هو نفسه. رفع سماعة الهاتف وأجرى اتصالاً بستوكهولم. دامت المكالمة عشرين دقيقة وتناولت بجزء كبير منها ميكائيل بلومفيست.

لقد استغرق غضب برجر الشهر بأكمله تقريباً ليصبح أقل حدّة. في التاسعة والنصف من مساء أحد أواخر يناير اتصلت به.

وبدأت حديثها الهاتفي بالقول: «هل تنوي فعلاً البقاء حيث أنت؟» كان الاتصال حدثاً مفاجئاً بحد ذاته بحيث لم يتمكن من الإجابة في البداية. لكنه عاد وابتسم قبل أن يلف نفسه جيداً بالغطاء.

«مرحباً ريكي، يجب أن تأتي لزيارة المكان بنفسك.»

«ولماذا أفعل؟ ما الذي قد يغريني للعيش في بلدة نائية تقع خارج الزمن؟»

«لقد قمت بتنظيف أسناني للتو وغسل فمي بمياه جليدية. وهذا يجعلني أشعر بألم كبير في الأضراس التي تحتوي على حشوة.»

«ليس هناك من يمكن إلقاء اللوم عليه سواك. لكن الطقس بارد جداً هنا في ستوكهولم كذلك.»

«حسناً والآن، أطلعيني على أسوأ الأخبار.»

«لقد خسرنا ثلثي معلنينا المعتادين. ما من أحد يريد المجيء والإفصاح عن الأمر صراحة، ولكن...»

«أعلم، ضمي لائحة بأولئك الذين تخلوا عن خدماتنا. قد نروي قصصاً مناسبة عنهم ذات يوم.»

«لقد ألقيت نظرة على الأرقام يا ميكي... وإن لم نحصل على معلنين بديلين جدد فسننهار مع حلول فصل الخريف. الأمر بهذه البساطة.»

«سوف تتغير الأمور إلى الأفضل.»

سمع صوت ضحكات تنمّ عن قلق على الطرف الآخر من الخط.

«لا يمكن تبسيط الأمور على هذا النحو. وأنت تختبئ هناك في جحيم لابلندر.»

«إريكا، أنا...»

«أعلم ما ستقول، على الرجل الحق أن يواجه قدره بشجاعة مهما كلف الأمر، وكل تلك الترهات. لا داعي لأن تكرر ذلك على مسمعي. آسفة لأنني كنت شريرة للغاية ولم أردّ على رسائلك المتلاحقة. هل يسعنا أن نبدأ من جديد؟ هل أتجرأ على القدوم إليك هناك لرؤيتك؟»

«ساعة تشائين.»

«هل هناك حاجة لأن أحضر معي بندقية لقتل الذئاب؟»

«على الإطلاق. لدينا معداتنا الخاصة هنا، وفرق كلاب متخصصة، وكل ما يلزم. متى ستأتين؟»

«مساء الجمعة. هل هذا ممكن؟»

بعيداً عن الممر الضيق الخالي من الثلوج المؤدي إلى الباب، كانت سماكة الثلوج التي تغطي الأرض تصل إلى حوالى ثلاثة أقدام. نظر بلومفيست إلى الرفش ذي العصا الطويلة نظرة تقييمية ثم ذهب إلى منزل عائلة نيلسون ليسأل ما إذا كانت برجر تستطيع ركن سيارتها من نوع BMW في الموقف. لم تكن هناك أي مشكلة في ذلك، إذ كان لديهم

مكان لسيارتها في الموقف الذي يتسع لسيارتين، بل إن لديهم ماكينة لتحمية المحرك.

قادت برجر سيارتها طوال فترة بعد الظهر ووصلت قرابة الساعة السادسة مساءً تقريباً. حدّق أحدهما في الآخر قلقاً لبضع ثوانٍ لكنهما لم يلبثا أن تعانقا لفترة أطول.

لم يكن هناك الكثير لرؤيته تحت جنح الظلام سوى الكنيسة المضاءة، وكان كل من متجر «كونوسم» ومقهى «سوزان» على الجسر قد أقفلا أبوابهما. لذا سارعا إلى دخول المنزل. أعدّ بلومفيست طعام العشاء بينما تجولت برجر في أرجاء المنزل، تتفقد زواياه وتطلق ملاحظات بشأن إصدارات *Rekordmagasinet* التي تعود إلى الخمسينيات والتي لا يزال يحتفظ بها، كما أدلت بتعليق بشأن غرقه في عدد من الملفات المكدسة في مكتبه.

تناولا قطع لحم الضأن مع البطاطا المغمسة بصلصة الكريما واحتسيا النبيذ الأحمر. حاول بلومفيست متابعة الحديث الذي كانا قد بدآه في وقت سابق، لكن مزاج برجر لم يكن يسمح بمناقشة أوضاع «ميلينيوم». فتحدثا بدلاً من ذلك لساعتين متواصلتين عما كان بلومفيست يفعله هناك وكيف كانت تسير الأمور مع فانغر. وذهبا لاحقاً للتحقق مما إذا كان السرير يتسّع لكليهما.

أعيد تحديد موعد لاجتماعها الثالث بالمحامي نيلز بيورمان، وقد تقرر أخيراً أن يتم عند الساعة الخامسة من بعد ظهر نهار الجمعة نفسه. أثناء الاجتماعات السابقة اعتادت استقبالها سكرتيرته وهي امرأة متوسطة العمر تفوح منها رائحة عطر المسك. لكنها اليوم كانت قد غادرت المكتب باكراً ولاحظت أن رائحة كحول تفوح من بيورمان بشكل طفيف. أشار لسالاندر بيده أن تجلس في الكرسي المخصص للزوار، وظل

يتصفح شارد الذهن أوراق الملف الملقى على طاولة المكتب أمامه إلى أن بدا أنه لاحظ وجودها قبالته فجأة.

وقد تبين لها أن الاجتماع عبارة عن جلسة تحقيق أخرى فقط. أخذ هذه المرة يسأل عن حياة سالاندر الجنسية التي لم تكن تملك أي نية مناقشتها مع أحد، أياً كان.

وأدركت عند نهاية الاجتماع أنها قد عالجت الموضوع بشكل سيئ. إذ رفضت في البداية الإجابة عن أسئلته. وقد عزا رفضها هذا إلى كونها خجولة، ومتخلفة أو لديها ما تخفيه، وكان يضغط عليها لتقديم الإجابات. أدركت سالاندر أنه لن يستسلم بسهولة لذا بدأت إعطاءه إجابات مختصرة لا طعم لها ولا لون من النوع الذي افترضت أنه يتناسب مع ملفها النفسي. أتت له على ذكر ماغنوس الذي كان وفقاً لوصفها، يعمل في حقل برمجة الكومبيوتر ويبلغ العمر ذاته مثلها. ذكرت له أنه يتصرف كأي رجل آخر فيصطحبها إلى السينما ويشاركها الفراش أحياناً. لم يكن ماغنوس سوى من صنع خيالها اخترعت قصته ومضت ترويها له إلا أن بيورمان أخذ من حديثها ذريعة ليضع خطة مفصلة لحياتها الجنسية. فلم يتوانَ في طرح أسئلة من نوع، *ما هو عدد المرات التي تمارسين فيها الجنس*؟ من حين لآخر. من يتخذ *الخطوة الاولى، انت او هو*؟ أنا أفعل. *هل يستعمل الواقيات الذكرية*؟ بالطبع يفعل- كانت تعلم بشأن مرض فقدان المناعة. *ما هي الوضعية التي تفضلين*؟ وضعية الاستلقاء على الظهر عادة. *هل تستمتعين بممارسة الجنس عن طريق الفم*؟ حسناً، انتظري للحظة... *هل قمت يوماً بممارسة الجنس الشرجي*؟

«كلا، لأنه ليس من الممتع فعلاً أن يدخلك أحدهم من الخلف، لكن ما شأنك أنت بكل هذه الأمور بحق الجحيم؟»

كانت تلك هي المرة الوحيدة التي فقدت فيها سالاندر أعصابها. كانت تسمّر عينيها في الأرض فلا تخدعانها وتُظهران مدى غيظها. حين نظرت إليه مجدداً كان يضحك في وجهها من فوق الطاولة. غادرت مكتبه

يملأها إحساس بالقرف. لم يكن بالمغرين ليخطر له يوماً بأن يتطرق لمثل هذه المواضيع معها. بل على العكس تماماً، لطالما كان حاضراً من أجلها في حال رغبت في مناقشة أي شيء من هذا القبيل معه. لكن ذلك لا يعني أنها فعلت ذلك يوماً.

كان بيورمان يوشك أن يصبح مشكلة اساسية بالنسبة لها.

الفصل الحادي عشر

السبت، 1 فبراير ـ الثلاثاء، 18 فبراير

خلال ساعات الفجر من نهار السبت تنزه بلومفيست وبرجر مجتازين مرفأ القوارب الصغيرة على طول الطريق المؤدي إلى أوسترغاردن. مضى على وجوده في جزيرة هيديبي شهر كامل، لكن لم يسبق له أن تمشى على طريق الساحل الداخلي للبلدة. لقد منعه من ذلك انخفاض درجات الحرارة إلى ما دون الصفر، والعواصف الثلجية المتكررة. إلا أن نهار السبت كان مشمساً ودافئاً. بدا وكأن برجر قد أحضرت معها أولى بوادر الربيع. كانت جوانب الطرقات مفروشة بالثلوج التي وصلت سماكتها بعد أن أزيلت من وسط الطريق إلى ثلاثة أقدام. ما إن غادرا منطقة الأكواخ الصيفية الصغيرة حتى وجدا نفسيهما يمشيان وسط غابة كثيفة. تفاجأ بلومفيست بمدى ارتفاع تلال سودربيرجيت عندما ينظر إليها المرء من جانب الأكواخ بنحو يفوق كثيراً ما تبدو عليه للناظر إليها من القرية. خطر له كم مرة يمكن لهاربيت فانغر أن تكون قد لعبت هنا وهي طفلة، لكنه سرعان ما أبعد كل فكرة تتعلق بها من رأسه. بعد أن تغلغلا مسافة ميل كامل تقريباً داخل الغابة وصلا إلى سياج حاجز يشير إلى بداية حدود أراضي أوسترغاردن. تمكنا من رؤية بيوت خشبية بيضاء وأبنية مطلية بالأحمر منظمة على شكل مربع. استدارا عائدين يسلكان الطريق ذاته.

ما إن تجاوزا الممر نحو المنزل الأساسي الكبير، حتى طرق فانغر

على نافذة إحدى غرف الطابق العلوي وأشار إليهما بحزم للصعود إلى حيث هو. نظر بلومفيست وبرجر أحدهما إلى الآخر. قال لها بلومفيست: «هل تودين التعرف إلى أسطورة الشركات؟»

«وهل يعض؟»

«ليس أيام السبت.»

استقبلهما فانغر عند باب مكتبه.

قال لها: «لا بدّ أن تكوني السيدة برجر، لقد عرفتك. لم يقل ميكائيل كلمة واحدة بخصوص قدومك إلى هيديبي.»

إحدى مواهب برجر المذهلة كانت قدرتها على فتح أبواب الودّ مع أكثر الأشخاص مقتاً وغرابة. لقد سبق لبلومفيست أن رآها تمارس سحرها على أولاد بعمر الخمس سنوات فتجعلهم في غضون عشر دقائق على استعداد تام للتخلي عن أمهاتهم. بعد مضي دقيقتين فقط كان الاثنان قد أصبحا من أعز أصدقاء الطفولة أو صديقين مذ كانت إريكا بعد طفلة بأسوأ الأحوال.

بدأت برجر حديثها متجرّئة على توبيخه لإغراء ناشر المجلة على الابتعاد عن مكان إقامته والعيش في منطقة نائية. أجابها الرجل العجوز أنه على حدّ علمه، أي كما وصله من التقارير الصحفية، أنها هي من طرده من المجلة في الواقع. وإن لم تكن قد فعلت بعد، فلعله الآن الوقت الأنسب للتخلص من الحمولة الزائدة في مكاتب تحرير المجلة. وفي هذه الحال، بحسب قول فانغر، فإن تمضية فترة من الوقت في الريف تقدم خدمة رائعة لبلومفيست الشاب.

ناقشا لمدة خمس دقائق كاملة العيوب التي تعتري أداء بلومفيست مستعملين أكثر التعابير قسوة وإغاظة. انحنى بلومفيست متظاهراً بالشعور بالمهانة والذل، إلا أنه قطّب جبينه عابساً حين أدلت برجر ببعض التعليقات المبهمة التي تحمل معنيين في طياتها فتشير إلى إخفاقاته

كصحافي وتنطبق في الوقت ذاته ربما على قدراته الجنسية. أمال فانغر برأسه إلى الوراء وانفجر ضاحكاً.

أصيب بلومفيست عندئذ بالذهول. لم يسبق له أن رأى فانغر قط على طبيعته إلى هذا الحدّ أو كان مرتاحاً في جلسته على هذا النحو. تراءى له فجأة أن فانغر أصغر بخمسين عاماً، أو ثلاثين عاماً ربما، كان من دون أدنى شك فاتن الجاذبية، ساحر النساء. لم يتزوج ثانية مطلقاً. لا بد أن نساء كثيرات مررن في حياته، إلا أنه ظل عازباً ما يقارب نصف قرن من حياته.

ارتشف بلومفيست قهوته وأصاخ السمع مجدداً حين أدرك أن مسار الحديث انقلب جدياً فجأة وصار يتمحور حول مجلة «ميلينيوم».

«أخبرني ميكائيل أنك تواجهين بعض المشاكل في تسيير أمور المجلة.» رمقت برجر بلومفيست نظرة ذات معنى. فتابع قائلاً: «كلا، لم نناقش تفصيلياً العمليات الداخلية المعرقلة لكن ينبغي على المرء أن يكون أعمىً وأصم كي لا يرى أن مجلتك، كما مؤسسة 'فانغر'، تعاني عدداً من المشاكل.»

أجابته برجر: «أنا على يقين أنه يسعنا إصلاح الوضع.»

قال لها فانغر: «أشك في ذلك.»

«ولماذا؟»

«دعيني أرى، كم موظف يعمل لديك؟ ستة؟ أنت صاحبة مجلة شهرية توزع واحداً وعشرين ألف نسخة. إذا احتسبنا تكاليف التصنيع، والتوزيع، ومرتبات الموظفين، والنفقات المكتبية... فأنت تحتاجين إلى عائدات تقدّر بعشرة ملايين. أعتقد أن كلانا يعلم ما النسبة التي يجب أن تكون لعائدات الإعلانات من هذا المبلغ.»

«ماذا إذاً؟»

«إذاً، صديقنا وينرشتروم رجل نذل حقود ضيق الأفق لن ينسى

بسهولة أو بسرعة الحادث المؤسف الذي تعرض له حديثاً. كم من المعلنين خسرت على مدى الأشهر الستة الماضية؟»

نظرت برجر إلى فانغر نظرة تعكس الكثير من القلق. شعر بلومفيست بأنفاسه تحتبس في صدره. في كل مناسبة يتطرق فيها هو والعجوز لمستقبل مجلة «ميلينيوم» كان الأمر ينطوي على إطلاق ملاحظات مزعجة حول وضع المجلة بالنسبة لقدرة بلومفيست على إنهاء المهمة الموكلة إليه في هيدستاد. إلا أن فانغر كان يتوجه إلى إريكا وحدها ويتحدثان كرئيسي عمل أحدهما ندّ للآخر. مرت بينهما إشارات لم يتمكن بلومفيست من تفسير مغزاها، لعل ذلك يعود إلى واقع أنه ينتمي في الأساس إلى عائلة من الطبقة العاملة في نورلاند في حين أنها فتاة من المجتمع الراقي تتحدر من عائلة معروفة عالمياً.

سألته برجر: «هل لي بمزيد من القهوة من فضلك؟» سكب لها فانغر القهوة عى الفور.

«حسناً لقد حزرت تماماً. المجلة في حالة نزيف.»

«منذ متى؟»

«لدينا مهلة ستة أشهر لننتشل أنفسنا من المأزق. أو ثمانية أشهر كحدّ أقصى. لا نملك ما يكفي من رأس المال لنعوّم المجلة لمدة أطول.»

كانت ملامح الرجل العجوز غامضة عصية على القراءة وهو يحدق من النافذة إلى البعيد. كانت الكنيسة لا تزال في مكانها وكل شيء على حاله في الخارج يلفه السكون.

قال موجهاً الحديث لكليهما: «أتعلمان أني كنت أدير مجلة في أحد الأيام من حياتي المهنية؟»

هزّ كل من بلومفيست وبرجر رأسه نفياً. أطلق فانغر مجدداً إحدى ضحكاته الماكرة.

«كنا نملك ستة صحف يومية تصدر في نورلاند. وكان ذلك أيام الخمسينيات أو الستينيات. كانت تلك فكرة والدي، إذ اعتقد أن امتلاك

صحيفة يعود علينا بالفائدة السياسية وأنه من المهم أن يكون لنا دعم إعلامي ما. ونحن لا نزال في الواقع أحد المساهمين المالكين في صحيفة *Courier Hedestad*. بيرجر، ابن هارالد يحتل منصب رئيس مجلس الإدارة لإحدى مجموعات المالكين.» من حسن حظ بلومفيست أن فانغر أضاف الجملة الأخيرة.

قال له بلومفيست: «وأحد السياسيين في البلد كذلك.»

«مارتن أحد أعضاء مجلس الإدارة أيضاً وهو يبقيه على اطلاع بكل ما يجري.»

سأله بلومفيست: «ولماذا تخلّيتم عن الصحف التي تملكونها؟»

«إعادة هيكلة الشركات كانت عملنا الأساسي، ولم يكن تأسيس الصحف في حينها سوى هواية أكثر منه عملاً تجارياً يعود بالفائدة. حين كنا نحتاج إلى تقليص الموازنة كانت الصحيفة أحد أول الأعمال التي نلجأ إلى بيعها. لكنني أعلم مستلزمات إدارة مؤسسة إعلامية... هل لي بطرح سؤال شخصي؟»

كان سؤاله موجهاً إلى إريكا.

«لم يسبق لي أن سألت بلومفيست عن الأمر، وإن لم ترغبي في الإجابة، فأنت لست مجبرة على ذلك. أود أن أعلم كيف انتهى بك الأمر إلى مستنقع الأعمال الخاسرة هذا. هل كانت لديك قصة فعلية تكتبين عنها أم لا؟»

حان الآن دور بلومفيست لتصبح ملامح وجهه عصية على التفسير. ترددت برجر للحظات فقط قبل أن تجيب: «كانت لدينا قصة نستند إليها فعلاً، إلا أن قصتنا مختلفة بالكامل.»

أومأ فانغر وكأنه فهم ما الذي ترمي إليه تحديداً. أما بلومفيست فلم يفهم شيئاً مما يدور.

حسم بلومفيست النقاش واختصر الحديث بالقول: «لا أرغب في حصول المزيد من النقاش حول هذا الموضوع. كنت أنا من قام بالبحث،

ومن وضع المقال. كانت لدي كافة المصادر التي أحتاج إليها. لكن كل شيء ذهب هباءً في النهاية.»

«هل كنت تملك مصادر لكل تفصيل أوردته في المقال؟»

«صحيح.»

فجأة ارتدى صوت فانغر طابع الحدة وقال بنبرة خشنة: «لا يسعني الادعاء أني أفهم تماماً كيف يمكن لامرئ أن يقتحم حقل ألغام مثل هذا. كما أنه لا يسعني أن أتذكر سماع قصة مماثلة سوى تلك التي تتعلق بقضية 'لاندال' في صحيفة الاكسبرس أيام الستينيات، إن كنتما قد سمعتما بها يوماً أيها الشابين. هل كان مصدر معلوماتك مهووساً بعالم الأساطير والكذب كذلك؟»

هزّ رأسه واستدار موجهاً كلامه إلى برجر قائلاً بهدوء: «كنت ناشراً لإحدى الصحف فيما مضى ويسعني أن أكون مجدداً. ما قولك في أن تُدخلي شريكاً آخر معك؟»

أتى وقع السؤال كالرصاص المجهول المصدر، إلا أن برجر لم تبدُ متفاجئة البتة.

قالت له: «أخبرني المزيد.»

أجابها فانغر: «كم من الوقت ستطول إقامتك في هيدستاد؟»

«سأعود للديار غداً.»

«هل لك، أنت وميكائيل طبعاً، أن تكونا من اللطف بحيث تسايرا رجلاً عجوزاً مثلي بالانضمام إليه لتناول العشاء على مائدته الليلة. هل يناسبكما ذلك عند الساعة السابعة مساءً؟»

«يناسبنا ذلك تماماً. بل يروقنا كثيراً في الواقع. لكنك لم تجب عن السؤال الذي طرحته. لماذا قد ترغب في أن تكون شريكاً في مجلة 'ميلينيوم'؟»

«لست أتجنب الإجابة عن سؤالك، خطر لي فقط أن نناقش المسألة أثناء تناول العشاء. يفترض بي التحدث إلى محاميّ قبل أن أتمكن من

تقديم عرض حقيقي. لكني أقول لك ببساطة إني أملك أموالاً للاستثمار. إن نجت المجلة من المأزق وعادت تحقق الأرباح من جديد فسأحتل أنا أولوية محققي المكاسب، وإن لم تفعل، فلا بأس، لقد شهدت خسارات كثيرة في حياتي.»

كان بلومفيست على وشك أن يفتح فمه لقول شيء ما إلا أن برجر سارعت إلى وضع يدها على ركبته تسكته.

«كافحنا أنا وبلومفيست طويلاً لنؤسس مجلة مستقلة بالكامل.»

«مجرد ترهات. ما من أحد مستقل كلياً. لكنني لست بصدد الاستيلاء على المجلة، ولا آبه لمضمونها البتة. ذلك السافل شتينبك لديه كل الغايات التي تدفعه إلى نشر *Modern Times*، فلماذا لا أستطيع أنا أن أقوم بدعم مجلة 'ميلينيوم'؟ ويصادف أنها مجلة ممتازة بالمناسبة.»

سأله بلومفيست: «هل لذلك علاقة بوينرشتروم؟»

أجاب فانغر: «اسمع يا ميكائيل، أبلغ من العمر ثمانين ونيّفاً. هناك أمور أشعر بالندم لعدم قيامي بها وأشخاص أشعر بالندم لعدم مجابهتهم حتى النهاية. لكن بالنسبة لهذه القضية...» عاد هنا يتوجه بكلامه إلى برجر: «هذا النوع من الاستثمارات ينطوي على شرط واحد على الأقل.»

قالت برجر: «لنسمعه إذاً.»

«على ميكائيل بلومفيست أن يستعيد منصبه كناشر للمجلة.»

ردّ بلومفيست بحدّة قائلاً: «كلا.»

أجابه فانغر بنبرة لا تقلّ حدّة: «بل أجل. سيصاب وينرشتروم بذبحة قلبية إن أصدرنا بياناً صحفياً نعلن فيه أن مؤسسة 'فانغر' تدعم مجلة 'ميلينيوم'، وأنك ستعود في الوقت ذاته لتشغل منصب الناشر الرئيس. ستكون تلك الإشارة هي الأكثر وضوحاً التي نقوم بإرسالها، سيفهم الجميع أن ليس في الأمر استيلاء على المجلة وأن سياستها التحريرية ستبقى على ما هي عليه ولن يطرأ عليها أي تغيير. وسيكون هذا وحده كافياً لدفع المعلنين الذين يفكرون في سحب إعلاناتهم، لإعادة التفكير.

وينرشتروم لا يتمتع بنفوذ مطلق. فهو أيضاً لديه أعداء، وهناك شركات حديثة لا تعرفانها ستفكر جدياً في شراء مساحات إعلانية في المجلة.»

ما إن أقفلت برجر باب المنزل حتى صاح بلومفيست قائلاً: «ما الذي يحصل بحق الجحيم؟»

أجابته: «أظن أن هذا ما تسميه تحقيقات مسبقة حول صفقة تجارية لم تنجز بعد. لم تخبرني أن هنريك فانغر رجل ظريف إلى هذا الحدّ.»

تسمّر بلومفيست أمامها يقول: «اسمعي ريكي، كنت تعرفين تماماً ما الذي سيتطرق إليه الحديث.»

«اسمع أيها العاشق لمن هو أكبر منك سناً، إنها الساعة الثالثة بعد الظهر، وأريد أن أستمتع بوقتي كلياً قبل أن يحين موعد العشاء.»

كان بلومفيست يستشيط غضباً. لكنه لم ينجح يوماً في أن تطول فترات غضبه من إريكا برجر.

ارتدت ثوباً أسود طويلاً وسترة تصل حتى وسطها، وحذاء أسود مناسباً صادف أنها وضعته في حقيبتها الصغيرة. أصرّت على أن يرتدي بلومفيست بذلة رسمية وربطة عنق للمناسبة. فلبس سروالاً أسود وقميصاً رمادياً وربطة عنق سوداء ومعطفاً رمادياً. عندما طرقا باب منزل فانغر في الموعد المحدد، تبين لهما أن ديرك فرود ومارتن فانغر مدعوين أيضاً لتناول العشاء. كان الجميع يرتدي ملابس رسمية عدا فانغر نفسه.

أوضح للجميع قائلاً: «من فوائد بلوغ سنّ الثمانين عدم انتقاد أحد لنمط ملابسك.»

كان يرتدي سترة من الصوف المحبوك وربطة عنق عادية.

كان مزاج برجر جيداً طوال فترة تناول العشاء.

لكن حين انتقل الجميع إلى قاعة الاستقبال حيث الموقد الكبير وبدأ توزيع كؤوس الكونياك حتى أخذ النقاش طابعاً جدياً. دارت المحادثات

لما يقارب الساعتين قبل أن يتوصل الجميع في نهاية الجلسة إلى اتفاق.

سيقوم فرود بتأسيس شركة تعود ملكيتها بالكامل إلى هنريك فانغر ويتألف مجلس إدارتها من كل من هنريك نفسه ومارتن فانغر وفرود. تقوم هذه الشركة على مدى أربعة أعوام باستثمار مبلغ من المال يغطي الفرق بين مداخيل مجلة «ميلينيوم» ونفقاتها. وستكون الأموال من حساب فانغر الخاص. ويحصل فانغر في المقابل على منصب صوري ظاهرياً في مجلس إدارة المجلة. تظل الاتفاقية صالحة لمدة أربع سنوات، إلا أنه يمكن لمجلة «ميلينيوم» إنهاؤها بعد عامين. لكن هذا النوع من الفسخ السابق لأوانه سيكون مكلفاً لأنه لا يمكن شراء شركة «فانغر» إلا عبر تسديد الدين الذي استثمره في المجلة كاملاً.

في حال وفاة فانغر يخلفه مارتن في مجلس إدارة المجلة لما تبقى من مدة جريان مفعول العقد. إذا رغب مارتن في البقاء في منصبه بعد هذه الفترة يستطيع ذلك، ويمكنه اتخاذ هذا القرار بنفسه عندما يحين الوقت. بدا مستمتعاً بفكرة تسديد الحساب مع وينرشتروم، وتساءل بلومفيست مجدداً عن أصل هذه العداوة بين الرجلين.

أعاد مارتن ملء الكؤوس. وانحنى فانغر نحو بلومفيست وأخبره بصوت منخفض أن الاتفاقية المعقودة حديثاً لا تؤثر مطلقاً على تلك التي بينهما، وأنه يمكن لبلومفيست استئناف عمله كناشر في المجلة بدوام كامل مع حلول نهاية العام.

تقرر أيضاً بهدف ترك أعمق أثر في مجال الإعلام، أن يتم الإعلان عن إعادة التنظيم تلك في اليوم ذاته الذي تبدأ فيه فترة تنفيذ الحكم على بلومفيست في منتصف مارس. إن الجمع بين حدث يحمل كل هذه السلبية وإعلان إعادة هيكلة المجلة سيكون في مفهوم العلاقات العامة خطأ غير متقن لا يهدف إلا إلى إصابة كل من يذمّ بلومفيست بالذهول ويلفت الانتباه بشكل كبير إلى دور هنريك فانغر الجديد. وقد أجمع الحاضرون على أن الخطة تنطوي على نفحة من المنطق، إذ كانت إشارة إلى أن غيمة

الشؤم التي كانت تحوم فوق مكاتب تحرير مجلة «ميلينيوم» على وشك أن تزول، وراية الهزيمة أن تنكّس. ها قد أصبح للمجلة داعمون على استعداد تام لأن يكونوا عديمي الرحمة. قد تكون مؤسسة «فانغر» في أزمة، لكنها لا تزال شركة تجارية بارزة تستطيع المواجهة إذا ما دعت الحاجة.

كان الحديث برمّته عبارة عن نقاش بين برجر من جهة، وهنريك ومارتن فانغر من جهة أخرى. لم يسأل أحدهم مرة بلومفيست رأيه.

في وقت متأخر من تلك الليلة وبينما كان بلومفيست مستلقياً فوق نهدي برجر وهو ينظر في عينيها، سألها: «منذ متى وأنت تنسّقين لوضع بنود الاتفاقية مع فانغر؟»

أجابته مبتسمة: «منذ حوالى الأسبوع.»

«وهل يوافق كريستر على الأمر؟»

«بالطبع.»

«ولماذا لم تخبريني؟»

«ولماذا ينبغي لي أن أناقشك في الموضوع بحق السماء؟ لقد قدمت استقالتك كناشر، وتخليت عن القيام بمهامتك في هيئة التحرير ومجلس الإدارة، وذهبت للعيش في الأدغال.»

«لذا أستحق أن تتم معاملتي على أنني أخرق.»

أجابته: «أجل، هذا ما تستحقه تماماً.»

«لقد كنت غاضبة مني حقاً.»

«ميكائيل، لم يسبق لي أن شعرت بمثل هذا الغضب من قبل أو مثل هذه الوحدة أو التعرض للخيانة مثلما حين رحلت.» شدّته من شعره الذي كانت تداعبه بقوة ودفعته تحت أغطية السرير.

عندما حان الوقت لتغادر برجر جزيرة هيديبي نهار الأحد، كان

بلومفيست لا يزال منزعجاً إلى حدٍّ بعيد من فانغر بحيث لم يرغب أن يغامر بلقائه أو أحد أفراد عائلته صدفة. فتعمّد يوم الاثنين أن يستقل الحافلة المتجهة إلى هيدستاد وأمضى طوال فترة بعد الظهر يتنزه في البلدة، فزار مكتبتها وتناول القهوة في الفرن الذي يصنع الخبز الشهي والكعك. وذهب في المساء إلى السينما وشاهد فيلم The Lord of the Rings، الذي لم يتسنّ له الوقت لحضوره من قبل. كان يظن أن العفاريت، خلافاً لبني البشر، كانت مخلوقات بسيطة غير معقدة.

انتهت رحلته في «ماكدونالد» في هيدستاد وعاد ليلحق بالحافلة الأخيرة المتوجهة إلى هيديبي. أعدّ لنفسه القهوة وأخذ أحد الملفات وجلس إلى طاولة المطبخ. انكب على القراءة حتى الساعة الرابعة فجراً.

كان هناك عدد من الأسئلة التي تتعلق بالتحقيق الذي بدا أنه يزداد غرابة كلما تقدّم بلومفيست بقراءة المحاضر والملفات. لم تكن تلك اكتشافات ثورية من صنعه وحده، إذ كانت هناك بعض المخاوف التي شغلت المحقق موريل لفترات طويلة من الزمن، لاسيما في أوقات فراغه.

طرأت تغييرات كثيرة على هارييت خلال العام الأخير من حياتها. يمكن بطريقة ما تفسير هذا التغيير كأي تغيير آخر يختبره المرء بشكل أو آخر خلال سنوات المراهقة. كانت هارييت تكبر. إلا أن رفاق صفها وأساتذتها وعدداً من أفراد عائلتها شهدوا جميعاً أنها قد أصبحت منطوية على ذاتها وباتت شخصاً لا يتفاعل اجتماعياً مع محيطه.

الفتاة التي كانت قبل عامين فقط مفعمة بالحياة بدأت تقصي نفسها رويداً رويداً عن كل من يحيط بها. كانت لا تزال في المدرسة تمضي وقتاً مع زملائها، لكنها باتت الآن تتصرف بطريقة باردة تفتقد الحياة، على حدّ وصف أحد أصدقائها. كانت هذه الأوصاف غير عادية بما يكفي بالنسبة لموريل ليدوّن ملاحظة بشأنها ويطرح حولها المزيد من الأسئلة. التفسير الذي حصل عليه حول الموضوع كشف له أن هارييت قد توقفت عن

الحديث عن نفسها وانكفأت عن الثرثرة وما عادت تثق برفاقها.

كانت هارييت فانغر مسيحية بمعنى أنها كأي ولد مسيحي كانت تتبع طقوس الديانة المسيحية، فتذهب إلى قداس نهار الأحد وتتلو صلوات المساء كالمعتاد. وقد ثبتت في الكنيسة على مسيحيتها بعد العمادة. إلا أنها في السنة الأخيرة بدت أقل تديّناً وأكثر فتوراً. كانت تقرأ في الإنجيل وتذهب إلى الكنيسة بانتظام. إلا أنها لم تعد تتحدث إلى راعي أبرشية جزيرة هيدبي، القس أوتو فالك، الذي كان صديقاً لعائلة «فانغر». لكن، بدلاً من ذلك وخلال فصل الربيع، سعت إلى الانتساب للحركة الدينية البروتستنتية الخمسينية، في هيدستاد. غير أن انخراطها في الحركة لم يدم طويلاً. إذ تخلت عن التجمّع بعد شهرين فقط وأخذت في المقابل تقرأ كتب حول الإيمان الكاثوليكي.

هل كان ذلك مجرد ولع عمر المراهقة؟ ربما، لكن يشار إلى أن أحداً من أفراد عائلة «فانغر» لم يكن يتميز بميول دينية بارزة، وكان من الصعب تبيّن الدوافع التي قد تكون وراء تصرفاتها. أحد الشروحات التي يمكن أن تفسر اهتماماتها قد يكون طبعاً تعرّض والدها لحادثة الغرق في العام السابق. توصّل موريل إلى خلاصة مفادها أن حادثة ما حصلت في حياة هارييت وطبعتها بالاضطراب وتركت أثراً عميقاً عليها. وقد كرّس موريل، كما فانغر، قسماً كبيراً من وقته للتحدّث إلى رفاق هارييت محاولاً العثور على أحد من بينهم تثق به.

كان بعض من الأمل معلقاً على آنيتا فانغر، ابنة هارالد التي كانت تكبر هارييت بعامين فقط. كانت قد أمضت عطلة صيف عام 1966 على جزيرة هيدبي وكان يسود اعتقاد أنهما صديقتان مقربتان. إلا أنه لم تكن بحوزة آنيتا أي معلومات قيّمة تبوح بها. لقد خرجتا سوياً ذلك الصيف وذهبتا للسباحة معاً، والتنزه، وغالباً ما كانتا تتحدثان عن الأفلام السينمائية، وفرق أغاني البوب، وأنواع الكتب التي تفضل كل منهما قراءتها. وكانت هارييت تذهب أحياناً برفقة آنيتا لتعلّم دروس في القيادة.

وقد ثملتا مرة مسرورتين بشرب قنينة نبيذ أخذتاها من المنزل خلسة. وأمضت الفتاتان بضعة أسابيع في كوخ غوتفريد الواقع على أبعد نقطة من الجزيرة.

ظلت الأسئلة المطروحة حول أفكار هارييت الخاصة ومشاعرها من دون إجابات. إلا أن بلومفيست دوّن ملاحظة تتعلق بورود تضارب ما في مضمون التقرير، إنه اختلاف بشأن المعلومات المتعلقة بتحفظها وصمتها والتي أوردها زملاؤها على نحو خاص وأفراد عائلتها إلى حدّ معين. فآنيتا فانغر لم تكن تعتقد أنها فتاة انطوائية على الإطلاق. ووضع إشارة تذكّره بأن يناقش هذه النقطة مع فانغر في وقت ما.

سؤال آخر، أكثر إلحاحاً كرّس له موريل المزيد من الاهتمام، كان يدور حول صفحة مثيرة للدهشة في مفكرة صغيرة جميلة كانت هارييت قد تلقتها كهدية في عيد الميلاد، قبل سنة واحدة من اختفائها. كانت المفكرة بنصفها الأول عبارة عن رزنامة عادية، وكانت هارييت قد ذكرت عليها تواريخ لقاءاتها، وأشارت إلى مواعيد الامتحانات المدرسية، وتواريخ تقديم الفروض، وإلى ما هنالك. وقد خصّصت المفكرة كذلك في قسم كبير منها لتدوين مذكراتها إلا أنها كانت تكتب فيها بشكل متقطع وليس يومياً. كانت قد بدأت الكتابة بشغف ملحوظ حتى شهر يناير، مع ذكر مقاطع مقتضبة كثيرة حول الأشخاص الذين التقتهم خلال عطلة عيد الميلاد، إضافة إلى ملاحظات متعددة تتعلق بالأفلام التي شاهدتها. ولم تورد بعد ذلك أي معلومات شخصية حتى نهاية العام الدراسي حين بدا من الواضح ووفقاً لكيفية تفسير المبوبات، أنها أصبحت مهتمة من بعيد بأمر شاب مجهول الاسم.

شكلت الصفحات التي تذكر أرقام هواتف لغزاً حقيقياً. فبمنتهى الأناقة، ووفقاً لترتيب الحروف الأبجدية، وردت أسماء أفراد العائلة وأرقام هواتف كل منهم، إضافة إلى أسماء زملاء المدرسة وأرقام هواتفهم وبعض الأساتذة وعدد من أعضاء الحركة الخمسينية وأشخاص آخرين

يسهل التعرف إليهم نظراً لتواجدهم ضمن دائرة المعارف المقربين من الفتاة. على الصفحة الأخيرة من لائحة العناوين والتي كانت لا تزال فارغة ولم تكن حقاً ضمن قسم الأسماء المرتبة حسب أحرف الأبجدية، كانت هناك خمسة أسماء مع خمسة أرقام هواتف. ثلاثة من هذه الأسماء تعود لإناث، واسمين آخرين لم ترد سوى الأحرف الأولى منهما وكانت مدونة على النحو التالي:

ماغدا - 32016

سارة - 32109

ر. ج. - 30112

ر. ل. - 32027

ماري - 32018

الأرقام التي تبدأ بالعدد 32 كانت تشير إلى رمز منطقة هيدستاد أيام الستينيات. أما الرقم الذي يبدأ برمز 30 فكان يشير إلى منطقة نوربين التي لا تبعد عن هيدستاد كثيراً. والمشكلة أنه حين اتصل موريل بكل من معارف هارييت وأصدقائها، لم يكن أحد يملك أدنى فكرة عمن يكون صاحبا هذين الرقمين. رقم الهاتف الأول الذي يعود لماغدا بدا واعداً في البداية. لكنه قاد إلى دكان خردوات في منطقة «باركفاتان 12». كان الهاتف باسم «مارغوت لاندمارك» التي كانت أمها في الواقع تدعى ماغدا والتي كانت تساعد أحياناً في أعمال الدكان. لكن ماغدا تلك كانت في التاسعة والستين من العمر ولم تكن لديها أدنى فكرة عمن تكون هارييت فانغر. ولم يكن هنالك أي إثبات كذلك أن هارييت قامت بزيارة المتجر من قبل أو قامت بشراء أي شيء منه. ولم تكن تهتم لأمر الحياكة أبداً.

رقم الهاتف الثاني الذي يعود لسارة، كان لعائلة باسم «توريسون» التي تعيش في فاستستان على الجهة الأخرى لخط سكة الحديد. كانت العائلة تلك تتألف من أندرز، ومونيكا وولديهما جوناس وبيتر، اللذين كانا في ذلك الوقت مجرد ولدين صغيري السن. ولم يكن هناك أي

شخص باسم سارة بين أفراد العائلة، ولم يكن أحد على معرفة بهارييت فانغر سوى أنهم سمعوا عن قصة اختفائها في وسائل الإعلام. الرابط الغامض الوحيد بين هارييت وعائلة «توريسون» كان أندرز الذي كان يعمل في تصليح الأسقف وكان قد وضع منذ بضعة أسابيع أحد الأسقف المستعارة في المدرسة حيث تتعلم هارييت. لذا، كان هناك احتمال نظرياً أن يكون الاثنان قد التقيا مع أن ذلك يعتبر مستبعداً إلى أقصى الحدود.

أما الأرقام الثلاثة المتبقية فأدت إلى الطريق المسدود ذاته. فرقم 32027 الذي ورد إلى جانب الحرفين «ر.ل.» كان يعود في الواقع لامرأة تدعى روزماري لارسن. لكنها، ولسوء الحظ قد توفيت منذ بضع سنوات.

ركز المحقق موريل قدراً كبيراً من اهتمامه خلال شتاء 1966-1967 على محاولة تفسير سبب تدوين هارييت مثل هذه الأرقام والأسماء.

أحد الاحتمالات كان يفترض بأن تكون قد لجأت إلى تدوينها كرمز مشفر خاص بها، لذا حاول موريل أن يخمّن كيف يمكن لمراهقة أن تفكر. بما أن الرمز اثنين وثلاثين الذي تبدأ به سلسلة الأرقام المدوّنة يعود لمنطقة هيدستاد، شرع في إعادة ترتيب الأرقام الثلاثة المتبقية لرقم الهاتف الأساسي. إلا أن أياً من الترتيبين 32601 أو 32160 قاده فعلاً إلى ماغدا. وفيما كان موريل يتابع عمله في ترتيب الأعداد، أدرك أنه إذا تلاعب ما يكفي بالأرقام فسيتوصل عاجلاً أو آجلاً إلى إيجاد نوع من الرابط بينها وبين هارييت. فإذا أضاف على سبيل المثال الرقم واحد إلى كل من أعداد الرقم المتبقية بعد الرمز فسيحصل من الرقم 32016، على 32127 وقد تبين أنه رقم هاتف مكتب فرود في هيدستاد. إلا أن حلقة واحدة في السلسلة ما كانت لتعني شيئاً. كما أنه لم يكتشف رمزاً آخر له أي معنى مفيد من أرقام الهواتف الخمسة المتبقية.

وسّع موريل نطاق بحثه. هل يمكن للأعداد أن تعني مثلاً أرقام لوحات السيارات التي كانت تتألف في الستينيات من رمز تسجيل المنطقة

المكوّن من حرفين إضافة إلى خمسة أرقام؟ وكان ذلك مجرد طريق مسدود آخر.

ركّز المحقق اهتماماته في ما بعد على الأسماء. حصل على لائحة بأسماء كافة الأشخاص في هيدستاد الذين يحملون أسماء، ماغدا، أو ماري أو سارة، أو الذين تبدأ أسماؤهم بأحرف ر.ل. أو ر.ج. فحصل بموجب هذا الإجراء على لائحة من ثلاثمئة وسبعة أسماء. تسعة وعشرون من بين هؤلاء تربطهم علاقة فعلية بهارييت فانغر. فأحد الشبان في صفها على سبيل المثال كان يدعى رولاند جايكوبسون أي أن اسمه يبدأ بحرفي ر.ج. . كان أحدهما لا يكاد يعرف الآخر ولم يكونا على اتصال منذ بدأت هارييت صفوفها في المدرسة الإعدادية. ولم تكن له أي علاقة كذلك برقم الهاتف المدون.

وهكذا ظل لغز الأرقام المذكورة في المفكرة من دون حلّ.

لم يكن لقاء سالاندر الرابع مع المحامي بيورمان من بين اللقاءات المدرجة على جدول المواعيد المقررة. إذ كانت مجبرة على الاتصال به.

خلال الأسبوع الثاني من فبراير وقع كومبيوتر سالاندر المحمول ضحية حادثة لم تكن في وقتها إطلاقاً، أوقدت في صدرها رغبة ملحّة في قتل أحدهم. كانت قد استقلّت دراجتها إلى أحدى الاجتماعات في شركة «ميلتون للأمن» وركنتها خلف أحد الأعمدة في الموقف أسفل المبنى. وحينما وضعت حقيبة ظهرها على الأرض لتثبت قفل الدراجة في مكانه، بدأت سيارة حمراء داكنة تقود للوراء. كانت تدير ظهرها للسيارة لكنها سمعت صوت قرقعة بسبب سقوط الحقيبة على الأرض. لم يلاحظ سائق السيارة وجود أي خطب وتابع القيادة مغادراً الموقف.

كانت حقيبة الظهر تحتوي على جهاز كومبيوتر iBook من نوع Apple 600 أبيض اللون مع قرص صلب بقدرة تخزين 25 جيغا وذاكرة RAM قدرتها 420 ميغا، وقد تمّ تصنيعه في يناير من عام 2002، وهو

مجهز بشاشة كبيرة بقياس 14 إنشاً. حين اشترته، كان أكثر أجهزة كومبيوترات شركة Apple المحمولة تطوراً وحداثة. كانت أجهزة الكومبيوترات التي تستخدمها سالاندر تخضع لتحديث مستمر يتناسب مع كل تطور حاصل في عالم التكنولوجيا وبكلفة مرتفعة جداً أحياناً، وكان تجهيز الكومبيوتر باب الرفاه الوحيد الموجود على قائمة النفقات.

عندما فتحت الحقيبة تمكنت من أن ترى بوضوح أن غطاء الجهاز الخارجي قد تحطم بالكامل. حاولت وصله على محوّل كهربائي وتشغيله فلم يتجاوب مطلقاً. أخذته إلى متجر «تيمي ماكجيسيس» المتخصص ببيع وتصليح أجهزة الكومبيوتر الواقع على مقربة من برانكيرغاتان آملة أن تكون بعض المعلومات على القرص الصلب قد نجت من التلف على الأقل. بعد تفحص الجهاز لبرهة، هزّ تيمي رأسه متأسفاً.

قال لها: «أنا آسف، لا أمل منه. ينبغي لك الآن التحضير لمراسم دفن لائقة.»

كانت خسارتها جهاز الكومبيوتر الخاص بها محبطة لكنها لم تكن كارثية. كانت ثمة علاقة مميزة تربط سالاندر مع الجهاز طوال السنة التي كان بحوزتها. إذ كانت تقوم بنسخ بكافة الملفات المهمة وتحتفظ بها للحالات الطارئة، كما كانت تملك جهاز كومبيوتر أكثر قدماً في المنزل من نوع Mac G3 إضافة إلى جهاز كومبيوتر محمول آخر من نوع Toshiba يبلغ عمره خمس سنوات يمكنها استعمالهما في الوقت الراهن. لكنها كانت تحتاج في أقرب وقت إلى جهاز حديث الصنع.

وقع نظرها عرضاً على البديل الأفضل المتوفر: الإصدار الأحدث من أجهزة كومبيوتر Apple Powerbook G4/1.0 Ghz موضوعاً في علبة من الألومينيم مع معالج للمعلومات من نوع PowerPC 7451 مزود بـ AltiVec Velocity Engine و 960 MB RAM وقرص صلب بقدرة تخزين 60 جيغابايت. كما أنه مزود بخاصية الـ Blue Tooth وناقل معلومات مدمج للأقراص الممغنطة والـ DVD.

وأفضل ما في الأمر أنه أول جهاز من نوعه في عالم الكومبيوترات المحمولة مجهز بشاشة قياسها 17 إنشاً مع معالج رسوم NVIDIA ودقّة عرض تبلغ 1440×900 بيكسل، وكلها مواصفات تصيب محبي عالم الكومبيوترات بالذهول وتفوق كل مواصفات أخرى موجودة في السوق.

في مجال القطع الإلكترونية، كان هذا الجهاز عبارة عن «رولز رويس» عصره في عالم أجهزة الكومبيوتر المحمولة، إلا أن ما أثار رغبة سالاندر في امتلاكه فعلاً كانت الميزة البسيطة التي تكمن في لوحة مفاتيح مزودة بإنارة خلفية ذاتية تخوّل المستخدم رؤية الأحرف حتى في الظلام الحالك. يا لها من ميزة بسيطة. لماذا لم تخطر على بال أحد من قبل؟

كان ذلك هو الحب من النظرة الأولى.

يبلغ ثمن الجهاز ثمانية وثلاثين ألف كورون ما عدا الضريبة.

وها هنا تكمن المشكلة الحقيقية.

أقدمت سالاندر على طلب الجهاز من متجر «ماكجيسيس»، وليحصل ما يحصل. كانت تشتري كافة لوازم الكومبيوتر من هناك، فلعلهم يقدمون لها سعراً أفضل وحسماً أكبر. قامت باحتساب النفقات، فوجدت أن التأمين على الكومبيوتر سيغطي قسماً لا بأس به من سعره الأصلي. لكن مع الكفالة وثمن الجهاز المرتفع كانت لا تزال بحاجة إلى ثمانية عشر ألف كورون. لديها عشرة آلاف منها مخبأة جيداً في علبة للبن في المنزل لكنها عدا عن ذلك، لا تملك فلساً إضافياً واحداً. أطلقت شتائم مكبوتة بالجملة للسيد بيورمان لكنها وجدت نفسها مضطرة على مضض إلى الاتصال بالوصي لتشرح له أنها بحاجة إلى المال من أجل مصاريف لم تكن في الحسبان. أبلغتها سكريتيرة بيورمان أن لا وقت لديه لرؤيتها في ذلك اليوم، فأجابتها سالاندر أن المسألة لن تستغرق أكثر من عشرين ثانية من وقت الرجل من أجل أي يصرف لها شيكاً بقيمة عشرة آلاف كورون. فطلبت إليها السكرتيرة أن تحضر إلى المكتب عند الساعة السابعة والنصف من مساء ذلك اليوم.

قد لا تكون لبلومفيست تجارب مسبقة في مجال تقييم التحقيقات الجنائية لكنه أصدر حكماً بأن المحقق موريل كان يقوم بعمله وفقاً لما يمليه عليه ضميره المهني بامتياز. وحين انتهى بلومفيست من قراءة التحقيقات التي أجرتها الشرطة، ظل اسم موريل يظهر كلاعب أساسي في دفتر ملاحظات فانغر الخاص. لقد أصبح الرجلان صديقين، وتساءل بلومفيست ما إذا كان موريل قد غدا مهووساً بالقضية مثله مثل قبطان عالم الصناعة.

كان من غير الوارد ينظر بلومفيست أن يكون فات موريل أي تفصيل. حلّ الأحجية لن يكون بين أسطر محاضر الشرطة. لقد تم طرح كافة الأسئلة التي يمكن أن تخطر على بال، وتعقُّب كل أثر أو دليل يحتمل أن يؤدي إلى نتيجة، حتى أنه تمت المبالغة في تعقب بعض الأدلة التافهة. لم يكن قد قرأ كل كلمة من التقرير لكنه كان كلما تعمق في قراءة محاضر التحقيق غدت الأدلة والإشارات أكثر غموضاً. لم يكن ليعثر على أمر فات سلفه المحترف أو فريقه المتخصص. وكان لا يزال يشعر بالحيرة حيال المنهج الذي سيتبعه في معالجة القضية. إلا أنه ما لبث أن خطر له أن الطريقة المنطقية العملية الوحيدة التي يتبناها تكمن في محاولته إيجاد الدوافع النفسية للأفراد المعنيين بالقضية.

السؤال الأول ينبغي أن يكون مرتبطاً بهارييت نفسها. من كانت هارييت تلك؟

لاحظ بلومفيست من نافذة المطبخ نوراً يشتعل في الطابق العلوي لمنزل سيسيليا فانغر بعد الساعة الخامسة من بعد الظهر. طرق باب منزلها عند السابعة والنصف مساء مع موعد بدء نشرة الأخبار تماماً على شاشة التلفزيون. فتحت له الباب وهي ترتدي برنس الحمام وشعرها لا يزال رطباً تغطيه منشفة صفراء اللون. اعتذر بلومفيست على الفور للإزعاج الذي سببه لها بقدومه من غير موعد، وهمّ بالتراجع استعداداً للمغادرة، إلا أنها لوّحت له للدخول إلى غرفة الجلوس. أدارت آلة صنع القهوة

واختفت مسرعة في الصعود إلى الطابق العلوي لبضع دقائق. حين عادت ونزلت للأسفل، كانت ترتدي سروال جينز وقميصاً قطنياً مزيناً بالمربعات.

«كنت قد بدأت أظن أنك لن تأتي أبداً.»

«كان يجب أن أتصل بك قبل المجيء لكنني رأيت النور مضاءً، وأتيت على الفور من دون تفكير.»

«لقد رأيت النور مضاءة طوال الليل في منزلك. ولاحظت أنك غالباً ما تخرج للقيام بنزهات بعد منتصف الليل. هل أنت طائر ليلي؟»

هز بلومفيست كتفيه: «يبدو أني أصبحت كذلك.»

ألقى نظرة على مجموعة الكتب المكدسة على حافة طاولة المطبخ وسألها: «هل لا تزالين تعملين في حقل التعليم؟»

«كلا، لا وقت لدي للتعليم ولكنني أعمل ناظرة. كنت أعلّم مادة التاريخ والدين والاجتماع. ولم يعد أمامي سوى بضع سنوات متبقية؟»

«بضع سنوات متبقية؟»

ابتسمت وقالت: «أنا في السادسة والخمسين من العمر، وسأحال على التقاعد قريباً.»

«لا يبدو أن عمرك يزيد يوماً واحداً على الخمسين. لا بل أنت أقرب إلى أن تكوني في الأربعينيات.»

«يا لها من مغازلة. وأنت، كم تبلغ من العمر؟»

أجاب بلومفيست بابتسامة: «حسناً، يفوق عمري الأربعين سنة.»

«وتشعر أنك كنت في العشرينيات البارحة فقط. كم يجري العمر بسرعة! هكذا هي الحياة.»

قدّمت سيسيليا فانغر له القهوة وسألته ما إذا كان يشعر بالجوع. فأجابها أنه سبق له أن تناول الطعام. لم يكن ذلك صحيحاً تماماً. لم يكن يكلف نفسه عناء الطهو فكان لا يأكل إلا السندويشات. لكنه لم يكن جائعاً فعلاً.

«ما الذي دفعك للقدوم إذاً؟ هل حان الوقت لطرح بعض الأسئلة؟»

«لأكون صادقاً معك... لم أحضر إلى منزلك لأطرح الأسئلة. ظننت أنني أرغب في إلقاء التحية وحسب.»

ابتسمت: «حكم عليك بالسجن، انتقلت للعيش في هيديبي، جهدت بالعبث بأوراق هنريك التي تشكل هوايته المفضلة، لا تنام ليلاً وتستمتع في أخذ نزهات طويلة في الخارج حيث درجة الحرارة تتدنى عن الصفر... هل نسيت أن أذكر شيئاً ما؟»

«نسيت أن تقولي إن حياتي لا معنى لها.»

«من هي المرأة التي كانت بضيافتك نهاية الأسبوع الماضي؟»

«تدعى إريكا... إنها رئيس التحرير في مجلة 'ميلينيوم'.»

«أهي صديقة لك؟»

«ليس تماماً. إنها متزوجة. وأنا أشكل صديقاً لها، وعشيقاً من وقت إلى آخر.»

انفجرت سيسيليا فانغر ضاحكة.

«ما المضحك في الأمر؟»

«الطريقة التي قلت فيها ذلك. عشيق من وقت إلى آخر. راقتني العبارة كثيراً.»

بدأت سيسيليا فانغر تروق لبلومفيست.

وقالت له: «قد ألجأ إلى عشيق بين الوقت والآخر أنا نفسي.»

خلعت حذاءها ووضعت قدمها فوق إحدى ركبتيه. ألقى بلومفيست تلقائياً يده على قدمها وأخذ يداعب كاحلها. تردد للحظة متيقناً أنه يخوض غمار تجربة غير محسوبة النتائج. لكنه عمد مؤقتاً إلى تمسيد عقب قدمها بإبهامه.

قالت له: «أنا امرأة متزوجة كذلك.»

«أعلم هذا. ما من أحد في عائلة 'فانغر' يلجأ إلى الطلاق.»

«لم أرَ زوجي منذ ما يقارب العشرين عاماً الآن.»

«ما الذي حدث؟»

«ليس هذا من شأنك. لم أمارس الجنس منذ حوالي... ثلاثة أعوام.»

«يدهشني هذا.»

«لماذا؟ إنها مسألة عرض وطلب. لم أكن أهتم بأي شاب أو رجل متزوج أو شخص يعيش معي، أنا أبلي حسناً بمفردي. فمع من أمارس الجنس؟ مع أحد الأساتذة في المدرسة؟ لا أظنها فكرة جيدة. أو مع أحد التلامذة؟ ستكون تلك قصة رائعة تتداولها ألسنة العجائز في البلدة. إنهم يبقون أعينهم مفتوحة على كل من ينتمي إلى عائلة 'فانغر'. وهنا على جزيرة هيديبي ليس هناك سوى الأقارب والمتزوجين.»

انحنت وطبعت قبلة على عنقه.

«هل أحدثت لك صدمة؟»

«كلا، لكنني لا أعرف إن كانت تلك فكرة سديدة. فأنا أعمل لحساب عمك.»

«وأنا سأكون آخر من يخبره بالأمر. لكن لأكون صادقة معك، أقول لك إن هنريك لن يكون لديه أي اعتراض ربما على ما يجري.»

فرجت ساقيها وجلست على حضنه وقبّلته على شفتيه. كان شعرها لا يزال رطباً تفوح منه رائحة الشامبو. فكّ أزرار سترتها القطنية وأنزلها حتى كتفيها. لم تكن ترتدي أي حمالة للصدر. وقرّبته منها أكثر وهو يقبّل نهديها.

استدار بيورمان من حول الطاولة ليطلعها على بيان حسابها المصرفي الذي كانت تتذكره حتى آخر فلس، مع أنه لم يعد تحت تصرّفها. كان يقف خلفها تماماً. وأخذ فجأة يمسّد عنقها، سامحاً لإحدى يديه أن تتسلل من فوق كتفها إلى صدرها. وضع يده فوق نهدها الأيمن وتركها هناك. حين لم تعترض أخذ يضغط رويداً رويداً. لم تتحرك سالاندر من

مكانها. كان بإمكانها أن تشعر بأنفاسه فوق عنقها وهي تتأمل سكين فتح المغلفات على المكتب، كانت تستطيع الوصول إليه والإمساك به بيدها الأخرى.

إلا أنها لم تقم بأي حركة. إن كان هناك من درس علّمها إياه هولجر بالمغرين على مدى السنوات التي عرفته فيها، فهو أن التصرفات المبنية على ردود أفعال فورية غير مدروسة تؤدي إلى الوقوع في المشاكل. ويمكن أن تكون لتلك المشاكل عواقب غير مرضية. لم تكن تقدم على أي تصرّف إلا بعد أن تحتسب عواقبه جيداً.

إن التحرش الجنسي الميداني، الذي قد يفسر من الناحية القانونية على أنه اعتداء جنسي، واستغلال للفرد في موقع التبعية للآخر، قد يؤدي ببيورمان نظرياً إلى تمضية عامين في السجن حتى لو لم يدم سوى لثوانٍ معدودة. إلا أن تلك الثواني كانت كافية لتجاوز الحدود بما لا عودة عنه. كان الأمر بالنسبة لسالاندر استعراض قوة جهة معادية، أي إشارة إلى أنه بعيداً من العلاقة القانونية الملزمة المحددة بعناية التي تربطهما، كانت عاجزة عن الدفاع، واقعة تحت رحمة نزواته. حين التقت نظراتهما لبضع لحظات، كانت شفتاه متباعدتين قليلاً ومعالم الشهوة تبدو واضحة على ملامح وجهه. أما ملامح سالاندر فلم تخفِ قط ما كان يختلجها من مشاعر.

تراجع بيورمان ليقف إلى جانب طاولة المكتب وأجلس نفسه في كرسي الجلد الوثير.

وقال لها: «لا يسعني إعطاؤك المال على هذا النحو كلما رغبت في ذلك. لماذا تحتاجين إلى جهاز كومبيوتر باهظ الثمن كهذا؟ هناك العديد من الطرازات الأخرى الأبخس ثمناً التي يمكنك استعمالها لتمضية الوقت على الألعاب.»

«أود أن أتحكم بإنفاق مالي الخاص كما كنت من قبل.»

رمقها بيورمان بنظرة ملؤها الشفقة.

«علينا أن نرى كيف تجري الأمور. تحتاجين أولاً لأن تتعلمي كيف تتصرفين بشكل اجتماعي أكثر وأن تحسني التصرف مع الناس.»

كان بيورمان سيكبت ابتسامته لو أنه استطاع أن يقرأ الأفكار التي تدور في رأسها خلف هاتين العينين الخاليتين من أي تعبير.

قال لها: «سنكون أنا وأنت صديقين جيدين. علينا أن نعمل على أن يتمكن أحدنا من الوثوق بالآخر.»

لما لم يلقَ ردّاً، قال لها: «أنت امرأة ناضجة الآن ليزبث.»

أومأت.

تابع وهو يمدّ لها يده: «تعالي إلى هنا.»

ركزت سالاندر نظرها على سكين فتح المغلفات لبضع لحظات قبل أن تقف وتذهب إليه. *العواقب*. أخذ يدها ووضعها بين ساقيه. استطاعت أن تشعر بأعضائه التناسلية من فوق قماش السروال المتين الداكن اللون.

«إن كنت لطيفة معي، فسأبادلك اللطف.»

وضع يده الأخرى حول عنقها وأنزلها على ركبتيها ليصبح وجهها أمام منفرج ساقيه تماماً.

قال وهو يُنزل سحابة السروال: «سبق أن فعلت هذا، أليس كذلك؟» كانت تفوح منه رائحة تشير إلى أنه قد قام بالاغتسال للتو بالماء والصابون.

أدارت سالاندر وجهها وحاولت النهوض على قدميها، إلا أنه ثبتها في مكانها. لم تكن لتحلم بأن تساويه من حيث القوة الجسدية. كانت تزن تسعين باونداً مقابل مئة وعشرين. ضمّ رأسها بين راحتيه ورفع وجهها إليه بحيث تلتقي نظراتهما.

وكرر يقول: «إن كنت لطيفة معي، فسأبادلك اللطف. أما إذا تسببت بالمشاكل، فسأضعك في إحدى المؤسسات الاجتماعية لتمضي فيها بقية حياتك. هل هذا ما ترغبين فيه؟»

لم تتفوه بأي كلمة.

سألها مجدداً: «هل ترغبين في ذلك؟»

هزت رأسها نفياً.

انتظر أن تخفض ناظريها بما يدل على الخضوع. وقرّبها منه أكثر. فتحت سالاندر فمها وأخذته. أبقى قبضته محكمة على عنقها وشدها إليه بعنف. شعرت وكأنها تتقيأ طوال الدقائق العشر التي استغرقها لينتفخ ويتهيج، كان يمسك بها بإحكام حين أفرغ بحيث كادت لا تستطيع التنفس.

أرشدها إلى الحمام الموجود داخل المكتب. كانت سالاندر تهتز من رأسها حتى أخمص قدميها وهي تمسح وجهها وتحاول إزالة البقع عن سترتها. مضغت بعضاً من معجون الأسنان الذي يملكه لتتخلص من الطعم المقرف في فمها. حين عادت إلى مكتبه وجدته يجلس في كرسيه بلامبالاة، يتفحص بعض الأوراق أمامه.

قال لها من دون أن يرفع نظره إليها: «اجلسي ليزبث.» فجلست في الكرسي قبل أن ينظر إليها في النهاية ويبتسم بوجهها.

«أنت كبيرة الآن ليزبث، أليس كذلك؟»

أومأت مجدداً.

«تحتاجين إذاً إلى التمكّن من لعب ألعاب الكبار.»

لجأ إلى التحدث بنبرة توحي بأنه يتكلم مع بنت صغيرة. لم تقدّم أي إجابة. ظهر طيف تقطيبة على حاجبيه.

«لا أظنها فكرة جيدة أن تخبري أحداً بألاعيبنا. فكري في الأمر، من سيصدقك؟ توجد وثائق تثبت أنك لا تتمتعين بالسلامة العقلية. ستكون كلمتك مقابل كلمتي. كلام من برأيك سيكون له وزن أكبر ومصداقية أكثر؟»

أطلق تنهيدة حين وجد أنها لا تنوي الكلام. كان منزعجاً من طريقة جلوسها هناك بصمت، تنظر إليه، إلا أنه سيطر على نفسه.

قال لها: «سنكون صديقين جيدين أنا وأنت. أظنك تصرفت بذكاء بمجيئك إليّ اليوم، تستطيعين دائماً أن تأتي لزيارتي.»

«أحتاج إلى عشرة آلاف كورون من أجل شراء الكومبيوتر». قالت له بشكل مقتضب حاسم وكأنها تكمل وحسب الحديث الذي كان يدور بينهما قبل حصول المقاطعة.

رفع بيورمان حاجبيه، وكأنه يقول في نفسه، *سافلة عنيدة، إنها متخلفة فعلاً*. سلمها الشيك المصرفي الذي كان قد حرره لها وهي في الحمام. *إنها افضل من العاهرات، فهي تتقاضى اجرها من مالها الخاص*. ابتسم لها بتعجرف. تناولت سالاندر الشيك وغادرت المكتب.

الفصل الثاني عشر

الأربعاء، 19 فبراير

لو كانت سالاندر مجرد مواطنة عادية لكانت اتصلت بالشرطة ما إن غادرت مكتب المحامي بيورمان وأبلغت عن حادثة الاغتصاب التي تعرضت لها. فآثار الكدمات التي لا تزال واضحة على عنقها إضافة إلى توقيع الحمض النووي لمنيه وقد ترك بقعاً على جسمها وملابسها كانت لتدينه حتماً. فحتى لو ادّعى المحامي أنها هي من أراد ذلك أو أنها هي من أغراه أو لجأ إلى أي من الأعذار الأخرى التي يختلقها الغاصبون عادة، كان ليظل مذنباً بارتكاب العديد من الخروقات لقوانين الوصاية وكان ليجرّد فوراً من حقوقه بالوصاية عليها. تقرير واحد كان من المفترض أن يكون كفيلاً بتسليم سالاندر إلى محام أكثر مروءة، شخص ضليع بقضايا الاعتداء على النساء، بما قد يؤدي بدوره لمناقشة عمق المشكلة أي معالجة السبب الحقيقي الذي أُعلنت سالاندر لأجله أنها لا تتمتع بالأهلية القانونية.

لم يعد مصطلح «عدم أهلية قانونية» يطبّق على الراشدين منذ العام 1989.

ظل هناك مستويان من حماية الشؤون الاجتماعية، هما: الوصاية والحراسة.

يقوم الوصي بعرض المساعدة الطوعية على الأفراد الذين ولأسباب متعددة، يواجهون مشاكل في إدارة شؤون حياتهم اليومية، ودفع فواتيرهم

المستحقة والاهتمام بنظافتهم وأحوالهم الصحية بشكل لائق. عادة ما يكون الشخص المعين وصياً من الأقارب أو الأصدقاء المقربين من الشخص المعني. وإذا لم يكن هناك من قريب للشخص الذي يحتاج إلى وصاية، يمكن لسلطة الشؤون الاجتماعية أن تعيّن شخصاً ما وصياً. الوصاية هي الشكل المخفف للحراسة، حيث لا يزال الموصى به أي الشخص المعلن عدم أهليته، يتحكم بممتلكاته أو ممتلكاتها ويتخذ قراراته بالتشاور مع الوصي.

أما الحراسة فهي الصيغة الأكثر قسوة من الوصاية، بحيث يكون الموصى عليه محروماً من إدارة أمواله والتصرف بها أو اتخاذ القرارت بشأن عدد من القضايا. يشترط النص الحرفي أن يتسلّم الحارس كافة سلطات الشخص الذي عهد به إليه. هناك في السويد ما يقارب الأربعة آلاف موصى بهم إلى حارس. والسبب الأكثر شيوعاً الذي يقف وراء ذلك هو انتشار الأمراض العقلية أو الأمراض العقلية المترافقة مع إفراط في تعاطي المخدرات أو الكحول. ثمة مجموعة أضيق نطاقاً من هؤلاء الموصى بهم إلى حارس تضم أولئك الذين يعانون من جنون. كثير من الأشخاص الذين يخضعون للوصاية هم نسبياً من الشباب، أي ممن تبلغ أعمارهم خمسة وثلاثين عاماً أو أقل. أحد هؤلاء كان ليزبث سالاندر.

إن الاستيلاء على حرية أحدهم عبر إدارة شؤون حياته الخاصة، أي التحكم بحسابه المصرفي، يشكل أحد الانتهاكات الصارخة التي ترسيها الديمقراطية لاسيما حين يطبّق على الشباب. يظل ذلك انتهاكاً حتى لو كان يُقصد منه خيراً أو تلبية للمصالح الاجتماعي العام. هكذا، تشكل قضايا الوصاية إحدى المسائل السياسية المبدئية العالية الحساسية، تحميها قوانين ونظم صارمة وتخضع لرقابة هيئة الوصاية. وهي هيئة خاضعة لمجلس الشؤون الإدارية في البلاد والذي يخضع بدوره لأمين المظالم المكلف من البرلمان.

يرتكز عمل هيئة الوصاية بجزء كبير منه على تنفيذ مهمة الوصاية في

ظل ظروف صعبة. لكن نظراً للقضايا الحساسة التي تعالجها هذه السلطات، فإن عدداً ضئيلاً جداً من الشكاوى أو الفضائح يتم الإفصاح عنه أو طرحه في الإعلام.

تظهر إلى العلن من حين إلى آخر تقارير تدور حول الاتهامات التي تم سوقها ضد أحد الأوصياء أو الحراس الذين أساؤوا استعمال الأموال، أو عمدوا إلى بيع شقة الموصى به وحولوا الأموال إلى جيوبهم الخاصة. مثل هذه القضايا، على ندرتها، قد ينجم نسبياً عن أمرين اثنين: إما أن السلطات لا تقوم بعملها على أفضل وجه ممكن، أو أن الموصى بهم لا يحظون بفرصة تقديم الشكاوى وإسماع أصواتهم في الإعلام أو أمام السلطات المعنية بطريقة موثوق بها.

وهيئة الوصاية ملزمة حكماً بإجراء كشف سنوي للتأكد من وجود أي سبب لإبطال أي وصاية. ونظراً لإصرار سالاندر على رفض الخضوع لاختبار نفسي، إلى درجة أنها لم تكن تردّ التحية الصباحية لأساتذتها بشكل لائق، لم تجد السلطات سبباً لتعديل قرارها. ونجم عن ذلك بالتالي حالة من مراوحة المكان، وهكذا عاماً بعد عام كانت تظل أسيرة قيود الوصاية وشروطها.

إلا أن النص الحرفي للقانون يقول إن شروط الوصاية «يجب أن تطبق بشكل يراعي كل حالة على حدة». لقد فسّر بالمغرين ذلك على أنه يتيح لسالاندر أن تتولى بنفسها شؤون حياتها وكيفية إنفاق أموالها. لقد نفّذ بدقة متناهية الشروط المفروضة من قبل السلطات واعتاد تقديم تقرير شهري كما القيام بجردة سنوية. وكان يعامل سالاندر كأي شخص طبيعي آخر من كافة النواحي، فلم يتدخل يوماً في اختيارها لأصدقائها ولا لنمط حياتها. لم يكن يظن أن ذلك من شأنه أو أن المجتمع يجب أن يقرر ما إذا كان ينبغي للشابة وضع أقراط في أنفها أو رسم وشم على عنقها أو الامتناع عن ذلك. موقفه هذا الذي يتسم بالعناد بوجه محكمة المقاطعة كان أحد أسباب اتفاق الطرفين.

ما دام بالمغرين هو الوصي عليها فلماذا عساها تبالي كثيراً بالقوانين المعمول بها.

لم تكن سالاندر تتصرف كأي شخص طبيعي. كانت معرفتها بالقانون سطحية بدائية، إذ لم تحظَ يوماً بفرصة البحث حول موضوع يتعلق بالشؤون القانونية، أضف إلى أن إيمانها بالشرطة كان ضعيفاً. فجهاز الشرطة كان يمثل بالنسبة لها قوة معادية لجأت طوال سنوات إلى القبض عليها أو إذلالها. آخر فصل لها مع الشرطة كان في مايو من العام الماضي حين كانت تمر بمحاذاة غوتغاتان في طريقها إلى شركة «ميلون للأمن». وجدت نفسها فجأة في مواجهة أحد رجال شرطة مكافحة الشغب المقنّعين. من دون أي تصرّف يستفزه من قِبلها ضربها على كتفها بعصاه. ردّ فعلها العفوي تمثّل بهجوم عنيف مضاد بواسطة عبوة كوكا كولا كانت تحملها بيدها. ارتدّ الشرطي على عقبيه هارباً قبل أن تتمكن من إصابته بأذى. ولم تكتشف إلاّ لاحقاً أن شرطة «الإصلاح» كانت تصد مظاهرة على بعد مسافة من الطريق حيث كانت تمشي.

إن زيارة مكاتب أولئك المقنعين المتوحشين للتقدم بشكوى ضد نيلز بيورمان بتهمة التحرش الجنسي لم ترد على تفكير سالاندر مطلقاً. ثم إنه ما الذي يفترض بها أن تدلي به؟ هل ستقول إن بيورمان لامس نهديها؟ أي شرطي ينظر إليها سيدرك أنه احتمال بعيد جداً نظراً لثدييها المبالغين في الصغر. وأنه لو حصل ذلك فعلاً فيجدر بها أن تشعر بالفخر لأن أحدهم قد كلف نفسه حقاً عناء المحاولة. أما بالنسبة لقيامها بمصّ عضوه الذكري فإنه كما حذرها، ستكون كلمتها مقابل كلمته، وقد علّمتها التجربة أن كلام الآخرين عموماً يزن أكثر من كلامها بأطنان. لم يكن اللجوء إلى الشرطة خياراً وارداً.

غادرت مكتب بيورمان متجهة إلى المنزل مباشرة فأخذت حماماً ساخناً وتناولت سندويشين بالجبن والمخللات ثم جلست إلى أريكة غرفة الجلوس المهترئة لتفكر.

أي شخص عادي كان ليشعر أن غياب أي ردّ فعل يجعلها الملام الوحيد، لعل ذلك مؤشر آخر على أنها شخص غير طبيعي بحيث إن عملية اغتصاب قد لا تثير في نفسها ردّ فعل عاطفياً كافياً.

لم تكن دائرة معارفها واسعة، ولا كانت تضمّ أفراداً ممن ينتمون للطبقة المتوسطة المحمية من الضواحي. مع بلوغها سن الثامنة عشرة، لم تكن سالاندر على علم بأي فتاة أخرى تكون في مرحلة ما من حياتها مجبرة على القيام بأي نوع من ممارسة الجنس بشكل يخالف إرادتها. معظم تلك الاعتداءات كانت تدور حول قصص أصدقاء شباب يكبرونها قليلاً ويلجأون إلى أحد أشكال القوة ليتأكدوا من حصولهم على ما يريدونه من الفتاة. وعلى حدّ علم سالاندر تؤدي تلك الحوادث إلى البكاء أو إلى نوبات غضب لكن ليس إلى التقدم بشكوى إلى مخفر الشرطة.

في عالمها هي، كان هو ذلك النظام الطبيعي للأمور. فتاة في وضعها كانت ضحية قانونية، لا سيما بسترتها السوداء الجلدية الرثة وحاجبيها المثقوبين والأوشام التي تنتشر فوق جسمها ووضعها الاجتماعي المعدوم تماماً.

ما من جدوى من التذمر من الوضع أو من الشكوى.

من جهة أخرى لم يكن هناك من نقاش حيال بقاء المحامي بيورمان من دون عقاب. لم تنسَ سالاندر مطلقاً عدم الإنصاف اللاحق بها كما لم تكن بطبيعتها من الناس الذين يصفحون أو يغفرون.

لكن وضعها القانوني كان صعباً للغاية. لأنها حسب ما تتذكر، كان يُنظر إليها على أنها شخص ماكر وعنيف على نحو غير مبرر. والتقارير الأولى الواردة في سجلها كان مصدرها ملفاتها في الصفوف التمهيدية والابتدائية. أعيدت سالاندر إلى المنزل غير مرة لأنها قامت بالاعتداء بالضرب على أحد زملائها في الصف، ودفعه نحو أحد أسافين تعليق المعاطف وجعله ينزف الدماء بغزارة. كانت لا تزال تتذكر ضحية إعتدائها ذلك بانزعاج كبير، وهو صبي سمين يدعى دايفيد غوستافسون الذي اعتاد

إغاظتها ورميها بمختلف الأشياء التي يمسك بها، سوف يكبر ليصبح ثوراً حقيقياً. لم تكن في تلك الأيام تعرف ما الذي تعنيه كلمة «تحرش» لكنها حين حضرت إلى المدرسة في اليوم التالي، هددها الصبي ذاته بالانتقام منها. فسددت إليه لكمة باليد اليمنى التي كانت تحمل فيها طابة غولف، مما أدى إلى مزيد من النزيف وإدراج نقطة سوداء جديدة في ملفها.

لطالما أربكتها قواعد التفاعل الاجتماعي في المدرسة. كانت تعنى بشؤونها الخاصة ولا تكترث لما يفعله الآخرون من حولها. إلا أنه كان لا بدّ من وجود من لا يتركها بسلام ويتسبب بإزعاجها على الدوام. أيام صفوف المدرسة المتوسطة، أرسلت إلى المنزل مرات عديدة بعد الدخول في مشاجرات عنيفة مع زملاء لها، سرعان ما أدرك الشبان من زملائها في الصف أنه من غير اللائق التورط في عراك مع فتاة نحيلة هزيلة مثلها. وخلافاً لبقية فتيات صفها، كانت سالاندر لا تتراجع مطلقاً ولا تنكفئ، وما كانت تتردد لحظة في استعمال قبضتيها أو أي سلاح آخر متوفر أمامها من أجل الدفاع عن نفسها. كانت تتبع سلوكاً يقتضي تفضيل الموت ضرباً ولا تقبّل المهانة من أحد.

وكانت دائماً تثأر لنفسها وتنتقم.

وجدت سالاندر مرة نفسها تدخل في صراع مع شاب يفوقها حجماً وقوة. لم تكن لتوازيه جسدياً مطلقاً. وكان يستمتع في البداية بدفعها للوقوع على الأرض مراراً، ومن ثم صفعها بقوة عندما حاولت رد الهجوم. إلا أن شيئاً لم يكن ليردعها أو يثنيها، فعلى الرغم من قوة الخصم الذي يواجهها، ظلت سالاندر تهاجمه إلى أن أدرك زملاؤها بعد حين أن الوضع قد تخطى الحدود كثيراً. من الواضح أنها كانت عاجزة عن الدفاع عن نفسها وكان منظرها يسبب الألم. قام الشاب أخيراً بتوجيه لكمة إلى وجهها فانشقت شفتها السفلى وأصيبت بدوار حاد.

تركها الجميع ملقاة على الأرض خلف النادي الرياضي تتلوى من الألم. وبقيت يومين في المنزل على إثر العراك في المنزل. وفي صباح

اليوم الثالث كانت تنتظر معذّبها مسلّحة بمضرب البيسبول، وسددت إليه ضربة موفقة وجّهتها إلى أذنه مباشرة. وقد أُرسلت لارتكابها هذا الفعل إلى المدير الذي قرر إبلاغ الشرطة بحادثة الاعتداء، مما أدى إلى فتح تحقيق خاص من قبل هيئة الشؤون الاجتماعية.

كان زملاؤها يظنونها مصابة بالجنون ويعاملونها على هذا الأساس. كما أنها لم تكن تستقطب الكثير من تعاطف الأساتذة. لم تكن يوماً كثيرة الكلام، وباتت تُعرَف على أنها طالبة لا ترفع يدها للمشاركة، ولا تجيب حين توجه إليها المعلمة سؤالاً مباشراً. لم يكن أحد يثق بما إذا كانت تفعل ذلك لأنها لا تعرف الإجابة أو أن هناك سبباً آخر يدفعها للصمت، وكان ذلك ينعكس على معدّل علاماتها المدرسية. ما من شك أنها كانت تعاني من المشاكل، إلا أن أحداً لم يكن ليأخذ على عاتقه تحمّل مسؤولية الفتاة صعبة المراس تلك، على الرغم من أنها غالباً ما كانت تشكّل موضوع نقاشات مفتوحة في اجتماعات الأساتذة. وكان أن أدى ذلك إلى تجاهل الأساتذة لأمرها وتركوها تجلس في صمت مطبق.

غادرت المدرسة في منتصف العام الدراسي، وانتقلت إلى مدرسة أخرى من دون أن يكون لديها صديق واحد تودّعه. كانت فتاة غير محبوبة وذات تصرفات غريبة.

حين بلغت عتبة سنّ المراهقة، حدثت لها جميع أنواع الشرور التي لم تشأ التفكير فيها. بلغت الأمور حدّها مع حدوث ثورة العنف الأخيرة التي دفعت الإدارة إلى إجراء مراجعة السجل الحافل لأيام المدرسة الابتدائية. وقد اعتبرت على إثر هذه المراجعة، مجنونة بشكل رسمي. صار ينظر إليها الجميع على أنها مجرد شخص شاذ. لم تكن سالاندر تحتاج يوماً إلى وثائق كي تُعَرَّفَ كشخص مختلف عن الآخرين من الناس. لكن ذلك لم يعد يشكل أي إزعاج لها ما دام حارسها هو هولجر بالمغرين الذي ستحتفظ به إلى الأبد لو اقتضت الحاجة.

مع ظهور نيلز بيورمان في حياتها، صار إعلان عدم أهليتها يهدّد بأن

يصبح عبئاً يثير المتاعب. ويغضّ النظر عن الشخص الذي ستلجأ إليه، ستواجه دائماً أحد المآزق الخفية، وما الذي قد يحصل في حال خسرت المعركة؟ هل ستخضع لأحكام المؤسسة؟ هل سيسجنونها مجدداً؟ لم يكن هذا الخيار مطروحاً مطلقاً بالنسبة لها.

في وقت لاحق من تلك الأمسية، وبينما كان كل من بلومفيست وسيسيليا فانغر يستلقيان بهدوء وسيقانهما متشابكة، ونَهْدا سيسيليا يرتاحان على أحد جانبيه، رفعت نظرها إليه وقالت: «أشكرك، مضى وقت طويل، وأنت لست سيئاً.»

ابتسم لها بدوره. لطالما كان ذاك النوع من المغازلة يرضيه على نحو طفولي.

«لم أكن أتوقع ذلك، لكني استمتعت حقاً.»

قالت له سيسيليا: «يسرني أن نكرر ما فعلنا، إن كنت راغباً في ذلك.»

نظر إليها مجدداً، وسألها: «أنت لا تقصدين بهذا أنك بحاجة إلى عشيق، أليس كذلك؟»

أجابته سيسليا بالقول: «بل إلى عشيق من وقت لآخر. لكني أود منك أن تعود إلى منزلك قبل أن تنام هنا. لا أوَدّ أن أستيقظ غداً صباحاً وأجدك هنا قبل أن أتمكّن من القيام بالتمارين الصباحية والتبرّج. ثم إنه سيكون من الجيد إن لم تخبر أبناء القرية جميعاً بما فعلناه.»

قال بلومفيست: «لن أفكر في الأمر أبداً.»

«خاصة أني لا أريد أن تعرف إيزابيلا بالأمر. إنها سافلة منحطّة.»

«جارتك الأقرب... سبق أن التقيتها.»

«أجل، لكن لحسن الحظ أنها لا تستطيع أن ترى مدخل منزلي من حيث تقيم. كن متكتماً يا ميكائيل، أرجوك.»

«سأكون كذلك.»

«شكراً لك. هل تشرب الكحول؟»

«أحياناً.»

«لدي رغبة جامحة في تناول عصير الفواكه مع بعض الجبن، هل تريد بعضاً منه؟»

«طبعاً.»

لفّت نفسها بغطاء ونزلت السلالم. كان بلومفيست يقف عارياً ينظر إلى الكتب على الرفوف حين عادت تحمل إبريقاً زجاجياً يحتوي على مكعّبات الثلج وكأسين من الجبن والليمون. وشرب الاثنان نخباً.

سألته سيسيليا: «لماذا أتيت إلى هنا؟»

«ليس هناك من سبب محدد، كنت فقط...»

«كنت تجلس في منزلك، تقرأ ملفات التحقيق التي أرسلها لك هنريك. ومن ثمّ أتيت إلى هنا. لا يحتاج المرء لأن يكون حادّ الذكاء كي يعرف ما الذي يثير قلقك.»

«هل سبق أن قرأتِ ملفات التحقيق؟»

«بعض الأجزاء منها وحسب. لقد عشت سنوات مرحلة البلوغ بأكملها مع هذه القصة. لا يمكن أن تمضي وقتاً مع هنريك من دون أن تتأثر بلغز اختفاء هارييت.»

«إنها قضية مذهلة بالفعل. ما أؤمن به شخصياً، يُعرَف بين أوساط أهل المهنة على أنه نوع من لغز الغرفة المغلقة على جزيرة، في الأدب البوليسي. كما أن لا شيء في التحقيق على ما يبدو يتبع المسار المنطقي للأمور. كل الأسئلة تبقى من دون إجابة، وكل دليل يقود إلى طريق مسدود.»

«إنه نوع الأمور الذي يصيب الناس بالهَوَس.»

«كنتِ على الجزيرة في ذلك اليوم.»

«أجل. أنا كنت هنا، شهدت المعمعة كلها. كنت أعيش في ستوكهولم في ذاك الوقت، أتابع دراستي. أتمنى لو أني بقيت في الديار في عطلة الأسبوع تلك.»

«كيف هي فعلاً؟ يبدو أن الناس لهم مواقف مختلفة منها.»

«هل هذا خارج النشر أو أنه . . . ؟»

«إنه كلام غير قابل للنشر.»

«لا أملك أدنى فكرة عما كان يدور داخل رأس هارييت. لا بد أنك تفكر في السنة الأخيرة لها قبل أن تختفي. كانت تبدو يوماً شخصاً متديناً، غريب الأطوار، ويوماً آخر تبالغ في التبرّج وتبدو أشبه بعاهرة تلبس أضيق سترة تملكها حين تذهب إلى المدرسة. من الواضح أنها كانت غير سعيدة إلى حدّ خطير. لكن كما سبق أن قلت لك، لم أكن هنا خلال ذلك العام ولم تصلني إلا الأحاديث المتناقلة.»

«ما الذي أشعل فتيل المشاكل؟»

«إنهما إيزابيلا وغوتفريد على ما يبدو. زواجهما كان مجرد ضرب من الجنون بالكامل. إما أنهما كانا يتشاجران أو أنهما يفترقان. لم يكن هناك بينهما أي عراك جسدي، لم يكن غوتفريد من النوع الذي يضرب أحداً. وكان غالباً ما يخاف من إيزابيلا. كانت لها نوبات عصبية فظيعة وكان هو في وقت ما من بداية الستينيات، ينتقل مراراً للعيش فترات طويلة في كوخه، حيث لم تكن إيزابيلا تطأ مطلقاً. كانت هناك فترات يظهر فيها في البلدة فجأة، يبدو أشبه بمتسوّل. ومن ثم يصحو من سكره مجدداً ويتأنّق ويعود إلى عمله.»

«ألم يكن هناك من يرغب في مساعدة هارييت؟»

«هنريك بالطبع. لقد انتقلت في النهاية للعيش في منزله. لكن لا تنس أنه كان مشغولاً بلعب دور رجل الاقتصاد والأعمال المهمّ. وعادة ما كان يُمضي أوقاته خارج البلاد ولا يملك الكثير من الوقت ليمضيه مع هارييت ومارتن. لقد فاتني الكثير من تلك الأحداث لأنني كنت أعيش في أوبسالا ومن ثم انتقلت للعيش في ستوكهولم. دعني أخبرك أيضاً أني لم أمض طفولة سعيدة كابنة لهارالد. وقد توصلت لاحقاً إلى الاستنتاج أن مشكلة هارييت هي أنها لم تكن تثق بأحد. حاولت جاهدة الحفاظ على

المظاهر والادعاء بأننا عائلة كبيرة سعيدة.»

«كانت تعيش حالة نكران للذات.»

«أجل. لكنها تغيرت بعد موت والدها. لم تعد قادرة على الادعاء أن كل شيء على ما يرام. حتى ذلك الحين كانت... لا أعرف كيف أشرح لك الأمر: موهوبة جداً، متوقّدة الذكاء، لكنها عدا ذلك، كانت مجرد مراهقة عادية. خلال العام الأخير قبل اختفائها، كانت لا تزال لامعة تحصل على أعلى المعدلات في المدرسة وإلى ما هنالك، لكنها بدت خالية من الحياة.»

«كيف غرق والدها؟»

«بأكثر الطرق مأساوية. وقع من مركبه تحت كوخه مباشرة. كانت سحابة سرواله مفتوحة ووُجِدَ مستوى الكحول مرتفعاً جداً في دمه، لذا يمكنك أن تتصور كيف حصلت الأمور. كان مارتن من وجده.»

«لم أكن أعرف ذلك.»

«إنه أمر مضحك. تبين أن مارتن شاب طيب في النهاية. لو سألتني عن ذلك منذ خمسة وثلاثين عاماً لكنت قلت لك إنه أحد أفراد العائلة الذين يحتاجون إلى علاج نفسي.»

«ولماذا؟»

«لم تكن هارييت الشخص الوحيد الذي عاني من التأثيرات السلبية للوضع. لسنوات عدة كان مارتن هادئاً جداً ومنطوياً على نفسه بحيث كان يعتبر بحق معادياً للمجتمع. عاني الولدان أوقاتاً عصيبة. جميعنا عانينا. كانت لدي مشاكلي الخاصة مع أبي، وأفترض أنك تعلم أنه مجنون بالكامل. وأعتقد أن أختي آنيتا كانت تعاني المشكلة ذاتها كما ألكسندر ابن عمّي. من الصعب جداً أن تعيش فترة الشباب في أوساط عائلة 'فانغر'.»

«ما الذي حدث لأختك؟»

«إنها تعيش في لندن. ذهبت في السبعينيات للعمل في وكالة سفريات في السويد، وبقيت هناك. تزوجت من أحدهم ولم تعرّفه بأحد

من أفراد العائلة، وسرعان ما انفصلا. إنها اليوم مديرة مسؤولة في الخطوط الجوية البريطانية. علاقتنا جيدة الآن لكننا لا نتواصل كثيراً ولا نلتقي إلا مرة كل سنتين أو أكثر. ولا تأتي إلى هيدستاد مطلقاً.»

«ولمَ لا تأتي؟»

«يصعب ذلك بوجود والد مختلّ عقلياً، ألا يكفي هذا التفسير؟»

«لكنك أنت بقيت هنا؟»

«لقد فعلت وبقيت مع بيرجر وأخي.»

«السياسي.»

«هل تسخر مني؟ بيرجر أكبر سناً مني ومن آنيتا. لم نكن يوماً مقرّبين بعضنا من بعض. يعتبر نفسه من أهم رجال سياسة البلاد الذين لهم مستقبل في البرلمان ومنصب في الوزارة ربما، إذا ربح حزب المحافظين. إنه في الواقع أحد المستشارين المتوسطي الأهمية في أبعد نقطة من السويد. لعل منصبِ المستشار هو قمة ما سيتوصل إليه وأقصى ما ستكون عليه حياته المهنية.»

«أحد الأمور التي تثير انتباهي في أوساط عائلة 'فانغر' هو أن كلاً منكم يتحدث عن الآخر بلغة الاحتقار والتهكّم.»

«ليس هذا واقع الحال تماماً. فأنا أحب هنريك ومارتن كثيراً. ولطالما كنت أتواصل جيداً مع أختي، على الرغم من أننا نادراً ما نلتقي. أكره إيزابيلا بشدة ولا أستطيع أن أحتمل ألكسندر. ولا أتكلم مطلقاً مع أبي. هكذا يكون الأمر مناصفة بالنسبة لمشاعري حيال كل من أفراد العائلة. أما بيرجر، فإنه نوع من الرجال المتباهين بأنفسهم أكثر منه شخص سيئ. لكني أستطيع أن أفهم ما تقول. انظر إلى الأمر على هذا النحو: لو كنت أحد أفراد عائلة 'فانغر' لتعلّمت أن تقول ما يخطر في بالك بشكل تلقائي. فها نحن نعبّر عن آرائنا بصراحة.»

«آه، أجل. لاحظت أن الجميع هنا يقولون الأمور بشكل مباشر دون لفّ أو دوران.»

مدّ بلومفيست يده ليلامس صدرها، وقال: «لم أكن هنا قبل خمس عشرة دقيقة من اعتدائك عليّ.»

«لأكون صادقة معك، كنت أتساءل كيف ستكون في السرير منذ رأيتك أوّل مرّة. وشعرت أن ليس من خطب في التجربة.»

للمرة الأولى في حياتها تشعر سالاندر بحاجة ماسة إلى طلب النصيحة من أحد ما. ولكن المشكلة هي أن طلب النصيحة كان يعني أنها يجب أن تثق بأحد ما، مما يعني بدوره أنها يجب أن تفشي أسرارها أمامه. من يمكنها أن تخبر؟ لم تكن ببساطة بارعة في إقامة أي تواصل مع أحد.

بعد أن فتشت في ذاكرتها واستعرضت كافة الأسماء الواردة في دفتر السجلات، خطر لها أن هناك كحدّ أقصى عشرة أشخاص يدخلون ضمن دائرة معارفها.

يمكنها أن تتحدث إلى «بلاغ» الذي كان بطريقة أو بأخرى يعتبر حضوره من الثوابت في حياتها. لكنه لم يكن حتماً يعتبر صديقاً لها كما أنه الشخص الأخير على هذا الكوكب القادر على مساعدتها أو حلّ مشكلتها. لم يكن التحدث إليه خياراً وارداً ضمن حساباتها.

لم تكن حياة سالاندر الجنسية بالتواضع الذي جعلت المحامي بيورمان يصدّقه. من الناحية الأخرى، كان الجنس عادة (أو غالباً على الأقل) يتم ضمن شروطها الخاصة وبمبادرة كلية منها. كان لديها ما يزيد على خمسين شريك منذ أن بلغت عامها الخامس عشر. ويعني ذلك وجود خمسة شركاء تقريباً في السنة، مما كان يعتبر أمراً لا بأس به بالنسبة لفتاة غير متزوجة تعتبر الجنس تجربة ممتعة لتمضية الوقت وحسب. لكنها كانت تتخذ معظم هؤلاء الشركاء على مدى سنتين. ربما كانت تنظر إلى أواخر سنوات المراهقة حين تبلغ سن الرشد على أنها سنوات الضغط والتشويش والإثارة.

مرّت سنوات من عمر سالاندر كانت فيها على مفترق طرق ولم تكن لديها أي سيطرة على شؤون حياتها الخاصة، حين صار من الممكن لمستقبلها أن يخلو من سجلّ حافل بالنقاط السوداء بدءاً بتعاطي المخدرات وشرب الكحول وتمضية سنوات من الرقابة ضمن إطار المؤسسات الاجتماعية. بعد أن بلغت عامها العشرين بدأت العمل لصالح شركة «ميلتون للأمن»، وقد هدأت بشكل ملحوظ جداً، وظنت أنها أخذت تسيطر بشكل أكبر على شؤون حياتها.

لم تكن تشعر بالحاجة إلى إرضاء أحد لمجرّد أنه يشتري لها ثلاث قوارير جعة في المقهى، ولم تكن تشعر بأدنى درجة من الرضا عن النفس بذهابها ثملةً إلى منزل شخص لا تتذكر حتى اسمه. خلال العام الماضي كان لديها شريك جنسي واحد ترافقه بانتظام، مما لا يكاد يجعلها مصنفة في خانة الفاسقات كما يصوّرها سجلّها.

كانت ممارسة الجنس بالنسبة لها تتم مع أحد أصدقاء مجموعة المتحررين التي كانت تنتسب لها. لم تكن عضواً حقيقياً في زمرة الأصحاب تلك لكنهم كانوا يقبلون بها بينهم لأنها كانت تعرف سيللا نورين. وكانت قد التقت سيللا أواخر سنوات المراهقة، تحت إصرار بالمغرين، حين كانت تحاول الحصول على الشهادة المدرسية التي لم تفلح في نيلها في كومفاكس. كان لسيللا شعر أحمر فاتح تتخلله خصل سوداء داكنة وكانت ترتدي سروالاً جلدياً أسود كذلك وتضع قرطاً في أنفها وتضع على وسطها حزاماً مرصعاً بعدد من المسامير مثل سالاندر. وقد نظرت إحداهما إلى الأخرى بعين الشك في الحصة الأولى.

لكن لسبب ما لم تفهمه سالاندر بدأت الاثنتان تتسكعان معاً. لم تكن سالاندر من النوع الذي تسهل معاشرته كصديق، خاصة خلال تلك السنوات من حياتها، إلا أن سيللا كانت تتجاهل فترات صمتها الطويلة وكانت تصطحبها إلى الحانات والنوادي. وأصبحت سالاندر عن طريق سيللا عضواً في جماعة «أصابع الشر» التي بدأت كفرقة في الضواحي تضم

فتيات مراهقات من إينسكيدي يعشقن موسيقى الروك. بعد مرور عشر سنوات شكّلن مجموعة من الصديقات يلتقين في «كفارنين» أمسية كل نهار ثلاثاء ليتحدثن عن الشبان بكلام جارح ويناقشن مسائل النساء عموماً، والموسيقى، والنجمة الخماسية، والشؤون السياسية، بينما يحتسين كميات هائلة من الجعة. وكانت كل واحدة منهن تعيش حسب معنى اسمها.

وجدت سالاندر نفسها على هامش المجموعة وكانت نادراً ما تشارك في الأحاديث أو تبدي رأيها في النقاش الدائر، ولكن كان يتم قبولها كما هي. وكانت تأتي وتذهب كما تشاء، ويُسمح لها أن تجلس بصمت وتحتسي الجعة مع البقية طوال الأمسية. كما كانت تتم دعوتها لحضور حفلات أعياد الميلاد والمشاركة في سهرات عيد الميلاد، مع أنها غالباً ما كانت تتخلّف عن المجيء.

خلال السنوات الخمس من معاشرتها لعصابة «أصابع الشر» أخذت الفتيات يتغيّرن شيئاً فشيئاً. أصبح لون الشعر داكناً أكثر وأخذت الملابس التي يرتدينها أقل تطرفاً وبدأن يشترين ملابسهن من متاجر H&M بدلاً من متاجر «ميرونا» المعاصرة للموضة. كن يتابعن دراستهن أو يعملن لكسب رزقهن، وأصبحت إحداهن أماً لطفل. شعرت سالاندر أنها الوحيدة التي لم يطرأ على حياتها أي تغيير يذكر، مما قد يفسّر على أنها تمضي وقتها عبثاً ولا تقوم بأي عمل مفيد.

لكن مع ذلك كنّ يستمتعن بأوقاتهن معاً. وإذا كان هناك من مكان تشعر فيه بأي نوع من التضامن فقد كان ذلك برفقة مجموعة «أصابع الشر» ومن خلالها بالشبان الذين يصاحبونهنّ.

أفراد «أصابع الشر» كنّ على استعداد دائم للإصغاء إليها. وكنّ يساندنها ويقفن بجانبها. لكن لم تكن أياً منهن تملك أدنى فكرة عن كون سالاندر تخضع لحكم المحكمة القاضي بأنها مصابة باختلال عقلي. لم تكن ترغب أن ينظرن إليها بشكل خاطئ كذلك. لم يكن ذلك احتمالاً وارداً على الإطلاق.

بعيداً عن ذلك، لم يكن لديها اسم أي صديق سابق من أيام الدراسة في دفتر العناوين. كما لم تكن لديها شبكة معارف، ولا تنضوي تحت لواء أي مجموعة دعم ولا كانت على معرفة من أي نوع كان بأي من رجال الطاقم السياسي الحاكم. فإلى من تلتجئ أو تُفْصِح عن مشاكلها؟

قد يكون هناك واحد معين. فكرت مطولاً ما إذا كان ينبغي أن تثق بدراغان آرمانسكي. لقد سبق أن أخبرها بأنها إذا كانت تحتاج إلى مساعدة من أي نوع فلا تتردد في المجيء إليه. وكانت على يقين أنه كان يعني ما يقول.

سبق لآرمانسكي أن حاول التحرّش بها مرة كذلك، لكنه كان تحرّشاً ودوداً يخلو من أي نوايا سيئة، أو أي استعراض للقوة. لكن طلب المساعدة منه كان مخالفاً لكل منطق. آرمانسكي كان رئيسها في العمل، وطلب المساعدة منه سيجعلها مَدِيْنة له. داعبت مخيلتها فكرة تقول كيف كانت حياتها لتكون لو كان آرمانسكي وصياً عليها بدلاً من بيورمان. وافترّ ثغرها عن ابتسامة. لم تكن بالفكرة السيئة إلا أن آرمانسكي كان ليأخذ المهمة على محمل الجدّ ويخنقها برعايته واهتمامه. كان ذلك... حسناً، احتمالاً ممكناً.

ورغم أنها كانت تعي تماماً لأي هدف أقيمت المراكز المخصصة لرعاية مشاكل النساء، لم يخطر لها مطلقاً أن تلجأ إلى أحدها. فمراكز الأزمات أنشئت بنظرها *للضحايا* ولم تكن تعتبر نفسها يوماً ضحية. بالتالي، كان خيارها الوحيد المتبقي هو ما اعتادت فعله دائماً، وهو أخذ الأمور على عاتقها وحل مشاكلها بنفسها. كان هذا حتماً خيارها.

ولم يكن ذلك بالمؤشر الجيد للمحامي السيد نيلز بيورمان.

الفصل الثالث عشر

الخميس، 20 فبراير ـ الجمعة، 7 مارس

خلال الأسبوع الأخير من شهر شباط، تصرفت سالاندر تجاه نيلز بيورمان على أنه مشروعها الخاص. فهو قد ولد عام 1950، واعتبرته مشروعاً ذا أولوية عليا. كانت تعمل ما يقارب ست عشرة ساعة كل يوم وتجري المزيد من الأبحاث الشخصية الموسعة بشكل أكبر من أي وقت مضى. استعانت بكل ملفات الأرشيف والوثائق الرسمية التي أمكنها وضع يدها عليها. أجرت كذلك تحقيقات ضمن دائرة أصدقائه وأقربائه. تفحصت مصاريفه، ودوّنت كل تفصيل متعلق بنشأته ومسار وظيفته.

كانت النتائج محبطة وغير مشجعة.

كان محامياً وعضواً في نقابة المحامين وصاحب أبحاث مسهبة جداً، إنما مضنية، حول القانون المالي. كانت سمعته طيبة وسجله يخلو من النقاط السوداء. لم يسبق للمحامي بيورمان أن تلوثت سمعته مرة واحدة. ففي حادثة يتيمة تم الإبلاغ عنه لنقابة المحامين حيث اتهم منذ حوالى عشر سنوات بأنه لعب دور الوسيط في إحدى صفقات بيع الأملاك التي تمت تحت الطاولة، إلا أنه تمكّن من إثبات براءته. كانت أمواله واضحة المصادر، وكان بيورمان من الأثرياء، ويملك على الأقل عشرة ملايين كورون. وكان يدفع من الضرائب أكثر مما يتوجب عليه، وكان عضواً في جمعية «غرينبيس» ومنظمة العفو الدولية، وكان يتبرع بمبالغ من المال لجمعية أمراض القلب والرئة. نادراً ما كان يظهر في الإعلام مع أنه كان

يوقع اسمه في مناسبات عديدة على العرائض الشعبية المطالبة بحقوق السجناء السياسيين في دول العالم الثالث. كان يعيش في شقة مؤلفة من خمس غرف في أوبلاندسغاتان القريبة من أودينبلان، وكان أمين سر الصندوق التعاضدي للمقيمين في شقق المبنى. كان مطلّقاً من دون أولاد.

ركزت سالاندر اهتمامها على زوجته السابقة، واسمها إيلينا. وقد ولدت في بولندا وعاشت طوال حياتها في السويد. كانت تعمل في مركز لإعادة التأهيل وعلى ما يبدو أنها تعيش زواجاً آخر سعيداً من أحد زملاء بيورمان السابقين. لم تكن المعلومات ذات فائدة إلى الآن. دام زواج الثاني بيورمان أربعة عشر عاماً وحصل الطلاق من دون أي مشاكل تُذكر.

عادة ما كان المحامي بيورمان يتصرف على أنه مرشد للشباب الذين يتورطون في مشاكل مع القانون. وقد سبق له أن كان وصياً على أربعة شباب قبل أن يصبح حارساً على سالاندر. اشتملت تلك الحالات على أشخاص قاصرين وكانت مهمته تنتهي مع إصدار المحكمة قرارها عند بلوغ هؤلاء سن الرشد. ولا يزال أحد الموصى بهم سابقاً يلجأ إلى بيورمان للحصول على استشارة منه كمحام ضليع، مما يدل على ما يبدو على عدم وجود أي عداوة بين الاثنين حتى. فهل كان بيورمان يستغل حصانته بشكل منهجي؟ لم تكن هناك أي إشارة إلى ذلك. ومهما تعمّقت سالاندر في البحث لم تكن لتعثر على أي أثر لسوء التصرف. لقد تابع كل من الشبان الأربعة حياتهم مع صديق أو صديقة له وكانت لديهم وظائف ومنازل يقيمون فيها وبطاقات ائتمان تعاضدية ينفقون منها.

اتصلت بكل من الأربعة معرّفة عن نفسها بأنها عاملة في حقل الشؤون الاجتماعية وأنها كانت تجري دراسة حول كيفية متابعة الأولاد الذين يخضعون للوصاية حياتهم مقارنة بالأولاد العاديين الذين يعيشون في كنف عائلاتهم. *أجل، من الطبيعي أن تبقى أسماء المعنيين طيّ الكتمان.* كانت قد وضعت استمارة من عشرة أسئلة قامت بطرحها عبر الهاتف. وقد تمّ وضع معظم هذه الأسئلة بهدف الاستدلال على رأي المستجْوَب حول

مدى نجاح فترة الوصاية وما إذا كانت لديهم أي آراء حول الوصي الخاص الذي كان مسؤولاً عنهم، أي المحامي بيورمان، أليس كذلك؟ لم يكن لدى أي منهم أي تعليق يذمّه أو يتحدث عنه بالسوء.

حين أنهت سالاندر عملية البحث والتقصي جمعت الوثائق والملفات في حقيبة من Ica، ووضعتها مع الحقائب العشرين المتبقية التي تحتوي على صحف قديمة خارج الغرفة. من الواضح أن بيورمان كان خارج دائرة الاتهام. لم يكن هناك شيء في ماضيه تستطيع أن تستعمله ضده. وكانت تدرك أنه من دون شك شخص وصولي كريه، لكنها لم تتمكن من إيجاد إثبات على ذلك.

كان الوقت قد حان للجوء إلى خيار آخر. فبعد القيام بكافة التحليلات لم يبق سوى احتمال وحيد أخذ يجذبها أكثر فأكثر، أو بدا على الأقل بديلاً واقعياً بحق. الأمر الأكثر سهولة سيكون اختفاء بيورمان من حياتها. نوبة قلبية سريعة. نهاية للمشكلة. لكن المشكلة أنه حتى الرجال المقرفون البالغون الثالثة والخمسين من العمر لا يصابون بالنوبات القلبية رهناً لإشارتها هي.

لكن يمكن الترتيب لهذا النوع من الأمور.

استمر بلومفيست بعلاقته مع العشيقة سيسيليا فانغر بأكبر قدر من التكتم والسرية. كانت لديها ثلاث قواعد يجب التقيد بها: لم تكن تشاء أن يعرف أحد أنهما كانا يلتقيان، وكانت تريد منه أن يأتي فقط حين تتصل به، وحين يكون مزاجها يسمح بذلك، ولم تكن تريده أن يبقى عندها طوال الليل.

كان شغفها يفاجئه ويصيبه بالذهول. وحين التقاها صدفة في مقهى «سوزان»، تصرّفت ببرودٍ ولكنها حافظت على مسافة بينهما. لكن عندما كانا يجتمعان في السرير كانت تندفع بشغف هائل.

لم يشأ بلومفيست أن يتدخل في حياتها الخاصة، لكن تم توظيفه

للتحرش بالحياة الشخصية لكل من أفراد عائلة «فانغر». كان يشعر بالتمزق والفضول في آن واحد. سأل فانغر يوماً ممن كانت متزوجة وما الذي حدث معها. طرح عليه السؤال بينما كانا يناقشان خلفية كل من ألكسندر وبيرجر.

«سيسيليا؟ لا أظن أن لديها أي علاقة بقضية هارييت.»

«أخبرني عن ماضيها.»

«عادت إلى هنا بعد تخرّجها وبدأت العمل كمعلمة. التقت رجلاً يدعى جيري كارلسون كان يعمل لسوء الحظ في مؤسسة 'فانغر'. وتزوجا. ظننت أن زواجهما كان سعيداً، في البداية على أي حال. لكن بعد مرور بضع سنوات وجدت أن الأمور لا تجري كما يجب. كان يسيء معاملتها. كانت تلك هي القصة المعتادة، هو يضربها وهي تدافع عنه بإخلاص. إلى أن ضربها على نحو مبرح في إحدى المرات، وتأذت بشكل خطير مما أدى إلى دخولها المستشفى. عرضتُ عليها المساعدة إلا أنها انتقلت إلى جزيرة هيديبي ورفضت رؤية زوجها منذ ذلك الحين. وحرصتُ على طرده من الشركة بنفسي.»

«إلا أنهما لا يزالان متزوجين، أليس كذلك؟»

«الأمر يعتمد على كيفية تعريفك لمفهوم الزواج. لا أعلم لماذا لم تتقدم بعد بدعوى طلاق. لكنها لم ترغب يوماً في الزواج ثانية لذا أفترض أن طلاقها أو بقاءها متزوجة سواء.»

«وكارلسون هذا هل له أيّ علاقة...»

«... بهارييت؟ كلا، لم يكن في هيدستاد عام 1966، ولم يكن يعمل لحساب الشركة في ذلك الوقت.»

«حسناً.»

«أنا أحب سيسيليا جداً يا ميكائيل، قد يكون التعامل معها مخادعاً إلا أنها أحد الأفراد الطيبين في عائلتي.»

كرّست سالاندر أسبوعاً كاملاً للتخطيط لموت نيلز بيورمان. فأخذت تقيّم الوضع وتستبعد مختلف الطرق إلى أن ضاقت دائرة الاحتمالات لتبقى بضعة سيناريوهات واقعية تختار منها. لم يكن التصرف بناء على ردّ فعل بالأمر الوارد.

يجب تنفيذ شرط واحد فقط. ينبغي أن يموت بيورمان بطريقة لا تدل على ارتكاب سالاندر للجريمة، أو تثير الشبهات حولها. لا شك أنها ستدخل في أي تحقيقات لاحقة ستجريها الشرطة، فعاجلاً أو آجلاً سيظهر اسمها حين يتم التحقق من ملفات الأسماء التي يتولى بيورمان الوصاية عليهم. لكنها لم تكن سوى شخص واحد في عالم كامل من الزبائن الحاليين والسابقين، لم تلتقه سوى أربع مرات ولن يكون هناك دليل يؤشّر أن لموته علاقة بأي من زبائنه أصلاً. إذ كانت لديه صديقات سابقات وأقرباء ومعارف عاديون وزملاء و. . . . كان هناك ما يعرف عادة بـ«العنف العشوائي»، وذلك حين لا يكون كل من المعتدي والضحية على معرفة أحدهما بالآخر.

وإذا ظهر اسمها إلى العلن فستبدو مجرد فتاة عاجزة غير كفوءة وصاحبة ملفات تكشف عدم كفايتها العقلية. لذا سيكون مواتياً لو حصل موت بيورمان بطريقة معقدة بحيث يُستبعد أن تكون مجرد فتاة مختلة عقلياً هي من اعتدى عليه.

رفضت اللجوء إلى خيار استعمال مسدس حربي. فحيازة مسدس ليست بالأمر الصعب، إلا أن جهاز الشرطة بارع جداً في تعقّب آثار مقتني الأسلحة.

فكرت في استعمال سكين يمكن لها شراؤه من أي متجر للخردوات لكنها استبعدت الفكرة كذلك. فحتى لو ظهرت في مكتبه من دون موعد محدد مسبقاً وغرزت السكين في ظهره فليس هناك ما يضمن لها بأنه سيموت فوراً من دون إحداث ضجيج، أو يضمن أن طعنة السكين ستقتله حتماً. والأسوأ من ذلك أن هذا قد يولد صراعاً بينهما مما قد يلفت انتباه

أحدهم كما يمكن للدماء أن تلطخ ملابسها وتشكل إثباتاً يدينها.

فكرت في استعمال أحد أنواع القنابل المتفجرة، إلا أن ذلك قد يكون أكثر تعقيداً من الاحتمالين السابقين. صناعة القنبلة بحد ذاتها ليست بالأمر الصعب، فصفحات الإنترنت مليئة بكتيبات التعليمات التي تعلّم كيفية صنع أكثر الآلات فتكاً. إلا أن الأمر الذي سيكون صعباً من الناحية الأخرى يتمثل في إيجاد مكان مناسب لوضع القنبلة، مكان يضمن عدم إمكانية تعرض أي عابر سبيل بريء للأذى. إضافة إلى ذلك لم تكن هناك مجدداً ضمانة بأنه سيموت حتماً.

رنّ جرس الهاتف.

«مرحباً ليزبث، دراغان يتكلم. لدي عمل لك.»

«لا أملك الوقت للقيام به.»

«إنه موضوع مهم.»

«إني مشغولة.»

أقفلت السماعة بوجهه.

استقرت أخيراً على خيار السمّ. فاجأها اختيارها لكنه بعد إعادة التفكير، سيكون الأمثل.

أمضت سالاندر عدة أيام تبحث على صفحات الإنترنت. كان هناك العديد من الخيارات المطروحة. أحدها كان أكثر فتكاً من سواه ويعرف علمياً بحامض الهيدروسيانيك أو المعروف عامة باسم كيانوس الماء.

يدخل حامض كيانوس الماء في بعض الصناعات الكيميائية بما فيها تصنيع الأصباغ. بضعة ملليغرامات منه كافية لقتل إنسان، وليتر واحد في خزان ماء كفيل بمسح مدينة متوسطة المساحة بأكملها.

من الواضح أن مادة قاتلة كهذه كانت تُحفظ تحت رقابة صارمة. إلا أنه يمكن إنتاجها بكميات تكاد تكون غير محدودة في مطبخ عادي. كل ما هي بحاجة إليه مجموعة متواضعة من تجهيزات المختبرات، وهذا يمكن إيجاده في عدّة كيمياء للأولاد مقابل بضع مئات من الكورونات، إضافة

إلى عدد من المكونات التي يمكن استخراجها من منتجات منزلية عادية. أما كتيّب الإرشادات لتنفيذ العملية فموجود على الإنترنت.

كان النيكوتين يمثل أحد الخيارات الأخرى. يمكن لها أن تستخرج من علبة سجائر واحدة كمية كافية من الميلليغرامات وتسخينها لصنع شراب سام. هناك مادة أفضل منها، مع أن تصنيعها أكثر تعقيداً بقليل، هي كبريت النيكوتين الذي يحتوي على خاصية تمكّنه من التغلغل في الجلد. كل ما سيكون عليها فعله هو وضع قفازات مطاطية وملء مسدس مائي وذر المواد في وجه بيورمان. سيغمى عليه في غضون عشرين ثانية، وسيخرّ ميتاً في خلال بضع دقائق.

لم تكن سالاندر تملك أدنى فكرة عن أن العديد من المنتجات المنزلية يمكن تحويلها إلى أسلحة قاتلة. بعد دراسة الموضوع لعدة أيام، اقتنعت بأنه لا توجد أي عقبات تقنية تمنع من التخلّص من حارسها بسرعة وسهولة.

كانت هناك مشكلتان فقط تعترضان سبيلها: موت بيورمان لن يعيد إليها إمكانية التحكم بشؤون حياتها، ولم تكن هناك ضمانة تؤكد لها أن خلَف بيورمان سيكون أفضل منه. لا بد من *تحليل العواقب*.

ما كانت تحتاج إليه فعلاً هو طريقة تسيطر بها على حارسها وعلى أحوالها بالتالي. جلست على الأريكة المهترئة في غرفة الجلوس طوال الأمسية تقلّب في الاحتمالات الواردة وتعيد تقييم الوضع برمّته في رأسها. ومع نهاية الليل كانت قد تخلصت من فكرة القتل بواسطة السم ووضعت خطة جديدة.

لم تكن خطة مغرية للغاية وكانت تتطلب أن تسمح لبيورمان أن يعتدي عليها مجدداً. لكنها إن قامت بتنفيذها فستربح.

أو هذا ما ظنته على الأقل.

مجرى إقامته في هيديبي. كان يستقيظ عند الساعة التاسعة تماماً من كل صباح ويتناول طعام الفطور ويعمل حتى الظهر. خلال هذه الفترة كان يراكم مواد ومعلومات جديدة في رأسه. ومن ثم يمضي ساعة كاملة في القيام بنزهة طويلة، مهما كانت حالة الطقس. كان يتابع عمله خلال فترة بعد الظهر إما في المنزل أو في مقهى «سوزان» الواقع على الجسر محللاً ما قرأه في الصباح أو مدوّناً بعض الأجزاء التي قد تؤلف سيرة حياة فانغر. كان يمنح نفسه وقت فراغ دائماً بين الساعة الثالثة والساعة السادسة فكان يقوم بشراء الخضار لمنزله أو بغسل الملابس المتسخة، أو يزور هيدستاد. وقرابة الساعة السابعة مساءً كان يذهب لرؤية فانغر ليطرح بعض الأسئلة التي خطرت له خلال النهار. عند العاشرة مساءً كان يتواجد في المنزل حيث يمضي في القراءة حتى الواحدة أو الثانية فجراً. كان يعمل على ملفات فانغر الموجودة بين يديه بشكل منهجي.

كانت السيرة الذاتية تتخذ شكلها وصيغتها النهائيين بسلاسة. كان قد كتب مئة وعشرين صفحة من تاريخ العائلة على مسودة. ووصل في تسلسل سرد الأحداث إلى أعوام العشرينيات. إذ إنه بعد هذه المرحلة سيضطر إلى التقدم ببطء والشروع في تقييم كلماته وانتقائها بحذر.

داخل المكتبة في هيدستاد، قام بطلب كتب تتعلق بالنازية أثناء تلك الفترة بما في ذلك بحث الدكتوراة لهيلين لو، Swastika and the Wasa Sheaf، التي تعالج مسألة الرموز التي تبنّاها نازيو ألمانيا والسويد. كما قام بوضع مسوّدة أخرى من أربعين صفحة حول فانغر وإخوته مركّزاً على فانغر نفسه كراوٍ للأحداث. كانت لديه لائحة بالمواضيع التي يحتاج إليها لإجراء بحث حولها تتعلق بطريقة عمل الشركة في تلك الفترة. وقد اكتشف أن عائلة «فانغر» كانت منخرطة بعمق في إمبراطورية إيفار كروغير، وهذا جانب آخر ينبغي له سبر غوره. قدّر أنه لا يزال لديه حوالى ثلاثمئة صفحة يكتبها. ووفقاً للبرنامج الذي وضعه بنفسه، كان يريد أن تكون لديه مسودة يعرضها على هنريك فانغر ليلقي عليها نظرة

أولية مع بداية سبتمبر بحيث يتمكن من تمضية فصل الخريف في مراجعتها.

إلا أن كافة قراءات بلومفيست والأخبار التي استمع إليها لم تؤد إلى أي تقدّم ملموس في قضية هارييت فانغر. فمهما بلغ مدى تعمّقه في التفاصيل الواردة في الملفات لم يتمكن من إيجاد أي معلومة تتناقض مع تقرير تحقيقات الشرطة.

أمضى إحدى أمسيات السبت من أواخر فبراير يحادث فانغر ويخبره عن عدم تقدمه في العمل. أصغى الرجل المسن بصبر بينما بلومفيست يعدّد كافة الطرق المسدودة التي وصل إليها.

قال له فانغر: «ما من جريمة مثالية، أنا واثق أننا لا بدّ قد فوّتنا شيئاً ما.»

«لا نستطيع أن نجزم بعدُ، أن جريمة حصلت فعلاً.»

قال فانغر: «تابع عملك. أنهِ المهمة.»

«لا جدوى من المتابعة.»

«قد يكون غير مجدٍ، لكن لا تستسلم.»

أطلق بلومفيست تنهيدة عميقة.

قال أخيراً: «أرقام الهاتف.»

«أجل.»

«لا بد أنها تعني شيئاً.»

«أوافقك الرأي.»

«لا بدّ أنها وُضِعَت لهدف معين.»

«صحيح.»

«لكننا لا نستطيع تفسير معناها.»

«كلا.»

«أو ربما أننا نسيء تفسير معناها.»

«هذا ما يحصل تحديداً.»

«ليست مجرّد أرقام هاتف بل إنها تعني شيئاً ما حتماً.»
«على الأرجح.»
تنهّد بلومفيست مجدداً وعاد إلى المنزل لمتابعة القراءة.

شعر المحامي بيورمان بالارتياح حين اتصلت سالاندر مجدداً تقول إنها بحاجة إلى المزيد من المال. لقد أجّلت لقاءهما المتفق عليه أخيراً متذرّعة بأن عليها أن تعمل، فتولّد لديه إحساس غامض بالقلق. هل ستتحول إلى ولد مشاكس يصعب التعامل معه؟ لكن بما أنها فوّتت الاجتماع فليس لديها أي مال تنفق منه، وعاجلاً أم آجلاً ستكون مجبرة على المجيء إليه. لم يكن يسعه إلا أن يشعر بالقلق من أن تكون قد ناقشت ما جرى بينهما مع دخيل ما.

سيضطر إلى إبقائها تحت المراقبة. وعليها أن تفهم من هو المسؤول عنها. لذا أخبرها أن اللقاء بينهما هذه المرة سيتم في منزله الواقع بالقرب من أودينبلان لا في مكتبه. لدى سماعها الأخبار صمتت وقتاً طويلاً على الجهة الأخرى من الخط قبل أن توافق.

لقد خططت لأن يتم اللقاء في مكتبه تماماً كما المرة السابقة. وها هي الآن مجبرة على رؤيته على أرض غريبة. تمّ تحديد اللقاء يوم الجمعة مساءً. أعطاها رمز المبنى، وكانت ترن جرس باب الشقة عند الثامنة والنصف أي بعد نصف ساعة تأخير عن الموعد المتفق عليه. وهو الوقت الذي استغرقته لتراجع خطتها مرة أخيرة تحت جنح ظلام درج المبنى فأعادت التفكير في الخطط البديلة وسلّحت نفسها بالقوة واستمدت الشجاعة التي قد تحتاج إليها.

عند الساعة الثامنة مساءً أطفأ بلومفيست جهاز الكومبيوتر وارتدى ملابسه مستعداً للخروج من المنزل. وترك النور في مكتبه مضاءً. في الخارج كان الجو بارداً إلى حدّ الصقيع، والنجوم ترصّع صفحة السماء.

صعد التلة بخطى متسارعة، متجاوزاً منزل فانغر، متّبعاً الطريق المؤدية إلى أوسترغاردن. بعد وصوله إلى منزل فانغر انعطف يساراً وسار على درب وعرة تمتد على طول الشاطئ. كانت العوامات الطافية تتراقص فوق صفحة المياه، وأضواء هيدستاد تلتمع في العتمة. كان بحاجة إلى الهواء المنعش، لكن ما رغب فيه أكثر هو الابتعاد عن عيني إيزابيلا فانغر. ليس بعيداً من منزل مارتن فانغر عاد على الدرب الذي سبق أن سلكه، ووصل إلى باب منزل سيسيليا بعد الثامنة والنصف بقليل. وذهبا إلى غرفة النوم مباشرة.

كانا يتلاقيان مرة أو مرتين في الأسبوع. لم تعد سيسيليا عشيقته وحسب في هذا المنفى، بل باتت شخصاً بدأ يثق به. ومناقشة قضية هارييت فانغر معها أكثر أهمية وإفادة من مناقشتها مع عمها.

اتخذت الخطة منحىً خاطئاً منذ البداية تقريباً.

كان بيورمان يرتدي برنس الحمام حين فتح لها باب شقته. وبدا غاضباً لوصولها متأخرة عن الموعد الذي حدده لها، وأشار لها بالدخول بتعجرف وفظاظة. كانت ترتدي سروال جينز أسود وبلوزة سوداء وسترة الجلد السوداء طبعاً وتضع حقيبة سوداء مزودة بشريط فوق صدرها.

سألها بيورمان: «ألم تتعلمي قراءة الساعة؟»

لم تجب سالاندر بأي كلمة بل أخذت تنظر حولها. كانت الشقة كما توقعتها بعد أن قامت بدراسة لخرائط المبنى من ملفات أرشيف مكتب مدينة زونينغ. كان الأثاث الزاهي الألوان مصنوعاً من خشب الزان وشجر الغوش.

تابع بيورمان يقول بنبرة أكثر لطفاً وودّاً: «تعالي.» ووضع ذراعه حول كتفيها ومشيا نحو الغرف الأخرى مغادرين صالون الاستقبال. *لن يتحدثا قليلاً أولاً*. فتح باب غرفة النوم، لم يكن هناك من شك حيال الخدمات التي يفترض بسالاندر تقديمها.

ألقت نظرة سريعة على محيط الغرفة. فلاحظت أن الأثاث يناسب رجلاً عازباً مثله. فالسرير مزدوج مع إطار معدني والفراش وثير على ما يبدو، وصندوق الأدراج يمكن استعماله أيضاً كطاولة جانبية. رأت كذلك عمودين للإنارة على جانبَي السرير يصدران ضوءاً خافتاً. كما كانت توجد خزانة مع مرآة ملصقة على طول أحد مصاريع الخزانة. وفي الزاوية كان هناك كرسي من الخيزران وطاولة صغيرة بجانب الباب. أمسك بيدها وقادها إلى السرير.

«أخبريني لماذا تحتاجين إلى المال هذه المرة. أتريدين شراء المزيد من أجهزة الكومبيوتر؟»

أجابته: «بل لشراء الطعام.»

«بالطبع. يا لغباني. لقد فوّت موعد لقائنا الأخير.»

وضع إحدى يديه تحت ذقنها ورفع وجهها إليه بحيث تلاقت نظراتهما: «كيف حالك؟»

هزت كتفيها بلامبالاة جواباً.

«هل فكرت في ما قلته لك المرة الماضية؟»

«حول ماذا؟»

«ليزبث لا تتصرفي بغباء أكثر مما تبدين عليه. أريد أن نكون صديقين جيدين وأن يساعد أحدنا الآخر.»

لم تقل شيئاً رداً على كلامه، قاوم المحامي بيورمان رغبة عارمة في صفعها على وجهها، ليبث بعض الحياة فيها.

«هل أحببت لعبة الكبار التي قمنا بها المرة الماضية؟»

«كلا.»

رفع حاجبيه تعجباً.

«لا تكوني حمقاء، ليزبث.»

«أريد مالاً لشراء الطعام.»

«لكن هذا ما تحدثنا عنه المرة الماضية. إن كنت لطيفة معي،

فسأكون لطيفاً معك. لكن إن كنت ستسببين المشاكل...» أحكم قبضته على ذقنها فانقبضت وارتدت للوراء.

«أريد مالي، ما الذي تريده مني؟»

قبض على كتفها وسحبها إلى السرير قائلاً: «تعلمين ما الذي أريده.»

قالت سالاندر بتردد: «انتظر،» رمقته بنظرة استسلام وأومأت بالإيجاب بسرعة. خلعت حقيبتها وسترتها الجلدية المزودة بالمسامير ونظرت من حولها. وضعت سترتها على الكرسي وأودعت الطاولة المستديرة حقيبة الكتف، ومشت بضع خطوات مترددة نحو السرير. توقفت عن السير فجأة وكأنها أصيبت بالتجمد فاقترب بيورمان منها.

قالت له مجدداً: «انتظر لحظة.» كانت نبرتها هذه المرة وكأنها تحاول أن توقظ صوت المنطق فيه.

«لا أريد أن أمص عضوك الذكري كل مرة أكون فيها بحاجة إلى المال.»

تغيّرت ملامح وجه بيورمان فجأة. وصفعها على وجهها بقوة. اتسعت عينا سالاندر لكن قبل أن تتمكن من أن تصدر أي ردّ فعل، أمسك بكتفيها ورماها فوق السرير. أصيبت بالدهشة لمدى عنفه. وحين حاولت أن تنقلب على جنبها الآخر عاد ورماها فوق الفراش وباعد بين ساقيها.

كما في المرة السابقة لم تكن توازيه من حيث القوة الجسدية مطلقاً. ففرصتها الوحيدة لصده وإبعاده كانت تتمثل بمحاولة إيذائه وخدشه أو وضع أصابعها في عينيه أو استعمال أي آلة حادة كسلاح مؤذٍ. وهكذا يكون السيناريو الذي خططت له قد ذهب إلى الجحيم. شتمت في نفسها حين نزع عنها قميصها وأدركت مرتعبة أنه وصل بذلك إلى أعماقها.

سمعته يفتح درج الطاولة القريبة من السرير وتعرفت إلى صوت قرقعة الحديد. لم تفهم ما الذي يحدث في البداية لكنها سرعان ما رأت الأصفاد تلتف حول معصميها. رفع ذراعها ووضع الحلقة الأخرى من

الأصفاد حول مقبض رأس السرير، وفعل الأمر ذاته باليد الثانية. لم يطل به الأمر كثيراً ليجردها من الحذاء الطويل والجينز. ثم أزال سروالها التحتي وحمله في يده.

وقال لها: «عليك أن تتعلمي كيف تثقين بي يا ليزبث. سأعلمك كيفية ممارسة لعبة الكبار هذه. إن لم تعامليني بشكل جيد، فستعاقبين. وحين تتصرفين بلطف معي، سنكون صديقين.»

عاد يباعد بين ساقيها.

سألها: «قلت لي إنك لا تحبين الجنس الشرجي.»

فتحت سالاندر فمها لتصرخ. إلا أنه أمسك بشعرها وأقحم سروالها التحتي في فمها. شعرت به يضع شيئاً ما حول كاحليها ويباعد بين ساقيها ويثبت كلاً من قدميها بحيث باتت مستلقية أمامه بكامل هشاشتها وضعفها. سمعت خطواته يتنقل في أرجاء الغرفة إلا أن القميص الذي وضعه على وجهها حجب عنها الرؤية. استغرقه الأمر بضع دقائق. وبالكاد كانت تتنفس. شعرت بألم مبرح وهو يدس شيئاً ما في شرجها.

كان لا يزال شرط سيسيليا فانغر بعدم تمضية بلومفيست الليل بطوله في منزلها ساري المفعول. وكان قد بدأ يرتدي ملابسه قرابة الثانية بعد منتصف الليل بينما لا تزال هي مستلقية في السرير تبتسم له.

«تروقني كثيراً يا ميكائيل وتعجبني رفقتك.»

«تعجبينني أنت أيضاً.»

عادت تجذبه إلى السرير وتنزع عنه القميص الذي ارتداه لتوه. وبقيا معاً ساعة أخرى.

عندما مرّ لاحقاً بالقرب من منزل فانغر، كان واثقاً بأن إحدى الستائر تحرك في الطابق العلوي.

سمح لسالاندر أن تعيد ارتداء ملابسها. كانت الساعة الرابعة فجراً

من يوم السبت. رفعت جاكيت الجلد وحقيبتها وهرعت إلى الباب، حيث كان ينتظرها بعد أن استحم وتأنق وارتدى ملابس جديدة. وسلّمها شيكاً مصرفياً بقيمة ألفين وخمسمئة كورون.

قال لها وهو يفتح لها الباب: «سأوصلك إلى المنزل.»

اجتازت عتبة الباب وخرجت من الشقة واستدارت لتنظر إليه. بدا جسدها هشاً ووجهها منتفخاً من كثرة البكاء، وانقبض هو اشمئزازاً حين تلاقت نظراتهما. لم يسبق له طوال حياته أن رأى مثل هذه الكراهية المجرّدة المقززة للنفس. بدت مختلة كما كان سجلّها يصفها.

أجابت بهدوء يخبث بالكاد سمعها: «كلا. أستطيع الوصول إلى منزلي لوحدي.»

وضع يده فوق كتفها وسألها: «هل أنت واثقة؟»

أومأت له، واشتدّت قبضته فوق كتفها.

«تذكّري ما اتفقنا عليه. ستعودين إلى هنا نهار السبت المقبل.»

أومأت مجدداً، وتركها تذهب خاضعة خائفة.

الفصل الرابع عشر

السبت، 8 مارس ـ الاثنين، 17 مارس

أمضت سالاندر الأسبوع بأكمله في السرير تشعر بألم في أسفل بطنها، وتنزف من المعي المستقيم، وكانت هناك جروح أقل وضوحاً ستأخذ وقتاً أطول بكثير لتشفى. ما اختبرته كان يختلف كثيراً عن حادثة الاغتصاب الأولى التي تعرضت لها في مكتبه، فالمسألة لم تعد مسألة كراهية مطلقة وخزي وانحطاط. كانت وحشية ممنهجة.

أدركت متأخرة جداً أنها أساءت الحكم على بيورمان.

افترضت أنه كان يستعرض قوته وأنه كان يحب السيطرة، لكنها لم تكن تدرك أنه سادي بالكامل. لقد أبقى الأصفاد حول معصميها حتى منتصف الليل تقريباً. وقد اعتقدت عدة مرات أنه كان ينوي قتلها، وأنه في مرحلة ما وضع الوسادة فوق وجهها بحيث ظنت أنها ستفارق الحياة.

لكنها لم تذرف دمعة واحدة.

بعيداً عن دموع التعبير عن الألم الجسدي الخالص، لم تذرف دمعة واحدة قط. حين غادرت شقته، شقت طريقها بصعوبة إلى موقف سيارات التاكسي المتوجهة إلى أودينبلان. وبصعوبة بالغة أيضاً صعدت السلالم التي توصل إلى شقتها. استحمت ومسحت الدماء التي تلطخ أعضاءها التناسلية. ثم شربت كوباً كبيراً من الماء مع حبتي «روهيبنول» ومشت متعثرة نحو سريرها وسحبت اللحاف فوق رأسها.

استيقظت منتصف نهار الأحد، فارغة من الأفكار، وشعور بألم مبرح

لا يفارق رأسها وعضلات جسمها وأسفل بطنها. نهضت من السرير وشربت كوبين كاملين من الكفير وأكلت تفاحة. وتناولت حبتين منوّمتين من جديد وعادت إلى السرير.

لم تشعر برغبة في النهوض من السرير حتى يوم الثلاثاء. خرجت من المنزل وذهبت لشراء علبة بيتزا من الحجم الكبير من متجر «بيلي بان»، ووضعت قطعتين في الميكرويف وملأت إبريقاً حافظاً للحرارة بالقهوة. أمضت تلك الليلة تقلّب صفحات الإنترنت، تقرأ المقالات والأطروحات المتعلقة بمسار مرض السادية النفسي.

وجدت مقالة واحدة نشرتها إحدى المجموعات النسائية في الولايات المتحدة الأميركية حيث تزعم الكاتبة أن الشخص السادي يختار «علاقاته» بما يكاد يكون تصميماً حدسياً، حيث تكون أفضل ضحاياه هو من يذهب إليه طوعاً لأنه يظن أن لا خيار أمامه. فالشخص السادي متخصص بالأشخاص الذين يكونون في موقع الاتكالية والحاجة إليه.

لقد اختارها المحامي بيورمان ضحية له.

لقد أخبرها ذلك شيئاً عن الطريقة التي ينظر إليها بها الآخرون.

نهار الجمعة، أي بعد أسبوع واحد على اغتصابها، خرجت من شقتها إلى صالون دق الوشوم في منطقة هورنستال. كانت قد أخذت موعداً ولم يكن هناك أحد سواها في المحل. تعرّف إليها المالك وأومأ لها.

كانت قد اختارت وشماً صغيراً بسيطاً يصور رباطاً رفيعاً وطلبت رسمه على كاحلها، حيث أشارت.

قال لها فنان رسم الوشوم: «الجلد رقيق جداً هنا. سيؤلمك هذا كثيراً.»

أجابته سالاندر وهي تخلع سروال الجينز وترفع قدمها: «لا بأس.»

«حسناً، كنت قد طلبت رسمة الرباط. لكن جسمك مليء بالوشوم، فهل أنت واثقة أنك تريدين وشماً آخر؟»

«سيكون هذا للذكرى.»

غادر بلومفيست المقهى حين أغلقت سوزان أبوابه عند الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السبت. أمضى فترة الصباح يطبع ملاحظاته على جهاز الـ iBook. سار إلى متجر «كونوسم» حيث قام بشراء بعض الطعام وعلب السجائر قبل عودته إلى المنزل. اكتشف لديه السجق المقلي مع البطاطا واللفت، وهو طبق لم يحبّه يوماً لكنه بدا له لسبب ما مناسباً تماماً في الريف الذي يقيم فيه.

حوالى الساعة السابعة مساءً وقف بجانب نافذة المطبخ يفكّر. لم تتصل به سيسيليا فانغر حتى الآن، سبق له أن التقاها بعد ظهر ذلك اليوم في المقهى حيث كانت تشتري الخبز، لكنها كانت غارقة في أفكارها. اتصالها به في ذلك المساء لم يكن مرجحاً. وقع نظره على جهاز التلفزيون الصغير الذي لم يكد يستعمله إلا أنه اختار بدلاً من ذلك أن يجلس على مقعد المطبخ ويقرأ إحدى روايات «سو غرافتون».

عادت سالاندر إلى شقة بيورمان الواقعة بالقرب من أودينبلان في الموعد المحدد. فتح لها الباب ودعاها للدخول بلباقة وابتسامة مرحّبة.

«عزيزتي ليزبث كيف حالك اليوم؟»

لم تقدّم له أي إجابة. لفّ ذراعه حول كتفيها.

قال لها: «أفترض أن الأمر كان قاسياً قليلاً المرة الماضية. بدوت كئيبة نوعاً ما.»

التوت شفتاها عن ابتسامة ماكرة فانتابه شعور مفاجئ بالاضطراب وعدم الثقة. *عليّ ألا أرى الفتاة فيها، يجب أن أتذكر هذا دائماً، يجدر بي ألا أضعف أمامها.* أخذ يتساءل في نفسه ما إذا كانت ستلين وتستسلم له.

سألته سالاندر، «هلا نذهب إلى غرفة النوم؟»

لكنها... من جهة ثانية قد تكون رقيقة. سأكون أقل قسوة معها اليوم. سأبني جسراً من الثقة بيننا. سبق له أن وضع الأصفاد على الطاولة

بجانب السرير. لكن ما إن وصلا إلى غرفة النوم حتى قرر بيورمان أن شيئاً ما غريباً يحدث.

كانت هي من يقوده إلى السرير وليس العكس. توقف عن السير فجأة والتفت نحوها يرمقها بنظرة فيها حيرة وتساؤل، لكنها في تلك الأثناء سارعت إلى سحب شيء ما من جيب سترتها ظنه في البداية هاتفاً خلوياً. لكنه سرعان ما لاحظ نظرة غريبة في عينيها.

قالت له: «قل لي عمت مساءً.»

غرزت جهاز Taser المولد للذبذبات الكهربائية تحت إبطه الأيسر وصعقته بقوة خمسة وسبعين ألف فولت. وحين بدأت قدماه ترتجفان تحته أسندت إليه كتفها وبذلت كل قواها لتدفعه فوق السرير.

كانت سيسيليا فانغر تشعر بقليل من النشوة. وقد عقدت العزم ألا تتصل ببلومفيست. لقد تطورت علاقتهما إلى مهزلة سريرية تافهة، حيث يحاول بلومفيست المجيء إلى منزلها متسللاً متخفياً دون أن يلاحظه أحد. في حين كانت تلعب هي دور المراهقة العاشقة الولهة التي لا تستطيع السيطرة على نفسها وعواطفها. لقد كانت تصرفاتها على مدى الأسابيع الأخيرة تتصف باللامسؤولية.

لكن المشكلة هي أنه يعجبها كثيراً، فكرت في نفسها. سينتهي الأمر به إلى التسبب لي بالأذى. جلست طويلاً وحدها تتمنى لو أن ميكائيل بلومفيست لم يأت إلى هيدبي أبداً.

فتحت قنينة نبيذ وتناولت كأسين تملأ بهما وحدتها، وأدارت جهاز التلفزيون لتشاهد برنامج Rapport محاولة أن تتابع الوضع العالمي لكنها سرعان ما سئمت الاستماع إلى التقرير الذي يبرر للرئيس الأميركي بوش قصف العراق وتدميره بالكامل. فأطفأته وجلست على أريكة الغرفة مختارة قراءة كتاب لغيلبرت تاماس بعنوان *The Laser Man*. إلا أنها لم تتمكن من قراءة بضع صفحات قبل أن تضطر إلى وضعه جانباً. ذلك أن قراءة

صفحاته جعلتها لا تكف عن التفكير في أبيها. أي نوع من التخيلات والأوهام كانت لديه؟

آخر مرة رأى أحدهما الآخر كان في العام 1984، وذلك حين ذهبت هي وبيرجر لصيد الأرانب معه شمال هيدستاد. كان بيرجر يجرّب مهارات صيد أحد الكلاب التي اشتراها حديثاً، وهو من نوع الكلاب السلوقية السويدية التي اقتناها مؤخراً. كان هارالد فانغر في الثالثة والسبعين من عمره حينئذ، وكانت قد بذلت أقصى جهدها لتتقبل جنونه الذي حوّل طفولتها إلى كابوس وترك أثراً عميقاً على حياتها بأكملها.

لم تشعر سيسيليا بأنها ضعيفة إلى هذا الحد يوماً. كان زواجها قد انتهى منذ ثلاثة أشهر. والسبب هو العنف المنزلي... يا له من تعبير مبتذل تافه. لقد اتخذ الأمر بالنسبة لها أحد أشكال الاستغلال اللامتناهي. بدءاً بالضرب على الرأس إلى تعمّد دفعها بعنف، وإطلاق التهديدات المزاجية وضربها حتى تقع أرضاً في المطبخ. نوبات غضب زوجها كانت عصية على التفسير أو التبرير، وحوادث الاعتداء الممارسة بحقها لم تكن حادة دائماً بحيث لم تكن تتسبب لها بأذى بالغ. كانت في الواقع قد اعتادت عليها.

إلى أن جاء اليوم الذي ردّت فيها ضرباته مما أفقده عقله بالكامل، حتى انتهى به الأمر إلى رميها بمقص قريب استقرت إحدى شفراته في عظمة كتفها.

استاء عندئذ كثيراً وأصابته نوبة من الرعب وقادها إلى المستشفى مختلقاً قصة كاذبة حول إصابتها بحادث غريب من نسج خياله لم يصدقه أحد من أطباء وممرضي قسم الطوارئ. لقد شعرت بالعار. وتم تقطيب كتفها باثنتي عشرة قطبة وأبقيت في المستشفى ليومين. ثم جاء عمها وأخذها إلى منزله. لم تكلم زوجها قط منذ ذلك الحين.

وفي يوم خريفي مشمس كان هارالد فانغر يتمتع بمزاج جيد، حتى يكاد يكون ودوداً. لكن من دون أي تحذير مسبق، وبعد أن كان الاثنان

قد تغلغلا مسافة طويلة في الغابة، أخذ يعنفها مستعملاً تعابير مذلة ومطلقاً ملاحظات مقززة تستهدف مسلكها الأخلاقي وميولها الجنسية المتطرفة. زمجر متسائلاً كيف يمكن لعاهرة مثلها الاحتفاظ برجل.

من الواضح أن أخاها لم يلاحظ أن وقع كلمات أبيها جاءت كضربات السوط على مسمعها. إلا أن بيرجر ضحك فجأة ولفّ ذراعه حول كتفي والده واستخف على طريقته الخاصة بالوضع برمّته بإطلاق تعليق حيال سلوك النساء بالقول إنه يعلم كيف *هنّ النساء*. وطرف بعينيه مرحاً ونظر نحو سيسيليا واقترح أن يتخذ هارالد فانغر موقفاً يقتضي تبسيط الأمر.

للحظة من الزمن، لحظة بدا الزمن متوقفاً، نظرت سيسيليا فانغر إلى كل من أخيها وأبيها فيما هي تحمل في يدها مسدساً محشواً. اغمضت عينيها وأخذت تفكر في أن الخيار الوحيد المطروح أمامها في تلك اللحظة على ما بدا لها أن ترفع المسدس وتصوبه إليهما وتفرغ رصاصتين في رأسيهما مردية كليهما. أرادت قتلهما معاً. إلا أنها بدلاً من أن تفعل رمت المسدس عند قدميها واستدارت على عقبيها عائدة إلى حيث ركنوا السيارة. وتركتهما وحيدين حيث هما لا معين لهما وعادت بالسيارة وحدها. ومنذ ذلك اليوم وهي ترفض أن يدخل والدها منزلها وتمتنع قطعاً بدورها أن تدخل منزله.

قالت سيسيليا فانغر في نفسها، *لقد دمرت حياتي. بل لقد دمرت حياتي منذ كنت طفلة.*

عند الساعة الثامنة والنصف اتصلت ببلومفيست.

كان بيورمان يشعر بالألم. لم تكن أي من عضلات جسمه تسعفه أو تحرك. بدا جسمه مشلولاً بالكامل. لم يكن بوسعه أن يتذكر ما إذا كان قد فقد وعيه أو لا، لكنه كان مشوش الذهن. وحين أخذ يستعيد بطيئاً سيطرته على حركة جسمه وجد أنه كان يستلقي عارياً فوق سريره

ومعصماه مكبلان بأصفاد وساقاه متباعدتان بشكل مؤلم. كانت هناك آثار حروق تخز مناطق جسمه التي مسّها أحد قطبي التيار الكهربائي.

سحبت كرسياً من الخيزران وأخذت تنتظر بصبر، ملقية حذاءها على حافة السرير تدخن سيجارة. ولما أراد بيورمان التكلم إليها وجد فمه مقفلاً بلاصق. أخذ يلتفت يميناً ويساراً ينظر في أرجاء الغرفة. كانت قد فتحت جميع الأدراج وأفرغت محتوياتها على الأرض.

قالت له سالاندر: «وجدت جميع ألعابك.» رفعت سوطاً لركوب الخيل وأخذت تفتش بين كومة الأعضاء الذكرية الاصطناعية وعدة التحرش الجنسي والأقنعة المطاطية المنتشرة على الأرض. سحبت مدساً شرجياً ورفعته في يدها وسألته: «لماذا يستعمل هذا؟ كلا، لا تحاول أن تتكلم... فلن أسمع ما تقول. أهذا ما استعملته معي الأسبوع الماضي؟ كل ما عليك فعله أن تهز رأسك.» مالت نحوه تتوقع رداً على سؤالها.

شعر بيورمان بموجة من الرعب تجتاحه وتبث البرد في أوصاله وتقبض صدره وتفقده هدوءه. أخذ يشد الأصفاد محاولاً نزعها والتحرر منها. *لقد امسكت بزمام الامور. مستحيل.* لم يتمكن من فعل أي شيء عندما انحنت سالاندر فوقه وأدخلت المدسّ بين إليتيه، قائلة تعبّر عن واقع *الحال*: «أنت ساديّ إذاً، تستمتع بدسّ أشياء وأشياء في الآخرين، أليس كذلك؟» نظرت في عينيه مباشرة بملامح تخلو من أي تعبير وأضافت: «ومن دون استعمال أي مرهم، صحيح أم أني مخطئة؟»

أتى صوت بيورمان مزمجراً من وراء الشريط اللاصق على فمه حين فركت سالاندر وجنتيه بخشونة وأقحمت المدس بعنف أكثر داخل المكان الصحيح.

قالت سالاندر تقلّد صوته: «كف عن الهمهمة، لأنك إن تذمرت فسأضطر لمعاقبتك.»

نهضت عن السرير وذهبت إلى الجهة الأخرى منه. كان يلاحق حركتها بنظراته وهو يشعر بالعجز التام... *ما الذي يجري بحق السماء؟*

كانت سالاندر قد أدخلت من غرفة الجلوس جهاز التلفزيون وهو ذو شاشة من اثنين وثلاثين إنشاً ووضعته في الغرفة. وأودعت جهاز الـ DVD الأرض. نظرت إليه وهي لا تزال تحمل السوط في يدها، وسألته: «هل أحصل الآن على انتباهك التام؟ لا تحاول الكلام، هل سمعت ما قلته لك؟» هز رأسه.

«جيد.» انحنت مجدداً ورفعت حقيبة كتفها عن الأرض، وسألته: «هل تعرفت إلى هذه؟» أومأ ثانية، «إنها حقيبة الكتف ذاتها التي كنت أحملها حين قمت بزيارتك الأسبوع الفائت. إنها غرض عملي بالفعل. لقد اقترضتها من شركة 'ميلتون للأمن'.» فتحت سحابة الجيب السفلي للحقيبة وقالت له: «هذه كاميرا رقمية. هل سبق لك أن شاهدت برنامج Insider أو TV3؟ إنها الأداة التي يستعملها المراسلون الصحفيون المشاغبون عندما يرغبون في تصوير أمر ما بعدسة الكاميرا الخفية.» عادت وأغلقت السحابة.

«لا بد أنك تتساءل أين هي عدسة التصوير. هذه هي الميزة الرائعة في هذه الأداة حقاً، إذ تحتوي على عدسات ليفية دقيقة جداً. تبدو العدسة أشبه بزرٍّ صغير مخفي تحت إبزيم موجود على شريط الكتف. لعلك تتذكر أني وضعت حقيبة ظهري المرة الماضية هنا على الطاولة قبل أن تبدأ أنت تحرشك بي. حرصت تماماً على أن تكون عدسة الكاميرا موجّهة إلى السرير مباشرة.»

حملت في يدها قرص DVD ودسّته في جهاز تشغيل الأقراص المدمجة. ومن ثمّ أدارت كرسي الخيزران بحيث تتمكن من الجلوس ومشاهدة ما يجري على الشاشة. أشعلت سيجارة أخرى وضغطت زر آلة التحكم عن بعد. رأى المحامي بيورمان نفسه يفتح الباب لسالاندر ويدعوها للدخول.

ألم تتعلمي أن تقرئي الساعة؟

شغّلت القرص حتى النهاية مستعرضة كافة الأحداث. انتهى فيلم الفيديو المصوّر بعد تسعين دقيقة على مشهد المحامي بيورمان يستلقي

عارياً على جانب السرير يحتسي كأساً من النبيذ ويتأمل سالاندر المتكورة ويداها مكبلّتان وراء ظهرها.

أطفأت جهاز التلفزيون وجلست لعشر دقائق كاملة في الكرسي تفكر بصمت دون أن تنظر إلى بيورمان الذي لم يجرؤ على الإتيان بأي حركة. ومن ثم وقفت من مكانها وذهبت إلى الحمام. وعادت تجلس في الكرسي عند عودتها. تكلمت بنبرة أشبه بورق الصقل الخشن وقالت: «لقد اقترفت خطأً الأسبوع الماضي. ظننت أنك ستجبرني على لعق قضيبك مجدّداً، وهو ما يجعلني أشعر بالاشمئزاز والقرف، ولكنه ليس مقرفاً إلى درجة أني أعجز عن القيام به. اعتقدت أني أستطيع الحصول بسهولة على إثبات جازم على أنك مجرد عجوز قذر. لكنني أسأت الحكم عليك. لم أكن أدرك إلى أي مدى أنت شخص مريض.»

أضافت: «سأتكلم بوضوح تام. يُظهر فيلم الفيديو هذا اغتصابك لفتاة في الرابعة والعشرين من العمر متخلّفة عقلياً تمّ تعيينك حارساً لها. ولا تملك أدنى فكرة إلى أي مدى يصل تخلفي هذا إذا بلغ السيل الزبى. كل من يشاهد الشريط سيكتشف أنك لست منحرفاً وحسب بل سادياً مجنوناً ومهووساً. إنها المرة الثانية وآمل أن تكون الأخيرة التي أشاهد فيها هذا الشريط المصور. إنه مفيد جداً، ألا تعتقد؟ أظن أنك أنت من يجب وضعه تحت رعاية مؤسسة خاصة، وليس أنا، هل تتابع ما أقول؟»

انتظرت رداً. لم يصدر عنه أي ردّ فعل، لكنها استطاعت أن تراه يرتعد. التقطت السوط ووجهت لأعضائه التناسلية ضربة مباشرة.

وسألته بصوت مرتفع: «هل تتابع ما أقول؟» هز لها رأسه.

«جيد. نحن على الموجة ذاتها إذاً.»

سحبت الكرسي وقربته منه بحيث تتمكن من النظر في عينيه مباشرة، وسألته: «ماذا تظن أننا يجب أن نفعل لحل هذه المشكلة؟»

لم يستطع إعطاءها أية إجابة. «هل لديك أي أفكار لامعة؟» لما لم يصدر أي ردّ فعل أخذت خصيتيه في قبضتها وبدأت تشدّ حتى تغضّن

وجهه ألماً وكررت السؤال على مسمعه: «هل لديك أية أفكار جيدة؟» لكنه هزّ رأسه مجدداً.

«جيد. لأني سأجن غضباً منك إن أتيت بأي فكرة في المستقبل.»

أسندت ظهرها إلى الكرسي وداست بقدمها على عقب سيجارتها تطفئها في السجادة. «هذا ما سيحصل تماماً. الأسبوع المقبل حين تتمكن من إقحام المدسّ الضخم في مؤخرتك، ستُعلِم المصرف الذي أتعامل معه أني، وأني أنا وحدي من يملك حق الدخول إلى حسابي المصرفي. هل تفهم ما الذي أقوله؟» هز رأسه.

«ولد مطيع. لن تعاود الاتصال بي مجدداً أبداً. سوف نلتقي في المستقبل فقط في حال رأيت ضرورة لذلك. عدا ذلك فإنك ملزم تماماً البقاء بعيداً عني.» أخذ يهز رأسه تكراراً. *إنها لا تنوي قتلي على الأقل.*

«إذا حصل وحاولت الاتصال بي مجدداً، ستتوزع نسخ عديدة من الـ DVD على كافة محطات الأخبار في ستوكهولم. هل فهمت؟»

هز رأسه مجدداً. *ينبغي أن أحصل على فيلم الفيديو ذاك.*

«مرة واحدة في السنة ستقدم تقريرك إلى مصلحة شؤون الوصاية. وستذكر في التقرير أن حياتي تسير بشكل طبيعي تماماً وأن لدي وظيفة براتب ثابت وأني قادرة على إعالة نفسي، وأنك لا تظن أن هناك من أمر غير طبيعي يشوب سلوكي وتصرفاتي. اتفقنا؟»

هز لها رأسه من جديد.

«ستقوم بإعداد تقرير شهري حول لقاءاتك الوهمية بي. وستصف بالتفصيل الممل مدى إيجابيتي في التعامل وكيف أن الأمور كلها تسير بشكل جيد معي. وسوف ترسل لي نسخة من التقرير بالبريد. أتفهم؟»

قام بهز رأسه مجدداً. لاحظت سالاندر غافلة قطرات العرق تتصبب من جبينه.

«وفي غضون عام أو لنقل عامين، سنبدأ مفاوضات في محكمة الولاية من أجل إبطال إعلان عدم كفاءتي العقلية لتولي شؤوني بنفسي.

سوف تستعمل التقارير المزورة التي سبق لك أن أعددتها كأساس لاقتراحك. وستجد طبيباً نفسياً يعلن تحت القسم في المحكمة أني شخص طبيعي بالكامل. سوف يكون عليك أن تبذل قصارى جهدك. ستفعل كل ما في وسعك لتضمن أن أتحرر من قيود الوصاية تماماً.»

عاد يهز رأسه.

«أتعلم لماذا ستبذل أقصى جهدك؟ لأن لديك سبباً وجيهاً جداً لتفعل. لأنك إن فشلت في المهمة، فسوف يظهر هذا الفيديو إلى العلن وسيراه أكبر عدد ممكن من الناس.»

كان يصغي بحذر تام إلى كل كلمة تنطق بها سالاندر. وكانت عيناه تتوقدان حقداً وكراهية. وقرر في نفسه أنها ارتكبت خطأً فادحاً حين تركته حياً ولم تقتله في تلك اللحظة. *سيؤول الأمر بك في نهاية المطاف أن تتناولي هذاء ايتها العاهرة. سأقوم بتحطيمك والتخلص منك عاجلاً أو آجلاً.* إلا أنه ظل يهز رأسه بالحماسة ذاتها التي كان يفعل بها رداً على كل سؤال تطرحه.

ثم تنحنحت وقالت بصوت أجش: «والأمر ذاته ينطبق على مجرد محاولتك الاتصال بي. وداعاً لأسلوب الحياة الأنيق المرفّه والسمعة الطيبة وملايينك المودعة في حساب مصرفي خارج البلاد.»

اتسعت عيناه بشكل لاإرادي حين أتت على ذكر المال. كيف عرفت *اللعينة السافلة بأمر...*

افتر ثغرها عن ابتسامة وسحبت سيجارة أخرى.

«أريد أخذ مجموعة المفاتيح الأخرى الخاصة بهذه الشقة وبمكتبك.» قطب جبينه لسماعه كلماتها لكنها انحنت فوقه وابتسمت بعذوبة متناهية.

«سأكون أنا من يُحكم السيطرة مستقبلاً على حياتك. وعلى غفلة منك، حين تكون في السرير نائماً ربما، سأظهر في غرفة نومك حاملة هذا بيدي.» ورفعت المدس الكهربائي بيدها. «سأتحقق من تصرفاتك.

وإن صادف أن وجدتك مجدداً ولو مرّة مع فتاة أخرى، ويغض النظر عما إذا كانت معك بإرادتها أو لا، إن حصل ووجدتك مع أي امرأة مهمن تكن. . .» عادت سالاندر تتنحنح ويهدر صوتها من جديد.

«وإن حصل أن مت. . . أو وقعت ضحية حادث من أي نوع كان أو دهستني سيارة أو شيء من هذا القبيل. . . فستتوزع تلقائياً نسخ من شريط الفيديو هذا إلى الصحف في البلد. إضافة إلى تقرير أصف فيه بالتفصيل ما يكون عليه الأمر بوجودك وصياً على أحدهم.»

عادت تنحني فوقه مجدداً بحيث لم يكن وجهها يبتعد سوى سنتمترات قليلة عن وجهه وقالت: «أمر آخر بعد، إن خطر لك أن تلمسني مجدداً فسأقتلك، وهذا وعد مني.»

لم يكن بسع بيورمان إلا أن يصدقها، إذ لم يلمح في عينيها أي طيف مزاح أو تردد.

«ستتذكّر دائماً أني مجنونة، أليس كذلك؟»

هز لها رأسه.

حدقت فيه سالاندر مستغرقة في التفكير ثم قالت له: «لا أعتقد أني أنا وأنت سنكون صديقين جيدين. ها أنت في الوقت الحالي تستلقي هنا مهنئاً نفسك أني ضعيفة ما يكفي لجعلي عاجزة عن قتلك وتركك تعيش. تظن أنك ما تزال تمسك بزمام الأمور على الرغم من كونك أسيراً لي، بما أنك تعتقد أن الشيء الوحيد الذي يسعني أن أفعله إن لم أقتلك هو أن أدعك ترحل. لذا يحدوك أمل كبير أن تستعيد سيطرتك عليّ فوراً. هل أنا محقة في ما أقول؟»

هز رأسه هذه المرة نفياً. كان قد بدأ يشعر بالسأم فعلاً.

«ستتلقى مني هدية تجعلك تتذكر اتفاقنا بشكل دائم.»

التوت شفتاها عن ابتسامة ماكرة وصعدت إلى السرير وركعت بين ساقيه. لم تكن لدى بيورمان أدنى فكرة عما تنوي فعله لكنه شعر فجأة بموجة عارمة من الرعب تنتابه وتسري في أوصاله.

وسرعان ما رأى إبرة في يدها.

أخذ بيورمان يتخبط فوق السرير ويرمي برأسه إلى الوراء والأمام وينتفض بجسده محاولاً الإفلات من قبضتها إلى أن ألقت بركبتها فوق المنفرج بين رجليه وضغطت محذرة: «التزم الهدوء لأنها المرة الأولى التي أستعمل فيها هذه الأداة.»

واصلت العمل على مدى ساعتين متواصلتين. وحين أنهت ما بين يديها كان قد كفّ عن التذمر والأنين. بدا في حالة من اللامبالاة.

نزلت عن السرير وأمالت برأسها إلى أحد الجانبين وأخذت تتأمل عمل يديها بعين الناقد. كانت قدراتها الفنية محدودة. بدت الأحرف التي حفرتها انطباعية بأحسن حالاتها. وقد استعملت في الحفر كلاً من الحبر الأزرق والأحمر. وقد حفرت كلمات الرسالة بأحرف كبيرة موزعة على خمسة أسطر تغطي بطنه بدءاً من أسفل حلمتي ثدييه وصولاً إلى أعضائه التناسلية وتقول الرسالة المحفورة: أنا خنزير سادي شاذ ومغتصب.

جمعت الإبر ووضعتها إضافة إلى المحابر في حقيبة ظهرها. ثم ذهبت إلى الحمام واغتسلت. كانت تشعر بتحسن كبير حين عادت إلى غرفة النوم.

قالت له مودعة: «عمت مساءً.»

فتحت قفل أحد الأصفاد ووضعت المفتاح فوق بطنه قبل أن ترحل. أخذت معها قرص الـDVD ومجموعة المفاتيح.

كان الأمر ببساطة هو تناول سيجارة معاً عندما قام بلومفيست بإخبارها في ساعة ما من بعد منتصف الليل أنه لا يمكن لأحدهما رؤية الآخر لفترة من الزمن. أدارت سيسيليا وجهها نحوه ورمقته بنظرة تعجّب.

«ما الذي تقصده؟»

بدا خجلاً وهو يقول لها: «عليّ الذهاب يوم الاثنين إلى السجن لتمضية فترة ثلاثة أشهر.»

لم تكن هناك من ضرورة لمزيد من التفسير. استلقت سيسيليا في السرير طويلاً بصمت. شعرت برغبة في البكاء.

انتاب دراغان آرمانسكي الشك حين طرقت سالاندر بابه بعد ظهر يوم الاثنين. لم يظهر لها أي أثر منذ ألغى مهمة التحقيق في مسألة «وينرشتروم» في بداية يناير. وكان كل مرة يحاول فيها الاتصال بها إما أن تقفل الخط مدعية أنها منشغلة أو لا تجيب على الهاتف أصلاً.

سألته من دون إلقاء التحية: «هل لديك عمل لي؟»

«مرحباً. تسرني رؤيتك كثيراً. ظننتك متِّ أو شيئاً من هذا القبيل.»

«كانت هناك أمور عدّة اضطررت لمعالجتها.»

«يبدو أنه غالباً ما تكون لديك أمور للمعالجة والحل.»

«كان الأمر ملحّاً هذه المرة، وها قد عدت الآن. هل لديك أي عمل لي؟»

هزّ آرمانسكي رأسه: «آسف، ليس لدي أي شيء لك هذه المرة.»

«تعلمين يا ليزبث أني أقدرك وأحب أن أوكل المهمات لك، لكنك اختفيت طوال شهرين كاملين وكانت لدي أطنان من المهمات. إنك شخص لا يعتمد عليه ببساطة. اضطررت إلى أن أدفع أجوراً عالية لآخرين من أجل تغطية غيابك والقيام بمهمات البحث والتحقيق بدلاً منك، وليس لدي أي عمل لك الآن فعلاً.»

«هل لك أن ترفع الصوت؟»

«ماذا؟»

«ارفع صوت الراديو.»

... مجلة «ميلينيوم». يصادف إعلان خبر اضطلاع الاقتصادي المحنك هنري فانغر بمهمة المالك الجزئي وأحد أعضاء مجلس إدارة «ميلينيوم» في اليوم ذاته الذي سيمضي فيه الناشر

والرئيس والمدير العام السابق للمجلة ميكائيل بلومفيست فترة الحكم بالسجن لثلاثة أشهر بتهمة التشهير برجل الأعمال هانس-إيريك وينرشتروم. رئيسة تحرير مجلة «ميلينيوم»، إيريكا برجر، أعلنت في المؤتمر الصحفي الذي عقدته أن بلومفيست سيعود لمزاولة عمله والقيام بدوره كمحرر للمجلة عند انتهاء فترة حكمه.

«حسناً، ألا يشكل هذا مؤشراً على شيء ما؟» أتت كلمات سالاندر من الهدوء بحيث لم يرَ آرمانسكي سوى شفتيها تتحركان.

نهضت من مكانها وتوجهت نحو الباب.

«انتظري. إلى أين أنت ذاهبة؟»

«إلى المنزل. أود التحقق من بعض الأمور. اتصل بي حالما يكون لديك مهمة توكلني بها.»

إن خبر تلقّي مجلة «ميلينيوم» دعماً يتمثل بوجود هنريك فانغر في مجلس الإدارة كان حدثاً يفوق توقعات ليزبث سالاندر. كان عدد الصحيفة المسائية *Aftonbladet's* قد صدر يتضمن قصة مصدرها وكالة الأنباء TT توجز سيرة فانغر المهنية وتعلن أنها المرة الأولى خلال عشرين سنة تقريباً يقوم فيها صاحب شركات التصنيع الثري العجوز بالظهور العلني. كان يعتبر خبر مساهمته الجزئية وتملكه أسهماً في مجلة «ميلينيوم» أمراً غير مرجح تماماً مثل ظهور كل من بيتر والنبيرغ أو إريك بنسر المفاجئ كمالكين جزئيين لـETC أو قيامهما برعاية مجلة *Ordfront*.

كانت القصة من الأهمية بحيث احتلت العنوان الرئيسي الثالث من عدد السابعة والنصف لصحيفة *Rapport* ومنحته ثلاث دقائق على الهواء. وقد جرت المقابلة مع إريكا برجر على طاولة المؤتمرات داخل مكاتب مجلة «ميلينيوم».

فجأة، عادت قضية «وينرشتروم» تتصدر عناوين الصحف والأخبار.

«ارتكبنا خطأً فادحاً العام الماضي أسفر عن ملاحقة المجلة قانونياً بتهمة القدح والذم والتشهير. وإنه أمر نشعر بالأسف حياله والندم... ولسوف نتابع مجريات القصة في الوقت المناسب.»

سألها أحد المراسلين الصحفيين: «ماذا تقصدين تماماً بـ'سوف تتابعون مجريات القصة'؟»

«أعني أننا سنصدر تباعاً روايتنا الكاملة للأحداث وهذا ما لم نفعله حتى الآن.»

«كان بإمكانكم القيام بذلك أثناء المحاكمة.»

«لقد اخترنا ألا نفعل. إلا أن تحقيقاتنا الصحفية ستكمل المهمة كما كانت تفعل من قبل.»

«هل يعني ذلك أنكم تتمسكون بالقصة التي قادت إلى الاتهام؟»

«لا أملك ما أضيفه إلى الموضوع.»

«لكنكم صرفتم ميكائيل بلومفيست من الخدمة إثر صدور حكم المحكمة.»

«هذا ليس كلاماً دقيقاً. عد إلى البيان الصحفي الذي أصدرناه. إنه يقول بأن بلومفيست كان بحاجة إلى الراحة. وسيعود لممارسة دوره كرئيس ومدير عام للمجلة وناشر في وقت لاحق من هذا العام.»

جالت عدسة الكاميرا في أرجاء استديو الأخبار فيما كان المراسل الصحفي يتلو سريعاً بعض المعلومات حول خلفية تاريخ «ميلينيوم» العاصف كمجلة أصيلة ومعروفة. لم يكن بلومفيست حاضراً للإدلاء بأي تعليق حول ما يجري. إذ كانت أبواب الزنزانة قد أقفلت عليه للتو واحتجز داخل قضبان سجن رولاكر التي تبعد حوالى ساعة من الوقت عن أوسترساند الواقعة في جامتلاند.

لاحظت سالاندر وجود ديرك فرود يظهر على زاوية شاشة التلفزيون يجتاز أحد أبواب مكاتب تحرير المجلة. قطبت جبينها وأخذت تعض على شفتها السفلى مستغرقة في التفكير.

كان نهار الاثنين يوم أخبار مملاً وحصل فانغر على أربع دقائق كاملة من فترة أخبار التاسعة مساءً. أجريت مقابلة معه في أحد استديوهات التلفزيون في هيدستاد. بدأ المراسل الصحفي مقابلته بذكر أن الصناعي هنريك فانغر يعود بعد عقدين من ابتعاده عن دائرة الضوء. ويبدأ المقطع بنبذة سريعة ولاذعة سيرته الذاتية مصورة للتلفزيون بالأبيض والأسود، تظهره مع رئيس الوزراء إيرلاندر، وعند افتتاح المصانع أيام الستينيات. وقد ركّزت الكاميرا عدسة تصويرها على الأريكة في الأستديو حيث يجلس فانغر باسترخاء تام. كان يرتدي قميصاً أصفر وربطة عنق خضراء غير عريضة وبدلة بنية اللون. كان نحيل الجسم لكنه كان يتكلم بصوت واضح ونبرة حازمة. وكان بغاية الصراحة كذلك. وقد سأله الصحفي عن السبب الذي دفعه ليصبح مالكاً لجزء من أسهم مجلة «ميلينيوم».

«إنها مجلة ممتازة اعتدت متابعة أخبارها باهتمام كبير على مدى عدة سنوات. تتعرض إعلاناتها اليوم لهجوم. لديها أعداء ينظمون ويروّجون لمقاطعة إعلانية في محاولة لجعل المجلة تنهار وتكفّ عن الصدور.»

لم يكن الصحافي مستعداً لسماع مثل هذا الردّ إلا أنه أدرك حالاً أن قصة غير عادية كهذه قد تحمل المزيد من الأوجه غير المنتظرة.

«وما الذي يقع خلف هذه المقاطعة؟»

«ستكون تلك إحدى المسائل التي تعالجها المجلة عن كثب. لكنني أريد أن أوضح الآن أن مجلة 'ميلينيوم' لن تغرقها أول دفعة من إطلاق النار.»

«ألهذا السبب قمت بشراء أسهم في الشركة؟»

«سيكون الأمر باعثاً على الأسى إن تمكنت المصالح الخاصة من إسكات صوت المنابر الإعلامية التي لا تروقها.»

كان فانغر يتصرف وكأنه كان طوال حياته متعصباً للثقافة، مناصراً لقضية حرية التعبير عن الرأي. انفجر بلومفيست ضاحكاً بينما كان يمضي

ليلته الأولى في غرفة التلفزيون داخل سجن رولاكر. وأخذ رفاقه من نزلاء الزنزانة ينظرون إليه بانزعاج ظاهر.

في وقت لاحق من تلك الأمسية وبينما كان مستلقياً فوق أحد الأسرّة داخل السجن، التي ذكّرته بغرفة الفندق الضيقة بطاولتها الصغيرة والكرسي الوحيد والرف اليتيم على الحائط، اعترف بلومفيست لنفسه بأن فانغر وبرجر كانا محقّين بشأن كيفية تسويق الخبر. وأدرك أن شيئاً ما قد تغيّر في نظرة الناس عامة لمجلة «ميلينيوم».

لم يكن دعم فانغر للمجلة سوى إعلان حرب على وينرشتروم بطريقة أو بأخرى. والرسالة كانت واضحة: لن تكون حربك في المستقبل ضد مجلة مؤلفة من هيئة تحرير لا تضم سوى ستة أشخاص وحسب، وموازنة سنوية تعادل كلفة غداء في إحدى مجموعات شركات «وينرشتروم». ستكون الآن بمواجهة مؤسسات «فانغر» التي قد لا تكون سوى طيف عظمتها السابقة ولكنها تمثل مع ذلك تحدياً أكثر قسوة وصعوبة.

الرسالة التي أوصلها فانغر عبر شاشة التلفزيون مغزاها أنه مستعد للقتال، وأن الحرب ستكلف وينرشتروم غالياً.

انتقت برجر كلماتها بعناية وحذر. لم تقل الكثير إلا أن كلامها حول أن المجلة لم تدلُ بدلوها حول المسألة كوّن انطباعاً بأن هناك ما لم يتم الإفصاح عنه بعد. وعلى الرغم من إدانة بلومفيست وصدور حكم بحقه، ووجوده وراء قضبان السجن الآن، خرجت وقالت وإن بكلمات قليلة إنه كان بريئاً من تهمة التشهير والذم وإن هناك حقيقة أخرى سيتم الإفصاح عنها. ولأنها لم تلجأ إلى كلمة «بريء» تحديداً، بدت براءته أكثر وضوحاً من أي وقت مضى. أما حقيقة عودته إلى مركزه السابق كناشر للمجلة، فهي تؤكد على أن «ميلينيوم» لا تشعر بأنها تخجل من أي شيء مطلقاً. في نظر الرأي العام لم تكن المصداقية هي المشكلة فالجميع يحب نظرية المؤامرة، وعند الاختيار بين أثرياء رجال الأعمال ورئيس تحرير مشهور وجذاب، لم يكن من الصعب تحديد وجهة تعاطف الرأي العام. إلا أن

الإعلام ما كان ليلتقط الطعم بهذه السهولة، على الرغم من قيام برجر بتجريد عدد من النقاد من سهامهم الموجعة.

لم يسهم أي من أحداث اليوم في تغيير الوضع أساساً، إلا أنهم قاموا بشراء الوقت وتغيير موازين القوى قليلاً. تصوّر بلومفيست أن وينرشتروم أمضى ربما ليلة مزعجة. ما كان لوينرشتروم أن يعلم مدى معرفتهم أو عدمها بالأمر وقبل أن يقدم على خطوته التالية كان ينبغي له أن يعرف كم هم يعرفون.

بتعابير يغلب عليها الوجوب أطفأت برجر جهاز التلفزيون والـVCR بعد أن شاهدت مقابلة لها ومن ثم لفانغر. كانت الساعة الثانية وخمساً وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل وأجبرت برجر نفسها على أن تكبح رغبة جامحة للاتصال ببلومفيست. كان محتجزاً وراء القبضان ومن غير المرجح أن يكون مسموحاً له بأن يحمل هاتفه النقال معه. كانت قد وصلت إلى المنزل في وقت متأخر جداً بحيث وجدت زوجها نائماً. ذهبت إلى طاولة المشروب وسكبت لنفسها كمية كبيرة من جعة Aberlour، وكانت لا تتناول الكحول إلا مرة واحدة تقريباً في العام. جلست بجانب النافذة تنظر عبر سالستجون إلى المنارة الموجودة على مدخل «سوكرو ساوند».

دار جدال حاد بينها وبين بلومفيست حين صارا وحدهما بعد أن وقّعت الاتفاق مع فانغر. سبق أن صمدا أمام عواصف ونقاشات حادة كثيرة تتعلق بزاوية معالجة إحدى القضايا وكتابة المقالات، وتصميم غلاف المجلة وتقييم صدقية المراجع التي أخذت منها المعلومات وآلاف الأمور الأخرى المرتبطة بالمجلة. إلا أن الجدال الذي دار في منزل فانغر للضيوف لامس عدة مبادئ جعلتها تعي أن وضعها متأرجح.

قال لها بلومفيست: «لا أعلم ما الذي أفعله الآن، لقد وظفني هذا الرجل لأكتب له سيرة حياته. وكنت حتى هذه اللحظة أشعر بحرية المغادرة لحظة يحاول أن يطلب مني أن أكتب أمراً مزوراً، أو يحاول

إقناعي بتشويه القصة بطريقة لا ترضيني. إنه اليوم مالك جزء من أسهم مجلتنا والوحيد الذي يملك مصادر لإنقاذ مجلة 'ميلينيوم'. وها أنا فجأة أجلس على الحياد في موقع لن يوافق عليه مطلقاً مجلس من الأخلاقيين المحترفين.»

سألته برجر: «وهل لديك فكرة أفضل؟ لأنه إذا كانت لديك فكرة واحدة تكلم وأفصح عنها قبل أن تتم طباعة العقد والتوقيع عليه.»

«ريكي، إن فانغر ذاك يستغلنا في نوع من تحقيق ثأره الخاص من وينرشتروم.»

«ماذا لو كان هذا صحيحاً فعلاً؟ نحن لدينا ما نثأر من وينرشتروم لأجله.»

ابتعد بلومفيست عنها وأشعل سيجارة.

دام نقاشهما فترة طويلة ذهبت بعدها برجر إلى غرفة النوم وخلعت ملابسها وأوت إلى الفراش. ادعت أنها غارقة في النوم حين اندسّ في السرير إلى جانبها بعد ساعتين.

هذا المساء طرح عليها صحافي من *Dagens Nyheter* السؤال نفسه: «كيف ستتمكن مجلة 'ميلينيوم' أن تؤكد استقلاليتها بمصداقية؟»

«ما الذي تقصده من السؤال؟»

ظن المراسل الصحفي أن سؤاله كان واضحاً بما يكفي إلا أنه أعاد صياغته بطريقة أخرى.

«أحد أهداف مجلة 'ميلينيوم' هو التحقيق في شؤون المؤسسات. كيف ستتمكن المجلة الادعاء بطريقة موثوقة وصادقة أنها تحقق بشؤون مؤسسات 'فانغر'؟»

نظرت برجر إليه متعجبة وكأنها لم تكن تتوقع السؤال مطلقاً.

«وهل تلمّح إلى أن مصداقية 'ميلينيوم' تضاءلت لأن أحد كبار الرأسماليين المشهورين الذي يمتلكون مصادر هامة قد دخل الصورة الآن.»

«لا تستطيعون التحقيق في قضايا مؤسسة 'فانغر' بشفافية الآن.»

«أهذه قاعدة تنطبق حصراً على مجلة 'ميلينيوم'؟»

«عذراً؟»

«أعني أنكم تعملون في مؤسسة تملك معظم أسهمها شركات أخرى، فهل يعني هذا أن أياً من صحف البلد التي تنشرها مجموعة Bonnier لا يتمتع بالمصداقية؟ إن *Aftonbladet* تملكها مؤسسات نرويجية كبرى تشكل بدورها لاعباً أساسياً في قطاع الاتصالات والتكنولوجيا، فهل يعني ذلك أن كل ما تنشره *Aftonbladet* حول صناعة الإلكترونيات ليس موثوقاً؟ شركة Metro تملكها مجموعة Stenbeck. فهل تقول إن ما من شركة في السويد لها مصالح اقتصادية هامة تتمتع بالمصداقية؟»

«كلا، بالطبع لا أقصد هذا.»

«لماذا تلمّح إذاً إلى إمكانية تضاؤل مصداقية 'ميلينيوم' لأن هناك من يساندها ويقدم لها الدعم؟»

رفع الصحافي يده وقال: «حسناً، سوف أسحب السؤال.»

«كلا، لا تفعل. بل أريدك أن تطبع ما قلته تماماً. ويمكنك أن تضيف أنه إذا وعدت *Dagens Nyheter* أن تركز قليلاً بعد على مؤسسة 'فانغر'، فسنركز أكثر قليلاً على مجموعة Bonnier.»

لكن تلك لم تكن معضلة أخلاقية.

فبلومفيست كان يعمل لدى هنريك فانغر، الذي كان في موقع يمكنه إغراق «ميلينيوم» بجرة قلم. ما الذي يمكن أن يحصل لو صار كل من بلومفيست وفانغر عدوين؟

وفوق كل هذا، فأي كلفة ستكون ثمن صدقيتها، ومنذ متى تحولت من محررة مستقلة إلى أخرى فاسدة؟

أغلقت سالاندر صفحات مفكرتها وأقفلت جهاز الـPowerbook،

كانت من دون عمل وجائعة. لم تقلقها حالة البطالة كثيراً لأنها استعادت السيطرة على حسابها المصرفي أما بيورمان فاتخذ صورة الذكرى المشوشة المزعجة من الماضي. داوت جوعها بأن شغلت آلة صنع القهوة وحضرت ثلاثة سندويشات من خبز الجودار مع الجبنة والكافيار والبيض المسلوق جيداً. تناولت وجبتها المسائية على أريكة غرفة الشتاء بينما هي تعمل على المعلومات التي جمعتها.

لقد استخدمها المحامي فرود من هيدستاد لتقوم بحقيق حول ميكائيل بلومفيست، الصحافي الذي حُكم عليه بالسجن بتهمة التشهير بحق الرأسمالي الكبير هانس-إريك وينرشتروم. بعد مرور بضعة أشهر فقط فإن هنريك فانغر من هيدستاد أيضاً انضم إلى مجلس إدارة مجلة بلومفيست مدّعياً أن هناك مؤامرة تهدف للقضاء على المجلة. ويجري كل هذا في اليوم ذاته الذي يذهب فيه الأخير إلى السجن. وأكثر ما أثار دهشتها، هو مقالة نُشرت قبل سنتين حول هانس-إريك وينرشتروم بعنوان «بيدين فارغتين»، عثرت عليها في إحدى المجلات الإلكترونية المدعوة *Monopoly Financial Magazine*. يبدو أنه قد بدأ حياته المهنية في مؤسسات «فانغر» نفسها في أواخر الستينيات.

لا يجدر بالمرء أن يكون عالماً فذاً ليدرك أن تلك الأحداث مرتبطة بعضها ببعض بطريقة ما. لا بد أن يكون هناك مخططٌ بحثٍ ما في الخزائن وسالاندر تعشق البحث عن المخططات وتعقبها. كما أنه ليس لديها ما تشغل نفسها به في الوقت الراهن.

الجزء الثالث

الاتحادات

16 مايو حتى 11 يوليو

13% من النساء في السويد يتعرضن للاعتداء الجنسي الوحشي خارج إطار العلاقة الجنسية الطبيعية.

الفصل الخامس عشر

الجمعة، 16 مايو ـ السبت، 31 مايو

أُطلق سراح بلومفيست من سجن رولاكر يوم الجمعة في السادس عشر من مايو أي بعد شهرين من بدء تنفيذه للحكم. يوم دخوله الزنزانة، تقدّم بطلب إطلاق سراح مشروط دون أن يحدوه أمل كبير فعلاً بحصول ذلك. لم يفهم فعلاً الأسباب التقنية التي تقع خلف إطلاق سراحه، لكن يمكن أن تكون للأمر علاقة بحقيقة عدم خروجه في العطل المسموح له بها، وبعدد نزلاء السجن الذي بلغ اثنين وأربعين سجيناً في حين أن عدد الأسرّة لا يتعدى الواحد والثلاثين. وبأي حال، قام آمر السجن، بيتر ساروسكي أحد المنفيين البولنديين البالغ الأربعين من العمر، والذي كانت تربطه علاقة جيدة ببلومفيست بكتابة رسالة توصية تدعو إلى تقصير مدة حكمه.

لم تكن الفترة التي أمضاها في سجن رولاكر ضاغطة أو مزعجة. فالسجن كان مصمماً، كما يقول ساروسكي، للمهمجيين والسائقين الثملين، وليس للمجرمين السفّاحين. العادات الروتينية اليومية كانت تذكّره بالعيش في منزل للطلبة الشبان. رفاقه السجناء، ونصفهم من مهاجري الجيل الثاني، كانوا ينظرون إلى بلومفيست على أنه طائر نادر يحلّق خارج السرب. فقد كان النزيل الوحيد الذي ظهر على شاشة التلفزيون مما منحه مرتبة معينة بين الآخرين.

في اليوم الأول تم استدعاؤه لإجراء حديث وقدّم له علاجاً وتدريباً

من Komvux، أو فرصة الحصول على تعليم البالغين الآخرين، والاستشارات المهنية. لم يشعر أنه بحاجة إلى أي من ذاك التأهيل الاجتماعي، إذ فكر أنه أنهى دراسته وقد سبق له أن حصل على وظيفة. غير أنه من ناحية أخرى، طلب السماح له إبقاء جهاز الـiBook في زنزانته بحيث يتمكن من إنهاء العمل على الكتاب الذي كان قد أوكل إليه إنجازه. استجيب طلبه من دون إحداث أي ضجيج حول المسألة، وتدبّر له ساروسكي أمر الحصول على خزانة مزودة بقفل كي يتمكن من ترك جهازه في الزنزانة. ولا يعود ذلك إلى احتمال قيام النزلاء الآخرين بسرقته أو تخريبه أو شيء من هذا القبيل لأنهم كانوا يبقون أعينهم عليه ويقومون بحمايته.

وعلى هذا النحو، أمضى بلومفيست شهرين يعمل حوالى ست ساعات في اليوم على كتابة تاريخ عائلة «فانغر»، وهو عمل لم يكن يقطعه سوى ساعات قليلة يقوم خلالها بأعمال التنظيفات أو التسلية كل يوم. إذ كان قد تمّ تعيين بلومفيست وآخرين، أحدهم من سكوفد من أصل تشيلي، لتنظيف النادي الرياضي للسجن يومياً. أما التسلية فكانت تنطوي على مشاهدة التلفزيون ولعب الورق أو رفع الأثقال. اكتشف بلومفيست أنه لاعب بوكر مقبول، على الرغم من أنه كان يخسر بعض النقود من فئة الخمسين أوراً في اليوم. كانت القوانين تسمح بحصول مراهنات على المال شرط ألا يتخطى المجموع العام خمسة كورونات.

أُبلغ خبر إطلاق سراحه قبل يوم واحد فقط من تنفيذ القرار. استدعاه ساروسكي إلى مكتبه وتناولا نخب الخبر باحتساء الـ aquavit (ماء الحياة).

توجّه بعد خروجه مباشرة إلى كوخه في هيديبي. لم يكن قد خطا السلالم بعد حتى سمع مواءً مألوفاً فالتفت ليجد أن الهرّة البنية كانت في استقباله.

قال لها: «حسناً، يمكنك الدخول، لكني لم أشتر الحليب بعد.»

بدأ يفرغ حقائبه من محتوياتها. كان الأمر كما لو يعود من في عطلة وأدرك أنه يفتقد في الواقع ساروسكي ورفاقه السجناء. على الرغم من التفاهة التي يبدو عليها الوضع، فقد استمتع بوقته في سجن رولاكر إلا أن إطلاق سراحه جاء على نحو غير متوقع تماماً بحيث لم يتسنَّ له الوقت لإبلاغ الآخرين.

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة مساءً بقليل حين سارع إلى متجر «كونوسم» لشراء بعض الخضار قبل أن يحين موعد الإقفال. وعندما عاد إلى المنزل اتصل ببرجر. سمع صوتها عبر رسالة مسجلة تقول إنها غير متوفرة للرد على الهاتف. قام بترك رسالة تطلب إليها الاتصال به في اليوم التالي.

ثم ذهب إلى منزل رئيس عمله سيراً على الأقدام. وجد فانغر في الطابق السفلي. رفع الرجل العجوز حاجبيه تعجباً حين رأى ميكائيل يقف أمامه.

«هل هربت من السجن؟»

«بل أُطلق سراحي قبل الموعد المحدد.»

«إنها فعلاً مفاجأة.»

«بالنسبة لي هي كذلك أيضاً. لم أعلم بالأمر إلا الليلة الماضية.»

نظر أحدهما إلى الآخر بضع ثوانٍ. ومن ثم فاجأ الرجلُ العجوزُ بلومفيست بأن رمى ذراعيه حوله وطوّقه في عناق حار.

«كنت على وشك تناول طعام العشاء. انضم إليّ.»

كانت آنا قد أعدّت كمية هائلة من فطائر التوت. وجلس الرجلان في غرفة تناول الطعام وتحدثا لما يقارب الساعتين من الوقت. أخبره بلومفيست خلالهما عن التقدم الذي يحرزه في كتابة تاريخ العائلة وأطلعه على مكامن النقص والثغرات. لم يأت أي منهما على ذكر قصة هارييت مطلقاً، غير أن فانغر أخبره كل شيء عن «ميلينيوم».

«لقد عقدنا اجتماعاً لمجلس الإدارة. السيدة برجر وشريكك السيد مالم كانا غاية في اللطف بحيث وافقا على عقد اجتماعين هنا، في حين مثّلني ديرك في الاجتماع الذي عقد في ستوكهولم. أتمنى فعلاً لو أنني أصغر ببضع سنوات، لكن الحقيقة أن السفر إلى أمكنة بعيدة أمر مضنٍ بالنسبة لي. سأحاول الذهاب إلى هناك خلال الصيف.»

قال له بلومفيست: «ما من سبب يمنع عقد الاجتماعات هنا. إذاً كيف يبدو الأمر حين يكون المرء مالكاً لأسهم في مجلة؟»

افترّ ثغر فانغر عن ابتسامة ماكرة.

«إنها في الواقع التجربة الأكثر تسلية التي عشتها منذ سنوات. ألقيت نظرة على الأحوال المالية للمجلة ووجدتها مقبولة جداً. لن أضطر لتوظيف مبالغ مالية كبرى كما كنت أتصور. فالفارق بين المداخيل والنفقات يتضاءل.»

«تحدثت إلى إريكا هذا الأسبوع. أخبرتني أن عائدات الإعلانات تمر في حالة انتعاش.»

«صحيح أن الأمور قد بدأت تتغير، لكنها تتطلب وقتاً. في البداية قامت الشركات التي تنضوي تحت لواء فانغر بشراء مساحات إعلانية تمتد على صفحات كاملة. إلا أن جهتين معلنتين سابقتين، وهما شركة بيع هواتف نقالة ومكتب سفريات، عادتا لنشر إعلاناتهما على صفحات المجلة كذلك.»

اتسعت ابتسامته أكثر وهو يضيف: «سنمارس الضغط كذلك على كافة أعداء وينرشتروم، واللائحة تطول صدّقني.»

«هل سمعت رأي وينرشتروم مباشرة؟»

«حسناً، ليس تماماً، إلا أننا بثثنا إشاعة مفادها أن وينرشتروم ينظّم لمقاطعة مجلة 'ميلينيوم'. لا بدّ أن ذلك جعله يبدو تافهاً وصغيراً. يقال إن صحافياً من *Dagens Nyheter* قد قابله وحصل على إجابة أكيدة.»

«أنت لا تستمتع بما يحصل، أليس كذلك؟»

«المتعة ليست الكلمة المناسبة التي تعبّر عن الوضع. كان يجب أن أكرس نفسي لهذا منذ سنوات.»

«ماذا يوجد بينك وبين وينرشتروم بأي حال؟»

«لا تحاول ذلك معي فلن تنجح. ستعرف ما الذي بيننا عند نهاية العام.»

حين غادر بلومفيست منزل فانغر حوالى الساعة التاسعة مساءً، كان هناك شعور جليّ أن الربيع يلوح في الأفق. كان الظلام يخيم على المكان في الخارج، وتردد في متابعة المسير للحظة. ثم قام بدورته المعتادة وطرق باب منزل سيسيليا فانغر.

لم يكن واثقاً مما يُفترض أن يتوقعه هناك. اتسعت عينا سيسيليا وبدا الانزعاج فوراً على ملامحها وهي تدعوه للدخول إلى قاعة الاستقبال. وقف كل منهما في مكانه غير واثق فجأة بموقفه من الآخر. سألته إن كان قد هرب من السجن كذلك، وشرح لها الأمر مجدداً.

«أردت أن ألقي التحية وحسب. هل أقاطعك عن شيء ما؟»

تفادت نظراته، وانتاب ميكائيل شعور مفاجئ أنها لم تكن سعيدة لرؤيته.

«كلا... كلا، تفضل بالدخول. هل ترغب في تناول القهوة؟»

«أجل.»

لحقها إلى المطبخ، حيث وقفت تدير له ظهرها بينما تملأ آلة صنع القهوة بالماء. وضع يده على كتفها فتصلّبت.

«سيسيليا لا تبدين أنك راغبة فعلاً في إعداد القهوة لي.»

أجابته: «لم أكن أتوقع قدومك إلا بعد شهر. لقد فاجأتني.»

أدارها نحوه بحيث يتمكن من رؤية ملامح وجهها. وقف الاثنان في صمت مطبق للحظة بدت زمناً. ومع ذلك ظلت تتفادى النظر في عينيه.

«انسي أمر القهوة سيسيليا، أخبريني ماذا يجري.»

هزت رأسها وأخذت نفساً عميقاً.

«أود منك أن ترحل ميكائيل. لا تطرح أي أسئلة، ارحل وحسب.»

مشى بلومفيست أولاً ناحية الكوخ لكنه توقف أمام البوابة للحظة متردداً. وبدلاً من الدخول نزل إلى حافة المياه عند الجسر وجلس على صخرة. أشعل سيجارة وقام بتدخينها بينما ينظّم أفكاره ويتساءل عن السبب الذي غيّر موقف سيسيليا فانغر منه كلياً.

فجأة سمع صوت هدير محرك ورأى قارباً كبيراً أبيض اللون يسير على صفحة المياه تحت الجسر. حين مرّ المركب، رأى ميكائيل مارتن يقف خلف المقود ويركّز على تفادي الصخور الغارقة في المياه. كان المركب بطول أربعين قدماً مزوّداً بمحرّك، إنه هيكل ضخم رائع ينبض بالقوة. نهض بلومفيست من مكانه ومشى باتجاه الشاطئ. وجد أن هناك عدداً من المراكب موجود أصلاً في المياه، عند الأرصفة، ومراكب شراعية وأخرى مزودة بمحركات. كما كانت هناك عدة مراكب من نوع Pettersson، وعند أحد الأرصفة كان هناك مركب من فئة IF يتأرجح فوق صفحة المياه في أعقاب المراكب الأخرى. أما المراكب الأخرى الموجودة في المكان فكانت أكبر حجماً وأغلى ثمناً. لاحظ أن أحدها من نوع Hallberg-Rassy. وتشير المراكب كذلك إلى التوزيع الفئوي لرصيف هيديبي، فمارتن فانغر من دون أدنى شك كان يمتلك المركب الأضخم والأكثر روعة الذي يمكن أن تراه من الشاطئ.

توقف تحت منزل سيسيليا فانغر واسترق نظرة إلى الطابق العلوي حيث لا تزال الأنوار مضاءة. ومن ثم تابع طريقه إلى المنزل وأخذ يعدّ القهوة. ذهب إلى مكتبه بانتظار أن تصبح القهوة جاهزة.

كان قبل ذهابه إلى السجن، قد قام بإعادة غالبية الوثائق التي أعطاه إياها فانغر والمتعلقة بهاربيت. بدا له تركها في منزل فارغ فكرة غير سديدة. بدت الرفوف الآن جرداء. إذ لم تكن لديه سوى خمسة تقارير

فقط مأخوذة من دفتر مذكرات فانغر نفسه، إضافة إلى تلك التي اصطحبها معه إلى سجن رولاكر والتي بات يحفظها عن ظهر قلب الآن. لاحظ أنه نسي أحد ألبومات الصور على الرف الأعلى للمكتبة.

حمله معه إلى طاولة المطبخ وسكب لنفسه بعض القهوة وأخذ يتصفحه.

كان يتضمن صوراً التقطت يوم اختفاء هارييت تحديداً. والصورة الأولى فيه كانت الأخيرة التي التقطت لهارييت في مهرجان عيد الطفل في هيدستاد. ومن ثم كانت هناك حوالي مئة وثمانين صورة واضحة جداً لمشهد الحادث الذي وقع على الجسر. وقد سبق له في مناسبات عديدة أن عاين كل صورة على حدة مستعيناً بعدسة للتكبير. أما الآن فقد كان يقلّب الصفحات بشبه ذهول إذ كان يعلم أنه لن يجد شيئاً جديداً لم يره من قبل. حتى إنه شعر فجأة بالسأم من قصة اختفاء هارييت فانغر تلك غير المبررة وأغلق الألبوم بحنق.

كان مضطرباً، ذهب إلى نافذة المطبخ وأخذ يحدّق في الظلام. ومن ثم عاد ينظر إلى الألبوم على الطاولة. لم يكن بمقدوره أن يفسر الشعور الذي انتابه في تلك اللحظة، إلا أن فكرة ما التمعت في رأسه وتخيّل إليه أنه تصرّف على هذا النحو كردّ فعل على ما رآه لتوّه في الألبوم. بدا له أن مخلوقاً ما غير مرئي قد همس له في أذنه وجعل شعر أسفل عنقه يقف.

عاد يفتح الألبوم مجدداً، ويتصفحه ورقة ورقة، يتمعّن في كافة الصور التي التُقطت من على الجسر. نظر إلى النسخة الشابة من هنريك فانغر مغمساً بالزيوت والشحوم، ولهارالد كذلك وهو لا يزال أكثر شباباً، وهو رجل لم يصادف أن التقاه بعد حتى اللحظة. الدرابزين المكسور والأبنية والسيارات كانت كلها تظهر جلياً في الصور. لم يجد صعوبة في التعرف إلى سيسيليا الشابة كذلك تنظر إلى المشهد من بين الحضور. كانت ترتدي فستاناً زاهي الألوان وسترة قاتمة اللون وتظهر في عشرين صورة على الأقل.

شعر بحماسة غريبة تتولد في أعماقه، وقد تعلّم بلومفيست على مدى سنوات خبرته الطويلة أن يثق بحدسه. كان حدسه الآن يصدر ردّ فعل ما على صورة موجودة في الألبوم لكنه لا يستطيع بعد أن يحددها.

كان لا يزال جالساً على كرسي المطبخ بجانب الطاولة عند الساعة الحادية عشرة مساءً، يحدّق إلى كل صورة على حدة عندما سمع صوت الباب يفتح.

«هل لي بالدخول؟» سألته سيسيليا فانغر. ومن دون أن تنتظر الردّ، جلست قبالته على كرسي طاولة المطبخ. انتاب بلومفيست شعور غريب ينبئه أنه سبق له أن رأى مثل هذا المشهد من قبل وكأنه شريط يستعرضه الآن مجدداً. كانت ترتدي ثوباً فضفاضاً زاهي الألوان مصنوعاً من قماش شبه شفاف وسترة زرقاء تميل إلى الرمادي، كانت ملابسها تشبه تماماً تلك التي كانت ترتديها في الصور المأخوذة عام 1966.

قالت له: «أنت هو المشكلة.»

رفع بلومفيست حاجبيه متعجباً لكلامها.

«سامحني، لكنك فاجأتني بظهورك أمامي حين طرقت باب منزلي الليلة. وها أنا الآن أشعر بحزن يمنعني من النوم.»

«ولماذا أنت حزينة؟»

«ألا تعرف السبب؟»

هز رأسه نفياً.

«وإن أخبرتك فهل تعدني ألا تضحك ساخراً مني؟»

«أعدك.»

«حين قمت بإغرائك الشتاء الماضي كان ذلك تصرفاً غبياً متهوراً. أردت الاستمتاع بالأمر، هذا كل شيء. في الليلة الأولى التي أمضيناها معاً كنت بغاية الثمل ولم أكن أنوي بناء علاقة طويلة الأجل من أي نوع كان معك. ثم تغيّرت الأمور واتخذت منحىً آخر. أريدك أن تعلم أن

الأسابيع القليلة التي أمضيناها معاً وأنت تلعب دور العشيق كانت من أجمل أيام حياتي.»

«أظن الأمر كان جميلاً بالنسبة لي أيضاً.»

«ميكائيل، أنا كنت أكذب عليك وعلى نفسي كذلك. لم أكن يوماً مرتاحة تماماً بممارسة الجنس. كان لدي خمس شركاء جنسيين طوال حياتي. أولاً حين كنت في الحادية والعشرين من عمري أي حين كنت عزباء. ثم مع زوجي، الذي التقيته حين كنت في الخامسة والعشرين من عمري والذي تبيّن في ما بعد أنه مجرد سافل منحط. ومن ثم مارست الجنس بضع مرات مع ثلاثة شبان آخرين كنت قد التقيت كلاً منهم خلال سنوات متباعدة. لكنك أنت أيقظت شيئاً ما في داخلي. ببساطة لم أتمكن من أن أشبع منك. إنه أمر يتعلق بحقيقة عدم تطلّبك البتّة.»

«سيسيليا ليس عليك أن...»

«اصمتْ ولا تقاطعني، وإلا لن أتمكن من إخبارك بما جئت لقوله.»

جلس بلومفيست بصمت مصغياً.

«يوم غادرتَ إلى السجن شعرتُ بالأسى. إذ إنك رحلت هكذا ببساطة وكأنك لم تكن أصلاً. كان منزل الضيوف هذا معتماً. وكان سريري بارداً وخالياً. وعدتُ من جديد تلك العزباء المطلّقة ذات السنوات الست والخمسين.»

صمتت عن الكلام للحظة وأخذت تتأمّل عيني بلومفيست.

«وقعت في حبك الشتاء الماضي. لم أقصد ذلك لكنه حصل. ثم قمت بجردة حساب لكل ما مضى وأدركت أن وجودك هنا ليس سوى أمر مؤقت وأنك يوماً ما سترحل للأبد، وأنا سأبقى هنا لأمضي بقية حياتي. يؤلمني ذلك كثيراً لدرجة أني قررت عدم السماح لك بدخول منزلي مجدداً بعد عودتك من السجن.»

«آسف.»

«إنها غلطتي أنا وليس ذنبك. حين رحلت الليلة جلست وبكيت.

أتمنى لو أني أحظى بالفرصة لأن أعيش حياتي من جديد، لكنت قررت أمراً واحداً حينئذ.»

«وما هو ذلك؟»

خفضت نظرها إلى الطاولة أمامها.

«أنه يجب أن أكون مختلفة بالكامل كي أقرر التوقف عن رؤيتك لمجرد أنك ستغادر يوماً ما. هل يمكن أن نبدأ مجدداً ميكائيل؟ هل يمكن أن تنسى ما حصل في وقت سابق من هذه الأمسية؟»

قال لها: «أصبح الأمر طيّ النسيان. لكني أشكرك لأنك أخبرتني.»

كانت لا تزال تنظر إلى الطاولة أمامها.

«إن كنت لا تزالين ترغبين فيّ فلنقم بالأمر الآن.»

عادت تنظر إليه. ثم نهضت وتوجهت إلى باب غرفة النوم. أسقطت سترتها على الأرض ورفعت الثوب تخرجه من رأسها وهي تمشي.

لم يستيقظ بلومفيست وسيسيليا فانغر إلا حين اجتاز أحدهم عتبة الباب الأمامي ودخل المطبخ. سمعا صوت شيء ما يسقط محدثاً ضجة مدوية في المنزل بالقرب من الموقد. ومن ثم كانت برجر تقف عند باب غرفة النوم وابتسامة عريضة تعلو وجهها وسرعان ما تختفي. تراجعت خطوة إلى الوراء وقالت: «آه يا إلهي.»

قال بلومفيست: «مرحباً إريكا.»

«مرحباً، آسفة. أعتذر ألف مرة لاقتحامي المكان على هذا النحو. كان يفترض بي أن أطرق الباب أولاً.»

«بل كان يفترض بنا نحن أن نقفل الباب الأمامي. إريكا، هذه سيسيليا فانغر. سيسيليا، إريكا برجر هي رئيسة تحرير المجلة.»

قالت سيسيليا: «مرحباً.»

أجابتها برجر: «مرحباً.»

بدت حائرة وكأنها لا تستطيع أن تتخذ القرار ما إذا كانت تتقدم

وتصافحها بلياقة، أو تغادر ببساطة. «لا بأس، أستطيع أن أذهب في نزهة.»

«ما رأيك لو تضمين إبريق القهوة على النار بدلاً من ذلك؟» نظر بلومفيست إلى المنبه على الطاولة بجانب السرير، فلاحظ أن الوقت قد تجاوز الظهر.

هزت برجر رأسها وأغلقت باب الغرفة. نظر كل من بلومفيست وسيسيليا أحدهما إلى الآخر. بدت سيسيليا مُحْرَجة. لقد مارسا الحب وتحدثا حتى الرابعة فجراً. ومن ثم قالت له سيسيليا إنها تظن أنها ستنام في منزله وأنها لن تأبه البتة في المستقبل لمن قد يعرف بشأن علاقتها ببلومفيست أو أنها تقيم علاقة معه. نامت تدير ظهرها له ويحيطها بذراعيه واضعاً يديه على نهديها.

قال لها: «اسمعي، لا بأس بالأمر. إريكا امرأة متزوجة وهي ليست عشيقتي، يرى أحدنا الآخر بين الحين والآخر. لكنها لا تأبه البتة إن كانت هناك علاقة بيننا أو ما شابه... على الأرجح أنها تشعر بالإحراج الآن.»

حين ذهبا إلى المطبخ بعد برهة، وجدا أن إريكا قد أعدّت القهوة والعصير ومربى قشر الليمون، والجبنة والخبز المحمّص. كانت الرائحة شهية. ذهبت سيسيليا إليها مباشرة ومدّت يدها قائلة: «سارت الأمور بسرعة هناك، مرحباً بك.»

ردّت إريكا برجر بحرج شديد: «عزيزتي سيسيليا، أنا آسفة جداً لاقتحامي الغرفة مثل فيل مجنون.»

«انسي الأمر بحق السماء ودعينا نتناول طعام الفطور معاً.»

بعد تناول الفطور معاً اعتذرت برجر عن البقاء وتركتهما وحدهما متذرعة بضرورة الذهاب لإلقاء التحية على فانغر. أخذت سيسيليا ترفع الأغراض عن الطاولة وهي تدير ظهرها لبلومفيست الذي أتى من خلفها وطوقها بذراعيه.

سألته سيسيليا: «وما الذي سيحصل الآن؟»

«لا شيء، هكذا تسير الأمور. إريكا أفضل صديقة لي. فأنا وهي تربطنا علاقة تعود إلى عشرين عاماً من المدّ والجزر ولعل تلك العلاقة ستدوم حتى عشرين عاماً مقبلاً. آمل ذلك. إلا أننا لم نشكل ثنائياً يوماً ولم يعترض أحدنا على العلاقات العاطفية للآخر.»

«أهذا ما يحصل بيننا؟ علاقة عاطفية؟»

«لا أدري ما نوع ما يحصل بيننا، لكن من الواضح أننا نتفق مع بعضنا البعض.»

«أين ستنام الليلة؟»

«ستجد غرفة لها في مكان ما. إحدى غرف هنريك الإضافية ربما. لن تنام في سريري بأي حال.»

فكرت سيسيليا في ما قاله للحظات.

هزت رأسها وقالت: «لا أعلم ما إذا كنت أستطيع تقبّل الأمر. لعلكما أنت وهي راضيان بهذا الحال، لكنني لا أعرف... لم يسبق لي أن... سأعود إلى منزلي. عليّ أن أعيد التفكير في الأمر برمّته.»

«لكنْ سيسيليا، سبق لك أن سألتني عن علاقتي بإريكا وأخبرتك. لا يمكن أن يشكل وجودها هنا مثل هذه المفاجأة لك.»

«هذا صحيح. لكن طالما أنها كانت بعيدة جداً في ستوكهولم، كان بإمكاني عندئذ تجاهلها.»

ارتدت سيسيليا سترتها.

ثم قالت تعلو وجهها ابتسامة: «الوضع غريب ومضحك. تعال لتناول العشاء في منزلي الليلة. أحضر إريكا معك، أظن أن رفقتها ستعجبني.»

كان سبق لإريكا أن حلّت مشكلة إيجاد مكان تنام فيه. إذ اعتادت في المرات السابقة التي كانت تأتي فيها إلى هيديبي لزيارة فانغر أن تنام في إحدى الغرف الإضافية، وقد سألته صراحة هذه المرة وبطريقة مباشرة ما إذا كانت تستطيع أن تحل مجدداً ضيفة على إحدى غرف النوم. بالكاد

استطاع هنريك إخفاء سعادته مؤكداً لها أنه مرحّبٌ بها في منزله في أي وقت تشاء.

مع إزالة تلك الرسميات والمجاملات من الطريق خرج بلومفيست وبرجر في نزهة فوق الجسر وجلسا على شرفة مقهى «سوزان» قبل أن يحين موعد الإقفال بقليل.

قالت له برجر: «أنا مغتاظة حقاً وممتعضة منك. أقود كل تلك المسافة للمجيء إلى هنا والترحيب بعودتك ونيلك الحرية لأجدك في السرير بين أحضان جميلة البلدة.»

«أنا آسف بهذا الشأن.»

لوّحت برجر بسبابة يدها تسأله: «منذ متى وأنت على علاقة بصاحبة النهدين الكبيرين تلك...»

«منذ أن أصبح فانغر صاحب أسهم في المجلة تقريباً.»

«حقاً.»

«وماذا تعنين بـ 'حقاً' تلك؟»

«مجرد فضول لا أكثر.»

«سيسيليا امرأة جيدة وهي تروقني.»

«أنا لا أنتقدك، بل أشعر بالإغاظة. إنها الحلوى المتوفرة رهن إشارتك، وأنا أضطر لاتباع حمية تمنعني عنك لفترة. كيف كانت الفترة التي أمضيتها في السجن؟»

«كانت أشبه بعطلة هادئة خالية من المشاكل. كيف تسير الأمور في المجلة؟»

«أفضل مما كانت عليه. للمرة الأولى خلال عام، تشهد عائدات الإعلانات ارتفاعاً. كانت في هذا الوقت من العام الماضي أكثر انخفاضاً، إلا أننا تخطينا الأزمة. وذلك بفضل هنريك. لكن المستغرب في الأمر أن نسبة المشتركين في المجلة في ارتفاع كذلك.»

«عادة ما تميل إلى التأرجح.»

«بمئة طريقة وطريقة. إلا أننا حصلنا على ثلاثة آلاف مشترك في الربع الماضي من العام. ظننت في البداية أن الأمر مجرد ضربة حظ، لكن الاشتراك في المجلة لم يتوقف البتة. إنها القفزة الأكبر التي حققناها يوماً في مجال الاشتراكات في المجلة. والمشتركون أصلاً لا يكفّون عن تجديد اشتراكاتهم. لم يتمكن أي منا فهم ما يحصل. إذ إننا لم نقم بأي حملات إعلانية. أمضى كريستر أسبوعاً كاملاً يقوم بجردة تستطلع نوع المنتسبين الجدد. أولاً هم جميعاً ينتمون إلى فئة جديدة من المشتركين. ثانياً، سبعون بالمئة من المنتسبين هم من النساء. في حين كنا معتادين أن يكون العكس هو الصحيح. وثالثاً، يمكن تصنيف أولئك المشتركين على أنهم من الموظفين ذوي الدخل المتوسط، من سكان الضواحي، كالأساتذة والمدراء المتوسطي الدرجات وموظفي الهيئات المدنية.»

«أتظنينها ثورة الطبقة المتوسطة ضد الرأسمالية؟»

«لا أعلم، لكن النسبة آخذة في الازدياد. وهذا سيعني نقلة نوعية في ملف الاشتراكات. قمنا بعقد مؤتمر لهيئة تحرير المجلة منذ أسبوعين وقررنا البدء بطرح مواضيع جديدة على صفحات المجلة. أريد عرض المزيد من المقالات حول قضايا مهنية ذات علاقة بقسم العلاقات الميدانية، والاتحاد السويدي للموظفين المحترفين، كما أود إضافة المزيد من التقارير التحقيقية حول شؤون المرأة على سبيل المثال.»

قال لها بلومفيست: «لا تلجئي إلى هذا النوع من التغيير، إن كنا نحصل على مشتركين جدد للمجلة فهذا يعني أن الناس تحب ما يُكتب على صفحات المجلة أصلاً.»

وجهت سيسيليا كذلك دعوة إلى فانغر لتناول العشاء في منزلها، للحدّ ربما من خطر التطرق إلى مواضيع شائكة خلال السهرة. وقامت بتحضير مرق لحم الغزال. أمضى بلومفيست ويرجر قسماً كبيراً من الوقت يناقشان مسار تطوّر مجلة «ميلينيوم» ومسألة المشتركين الجدد فيها، إلا أن

الحديث راح يتطرق لمسائل مختلفة. استدارت برجر فجأة نحو بلومفيست وسألته عن مدى تقدمه في المهمة الموكلة إليه.

«أعتمد على الانتهاء من مسودة قصة تاريخ العائلة في غضون شهر من أجل أن يطّلع هنريك عليها.»

علقت سيسيليا بالقول: «سيرة العائلة بروحية قصة 'عائلة آدامز'.»

اعترف بلومفيست: «بل إنها قصة تنطوي على بعض النواحي التاريخية.»

رمقت سيسيليا فانغر نظرة ذات معنى.

«هنريك لا يهتم فعلياً بمسألة السيرة التاريخية تلك يا ميكائيل. بل إنه يريد منك أن تحلّ له لغز حادثة اختفاء هارييت.»

لم ينطق بلومفيست بكلمة واحدة. منذ بداية علاقته بسيسيليا وهو يتحدث بنوع من الانفتاح حول قضية هارييت. وسبق لسيسيليا أن استنتجت أن تلك هي مهمته الحقيقية على الرغم من عدم إقدامه يوماً على الاعتراف بالأمر صراحة. ولم يسبق له قط طبعاً أن أخبر هنريك أنه ناقش الأمر مع سيسيليا. عقد فانغر حاجبيه الكثيفين حتى كادا يتلاصقان. أما إريكا فقد غرقت في صمت مطبق.

قالت سيسيليا: «عزيزي هنريك، أنا لست امرأة حمقاء، لا أعلم أي نوع من الاتفاقيات عقدته مع ميكائيل، لكن سبب إقامته هنا في هيديبي هو هارييت، أليس كذلك؟»

هز فانغر رأسه ونظر إلى بلومفيست.

ثم التفت نحو برجر وقال لها: «أخبرتك أنها حادة الذكاء، وأفترض أن ميكائيل قد سبق وشرح لك ما الذي يقوم به هنا في هيديبي.»

أومأت له.

«وأفترض أنك تعتقدين أنها مهمة لا معنى لها. كلا، لا ينبغي لك أن تقدمي إجابة على ما قلت. إنها مهمة تافهة ولا معنى لها فعلاً لكن عليّ أن أكتشف الحقيقة.»

أجابته برجر بطريقة دبلوماسية قائلة: «ليس لدي أي رأي في هذا الموضوع.»

«بالطبع لديك.» واستدار نحو بلومفيست وقال: «أخبرني، هل توصلت إلى أي جديد قد يضعنا على سكة التقدم في القضية؟»

تفادى بلومفيست أن تتلاقى نظراته بنظرات فانغر. فكّر تلقائياً في الشعور البارد، الأكيد، والجازم الذي انتابه الليلة الماضية. وقد رافقه هذا الإحساس طوال اليوم إلا أنه لم يتسنّ له الوقت لتصفح الألبوم مجدداً ومعاينة الصور. لكنه في النهاية نظر إلى فانغر وهزّ رأسه قائلاً: «كلا، لم أعثر على أيّ شيء قط.»

تمعّن فيه الرجل العجوز بنظرات ثاقبة، وامتنع عن الإدلاء بأي تعليق.

إلا أنه قال: «لا أعلم بشأنكم أيها الشباب، لكن بالنسبة لي، فقد حان موعد النوم. شكراً على العشاء سيسيليا. طابت ليلتك إريكا. دعيني أراك غداً قبل أن تغادري.»

عندما أغلق فانغر الباب الأمامي للمنزل خيّم الصمت على الجميع. وكانت سيسيليا من تكلم أولاً، فقالت: «ما معنى هذا كله ميكائيل؟»

«يعني أن هنريك يتحسّس ردود أفعال الآخرين كما جهاز قياس الزلازل. حين أتيت الليلة الماضية إلى كوخي، كنت أفتش في ألبوم الصور.»

«وماذا بعد؟»

«رأيت شيئاً ما. لست أعلم ما هو حتى الآن. إنه أمر تبلور إلى أن أصبح فكرة، لكنني فوتت مغزاها.»

«ما الذي كنت تفكر فيه إذاً؟»

«ما كنت قادراً على أن أجزم بعد ما هو. ومن ثم وصلت أنت.»

إحمرّ وجه سيسيليا خجلاً. تفادت نظرات برجر وخرجت من الغرفة متوجهة لإحضار المزيد من القهوة.

كان النهار دافئاً ومشمساً. براعم خضراء جميلة كانت قد بدأت بالظهور ووجد بلومفيست نفسه يدندن أغنية قديمة عن فصل الربيع بعنوان Blossom Time is Coming أي قد حان وقت ظهور البراعم. إنه يوم الاثنين وقد غادرت برجر البلدة باكراً.

حين ذهب إلى السجن في أواسط مارس الماضي، كانت الثلوج لا تزال تغطي الأرض. لكن ها إن أغصان أشجار البتولا اليوم تخضوضر والعشب يملأ جنبات الممر الضيق المؤدي إلى منزله الصغير. للمرة الأولى منذ عودته من السجن يحظى بفرصة التجول في كافة أرجاء جزيرة هيدبيي. عند الساعة الثامنة صباحاً، ذهب ليسأل آنا ما إذا كان يستطيع اقتراض قنينة حاروزية منها. تحدث بشكل مقتضب إلى فانغر الذي كان قد استفاق للتو من نومه وحصل منه على خارطة للجزيرة. أراد أن يطلع عن كثب على كوخ غوتفريد. سبق لفانغر أن أخبره بأن الكوخ قد أصبح ملكاً لمارتن فانغر وأنه بقي خالياً على مدى السنوات الطوال التي مرت عليه، وأن أحد الأقرباء قد يقترضه للمكوث فيه من وقت لآخر.

نجح بلومفيست في اللحاق بمارتن قبل مغادرته المكتب. سأله ما إذا كان يستطيع استعارة المفاتيح. افترّ ثغر مارتن عن ابتسامة ماكرة.

«أفترض أن سيرة العائلة قد وصلت الآن إلى الفصل الذي يتحدث عن هارييت.»

«أريد فقط أن ألقي نظرة...»

ما كان من مارتن إلا أن عاد حاملاً المفاتيح في غضون ثوان معدودة.

«لا بأس بالأمر إذاً؟»

«لو كان الأمر يعود لي أنا لقلت لك إن بإمكانك الإقامة هناك إذا

أحببت. لو أن الكوخ لا يقع على أبعد نقطة من الجهة الأخرى للجزيرة، لكان في الواقع أجمل بكثير من الكوخ الذي تقيم فيه حالياً.»

أعدّ بلومفيست القهوة وبعض السندويشات وملأ قارورة ماء قبل أن ينطلق في رحلته واضعاً طعام النزهة في حقيبة علقها فوق كتفه. اتبع ممرّاً ضيقاً على طول الخليج الواقع عند الجهة الشمالية لجزيرة هيديبي تنمو طبقة من الأعشاب الكثيفة على أجزاء منه. كان كوخ غوتفريد يحتل مكاناً يبعد حوالى الميل ونصف الميل عن القرية، ولم يستغرق قطع كل تلك المسافة سوى نصف ساعة لم يتعجّل خلالها الخطى أو يسرع في سيره.

لقد كان مارتن فانغر محقاً. حين وصل بلومفيست إلى منعطف ممر ضيق انفرجت أمامه مساحة مظللة بالقرب من الماء. كان منظر الخليج الصغير المنفتح على نهر «هيدي» مبهجاً للعين، وحوض هيدستاد إلى يساره والمرفأ الصناعي إلى يمينه.

تعجّب لعدم رغبة أحدهم في الانتقال للعيش في كوخ غوتفريد. كان المنزل الصغير عبارة عن هيكلٍ ريفي الطابع بسيط الهيئة مصنوعاً من ألواح الخشب الأفقية المصبوغة بنقاط قاتمة وسقف من القرميد وأطر نوافذ خضراء اللون وعتبة صغيرة عند الباب الأمامي. كان الكوخ مهملاً ومتروكاً من دون صيانة. فالطلاء حول أطر الأبواب والنوافذ قد بدأ يتقشّر. وما كان يفترض أن يكون مرجاً من الأعشاب الخضراء قد أضحى مساحة تنمو فيها أشجار صغيرة بارتفاع ياردة تقريباً. سوف تستغرق عملية جز العشب وتشذيب الأشجار والتنظيف يوماً كاملاً من العمل الشاق بمساعدة منجل ومنشار مناسبين.

فتح بلومفيست قفل الباب ثم فتح ستائر النوافذ من الداخل. بدا المكان أشبه بحظيرة قديمة لا تزيد مساحتها على ألف وثلاثمئة قدم. كانت الجدران من الداخل مغطاة بألواح خشبية والمنزل يتألف من غرفة واحدة مزودة بنوافذ كبيرة تطل على المياه من جانبَي الباب الأمامي، وسلالم داخلية تؤدي إلى طابق علوي يستعمل للمنامة عبارة عن شرفة

مفتوحة تقع في الجهة الخلفية للكوخ وتغطي نصف مساحة المكان. أسفل السلالم كان ركن صغير فيه موقد يعمل على الغاز، وطاولة وحوض لغسل الصحون. لم يكن الكوخ يحتوي سوى على بعض قطع الأثاث حيث يلتصق على الجدار إلى يسار الباب مقعد طويل وطاولة عرجاء آيلة للسقوط في أية لحظة، تعلوها مكتبة من رفوف مصنوعة من خشب شجر الساج. إلى الداخل من الجهة ذاتها خزانة ملابس واسعة. أما إلى يمين الباب فتوجد طاولة مستديرة وخمسة كراسٍ خشبية، وموقد يتوسط الجدار الجانبي.

لم تكن هناك كهرباء في الكوخ بل مصابيح عدة تعمل على غاز الكيروسين، وجهاز راديو ترانزستور صغير قديم من نوع «غراندنغ» يتدلى من إحدى النوافذ بهوائي استشعار مكسور. ضغط بلومفيست زر التشغيل لكن البطاريات كانت فارغة لا طاقة فيها.

صعد السلالم الضيقة وأخذ ينظر في أرجاء الفسحة المخصصة للمنامة. كان هناك سرير يتسع لشخصين وفراش لا يغطيه شيء إضافة إلى طاولة جانبية وخزانة من عدة أدراج.

أمضى بلومفيست فترة في تفتيش الكوخ. كانت المنضدة خاليةً إلا من بعض مناشف اليد وأغطية بدأت تفوح منها رائحة التعفن. وجد في الخزانة بعض ملابس العمل وقطعتين من الثياب التي يتم ارتداؤها فوق الملابس النظيفة للعمل وحذاء مطاطياً وحذاء تنس مهترئاً وموقداً يعمل على غاز الكيروسين. في الأدراج وجد أوراقاً وأقلاماً ودفتر رسم يخلو من أي رسوم وكدسة من البطاقات وبعض الشرائط التي توضع بين صفحتي كتاب. أما خزانة المطبخ فكانت تحتوي على صحون وأكواب وكؤوس والشموع وبعض علب الملح وأكياس الشاي وما شابه من أغراض المطبخ. وفي درج الطاولة هناك كانت أدوات تستعمل لتحضير الطعام.

لم يعثر سوى على بقايا تدل على اهتمامات ثقافية فوق رفوف

المكتبة التي فوق الطاولة. أحضر ميكائيل كرسياً ليصعد عليه ويرى ماذا كان يوجد على الرفوف. وجد على الرف الأسفل نسخاً من أعداد *Se*، *Rekordmagasinet*، *Tidsfordriv*، و*Lektyr* تعود إلى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات. كان هناك الكثير من أعداد *Bildjournalen* التي يرجع تاريخها لعامي 1965 و 1966، إضافة إلى *Matt Livs Novell* وبضعة كتب كوميدية مثل: *The 19, Phantomen*، و*Romans*. فتح صفحات إحدى نسخ *Lektyr* التي تعود للعام 1964 وابتسم لرؤيته مدى بساطة الصور المخالفة للزخرفة المبالغ فيها هذه الأيام.

كان نصف الكتب الموجودة عبارة عن قصص الألغاز ذات الغلاف الورقي من سلسلة «والشترومْ مانهاتن» وهي تضم: مجموعة «ميكي سبيلان» بعناوين مثل *Kiss me*، و*Deadly* ذات الأغلفة الكلاسيكية من تصميم بيرتيل هيغلاند. كما عثر على عدد كبير من كتب Kitty وبعض روايات Famous Five للمؤلف إينيد بلايتون إضافة إلى قصة ألغاز مزدوجة للكاتب سيفار ألرود بعنوان *The Metro Mystery*. ابتسم لتعرّفه إليها فوراً. كانت هناك كذلك ثلاثة كتب لآستريد ليندغرين، هي: *The Children of the Noisy Village*، *Kalle Blomkvist*، و *Pippi Longstocking*. على الرف الأعلى وجد كتاباً عن إذاعات الراديو ذات الموجات القصيرة، وكتابين حول علم الفلك ودليل الطيور وكتاب بعنوان *The Evil Empire* الذي يتحدث عن الاتحاد السوفييتي وآخر عن حرب الشتاء الفنلندي، وكتاب «الوثر» الديني، إضافة إلى كتاب *The Book of Hymns* وكتاب الإنجيل.

فتح الإنجيل وقرأ الكلمات المدونة على الغلاف الداخلي: هارييت فانغر، الثاني عشر من مايو، 1963. كان ذلك كتاب إنجيل التثبيت الخاص بها. أعاد الكتاب إلى الرف يغمره شعور بالحزن.

خلف الكوخ كانت هناك غابة من الأشجار وسقيفة تحتوي على أدوات مثل منجل ومطرقة وأداة جمع العشب وصندوق كبير مليء

بالمناشير والمساحيج وأدوات أخرى كثيرة. تناول كرسياً ووضعه عند العتبة وسكب لنفسه القهوة التي سبق أن أعدّها وحفظها في القنينة الحارورية. أشعل سيجارة وأخذ ينظر إلى خليج هيدستاد عبر قناع الأشجار المتشابكة.

كان كوخ غوتفريد أكثر تواضعاً مما كان يتوقع. هذا هو المكان الذي كان يلتجئ إليه والد هارييت ومارتن حين كانت العواصف تزعزع زواجه من إيزابيلا في أواخر الخمسينيات. جعل من هذا الكوخ بالذات ملجأً يأوي إليه ليثمل. وهناك في الأسفل بالقرب من رصيف الميناء لاقى حتفه غرقاً. لعل الحياة في الكوخ كانت ممتعة في أيام الصيف، لكن حين تهبط درجات الحرارة إلى ما دون الصفر لا بدّ أن المكان كان يبدو بارداً وتعيساً. وفقاً لما أخبره هنريك، استمر غوتفريد في العمل لدى مؤسسات «فانغر» حتى العام 1964، وهي سنوات تخللتها فترات من أوقات المرح الصاخبة. إن قدرته في الواقع على العيش في كوخ بصورة دائمة إلى حدّ ما، والظهور مع ذلك داخل مكاتب الشركة حليق الذقن نظيفاً مرتدياً بذلة رسمية وربطة عنق، يدلّ على اتباع نظام شخصي صارم للبقاء على قيد الحياة.

كما أن هذا هو المكان الذي غالباً ما كانت هارييت ترتاده حتى إنه كان الموقع الأول الذي بحثوا عنها فيه عندما اختفت. أخبره فانغر أنه خلال العام الأخير الذي سبق اختفاءها، كانت هارييت كثيراً ما تزور الكوخ لتمضي أيام نهاية الأسبوع والعطلات والأعياد بهدوء على ما يبدو. خلال فصل الصيف الأخير من حياتها عاشت في الكوخ مدة ثلاثة أشهر متتالية، لكنها ظلت مع ذلك تأتي إلى البلدة بشكل يومي. آنيتا فانغر، شقيقة سيسيليا، أمضت مع هارييت ستة أسابيع في الكوخ كذلك.

ما الذي كانت تفعله وحدها في مكان كهذا؟ لا بدّ أن مجلات *Mitt* و*Livs Novell* و*Romans* إضافة إلى عدد من الكتب حول Kitty كانت لها. ولعل دفتر الرسم كان لها أيضاً. حتى أن إنجيلها كان هنا.

كانت تريد أن تكون قريبة من والدها المتوفى، فهل كانت تلك فترة حداد احتاجت إليها لتخطي الفاجعة؟ أو أن للأمر علاقة بحضانتها الدينية؟ لقد كان الكوخ متقشفاً، فهل كانت تدّعي أنها تعيش في ديرٍ ما؟

مشى بلومفيست على طول الشاطئ متوجهاً إلى الناحية الشرقية الجنوبية، إلا أن الطريق كان يزخر بعدد من الوهاد وتنمو فيها بكثافة شجيرات العرعر مما جعل عبورها أمراً شبه متعذر. رجع إلى الكوخ وبدأ رحلة العودة إلى هيديبي. وفقاً لما تُظهره الخارطة كان هناك ممر عبر الغابات يؤدي إلى ما يدعى بالقلعة. استغرقه الأمر عشرون دقيقة ليعثر عليها بين الشجيرات المتشابكة. كانت القلعة تلك كل ما تبقّى من خط الدفاع الذي أقيم على طول الشاطئ إبّان الحرب العالمية الثانية، وهي عبارة عن غرف إسمنتية محصّنة تحت الأرض مع خنادق تتوزع حول بناء القيادة. كل شيء كان مغطى بالأعشاب الطويلة والأشجار القزمية.

سار نزولاً فوق الممر المؤدي إلى المنزل المركب القائم على المياه. بالقرب من المنزل هذا وجد حطام مركب Petterson. عاد إلى القلعة ومشى صعوداً نحو السياج، ها قد وصل إلى أوسترغاردن من الجهة الأخرى.

اتبّع الطريق المتعرجة عبر الغابة ذات الممرات الوعرة الموازية لحقول أوسترغاردن. كان يصعب سلوك الدرب بسبب مساحات واسعة من المستنقعات التي يتوجب الخوض فيها. وصل أخيراً إلى مستنقع توجد حظيرة في أسفله. استطاع أن يرى أن الطريق مسدود هناك على بعد مئة ياردة من الطريق المؤدية إلى أوسترغاردن.

وراء تلك الطريق تقع تلة تدعى سودربرجيت. تسلق بلومفيست المنحدر الوعر حتى أعلى التلة. قمة سودربرجيت كانت أشبه بصخر عمودي ينتصب قبالة الماء. سار على الحافة سالكاً الطريق إلى هيديبي. توقف هناك مطلاً على الأكواخ التي تشكل مساكن صيفية ليستمتع بمشهد

مرفأ الصيد القديم والكنيسة والكوخ الذي يقيم فيه هو. جلس على صخرة ملساء وسكب آخر قطرات القهوة الفاترة.

ظلت سيسيليا فانفر تحافظ على مسافة معينة. ولم يشأ بلومفيست أن يزعجها بإلحاحه، لذا انتظر أسبوعاً كاملاً قبل أن يقوم بزيارة لمنزلها. فدعته للدخول.

«لا بدّ أنك تظنني امرأة حمقاء. ناظرة محترمة في السادسة والخمسين من العمر تتصرف كمراهقة.»

«سيسيليا أنت امرأة ناضجة، ولديك الحق بأن تفعلي ما ترغبين فيه.»

«أعلم، ولهذا السبب قررت عدم رؤيتك مجدداً. لا أستطيع أن أحتمل...»

«أرجوك، أنت لا تدينين لي بأي تفسير. كل ما آمله هو أن نظل صديقين.»

«كنت أودّ لو نبقى صديقين فعلاً. إنما لا أستطيع أن أقيم أي علاقة معك. لم أنجح يوماً في إقامة العلاقات. أود لو تتركني بسلام لفترة.»

الفصل السادس عشر

الأحد، 1 يونيو ـ الثلاثاء، 10 يونيو

بعد مرور ستة أشهر من إجهاد فكره على نحو غير مجدٍ، انفتحت أمام بلومفيست أبواب لغز قضية هارييت فانغر. فخلال الأسبوع الأول من يونيو كشف ميكائيل عن ثلاث قطع جديدة تماماً من الأحجية. اثنتان منها كشف عنهما بنفسه. أما الأحجية الثالثة فتم الكشف عنها بمساعدة أحدهم.

بعد زيارة برجر في مايو، عاد بلومفيست لمعاينة ألبوم الصور فأمضى ثلاث ساعات متفحصاً الصورة تلو الأخرى بدقة متناهية، محاولاً إعادة اكتشاف الأمر الذي أثار ردّ فعل لديه. إلا أنه فشل مجدداً في التعرف إلى السبب، فوضع الألبوم جانباً وعاد بدلاً من ذلك للعمل على كتابة تاريخ العائلة.

كان يمضي أحد أيام يونيو في هيدستاد يفكر في أمر مختلف تماماً حين انعطفت به الحافلة متجهة إلى جارنفاغسغاتان وتبلورت له فجأة الفكرة التي كانت لا تزال برعماً في مخيلته. كانت الرؤيا صاعقة، تشبه الرعد وهو يخترق قلب السماء. وانتابته موجة من الاضطراب والتشويش جعلته يبقى مسمّراً إلى مقعد الحافلة طوال الطريق إلى المحطة الأخيرة عند سكة الحديد. هناك استقل الحافلة الأولى العائدة إلى هيديبي ليتحقق من صحة ما تذكّره.

كانت الصورة الأولى في الألبوم، والأخيرة التي التقطت لهارييت

فانغر في ذاك اليوم المصيري المشؤوم في جارنغافسغاتان أثناء مشاهدتها عرض مهرجان عيد الطفل في هيدستاد.

الصورة كانت مختلفة عن سواها وغريبة عما عداها ليتم وضعها مع بقية صور الألبوم. وقد وضعت هناك لأنها التُقطت في اليوم ذاته التي التقطت فيه بقية الصور إلا أنها الوحيدة من بين الأخريات التي لم تكن للحادث الذي وقع على الجسر. كل مرة كان بلومفيست وسواه (على ما أفترض) ينظر إلى الألبوم كان الأشخاص وتفاصيل صور الجسر هي ما يسترعي اهتمام المشاهِد. لم يكن هناك من دراما في صورة الحشود المجتمعة لحضور استعراض عيد الطفل الذي جرى قبل عدة ساعات من وقوع الحادث.

لا بدّ أن فانغر نظر إلى الصورة آلاف المرات ولا بدّ أنها تمثّل له التذكار المأساوي بحيث لم يعد يرغب في رؤيتها مجدداً.

لكن ذلك لم يكن ما أثار ردّ فعل بلومفيست.

كانت الصورة قد التقطت من الجهة المقابلة للشارع، من نافذة الطابق الأول لمبنى مواجه ربما. عدسة الكاميرا ذات الزاوية الواسعة التقطت مقدمة إحدى العوامات التي تنتشر على سطحها نساء يرتدين ثياب سباحة لماعة وسراويل واسعة ويقمن بتوزيع الحلوى على الحشود. بعضهن كان يرقص. كان هناك ثلاثة مهرجين يقفزون عند مقدمة العوامة أيضاً.

كانت هارييت تقف في الصف الأمامي بين الحشود المجتمعة على الرصيف. إلى جانبها كانت تقف ثلاث فتيات من الواضح أنهن كنّ زميلاتها في المدرسة. ومن خلفهن وحولهن يحتشد ما لا يقل عن مئة مشاهد آخر.

هذا ما سجله لا وعي بلومفيست وعاد ليطفو إلى السطح مجدداً حين مرّت الحافلة في النقطة ذاتها تماماً.

الحشد كان يتفرج على العرض كأي جمهور آخر. والعيون كانت تلاحق الطابة في مباراة التنس أو القرص على حلبة الهوكي الجليدية. أما

الواقفون إلى الطرف الأبعد من يسار الصور فكانوا ينظرون إلى المهرجين الذين يستعرضون أمامهم. أما أولئك الأقرب إلى العوامة فكانوا جميعاً شاخصين إلى الفتيات اللواتي لا يرتدين سوى القليل من الملابس. كانت أمارات الهدوء تعلو وجوه الحاضرين جميعاً. أما الأولاد فكانوا يشيرون بأصابعهم، وبعضهم يضحك. كان الجميع يبدو سعيداً.

الجميع باستثناء شخص واحد فقط.

هارييت فانغر كانت تنظر إلى أحد الجوانب. زميلاتها الثلاث وكل من كان في محيطها كان يستمتع بمشاهدة المهرجين. أما وجه هارييت فكان مائلاً إلى اليمين بدرجة 30 إلى 35. بدت نظراتها مسمرة على شيء ما على الجهة المقابلة للشارع، لكنه إلى الطرف الأيسر من خلف عدسة المصور.

أخذ ميكائيل العدسة المكبّرة وحاول استطلاع التفاصيل. كانت الصورة قد التقطت من مسافة بعيدة جداً بما يمنعه من أن يكون واثقاً مما يراه فيها بشكل حاسم. لكن خلافاً لكل من كان حولها، كانت ملامح وجه هارييت تفتقد الحماسة بشكل واضح. كان فمها مشدوداً حتى بدا أشبه بخط رفيع، وعيناها متسعتين ويداها مسدلتين إلى جانبيها. بدت شديدة الخوف. كانت شديدة الخوف أو الغضب.

سحب بلومفيست الصورة من الألبوم ووضعها في ملف بلاستيكي صلب لحفظها جيداً وعاد لينتظر الحافلة التالية المتجهة إلى هيدستاد. ترجّل في جارنفاغسفاتان ووقف تحت النافذة التي لا بدّ أن الصورة التقطت من تحتها. وكانت تقع على حافة ما يشكل مركز بلدة هيدستاد. إنه عبارة عن مبنى خشبي مؤلف من طبقتين يضم متجراً لأفلام الفيديو ودكان خردوات «ساندشتروم» الذي تأسس عام 1932 وفقاً لما تقول اللوحة المعدنية الملصقة على الباب الأمامي. دخل المتجر فرأى أنه مصمم من طبقتين حيث تصل الطبقة السفلى بالعليا سلالم لولبية.

في أعلى السلالم اللولبية نافذتان مواجهتان للشارع.

«هل لي أن أساعدك؟» سأله البائع المتقدم في السن حين أخرج بلومفيست الملف الذي يحتوي الصورة. لم يكن هناك سوى قلة من الناس داخل المتجر.

«حسناً، أريد أن أعرف الموقع الذي التقطت منه هذه الصورة. هل من الممكن أن أفتح النافذة للحظة؟»

وافق الرجل على طلب بلومفيست الذي تمكّن من أن يرى المكان الذي كانت هارييت تقف فيه تماماً. أحد الأبنية الخشبية الذي كان قائماً خلفها في الصورة قد اختفى الآن وحلّ بدلاً منه بناء قائم الزوايا من القرميد. المبنى الخشبي الآخر كان عبارة عن متجر للقرطاسية قائم منذ العام 1966، وقد أصبح اليوم متجراً لبيع الطعام الصحي وصالون لصبغ البشرة باللون الأسمر. أغلق بلومفيست النافذة وشكر الرجل معتذراً على تضييع وقته.

اجتاز الشارع ووقف في البقعة ذاتها حيث كانت هارييت تقف يوماً. كانت هناك معالم رئيسية بمثابة نقاط استدلال بين كلٍّ من نافذة الطابق العلوي لدكان الخردوات وباب صالون تسمير البشرة. أدار رأسه ونظر في الاتجاه الذي كانت عينا هارييت مصوبتين إليه. لقد كانت تنظر، بحسب ما رأى، إلى زاوية المبنى الذي يضم دكان خردوات «ساندشتروم». وقد كانت زاوية عادية جداً لمبنى يختفي وراءه شارع متقاطع. *ما الذي كنت ترينه هناك يا هارييت؟*

وضع بلومفيست الصورة في حقيبة الظهر ومشى إلى المنتزه القائم بجانب المحطة. جلس هناك في مقهى على الرصيف وطلب فنجان قهوة بالحليب. إلا أن موجة من الارتعاش سرت في أوصاله فجأة.

هذا ما يسمّونه بالإنكليزية new evidence أي «إثبات جديد» وهو ما يبدو مختلفاً عن التعبير السويدي new proof material ومفاده «مادة

إثبات جديدة». لقد لاحظ أمراً جديداً بالكامل، أمر لم يتنبّه له أحد سواه من قبل في تحقيق امتد لفترة سبعة وثلاثين عاماً.

المشكلة أنه لم يكن واثقاً تماماً ما إذا كانت المعلومات الجديدة التي صارت بحوزته تكتسب قيمة ما، أو إن كانت ذات قيمة أصلاً. ومع ذلك انتابه شعور أنها ستثبت أهميتها في وقت ما.

كان اليوم الذي اختفت فيه هارييت من سبتمبر، يوماً مأساوياً من عدة نواحٍ. إذ كان يوم احتفالات في هيدستاد حيث الحشود بالآلاف من الشباب وكبار السن يملأون الشوارع. كما كان يوم الاجتماع السنوي لأفراد العائلة على جزيرة هيديبي. كان هذان الحدثان بحد ذاتهما يشكلان ابتعاداً عن إيقاع الروتين اليومي الذي تسير عليه البلدة. وقد طغت حادثة الجسر على كل ما عداها من أحداث.

المحقق موريل وهنريك فانغر وكل من أطال التفكير في حادثة اختفاء هارييت ركّز اهتمامه على الأحداث التي جرت في جزيرة هيديبي. حتى إن موريل ذكر أنه لم يتمكن من التخلص من الشك الذي يساوره حيال ارتباط الحادث الذي وقع على الجسر بحادثة اختفاء هارييت. بات بلومفيست الآن مقتنعاً تماما بعدم صوابية مثل ذاك الاعتقاد.

إن سلسلة الأحداث لم تبدأ على جزيرة هيديبي بل في هيدستاد قبل عدة ساعات من وقوع حادثة الاختفاء. لقد رأت هارييت فانغر أمراً ما، أو شخصاً ما، أخافها ودفعها للعودة إلى المنزل والذهاب مباشرة إلى عمها الذي أبلغها بحزن أن لا وقت لديه للاستماع إليها. من ثم وقعت حادثة الجسر. ووجّه القاتل ضربته.

استوقفت بلومفيست طريقة تفكيره في مسار الأمور. كانت تلك المرة الأولى التي يضع فيها عن وعي فرضية تقول بأن هارييت قتلت. لقد تقبّل أخيراً اعتقاد فانغر. هارييت ماتت وهو يتعقب القاتل.

عاد إلى محاضر رجال الشرطة. فمن بين آلاف الصفحات التي تصف الأحداث جزء بسيط فقط يتطرق إلى تلك التي جرت في هيدستاد.

هاربيت كانت مع ثلاث من زميلاتها تمّ التحقيق مع كل منهن على حدة. لقد التقوا في المنتزه القريب من المحطة عند الساعة التاسعة. إحدى الفتيات كانت ذاهبة لشراء جينز وكانت الصديقتان الأخريان ترافقانها. تناولن القهوة في مقهى المتجر وصعدن إلى ملاعب الرياضة حيث تمشّين بين أكشاك الكرنفال وبِرَك اصطياد السمك والتقين بعض أصدقاء المدرسة الآخرين. عند الظهيرة جال الجميع في الأرجاء عائدين أدراجهم إلى البلدة لمشاهدة الاستعراض. قبل حلول الساعة الثانية تماماً من بعد الظهر أبلغت هاربيت الجميع فجأة ضرورة عودتها للمنزل. وقد افترقوا في محطة الحافلات القريبة من جارنفاغسفاتان.

لم تلاحظ أي من صديقاتها وجود أي أمر غير اعتيادي. إحداهن كانت إينغر شتنبرغ وهي كانت من أطلق على هاربيت وصف «اللاشخصي» في معرض حديثها عن تحوّلها على مدى العام الماضي. وقالت إن هاربيت كانت متحفّظة، قليلة الكلام في ذلك اليوم مما كان يعتبر أمراً عادياً، وأنها كانت تتبع الأخريات وحسب.

تحدث المحقق موريل مع جميع من قابل هاربيت في ذلك اليوم، حتى لو كانوا من الأشخاص الذين لم يتبادلوا معها سوى عبارات الترحيب أثناء الاجتماع العائلي. وقد نُشرت صور لها في الصحف المحلية بينما كانت عمليات البحث عنها تسير على قدم وساق. بعد أن أُعلن أنها مفقودة، اتصل العديد من السكان المقيمين في هيدستاد بالشرطة ليبلغوا أنهم يظنون أنهم قد رأوها يوم حصول الاستعراض إلا أن أياً منهم لم يبلّغ عن حدوث أمر غير اعتيادي.

في الصباح التالي ذهب بلومفيست إلى فانغر فوجده جالساً إلى طاولة الطعام يتناول الفطور.

«سبق أن قلت لي إن عائلة 'فانغر' لا تزال تمتلك مصالح لها في *Courier Hedestad*، صحيح؟»

«أجل، هذا صحيح.»

«أود الوصول إلى أرشيف الصور الموجود لدى الصحيفة بدءاً من العام 1966.»

وضع فانغر كوب الحليب من يده فوق الطاولة ومسح شفته العليا، وقال: «ما هذا الذي اكتشفته يا ميكائيل؟»

نظر بلومفيست في عيني الرجل العجوز مباشرة.

«لا شيء مؤكد. لكنني أظن أننا ارتكبنا خطأً في تحليل وربط مسار الأحداث.»

أظهر بلومفيست الصورة التي كان يحملها وأخبر فانغر عما كان يدور في رأسه. جلس فانغر صامتاً لوقت طويل دون أن يتفوّه بكلمة واحدة.

قال له بلومفيست: «إن كنت على حق، فعلينا أن نبحث، ونحن لا نزال قادرين على ذلك، في الأحداث التي جرت في هيدستاد في ذلك اليوم، وليس في ما حصل على جزيرة هيدبي وحسب. لا أدري كيف لي أن أجري بحثاً حول مسار الأحداث بعد مرور كل هذا الوقت لكن لا بد أن هناك العديد من الصور التي التقطت في ذلك اليوم أثناء استعراض مهرجان عيد الطفل، صور لم يتم نشرها مطلقاً. تلك هي الصور التي أود الاطلاع عليها.»

استخدم فانغر الهاتف الموجود في المطبخ واتصل بمارتن وشرح له ما الذي يريده تماماً وسأله عن الشخص المسؤول عن أرشيف الصور هذه الأيام في الصحيفة. في غضون عشر دقائق تم تحديد الأشخاص المعنيين والترتيب لعملية إطلاعه على الصور.

كانت المسؤولة عن الصور في *Courier Hedestad* تدعى مادلين بلومبرغ وينادونها «ماجا». وقد كانت المرأة الأولى التي تتولى منصب رئاسة قسم الصور في عالم الصحافة التي التقاها بلومفيست يوماً، حيث

كان التصوير أحد أشكال الفنون التي تعتبر حكراً على الذكور في المقام الأول.

وبما أنه كان يوم سبت لم يكن هناك أحد في غرفة تحرير الأخبار سوى ماجا التي تبين له أنها تقيم في مكان لا يبعد سوى خمس دقائق عن مقر الصحيفة، وقد قابلت بلومفيست عند مدخل المكاتب. أمضت ماجا معظم سنوات حياتها تعمل لصالح *Courier Hedestad*. وقد بدأت مسيرتها المهنية عام 1964 كمصحِّحة نصوص، ثم تغيرت وظيفتها لتصبح واضعة اللمسات الأخيرة على الصور حيث أمضت أعواماً عديدة داخل جدران غرف التظهير المعتمة، في حين كان يتم إرسالها من حين لآخر لتغطية بعض الأحداث بالصور عندما كانت المصادر العادية للصحيفة غير كافية. حصلت على منصب المحررة وتوصلت فيما بعد إلى الحصول على وظيفة بدوام كامل داخل مكاتب تحرير الصور، وتسلّمت منذ عشر سنوات مضت، إثر تقديم رئيس القسم المسن استقالته، منصب رئيسة القسم المسؤولة عن تحرير الصور للصحيفة.

سأل بلومفيست عن كيفية ترتيب أرشيف الصور.

«لأخبرك الحقيقة، يعتبر الأرشيف في حالة فوضى. نظراً لبدئنا التعامل مع أجهزة الكومبيوتر وصور الكاميرات الرقمية، الأرشيف المنظم الذي نملكه حالياً موجود على أقراص مدمجة. لدينا هنا أحد الموظفين المتمرّنين الذي أمضى بعض الوقت في نقل بعض الصور القديمة المهمة لحفظها في الأرشيف الإلكتروني، إلا أن نسبة ضئيلة من تلك الصور المكدسة لدينا مرتب وفق فهارس محددة. أما الصور الأكثر قدماً فمرتَّبة حسب تاريخ التقاطها في ملفات صور النيغاتيف. وهي إما هنا في غرفة تحرير الأخبار أو في المخزن.»

«أنا مهتم في الواقع بالصور التي التقطت في مهرجان عيد الطفل عام 1966. كما يهمني الاطلاع على كافة الصور التي التقطت طوال ذلك الأسبوع.»

رمقته السيدة بلومبرغ بنظرة متسائلة.

«أنت تعني الأسبوع الذي سجّل اختفاء هاربيت فانغر، أليس كذلك؟»

«أتعرفين القصة؟»

«لا يمكن أن تكون قد أمضيت طوال سنوات حياتك في العمل في صحيفة *Courier* من دون أن تعرف بأمر الحادثة، وحين اتصل بي مارتن في وقت مبكر من هذا الصباح وأنا في طريقي إلى هنا، توصلت إلى بعض الخلاصات الخاصة. هل تبين شيء جديد؟»

كانت بلومبرغ تلك تتمتع بحاسة شم قوية للأخبار والاستطلاع. إلا أن بلومفيست هز رأسه نفياً وافترّ ثغره عن طيف ابتسامة وهو يخبرها القصة الملفقة المتعلقة بالمهمة الموكلة إليه.

«كلا، لا أفترض أن أحداً سيجد يوماً حل تلك الأحجية. الأمر سري نوعاً ما لكنني أستطيع أن أقول لك إني في الواقع أقوم بتدوين السيرة الذاتية لحياة هنريك فانغر. أما قصة الفتاة المفقودة فموضوع قديم عفا عليه الزمن، إلا أنه مع ذلك يشكل فصلاً من الكتاب لا يمكن التغاضي عنه. أنا أبحث عن جديد لم يتم التطرق إليه من قبل قد يوضح أحداث ذلك اليوم بالنسبة لهاربيت وصديقاتها.»

بدت بلومبرغ مرتابة لكن التفسير الذي قدمه كان منطقياً ومقبولاً ولم تكن لتتحقق من صدقية قصته نظراً للدور الذي يلعبه.

عادة ما يستهلك مصور الصحيفة عادة ما بين لفافتين وعشر لفائف من الأفلام في اليوم. ويمكن للعدد أن يتضاعف عند تصوير الأحداث الكبرى. تحتوي كل لفافة على ست وثلاثين صورة نيغاتيف، لذا لا يعتبر أمراً غير اعتيادي بالنسبة لصحيفة محليّة أن تكدّس ما يزيد على ثلاثمئة صورة في اليوم، لا يتم إلا نشر القليل منها. القسم حسن التنظيم يقطع لفائف الأفلام ويضع صور النيغاتيف في أنابيب معدنية من ستة أطر. تحتل

اللفافة حوالى صفحة في غلاف حزم صور النيغاتيف. الغلاف الحازم يحتوي على ما يقارب عشر لفائف. في غضون عام يتم ملء حوالى خمسة وعشرين غلافاً حازماً. بمرور الأعوام يتكدس عدد هائل من الأغلفة تفتقد عامة أي قيمة تجارية وتفيض بها الرفوف في قسم الصور. من جهة أخرى، كل مصور وقسم للصور يكون مقتنعاً أن الصور تلك تشكل توثيقاً تاريخياً لا يمكن تقدير قيمته بثمن، لذا لا يتم رمي أي شيء.

تأسست *Courier Hedestad* عام 1922 وأوجد قسم الصور عام 1937. مخزن الـ *Courier* يحتوي على حوالى ألف ومئتي غلاف حازم مرتب حسبما تقول بلومبرغ وفقاً لتاريخ التقاط الصور. إن صور النيغاتيف التي تعود إلى سبتمبر من عام 1966 كانت محفوظة في إحدى الخزائن الرخيصة لتوضيب الأغلفة الحازمة.

سألها بلومفيست: «كيف نتصرف حيال هذه الصور؟ أريد أن أجلس إلى طاولة مضاءة جيداً، وأن يكون بمقدوري إنتاج نسخ من أي صورة أشعر أنها تحمل أهمية ما.»

«لم تعد لدينا غرف تظهير مظلمة، بات كل شيء ينسخ عبر الكومبيوتر. هل تعرف كيفية نسخ صور النيغاتيف بواسطة جهاز الكومبيوتر؟»

«أجل، سبق لي أن عملت على تظهير الصور من قبل ولديَّ آلة نسخ صور Agfa خاصة بي. وأعرف كيف أعمل على برنامج الـ Photoshop.»

«إذاً أنت تستعمل المعدات التي نستعملها تماماً.»

أخذته بلومبرغ في جولة سريعة حول المكتب الصغير، وأعطته كرسياً ليجلس عند الطاولة المضاءة وشغلت جهاز الكومبيوتر وآلة السكانر. وأرشدته كذلك إلى آلة صنع القهوة في المطبخ الصغير المجاور. اتفقا أنه يمكن لبلومفيست العمل وحده من دون مساعدة، إلا أنه كان يجب أن يتصل بها عندما يريد مغادرة المكتب بحيث تأتي وتسوي وضع جهاز

الإنذار. وبذلك تركته وعلى وجهها ابتسامة مشجعة وقالت له: «استمتع بوقتك.»

كان يعمل لدى صحيفة *Courier* مصوّران في ذلك الوقت. المصوّر الذي كان مداوماً يومئذ يدعى كورت نيلاند، وكان بلومفيست يعرفه شخصياً في الواقع. كان نيلاند في أواخر العشرينيات من عمره سنة 1966. وقد انتقل في ما بعد إلى ستوكهولم حيث أصبح مصوراً مشهوراً، يعمل بدوام حر وموظف في الوقت ذاته لحساب صحيفة *Scanpix Sweden* في ماريبرغ. وقد التقى بلومفيست كورت نيلاند عدة مرات في التسعينيات وذلك حين استخدمت «ميلينيوم» صوراً من صحيفة *Scanpix*. كان يتذكره على أنه رجل قاسي الملامح ذو شعر خفيف. يوم تصوير المهرجان استعمل كورت نيلاند شريط فيلم للتصوير أثناء النهار، ليس سريعاً جداً وهو النوع الذي يستخدمه عدد من مصوري الصحف. تناول بلومفيست نيغاتيف الصور التي التقطها نيلاند الشاب ووضعها فوق الطاولة المضاءة. وأخذ يتفحص كل صورة منها مستعيناً بعدسة مكبرة. تعتبر قراءة صور النيغاتيف فنّاً من الفنون وتتطلب خبرة يفتقر إليها بلومفيست. ومن أجل أن يحدد ما إذا كانت الصورة تمتلك أي معلومات ذات قيمة كان مضطراً أن يستعرض كل منها على شاشة الكومبيوتر. وهذا سيستغرق ساعات لإنجازه. لذا قام أولاً بجولة سريعة للاطلاع على ما يمكن أن يعنيه منها.

بدأ أولاً بمشاهدة الصور التي التقطت للحادث. تبين له أن مجموعة الصور التي لدى فانغر ناقصة. فالشخص الذي نسخ صور المجموعة وقد يكون نيلاند نفسه قد أغفل حوالى ثلاثين صورة لم يدخلها المجموعة إما لأنها غير واضحة أو لأنها قليلة الجودة بما يجعلها تصنف على أنها غير قابلة للنشر.

أطفأ بلومفيست جهاز كومبيوتر صحيفة *Courier* وأدخل قابس آلة

السكانر الخاصة بصور Agfa في جهاز الـ iBook الذي يمتلكه. أمضى ساعتين يتفحص بقية الصور.

شدّت إحدى الصور انتباهه لحظة رآها. فبين الساعة الثالثة وعشر دقائق والثالثة والربع أي الوقت الذي اختفت فيه هاريت قام أحدهم بفتح نافذة غرفة نومها. حاول فانغر سدى أن يتعرف إلى الشخص الذي قام بذلك. كان بلومفيست يرى على الشاشة أمامه صورة لا بدّ التقطت لحظة فتح النافذة تماماً. كان تظهر هيئة شخص ما ووجهه وإن كانا غير واضحين تماماً. قرر أن التحليل المفصل للصورة يمكن أن ينتظر بينما يقوم بالاطلاع على ما تبقى من الصور.

عمد بعدئذ إلى معاينة الصور التي التقطت أثناء استعراض مهرجان يوم الطفل. كان نيلاند قد استخدم ست لفائف أي ما يقارب مئتي صورة. كان هناك سيل لامتناهٍ من الأولاد الذين يحملون البالونات في أيديهم، وباعة الهوت دوغ المتجولين في الشارع، ولوحات الاستعراض، والرسامين الذي يبرزون مهاراتهم الفنية أمام أعين المارة، وصور تعرض حفل تقديم أحد أنواع الجوائز.

قرر بلومفيست أن يقوم بطباعة صور المجموعة بكاملها. بعد مرور ست ساعات كان قد تشكل لديه ملف كامل من تسعين صورة، لكنه كان مضطراً مع ذلك للعودة إلى زيارة مكاتب الصحيفة.

اتصل عند الساعة التاسعة ببلومبرغ وشكرها ثم استقلّ الحافلة عائداً إلى منزله في جزيرة هيدبي.

عاد عند الساعة التاسعة من صباح الأحد. كانت المكاتب لا تزال خالية من الموظفين حين دعته بلومبرغ للدخول. لم يكن يدرك أنها عطلة نهاية أسبوع العنصرة، وأن مكاتب الصحيفة لن تعود للعمل قبل نهار الثلاثاء. أمضى النهار بطوله يتفحّص الصور. عند الساعة السادسة مساءً كانت لا تزال لديه أربعون لقطة من الصور المأخوذة للاستعراض. قام بلومفيست بالتحقق من صور النيغاتيف وقرر أن الصور القريبة لوجوه

الأولاد الظرفاء أو الصور التي يقوم برسمها الفنانون على الشارع لم تكن ببساطة وثيقة الصلة بالهدف الذي يعمل عليه. الصور التي نسخها كانت تعكس أحداث الشارع والحشود.

أمضى بلومفيست عطلة أسبوع العنصرة مراجعاً الصور الجديدة التي صارت بحوزته. وقد اكتشف أمرين آخرين. الاكتشاف الأول ملأه بالقنوط. أما الثاني فجعل دقات قلبه تتسارع.

الأول كان وجه الشخص الذي رآه عند نافذة هارييت فانغر. كانت ملامح الصورة مشوشة قليلاً بسبب رعشة بسيطة في يد المصور عند التقاطها، مما استدعى حذفها من المجموعة الأساسية. كان المصور يقف عند تلة الكنيسة ويدير وجهه نحو الجسر. وقد شكلت الأبنية خلفية الصور الملتقطة. قص بلومفيست جوانب الصورة بحيث لا تبقى إلا صورة النافذة وأخذ يختبرها مستخدماً تقنية الألوان المتعاكسة وزيادة حدّتها وتخفيفها إلى أن توصّل لأفضل نوعية يمكن الحصول عليها.

أسفرت النتيجة عن صورة محببة مبلورة تميل إلى اللون الرمادي قليلاً وتعكس ستاراً وجزءاً من ذراع شخص وطيف نصف وجه مستدير داخل الغرفة.

لم يكن ذلك وجه هارييت فانغر صاحبة الشعر الأسود الفاحم بل وجه شخص صاحب شعر أفتح لوناً.

كان من المستحيل تبيّن ملامح وجه واضحة، لكن من المؤكد أن الوجه الموجود في الصورة يعود لامرأة وليس لرجل. فالجزء الأكبر من الصورة يتابع نزولاً حتى مستوى الكتف ليعكس شعراً منسدلاً لامرأة ترتدي ثياباً فاتحة اللون.

احتسب طول المرأة بالنسبة لارتفاع النافذة فوجد أنها بطول خمسة أقدام ونصف تقريباً.

ضغط الزر منتقلاً لمشاهدة الصور الأخرى التي التقطت بعد الحادثة،

فوجد أن المرأة التي تناسب هذه المواصفات هي سيسيليا فانغر ذات العشرين عاماً.

كان نيلاند قد التقط ثماني عشرة صورة من نافذة دكان خردوات «ساندشتروم». كانت هاريت تظهر في سبع عشرة منها.

كانت هي وزميلاتها قد وصلن إلى جارنفاغسغاتان في الوقت ذاته من بدء نيلاند التقاط الصور. قدّر بلومفيست أن التقاط كافة هذه الصور تم في مهلة لا تتعدى خمس دقائق. ففي الصور الأولى كانت هاريت وزميلاتها يسرن نزولاً في الشارع ويدخلن نطاق عدسة المصور. بدءاً من الصورة الثانية وحتى الصورة السابعة كانت الفتيات جميعاً يقفن في أمكنتهن وتشاهدن العرض. ومن ثم تقدمن نزولاً مسافة ستّ ياردات تقريباً. وفي الصورة الأخيرة التي يمكن أن تكون قد التقطت بعد فترة من الزمن ربما تظهر أن الفتيات كن قد رحلن.

قام بلومفيست بتحرير سلسلة من الصور بحيث عمد إلى قص النصف الأعلى من هاريت وأخذ يعمل عليها تقنياً للتوصل إلى أفضل صورة متعاكسة الألوان. وضع تلك الصور في ملف منفصل وفتح برنامج التحويل الغرافيكي Graphic Converter Programme، وضغط زر تشغيل الصور في عرض تلقائي متواصل. كانت النتيجة فيلماً صامتاً مليئاً بالتشنج حيث يدوم عرض كل من الصور على الشاشة لمدة ثانيتين.

صورة جانبية لهاريت لحظة وصولها. وأخرى لهاريت وهي تتوقف عن السير وتنظر إلى أسفل الشارع. ولهاريت وهي تلتفت إلى الجهة الأخرى من الشارع. ولهاريت تفتح فمها وتقول شيئاً ما لصديقتها. ولهاريت وهي تضحك. ولهاريت تلمس أذنها بيدها اليسرى. ولهاريت وهي تبتسم. ولهاريت وقد بدت الدهشة فجأة على ملامحها، وبدا وجهها مائلاً بزاوية عشرين درجة إلى يسار الكاميرا. عينا هاريت تتسعان وتكف عن التبسم. فم هاريت مزموماً بما لا يعدو خطاً رفيعاً. هاريت

تركز نظرها في مكان محدد. ما يمكن قراءته من ملامح وجهها هو... ما هو؟ الأسى، الصدمة، الغضب؟ هاريت تخفض نظرها. هاريت تختفي.

أخذ بلومفيست يستعرض صور الفيلم الصامت مرة تلو الأخرى.

وقد أكّد له ذلك بقوّة النظرية التي كان سبق أن وضعها. لا بد أن شيئاً ما قد حصل في جارنفاغسفاتان.

ترى شيئاً ما- أو شخصاً ما-على الجهة الأخرى من الشارع. تصعق للرؤية. تذهب إلى فانغر طالبة التحدث إليه على انفراد وهو ما لا يحصل مطلقاً. ومن ثم تختفي دون أن تترك وراءها اي اثر.

لا بدّ أن أمراً ما قد حصل. إلا أن الصور لا تُظهره أو تفسر ما هو.

عند الساعة الثانية من بعد منتصف ليل الثلاثاء، تناول بلومفيست القهوة وبعض السندويشات على طاولة المطبخ. كان يشعر بالاكتئاب والبهجة في آنٍ واحد. فخلافاً لكل التوقعات كشف عن دليلين جديدين. المشكلة الوحيدة كانت أنه على الرغم من تسليطه الضوء على سلسلة من الأحداث، فهي لم تقرّبه حتى خطوة واحدة من حل القضية اللغز.

فكر طويلاً وعميقاً في الدور الذي يمكن لسيسيليا فانغر أن تكون قد لعبته في تلك الدراما. كان فانغر قد لجأ من دون ملل أو كلل إلى عرض وتفصيل كافة نشاطات كل من كان موجوداً ذلك النهار والأعمال التي قام بها، ولم تشكّل سيسيليا استثناءً. كانت تعيش في أوبسالا إلا أنها وصلت إلى هيديبي قبل يومين من السبت المصيري المشؤوم. وقد مكثت مع إيزابيلا فانغر. وقالت إنه على الأرجح أن تكون قد رأت هاريت في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم، إلا أنها لم تتحدث إليها. قادت سيارتها إلى هيدستاد لإنهاء عمل ما. حتى إنها لم ترَ هاريت هناك، وقد عادت إلى هيديبي عند الساعة الواحدة من بعد الظهر، أي تقريباً في الوقت الذي كان نيلاند يلتقط الصور في جارنفاغسفاتان. غيّرت ملابسها وكانت عند الساعة الثانية تساعد في إعداد طاولة العشاء استعداداً لوليمة السهرة.

إن كان ذلك هو العذر المقدّم فهو في تلك الحالة عذر ضعيف، واوٍ. فالأوقات كانت تقريبية لا سيما تلك المتعلقة بتوقيت عودتها إلى جزيرة هيديبي، إلا أن فانغر لم يعثر على ما يشير إلى أنها كانت تكذب. سيسيليا كانت واحدة من أفراد العائلة الذين ينالون حظوة لدى فانغر وأحد أكثر الأشخاص الذين لهم مكانة في قلبه. كما أنها كانت عشيقة بلومفيست، فكيف له أن يحكم بموضوعية؟ من المؤكد أنه لا يستطيع أن يتخيلها قاتلة.

هناك حتى الآن صورة غير واضحة المعالم تخبره أنها كانت تكذب حين قالت إنها لم تدخل قط غرفة نوم هاربيت في ذلك اليوم. دخل بلومفيست في صراع ذاتي مع الأهمية المحتملة التي يمكن لهذه الحقيقة أن تحملها.

إن كانت قد كذبت بهذا الشأن، فما هي الأمور الأخرى التي كذبت بشأنها؟

عاد يراجع في مخيلته كل ما يعرفه عن سيسيليا فانغر. إنها شخص انطوائي متأثر بشكل واضح بماضيه. كما أنها عاشت وحيدة ولم تكن لها حياة جنسية، وكانت تلاقي صعوبة في التقرب من الآخرين. كانت تحافظ على مسافة بينها وبين الناس وحين كانت تفلت زمام الأمور لم يكن يوجد أي قيود. وقد اختارت رجلاً غريباً لتجعل منه عشيقاً لها. وادّعت أنها أنهت العلاقة معه لأنها لم تكن قادرة على العيش مع فكرة خروجه من حياتها بشكل غير متوقع تماماً كما ظهر. وقد افترض بلومفيست أن السبب الذي دفعها لتتجرأ وتقيم علاقة معه هو تحديداً وجوده المؤقت وعدم بقائه هناك سوى لفترة معينة من الزمن. لم يكن من الطبيعي أن تخاف من أن يدخل تغييراً من أي نوع كان على حياتها على المدى الطويل.

أطلق بلومفيست تنهيدة من الأعماق ودفع بتحليله النفسي غير المحترف جانباً.

سجّل اكتشافاً ثانياً خلال الليل. مفتاح اللغز كان ما رأته هاربيت في

هيدستاد. ولن يكتشف ما هو أبداً إلا إذا استطاع أن يخترع آلة زمن ويقف خلفها وينظر إلى ما يحدث من فوق كتفها.

ومن ثم خطرت له فكرة ما. فصفع جبينه وفتح جهاز الـ iBook أمامه. ضغط زر فتح الصور غير المقتطعة أجزاؤها التي تمّ التقاطها في جارنفاغسغاتان... *وهناك!*

خلف هارييت وعلى بُعد ياردة واحدة إلى يمينها كان هناك ثنائي شاب، رجل يرتدي قميصاً مخططاً وفتاة تلبس سترة باهتة اللون وتحمل كاميرا في يدها. حين قام بلومفيست بتكبير الصورة وتقريبها تبين أنها من نوع كوداك Instamatic مزودة بفلاش يومض، وهي تعتبر كاميرا رخيصة للعطلات مناسبة للأشخاص الذين لا يعرفون شيئاً عن فن التصوير.

كانت الفتاة تحمل الكاميرا عند مستوى الذقن. ومن ثم رفعتها والتقطت صورة للمهرجين تماماً في اللحظة التي تغيرت فيها ملامح هارييت.

قام بلومفيست بمقارنة وضعية الكاميرا مع مستوى خط نظر هارييت. لقد التقطت الفتاة المشهد الذي كانت هارييت تنظر إليه تحديداً.

كانت دقات قلبه تتخبط في صدره بوتيرة متسارعة. مال في كرسيه إلى الوراء وسحب علبة السجائر من جيب قميصه. *لقد التقط أحدهم الصورة فعلاً.* كيف له أن يتعرف إلى تلك المرأة ويعثر عليها؟ هل سيتمكن من الحصول على الصورة التي التقطتها؟ هل تمّ تظهير الفيلم الذي يضم تلك اللقطة أصلاً؟ وإن كان الأمر كذلك، فهل لا تزال تحتفظ بالصور؟

فتح الملف الذي يحتوي على الصور التي التقطها نيلاند للحشود. وانهمك خلال الساعات التالية في تكبير كل صورة على حدة والتمعّن في كل إنش منها. لم يتمكن من رؤية الثنائي مجدداً إلى أن وصل لمشاهدة الصور الأخيرة. كان نيلاند قد صوّر مهرجاً آخر يحمل البالونات في يده ويقف أمام كاميرته يضحك من أعماق قلبه. كانت الصور قد التقطت في مرأب للسيارات عند مدخل ملاعب الرياضة حيث يقام الاحتفال. لا بدّ

أن الساعة كانت الثانية من بعد الظهر. مباشرة بعد أن تلقّى نيلاند خبر حادث التحطم على الجسر أوقف سريعاً عملية التقاط صور أحداث استعراض عيد الطفل.

كانت المرأة شبه مختفية إلا أن الرجل صاحب القميص المخطط كان ظاهراً بوضوح، في صورة جانبية له. كان يحمل المفاتيح في يده وينحني قليلاً ليفتح باب سيارة ما. كان التركيز منصباً على المهرج في مقدمة المشهد، والسيارة كانت غير واضحة تماماً. أما رقم اللوحة فكان جزء منه مغطى إلا أنه استطاع أن يقرأ أحرف AC3 التي يبدأ بها الرقم.

أرقام لوحات السيارات أيام الستينيات كانت تبدأ بالرمز الذي يشير إلى المقاطعة، وقد حفظ بلومفيست مذ كان طفلاً رموز المقاطعات جميعاً. ورمز AC كان يشير إلى مقاطعة فاستربوتن.

ثم حدّد أمراً آخر في الصور. على الزجاج الخلفي للسيارة كان يوجد ملصق من نوع ما. حاول تكبير الصورة لقراءته إلا أن المشهد تشوش واختفت الكلمات. عمد إلى اقتطاع الملصق وتعديل نسبة تماكس الضوء وحدّة الألوان. استغرقه العمل على الصورة عدة دقائق. كان لا يزال عاجزاً عن قراءة الكلمات إلا أنه حاول تخيّل ما كانت الأحرف تقول، بالاستناد إلى الأشكال غير الواضحة. عدد من الأحرف بدا متشابهاً على نحو مفاجئ. كان يمكن المزج خطأً بين كل من حرفي O و D أو حرفي B و E وهكذا دواليك. بعد أن عمل مستعيناً بالورقة والقلم وقام بحذف بعض الأحرف، كان كل ما توصّل إليه نص غير مقروء مؤلف من سطر واحد.

R JÖ NI K RIFA RIK

ظل يحدق في النص إلى أن انهمرت الدموع الحارقة من عينيه. لكنه ما لبث أن رأى النص الذي يقول NORSJÖ SNICKERIFABRIK تليه أحرفٌ أصغر حجماً يستحيل قراءتها بالكامل لعلها كانت أحرف رقم هاتف ما.

الفصل السابع عشر

الأربعاء، 11 يونيو ـ السبت، 14 يونيو

حصل بلومفيست على مساعدة في تحديد مكان القطعة الثالثة من الأحجية من جهة غير متوقعة.

بعد العمل على تحليل الصور طوال فترة الليل عملياً، نام نوماً عميقاً حتى ساعات بعد الظهر. واستفاق وهو يشعر بألم في الرأس فاستحمّ ومشى إلى مقهى «سوزان» لتناول الفطور. كان يفترض به الذهاب لرؤية فانغر ويطلعه على كل ما توصل إليه من اكتشافات. لكنه بدلاً من ذلك، ذهب عند عودته من المقهى إلى منزل سيسيليا وطرق بابها منتظراً. كان بحاجة لأن يسألها عن السبب الذي دفعها لتكذب عليه بشأن ذهابها إلى غرفة نوم هارييت. إلا أن أحداً لم يجب.

كان على وشك الرحيل حين سمع صوتاً يقول له: «عشيقتك العاهرة ليست في المنزل.»

لقد ظهر غولوم من كهفه. كان في أحد الأيام رجلاً ممشوق القامة بطول يقارب ستة أقدام، إلا أن العمر قد أحنى ظهره الآن بحيث باتت عيناه بمستوى نظر بلومفيست. أما وجهه وعنقه فكانا ملطخين بنقاط سوداء تدل على مرض في الكبد. كان يرتدي البيجاما وبرنساً بنيّ اللون ويستند إلى عصا. كان يبدو أشبه بعجوز بغيض خارج من أفلام الرعب.

«ماذا قلت؟»

«قلت إن عشيقتك العاهرة ليست في المنزل.»

اقترب بلومفيست من العجوز كثيراً بحيث كاد أنفه يلامس أنف هارالد فانغر وقال له: «إنك تتحدث عن ابنتك أيها العجوز الخنزير المقرف.»

قال هارالد بابتسامة خبيثة لم تظهر أسنانه: «لست أنا من يأتي خلسة إلى هنا ليلاً.» كانت رائحته مقززة للنفس. تنحّى بلومفيست جانباً ومشى متابعاً سيره نزولاً دون أن يعود للوراء.

وجد فانغر في مكتبه حين وصل إلى منزله.

قال ميكائيل: «لقد سررت بالتعرف إلى أخيك للتو.»

«هارالد حقاً، حسناً، ها قد خرج من جحره إذاً. إنه لا يقدم على ذلك إلا مرتين في العام.»

«كنت أطرق باب منزل سيسيليا حين سمعت صوتاً من خلفي يقول بالحرف الواحد 'عشيقتك العاهرة ليست في المنزل'.»

قال فانغر: «هذا الكلام يشبه هارالد فعلاً.»

«نعت ابنته بالعاهرة، هل تصدق هذا بحق السماء؟»

«هذا ما كان يفعله منذ سنوات. لهذا السبب لا يتحدث أحدهما إلى الآخر كثيراً.»

«ولماذا ينعتها على هذا النحو؟»

«فقدت سيسيليا عذريتها حين كانت في الحادية والعشرين من عمرها. وقد حصل الأمر هنا في هيدستاد بعد قصة رومنسية خلال الصيف، وذلك بعد عام واحد من اختفاء هارييت.»

«وماذا بعد؟»

«الرجل الذي وقعت بحبه كان يدعى بيتر ساموِيلسون. وقد كان المساعد المالي في مؤسسات 'فانغر'. إنه ولد ذكي وهو يعمل اليوم لحساب ABB. إنه رجلٌ من النوع الذي كنت أفتخر بجعله صهراً لي لو أنها ابنتي. إلا أن هارالد قام بدراسة خلفية الشاب أو أنه تحقق من شجرة عائلته أو شيئاً من هذا القبيل واكتشف أن ربعه يهودي الأصل.»

«يا إلهي.»

«ومنذ ذلك الحين وهو ينعتها بالعاهرة.»

«وهو يعلم أن سيسيليا وأنا لدينا...»

«جميع من في البلدة يعرف ذلك باستثناء إيزابيلا على الأرجح، لأنه ما من أحد يتمتع بسلامة في العقل قد يقدم على إخبارها بأي شيء، وحمداً لله أنها من اللطف بحيث تأوي إلى الفراش باكراً. أما هارالد من ناحيته فقد كان يتابع، على ما أفترض، كل خطوة نحدث.»

جلس بلومفيست في مكانه يشعر أنه أحمق بالكامل.

«تعني أن الجميع يعلم...»

«بالطبع.»

«وأنت لا تمانع؟»

«عزيزي ميكائيل، الأمر لا يعنيني حقاً.»

«وأين هي سيسيليا؟»

«موسم الدراسة انتهى. وقد ذهبت إلى لندن يوم السبت في زيارة لأختها، وبعد ذلك ستمضي عطلة في... حسناً، أظن في فلوريدا. وسوف تعود إلى هنا في غضون شهر.»

شعر بلومفيست أنه أكثر حماقة.

«لقد قمنا نوعاً ما بتعليق علاقتنا لفترة.»

«هذا ما فهمته. لكن مع ذلك، لا يزال الأمر لا يعنيني. كيف تسير الأمور في العمل.»

سكب بلومفيست لنفسه فنجان قهوة من إبريق فانغر.

«أظن أني وجدت بعض المعطيات الجديدة.»

أنزل حقيبة جهاز الـiBook عن كتفه وفتش عبر مجموعة الصور التي تُظهر ردود فعل هارييت في جارنفاغسغاتان. شرح له أنه لاحظ وجود كاميرا مع شخصين متفرجين آخرين من بين الحضور وأن سيارتهما تحمل إشارة متجر النجارة Norsjö. حين انتهى من حديثه طلب فانغر إعادة

مشاهدة الصور كلها. وحين رفع نظره عن شاشة الكومبيوتر بدا وجهه متجهماً. تنبّه بلومفيست للأمر ووضع يده فوق كتف فانغر. إلا أنه لوّح له بيده ليبتعد وجلس صامتاً لبرهة.

«لقد قمت أنت بما ظننته مستحيلاً. لقد اكتشفت أمراً جديداً بالكامل. ما الخطوة التالية التي ستقوم بها؟»

«سوف أفتش عن تلك الصورة إن كانت لا تزال موجودة.»

لم يذكر له شيئاً عن الوجه الذي رآه في النافذة.

كان هارالد فانغر قد عاد إلى كهفه عندما خرج بلومفيست من منزل فانغر. حين انعطف عند الزاوية وجد شخصاً مختلفاً بالكامل يجلس على عتبة كوخه يقرأ صحيفة. للحظة خاطفة ظن أنها سيسيليا إلا أن الفتاة صاحبة الشعر الأسود الجالسة عند العتبة لم تكن سوى ابنته.

قالت له بيرنيلا آبراهامسون: «مرحباً بابا.»

عانق ابنته لوقت طويل.

«من أين أتيت إلى هنا بحق السماء؟»

«من المنزل طبعاً. أنا في طريقي إلى سكيلفتيا. هل يسعني البقاء هنا الليلة؟»

«بالطبع تستطيعين لكن كيف وصلت إلى هنا؟»

«أمي كانت تعلم أنك هنا. وسألت في مقهى البلدة إن كانوا يعلمون أين تعيش. وأخبرتني المرأة المتقدمة في السن كيف أصل إلى هنا تماماً. هل أنت سعيد لرؤيتي؟»

«بالطبع أنا سعيد، هيا ادخلي. كان يجب أن تنبئيني بمجيئك لأتمكن من شراء بعض الطعام أو شيء ما.»

«توقفت هنا من دون تخطيط مسبق للأمر. أردت أن أرحب بعودتك من السجن، مع أنك لم تتصل بي مطلقاً.»

«أنا آسف.»

«لا بأس. أخبرتني أمي كيف أنك غارق في أفكارك دائماً.»

«هل هذا ما تقوله عني؟»

«شيء من هذا القبيل. لكن ذلك لا يهم فما أزال أحبك.»

«وأنا أحبك أيضاً، لكنك تعلمين...»

«أعلم تماماً، لقد أصبحت كبيرة الآن.»

أعدّ الشاي وجلب بعض الكعك المحلى.

ما قالته له ابنته كان صحيح تماماً. فمن المؤكد أنها لم تعد طفلة صغيرة، إذ تكاد تبلغ عامها السابع عشر مما يصنفها على أنها أصبحت امرأة راشدة. وعليه أن يتعلم كيف يكف عن معاملتها كطفلة.

«إذاً، كيف كان الأمر؟»

«كيف كان ماذا؟»

«السجن.»

أطلق ضحكة مدوية وقال: «هل تصدقينني إن قلت لك إن الأمر كان أشبه بتمضية عطلة مدفوعة التكاليف مع متسع من الوقت للتفكير والكتابة.»

«أصدقك، لا أفترض أن هناك فارقاً كبيراً بين السجن والدير. لطالما كان الناس يلجأون إلى الأديرة لممارسة التأمل الذاتي.»

«حسناً ها أنت، آمل ألا تكون قصة دخول أبيك إلى السجن قد أحدثت مشكلة بالنسبة لك.»

«على الإطلاق. أنا فخورة جداً بك، ولم أفوّت أي فرصة قط لأفاخر بحقيقة دخولك السجن دفاعاً عما تؤمن به.»

«ما أؤمن به؟»

«لقد رأيت إريكا برجر على شاشة التلفزيون.»

«أنا لست بريئاً بيرنيلا. آسف لأني لم أتحدث إليك بشأن ما حصل لكن لم يتم الحكم عليّ بالسجن ظلماً. اتخذت المحكمة قرارها بناءً على ما تم إطلاعها عليه أثناء المحاكمة.»

«إلا أنه لم يسبق لك أن أخبرتني القصة من منظارك الخاص.»

«كلا، لأنه تبين أني لا أملك إثباتات على ما أدعي.»

«حسناً، أجبني عن سؤال واحد فقط: هل وينرشتروم رجل وغد أو لا؟»

«إنه أنذل الأوغاد وأكثر من تعاملت معهم سوءاً على الإطلاق.»

«هذا كاف جداً بالنسبة لي. لقد أحضرت هدية لك.»

أخرجت علبة من حقيبتها. فتحها فوجد قرصاً مدمجاً بداخلها بعنوان The Best of Eurythmics. كانت تعلم أنها إحدى الفرق الغنائية القديمة المفضلة لديه. أدخل القرص المدمج في جهاز الـ iBook واستمعا معاً لأغنية Sweet Dreams.

«ولماذا أنت ذاهبة إلى سكيلفتيا؟»

أجابته بيرنيلا وكأنها تتحدث عن الخيار الأكثر وضوحاً الذي تتخذه في حياتها: «إنها مدرسة لتعليم الإنجيل في مخيّم صيفي مع جماعة من المصلين تدعى Light of Life أو نور الحياة.»

سرت قشعريرة في أوصاله ونيران اشتعلت في قلبه وقد أدرك إلى أي مدى تشبه ابنته هارييت فانغر. إنها في السادسة عشرة أي بعمر هارييت تماماً عند اختفائها. كلاهما فاقد الأبوين. كلاهما منجذب لفرق دينية متطرفة من مذاهب غريبة، حيث كانت هارييت مأخوذة بالحركة الخمسينية البروتستنتية وبيرنيلا بإحدى الفروع التي تعتبر غريبة الأطوار كذلك كما كانت كنيسة Word of Life السويدية المؤسسة في أوبسالا.

لم يكن يدرك تماماً كيف يتعامل مع اهتمام ابنته المستجد بالدين. كان يخشى من تجاوز حق ابنته في اتخاذ قرارها بنفسها. وفي الوقت ذاته كانت Light of Life نوعاً من الجماعات التي لا يتردد في تعنيفها وتوجيه اللوم إليها على صفحات «ميلينيوم». سوف ينتهز أول فرصة سانحة لمناقشة المسألة مع والدتها.

نامت بيرنيلا في سريره بينما أمضى بلومفيست ليلته ملتفاً بالأغطية فوق مقعد المطبخ. استيقظ في الصباح على إحساس بالتصلب في رقبته وألم في كافة عضلات جسده. كانت بيرنيلا شديدة الحماسة للخروج من المنزل، لذا سارع إلى تحضير الفطور ورافقها إلى المحطة. لم يكن لديهما متسع من الوقت فقاما بشراء القهوة من متجر صغير وجلسا لتناولها على حافة رصيف محطة القطار ويتحدثان عن كافة المواضيع التي تخطر لهما. إلى أن فاجأته بالقول: «أنت لا تحب فكرة ذهابي إلى سكيلفتيا، أليس كذلك؟»

سيطر عليه شعور بالاضطراب والتوتر.

«ليس في الأمر خطورة. لكنك لست مسيحية متعصبة لتلك الجماعة، أليس كذلك؟»

«أنا لست مسيحية صالحة بأي معيار.»

«ألا تؤمنين بالله؟»

«كلا، أنا لا أؤمن بالله، لكنني أحترم حقيقة إيمانك به. ينبغي أن يكون لكل منا ما يؤمن به.»

حين وصل القطار الذي ستستقله عانق أحدهما الآخر لوقت طويل إلى أن حان موعد صعودها على متنه استعداداً للرحيل. وهي تضع إحدى قدميها على العتبة التفتت إليه تقول: «لن أدفعك إلى اتّباع المذهب. لا يهمني ما الذي تؤمن به وسأبقى أحبك دائماً. لكنني أظن أنه يجدر بك أن تتابع دراستك اللاهوتية للإنجيل.»

«لماذا تقولين هذا؟»

أجابته: «لقد رأيت كتاباتك على اللوحة التي على الحائط. لكن لماذا إلى هذا الحدّ هي متشائمة وتدل على العصبية؟ قبلاتي. أراك لاحقاً.»

لوّحت له بيدها ورحلت. وقف على رصيف المحطة مرتبكاً مذهولاً

يراقب القطار يبتعد. بعد أن اختفت عن ناظريه وراء المنعطف استوعب معنى الكلمات الأخيرة التي قالتها.

هرع ميكائيل يغادر المحطة. هناك ما يقارب الساعة قبل حلول موعد انطلاق الحافلة التالية. كان من الاضطراب بحيث لم يطق الانتظار طوال هذه المدة. ركض إلى مواقف سيارات الأجرة فرأى هناك حسين صاحب اللكنة النورلاندية.

بعد مرور عشر دقائق تماماً كان في مكتبه. لقد دوّن الملاحظة فوق طاولة المكتب بالفعل.

ماغدا - 32016

سارة - 32109

ر.ج. - 30112

ر.ل. - 32027

ماري - 32018

أخذ ينظر في أرجاء الغرفة. ثم ما لبث أن أدرك أين يمكنه أن يجد كتاب إنجيل. اصطحب الملاحظة المدونة معه وبحث عن المفاتيح التي كان قد تركها في وعاء وضعه على حافة النافذة وشرع يركض طوال النهار مسرعاً إلى كوخ غوتفريد. كانت يداه ترتجفان عملياً وهو يتناول إنجيل هارييت من على الرف.

لم تكن قد دوّنت أرقام هواتف. بل إن الأعداد التي كتبتها كانت تشير إلى الفصل والآية من اللاوي، الكتاب الثالث من الأسفار الخمسة للعهد القديم.

(ماغدا) لاوي، 16:20

«إن قاربت امرأة ما أي وحش ونامت معه، فيجدر بك قتل المرأة والوحش معاً، يجب أن يقتلا ويسبحا بدمائهما.»

(سارة) لاوي، 21:9

«وإن قامت ابنة أي كاهن بتدنيس نفسها ولعبت دور الفاجرة ودنست بذلك والدها، ينبغي حرقها بالنار.»

(ر.ج.) لاوي، 1:12

«ويجدر به تقطيعها إرباً، وفصل رأسها وانتزاع أحشائها، وينبغي للكاهن إعادة ترتيب الإرب المقطعة على الحطب المشتعل فوق المذبح.»

(ر.ل.) لاوي، 27:20

«أي امرأة أو رجل يكون عرافاً أو ساحراً ينبغي قتله ورجمه بالحجارة وتركه يسبح بدمائه.»

(ماري) لاوي، 20: 18

«إذا جامع رجل امرأة وهي في مرحلة الطمث، وكشف عريها فقد كشف عن نافورتها وكشفت عن نافورة دمها فينبغي مقاطعة الاثنين ونبذهما في مجتمعهما.»

خرج وجلس على عتبة المنزل. كل من هذه الآيات قد تم وضع سطر تحتها في إنجيل هارييت. أشعل سيجارة وأخذ يستمع إلى زقزقة الطيور القريبة.

كانت لديه الأرقام. لكن الأسماء لم تكن كذلك. «ماغدا»، «سارة»، «ماري»، «ر.ج.»، و«ر.ل.».

ومن دون سابق إنذار، ثغرة ما في دماغ بلومفيست فتحت وقفزت منها فكرة. تذكّر ضحية حادث الحريق في هيدستاد التي أخبره عنها المحقق موريل. قضية «ريبيكا» التي حصلت أحداثها في الأربعينيات. لقد تم اغتصاب الفتاة وقتلها عبر فصل رأسها وشويه فوق الجمر المتأجج. «ويجدر به *تقطيعها إرباً وفصل رأسها وانتزاع أحشائها، وينبغي للكاهن*

ترتيب الإرب المقطعة على الحطب المشتعل فوق المذبح.» «ريبيكا» «ر.ج.» ما كان اسم عائلة الضحية؟
ما الذي كانت هارييت تورّط نفسها فيه بحق السماء؟

كان فانغر مريضاً طريح الفراش عندما طرق بلومفيست بابه. وافقت آنا على السماح له بالدخول شرط ألا يمكث عند الرجل العجوز سوى بضع دقائق.

شرح له هنريك وهو يشهق: «إنه زكام فصل الصيف. ما الذي كنت تريده؟»

«لدي سؤال لك.»

«وما هو؟»

«هل سبق لك أن سمعت عن حادثة قتل حصلت في هيدستاد في الأربعينيات؟ حادثة قتل فتاة تدعى ريبيكا... وقد تم شوي رأسها فوق النار.»

أجابه هنريك من دون لحظة تردد: «ريبيكا جاكوبسون تقصد. إنه اسم لا يمكن أن أنساه مطلقاً، على الرغم من عدم سماعي به منذ سنوات.»

«لكنك تعلم بشأن الجريمة، أليس كذلك؟»

«بالفعل أعرف. كانت ريبيكا جاكوبسون في الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين من عمرها حين توفيت. لا بدّ أن تكون الجريمة قد حصلت في... في العام 1949. وسادت حينئذ موجة عارمة من الاحتجاج الشعبي شاركتُ في جزء منه شخصياً.»

«هل فعلت حقاً؟»

«آه، أجل فعلت. فريبيكا جاكوبسون كانت إحدى الكتبة الإكليريكيين، وهي فتاة معروفة جداً وجذابة جداً. لكن لماذا تسأل؟»

«لست واثقاً تماماً هنريك، لكنني على وشك اكتشاف أمر ما ربما.

ينبغي أن أفكر في الأمر عميقاً.»

«هل تلمّح إلى وجود ترابط ما بين قصتي ريبيكا وهارييت؟ لقد كان هناك... ما يقارب سبعة عشر عاماً بين الحادثتين.»

«دعني أفكر في الأمر أكثر ومن ثمّ سأعود لرؤيتك غداً إن كنت تشعر بالتحسن.»

لم يذهب بلومفيست لرؤية فانغر في اليوم التالي. فقبل حلول الساعة الواحدة من بعد منتصف الليل، كان لا يزال جالساً على مقعد المطبخ، يقرأ في إنجيل هارييت، حين سمع هدير محرك سيارة تشق طريقها بسرعة قصوى فوق الجسر. نظر من النافذة فرأى وميض أضواء سيارة الإسعاف الزرقاء اللون.

أسرع في الخروج من المنزل يملأه شعور ينذر بالشؤم. توقفت سيارة الإسعاف أمام منزل فانغر. كانت أنوار الطابق السفلي للمنزل جميعها مضاءة. تجاوز مسرعاً السلالم في قفزتين ليجد آنا ترتجف في قاعة الاستقبال.

وقالت له: «إنه قلبه. أيقظني منذ برهة يشكو من ألم في صدره. ومن ثم أغمي عليه.»

طوّق بلومفيست مدبرة المنزل بذراعيه وكان لا يزال واقفاً في مكانه حين خرج المسعفون يحملون فانغر على نقّالة. وكان مارتن فانغر يجر نفسه متثاقلاً خلفهم تعلو وجهه علامات الحزن. كان في سريره حين اتصلت به آنا، كانت قدماه حافيتين إلا من جاربين ولم يكن يغلق أزرار ثوبه. ألقى التحية على بلومفيست بشكل سريع مقتضب ثم التفت إلى آنا وقال لها: «سأرافقه إلى المستشفى. اتصلي ببيرجر وحاولي الاتصال بسيسيليا في لندن صباحاً. وأخبري ديرك بما حصل.»

قال بلومفيست: «يمكنني الذهاب إلى منزل ديرك بنفسي.» نظرت إليه آنا ممتنة.

استغرق الأمر عدة دقائق قبل أن يجيب فرود الناعس.

«لدي أخبار سيئة لك يا ديرك، تم نقل هنريك إلى المستشفى. يبدو أنه أصيب بنوبة قلبية. أرادني مارتن أن أعلمك بالأمر.»

أجاب فرود بالقول: «يا الله.» ثم نظر في ساعة يده وتابع: «إنه يوم الجمعة في الثالث عشر.»

في صباح اليوم التالي وبعد أن أجرى محادثة قصيرة مع ديرك فرود على هاتفه النقال وتأكد أن هنريك فانغر لا يزال على قيد الحياة، اتصل بلومفيست ببرجر وأخبرها أن الشريك الجديد في مجلة «ميلينيوم» نُقِلَ إلى المستشفى إثر إصابته بنوبة قلبية. وقد تلقّت برجر الخبر باضطراب وحزن عميقين حتماً.

في وقت متأخر من المساء، أتى فرود لزيارته واطلاعه على وضع هنريك فانغر الصحي.

«إنه على قيد الحياة لكنه ليس بحالة جيدة. أصيب بنوبة قلبية حادة وخطيرة، كما أنه يعاني من الالتهاب.»

«هل رأيته؟»

«كلا، إنه في وحدة العناية المركزة. مارتن وبيرجر بقيا معه.»

«ما هي فرص نجاته؟»

لوّح فرود بيده إلى الأمام والوراء.

«تخطى النوبة القلبية وهذا مؤشر جيد. هنريك يتمتع بصحة ممتازة لكنه هرم. سيكون علينا أن ننتظر لنعرف كيف ستؤول الأمور.»

جلس كل منهما بصمت مطبق مستغرقاً في أفكاره الخاصة. أعدّ بلومفيست القهوة. كان فرود يبدو بائساً إلى حدٍّ بعيد.

سأله بلومفيست: «أحتاج لأن أسألك ما الذي ينبغي أن يحصل الآن؟»

رفع فرود نظره إليه وقال: «إن شروط توظيفك لا تتغير بل تبقى على حالها. لقد نص عليها العقد الموقّع الذي يبقى ساري المفعول حتى نهاية العام، سواء بقي هنريك حياً أو توفي. ليس عليك أن تقلق بهذا الشأن.»

«كلا، لم يكن هذا ما عنيته بالسؤال، بل إني أتساءل إلى من أرفع التقارير في غيابه.»

أطلق فرود تنهيدة من الأعماق: «أنت تدرك يا بلومفيست، تماماً كما أدرك، أن قصة هارييت ليست سوى تسلية بالنسبة لهنريك.»

«لا تقل هذا يا ديرك.»

«ما الذي تعنيه؟»

أجاب بلومفيست: «لقد وجدت إثباتات جديدة. وقد أطلعت فانغر على بعضها أمس. وأكثر ما أخشاه أن تكون تلك الأخبار قد ساهمت في إصابته بالنوبة القلبية.»

نظر ديرك إليه تعلو قسمات وجهه علامات التعجب والاستغراب.

«أنت تمزح، لا بدّ أنك...»

هز بلومفيست رأسه.

«وجدت على مدى الأيام القليلة الماضية معطيات مهمة حول اختفاء هارييت. ما يقلقني هو أننا لم نناقش قط مسألة الشخص الذي ينبغي أن أرفع التقارير إليه في حال غياب فانغر.»

«سترفع تقاريرك إليّ أنا.»

«حسناً، عليّ أن أتابع العمل على القضية، هل لي أن أضعك في صورة ما يحدث الآن؟»

شرح له بلومفيست آخر ما قد توصّل إليه بأكبر قدر ممكن من الاقتضاب، كما أظهر لفرود سلسلة من الصور التي حصل عليها لجارنفاغسغاتان. ومن ثم أخبره كيف قامت ابنته بحل لغز الأسماء في دفتر التواريخ. أخيراً، طرح أمامه مسألة الترابط بين الأسماء والتواريخ وما هو وارد في الإنجيل، تماماً كما قام بشرح الأمر لفانغر في اليوم السابق،

عندما سأل عن جريمة قتل ريبيكا جاكوبسون عام 1949 وربطها بالحرفين الأولين المذكورين «ر.ج.».

الأمر الوحيد الذي لم يتطرق إليه كان وجه سيسيليا فانغر عند نافذة غرفة نوم هارييت. كان يتوجب عليه التحدث إليها قبل أن يضعها في موقف المشتبه بارتكابه شيئاً ما.

تغضّن جبين فرود قلقاً.

«هل تظن أن قضية مقتل ريبيكا لها علاقة ما بحادثة اختفاء هارييت؟»

«يبدو الأمر مستغرباً، أوافقك الرأي، لكن الحقيقة أن هارييت أوردت الحرفين الأولين من اسم الضحية وعائلتها 'ر.ج.' في دفتر مذكراتها مدونة بجانبها مرجعاً يعود إلى أسفار العهد القديم يتعلق بالأضحية المقدمة حرقاً. وريبيكا جاكوبسون تمّ إحراقها حتى الموت. لا يمكن الهروب كذلك من علاقتها بعائلة 'فانغر' إذ كانت تعمل لدى المؤسسة.»

«لكن ما علاقة كل ذلك بهارييت؟»

«لست أعلم الرابط بعد. لكنني أود أن أجده. سأخبرك بكل شيء كنت لأخبر هنريك به. وعليك أنت أن تتخذ القرارات بدلاً منه.»

«ربما يجدر بنا إطلاع الشرطة على ما اكتشفته.»

«كلا، ليس من دون الحصول على موافقة فانغر ومباركته. قانون التقادم بات يطبّق على قضية 'ريبيكا' التي عفا عليها الزمن وقد أقفلت الشرطة الملف وختم التحقيق في القضية. لن يعيدوا فتح الملف بعد مرور أربعة وخمسين عاماً على حدوث الجريمة.»

«حسناً، ما الذي ستفعله إذاً في هذه الحالة؟»

أخذ بلومفيست يذرع أرض المطبخ ذهاباً وإياباً.

«أولاً، أريد تعقب دليل الصورة الفوتوغرافية. إذا استطعنا أن نعرف ما الذي كانت هارييت تنظر إليه... فستتمكن من العثور على مفتاح للقضية ربما. أريد سيارة للذهاب إلى Norsjö لتعقب الدليل مهما كانت

الطريق التي ستقودني إليه. كما أنني أريد إجراء بحث في كافة آيات سفر لاوي. كل اسم من الأسماء الواردة يرتبط بوقوع جريمة ما. لدينا أربع آيات، لعلها تكون أربعة أدلة تشير إلى المجرم. لأجد الدلائل... أحتاج إلى المساعدة.»

«إلى أي نوع من المساعدة؟»

«أحتاج إلى من يساعدني في البحث أن يتمتع بطول الأناة للعودة إلى أراشيف الصحف القديمة والتفتيش لإيجاد كل من الأسماء ماغدا وسارة والأسماء المتبقية ربما. إن لم أكن مخطئاً، ريبيكا ليست الضحية الوحيدة.»

«هل تعني أنك تريد توظيف شخص آخر في...»

«هناك الكثير من العمل الذي ينبغي القيام به وبسرعة. لو كنت الشرطي الموكل التحقيق في القضية، لكنت قسّمت ساعات العمل والمراجع واستقدمت الأشخاص لمساعدتي في البحث. أحتاج إلى شخص محترف يسعنا الوثوق به يتقن العمل في الأرشيف.»

«أفهمك... أعتقد في الواقع أني أعرف أحد الباحثين الذين...»

تابع فرود قبل أن يتمكن من ردع نفسه عن الكلام: «إنها في الواقع الفتاة التي أجرت تحقيقاً حول خلفياتك قبل أن نقوم نحن بتوظيفك.»

«الفتاة التي قامت بماذا؟»

أجابه فرود: «لقد كنت أفكر بصوت مرتفع. لا شيء مهم.» فكر فرود في نفسه قائلاً إنه يتقدم في السن.

«لقد قمتم بتوظيف أحدهم ليجري تحقيقاً سرياً حولي أنا؟»

«الأمر ليس بهذه الدرامية، ميكائيل. أردنا توظيفك للقيام بمهمة وأجرينا بعض التحقيقات حولك لنعرف أي نوع من الأشخاص أنت، هذا كل ما في الأمر.»

«لهذا السبب يبدو هنريك أنه يعرف كل شيء عني، إلى أي مدى تعمّقتم في إجراء البحث؟»

«كان بحثاً معمّقاً بما يكفي في الواقع.»

«وهل تطرّق البحث كذلك للمشاكل التي تمر بها مجلة 'ميلينيوم'؟»

هز فرود كتفيه يقول: «كانت هناك إشارة للأمر.»

أشعل بلومفيست سيجارة وبدأ يدخنها بعصبية ظاهرة. كانت تلك السيجارة الخامسة التي يشعلها في ذلك اليوم.

«وهل هو تقرير مكتوب؟»

«ميكائيل إنه ليس بالشيء الذي ينبغي أن تقلق بشأنه.»

قال له: «أريد قراءة التقرير.»

«بالله عليك، ليس هناك من أمر غير اعتيادي حيال ما فعلناه. أردنا أن نعرف من تكون بالفعل قبل أن نوظّفك.»

كرر بلومفيست كلامه قائلاً: «أريد قراءة التقرير.»

«لا يسعني السماح لك بذلك.»

«أحقاً ما تقول؟ إذاً اسمع ما لدي لأقوله أنا لك: إما أن يكون التقرير بين يدي في غضون ساعة من الآن أو أغادر وأترك العمل. سأستقل القطار المتجه مساءً إلى ستوكهولم. أين هو التقرير؟»

نظر كل من الرجلين في عيني الآخر لبضع لحظات. ثم أطلق فرود تنهيدة من الأعماق وأبعد ناظريه وقال: «إنه في مكتبي في المنزل.»

لقد تسبب فرود بفوضى عارمة. وظلت الأمور تتراوح بين أخذ وردّ إلى أن وصل التقرير الذي وضعته ليزبث سالاندر إلى يدي بلومفيست في السادسة من مساء ذلك اليوم. كان التقرير طويلاً، يتألف من حوالى ثمانين صفحة إضافة إلى العشرات من نسخ المقالات والشهادات والوثائق الأخرى التي تُظهر تفاصيل حياته ومهنته.

كانت تجربة غريبة أن يقرأ حول نفسه، تقريراً يعتبر بجزء منه سيرة ذاتية، وبجزء آخر تقريراً استخباراتياً. كان كلما يتقدم في قراءة صفحات التقرير تزداد دهشته لعمق التفاصيل الواردة فيه. كانت سالاندر قد عمّقت

البحث كثيراً وفتشت عن الحقائق التي ظنها قد طُمرت في مزابل التاريخ. كانت قد حجبت النقاب عن إحدى علاقاته أيام الشباب مع إحدى زميلات النقابة الأكثر حماسة للقضية ممن أصبحت اليوم تعمل في حقل السياسة. إلى من تحدثت بهذا الخصوص يا ترى؟ كانت قد عثرت على اسم فرقة الروك Bootstrap التي كان يحبها، والتي لا يتذكر أحد اسمها اليوم حتماً. كما أنها عاينت أحواله المالية وعرفت المبلغ المالي الذي يملك حتى آخر فلس منه. كيف فعلت ذلك بحق السماء؟

أمضى بلومفيست بحكم عمله كصحافي سنوات طوالاً في تعقّب المعلومات الخاصة بالأشخاص، وبات بإمكانه الحكم على نوعية العمل من موقع حرفي خالص. وما من شك أن سالاندر تلك كانت من أفضل المحققين على الإطلاق. كان يشك في قدرته الخاصة على إنتاج تقرير يضاهي الذي بين يديه حول شخص يجهله بالكامل.

كما خطر له أنه ما كان ينبغي لأي سبب كان الحفاظ على مسافة بينه وبين برجر بحضور هنريك الذي كان يعرف مسبقاً بالعلاقة القديمة التي تربطهما. كشف التقرير بدقة مذهلة الوضع المالي لمجلة «ميلينيوم». وكان فانغر يعلم عندما اتصل ببرجر مدى تأرجح وضع المجلة. أي نوع من الألاعيب كان فانغر يمارسها؟

لم يتم التطرق إلى قضية «وينرشتروم» إلا بشكل مقتضب في التقرير لكن من الواضح أن أياً من كان قد قام بكتابته، كان من الحاضرين في المحكمة والمتابعين لأحداث القضية. وقد تساءل التقرير عن سبب رفض بلومفيست التعليق أثناء المحاكمة. يا لها من امرأة ذكية.

وفي اللحظة التالية تماماً، استقام بلومفيست في وضعية الجلوس التي كان يتخذها عاجزاً عن تصديق ما تراه عيناه. كانت سالاندر قد دوّنت فقرة قصيرة تطرح فيها تقييمها لما قد يحدث بعد المحاكمة. كانت قد أعادت حرفياً كلمات المؤتمر الصحفي الذي قدماه هو وبرجر بعد استقالته من وظيفته كناشر في مجلة «ميلينيوم».

غير *ان سالاندر نقلت كلامه حرفياً من دون زيادة او نقصان*. نظر مجدداً إلى غلاف التقرير ليرى أن تاريخه يعود لثلاثة أيام قبل إصدار الحكم عليه. *هذا امر مستحيل*. يومئذ لم يكن البيان الصحفي موجوداً إلا في مكان واحد من العالم بأسره. داخل كومبيوتر بلومفيست الخاص. وفي جهاز الـiBook الخاص به تحديداً وليس جهاز الكومبيوتر الموجود في مكاتب الشركة. لم تتم طباعة البيان مطلقاً. ولا حتى برجر كانت تملك نسخة منه على الرغم من أنهما تحدثا بالأمر معاً. وضع بلومفيست تقرير سالاندر جانباً. ارتدى معطفاً وخرج يتمشى في الليل الذي تضيئه نجوم السماء قبل أسبوع واحد من منتصف فصل الصيف. مشى على طول الشاطئ متجاوزاً منزل سيسيليا فانغر والمركب الفخم الراقد تحت فيللا مارتن فانغر. كان يمشي ببطء ويفكر في الأمر ملياً. أخيراً، جلس على صخرة وأخذ يتأمل العوامات المضيئة الطافية على سطح مياه خليج هيدستاد. لم تكن هناك سوى خلاصة واحدة.

قال بصوت مرتفع: *«لقد دخلت السيدة سالاندر إلى كومبيوتري الخاص. أيتها الهاكر اللعينة.»*

الفصل الثامن عشر

الأربعاء، 18 يونيو

أفاقت سالاندر من نوم يخلو من الأحلام يتابها شعور بالاضطراب. لم يكن عليها أن تدير وجهها لتعرف أن ميمي قد غادرت للعمل، إلا أن رائحتها كانت لا تزال تملأ أجواء غرفة النوم الخانقة. كانت سالاندر قد تناولت الكثير من الجعة الليلة الماضية مع جماعة «أصابع الشر» في «ميل». كانت ميمي قد ظهرت قبل وقت قصير من موعد الإقفال ورافقتها سالاندر إلى السرير.

سالاندر، وخلافاً لميمي، لم تفكر قط أنها سحاقية. لم تطل التفكير يوماً في ما إذا كانت فتاة ذات ميول جنسية طبيعية أو ما إذا كانت سحاقية أو كانت الاثنين معاً. لم تكن تبالي البتة بشأن التصنيفات ولم تكن تعتقد أن لأحدهم شأناً مع من كانت تمضي لياليها. لو خيرت لفضّلت النوم مع شبان، إذ كانوا يحتلون الطليعة من حيث عددهم في حياتها. المشكلة الوحيدة تكمن في إيجاد شاب لا يكون غبياً ويجيد دور العشيق. كانت ميمي تمثل تسوية عذبة، وتشعل نار سالاندر. سبق أن التقيا في خيمة لاحتساء الجعة معاً في احتفال النصر قبل عام، وكانت ميمي الشخص الوحيد الذي قامت سالاندر بتعريفه إلى جماعة «أصابع الشر». مع ذلك كانت الفتاتان تعتبران أن العلاقة التي تجمعهما عابرة ليس إلا. كان الاستلقاء بجانب جسد ميمي الدافئ الطري الملمس يولد إحساساً جميلاً لديها، ولم تكن سالاندر تجد أي مشكلة في أن يستيقظا

في السرير ذاته ويتناولا طعام الفطور معاً.

كانت ساعة يدها تشير إلى التاسعة والنصف صباحاً، وكانت تتساءل ما الذي أيقظها من نومها الهانئ حين رنّ جرس الباب مجدداً. جلست في السرير متعجبة. لم يسبق لأحد أن دق باب منزلها في مثل هذه الساعة المبكرة من النهار. قلة من الناس يطرقون باب منزلها أصلاً. لفّت نفسها بغطاء السرير ومشت بخطى غير ثابتة نحو غرفة الاستقبال لتفتح الباب. وإذ بها تنظر في عيني ميكائيل بلومفيست مباشرة، فتسري في عروقها موجة من الرعب وتدفعها خطوة إلى الوراء.

حياها ببشاشة قائلاً: «صباح الخير سيدة سالاندر كانت ليلة حافلة كما أرى، هل لي بالدخول؟»

ومن دون أن ينتظر جواباً عن سؤاله، دخل بلومفيست المنزل وأغلق الباب وراءه. نظر بفضول ظاهر إلى كومة الثياب المكدسة فوق أرض غرفة الاستقبال وإلى صف الحقائب المحشوة بالصحف ثم استرق النظر إلى غرفة النوم من خلال الباب المشقوق في حين بدأ عالم سالاندر يدور بالاتجاه المقلوب. كيف؟ ماذا؟ من؟ راقب بلومفيست دهشتها مستمتعاً.

«افترضت أنك لم تتناولي طعام الفطور بعد فأحضرت معي بعض الكعك. إحداها محشو بلحم البقر وأخرى بلحم الحبش والخردل وثالثة خاصة بالنباتيين مع الأنوكادو نظراً لعدم معرفتي بذوقك في الأكل.» مشى نحو المطبخ وبدأ يغسل آلة صنع القهوة وأضاف: «أين تضعين البن؟»

تسمّرت سالاندر في مكانها كأنها لوح من جليد إلى أن سمعت صوت الماء ينسكب من الحنفية. تقدمت ثلاث خطوات سريعة وصرخت: «توقف! توقف حالاً!» أدركت أن صراخها يملأ المكان فأخفضته وتابعت تقول: «تباً لكل ما يحصل! لا يمكنك أن تأتي وتتجول متفاخراً في منزلي كأنك صاحب البيت. نحن حتى لا نعرف بعضنا بعضاً.»

توقف بلومفيست عما كان يفعله والتفت إليها، وكان لا يزال يحمل الوعاء في يده.

«ليس صحيحاً! لأنك تعرفينني أكثر من أي شخص آخر. أليس كذلك؟»

عاد يدير لها ظهره ويملأ وعاء آلة صنع القهوة ماءً. وشرع يفتح خزائن المطبخ بحثاً عن البُنّ. «بالمناسبة، أعلم كيف تقومين بذلك. أنا على علم بأسرارك.»

أغمضت سالاندر عينيها متمنية لو تكف الأرض عن الارتجاج من تحت قدميها. كانت في حالة شلل دماغي تام. مشلولة عن الحركة تماماً، ما كان بوسعها أن تصدق أن الوضع الذي تعيشه حقيقي، كان عقلها يرفض أن يفكر أو أن يعمل. لم يسبق لها قط أن صادفت أياً من الأشخاص الذين أجرت تحقيقاً حولهم وجهاً لوجه. *هو يعلم اين اسكن!* كان يقف في مطبخها. إنه أمر مستحيل. إنه أمر فظيع. *وهو يعلم من اكون!*

شعرت بالغطاء يسقط عن جسمها فسارعت إلى إحكام لفه حولها. قال شيئاً ما لكنها لم تتمكن من فهمه في البداية. فتكلم مجدداً قائلاً: «يجب أن نتحدث. لكن أظن أنه يجب أن تستحمّي أولاً.»

حاولت أن تقول شيئاً مفهوماً: «اسمعني، إن كنت تفكر في اختلاق المشاكل، فلست أنا الشخص الذي يجب أن تتحدث إليه. كنت أقوم بعملي فقط. يجدر بك التحدث إلى رئيسي في العمل.»

رفع يديه في الهواء كإشارة تقليدية إلى السلام أو كأنه يقول *انا لا احمل اي سلاح*.

«سبق لي أن تحدثت إلى آرمانسكي. بالمناسبة، يريدك أن تتصلي به. لم تجيبي على اتصاله الليلة الماضية.»

لم تلمس في كلامه أي أثر للتهديد، لكنها تراجعت مع ذلك خطوة إلى الوراء حين اقترب منها وأمسك بذراعها وقادها إلى باب الحمام. كانت تكره أن يلمسها أحد من دون أن تسمح له بذلك.

قال لها: «لا أنوي اختلاق أي مشاكل، لكني متحمس للتحدث إليك

وحسب. وهذا ما سيحدث بعد أن تستقيظي جيداً. ستكون القهوة جاهزة بينما تضعين شيئاً عليك. لكن استحمي أولاً. تحركي!»

أطاعته خاضعة. لكنها فكرت في نفسها، *ليزيث سالاندر لا تطيع خانعة مطلقاً.*

استندت إلى باب الحمام وكافحت لاستجماع أفكارها. كان كيانها أكثر ارتجافاً مما كانت تتصور ذلك ممكناً. أدركت تدريجياً أن الإشارة إليها بالاستحمام لم تكن نصيحة جيدة وحسب بل حاجة ضرورية بعد موجة الهياج التي مرّت بها الليلة الماضية. عندما انتهت، تسللت إلى غرفة النوم وارتدت سروال جينز وسترة قطنية تحمل شعاراً يقول *آرماجدّون كان بالامس وحسب - اما اليوم فنحن عالقون في مشكلة حقيقية.*

لكنها توقفت للحظة وبحثت في جيب سترتها الجلدية المعلقة فوق الكرسي. سحبت من الجيب المدس الكهربائي وتأكدت من أنه مشحون ودسته في الجيب الخلفي لسروال الجينز. كانت رائحة القهوة تفوح من المطبخ وتملأ أرجاء المنزل. أخذت نفساً عميقاً وتوجهت إلى حيث مصدر الرائحة.

سألها: «ألا تقومين بأعمال التنظيف مطلقاً؟»

كان قد ملأ حوض غسيل الصحون بالمتسخ منها إضافة إلى منافض رماد السجائر. وقام برمي علب الحليب الفارغة في كيس النفايات وأزال صحفاً تعود لخمسة أسابيع عن الطاولة ونظّفها جيداً. ثم وضع فنجانَيْ قهوة. تبين لها أنه لم يكن يمازحها حين قال إنه جلب الكعك إذ كان هناك فعلاً يتوسط الطاولة. حسناً، *لنرَ أين سيقودنا كل ذلك.* جلست قبالته تماماً.

«لم تجيبي عن سؤالي. هل تريدين الكعكة المحشوة بلحم البقر أو الحبش أو النباتية؟»

«المحشوة بلحم البقر.»

«سأتناول المحشوة بلحم الحبش إذاً.»

تناولا الطعام بصمت يمعن أحدهما النظر بالآخر. حين انتهت من تناول الكعكة الأولى التهمت نصف كعكة الطعام النباتي. ثم تناولت علبة سجائر متجمدة عن حافة النافذة وأخذت تفتش عن سيجارة.

كسر حاجز الصمت القائم بينهما حين قال: «قد لا أضاهيك في القيام بتحقيقات ممتازة لكني اكتشفت على الأقل أنك لست نباتية أو مصابة، كما يظن السيد فرود، بمرض فقدان الشهية. سأضمّن التقرير الذي سأضعه حولك هذه المعلومات.»

أخذت سالاندر تحملق فيه، إلا أنه بدا مغتبطاً جداً بنفسه مما جعلها تمنحه ابتسامة ماكرة. كان الوضع القائم بينهما يتخطى كل منطق أو نظام. ارتشفت قهوتها بصمت. وفكرت في نفسها أن لديه عينين مفعمتين بالرقّة. وقررت أنه أياً من كان، يستحيل أن يكون رجلاً شريراً. كما أن ليس هناك في التحقيق الخاص الذي أجرته حوله ما يشير إلى إمكانية أن يكون وغداً نذلاً يسيء إلى صديقاته أو أي شيء من هذا القبيل. ذكّرت نفسها بأنها هي التي تعرف كل شيء عنه وليس العكس. *المعرفة قوة.*

سألته: «علامَ تضحك؟»

«أعتذر. لكني لم أخطط في الواقع لأن أقتحم المنزل على هذا النحو، لم أقصد إخافتك. لكن كان يجدر بك أن تري ملامح وجهك حين فتحت لي الباب. كان المنظر لا يقدَّرُ بثمن.»

عاد الصمت يخيّم من جديد. وجدت سالاندر لدهشتها أن اقتحامه غير المرحب به كان مقبولاً أو أنه على الأقل لم يكن بغيضاً.

قال لها: «عليك أن تفكري في الأمر على أنه نوع من الانتقام لحشر أنفك في شؤون حياتي الخاصة. هل تشعرين بالخوف؟»

أجابته سالاندر: «ولا بأي أثر له.»

«هذا جيد. أنا لست هنا بهدف إثارة المشاكل.»

«إن حصل وحاولت إيذائي، سأسبب لك الأذى بدوري. ستشعر بالأسف صدقني.»

تفرّس بلومفيست في ملامحها جيداً. كان طولها لا يكاد يتجاوز أربعة أقدام ولم تكن توحي له بأنها تستطيع المقاومة كثيراً بوجهه لو كان معتدياً حقيقياً اقتحم منزلها على حين غرة. إلا أن عينيها كانتا هادئتين، خاليتين من أي تعبير.

قال لها أخيراً: «لن يكون هذا ضرورياً. كل ما أحتاج إليه هو التحدث إليك. إن أردتني أن أرحل فكل ما عليك فعله هو طلب ذلك. إنه لأمر مضحك... ولكن... حسناً... لا شيء.»

«ماذا هناك؟»

«قد يبدو ما سأقوله لك جنونياً، لكني منذ أربعة أيام مضت لم أكن أعلم حتى بوجودك. ومن ثم قرأت التحليل الذي كتبته عني.» أخذ يفتش بين أغراض حقيبة كتفه وأخرج التقرير وهو يقول لها: «لم تكن قراءة ممتعة في الواقع.»

نظر من نافذة المطبخ لبرهة ثم سألها: «هل لي أن أدخّن سيجارة؟» دفعت له بعلبة السجائر من فوق الطاولة.

أشار إلى التقرير قائلاً: «قلت لي سابقاً إننا لا نعرف بعضنا بعضاً وأجبت أن العكس هو الصحيح. لا يسعني منافستك. كل ما قمت به أنا هو تحقيق روتيني سريع من أجل الحصول على عنوان سكنك وتاريخ ولادتك وأمور مشابهة. لكنك من دون أدنى شك تعرفين عني الكثير. تعرفين قدراً هائلاً من المعلومات الخاصة جداً للأسف، أمور لا يعرفها عني سوى أصدقائي المقربين. وها أنا الآن أجلس في مطبخك وأتناول الكعك معك. لم يتعرف أحدنا إلى الآخر إلا منذ نصف ساعة وأشعر أننا صديقان منذ زمن، هل يعني لك الموضوع شيئاً؟»

أومأت له.

قال لها: «لديك عينان جميلتان.»

«وعيناك جميلتان أيضاً.»

عاد الصمت ليخيم من جديد على المكان.

«لماذا أنت هنا؟»

«بلومفيست الخارق»، تذكرت اسمه المستعار وكبحت رغبة عارمة لنطقه بصوت مرتفع وبدت جدية فجأة. هو أيضاً كان يبدو متعباً. كانت الثقة بالنفس التي أظهرها لدى اقتحامه شقتها قد اختفت بالكامل. والتهريج والمرح قد اختفيا كذلك أو تنحيا جانباً على الأقل. شعرت به يتأملها عن كثب.

أحست سالاندر بنظراته تخترق جسدها الذي ما عادت تشعر أنه يعدو جلدها الرقيق، لم تعد تسيطر على أعصابها تماماً. هذا الضيف غير المرحب به إطلاقاً قد هز كيانها بطريقة لم تختبر لها مثيلاً قط في حياتها المهنية. كانت تكسب عيشها من التجسس على حياة الآخرين. كانت تظن في الواقع أن العمل الذي تقوم به لصالح آرمانسكي ليس وظيفة فعلية بل كانت تفكر في الأمر على أنه مجرد طريقة معقدة لتمضية الوقت لا أكثر، في ممارسة أحد أنواع الهوايات وحسب.

الحقيقة أنها كانت تستمتع بالقيام بنبش حياة الآخرين والكشف عن الأسرار التي يحاولون إخفاءها. وهذا ما كانت تقوم به بشكل أو بآخر منذ وقت طويل حسبما تتذكر. إنها مهنة لا تزال تزاولها حتى اليوم وليس منذ أن بدأ آرمانسكي يوكل إليها ذلك النوع من المهام. إذ كانت تتبرع أحياناً للقيام بالأمر من تلقاء نفسها بدافع الحصول على المتعة فقط. كان ذلك يعطيها دافعاً ما. كان أشبه بلعب مباراة معقدة على الكومبيوتر مع فارق أن المسألة تتعلق بحياة أشخاص حقيقيين. وها هو الآن أحد مواضيع هواياتها يجلس في المطبخ قبالتها ويشاركها تناول الكعك. إنه لوضع سخيف تماماً.

قال لها بلومفيست: «إني أواجه مشكلة كبيرة جداً. قولي لي شيئاً، حين كنت تقومين بتحقيق حول حياتي لصالح السيد فرود، هل كنت تملكين أدنى فكرة عن وجهة استعماله؟»

«كلا.»

«كان الهدف من ورائه الكشف عن كافة المعلومات المتعلقة بي لأن السيد فرود ذاك أو رئيسه في العمل على وجه أصح أراد أن يمنحني عملاً حراً.»

«أرى أنه فعل.»

افتر ثغره عن طيف ابتسامة.

«يجدر بنا أنا وأنت أن نناقش يوماً ما أخلاقيات التجسس على حياة الآخرين. لكن في الوقت الراهن، عليّ أن أعالج مشكلة أخرى مختلفة بالكامل. العمل الذي عرضه عليّ والذي لسبب أعجز عن فهمه قبلت القيام به، يعتبر من دون أدنى شك، المهمة الأكثر غرابة التي قمت بها في حياتي. قبل أن أتابع الحديث، أحتاج لأن أتمكن من الوثوق بك يا ليزبث.»

«ما الذي تعنيه بقولك هذا؟»

«آرمانسكي يقول إنه يمكن الاعتماد عليك مئة بالمئة. لكنني لا أزال أود طرح سؤال واحد عليك. هل يسعني البوح أمامك بمعلومات سرية دون أن تقومي بإخبار أحد بها مهما كلف الأمر؟»

«انتظر لحظة. هل سبق أن تحدثت إلى دراغان آرمانسكي؟ هل هو الشخص الذي أرسلك إلى هنا؟» *سوف أقتلك أيها الارميني الأحمق، الغبي، اللعين.*

«ليس تماماً. فأنت لست الشخص الوحيد القادر على معرفة عناوين منازل الآخرين، لقد نفّذت المهمة وحدي. فتشت عن اسمك في السجلات الرسمية، ووجدت شخصين آخرين يحملان الاسم نفسه، ليزبث سالاندر، إلا أنهما لم تكونا تطابقان المعطيات تماماً. بالأمس أجريت حديثاً مطولاً مع آرمانسكي. وقد ظن هو أيضاً أني أريد إحداث المشاكل بسبب قيامك بالعبث والبحث في شؤون حياتي الخاصة. لكنني أقنعته في النهاية أن لدي هدفاً يبرر ما أفعله.»

«وهو؟»

«كما سبق أن أخبرتك، رئيس عمل فرود أوكل إليّ القيام بعمل ما. وصلت إلى مرحلة من المهمة أحتاج فيها إلى باحث محترف. أخبرني فرود عنك مثنياً على جهودك. لم يكن يقصد البوح باسمك إلا أنه أفلت منه دون انتباه عن طريق الخطأ. وقد سبق أن شرحت لآرمانسكي ما الذي أريده بالضبط فوافق على كل ما قلته وحاول الاتصال بك. وها أنذا موجود اليوم أمامك. اتصلي به إذا أردت التحقق من صدقية ما أقول.»

أمضت سالاندر دقيقة تبحث عن الهاتف النقال بين الملابس التي خلعتها ميمي الليلة الماضية. وأخذ بلومفيست يراقب مستمتعاً عملية التفتيش الخجولة بينما هو يتجول في أرجاء الشقة. بدت جميع قطع الأثاث الموجودة هناك في حالة رثّة تماماً. لكنها كانت تملك أحدث طراز جهاز كومبيوتر من نوع Powerbook يبرر وجود طاولة مخصصة له في غرفة الجلوس. كما كانت لديها آلة تشغيل الأقراص المدمجة على الرف. إلا أن مجموعة الأقراص التي لديها فقيرة تبعث على الشفقة وهي لا تضم أكثر من عشرة أقراص لفرق غنائية لم يسبق له أن سمع باسمها من قبل، وصور المغنين الموجودة على الغلاف بدت لأناس غريبي الهيئات أشبه بمصاصي الدماء وكأنهم من كوكب آخر. لعل الموسيقى لم تكن تحتل موقعاً مميزاً في اهتماماتها.

لاحظت سالاندر أن آرمانسكي قد اتصل بها سبع مرات في الليلة السابقة ومرتين صباحاً، إذ ظهر رقمه على شاشة الهاتف حالما شغّلته. أخذت تضغط على الأزرار تطلب رقم هاتفه بينما بلومفيست يستند إلى الباب ويصغي إلى الحديث بينهما.

«هذه أنا... اسمع أنا آسفة... أجل... كان هاتفي مقفلاً... أعلم، يريد أن يوكل إليّ مهمة ما... كلا، إنه في غرفة الجلوس في منزلي، بحق السماء،» ثم تابعت الحديث إليه بنبرة مرتفعة وقالت: «دراغان، أنا ثملة بعض الشيء وأشعر بألم حادّ في الرأس، لذا أرجوك،

لا وقت لممارسة الألاعيب، هل وافقت على أن أتسلّم هذه المهمة أو لا؟... شكراً.»

أخذت سالاندر تنظر عبر الباب إلى بلومفيست وهو يتناول الأقراص المدمجة والكتب عن الرف. كان قد وجد للتو قارورة زجاجية بنية اللون لا ملصق عليها وكان يديرها نحو الضوء ويوشك أن يفتحها حين وصلت إليه وسحبتها من يده وعادت إلى المطبخ. جلست إلى الكرسي وأخذت تفرك جبينها بانتظار أن ينضم إليها.

قالت له: «القواعد بسيطة. ما من أحد يعرف بأي أمر تناقشه معي أو مع آرمانسكي. سوف يكون هناك عقد ينص على أن شركة 'ميلتون للأمن' تتعهد بالسرية المطلقة. أريد أن أعرف نوع المهمة قبل أن أقرر القبول بالعمل لديك أم لا. وهذا يعني كذلك أني أحتفظ لنفسي بكل ما تخبرني به سواء قبلت العمل أو رفضته، شرط ألا يكون من أجل ارتكاب جريمة من أي نوع كانت. لأنه في هذه الحال سأخبر دراغان بالأمر وسيقوم بدوره بإبلاغ الشرطة.»

تردد للحظة قبل أن يجيب: «حسناً، قد لا يكون آرمانسكي على علم تام بما أريد توظيفك للقيام به...»

«أخبرني أنه سيكون نوعاً من إجراء تحقيق تاريخي.»

«أجل، حسناً، هذا صحيح. أريد منك مساعدتي في التعرف إلى قاتل.»

أمضى بلومفيست ساعة كاملة يشرح كافة التفاصيل المعقدة في قضية هاربيت فانغر. لم يغفل أي تفصيل مهما كان بسيطاً. لقد حصل على إذن فرود لتوظيفها، وكي يفعل ذلك يحتاج لأن يتمكن من الوثوق بها تماماً.

أخبرها كذلك بكل ما يتعلق بسيسيليا فانغر وبأنه رأى وجهها يطل من نافذة غرفة هارييت. أبلغ سالاندر بمواصفاتها على أفضل نحو استطاعه. لقد ارتفعت مرتبتها كثيراً على لائحة المشتبه فيهم، اللائحة التي وضعها

هو طبعاً. لكنه مع ذلك ظل يستبعد كثيراً فكرة وجود علاقة من أي نوع كانت يمكن أن تربطها بأحد القتلة أيام شبابها.

سلّم سالاندر أيضاً نسخة من لائحة الأسماء والأرقام الموجودة في دفتر مذكرات هارييت، «ماغدا-32016؛ سارة-32109؛ ر.ج.- 30112؛ ر.ل.-32027 ؛ ماري-32018» كما أعطاها نسخة من سفر اللاويين.

«ما الذي تريد مني فعله؟»

أخبرها عن معنى الأرقام المؤلفة من خمسة أعداد قائلاً: «لقد تعرفت إلى الاسم الذي يظهر الحرفان الأولان منه 'ر.ج.'، إنه يعود إلى ريبيكا جاكوبسون. فإذا كنت محقاً، فسنجد أربعة ضحايا آخرين هم، ماغدا وسارة وماري و'ر.ل.'.»

«وهل تظنهم تعرضوا للقتل جميعاً؟»

«ما أظنه هو أنه إذا تبين لنا أن الأرقام والأسماء الأخرى وأولى أحرف الأسماء هي مختصر لأربع حالات قتل أخرى، فنبحث عن شخص قاتل نفذ جرائمه في الخمسينيات وخلال الستينيات على ما أعتقد. وهو مرتبط بقضية هارييت فانغر بطريقة أو بأخرى. راجعت أعداد صحيفة *Courier Hedestad* الصادرة في ذلك الوقت فكانت عملية قتل ريبيكا جاكوبسون الجريمة الوحيدة التي وجدتها مرتبطة بمنطقة هيدستاد. أريد منك المضي في البحث في كل أنحاء السويد إذا اضطر الأمر إلى أن تجدي معنى للأسماء والعلامات الأخرى.»

استغرقت سالاندر في التفكير بصمت لحظة طالت إلى درجة بدأ صبر بلومفيست ينفد، حتى إنه كان قد بدأ يتساءل ما إذا كان قد اختار الشخص المناسب للقيام بالمهمة حين رفعت نظرها إليه وقالت: «حسناً، قبلت تأدية المهمة، لكن عليك أولاً أن توقع عقداً مع آرمانسكي.»

قام آرمانسكي بطباعة نسخة من العقد يمكن لبلومفيست أخذها إلى فرود للتوقيع عليها. وحين عاد إلى مكتب سالاندر رآها كيف تنحني هي

وبلومفيست فوق جهاز الـ Powerbook وينهمكان في العمل. كان بلومفيست يضع يده فوق كتفها- *أجل، كان يلمسها بالفعل*- ويشير بإصبعه إلى شيء ما على الشاشة. توقف أرمانسكي في الممر يراقب.

تفوّه بلومفيست بأمر بدا أنه أصاب سالاندر بالدهشة. فأخذت تضحك بأعلى صوتها.

لم يسبق لآرمانسكي أن سمعها مرة تضحك من قبل ولو لمرة واحدة، وهو الذي لم ينفك منذ سنوات يعمل على كسب ثقتها. بينما لم يعرفها بلومفيست إلا لخمس دقائق فقط وها هي تضاحكه. انتابه للحظة شعور عميق بالكراهية حيال بلومفيست جعله يتعجب من نفسه. تنحنح في الممر قبل أن يدخل المكتب حيث وضع الملف الذي يحتوي على العقد.

قام بلومفيست بزيارة سريعة إلى مكاتب مجلة «ميلينيوم». كانت تلك المرة الأولى التي يعود فيها إلى المجلة. شعر بكثير من الغرابة لدى صعوده السلالم المألوفة. لم يكن الرمز عند البوابة الرئيسية قد تغير وكان يسعه أن يدخل خفية من دون أن يلاحظه أحد وأن يقف للحظة وينظر في أرجاء المكان.

كانت مكاتب المجلة مصممة على شكل حرف L، كان المدخل عبارة عن قاعة استقبال تحتل مساحة كبيرة لا يتم استغلالها على أفضل نحو ممكن. إذ كانت تملأها أريكتان وتستعمل كغرفة للاستقبال. وخلف قاعة تناول الغداء مطبخ صغير ومكان لتبديل الملابس وحمامات، إضافة إلى غرفتين على شكل مخازن مليئتين بالرفوف وخزائن الملفات. كانت توجد كذلك طاولة للمتمرنين. وإلى يمين المدخل يوجد جدار زجاجي تقع خلفه غرفة سكن مالم التي تحتل مساحة خمسمئة قدم مربع، مع مدخل منفصل خاص بها من الخارج. أما إلى اليسار فمكتب التحرير الذي تبلغ مساحته حوالى ثلاثمئة وخمسين قدماً مربعاً مع نوافذ تطل على غوتغاتان.

كانت برجر هي مَن صمم كل شيء فاعتمدت الجدران الزجاجية لفصل مكاتب الموظفين الثلاثة بعضها عن بعض وترك مساحة مفتوحة مشتركة بين بقية الموظفين. كانت تحتفظ لنفسها بالمكتب الأكثر اتساعاً في الخلف وتعطي بلومفيست مكتباً خاصاً به في الجهة المقابلة لمكتبها. كانت تلك هي غرفة المكتب الوحيدة التي يمكن رؤيتها من المدخل. وعلى ما يبدو، لم يكن من أحد قد انتقل إليها. لم تكن غرفة المكتب الثالثة تبعد سوى قليل عن المكاتب الأخرى وكان يحتلها سوني ماغنوسون الذي كان على مدى سنوات طوال مدير المبيعات والإعلانات الأكثر نجاحاً. كانت برجر قد اختارته للعمل في مكاتب المجلة ومنحته الراتب والعمولة الأكثر تواضعاً. على مدى العام الماضي، وبغض النظر عن مدى الجهود التي كان يبذلها كمدير للمبيعات، كانت مداخيل الإعلانات تلاقي هبوطاً مستمرّاً وكذلك عمولته. إلا أنه وبدلاً من التفتيش عن عمل في مكان آخر شحذ الهمم وظل يعمل للمجلة بإخلاص تام. فكر بلومفيست أن ماغنوسون نقيضه تماماً، فهو الذي سبب الانهيار الكامل للمجلة.

استجمع ميكائيل شجاعته ومشى نحو مكتبه. بدا المكان أشبه بصحراء خالية. كان بإمكانه أن يرى برجر تجلس على مكتبها وتلصق الهاتف بأذنها. ومونيكا نيلسون كذلك كانت على مكتبها وهي مراسلة صحفية لنقل الأخبار العامة تتمتع بخبرة جيدة وهي متخصصة في تغطية الأخبار السياسية للمجلة. لعلها الساخرة الأكثر تشاؤماً التي التقاها يوماً. إنها تعمل للمجلة منذ تسع سنوات وهي مجتهدة جداً. أما هنري كورتيز فكان الموظف الأصغر سناً في هيئة التحرير. وقد أتى كمتمرن مباشرة من مقاعد الدراسة منذ عامين، قائلاً إنه يريد العمل في «ميلينيوم» وليس في أي مكان آخر. لم يكن لدى برجر أي مدخول إضافي لتوظيفه لكنها أعطته كرسياً وطاولة في إحدى زوايا المجلة. لطالما اعتبرته وصولياً مستفيداً وليس كأي واحد من أفراد هيئة التحرير في المجلة.

وقد أطلق كلاهما صيحات الاغتباط لدى رؤية بلومفيست وتلقى

العديد من القبل على الوجنات والتربيت على الكتف. وسأله الجميع على الفور ما إذا كان قد عاد للعمل في المجلة. فأجابهم أنه قد مرّ بالمكان لإلقاء التحية فقط والتحدث إلى الرئيس قليلاً. كانت برجر سعيدة لرؤيته. وسألته عن حال فانغر. لكن معلومات بلومفيست كانت تقف عند الحد الذي أخبره به فرود: لا شك أن حالته كانت خطيرة جداً.

«ماذا تفعل في المدينة إذاً؟»

شعر بلومفيست بالحرج لسؤالها. لقد كان في شركة «ميلتون للأمن» التي لا تبعد سوى بضع شوارع، وقرر من دون سابق تصميم القدوم لزيارة مكاتب المجلة. بدا الأمر أكثر تعقيداً من أن يشرحه ويوضح للجميع. لقد أتى لتوظيف باحثة مساعدة صُودف أنها مستشارة أمنية قد دخلت خلسة إلى جهاز الكومبيوتر الخاص به. لكنه بدلاً من ذلك هز كتفيه وقال إنه أتى إلى ستوكهولم لينجز بعض الأعمال المرتبطة بفانغر وأنه يجدر به العودة إلى الشمال فوراً. ثم سأل كيف تجري الأمور في المجلة.

«بعيداً عن الأخبار الجيدة المتعلقة بالإعلانات والاشتراكات، هناك غيمة سوداء تلوح في الأفق.»

«وما هي؟»

«جان دالمان».

«بالطبع.»

«أجريت حديثاً معه في نيسان الماضي بعد أن أعلنا أن هنريك أصبح شريكاً في المجلة. لا أعلم ما إن كان للأمر علاقة بطبيعة 'جان' المتشائمة وحسب أو إن كان هناك شيء ما خطيراً فعلاً قد حصل، أو إن كانت تلك إحدى ألاعيبه لا أكثر ولا أقل.»

«ما الذي حصل؟»

«ليس بالأمر اليقين لكنني لم أعد أثق به. بعد أن وقّعنا الاتفاقية مع فانغر، اضطررنا أنا وكريستر أن نتخذ القرار ما إذا كان علينا أن نُخبر فريق العمل كله بأننا لم نعد تحت خطر الإفلاس في الخريف، أو...»

«أو تخبرا القلة فقط بالأمر.»

«تحديداً. قد أكون مريضة بجنون العظمة، لكني لم أشأ أن أخاطر بأن يقوم دالمان بتسريب المعلومات. لذا قررنا إعلام كافة أفراد فريق العمل بالأمر في اليوم ذاته من الإعلان عن الاتفاقية علناً. وهو ما كان يعني أن نخفي الأمر لمدة شهر كامل.»

«ماذا بعد؟»

«حسناً، لقد كان ذلك الخبر الجيد الوحيد الذي سمعوه خلال عام. صفق الجميع للخبر إلا دالمان. أعني، حسناً، نحن لا نملك هيئة التحرير الأكبر في العالم، كان هناك ثلاثة أشخاص يصفقون إضافة إلى المتمرن طبعاً وشخص واحد اعتكف وخرج من المكتب احتجاجاً على عدم إخبارنا الموظفين جميعاً في وقت سابق.»

«كانت لديه وجهة نظر...»

«أعلم، لكن الأمر هو أنه ظل ينتقد وينتقد يوماً بعد يوم، وتأثر الجو العام للمكتب. بعد أسبوعين من حصول كل تلك المعمعة اتصلت به وطلبت مجيئه إلى مكتبي وأخبرته وجهاً لوجه أن السبب الذي دفعني لعدم إخبار هيئة التحرير في وقت مسبق هو عدم ثقتي بأنه سيبقي الأمر سراً.»

«وكيف تلقى الخبر؟»

«شعر بالحزن العميق طبعاً. صمدت أمام ردّ فعله وحافظت على موقفي ومنحته مهلة قصوى، إما أن يعدّل مساره وسلوكه أو يبدأ التفتيش عن وظيفة أخرى.»

«وماذا حصل بعد ذلك؟»

«أخذ يعدّل في سلوكه. لكنه منطوٍ على نفسه وهناك جوٌّ من التوتر الدائم بينه وبين الآخرين. كريستر لا يحتمل وجوده ولا يخفي ذلك.»

«وماذا تشكّين أنه فعل؟»

«لا أعرف، لقد وظفناه منذ عام حين كنا في بداية مرحلة المواجهة

مع وينرشتروم، لا يسعني إثبات شيء حتى الآن ولكن ينتابني شعور بغيض بأنه لا يعمل لصالح المجلة.»

«ثقي بحدسك.»

«لعله فقط شخص غير مناسب يسمّم أجواء المكتب هنا.»

«هذا ممكن. لكني أوافقك الرأي أننا ارتكبنا خطأً فادحاً بتوظيفه.»

بعد مرور نصف ساعة كان في طريق العودة شمالاً يجتاز أحواض نهر سلاسن في السيارة التي استعارها من زوجة فرود. كانت من نوع فولفو ويبلغ عمرها عشر سنوات وهي لا تستعملها مطلقاً. وقد سمحت لبلومفيست باستعارتها ساعة يشاء.

كان يمكن للتفاصيل البسيطة أن تفوته تماماً لو لم يكن يقظاً: لم تكن بعض الأوراق مرتّبة حسب الترتيب الذي يتذكره، وأحد الملفات لم يكن تماماً في الموضع الذي تركه فيه على الرف، كما أن أحد أدراج طاولة المكتب كان مغلقاً الآن جيداً في حين كان واثقاً تماماً بأنه تركه مفتوحاً قليلاً قبل مغادرته.

أحدهم كان داخل كوخه.

كان قد أقفل الباب وراءه لكنه نوع من الأقفال العادية القديمة التي يمكن لأي كان فتحها بسهولة بواسطة مفك براغٍ. ولا بد أنه شخص يعرف عدد المفاتيح والأقفال جيداً. أخذ يفتش بين أغراض مكتبه بحثاً عن أي شيء يمكن أن يكون مفقوداً، لكنه قرر بعد برهة أنه لا توجد أي مفقودات.

غير أن أحداً قد دخل كوخه وعبث بأوراقه وملفاته. كان قد أخذ الكومبيوتر معه لذا ما كان يمكن الوصول إليه والعبث بمحتوياته كذلك. خطر له عندئذ سؤالان يطرحان نفسيهما: من الشخص الذي اقتحم المكان؟ وإلى أي مدى وصل الزائر في اكتشافاته؟

كانت الملفات التي قام بنقلها إلى منزل الضيوف بعد عودته من

السجن تعود بجزء منها إلى مجموعة «فانغر». إلا أنها لم تكن تحتوي على أي معطيات جديدة. ودفاتر الملاحظات الموجودة في الأدراج كانت تشكل كتابات مرمّزة لأي قارئ غير مطّلع على تفاصيل القضية. لكن هل الشخص الذي عبث بمحتويات الدرج غير مطّلع على التفاصيل؟

كان قد وضع في ملف بلاستيكي يتوسط الطاولة نسخة من اللائحة الموجودة في دفتر مذكرات هارييت ونسخة من آيات الإنجيل. كان الأمر خطيراً. إذ إنه يكشف، أياً كان المقتحم، أن الرموز الواردة في دفتر المذكرات قد تم تفكيكها.

مَن يا تُرى دخل المنزل عنوة؟

فانغر كان في المستشفى. وهو لن يشك في آنا. فهل هو فرود؟ لقد سبق أن أخبره بكافة التفاصيل. سيسيليا فانغر ألغت رحلتها إلى فلوريدا وعادت من لندن مع أختها. لم يرها بلومفيست سوى مرة واحدة في اليوم السابق وهي تجتاز الجسر بسيارتها. مارتن فانغر، هارالد فانغر، وبيرجر فانغر تمت دعوتهم إلى اجتماع عائلي لم يكن هو مدعواً إليه وذلك بعد يوم واحد من إصابة هنريك بالنوبة القلبية. هل هو ألكسندر فانغر أو إيزابيلا فانغر؟

إلى من عساه فرود تحدث؟ ما الخبر الذي عساه انزلق عن لسانه تلقائياً هذه المرة؟ كم من الأقرباء المتلهفين قد أصدر تعليقاً حيال إحداث تقدم مفاجئ غير مسبوق في التحقيقات التي يجريها؟

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة مساءً حين اتصل بلومفيست بالحداد في هيدستاد وطلب أقفالاً جديدة للمنزل. أجابه الحداد بأنه قد يأتي إليه في اليوم التالي فما كان من بلومفيست إلا أن أخبره بأنه سيدفع له أجراً مضاعفاً إذا أتى فوراً. اتفقا على أن يأتي عند الساعة العاشرة والنصف تقريباً من الليلة ذاتها ويقوم بتركيب أقفال إضافية.

قاد بلومفيست السيارة إلى منزل فرود. فدعته زوجته للدخول ورافقته

إلى الحديقة الخلفية للمنزل وقدمت له مشروباً بارداً منعشاً قبل به ممتناً وسأل فرود عن حال فانغر.

هز فرود رأسه بحزن وقال: «أجروا له عملية جراحية. كانت لديه عدة مواضع انسداد في الشرايين التاجية. يقول الأطباء إن الأيام القليلة المقبلة ستكون حاسمة وخطيرة.»

استغرق كل منهما يفكر في الكلمات الأخيرة وهو يتناول الشراب المنعش.

«أفترض أنك لم تتحدث إليه، أليس كذلك؟»

«كلا، إنه ليس في حال تسمح له بالتحدث مع أي كان. كيف جرت الأمور معك في ستوكهولم؟»

«وافقت الفتاة سالاندر على القيام بالعمل. ها هو العقد من شركة 'ميلتون للأمن'. عليك أن توقّعه وترسله بالبريد.»

أخذ فرود يقرأ بنود العقد.

قال أخيراً: «تتقاضى مبلغاً مرتفعاً لقاء عملها.»

أجابه بلومفيست: «بوسع فانغر دفعه.»

أومأ فرود وسحب قلماً من جيب قميصه ووقّع.

«إنه لأمر جيد أن أقوم بالتوقيع على العقد فيما لا يزال فانغر على قيد الحياة. هل تستطيع أن تضعه في صندوق رسائل البريد في كونوسم وأنت في طريقك إلى المنزل؟»

كان بلومفيست مستلقياً في فراشه عند منتصف الليل إلا أن النوم لم يكن يعرف إليه سبيلاً. بدا عمله حتى الآن على جزيرة أشبه ببحث يقوم به بدافع الفضول التاريخي. لكن إن كان هناك أحد مهتم بالعمل الذي يقوم به بما يكفي ليقتحم منزله ويبحث بين أغراض مكتبه، فهذا يعني أن حلّ القضية اللغز بات أقرب بكثير مما كان يظنّ.

ثم خطر له أن هناك آخرين ممن قد يكونون مهتمين بما يفعله.

فظهور فانغر المفاجئ كأحد أعضاء مجلس إدارة مجلة «ميلينيوم» لن يمرّ مرور الكرام بالنسبة لوينرشتروم. أو لعل ذلك جنون العظمة وحسب؟

خرج بلومفيست من السرير وذهب عارياً ليقف أمام نافذة المطبخ ويتأمل الكنيسة القائمة على الجهة الأخرى من الجسر ويدخن سيجارة.

لم يكن بلومفيست يستطيع أن يتخيل ليزبث سالاندر. كان كل ما فيها غريباً. فهي تمضي فترات صمت طويلة أثناء الحديث، وتعيش في شقة تعج بالفوضى العارمة التي تلامس حدّ التسيّب. كانت الحقائب الممتلئة بالصحف تنتشر في قاعة الاستقبال. أما المطبخ فمن الواضح أنه لم يخضع للتنظيف أو الترتيب على الأقل منذ سنوات. كانت الملابس مبعثرة أو مكدسة أينما كان في الشقة. كان جلياً أنها قد أمضت نصف الليلة الماضية في أحد الملاهي الليلية وكانت هناك آثار قُبَلٍ حارة على رقبتها بما يكشف أنها أمضت الليلة الفائتة برفقة أحدهم. كما كانت لديها أوشام لا يعلم إلا الله عددها وثقبان في وجهها وفي أماكن أخرى من جسدها ربما. كانت فتاة غريبة بكل ما للكلمة من معنى.

أكّد له آرمانسكي أنها الباحثة الأفضل على الإطلاق لديهم، والتحقيق الذي أجرته حوله كان مسهباً بما يثير العجب. *إنها فتاة غريبة فعلاً.*

كانت سالاندر تجلس أمام شاشة جهاز الـPowerbook، لكنها كانت تفكر في ميكائيل بلومفيست. لم تكن بعد بلوغها مرحلة الرشد تسمح لأحد، أياً كان، أن يتخطى عتبة منزلها من دون دعوة صريحة تتيح له ذلك. وكان يمكن لها أن تعدّ أولئك الذين وجّهت لهم دعوة لدخول منزلها على أصابع اليد الواحدة. أما بلومفيست فقد أقحم نفسه في حياتها بلامبالاة ولم تتفوه بالمقابل إلا ببضع عبارات احتجاج واهية.

كما أنه لم يكتف بهذا الحدّ، بل لجأ إلى إغاظتها.

في ظل ظروف طبيعية، كان يمكن لهذا النوع من السلوك أن يضعها على أهبة الاستعداد ذهنياً. إلا أنها لم تشعر بأدنى شعور بالعدائية من

ناحيته. كان لديه سبب وجيه لأن يتلو عليها نص قانون الشغب أو أن يقدم فيها بلاغاً للشرطة، إلا أنه بدلاً من ذلك، تعامل مع اختراقها برامج الكومبيوتر لديه على أنه مجرد مزحة.

كان ذلك الجزء الأكثر إثارة للحساسية بينهما أثناء الحديث. بدا أن بلومفيست كان يتعمّد عدم فتح الموضوع، لكنها لم تتمكن في النهاية من منع نفسها من طرح السؤال: «قلت إنك تعلم ماذا فعلت.»

«لقد دخلت إلى برامج الكومبيوتر الخاص بي. أنت هاكر.»

«وكيف عرفت ذلك؟»

كانت سالاندر تثق تماماً أنها لم تخلّف أدنى أثر وأنه لا يمكن لأي كان أن يكشف أمر اختراقها للبرامج إلا إذا كان مستشاراً أمنياً عالي الكفاءة يجلس أمام الشاشة ويتعمّد إجراء فحص دقيق للقرص الصلب الذي يحفظ كافة المعلومات الرئيسية في الوقت ذاته الذي تقوم فيه هي بالولوج إلى برامج الكومبيوتر.

«لقد اقترفت خطأً ما.»

كانت قد اقتبست من نص موجود على الكومبيوتر الخاص به وحده. جلست سالاندر بصمت للحظة. إلا أنها رفعت نظرها إليه في النهاية وكانت عيناها تخلوان من أي تعبير. وقال لها بلومفيست:

«كيف قمت بذلك؟»

«إنه سرّ خاص بي وحدي. ماذا تفكر في أن تفعل حيال هذا الأمر الآن؟»

هزّ بلومفيست كتفيه بلامبالاة وقال: «وما الذي يسعني فعله؟»

«هذا ما تفعله أنت بالضبط كصحافي.»

«بالطبع. ولهذا السبب نحن الصحافيين لدينا لجنة أخلاقية تعمل في ملاحقة القضايا الأخلاقية. حين أكتب مقالاً عن أحد أوغاد عالم المصارف على سبيل المثال، لا أتطرق إلى حياته الشخصية. وأنا لا أورد أن المزورة تلك سحاقية أو تشتعل رغباتها لمجرد ممارستها الجنس مع

كلبها أو أي شيء من هذا القبيل، حتى لو كان ذلك يحصل فعلياً. فالأوغاد كذلك لديهم حق عدم الكشف عن حياتهم الخاصة. هل يعني لك ذلك شيئاً؟»

«أجل.»

«هكذا تكونين قد انتهكت خصوصيتي. ذلك أن رئيسي في العمل لا يحتاج لأن يعرف عن تفاصيل حياتي الجنسية أو مع من أمارس الجنس. فهذا شأني أنا وحدي.»

تغضنت ملامح وجه سالاندر وافترّ ثغرها عن ابتسامة ملتوية متكلفة.

«أتظن أنه ما كان يجدر بي ذكر هذا؟»

«في مثل حالتي، ما كان ليشكل ذلك فارقاً كبيراً. فنصف المدينة تعرف عن علاقتي بإريكا. لكن المسألة مسألة مبدأ.»

«في مثل هذه الحالة إذاً، قد يكون من الممتع لك أن تعرف أنني أيضاً أملك مبادئ أتقيد بها مقارنة بلجنتك الأخلاقية تلك. وأنا أسميها مبادئ سالاندر. أحدها يقول إن الوغد يبقى وغداً مهما فعل وإن استطعت إيذاء ذلك الوغد وكشف المزيد من الفضائح عنه فهو يستحق ذلك.»

قال لها بلومفيست: «حسناً، من الواضح أن وجهة نظري للأمور تختلف كثيراً عن وجهة نظرك ولكن...»

«لكن الأمر هو أني حين أجري تحقيقاً شخصياً عن الفرد، فأنا أنظر إليه كذلك من وجهة نظر شخصية. أنا لست حيادية. وإذا بدا لي الشخص من معدن جيد فقد أخفف من وطأة المعلومات الفاضحة التي أوردها في التقرير.»

«أحقاً؟»

«وقد خففت حدّة اللهجة كثيراً في حالتك أنت. كان يمكن لي أن أضع كتاباً كاملاً عن حياتك الجنسية. كان باستطاعتي أن أذكر أمام فرود أن لإريكا برجر تلك ماضياً في نادي Xtreme Club وأنها كانت تعبث

مع مجموعة الـBDSM في ممارسة الأنشطة الجنسية الغريبة، وهو ما كان سيثير تصوّرات حتمية تتعلق بالحياة الجنسية لكل منكما.»

التقت نظرات سالاندر وبلومفيست للحظة انفجر بعدها ضاحكاً وسألها: «أنت شديدة التدقيق فعلاً، أليس كذلك؟ ولماذا لم توردي هذا في تقريرك؟»

«أنتما شخصان راشدان يحب أحدكما الآخر بشكل واضح. ولا علاقة لأحد أياً كان بما تقومان به في السرير. وكل ما كنت سأحققه من كشف الأمر هو إيذاؤكما معاً أو تزويد أحدهم بمادة دسمة لابتزازكما. لا أعرف من يكون فرود ذاك ومن المحتمل أن يصل التقرير إلى يدي وينرشتروم في النهاية.»

«أولا تريدين أن تزودي وينرشتروم بالمعلومات؟»

«إن كان عليّ أن أختار بينك وبينه، فعلى الأرجح أن ينتهي بي الأمر في المحكمة بجانبك.»

«إريكا وأنا... علاقتنا...»

«أرجوك، أنا لا أبالي حقاً بنوع العلاقة التي تجمعك بها. إلا أنك لم تجب عن سؤالي: ما الذي تخطط لفعله لأني خرقت برامج كومبيوترك؟»

«إسمعي ليزبث، أنا لست هنا لأقوم بابتزازك بل لأطلب إليك أن تساعديني على إجراء بحث ما. يمكنك أن تقبلي أو ترفضي، الأمر يعود لك. إذا رفضت فلا بأس، سأجد شخصاً آخر يساعدني، ولن تسمعي باسمي مجدداً في حياتك.»

الفصل التاسع عشر

الخميس، 19 يونيو ـ الأحد، 29 يونيو

بينما كان بلومفيست ينتظر ليعرف ما إذا كان فانغر سينجو أم لا، أمضى أيامه يراجع المعلومات التي بين يديه. وظل على تواصل دائم مع فرود الذي أبلغه مساء الخميس أن فانغر قد تخطى الأزمة وتجاوز مرحلة الخطر.

«تمكنت من التحدث إليه اليوم لفترة قصيرة. يريد أن يراك بأسرع ما يمكن.»

وهكذا كان. فحوالى الساعة الواحدة من بعد ظهر عيد منتصف فصل الصيف، قاد بلومفيست السيارة إلى مستشفى هيدستاد وذهب بحثاً عن رقم الغرفة في قسم الاستعلامات. التقى هناك بيرجر فانغر غاضباً يسدّ الطريق أمامه متذرعاً أن هنريك بالكاد يستطيع استقبال الزائرين.

قال له بلومفيست: «هذا أمر غريب حقاً، لقد أرسل هنريك يطلب رؤيتي بإلحاح اليوم.»

«أنت لست فرداً من العائلة ولا شأن لك هنا.»

«أنت محق، أنا لست فرداً من العائلة. لكني أعمل لدى هنريك فانغر ولا أتلقى الأوامر إلا منه هو.»

كان ذلك سيؤدي إلى مشاجرة صاخبة لولا خروج فرود في تلك اللحظة تماماً من غرفة هنريك.

«آه، ها أنت. لم يكفّ هنريك يسأل عنك.»

فتح له فرود الباب فتجاوز بلومفيست بيرجر متوجهاً نحو الغرفة.

بدا له أن فانغر قد كبر عشر سنوات. كان يستلقي بعينين نصف مغمضتين فوق السرير الأبيض وقد أدخلوا أنبوباً في فتحتي أنفه لتزويده بالأوكسيجين وكان شعره مشعثاً أكثر من أي وقت مضى. أوقفت إحدى الممرضات بلومفيست تمنعه من التقدم وضغطت بيدها بحزم على ذراعه وقالت: «أمهلك دقيقتين لا أكثر. ولا تقل أي شيء يسبب له الحزن.»

جلس بلومفيست في الكرسي المخصص للزائرين بحيث يتمكن من رؤية وجه فانغر بوضوح. شعر بحنان تجاه الرجل أدهشه، فمدّ يده يضغط برفق على يد العجوز.

كان الصوت ضعيفاً وهو يسأله: «هل من أخبار جديدة؟»

أومأ له بلومفيست: «سوف أزودك بالتقرير حالما تصبح حالك أفضل. لم أحلّ اللغز بعد لكني وجدت المزيد من المعلومات وأنا أتعقب الكثير من خيوط الأدلة. سأتمكن من إبلاغك بالنتائج في غضون أسبوع أو اثنين ربما.»

أقصى ما استطاع فعله كان أن طرف بعينيه في إشارة إلى أنه فهم ما قاله له.

«ينبغي أن أغادر لبضعة أيام.»

رفع هنريك حاجبيه.

«لن أقفز من المركب فاراً. لكن عليّ أن أجري بعض الأبحاث. توصلت إلى اتفاق مع ديرك يقضي بأن أرفع التقارير إليه. هل يناسبك هذا؟»

«ديرك... هو الرجل... الذي أعتمد عليه في كافة المسائل.»

شدّ بلومفيست على يد فانغر مجدداً.

«ميكائيل... إن لم... أريدك... أن تنجز المهمة.»

«سوف أنجزها.»

«يملك ديرك...كل»

«اسمعني يا هنريك، أريدك أن تتحسن. سأجن غضباً منك إن تركتني ومت بعد أن حققت كل هذا التقدم.»

قالت الممرضة: «انتهت الدقيقتان.»

«سنجري حديثاً مطولاً في المرة المقبلة.»

كان بيرجر بانتظاره حين خرج من الغرفة. وضع إحدى يديه على كتفه وأوقفه قائلاً: «لا أريدك أن تزعج هنريك بقدومك مجدداً إلى هنا. إنه مريض جداً ولا يفترض بأحد أن يسبب له الحزن أو الإزعاج.»

«أفهم قلقك وأتعاطف معك. ولن أقوم بما يسبب له الحزن.»

«الجميع يعرف أن هنريك وظّفك لتشتمّ له أخباراً تتعلق بمدللته الصغيرة... هارييت. يقول ديرك إن هنريك شعر بالحزن العميق إثر حديث بينكما قبل إصابته بالنوبة القلبية مباشرة. حتى إنه يقول إنك أنت من تسببت بأزمته القلبية.»

«لست أظن ذلك. كان لدى هنريك العديد من مواضع الانسداد في الشرايين. كان يمكن أن يصاب بالنوبة القلبية وهو يتبوّل. أنا واثق أنك بتّ تعرف ذلك الآن.»

«أريد وضع حدٍّ نهائي لهذا الجنون. إن العائلة التي تعبث بشؤونها هي عائلتي أنا.»

«سبق أن أخبرتك أني أعمل لحساب هنريك وليس لحساب العائلة.»

من الواضح أن بيرجر فانغر لم يكن معتاداً أن يقف أحد بوجهه. أخذ للحظة يحدق ببلومفيست وتقاسيم وجهه توحي بقلّة احترام إلا أنها لم تزده سوى شبهاً بالحيوان الضخم المنفوخ. استدار بيرجر في النهاية وذهب إلى غرفة فانغر.

كبت بلومفيست رغبة جامحة للانفجار ضاحكاً. ولكن لم يكن هناك مجال للضحك خارج غرفة فانغر الممدّد على فراش المرض الذي قد يتحول في أي لحظة إلى فراش الموت. إلا أن جملةً من الشِّعر المقفى

للصحافي والمقدم التلفزيوني الشهير الذي توفي إثر قصور في عمل القلب لينارت هايلاند خطرت له. كانت القافية تنتهي بحرف M باللغة الأجنبية، وتقول الجملة، كان يقف كالجاموس ضاحكاً في الغابة.

في ردهة المستشفى التقى بلومفيست سيسيليا فانغر. وكان قد حاول الاتصال بها على رقم هاتفها الخلوي عشرات المرات منذ عادت من عطلتها المقطوعة إلا أنها لم تردّ على اتصالاته ولم تقم هي بالاتصال به بدورها. كما أنها لم تكن تتواجد قط في منزلها على جزيرة هيديبي الذي كان يطرق بابه كل مرة يمر به.

قال لها: «مرحباً سيسيليا. آسف بشأن ما حدث لهنريك.»

أجابته: «أشكرك.»

«يجب أن نتحدث قليلاً.»

«آسفة لأني أغلقت الأبواب بوجهك على هذا النحو. أفهم أنك قد تكون غاضباً مني لكني لا أمرّ بأوقات مريحة هذه الأيام أنا أيضاً.»

ألقى بلومفيست يده على ذراعها وابتسم لها قائلاً: «انتظري لحظة. لا بدّ أنك فهمت الأمر خطأً، لست غاضباً منك على الإطلاق سيسيليا. كل ما لا أزال أتمناه هو أن نبقى صديقين. هل نشرب القهوة معاً؟» أومأ مشيراً باتجاه مقهى المستشفى.

ترددت سيسيليا فانغر قبل أن تقول: «ليس اليوم، ربما في وقت آخر. يجب أن أذهب لرؤية هنريك الآن.»

«حسناً، لكني مع ذلك أريد التحدث إليك بشأن مهني بحت صدقيني.»

انتابها توتر مفاجئ وسألته: «ماذا يفترض بهذا أن يعني؟»

«هل تذكرين عندما التقينا للمرة الأولى؟ حين أتيت إلى كوخي في يناير، قلت لك إننا نتحدث بأمور غير قابلة للنشر وأنه إذا أردت أن أطرح بعض الأسئلة الفعلية كل ما عليّ أن أفعله هو إخبارك بذلك. الأمر يتعلق بهارييت.»

فجأة، اشتعلت ملامح سيسيليا فانغر غضباً.

«الستم سوى استغلاليين لعينين.»

«سيسيليا، لقد اكتشفت بعض الأمور التي أحتاج إلى التحدث بشأنها معك.»

ابتعدت عنه خطوة للوراء.

«ألا تدرك أن تلك المطاردة الرهيبة لهارييت اللعينة ليست سوى علاج يشغل هنريك مؤقتاً؟ ألا ترى أنه قد يكون هناك يحتضر وأن هذا آخر ما يحتاج إليه ليشعر بالأسى مجدداً ويمتلئ بالآمال الواهية و...»

«قد لا يعدو الأمر أن يكون مجرد هواية لدى فانغر، لكن تتوفر في الوقت الراهن معطيات أكثر مما كان لدى أحدهم يوماً للعمل عليها منذ وقت طويل. وهناك أسئلة الآن تحتاج إلى أجوبة.»

أجابته سيسيليا وهي تمشي مبتعدة عنه: «إن مات هنريك فسرعان ما سيتوقف التحقيق في القضية. وستستريح عندئذ على مؤخرتك الاستقصائية القذرة متباكياً.»

كان كل شيء مقفلاً. وبدت هيدستاد مقفرة على نحو عملي، وبدا قاطنوها معتزلين في خلوة أكواخهم الصيفية. ذهب بلومفيست إلى رصيف مقهى «ستادأوتيل» حيث كان بمقدوره أن يطلب القهوة والسندويشات ويقوم بقراءة الصحيفة المسائية. لم يكن هناك من أحداث مهمة تقع حول العالم.

ألقى الصحيفة من يده جانباً وأخذ يفكر في سيسيليا فانغر. لم يكن قد أخبر أحداً سوى الفتاة سالاندر أنها هي من كان يقف بنافذة هارييت. كان يخشى أن يجعل هذا الخبر منها مشتبهاً فيه، وآخر ما كان يود فعله هو إيذاؤها. لكن لا بد من طرح السؤال عليها، عاجلاً أو آجلاً.

جلس بلومفيست على رصيف المقهى ساعة كاملة قبل أن يقرر وضع المسألة برمتها جانباً وتخصيص ليلة عيد منتصف فصل الصيف لشيء آخر

غير عائلة «فانغر». ظل هاتفه الخلوي صامتاً، كانت برجر بعيدة في مكان ما تستمتع بوقتها برفقة زوجها ولم يكن لديه أحد يتحدث إليه.

عاد إلى جزيرة هيديبي عند الساعة الرابعة من بعد الظهر تقريباً وقد اتخذ قراراً آخر يقضي بوقف التدخين. كان يتمرن بشكل منتظم منذ أدائه الخدمة العسكرية فيذهب إلى النادي الرياضي أو يركض على طول طريق سودرمالاستراند إلا أنه اضطر للتوقف عن ممارسة عاداته الرياضية منذ بدء مرحلة المشاكل مع وينرشتروم. كان قد عاد لممارسة الرياضة بانتظام في سجن رولاكر حيث بدأ برفع الأثقال كنوع من أنواع العلاج، أكثر منه كممارسة لإحدى الهوايات. لكنه لم يكد يقوم بأي تمارين رياضية منذ إطلاق سراحه. وقد حان الوقت للبدء مجدداً. ارتدى ملابس الرياضة وبدأ رحلة من المشي بخطى متكاسلة على الطريق المؤدية إلى كوخ غوتفريد وانعطف ليسير على درب القلعة سالكاً طريقاً أكثر وعورة باتجاه القرية. لم يقم بالسباق الموجّه مستعيناً بالخارطة مذ كان في الجيش، لكنه لطالما كان يعتقد أن الركض على دروب الغابة أكثر متعة من الركض على الطريق الذي على الخارطة. اتبع مسار السياج المحيط بأوسترغاردن عائداً إلى القرية. كان يشعر بالألم في كل أنحاء جسمه وبالهواء يهرب من رئتيه عند قيامه بالخطوات الأخيرة المؤدية إلى منزله.

استحمّ عند الساعة السادسة مساءً. وقام بسلق بعض حبات البطاطا وتناول سندويشات سمك الرنكة المخلل مع صلصة الخردل والثوم والبيض خارج الكوخ على الطاولة المتداعية المواجهة للجسر. سكب لنفسه كأساً من الـ aquavit (ماء الحياة) وشرب نخب نفسه. وقام بعد ذلك بقراءة إحدى قصص الجرائم لفال ماكديرميد بعنوان *The Mermaids Singing* أو «غناء الحواري».

حوالى الساعة السابعة زاره فرود الذي جلس متثاقلاً في كرسي قبالته. سكب له بلومفيست كاساً من شراب aquavit.

قال له فرود: «لقد أثرت بعض الانفعالات المحمومة اليوم.»

«أدرك هذا.»

«ليس بيرجر سوى أحمق متعجرف، معجب بنفسه.»

«أعلم ذلك.»

«لكن سيسيليا ليست مغفلة، وهي غاضبة جداً.»

أومأ بلومفيست عند سماعه كلمات فرود.

«لقد أمرتني أن أحرص على أن تكف عن حشر أنفك في أمورهم العائلية.»

«لقد فهمت. وما الذي قلته لها؟»

أخذ فرود يتأمل كأس الشراب وابتلع ما فيه مرة واحدة.

«أجبتها أن هنريك قد أعطاني تعليمات واضحة حول ما يريد منك أن تفعله. وما دام لم يقم بتغييرها فستظل موظفاً لديه تعمل وفق ما تمليه عليك بنود العقد الموقع بينكما. أتوقع أن تبذل قصارى جهدك لتنفيذ الجزء المتعلق بك في العقد على أتم وجه ممكن.»

رفع بلومفيست نظره إلى السماء، كانت الغيوم المثقلة بالأمطار قد بدأت تتكدس.

قال له فرود: «يبدو أن هناك عاصفة تلوح في الأفق. إذا عصفت الرياح بقوة فسأضطر لمساندتك.»

«أشكرك.»

جلس كل منهما بصمت مطبق لبرهة.

«هل لي بكأس أخرى؟»

لم تمض سوى بضع دقائق على مغادرة فرود حتى كان مارتن فانغر يركن سيارته على الطريق أمام كوخ بلومفيست. طرق بابه وألقى التحية عليه. تمنى له ميكائيل عيد منتصف صيف سعيد وسأله ما إذا كان يود تناول شراب ما.

«كلا، يستحسن ألا أفعل. أتيت إلى هنا لأبدل ملابسي وأقود السيارة مجدداً إلى البلدة لتمضية الأمسية مع إيفا.»

ظل بلومفيست ينتظر بصمت.

«لقد تكلمت مع سيسيليا. إنها مصابة بنوع من الصدمة، لطالما كانت قريبة من هنريك كما تعلم. آمل أن تغفر لها إن كانت قد تفوهت بكلام... غير مقبول.»

«أنا مولع جداً بسيسيليا.»

«أعلم ذلك. لكن يمكن لها أن تكون صعبة المراس. أريد منك أن تعلم فقط أنها تعارض إلى حدٍّ بعيد قيامك بنبش ماضي عائلتنا.»

أطلق بلومفيست تنهيدة من الأعماق. يبدو أن كل من في هيدستاد بات على علم بحقيقة المهمة التي أوكلها إليه هنريك.

«ما هو شعورك؟»

«لطالما شكّلت قضية هارييت هوساً بالنسبة لهنريك على مدى عقود من الزمن. لا أعلم... فهارييت أختي لكن المسألة تبدو قديمة جداً. يقول ديرك إنكما وقّعتما عقداً لا يمكن إلا لهنريك فسخه. وأخشى أن يجلب هذا العقد في الوضع الراهن الأذى أكثر مما يعود بالخير علينا.»

«ماذا يعني هذا، أتريد أن أتابع العمل أم لا؟»

«هل حققت أي تقدّم في القضية؟»

«أعذرني يا مارتن، لكن إن أخبرتك أي شيء الآن من دون الحصول على إذن هنريك شخصياً فسيعتبر ذلك خرقاً لبنود العقد الذي وقّعته.»

ابتسم مارتن فجأة وقال: «أفهمك. هنريك من النوع المتعصّب لروح المؤمراة والغموض. لكن فوق كل شيء، لا أريدك أن تجعله يأمل سدىً.»

«لن أفعل ذلك.»

«حسناً، بالمناسبة ولتغيير الموضوع، لدينا الآن عقد آخر يجب أن تأخذه بعين الاعتبار. نظراً لمرض هنريك وعدم تمكنه على المدى المنظور من إتمام مستلزمات العقد كعضو في مجلس إدارة 'ميلينيوم'،

سأتولى مسؤوليتي في الحلول مكانه.»

انتظره بلومفيست ليتابع كلامه.

«أفترض أنه يجدر بنا عقد اجتماع مجلس إدارة للنظر في الوضع القائم.»

«إنها فكرة جيدة. لكن حسب علمي، لن يعقد الاجتماع المقبل للمجلة قبل أغسطس.»

«أعلم ذلك، لكن ربما يجدر بنا عقده في موعد أقرب.»

لم يكن من بلومفيست إلا أن ابتسم بتهذيب وقال: «إنك تتحدث إلى الشخص الخاطئ صدقني. لست عضواً في مجلس الإدارة في الوقت الحاضر. لقد استقلت من منصبي في ديسمبر الفائت. عليك أن تتصل بإريكا برجر وتناقش معها هذا الشأن. إنها تعلم أن هنريك طريح الفراش.»

لم يتقبّل مارتن فانغر الإجابة لكنه ردّ قائلاً: «أنت محقٌّ بالطبع. سوف أتحدث إليها.» بهذه الكلمات ربّت على كتف بلومفيست مودعاً وغادر المنزل.

لم يعبّر مارتن بكلام واضح لكن رائحة التهديد كانت تفوح من كلامه وبقيت معلّقة في الهواء. لقد وضع مارتن فانغر مجلة «ميلينيوم» على كفّة الميزان. وفي غضون دقائق كان بلومفيست يسكب لنفسه كأساً أخرى ويعود لقراءة قصة فال ماكديرميد.

وجاءت القطة البنية المبرقشة لتتلقي عليه التحية كذلك وأخذت تمسّح بساقه. رفعها عن الأرض وداعب خلف أذنيها.

«كلانا يمضي عطلة عيد منتصف فصل الصيف وهو يشعر بالملل. أليس كذلك؟»

حين بدأت تمطر دخل إلى المنزل وأوى إلى الفراش فيما فضّلت القطة البقاء خارجاً.

أخرجت سالاندر دراجة الـ«كاوازاكي» يوم عيد منتصف الصيف

وأمضت النهار بطوله تفحصها وتصلحها. قد لا تكون مركبة خفيفة كتلك الدراجة النارية الأقوى في العالم، إذ لا تتعدى قوّتها مئة وخمسة وعشرين cc، لكنها كانت ملكاً لها وكانت تستطيع التعامل معها وإصلاحها لتساعدها في تلبية حاجاتها. كانت قد أعادت ترميمها جزءاً تلو جزء وزادت فعالية المحرك بما يتجاوز الحدّ القانوني المسموح به قليلاً.

بعد ظهر ذلك اليوم وضعت الخوذة على رأسها وارتدت سترتها الجلدية وقادت الدراجة متوجهة إلى دار رعاية العجزة في آبلفيكن حيث أمضت الأمسية مع والدتها. كانت تشعر بوخزات من القلق والذنب. وقد بدت والدتها أكثر ابتعاداً وعزلة من أي يوم مضى. لم تتبادل الاثنتان سوى بضع كلمات على مدى ثلاث ساعات متتالية، وحين كانتا تتحدثان كانت أمها لا تعرف مع من تتكلم على ما يبدو.

أضاع بلومفيست عدة أيام يحاول التعرف إلى السيارة التي تحمل اللوحة المدون عليها حرفي AC. بعد مواجهة العديد من المشاكل وقيامه أخيراً باستشارة أحد الميكانيكيين المتقاعدين في هيدستاد توصّل بلومفيست إلى معرفة أنها من نوع «فورد أنغليا»، وهو طراز لم يكن قد سمع به من قبل. ثم قام بالاتصال بأحد موظفي قسم المركبات والآليات للاستعلام عن إمكانية الحصول على لائحة بكافة السيارات من طراز «فورد أنغليا» التي كانت موجودة عام 1966 والتي يبدأ رقم لوحتها بأحرف AC3. أبلغ عندئذ أن إجراء عملية كشف أثري على السجلات أمر ممكن إلا أنه يستغرق وقتاً طويلاً ويتخطى حدود ما يمكن اعتباره معلومات عامة يمكن الإفصاح عنها.

مرّت أيام عدّة بعد عيد منتصف فصل الصيف قبل أن يستقل بلومفيست سيارة الفولفو المستعارة ويقودها شمالاً بسرعة EP4. كان يسير متمهلاً على الطريق وقبل وصوله إلى جسر «هارنوساند» بمسافة قريبة توقف لتناول فنجان قهوة في محل حلويات «فسترلاند».

محطته التالية كانت أوميا حيث توقف عند الحانة وتناول طبقاً مميزاً كانوا يعدّونه هناك. اشترى خارطة تدل على الطريق وتابع رحلته على طرقات سكيلفتيا حيث انعطف نحو نورسجو. وصل حوالي الساعة السادسة مساءً واستأجر غرفة في فندق «نورسجو».

يدأ عملية البحث في وقت مبكر من صباح اليوم التالي. لم يكن رقم متجر التجارة في نورسجو موجوداً في دليل أرقام الهواتف. وأخبرته موظفة فندق Polar وهي فتاة في العشرينيات من العمر أنه لم يسبق لها أن سمعت باسم مثل هذا المتجر.

«من ينبغي أن أسأل؟»

بدت الموظفة في حيرة من أمرها لبضع ثوان إلى أن أشرقت ملامح وجهها فجأة وأخبرته أنها ستتصل بوالدها للاستفسار عن الأمر. عادت بعد دقيقتين لتبلغه أن متجر تجارة «نورسجو» المذكور قد أغلق في مطلع الثمانينيات وأنه إذا كان بحاجة إلى التحدث مع شخص يعرف أكثر عن مصلحة التجارة فعليه أن يذهب لمقابلة رجل محدد يدعى بورمان الذي كان رئيس العمال في المتجرة ويقيم في الوقت الحالي في شارع معروف باسم سولفانتدان.

لم تكن نورسجو سوى بلدة صغيرة يخترقها شارع رئيسي وحيد يطلق عليه اسم يناسبه بما يكفي هو ستورغاتان الذي يعني «الطريق العظيمة». وكانت المحلات والمتاجر المتنوعة تنتشر على جانبيه وطرقات فرعية تنبثق منه تعلو على جانبيها أبنية سكنية. أما عند الطرف الشرقي للطريق فكانت توجد منطقة صناعية واسطبل، وعند الطرف الغربي ترتفع كنيسة خشبية فائقة الجمال. لاحظ بلومفيست أن في القرية كنيسة للإرساليين وكنيسة أخرى تعود للحركة الخمسينية. أحد الملصقات المعلقة على لوح الإعلانات في محطة الحافلات يروّج لمتحف يضمّ حيوانات تمّ اصطيادها، وآخر للتزلج. ويعلن أحد المناشير المنسية هناك أن المغنية فيرونيكا ستغني في مدينة المعارض ليلة عيد منتصف فصل الصيف. كان يمكن أن يتجول

في كافة أنحاء القرية من أقصاها لأقصاها في غضون عشرين دقيقة.

كان الشارع المسمى سلوفانداك يضم مساكن متباعدة تفصل بينها مساحات خضراء تبعد حوالي خمس دقائق عن الفندق الذي ينزل فيه. لم يجب أحد عندما طرق بلومفيست الباب. كانت الساعة التاسعة والنصف صباحاً، فافترض أن بورمان قد غادر للعمل أو إن كان متقاعداً فقد كان يقضي عملاً ما.

محطته التالية كانت متجر الخردوات في ستورغاتان. كان يدرك أن كل من يقيم في نورسجو سيزور متجر الخردوات عاجلاً أو آجلاً. كان هناك موظفون في قسم المبيعات. اختار بلومفيست التحدث إلى الأكبر سناً الذي يبلغ خمسين عاماً أو أكثر ربما.

«مرحباً، أنا أبحث عن ثنائي كان يعيش في نورسجو في الستينيات. لعل الرجل كان يعمل لحساب مصنع النجارة. لا أعرف اسميهما لكني أملك صورة التقطت لهما عام 1966.»

تفحص البائع الصورة فترة طويلة لكنه هز رأسه في النهاية مدعياً أنه لم يستطع التعرف إلى أيّ من الرجل أو المرأة صاحبَي الصورة.

تناول عند موعد الغداء شطيرة برغر من كشك صغير لبيع الهوت دوغ على مقربة من محطة توقف الحافلات. كان قد استسلم وكفّ عن البحث في المتاجر وقرر التوجه إلى مكتب البلدية، والمكتبة والصيدلية. وجد مخفر الشرطة خالياً من العناصر، فأخذ يسأل من يصادف من السكان المقيمين المتقدمين في السن. وفي وقت مبكر من فترة بعد الظهر، سأل شابتين عن الوجهين في الصورة فلم تتعرفا إلى صاحبيهما لكنهما قدمتا إليه فكرة سديدة.

«إن كانت الصورة قد التقطت عام 1966 فلا بد أن الرجل والمرأة في الستينيات من عمرهما اليوم. لماذا لا تذهب إلى دار العجزة في سولباكا وتسأل عنهما هناك؟»

عرّف بلومفيست عن نفسه للمرأة التي تجلس عند مكتب

الاستعلامات في دار العجزة وشرح لها ما الذي يود معرفته. حملقت فيه مشككة في نواياه في البداية إلا أنها أتاحت له إقناعها بتلبية طلبه أخيراً. اصطحبته إلى القاعة التي يمضي فيها المسنون فترة النهار حيث قضى نصف ساعة يمرر الصورة بين أفراد مجموعة من العجزة. كان الجميع متعاوناً جداً إلا أن أحداً لم يتعرف إلى الثنائي.

عاد عند الخامسة عصراً إلى سلوفانداان وطرق باب منزل عائلة «بورمان». كان حظه أفضل هذه المرة. كان الثنائي بورمان، الزوج والزوجة، قد بلغا سن التقاعد فعلاً وقد أمضيا النهار بأكمله خارج المنزل. قاما بدعوة بلومفيست إلى المطبخ حيث بدأت الزوجة تعدّ القهوة في حين كان الضيف يشرح المهمة التي جاء من أجلها. وعلى نحو مشابه لكافة المحاولات التي قام في ذلك اليوم لم يتوصل إلى أي نتيجة هنا. أخذ بورمان يحك رأسه ويفرك جبينه وأشعل سيجاره ثم توصل في نهاية المطاف إلى أنه لم يتعرف إلى الثنائي في الصورة. كان الثنائي بورمان يتحدث أحدهما إلى الآخر بلهجة نورسجو المحلية الغريبة فوجد بلومفيست صعوبة في فهم ما يقولان. كانت الزوجة تقصد أن المرأة في الصورة تملك شعراً أجعد حين أشارت إليها بالقول knövelhära.

قال لها زوجها: «لكنك محقّة تماماً بقولك إنه مجرد ملصق من محل التجارة. كان عملاً ذكياً منك أن تدركي ذلك. لكن المشكلة في أننا كنا نوزع هذه الملصقات يميناً ويساراً في كل مكان، للمقاولين والأشخاص الذين كانوا يبيعون ويشترون الأخشاب وعمال الجمع وعمال الماكينات وكافة أصناف الزائرين.»

«يتضح أن العثور على هذا الثنائي أكثر صعوبة مما كنت أعتقد.»

«ولماذا تريد العثور عليهما؟»

كان بلومفيست قد قرر قول الحقيقة في حال سأله أحدهم عنها. إن محاولة اختلاق قصة من أي نوع حول الثنائي في الصورة كانت لتبدو مزيفة وتخلق الارتباك.

«إنها قصة طويلة. أنا أحقق في جريمة حصلت في هيدستاد عام 1966، وأظن أن هناك احتمالاً، وإن كان ضئيلاً جداً، بأن الشخصين الظاهرين في الصورة قد رَأيا ما حصل. لا تقع عليهما أي شبهة من أي نوع كانت ولا أظنهما يعيان أصلاً وجود معلومات قد تكشف الجريمة.»

«الجريمة؟ جريمة من أي نوع؟»

«أعذراني، لكن لا يسعني أن أخبركما المزيد. أعلم أنه يبدو غريباً أن يكون هناك شخص مثلي بعد أربعين عاماً يحاول أن يجد هذا الثنائي إلا أن مرتكب الجريمة لم يُكشف بعد والقضية لم تجد حلاً. ولم تظهر أي معطيات جديدة للضوء إلا مؤخراً.»

«فهمت. لا بدّ أنها مهمة غير اعتيادية تلك التي تقوم بها.»

«كم شخص كانوا يعملون في مصنع النجارة ذاك؟»

«اليد العاملة المعتادة كانت تقدر بنحو أربعين عاملاً. وقد اشتغلت هناك منذ كنت في السابعة عشرة من عمري إلى أن أقفل المصنع في منتصف الخمسينيات. ومن ثم أصبحت مقاولاً.» صمت بورمان برهة مفكراً ثم تابع الحديث قائلاً: «هذا كل ما يسعني أن أخبرك به. والرجل الذي يظهر في الصورة التي تحملها لم يكن يعمل هناك. لعله كان مقاولاً لكني أظن أني كنت لأتعرف إليه لو كان كذلك. لكن هناك احتمال آخر. ربما والده أو أحد أقربائه كان يعمل في المصنع ولم تكن تلك السيارة سيارته.»

أومأ ميكائيل وقال: «أدرك أن هناك العديد من الاحتمالات الممكنة. هل تنصحانني بوجود شخص يمكن أن يفيدني؟»

أجاب بورمان يهز رأسه: «أجل، هناك أحدهم. تعال غداً صباحاً وسنذهب معاً للتحدث إلى أحد الطاعنين في السن.»

كانت سالاندر تواجه مشكلة كبرى غير معتادة. كانت خبيرة في نبش المعلومات المتعلقة بأي كان إلا أنها كانت تعتمد اسم الشخص الحيّ

ورقمه في الضمان الاجتماعي نقطة الانطلاق في البحث دائماً. فإذا كان اسم الفرد مسجّلاً في أحد الملفات على الكومبيوتر وهذا أمر مرجّح فإن الشخص يعلق فوراً على شبكتها العنكبوتية. وإذا كان الشخص موضوع التحقيق يملك جهاز كومبيوتر واتصال بشبكة الإنترنت، إضافة إلى عنوان بريدي أو موقع إلكتروني خاص به وهو ما يتوفر لدى غالبية الأشخاص الذين يقعون في نطاق التحقيقات الخاصة، فستتمكن عاجلاً أو آجلاً من اكتشاف أعمق أسرارهم.

إلا أن العمل الذي وافقت على القيام به لصالح بلومفيست كان مختلفاً تماماً. فتلك المهمة كانت بتعابير بسيطة تقتضي التعرف إلى أرقام الضمان الاجتماعي بالاعتماد على معلومات غاية في الغموض. كما أن الأشخاص الأربعة الذين أعطاها بلومفيست أسماءهم كانوا على الأرجح في عداد الأموات منذ عدة عقود. لذا من المحتمل أن تكون أسماؤهم قد حذفت من ملفات الكومبيوتر.

النظرية التي بناها بلومفيست بناء على قضية ريبيكا جاكوبسون تقول إن هؤلاء جميعاً وقعن ضحية قاتل واحد. ويعني ذلك وجود عدة قضايا جنائية حققت فيها الشرطة دون أن تتوصل إلى حلّ لها أو تكشف مرتكبها. لم يكن هناك من إشارة إلى زمان ومكان وقوع مثل تلك الجرائم سوى أنها حصلت في وقت ما قبل العام 1966. كانت سالاندر تواجه حالة جديدة بالكامل من منظار إجراء الأبحاث والاستقصاء.

كيف لي إذاً أن ابدأ؟

فتحت موقع Google الإلكتروني وطبعت على محرّك البحث كلمتي [ماغدا] + [جريمة قتل]. كان ذلك أبسط أشكال البحث الذي يمكن لها أن تقوم بها. وقد أخذتها الدهشة تماماً حين اكتشفت أنها حققت تقدماً مفاجئاً في مجال البحث. الضربة الموفقة الأولى لها كانت لائحة البرامج الخاصة بالقناة التلفزيونية «فارملاند» الموجودة في كارلستاد، والتي تبث مقتطفاً من إعلان عن سلسلة تلفزيونية بعنوان 'Värmland Murders'

سبق للمحطة أن عرضتها عام 1999. وقد عثرت بعد ذلك على ذكر مقتضب للموضوع في برنامج Värmland Folkblad في القائمة.

> في السلسلة التلفزيونية المعروضة بعنوان Värmland Murders كان التركيز منصباً الآن على قضية ماغدا لوفيسا سيوبرغ من رانموتراسك وهي جريمة قتل مروعة ظلت لغزاً غامضاً يشغل شرطة كارلستاد لعدة عقود مضت. ففي أبريل من العام 1960، وُجِدت زوجة الفلاح البالغة ستة وأربعين عاماً مقتولة في مزرعة العائلة. وقد قام المراسل الصحفي كلاس غونارس في الإعلان بوصف الساعات الأخيرة من حياة المغدورة والبحث غير المجدي عن القاتل. أحدثت الجريمة بلبلة على نطاق واسع في ذلك الوقت وطرحت العديد من النظريات المتعلقة بهوية القاتل. وقد ظهر أحد أقرباء المغدورة في العرض التلفزيوني ليتحدث أمام عدسة الكاميرا كيف تدمرت حياته حين اتّهم بارتكابه الجريمة. كانت الساعة الثامنة مساءً.

وجدت سالاندر كذلك معلومات أكثر أهمية في مقال بعنوان The Lovisa Case Shook the Whole Countryside أو «قضية لوفيسا التي هزت الريف بأسره» والذي نشر في مجلة تدعى Värmlandskultur. كافة نصوص المجلة كانت محمّلة على صفحات الإنترنت. بسعادة واضحة وبنبرة مدغدغة حافلة بالهذر، يصف المقال كيف وجد زوج لوفيسا سيوبرغ الحطاب هولجر سيوبرغ زوجته مقتولة حين عاد من العمل حوالى الساعة الخامسة عصراً. وقد تعرضت لاعتداء جنسي وحشي وعدة طعنات بأسنان المذراة أدت إلى مقتلها. وقعت الجريمة في مزرعة العائلة إلا أن أكثر ما كان يجذب الانتباه هو إقدام المعتدي بعد تنفيذ جريمته على ربط الضحية بوضعية الركوع داخل أحد مرابط الأحصنة.

وقد اكتشف في وقت لاحق أن أحد حيوانات المزرعة وهي بقرة كانت تعاني من جرح إثر طعنة في جانب رقبتها.

اشتُبه بداية بالزوج على أنه القاتل إلا أنه كان برفقة زملاء له في العمل منذ الساعة السادسة صباحاً على مسافة تبعد خمسة وعشرين ميلاً عن منزله. وكان يمكن الإثبات أن لوفيسا سيوبرغ كانت لا تزال على قيد الحياة حتى الساعة العاشرة صباحاً حين أتت لزيارتها إحدى الصديقات. لم يكن أحد قد سمع أو رأى شيئاً، إذ إن المزرعة تبعد ما يقارب خمسمئة ياردة عن أقرب مزرعة مجاورة لها.

بعد إسقاط الشبهة عن الزوج، ركزت الشرطة تحقيقاتها على ابن أخت الضحية البالغ ثلاثة وعشرين عاماً، والذي لطالما كان يقوم بأفعال مخالفة للقانون، ويعوزه المال فيقترض مبالغ صغيرة من خالته. كان عذره كمتّهم اضعف حتماً وقد اقتيد واحتجز قضائياً لفترة من الزمن إلا أنه سرعان ما أطلق سراحه نظراً لعدم كفاية الأدلة. ومع ذلك ظل العديد من سكان القرية يعتقدونه مذنباً.

أخذت الشرطة تتعقب دليلاً آخر. لقد كان جزء من التحقيق يهتم بالبحث عن بائع صحف متجول شوهد في المكان. وسرت إشاعة تقول إن مجموعة من «الغجر اللصوص» قد نفذت عدداً من حملات الاقتحام والسلب. إلا أنه لم يكن هناك أي تبرير لإقدامهم على الاعتداء جنسياً وارتكاب جريمة وحشية من دون اللجوء إلى السرقة.

ولمدة من الزمن دارت الشكوك حول أحد الجيران في القرية وتوجهت إليه أصابع الاتهام وهو رجل عازب اشتُبه بإقدامه أيام شبابه على ارتكاب جريمة متعلقة بالمثليين جنسياً، وكانت المثلية الجنسية يومئذٍ جنحة يعاقب عليها القانون. وكانت عدة إفادات تلصق به سمعة «صاحب الأطباع الغريبة». إلا أنه لم يكن هناك كذلك ما يبرر إقدام أحد المثليين جنسياً على ارتكاب جريمة جنسية الطابع وقتل امرأة. وهكذا لم تؤدّ هذه الأدلة وسواها إلى اتهام أحد بصورة مؤكدة.

كانت سالاندر تعتقد أن هناك علاقة واضحة بين الجريمة ولائحة الأرقام والأسماء الموجودة في دفتر مذكرات هارييت فانغر. كانت الآية من سفر اللاويين، 20:16 تقول:

«وإذا اقتربت امرأة إلى بهيمة لنزائها تميت المرأة والبهيمة. إنهما يقتلان. دمهما عليهما.»

ولا يعقل أن تكون مصادفة العثور على زوجة فلاح تدعى ماغدا مقتولة في المزرعة وجسدها يتخذ وضعية محددة ومربوطاً في أحد اسطبلات الخيل.

السؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا قامت هارييت فانغر بتدوين اسم ماغدا بدلاً من اسم لوفيسا الذي هو من الواضح اسم الضحية التي تعرضت للاغتصاب والقتل. ولو لم يكن اسمها الكامل قد ورد كما هو في قائمة البرامج التلفزيونية لما كانت سالاندر تنبهت لوجوده.

أما السؤال الأبرز المطروح طبعاً فهو: هل هناك علاقة بين جريمة قتل ريبيكا التي حصلت عام 1949 ومقتل ماغدا لوفيسا عام 1960، وحادثة اختفاء هارييت فانغر عام 1966؟

صباح السبت، قام بورمان باصطحاب بلومفيست في جولة منهكة في أنحاء نورسجو. إذ قاما بزيارة خمسة موظفين سابقين كانوا يعيشون في منازل لا تبعد كثيراً عن مكان إقامة بورمان نفسه ويمكن الذهاب إليها سيراً على الأقدام. كان كل من المضيفين يقدم لهما القهوة ويتمعن في الصورة ويهز رأسه بالنفي.

بعد تناول وجبة غداء متواضعة في منزل بورمان، ذهب الرجلان في رحلة بالسيارة. قاما بزيارة أربع قرى مجاورة لنورسجو حيث يقيم موظفون سابقون كانوا يعملون في مصنع النجارة. كان يتم الترحيب ببلومفيست بحرارة عند كل محطة إلا أن أحداً لم يستطع تقديم المساعدة. كان اليأس قد بدأ يسيطر عليه.

عند الساعة الرابعة من بعد الظهر أوقف بورمان السيارة في إحدى مزارع فاستربوتن النموذجية القريبة من نورسجوفالن الواقعة شمال نورسجو تماماً وعرّف بورمان ميكائيل بهيبنغ فورسمان، أحد النجّارين المتقاعدين.

قال فورسمان ما إن رأى الصورة التي عرضها بلومفيست عليه: «أجل، هذا ابن آسار برانلند.» راثع.

قال بورمان: «إنه ابن آسار إذاً. كان آسار أحد وكلاء المشتريات.»

«وكيف لي أن أجده؟»

«الصبي تقصد؟ حسناً عليك أن تجري عملية بحث طويلة. كان يدعى غونار وكان يعمل في منجم في بوليدن، وقد توفي في حادث مروع في منتصف السبعينيات.»

شعر بلومفيست بمعنوياته تنخفض.

«لكن زوجته لا تزال على قيد الحياة. تلك التي تظهر في الصورة هنا. تدعى ميلدريد وتقيم في بيورسيل.»

«وأين تقع بيورسيل؟»

«إنها تبعد حوالى ستة أميال على الطريق المؤدية إلى باستوتراسك. إنها تعيش في منزل مستطيل التصميم يعلوه قرميد أحمر، ويقوم البيت إلى الجهة اليمنى وأنت قادم من القرية. إنه المنزل الثالث. أعرف العائلة جيداً.»

«مرحباً. أدعى ليزبث سالاندر، وأنا أكتب أطروحة حول علم جرائم العنف بحق النساء في القرن العشرين. أود زيارة دائرة الشرطة في لاندسكرونا والاطّلاع على الملفات والوثائق الخاصة بقضية تعود للعام 1957. إنها جريمة قتل متعلقة بامرأة تدعى راكيل لوند. هل لديكم أي فكرة عن مكان وجود مثل هذه الوثائق؟»

كانت بيورسيل بمثابة ملصق إعلانات لبلدة فاستربوتن. إنها تضم حوالى عشرين منزلاً تتراصف على ضفاف البحيرة قريبة بعضها من بعض

بما يشبه نصف دائرة نسبياً. وسط القرية كان هناك تقاطع طرق وسهم يشير باتجاه هيمينغن التي تبعد عشرة أميال وربع الميل، وسهم آخر يشير إلى باستوتراسك التي تقع على بعد سبعة أميال. على مقربة من مفترق الطريق كان هناك جسر صغير وجدول مياه كما افترض بلومفيست يدعى sel. كان يمكن أن يشكل بطاقة بريدية مناسبة تحمل رسالة واضحة في عز أيام الصيف.

ركن السيارة في ساحة أمام متجر كبير باتت أبوابه مقفلة اليوم مقابل المنزل الثالث الواقع على الجهة اليمنى. وحين طرق الباب لم يلق أي ردّ.

أمضى ساعة كاملة يتمشى على طول الطريق المؤدية إلى هيمينغن. مرّ بمحاذاة بقعة من الأرض تنساب فيها مياه الجدول. صادف هناك هرّتين ورأى غزالاً إلا أنه لم يشاهد إنساناً واحداً، فعاد أدراجه. وكانت لا تزال أبواب منزل ميلدريد بورمان مقفلة.

على أحد الأعمدة القريبة من الجسر وجد قصاصة أحد المناشير التي تعلن عن BTCC وهي الأحرف التي قد تشكل رمزاً يختصر كلمات Bjursele Tukting Car Championship 2002 التي تعني بطولة سباق سيارات Tukting في بيورسيل لعام 2002. وTukting نوع من السيارات التي تستخدم على ما يبدو واضحاً في إحدى الرياضات الشتوية التي تنطوي على تحطيم الآلية فوق جليد البحيرة.

بقي منتظراً حتى الساعة العاشرة مساءً قبل أن يستسلم ويعود إلى نورسجو حيث تناول عشاء متأخراً وأوى إلى الفراش ليتابع قراءة حل العقدة لرواية فال ماكديرميد.

كان الحل مخيفاً.

عند الساعة العاشرة، كانت سالاندر تضيف اسماً آخر إلى لائحة هاربيت فانغر وهي تشعر ببعض التردد.

كانت قد اكتشفت طريقاً مختصراً. على مراحل منتظمة، كان يتم نشر مقالات حول جرائم القتل التي لم يُكشف الستار عن مرتكبيها، وفي ملحق نهار الأحد لإحدى الصحف الصادرة مساءً عثرت على مقال يعود للعام 1999 تحت عنوان «عدد من مرتكبي الجرائم بحق النساء ما يزال طليقاً». كان مقالاً قصيراً لكنه تضمن أسماء ضحايا جرائم قتل مروّعة وصوراً مخيفة. أتى المقال على ذكر قضية «سلوفيغ» في نورتالي، وجريمة آنيتا في نوركوبينغ، ومقتل مارغاريتا في هيلسينغبورغ، إضافة إلى جرائم أخرى كثيرة.

أما الجريمة الأكثر قدماً التي أتى المقال على ذكرها فهي تعود إلى الستينيات. ولم تطابق أي من الجرائم المذكورة لائحة الأسماء التي حصلت عليها سالاندر من بلومفيست. إلا أن قضية وحيدة شدّت انتباهها.

في يونيو من العام 1962، ارتكبت جريمة ضد مومس تدعى ليا بيرسون من غوتبورغ، كانت قد ذهبت إلى أوديفالا لزيارة أمها التي تهتم بابنها ذي السنوات التسع. وفي مساء الأحد وبعد زيارة استمرت لبضعة أيام عانقت ليا أمها مودعة واستقلت القطار عائدة إلى غوتبورغ. وقد وجدت بعد يومين مرمية خلف مخزن أحد المصانع المقفلة. وقد تعرضت للاغتصاب وظهرت على جسدها آثار عنف وحشي.

أثارت جريمة قتل ليا موجة احتجاجات كبرى ولقيت اهتماماً واسعاً وعُرضت أحداثها طوال فترة الصيف في سلسلة على صفحات إحدى الصحف الصادرة مساءً. إلا أنه لم يتم الكشف عن القاتل. لم يكن اسم ليا وارداً على قائمة أسماء هارييت فانغر. ولا طريقة قتلها تتناسب مع أي من الكلمات المقتطفة من إنجيل هارييت.

لكن، ومن ناحية أخرى، كانت هناك مصادفة غريبة جداً شوشت فوراً على مجسّات سالاندر. فعلى بعد عشر ياردات تقريباً من المكان الذي وُجدت فيه جثة ليا كان هناك وعاء للأزهار ويمامة بداخله. كان

أحدهم قد ربط شريطاً حول عنق اليمامة وشدها منه عبر ثقب في أسفل الوعاء الذي أشعلت تحته نيران أوقدت بين حجري قرميد. لم يكن هناك ما يؤكد وجود علاقة بين هذا المشهد ومقتل ليا. لعل ولداً ما كان يمارس إحدى ألعابه الفظيعة. إلا أن وسائل الإعلام أطلقت على الجريمة وصف «جريمة اليمامة».

لم تكن سالاندر من قراء الإنجيل ولا كانت تملك حتى نسخة منه، لكنها ذلك المساء ذهبت إلى كنيسة «هوغاليد» ونجحت بصعوبة في اقتراض إحدى نسخ الإنجيل. جلست على مقعد الكنيسة في الخارج وبدأت بقراءة سفر اللاويين. وحين وصلت إلى الأصحاح الثاني عشر، الآية رقم ثمانية، رفعت حاجبيها تعجباً. كان الأصحاح الثاني عشر يتحدث عن طقس تطهير النساء من الدنس بعد الولادة.

وإن لم تنل يدها كفاية لشاة تأخذ يمامتين أو فرْخَيْ حمام الواحد محروق والآخر ذبيح خطية فيكفّر عنها الكاهن فتطهر.

كان يمكن لليا أن تكون على قائمة أسماء هارييت فانغر وترد على الشكل التالي: ليا- 31208

خطر لسالاندر أن أياً من عمليات التحقيق السابقة التي قامت بها ما كان ينطوي وإن على جزء بسيط من تفصيلات هذه المهمة.

كانت ميلدريد برانلند التي فتحت الباب لبلومفيست عند العاشرة تقريباً من صباح نهار الأحد قد تزوجت ثانية وباتت تعرف بميلدريد بيرغرين. كانت المرأة تبدو أكثر تقدماً في السن وقد امتلأت على نحو واضح تماماً، إلا أنه تعرّف إليها لحظة رآها.

«مرحباً، أدعى ميكائيل بلومفيست، لا بدّ أنك السيدة ميلدريد بيرغرين.»

«هذا صحيح.»

ابتسم لها قائلاً: «آسف لأنني طرقت الباب على هذا النحو من دون موعد مسبق، لكنني كنت أحاول الالتقاء بك منذ فترة، حسناً الأمر معقد نوعاً ما، ولكن أتساءل ما إذا كنت أستطيع الدخول وأخذ القليل من وقتك.»

كان زوج ميلدريد وابنها البالغ خمسة وثلاثين عاماً تقريباً في المنزل. لم تتردد كثيراً قبل أن تدعو بلومفيست للدخول إلى المطبخ حيث بقية أفراد العائلة. صافح الرجلين الآخرين وجلس على كرسي لتناول القهوة. كان قد تناول من القهوة في الساعات الأربع والعشرين الماضية أكثر مما فعل طوال حياته، لكنه بات يعلم الآن أنه من المسيء رفض شرب فنجان قهوة مع المضيف. أحضرت ميلدريد الفناجين إلى الطاولة وسألته ببعض الفضول كيف يمكن لها أن تساعده. من الواضح أنه لم يكن يفهم لكنتها الخاصة بأهل نورسجو فسارعت إلى متابعة الحديث باللهجة السويدية المتعارف عليها.

أخذ بلومفيست نفساً عميقاً قبل أن يقول: «إنها قصة طويلة ومعقدة. ففي سبتمبر من العام 1966 كنتِ برفقة زوجك المتوفى غونار براناند في هيدستاد.»

بدت الدهشة على ملامحها. انتظرها حتى تومئ له بالإيجاب قبل أن يعرض على الطاولة أمامها صورة جارنفاغسغاتان.

«متى التقطت هذه الصورة، أتذكرين المناسبة؟»

أجابته ميلدريد بيرغرين: «آه، يا إلهي. كان ذلك منذ زمن بعيد جداً.»

أتى كل من زوجها وابنها ليقفا بجانبها وينظرا إلى الصورة.

«كنا نمضي شهر العسل. وكنا قد قدنا السيارة طوال الطريق من ستوكهولم إلى سيغتونا وكنا سنعود أدراجنا وصُودف أن توقفنا عند محطة ما. أكانت تلك هيدستاد كما قلت؟»

«أجل، إنها هيدستاد. وقد التقطت تلك الصورة عند الساعة الثانية

تقريباً من بعد ظهر ذلك اليوم. أنا أحاول العثور عليك منذ وقت طويل، لم يكن العثور عليك بالأمر السهل.»

«كل ما رأيته هو مجرد صورة قديمة لي وبدأت تتعقبني. لا يسعني أن أتخيل كيف فعلت ذلك.»

وضع بلومفيست الصورة الملتقطة في مرآب السيارات على الطاولة، وقال: «لقد تمكنت من العثور عليك بفضل هذه الصورة ذاتها التي التقطت في فترة لاحقة من ذلك النهار.» أخذ يشرح لها كيف عثر، من خلال مصنع النجارة في نورسجو، على بورمان الذي أرشده بدوره إلى هينينغ فورسمان في نورسجوفالن.

«لا بدّ أن أسباباً وجيهة تدفعك إلى القيام بعملية البحث المضنية هذه.»

«فعلاً. الفتاة التي تقف على مقربة منك في هذه الصورة تدعى هارييت. وقد اختفت في ذلك اليوم بالتحديد، ولم يرها أحد أو يسمع عنها شيئاً. الوقائع تفترض أنها وقعت ضحية جريمة ما. هل لي أن أريك بعض الصور الأخرى؟»

أخرج جهاز الـiBook من الحقيبة وشرح لها الظروف المتعلقة بالقضية بينما كان يشغّل الجهاز. ثم عرض أمامها سلسلة من الصور التي تظهر كيفية تغيّر ملامح هارييت.

«كنت أقلّب هذه الصور تحديداً عندما عثرت عليك تقفين وبيدك كاميرا خلف هارييت مباشرة. ويبدو أنك كنت تلتقطين صورة بالاتجاه الذي كانت تنظر إليه وهو المشهد الذي أثار ردّ فعل لديها بأي حال. أعرف أنها قصة طويلة وأني ربما أطلت الحديث، لكن السبب الذي دفعني للبحث عنك هو السؤال إن كنت وبأعجوبة ما تحتفظين بصور ذلك اليوم.»

كان بلومفيست مستعداً لسماع ميلدريد بيرغرين وهي تصرف النظر عن الفكرة برمّتها وتخبره أن الصور قد اختفت منذ زمن بعيد. إلا أنها

نظرت إليه بعينين زرقاوين صافيتين وقالت كأنها تتحدث عن الأمر الأكثر طبيعية في الحياة وأخبرته أنها لا تزال حتماً تحتفظ بصور شهر عسلها القديم.

ذهبت إلى الغرفة الأخرى وعادت بعد بضع دقائق تحمل صندوقاً كانت تحتفظ فيه بكمية من الصور الموزعة على عدة ألبومات. استغرق العثور على الصور الخاصة بشهر العسل بعض الوقت. كانت قد التقطت ثلاث صور في هيدستاد. إحداها كانت مشوشة وتظهر الشارع الرئيسي وأخرى يظهر فيها زوجها، وصورة ثالثة للمهرجين في الاستعراض.

انحنى بلومفيست بحماسة فوق الصورة. أمكنه رؤية شخص ما على الجهة المقابلة من الشارع يقف وراء المهرج. لكن الصورة لم تخبره بأي شيء.

الفصل العشرون

الثلاثاء، 1 يوليو ـ الأربعاء، 2 يوليو

كانت زيارة منزل فرود للسؤال عن حال فانغر أول ما فعله بلومفيست عند عودته إلى هيدستاد في صباح اليوم التالي. شعر بالسرور يغمره حين علم أن وضع العجوز الصحي قد تحسّن قليلاً خلال الأسبوع الماضي. كان لا يزال يشعر بالوهن والهشاشة لكنه بات قادراً على الجلوس في السرير. لم تعد حالته تُصَنَّف على أنها حرجة.

قال: «حمداً لله. أنا أحب هذا الرجل في الواقع.»

أجابه فرود: «أعلم ذلك. وهنريك يحبك كذلك. كيف سارت الأمور في نورلاند؟»

«ناجحة لكنها غير مرضية. سوف أشرح لك الأمر بعد قليل. أما الآن فلدي سؤال أطرحه عليك.»

«تفضل.»

«ما الذي سيحصل عملياً باهتمامكم بمجلة 'ميلينيوم' في حال وفاة فانغر؟»

«لا شيء على الإطلاق. سيحل مارتن مكان فانغر في عضوية مجلس إدارة المجلة.»

«هل هناك من خطر، أقول على سبيل الافتراض، كأن يختلق مارتن المشاكل للمجلة إذا لم أضع حداً لعملية التحقيق في حادثة اختفاء هاريت؟»

رمقه فرود بنظرة حادة ذات معنى.

«ماذا هناك؟ ما الذي حصل؟»

«لا شيء في الواقع.»

أخبره ميكائيل عن الحديث الذي جرى بينه وبين مارتن فانغر ليلة عيد منتصف الصيف قائلاً: «حين كنت في نورسجو أخبرتني إريكا أن مارتن اتصل بها وقال إنه يعتقد أن هناك حاجة ماسة إلى تواجدي داخل مكاتب المجلة.»

«فهمت. أظن أن سيسيليا تقف وراء الموضوع. لا أعتقد أن مارتن سوف يضغط عليك إلى هذا الحدّ من تلقاء نفسه. إنه أكثر ذكاءً من أن يفعل ذلك. وتذكر أني أيضاً أحد أعضاء مجلس إدارة الشركة الفرعية التي أسسناها حين اشترينا أسهماً في مجلة 'ميلينيوم'.»

«لكن ماذا لو ظهر وضع حرج فجأة؟ كيف ستتصرفون حياله؟»

«العقود وُجِدتْ لتُطَبَّق وتحفظ حقوق كلا الطرفين. أنا أعمل لحساب هنريك. أنا وهو صديقان لما يزيد على خمسة وأربعين عاماً، ونحن على توافق تام حول مثل هذه المسائل. وفي حال وفاة هنريك، أكون أنا وليس مارتن من سيرث حصته في الشركة الفرعية. لدينا عقد اتفقنا بموجبه أن ندعم مجلة 'ميلينيوم' على مدى ثلاث سنوات. وإن كان مارتن ينوي القيام بأعمال تخل ببنود العقد، وهذا ما لا أظنه، فسنضطر من ناحية نظرية أن نوقف التعامل مع عدد ضئيل من المعلنين في المجلة.»

«شريان حياة 'ميلينيوم'.»

«صحيح، لكن انظر إلى الأمر من ناحية أخرى، إن شعرت بالقلق حيال مثل هذه المسائل التافهة فتلك مضيعة للوقت. مارتن يصارع في الوقت الحاضر لإبقاء حياته الصناعية على قيد الحياة ويعمل أربع عشرة ساعة في اليوم. لا يملك الوقت للقيام بأي عمل آخر.»

«إذا سمحت لي بأن أطرح السؤال التالي، مع أني أعلم أن هذا ليس من شأني، ما هو الوضع العام للشركة الآن؟»

بدا فرود متجهماً وهو يقول: «إننا نعاني الكثير من المشاكل.»

«أجل، حتى إن صحافياً عادياً من المختصين بالشؤون المالية مثلي يمكنه معرفة هذا الأمر، لكني أعني ما مدى خطورة الوضع الذي تمر به الشركة؟»

«حسناً، هل ما سأقوله سيظل سرياً وخارج إطار النشر؟»

«سيظل الأمر بيننا.»

«لقد خسرنا طلبيتين مهمتين في قطاع صناعة الإلكترونيات على مدى الأسابيع القليلة الماضية ونحن على وشك أن يتم طردنا من السوق الروسي. سنكون مجبرين في سبتمبر على التخلي عن ألف وستمئة موظف في كل من أريبرو وترولهاتان. ولا يعتبر هذا مكافأة مناسبة تقدّم لأشخاص عملوا لحساب الشركة منذ سنوات عديدة. كل مرة نغلق فيها مصنعاً تنهار الثقة بالشركة أكثر فأكثر.»

«مارتن يعيش في ظل فترة ضاغطة في الوقت الراهن.»

«إنه ينوء تحت حمل ثور ضخم ويمشي في حقل من الألغام.»

عاد بلومفيست إلى كوخه واتصل فوراً ببرجر. لم تكن في المكتب لذا تحدث إلى مالم.

«إليك واقع الأمور: اتصلت بي إريكا حين كنت في نورسجو. مارتن فانغر يلاحقها منذ وقت طويل، وكيف عساي أشرح لك، إنه يشجعها على التقدم باقتراح يقضي بأن أعود لتولي مسؤولياتي التحريرية داخل مكاتب الشركة.»

قال له مالم: «هذا ما أعتقد أنك يجب أن تقوم به كذلك.»

«أعلم ذلك. لكن جلّ ما في الأمر هو أني وقّعت عقداً مع هنريك فانغر لا أستطيع الفكاك منه ومارتن يتصرف مدفوعاً من قبل أحدهم هنا. يريد مني أن أتوقف عما أفعله حالياً، وأغادر البلدة. لذا فإن اقتراحه يهدف في نهاية المطاف للتخلص مني.»

«فهمت.»

«بلّغ تحياتي لإريكا وأخبرها أني سأعود إلى ستوكهولم حين أنهي المهمة التي أعمل عليها وليس قبل ذلك.»

«فهمت. لا بدّ أنك مجنون كلياً، ولكن سأبلغها الرسالة.»

«كريستر. شيء ما يحصل هنا، ولا أملك أية نية للتراجع عما بدأته.»

طرق بلومفيست باب منزل مارتن فانغر. فتحت له إيفا هاسل الباب ورحبت به بحرارة.

«مرحباً، هل مارتن موجود؟»

وكأنما يجيب عن سؤاله، ظهر مارتن فانغر آتياً من غرفة أخرى يحمل حقيبة بيده. قبّل إيفا على وجنتيها مودعاً، وألقى التحية على ميكائيل.

«أنا في طريقي إلى المكتب. هل تودّ التحدث إليّ؟»

«يمكننا التحدث في وقت لاحق إن كنت على عجلة من أمرك.»

«هات لنسمع ما لديك.»

«لن أعود لتولي مسؤوليات هيئة التحرير في 'ميلينيوم' قبل أن أنجز المهمة التي أوكلها إليّ فانغر. أبلغك بالأمر الآن كي لا تعتمد عليّ بأن أكون أحد أعضاء مجلس الإدارة قبل حلول السنة الجديدة.»

أخذ مارتن فانغر يترنح إلى الأمام والوراء قليلاً ثم توقف في مكانه لحظة وقال: «فهمت. تظن أنني أريد التخلص منك. اسمع يا ميكائيل، علينا التحدث في الأمر مطولاً في وقت لاحق. في الواقع أنا لا أملك متسعاً من الوقت أكرّسه لممارسة هواية التواجد في مجلس إدارة 'ميلينيوم'، وأتمنى لو أنني لم أوافق على عرض هنريك مطلقاً. لكن، صدّقني سأبذل قصارى جهدي لأحرص على نجاة المجلة من المحنة التي تتخبط فيها.»

أجابه بلومفيست: «لم يكن لديّ أدنى شك حيال ذلك.»

«إذا حددنا موعداً في وقت ما من الأسبوع المقبل، يمكننا مراجعة الأمور المالية للمجلة ويمكنني أن أعطيك وجهة نظري بالأمر برمّته. إلا أن موقفي الأساسي يقول إنه لا يمكن لمجلة 'ميلينيوم' أن تحتمل بأن يكون أحد أفرادها الأساسيين يمكث هنا في جزيرة هيديبي يضيّع وقته سدىً. أحب هذه المجلة وأظن أنه يمكننا أن نجعلها أكثر قوة. لكن وجودك هناك أساسي لتحقيق مثل هذا التقدم. أنا واقع في صراع مع الذات لجهة الفريق الذي ينبغي أن أُظهِرَ ولائي له. إما أن أحقق أمنية هنريك أو أقوم بمهمتي كأحد أعضاء مجلس إدارة 'ميلينيوم'.»

بدّل بلومفيست ثيابه وارتدى ملابس الرياضة وذهب في نزهة ركضاً نحو القلعة ثم نزولاً إلى كوخ غوتفريد قبل أن يعود أدراجه متوجهاً إلى المنزل بخطىً أكثر بطئاً على طول الممر المائي. وجد فرود جالساً على كرسي في الحديقة. كان ينتظر بصبر بينما شرب ميكائيل قنينة ماء كاملة وجفف العرق عن وجهه.

«لا يبدو الأمر صحياً كثيراً في مثل هذا الطقس الحار.»

قال له بلومفيست: «آه، هيا بربك.»

«كنت مخطئاً. لم تكن سيسيليا اللاعب الأساسي الذي يقف خلف أقوال مارتن. إنها إيزابيلا. إنها منشغلة بحشد آراء أفراد عائلة 'فانغر' ضدك لمعاقبتك بل وإعدامك حرقاً ربما. ويدعمها في موقفها بيرجر.»

«إيزابيلا؟»

«إنها امرأة شريرة، تافهة، ضيقة الأفق، تكنّ كراهية للناس عموماً. ويبدو أنها تصب في الوقت الحالي كراهيتها عليك تحديداً. إنها تنشر قصصاً تظهرك على أنك غشاش قام بخداع هنريك لتوظيفه لديه وبأنك أنت من سبب له الإجهاد الذي أدى إلى إصابته بنوبة قلبية.»

«آمل أن الناس لا يصدقونها؟»

«يوجد دائماً أشخاص مستعدّون لتصديق الإشاعات المغرضة.»

«أنا أحاول الكشف عما فعلوا لابنتها، وهي تكافئني بالشعور بالكراهية حيالي. لو كانت هارييت ابنتي أنا لاتخذت موقفاً مختلفاً نوعاً ما.»

عند الساعة الثانية من بعد الظهر رنّ هاتف بلومفيست النقال.

«مرحباً، أدعى كوني طورسون وأعمل في صحيفة *Hedestad Courier*. هل تملك بعض الوقت للإجابة عن بضعة أسئلة؟ أنت تقيم في هيديبي كما علمنا.»

«حسناً يا سيد طورسون، إن مصادر معلوماتك قديمة نوعاً ما، فأنا أقيم هنا منذ بداية العام.»

«لم أكن أعلم ذلك. ما الذي تفعله في هيدستاد؟»

«أكتب. وأمضي إجازة طويلة إلى حدٍّ ما.»

«ما الذي تعمل عليه في الوقت الحالي؟»

«ستعلم ما إن يتم نشر الكتاب.»

«لكنه لم يمضِ وقت طويل على إطلاق سراحك من السجن...»

«أجل، ما هو سؤالك بالضبط؟»

«ما رأيك بالصحافيين الذين يزوّرون المعلومات.»

«الصحافيون الذين يزوّرون المعلومات مجرد حمقى أغبياء.»

«أنت أحمق إذاً وفقاً لقولك.»

«ولماذا عساي أكون ذلك؟ لم أقدم يوماً على تزوير المعلومات.»

«لكنك كنت متهماً بالتشهير والقدح والذم.»

«ماذا إذاً؟»

تردد طورسون بما يكفي من الوقت فمنحه بلومفيست بعض الدفع وأضاف بلومفيست قائلاً له: «لقد اتهمت بالتشهير وليس بتزوير المعلومات.»

«لكنك أقدمت على نشرها.»

«إن كنت تتصل بي لمناقشة قرار المحكمة، فلا تعليق لدي.»

«أود أن أراك لإجراء مقابلة معك.»

«ليس لدي ما أقوله في هذا الشأن.»

«أنت لا تريد مناقشة تفاصيل المحاكمة إذاً؟»

أجاب بلومفيست قائلاً: «هذا صحيح.» وأقفل الخط. جلس في مكانه لوقت طويل مستغرقاً في التفكير قبل أن يعود للعمل على جهاز الكومبيوتر.

اتبعت سالاندر التعليمات التي وصلتها وقادت دراجة الكاوازاكي فوق الجسر متوجهة إلى جزيرة هيدبي. توقفت عند أول منزل رأته إلى يسار الطريق. كانت قد اجتازت مسافة طويلة جداً نحو مكان تافه، لكن ما دام من وظّفها مستعداً للدفع فلا مانع لديها من الذهاب إلى القطب الشمالي. كما أنه من الجيد أن تقود دراجتها كل تلك المسافة بسرعة EP4. أوقفت الدراجة وفكت الشريط الذي تعلّق به حقيبة الظهر المصنوعة من خيوط الصوف المتينة التي تحتوي على أغراضها.

فتح لها بلومفيست الباب ملوّحاً بيده وخرج لمعاينة الدراجة بدهشة واضحة وصفّر قائلاً: «هل تقودين دراجة نارية؟»

لم تقل سالاندر شيئاً، بل اكتفت بمراقبته عن كثب وهو يلامس المقبض ويجرب دواسة السرعة. لم تكن تحب أن يلمس أحد أغراضها. لكنها ما لبثت أن رأت ابتسامة صبيانية بريئة تلوح على ثغره، اعتبرتها أحد الملامح التي تكفّر عن ذنبه. معظم الذين يمتلكون الدراجات كانوا ينظرون إلى ما لديها على أنه مجرد دراجة هوائية تافهة ساخرين منها.

التفت ناحيتها وقال: «كانت لدي دراجة نارية حين كنت في التاسعة عشرة من عمري. شكراً لمجيئك إلى هنا. تفضلي بدخول المنزل لتضعي أغراضك وترتاحي قليلاً.»

كانت سالاندر قد استعارت سريراً مطاطياً للتخييم من عائلة نيلسون. أخذت تتجول في أرجاء الكوخ مرتابة، إلا أنها بدت مرتاحة لما لم تجد أي إشارة تدل على وجود خطر محدق وفخاخ مخوية. أرشدها إلى مكان الحمام.

«إن كنت ترغبين في الاستحمام لتنتعشي قليلاً.»

«ينبغي أن أبدل ملابسي. لن أتجول في المكان وأنا أرتدي ملابسي الجلدية.»

«حسناً، سوف أعدّ العشاء بينما تبدّلين ملابسك.»

حضّرّ قطع لحم الضأن المتبل بالنبيذ الأحمر جيداً ووضعها على الطاولة في الخارج ليتناولا الطعام تحت أشعة شمس بعد الظهر حينما تنتهي سالاندر من حمامها وتبدل ملابسها. خرجت حافية القدمين ترتدي قميصاً قصيراً أسود اللون وتنورةً قطنية زرقاء قصيرة عتيقة. بدت رائحة الطعام شهية فأكلت صحنين مليئين في حين كان بلومفيست يسترق النظر مذهولاً من عدد الأوشام على ظهرها.

قالت سالاندر: «خمسة زائد ثلاثة. خمس قضايا مأخوذة عن لائحة هاريت وثلاث قضايا أخرى أفترض أنه كان يجب أن تكون واردة على اللائحة.»

«أخبريني عنها.»

«أنا أعمل على الأمر منذ أحد عشر يوماً فقط. ولم أحظَ بعد بفرصة للحصول على كافة التقارير التي أريد. وضعت يدي على محاضر الشرطة المتعلقة ببعض القضايا في أرشيف الدولة، أما تقارير بعض القضايا الأخرى فهي لا تزال محفوظة في دوائر الشرطة المحلية. قمت بثلاث زيارات في يوم واحد لمختلف دوائر الشرطة لكن لم يتسنّ لي ما يكفي من الوقت لأزورها جميعها. كافة القضايا التي صادفتها متطابقة.»

وضعت سالاندر كومة من الأوراق تقارب خمسمئة صفحة فوق

طاولة المطبخ. وسرعان ما قامت بترتيبها وفقاً لمختلف القضايا التي تحدثت عنها.

سلّمت بلومفيست لائحة بالأسماء والسنوات قائلة: «فلنطلع عليها حسب التسلسل الزمني الذي حصلت فيه.»

1949- ريبيكا جاكوبسون، هيدستاد (30112)

1954- ماري هولمبرغ، كالامار (32018)

1957- راكيل لوند، لاندسكرونا (32027)

1960- (ماغدا) لوفيسا سيوبرغ، كارلستاد (32016)

1960- ليف غوستافسون، ستوكهولم (32016)

1952- ليا بيرسون، أوديفالا (31208)

1964- سارة ويت، رونباي (32109)

1966- لينا أندرسن، أوبسالا (30112)

«القضية الأولى في سلسلة الأسماء تحمل اسم ريبيكا جاكوبسون وقد حصلت في العام 1949 وبتّ مطلعاً على تفاصيلها الآن. القضية الثانية التي أسدلت الستار عنها كانت تحمل اسم الضحية ماري هولمبرغ وهي مومس تبلغ اثنين وثلاثين عاماً تعيش في كالامار وتم قتلها في شقتها في أكتوبر من العام 1954. ليس واضحاً تماماً تاريخ مقتلها نظراً إلى أنه لم يتم العثور على الجثة فوراً بعد وقوع الجريمة بل بعد تسعة أو عشرة أيام.»

«وكيف تربطين هذه القضية بحادثة اختفاء هارييت؟»

«لقد أوثقت الضحية وتعرضت لسوء المعاملة لكن سبب الوفاة كان الاختناق. كان هناك فوطة صحية داخل حنجرتها.»

جلس بلومفيست بصمت للحظة قبل أن يفتش عن الآية في سفر اللاويين التي تحمل الرقم 20:18

إذا اضطجع رجل مع امرأة طامث وكشف عورتها عرّى ينبوعها وكشفت هي ينبوع دمها يقطعان كلاهما من شعبهما.

هزت سالاندر رأسها توافقه الرأي.

«لقد أقامت هارييت الرابط ذاته. حسناً ماذا بعد؟»

«راكيل لوند، العمر: خمسة وأربعين عاماً، التاريخ: مايو من العام 1957. كانت تعمل كخادمة تقوم بأعمال التنظيفات وكانت نوعاً ما امرأة سعيدة غريبة الأطوار في القرية. إنها عرّافة ولديها هواية قراءة الحظّ والكف وإلى ما هنالك من أمور. كانت تعيش خارج لانسكرونا في منزل ناءٍ، يبعد مسافة طويلة عن القرية. وقد قتلت في وقت مبكر من الصباح. وجدت عارية ومقيدة إلى أحد حبال تعليق الغسيل في الحديقة الخارجية للمنزل وفمها عليه شريط لاصق. سبب الوفاة رجم متكرر بالحجر إذ وُجد عندها عدد لا يحصى من الارتجاجات والكسور.»

«يا إله السموات. إن هذا لأمر مقزز للنفس يا ليزبث.»

«وسيزداد سوءاً. الحرفان الأوّلان 'ر. ل.' صحيحان، هل وجدت الآية المطابقة لهذه الحالة في الإنجيل؟»

«الأمر بغاية الوضوح، *إذا كان في رجل أو امرأة جان أو تابعة فإنه يقتل بالحجارة* يرجمونه دمه عليه.»

«ثم هناك قضية سيوبرغ التي تعيش في رانمو خارج كارلستاد. إنها الفتاة التي وضعتها هارييت تحت اسم ماغدا. أما اسمها الكامل فهو ماغدا لوفيسا واعتاد الناس أن ينادوها لوفيسا.»

أصغى بلومفيست بينما تقص سالاندر على مسمعه تفاصيل عملية القتل الغريبة التي حصلت في كارلستاد. وحين أشعلت سيجارة أشار إلى العلبة بإصبعه فدفعتها باتجاهه.

«وهل قام القاتل بالاعتداء على الحيوان أيضاً؟»

«الآية في سفر اللاويين تقول إذا اضطجعت المرأة مع الحيوان فينبغي قتل كليهما.»

«إن احتمال قيام هذه المرأة بممارسة الجنس مع بقرة يكاد يكون معدوماً.»

«يمكن قراءة الآية بشكل حرفي. إذا يكفي لها أن تكون قد 'قاربت' الحيوان لا أكثر، وهذا ما تقوم به زوجة الفلاح على نحو يومي من دون شك.»

«فهمت.»

«القضية التالية المدونة على لائحة هارييت تحمل اسم سارة. وقد طابقت الاسم مع المغدورة سارة ويت البالغة سبعة وثلاثين عاماً والمقيمة في رونباي. وقد قتلت في يناير من العام 1964 وعُثر عليها مقيدة إلى سريرها بعد أن تعرضت لاعتداء جنسي وحشيّ، إلا أن سبب الوفاة يعود للاختناق، لقد ماتت شنقاً. وقد عمد القاتل كذلك إلى إضرام النار بهدف إحراق المنزل برمّته ربما وهدمه، إلا أن جزءاً من النار خَمَدَ من تلقاء نفسه والجزء المتبقي اهتم به رجال الإطفاء الذين حضروا إلى المكان سريعاً.»

«وأين يكمن الرابط هنا؟»

«أصغ إلى هذا. سارة ويت تلك كانت ابنة راعي أبرشية ومتزوجة من راعي أبرشية كذلك. وقد كان زوجها في رحلة بعيداً عن المنزل عندما قتلت.»

«*وإذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست أباها بالنار.* تحرق. وهذا ينطبق على مواصفات أسماء اللائحة. قلت إنك عثرت على المزيد من القضايا.»

«وجدت ثلاث نساء أخريات قتلن في ظروف غريبة مشابهة، وكان يمكن لأسمائهن أن ترد على لائحة هارييت. المرأة الأولى شابة تدعى ليف غوستافسون. تبلغ اثنين وعشرين عاماً وتعيش في فارستا. كانت فتاة تحب الأحصنة وتشارك في السباقات وتعتبر من الفتيات اللواتي يَعِدْنَ بمستقبل زاهر. وكانت أيضاً تملك مع أختها متجراً صغيراً لبيع الحيوانات الأليفة. وُجِدَتْ مقتولة في المتجر نفسه. كانت تعمل حتى وقت متأخر من تلك الليلة وحدها على إدارة حسابات المتجر. لا بدّ أنها سمحت للقاتل بالدخول طوعاً. وقد اغتصبها وخنقها حتى الموت.»

«لا تبدو القضية ذات علاقة بالأسماء الواردة على لائحة هاربيت، أليس كذلك؟»

«ليس تماماً، لولا أمر واحد فقط. اختتم القاتل أعماله الوحشية بإدخال طائر ببغاء في فرجها وتهريب بقية الحيوانات من المتجر، بما في ذلك الهررة والسلاحف والفئران البيضاء والأرانب والطيور، وحتى الأسماك من أحواض المياه. لذا لا بدّ أن المنظر الذي رأته أختها في الصباح كان مرعباً.»

سجل بلومفيست ملاحظة ما في دفتره.

«قتلت في أغسطس من العام 1960، أي بعد أربعة أشهر من قتل زوجة الفلاح المدعوة ماغدا لوفيسا في كارلستاد. وفي كلا الحالتين نرى أنهما امرأتان تمتهنان العمل مع الحيوانات. وتمّت في القضيتين التضحية بالحيوان. يمكن للبقرة في كارلستاد أن تكون قد نجت من الموت لكن يصعب أن أتصور أنه يصعب طعن بقرة حتى الموت بواسطة سكين وحسب. الببغاء أسهل قتلاً. هناك قضية أخرى تمت التضحية فيها بمزيد من الحيوانات.»

أخبرته سالاندر قصة «جريمة الحمامة» التي ذهبت ضحيتها المغدورة ليا بيرسون. جلس بلومفيست بصمت مطبق لوقت طويل مستغرقاً في التفكير حتى كاد صبر سالاندر ينفد.

قال لها أخيراً: «سأتبنى وجهة نظرك. بقيت هناك قضية واحدة لم تحدثيني عنها.»

«إنها قضية اكتشفتها بالصدفة، لا أعرف عدد القضايا التي فاتتني.»

«أخبريني عنها.»

«تعود الحادثة إلى فبراير من العام 1966 وقد جرت في أوبسالا وذهبت ضحيتها فتاة رياضية في السابعة عشرة من عمرها تدعى لينا أندرسن. وكانت قد اختفت بعد حفلة أقامها تلامذة صفها ووجدت بعد ثلاثة أيام مرمية في حفرة في سهل أوبسالا الذي يبعد مسافة عن البلدة.

قتلت في مكان ما ودفنت جثتها هناك. حازت هذه الحادثة على اهتمام الصحافة على نطاق واسع إلا أن الظروف الحقيقية المحيطة بمقتلها لم تُكشف قط. وقد تمّ تعذيب الفتاة بشكل مبرح. قرأت تقرير اختصاصي علم الأمراض فوجدت أنه تم تعذيبها بالنار، وكانت يداها وثدياها محروقة بوحشية تامة وقد تم إحراق بقع من جسمها مرات متكررة. وجدوا أثر بقع من دهن البارافين التي تُظْهِر أنه تم استعمال الشمع لإحداث الحروق أما يداها فكانتا متفرحتين إلى حدّ يؤكد بصورة حتمية استعمال مصدر نيران أقوى. عمد القاتل في النهاية، إلى فصل رأسها ووضعه إلى جانب جسدها.»

اصفرّ وجه بلومفيست وقال: «رحمتك يا الله.»

«لا يسعني إيجاد أي آية تناسب الجريمة لكن هناك العديد من الفقرات التي تتحدث عن تقديم تضحية النار وتضحية الخطيئة، وينصح في بعض الأماكن بأن تتم التضحية بحيوان، غالباً ما يكون ثوراً، يتم قتله بفصل الرأس عن الجسد. النيران تعيد إلى ذاكرتي كذلك الجريمة الأولى التي أودت بحياة ريبيكا في هيدستاد.»

مع حلول المساء بدأ البعوض يغزو المكان فأزالا الطعام عن الطاولة في الحديقة وانتقلا إلى المطبخ لمتابعة حديثهما.

«إن عدم العثور على آية في الإنجيل تطابق الوضع لا يعني الكثير في الحقيقة، لأن المسألة ليست مسألة آيات. فما جرى محاكاة تهكمية غريبة لما ورد في الإنجيل، إنها أكثر شبهاً بربط معاني الاقتباسات المستقطعة من النصوص.»

«أوافقك الرأي، حتى إنه ليس في الأمر منطق. لنأخذ على سبيل المثال الآية التي تقول بوجوب قطع الطرفين من شعبهما إذا ضاجع أحدهم امرأة في مرحلة الطمث. لو أننا فسرنا ذلك حرفياً لكان يعني أنه يفترض بالقاتل أن يكون قد انتحر هو أيضاً.»

تساءل بلومفيست بصوت مرتفع: «إلى أين يقودنا كل ذلك؟»

«إما أن تكون لهاريـت تلك هواية غريبة أو أنها كانت تعرف بوجود علاقة ما بين جرائم القتل.»

«بين عامَي 1949 و1966 وربما قبل ذلك الوقت وبعده، فإن فكرة وجود قاتل متسلسل سادي مريض نفسياً ينفذ جرائمه ويذبح النساء على مدى سبعة عشر عاماً على الأقل من دون أن يرى أحد الرابط بين كافة تلك الجرائم، أمر لا أصدقه بتاتاً.»

دفعت سالاندر بكرسيها إلى الوراء وسكبت لنفسها المزيد من القهوة من الإبريق الموجود على الموقد. وأشعلت سيجارة. شتم ميكائيل نفسه وسرق منها سيجارة أخرى.

قالت ترفع إصبعها: «كلا، ليس الأمر مستحيلاً إلى هذا الحدّ. حصلت في السويد خلال القرن العشرين عشرات الجرائم بحق النساء لم يكشف عنها بعد. قال البروفسور بيرسون المتخصص بعلم الجرائم مرة على شاشة التلفاز إن القتلة المتسلسلين نادرو الوجود في السويد إلا أنه لدينا ربما بعض القتلة ممن لم يتم القبض عليهم مطلقاً.»

رفعت إصبعاً أخرى وتابعت: «ارتكبت تلك الجرائم على مدى فترة زمنية طويلة وفي كافة أرجاء البلاد. جريمتان متقاربتان زمنياً في العام 1960 إلا أن الظروف المحيطة بكل من الجريمتين تختلف عن الأخرى تماماً، إذ استهدفت إحداها زوجة فلاح في كارلستاد وأخرى فتاة تبلغ اثنين وعشرين عاماً في ستوكهولم.»

ثلاثة من أصابع سالاندر كانت ممدودة وهي تقول: «ليس هناك من سياق مباشر واضح يربط بين الجرائم. فهي ارتكبت في أماكن مختلفة وليس هناك من توقيع حقيقي يسِمُها، لكن هناك أموراً محددة تتكرر. الحيوانات، النيران والاعتداء الجنسي الوحشي. وكما أشرت سابقاً، محاكاة للآيات الواردة في الإنجيل. لكن على ما يبدو فإن أحداً من المحققين في تلك الجرائم لم يربط حدوثها بالإنجيل.»

كان بلومفيست يراقبها. بجسدها النحيل وسترتها السوداء القطنية القصيرة والأوشام والأقراط التي تملأ وجهها، بدت سالاندر خارج إطار المكان كلّياً وليس خارج إطار كوخ للضيوف في هيديبي وحسب. وعندما حاول التصرف بنحو اجتماعي معها أثناء تناول العشاء، بدت كتومة، متحفظة لدرجة الفظاظة. لكنها خلال تأدية عملها كانت تبدو تامة الاحتراف. شقتها في ستوكهولم كانت أشبه بمكان انفجرت فيه قنبلة وبعثرت محتوياته، لكن سالاندر نفسها كانت شخصاً منظّم الأفكار.

«تصعب إقامة رابط محدد بين مومس من أوديفالا قُتِلت في باحة مصنع قديم وزوجة راعي أبرشية ماتت خنقاً في رونباي وأُضرمت النيران في منزلها، لو لم تزودنا هارييت بالمفتاح.»

قالت سالاندر: «مما يوصلنا إلى الاستنتاج التالي.»

«كيف يعقل أن تكون هارييت قد انغمست في كل ذلك؟ إنها ليست سوى فتاة في السادسة عشرة من عمرها تعيش في بيئة مغلقة.»

تابعت سالاندر: «ليس هناك سوى إجابة واحدة عن السؤال، لا بدّ أن يكون هناك ارتباط ما بعائلة 'فانغر'.»

عند الساعة الحادية عشرة مساءً كانا قد بحثا سلسلة الجرائم وناقشا الروابط القائمة بينها التي يمكن تصورها والتفاصيل البسيطة المتعلقة بنقاط التشابه والاختلاف القائمة بين الجرائم إلى درجة بدأ رأس بلومفيست يدور. فرك عينيه وتمطّى وسأل سالاندر ما إذا كانت ترغب في القيام بنزهة. كانت تعابير وجهها تدل على أنها تظن هذه الممارسات مجرد مضيعة للوقت لكنها مع ذلك وافقت. نصحها بلومفيست بتغيير سروالها القصير واستبداله بآخر طويل تفادياً للسعات البعوض.

أخذا يسيران ببطء على طول مرفأ المراكب الصغيرة مروراً بالطريق تحت الجسر وصولاً إلى منزل مارتن فانغر. أشار بلومفيست إلى عدد من المنازل وأخبرها عن الاشخاص الذين يقطنونها. لاقى بعض الصعوبة في

الوصف حين وصلا إلى منزل سيسيليا فانغر فرمقته سالاندر بنظرة فضول.

تجاوزا يخت مارتن فانغر ووصلا إلى نهاية الرحلة فجلسا هناك على صخرة وتشاركا تدخين سيجارة.

قال لها بلومفيست فجأة: «هناك رابط إضافي. لعله سبق أن فكرت به أنت أيضاً.»

«وما هو؟»

«أسماء الضحايا.»

فكرت سالاندر للحظة ثم هزت رأسها نفياً.

«كافة تلك الأسماء واردة في الإنجيل.»

قالت له: «ليس هذا صحيحاً. فأين يرد اسما 'ليف' و'لينا' في الإنجيل؟»

«إنهما واردان فعلاً. 'ليف' يعني الحياة، أي إنه 'إيفا' أو حواء بكلام آخر. واحزري اسم 'لينا' اختصار لأي اسم؟»

قطبت سالاندر جبينها انزعاجاً. لقد كان أسرع منها ولم يعجبها ذلك.

قالت له: «إنه اختصار لاسم 'ماغدالينا'.»

«صحيح العاهرة، المرأة الأولى 'مريم العذراء'... إنها أسماء تدخل في المجموعة ذاتها. الأمر بغاية الفظاعة لدرجة تجعل رأس عالم نفساني يدور تعجباً. لكن هناك مسألة أخرى فكرت فيها بالنسبة للأسماء.»

أخذت سالاندر تنتظر أن يتابع حديثه بصبر.

«إنها جميعاً أسماء يهودية تقليدية. عائلة 'فانغر' تضم ما يكفي من الأفراد المتعصبين المعادين للسامية، النازيين والمساندين للنظريات التآمرية. المرة الوحيدة التي التقيت فيها هارالد فانغر كان يقف عند قارعة الطريق يزمجر واصفاً ابنته بالعاهرة. لا شك في أنه كانت لديه مشاكل مع النساء.»

حين عادا إلى الكوخ، أعدّا وجبة خفيفة لمنتصف الليل وسخّنا القهوة. ألقى ميكاتيل نظرة على الصفحات الخمسة التي أتت بها الباحثة المفضلة لدى دراغان آرمانسكي.

قال لها: «لقد قمت بعمل رائع بالكشف عن كل تلك الحقائق في فترة زمنية قصيرة. أشكرك لقيامك بذلك كما أشكرك لأنك كنت بغاية اللطف لكي تأتي إلى هنا بنفسك وتقدمي لي التقرير.»

كانت سالاندر راغبة أن تعرف ما الخطوة التالية فسألته: «وما الذي سيحدث الآن؟»

«سأقوم غداً بزيارة ديرك فرود وأتدبر أمر دفع مبلغ من القيمة المتفق عليها.»

«لم يكن ذلك ما عنيته من طرح السؤال.»

نظر إليها بلومفيست مستغرباً وقال: «حسناً... أظن أن العمل الذي أوكلته إليك قد انتهى.»

«لكنني لم أنته منه بعد.»

استند بلومفيست إلى الحائط وراءه ونظر في عينيها مباشرة. لم يستطع قراءة شيء فيهما على الإطلاق. لمدة نصف عام وهو يعمل على حادثة اختفاء هارييت فانغر وحيداً وفجأة يظهر شخص آخر في ثياب باحثة متمرسة، فهمت كافة خبايا الحادثة وتفاصيلها. لم يستغرق سوى لحظة واحدة لاتخاذ قراره.

«أعرف ما تشعرين به. لقد تغلغلت القصة في عروقي أنا أيضاً. سأتحدث إلى فرود. قد نوظفك لإتمام المهمة مدة أسبوع أو أسبوعين إضافيين... بصفة باحثة مساعدة. لا أعلم إن كان سيقبل بدفع القيمة ذاتها التي كان يدفعها لآرمانسكي لكن يجب أن نتمكن من تدبّر أجر أساسي لك.»

افترّ ثغر سالاندر فجأة عن ابتسامة. لم تكن ترغب أن يتم إبعادها

عن القضية مطلقاً وكانت لتكون سعيدة بالقيام بالمهمة من دون مقابل حتى.

«أنا أشعر بالنعاس.» ومن دون لحظة تأخير أو إحداث ضجة، ذهبت إلى غرفتها وأغلقت الباب وراءها.

بعد مرور دقيقتين عادت تفتح الباب ومدت رأسها وقالت: «أعتقد أنك مخطئ. إنه ليس قاتلاً متسلسلاً مصاباً بالجنون قرأ الإنجيل بشكل خاطئ. بل هو مجرد مجرم عادي وغد يكره النساء.»

الفصل الحادي والعشرون

الثلاثاء، 3 يوليو ـ الخميس، 10 يوليو

استيقظت سالاندر، قبل بلومفيست، عند الساعة السادسة صباحاً تقريباً. وضعت بعض الماء في الإبريق لتحضير القهوة وذهبت للاستحمام. حين استيقظ بلومفيست عند الساعة السابعة والنصف وجدها تقرأ الملخّص الذي وضعه حول قضية هارييت فانغر في جهاز الـiBook. ظهر في المطبخ على حين غرة يلف وسطه بمنشفة ويمسح آثار النوم عن عينيه.

قالت له: «القهوة جاهزة على الموقد.»

أجابها: «تباً، كان الملف الذي يحتوي على المعلومات محفوظاً بكلمة سر.»

التفت وأخذت تحدق فيه.

«إن تفكيك الرمز الذي يحمي ملفات برنامج الـWord على الكومبيوتر يتطلب تحميل برنامج لتفكيكه عن الإنترنت يستغرق ثلاثين ثانية لا أكثر.»

قال لها قبل أن يذهب للاستحمام: «نحتاج لأن نتحدث صراحة لنوضح الأمور التي تخصك وتلك التي لا تخص أحداً آخر سواي.»

حين عاد من الحمام كانت سالاندر قد أطفأت جهاز الكومبيوتر وأعادته إلى حيث كان على المكتب. وأدارت جهاز الـPowerbook الخاص بها. كان بلومفيست يثق تماماً أنها قامت بنقل المعلومات من جهازه إلى جهازها.

سالاندر تلك عاشقة معلومات ذات ميول طفولية جانحة في ما يخص القيم والأخلاقيات.

كان قد جلس لتوّه إلى مائدة الطعام لتناول الفطور حين سمع أحدهم يطرق باب منزله. بدا مارتن فانغر متجهماً للحظة ظنّ فيها بلومفيست أنه قدم حاملاً إليه خبر موت عمّه.

«كلا، لا يزال هنريك على حاله كما تركته بالأمس. لقد أتيت إلى هنا لسبب مختلف تماماً. هل لي أن أدخل للحظة؟»

دعاه بلومفيست للدخول وقام بتعريفه إلى «مساعدته في البحث» الآنسة ليزبث سالاندر. لم تكد تلتفت إلى سيد عالم الأعمال والصناعة وأومأت برأسها قبل أن تعود لتصبّ تركيزها على شاشة الجهاز أمامها. ألقى مارتن التحية عليها بشكل أوتوماتيكي متكلّف لكنه بدا في غاية الشرود ليلاحظ وجودها أصلاً. سكب له بلومفيست فنجان قهوة ودعاه للجلوس.

«ماذا هناك، ما الأمر؟»

«أنت لم تشترك في صحيفة *Courier Hedestad*؟»

«كلا، لكني أرى بعض الأعداد منها في مقهى 'سوزان' الواقع على الجسر.»

«إذاً أنت لم تقرأ العدد الصادر صباح اليوم؟»

«أنت تجعل الأمر يبدو وكأنه كان يجب عليّ أن أقرأه.»

وضع مارتن فانغر الصحيفة على الطاولة أمامه. كانت الصحيفة المعنية قد خصصت له عمودين كاملين على الصفحة الأولى مع تكملة للمقال على الصفحة الرابعة. العنوان العريض الذي يتصدر الصفحة الأولى «ها هو الصحفي المدان بتهمة التشهير مختبئ هنا». كانت الصورة قد التقطت بعدسة كاميرا أحد الهواتف النقالة من على تلة الكنيسة الواقعة على الجهة الأخرى من الجسر ويظهر فيها بلومفيست وهو يخرج من الكوخ.

كان الصحافي طورسون قد رقّع قطع صورة سوقية بطريقة خرقاء،

ولجأ إلى إعادة ذكر أحداث قضية «وينرشتروم» باختصار مع الإشارة إلى أن بلومفيست قد طُرد من مكاتب المجلة بسبب الفضيحة التي لطخت جبينه وأنه قد قضى مؤخراً مدة الحكم وراء قضبان السجن. اختتم المقال بالسطر المعتاد الذي يقول إن بلومفيست رفض التعليق أو الإدلاء بأي معلومات لصحيفة *Courier Hedestad*. هكذا بات كل مواطن مقيم في هيدستاد يحترم نفسه على علم بأن أحد الأنذال من الطبقة الراقية في ستوكهولم قد تسلل إلى المنطقة ليتوارى عن الأنظار. لم يكن أيٌّ من الإدعاءات في المقال أو المزاعم الواردة يحمل صبغة تشهيرية لكنه كان مذكوراً على نحو ساخر يظهر بلومفيست على حقيقته دون تملق، أما الصياغة والأسلوب المعتمدان فكانا من النوع الذي تلجأ إليه الصحف عادةً لمناقشة موضوع الإرهابيين السياسيين. تم وصف مجلة «ميلينيوم» على أنها لا توحي بالمصداقية الكافية حيث ورد حرفياً أنها مجلة «مصرّة على التحريض»، وعرض كتاب بلومفيست حول الصحافة المختصة بالشؤون المالية على أنه مجموعة من «الادعاءات المثيرة للجدل» التي تمس صحافيين أكثر احتراماً.

«ميكائيل، لا أملك الكلمات التي تعبّر عن المشاعر التي انتابتني وأنا أقرأ هذا المقال... إنه بغيض، مثير للاشمئزاز.»

أجابه بلومفيست بهدوء: «إنها مكيدة مدبَّرة.»

«آمل أن تفهم أن لا علاقة لي بالأمر من قريب أو بعيد. كدت أختنق وأنا أتناول قهوتي الصباحية وأقرأ الخبر.»

«من له علاقة بالأمر إذاً؟»

«لقد أجريت بعض الاتصالات. تبيّن لي على أثرها أن الصحافي طورسون هذا مجرد فتى متمرّن يعمل لحساب الصحيفة في فصل الصيف. وقد وضع المقال بناء على أوامر من بيرجر.»

«كنت أظن أن لا رأي لبيرجر داخل أروقة الصحيفة وغرف التحرير. فهو في النهاية مستشار وسياسي.»

«لا يملك أي تأثير تقني، لكن رئيس تحرير صحيفة *Courier* هو غونار كارلمان وهو ابن إنغريد الذي يشكل جزءاً من فرع عائلة جوهان فانغر. إن علاقة وطيدة تجمع بين بيرجر وغونار منذ سنوات.»

«فهمت.»

«سوف يتم طرد طورسون على إثر هذا المقال.»

«كم يبلغ من العمر؟»

«لا أعرف صدقاً. لم يسبق لي أن التقيته يوماً.»

«لا تطرده من الصحيفة. حين اتصل بي بدا صحافياً شاباً لا يملك من الخبرة إلا القليل.»

«لا يمكن أن أسمح بمرور الأمر من دون تبعات.»

«إذا أردت رأيي، فأنا أرى أن الوضع برمّته تافه نوعاً ما. حين يقوم رئيس تحرير وسيلة إعلامية ما تملكها عائلة 'فانغر' بشن هجوم على وسيلة إعلامية أخرى يشكل هنريك فانغر أحد المساهمين فيها وتحتل أنت مقعداً في مجلس إدارة تحريرها، يكون رئيس تحرير صحيفتك عندئذ يشن هجوماً ضدك أنت وضد هنريك نفسه.»

«أفهم ماذا تعني بكلامك هذا، ويجدر بي أن أوجه اللوم إلى من يستحقه فعلاً. كارلمان هو أحد المساهمين في المؤسسة ولطالما كان يوجه لي انتقادات لاذعة لكن الأمر يحمل صيغة انتقام بيرجر منك بسبب المواجهة التي حصلت بينكما مؤخراً في رواق المستشفى. إنك تشكل شوكة في خاصرته.»

«هذا ما أعتقده. لذا أظن أن طورسون آخر من يجب أن توجه إليه أصابع اللوم. يتطلب الرفض شجاعة كبرى حين يتعلق الأمر بصحافي متمرن يطلب إليه رئيسه في العمل كتابة مقال ما بطريقة محددة تستهدف أحدهم.»

«يمكنني أن أطلب أن يصدر اعتذار على صفحات الصحيفة غداً.»

«من الأفضل ألا تفعل. لأن المسألة ستنقلب إلى مشادة كلامية حادة

لا تنتهي فصولها قريباً وتساهم في زيادة الوضع سوءاً.»

«تظن إذاً أنه لا ينبغي لي فعل أي شيء حيال ما حصل؟»

«لن تجني أي فائدة. سوف يخلق كارلمان من القصة ضجة كبرى وستوصف بأحسن الحالات بأنك شخص شرير يحاول بصفته أحد مالكي الصحيفة تقييد حرية التعبير في الصحافة والإعلام.»

«أعذرني يا ميكائيل، لكنني لا أوافقك الرأي. إني أملك في الواقع أن أعبّر عن وجهة نظري كذلك. وما أظنه هو أن هذا المقال منافٍ للأخلاق تفوح منه رائحة كريهة وأنا عاقد العزم تماماً على إيضاح وجهة نظري تلك. غير أني مكرهاً أشكل بديلاً لهنريك في مجلس إدارة تحرير مجلة 'ميلينيوم' وبصفتي كذلك، لن أسمح لمقال استفزازي كهذا بأن يمر من دون أن يلقى الردّ المناسب.»

«هذا تصرف منصف.»

«لذا أطالب بحق الرد. وإذا جعلت كارلمان يبدو كمجرد أحمق فليس عليه سوى أن يلوم نفسه.»

«عليك أن تقوم بما تراه منصفاً.»

«بالنسبة لي من المهم كذلك أن تفهم تماماً أن لا علاقة لي مهما كانت بمثل هذا الهجوم اللاذع.»

أجاب بلومفيست: «أصدّق ما تقول.»

«هناك أمرٌ آخر لم أكن أرغب في أن أثيره الآن فعلاً، لكنه يصبّ في مصلحة توضيح مسألة كنا قد ناقشناها سابقاً. من المهم أن نعيد إدخالك ضمن هيئة تحرير مجلة 'ميلينيوم' كي نظهر أمام الجميع كجبهة موحدة. فطالما أنت مُبعد عن مكاتب المجلة فإن الإشاعات لن تتوقف. أنا أؤمن بـ 'ميلينيوم' وعلى قناعة تامة أننا معاً سنربح المعركة.»

«أتفهّم وجهة نظرك، إلا أنه قد حان دوري الآن لأخالفك الرأي. لا يسعني فسخ العقد الذي وقّعته مع هنريك، ولا رغبة عندي في الحقيقة أن أفسخه. أنا أحب هذا الرجل كما ترى. قصة هارييت تلك...»

«ماذا بشأنها؟»

«أفهم أن الأمر قاسٍ عليك وأدرك أن هنريك عاش هوساً بالقصة لسنوات طوال.»

«أأخبرك أمراً يظل سراً بيننا، أنا مولع بهنريك وهو معلمي، لكن حين تتعلق المسألة بهارييت، يُفقدني صوابي.»

«حين بدأت العمل على هذه القضية لم يكن يسعني سوى أن أفكر أنها مضيعة للوقت وحسب. إلا أنني أعتقد أننا على وشك تحقيق تقدم غير مسبوق، وأنه بات بإمكاننا الآن أن نعرف ما الذي حصل فعلاً.»

قرأ بلومفيست شكاً واضح المعالم في عيني مارتن فانغر الذي كان قد اتخذ قراره في النهاية.

«حسناً، أفضل ما يمكننا فعله في هذه الحالة هو أن نحلّ لغز حادثة اختفاء هارييت بأسرع ما يمكن. سأمدّك بكل الدعم المطلوب بحيث تتمكن من إنجاز المهمة على النحو الذي يرضيك ويرضي هنريك طبعاً. ونعود بعدئذ لممارسة مهامك في مكاتب 'ميلينيوم'.»

«جيد. هكذا لن أضطر للشجار معك أنت أيضاً.»

«كلا، لن تضطر لذلك. يمكنك طلب المساعدة حالما تواجهك أي مشكلة. سأحرص كل الحرص على ألا يضع بيرجر العراقيل أمامك. وسأحاول التحدث إلى سيسيليا لأهدّئ من روعها قليلاً.»

«أشكرك. أحتاج إلى طرح بعض الأسئلة عليها لكنها تمانع في إقامة أي حوار بيننا منذ شهر.»

أطلق مارتن ضحكة مدوية قائلاً: «ربما يجدر بك حلّ مواضيع أخرى شائكة بينكما، لكنني لن أقحم نفسي في ذلك.»

تصافح الرجلان مودعاً أحدهما الآخر.

كانت سالاندر قد استمعت إلى الحديث الذي دار بينهما. وحين غادر مارتن فانغر المنزل مدّت يدها وسحبت صحيفة *Courier Hedestad*

وأخذت تقرأ المقال. ثم وضعتها من يدها دون أن تدلي بأي تعليق.

كان بلومفيست يجلس بصمت مفكراً. ولد غونار كارلمان عام 1948 ومن المفترض أنه كان في الثامنة عشرة من عمره عام 1966. وقد كان أحد الأشخاص المتواجدين على الجزيرة عند حصول حادثة اختفاء هارييت.

بعد الانتهاء من تناول طعام الفطور، طلب بلومفيست من مساعدته الاطّلاع على محاضر الشرطة. وزودها بكافة الصور المتعلقة بالحادثة إضافة إلى الملخص الطويل الذي وضعه فانغر نفسه حول التحقيقات.

ثم قاد بلومفيست السيارة إلى منزل فرود وطلب إليه بلطف وضع نص عقد يمكّن سالاندر بموجبه العمل كباحثة مساعدة لمدة شهر إضافي.

عند عودته إلى الكوخ كانت سالاندر قد انتقلت إلى الحديقة وانغمست في قراءة محاضر الشرطة. دخل بلومفيست المنزل ليسخّن القهوة. وأخذ يراقبها عبر نافذة المطبخ. بدا أنها تتصفح الأوراق بسرعة مستخلصة أهم ما فيها من دون أن تمضي أكثر من عشرة أو خمس عشرة ثانية في قراءة الصفحة الواحدة. كانت تقلب الأوراق بشكل ميكانيكي، وذُهِلَ بلومفيست لعدم تركيزها على مضمون أي منها، لم يكن الأمر في محله نظراً للدقة التي تكتب فيها سالاندر تقاريرها الخاصة. أخذ فنجاني قهوة وانضم إليها إلى طاولة الحديقة.

«لقد دوّنت ملاحظاتك تلك قبل أن تعرف أنك تبحث عن قاتل متسلسل.»

«هذا صحيح. لقد قمت ببساطة بتدوين الأسئلة التي أردت طرحها على هنريك إضافة إلى بعض الملاحظات الأخرى التي كانت تخطر لي. لم تكن الكتابات تتبع أي سياق منهجي. منذ بدأت حتى الآن وأنا أتخبط في بحر من الظلمة محاولاً كتابة قصة ما، فصلاً من سيرة هنريك فانغر الذاتية.»

«وماذا عن المرحلة الراهنة؟»

«ركزت كافة التحقيقات التي أجريتها في الفترة الماضية على جزيرة هيديبي. لكني بتّ واثقاً الآن أن القصة، وتسلسل أحداثها الذي انتهى باختفاء هارييت، قد بدأ في هيدستاد. وهذا يغيّر منظار البحث في الأمور.»

قالت له سالاندر: «كان اكتشافك لما في الصور أمراً مذهلاً بحق.»

أصيب بلومفيست بالدهشة. لم تكن سالاندر تبدو من النوع الذي يوجه الإطراءات يميناً ويساراً، وقد شعر بالإطراء فعلاً. إلا أنه من ناحية أخرى ومن منظار صحفي بحت كان ما اكتشفه يعدّ إنجازاً حقيقياً.

«حان دورك الآن لملء الفراغات بالتفاصيل. كيف جرت الأمور بالنسبة للصورة التي كنت تتعقب أصحابها في نورسجو؟»

«أتقصدين إفهامي أنك لم تتحققي من الصور في جهاز الكومبيوتر الخاص بي؟»

«لم يتسنّ لي الوقت للقيام بذلك. كنت بحاجة إلى قراءة الملخصات التي وضعتها والتقارير التي كنت تكتبها لنفسك.»

أدار بلومفيست جهاز الـiBook الخاص به وفتح الملف الذي يحوي الصور.

«إنه مذهل. الزيارة التي قمت بها إلى نورسجو تمثّل نوعاً من التقدم الملحوظ. لكنها أيضاً تشكل نوعاً من خيبة الأمل. لقد وجدت الصورة التي كنت أبحث عنها فعلاً لكنها لم تكن ذات فائدة كبرى.»

«تلك المرأة المدعوة ميلدريد بيرغرين قد احتفظت بصور عطلة شهر العسل في ألبومات خاصة. إحدى تلك الصور هي التي كنت أبحث عنها. لقد التقطت بواسطة فيلم كاميرات رخيصة وبدت بعد سبعة وثلاثين عاماً باهتة الألوان تماماً، مع لطخات صفراء واضحة. لكن هل تصدقين أنها كانت تحتفظ بالنيغاتيف في علبة للأحذية. وقد سمحت لي باستعارة كافة نيغاتيف الصور الملتقطة في هيدستاد وقمت بنسخها. انظري، هذا ما رأته هارييت.»

كان قد ضغط على صورة حفظها في ملف خاص يحمل إسم هاريت بالأحرف الكبيرة على النحو التالي: HARRIET/bd-19.eps.

ما إن نظرت سالاندر إلى الصورة حتى فهمت سبب خيبة أمله. لقد رأت صورة غير واضحة يظهر في مقدمتها عدد من المهرجين يوم مهرجان عيد الطفل. أما خلفية الصورة فكانت تكشف زاوية متجر «سندشتروم» للخرداوات. عشر أشخاص تقريباً كانوا يقفون على الرصيف أمام متجر «سندشتروم» ذاك.

«أظن أن هذا هو الشخص الذي رأته. أولاً لأني حاولت أن أقيس وأتصوّر الجهة التي كانت تنظر إليها بالحكم على زاوية التفاتة وجهها، حيث إني كنت قد وضعت تصميماً لتقاطع الطرق هناك. وثانياً لأنه الشخص الوحيد الذي يبدو أنه ينظر إلى عدسة الكاميرا تماماً بشكل مستقيم. مما يعني أنه كان ينظر ربما باتجاه هاريت.»

ما رأته سالاندر كان عبارة عن صورة ضبابية لشخص يقف وراء المتفرجين في الشارع الجانبي تقريباً. كان يرتدي سترة سوداء مبطنة مع رقعة حمراء اللون على كتفيها وسروالاً أسود، قد يكون من قماش الجينز. قرّب بلومفيست الصورة وجعلها أكبر حجماً بحيث ملأت صورة الشخص من وسطه إلى رأسه شاشة الجهاز. ومع ذلك ازدادت الصورة ضبابية.

إنها صورة رجل يبلغ طوله حوالي خمسة أقدام، يتمتع ببنية عادية. شعره أشقر غامق طويل حتى أسفل رقبته نوعاً ما وذقنه حليق. لكن يستحيل تبيان ملامح وجهه على نحو أوضح أو استنتاج عمره الذي يمكن أن يتراوح بين سنوات المراهقة وأولى سنوات متوسط العمر.

«يمكنك التلاعب بالصورة...»

«لقد سبق أن تلاعبت بالصورة اللعينة، حتى إني أرسلت نسخة منها إلى أحد التقنيين البارعين في مجلة 'ميلينيوم'.» فتح بلومفيست صورة أخرى جديدة وتابع كلامه قائلاً: «هذه أفضل نتيجة تمكنت من الحصول

عليها. الكاميرا من نوعية سيئة جداً والصورة ملتقطة من مكان بعيد جداً.»

«هل عرضت الصورة أمام أحدهم؟ شخص قادر ربما على التعرف إلى ملامح الرجل أو ما شابه...»

«أريتها لفرود لكنه لا يملك أدنى فكرة عمن يكون الرجل.»

«لعل السيد فرود لا يتمتع بأكبر قدرة على الملاحظة في هيدمستاد.»

«كلا، لكنني أعمل لصالحه وصالح السيد هنريك فانغر. أريد لهنريك أن يراها قبل أن أوسّع دائرة البحث وأعرضها أمام أشخاص آخرين.»

«قد يكون الرجل في الصورة أحد المتفرجين على العرض ليس إلا.»

«هذا أمر ممكن لكنه نجح في إثارة ردّ فعل غريب في نفس هارييت.»

على مدى الأيام القليلة التالية عمل كل من بلومفيست وسالاندر على حل قضية هارييت. كل لحظة كانت أعينهما مفتوحة، لم يتوقفا عن العمل إلا حين كانا ينامان. انكبّت سالاندر على قراءة تقارير الشرطة موجهة السؤال تلو الآخر. لا يمكن إلا أن تكون هناك حقيقة واحدة، وكل إجابة مبهمة أو غير مؤكدة كانت تقود إلى المزيد من التحقيقات المكثفة.

لقد أمضيا يوماً كاملاً يعاينان أوقات مواعيد كل من الشخصيات التي كانت تراقب مشهد الحادث على الجسر.

كان غموض سالاندر يزداد عمقاً مع الوقت بالنسبة له. على الرغم من أنها لم تقم سوى بتصفح الوثائق والملفات الواردة في التقارير. بدت أنها تركز دائماً على أكثر التفاصيل غموضاً وتناقضاً.

كانا يقضيان فترات استراحة تمتد على ساعات بعد الظهر حين كانت درجات الحرارة لا تحتمل في الحديقة. فيمضيان الوقت في السباحة في القناة أو في التنزه على طول الطريق نحو مقهى «سوزان» على الجسر. باتت سوزان تتعامل مع بلومفيست بارتياح واضح. أدرك أن وجود سالاندر بالكاد يبدو شرعياً وأنه من الواضح أنها كانت تعيش في الكوخ

معه، وأن ذلك من وجهة نظر سوزان يجعله يبدو مجرد رجل قذر في متوسط العمر يقيم علاقة مع شابة تصغره كثيراً. لم تكن الصورة المرسومة له جميلة.

كان بلومفيست يخرج كل مساء لممارسة رياضة الركض. ولم تكن سالاندر تبدي أي تعليق حين يعود من رحلته كل يوم إلى الكوخ مرهقاً، مقطوع الأنفاس. من الواضح أن الركض لم يكن هوايتها المفضلة.

قال لها مرة: «يزيد عمري على أربعين عاماً. عليّ أن أقوم بالتمارين الرياضية اليومية من أجل ألا تتكدس الدهون حول وسطي.»

«يسعني أن أرى ذلك بوضوح.»

«ألا تقومين بالتمارين الرياضية مطلقاً؟»

«بل أمارس هواية الملاكمة من حين لآخر.»

«الملاكمة؟»

«أجل، تعلم عما أتكلم، تلك الرياضة التي تستوجب ارتداء قفازات.»

سألها حين خرج من الحمام: «الملاكمة من أي وزن؟»

«ولا أي وزن. أتنازع مع مختلف أصناف الشبان من وقت لآخر في نادي 'سودر'.»

فكر في نفسه قائلاً، لماذا لا تدهشني هذه المعلومات؟ إلا أنها أخبرته شيئاً ما عن نفسها على الأقل. ترى، كيف توصلت إلى العمل لحساب آرمانسكي؟ وأي نوع من التعليم تلقّت في حياتها؟ ما العمل الذي يقوم به كل من والديها. ما إن حاول بلومفيست سؤالها عن حياتها الشخصية حتى عادت إلى تكتمها واختبأت داخل القوقعة التي تعيش فيها وكانت تجيب بكلمات مقتضبة أو تتجاهل أسئلته ببساطة.

عادت سالاندر إليه في فترة بعد ظهر أحد الأيام ووضعت الملف على الطاولة وهي تقطب جبينها.

«ما الذي تعرفه عن أوتو فالك، راعي الأبرشية؟»

«لا أعرف الكثير في الواقع. التقيت القسيسة، راعية الأبرشية التي تحتل هذا المنصب في الوقت الحالي، بضع مرات فقط في وقت سابق من هذا العام. وأخبرتني أن فالك كان يعيش في إحدى دور العجزة في هيدستاد وأنه مصاب بالزهايمر.»

«ومن أين هو؟»

«من هيدستاد نفسها وقد تابع دراسته في أوبسالا.»

«تقول المعلومات هنا إنه لم يكن متزوجاً وكانت تخرج هارييت برفقته من وقت لآخر.»

«لماذا تسألين؟»

«أقول فقط إن المحقق موريل كان متساهلاً جداً معه أثناء إجراء التحقيق.»

«كان راعي الأبرشية يحتل مكانة اجتماعية في الستينيات مختلفة عما هي اليوم. كان أمراً طبيعياً بالنسبة له أن يعيش هنا على الجزيرة، قريباً من صنّاع القرار إذا جاز التعبير.»

«أتساءل إلى أي حدّ كان تفتيش رجال الشرطة للأبرشية يتسم بالدقة. إنها تبدو في الصور أشبه بمنزل خشبي كبير ولا بد من وجود أمكنة كثيرة تصلح لإخفاء شخص ما لفترة من الزمن.»

«هذا صحيح لكن ليس هناك بين المعلومات ما يشير إلى أنه يمكن أن يكون هناك ارتباط بين القتلة المتسلسلين وحادثة اختفاء هارييت فانغر.»

أجابت سالاندر بابتسامة ماكرة: «بل هناك ارتباط في الواقع. أولاً كان راعي أبرشية، وهؤلاء أكثر من أي شخص آخر تربطهم علاقة خاصة مع الإنجيل. وثانياً، لقد كان آخر من رأى هارييت وتحدث إليها على حدّ علمنا.»

«لكنه نزل إلى حيث وقع الحادث وبقي هناك لعدة ساعات. إنه يظهر

في عدد من صور الألبوم. لاسيما في الوقت الذي يفترض بهاربيت أن تكون قد اختفت.»

«حسناً لا يسعني الادعاء غيابياً بأنه المتّهم، لكنني كنت أفكّر في الواقع في أمر مختلف. القصة هنا تتعلق بقاتل نساء سادي النزعة.»

«ماذا يعني هذا إذاً؟»

«كنت... لقد تسنى لي القليل من الوقت أثناء فصل الربيع الماضي لأقرأ بعض الأمور عن الساديين في إطار مختلف تماماً. أحد الأشياء التي قرأتها كان كتيّباً صادراً عن مكتب التحقيق الفدرالي FBI. ويرد فيه أن قسماً هائلاً من القاتلين المتسلسلين المدانين بجرائم قتل آتون من منازل فيها اختلال ما وعمليات تعذيب للحيوانات خلال مرحلة الطفولة. بعض القتلة المتسلسلين المدانين في أميركا ألقي القبض عليهم كذلك بتهمة إحراق الممتلكات عمداً. وقصص تعذيب الحيوانات وإحراق الممتلكات موجودة في العديد من القضايا التي ذكرت هاربيت أصحابها. لكن ما كنت أفكر فيه حقاً هو أن دار الأبرشية قد احترقت وتهدمت في أواخر السبعينيات.»

قال لها بلومفيست: «إنها تسديدة بعيدة. مجرّد افتراض.»

أومأت ليزبث وقالت: «أوافقك الرأي، لكنني لم أجد في محاضر الشرطة ما يشير إلى سبب الحريق. وسيكون مثيراً للاهتمام أن نعرف ما إذا كانت هناك حرائق أخرى غير معروفة الأسباب حصلت في الجوار خلال الستينيات. سيكون جديراً بنا كذلك أن نتحقق ما إذا حصلت أي حوادث إساءة معاملة حيوانات أو تشويه أعضاء في المنطقة في ذلك الوقت.»

حين أوت سالاندر إلى الفراش في الليلة السابعة من وجودها في هيديبي لم تعد تشعر بأي انزعاج من بلومفيست. لقد أمضت كل لحظة صحو برفقته على مدى يقارب أسبوعاً كاملاً. عادة ما كانت سبع دقائق

تمضيها مع أي شخص آخر كفيلة بأن تسبب لها صداعاً أليماً. لهذا السبب كانت قد قررت أن تعيش في عزلة تامة عن الناس. كانت تشعر بمنتهى الغبطة ما دام الآخرون يَدَعونها وشأنها. لم يكن المجتمع، لسوء الحظ، متفهماً أو ذكياً. وقد كانت تضطر طوال الوقت لأن تحمي نفسها من الهيئات الاجتماعية وسلطات الوصاية وهيئات الشؤون الاجتماعية وحماية الطفل، وسلطات الضرائب والشرطة والأوصياء على القاصرين والأطباء النفسيين وعلماء النفس والأساتذة وحافظي النظام الذين (وبغض النظر عن الشبان العاملين على مراقبة أبواب «كفارنن» والذين باتوا يعرفونها الآن)، لن يسمحوا لها بدخول النادي الليلي مع أنها بلغت عامها الخامس والعشرين. كان هناك جيش كامل من الناس الذين لم يكن لديهم ما يجيدون فعله أكثر من محاولة إفساد حياتها على ما يبدو، ممن لو أتيحت لهم الفرصة لعمدوا إلى تصحيح الطريقة التي اختارتها لعيش حياتها.

لقد تعلّمت منذ وقت طويل أن البكاء لا يجدي نفعاً. وتعلمت كذلك أن كل مرة تحاول فيها أن تنبّه أحدهم إلى أمر ما في حياتها، كانت الأمور تزداد سوءاً. وأنه لم يبق أمامها بالتالي سوى أن تحاول حل مشاكلها بنفسها، مستعينة بمختلف الوسائل المتاحة التي تراها ضرورية. على غرار الوسيلة التي اختبرها المحامي بيورمان بأقسى أشكالها.

كان لبلومفيست عادة الآخرين المضنية نفسها، إذ كان يحاول كأي شخص آخر الاستعلام عن حياتها وطرح عدد من الأسئلة. لكنه من ناحية أخرى لم يكن يظهر ردّ الفعل ذاته الذي كانت تلاحظه لدى الرجال الآخرين الذين سبق أن التقتهم. إذ إنه كان يكتفي بهز كتفيه ببساطة حين كانت تتجاهل الإجابة عن أسئلته ويدعها وشأنها. يا له من أمر مثير للعجب.

الخطوة الفورية التي اتخذتها ذاك الصباح ما إن وقعت يداها على جهاز الـ iBook الخاص ببلومفيست كانت أن عمدت إلى نقل كافة المعلومات التي يحويها إلى جهازها الخاص. لن تكون لديها أي مشكلة

عندئذ إن أعفاها من متابعة القضية معه، إذ إنها ستظل، بعد ما فعلته، قادرة على الوصول إلى المعلومات التي تريد.

كانت تتوقع أن ينفجر غاضباً حين يأتي إلى المطبخ لتناول فطوره ويرى جهازه بين يديها. لكنه بدلاً من ذلك بدا مستسلماً وتمتم بعض الكلمات الهازئة وذهب للاستحمام. ثم شرع حين عودته يناقشها حول ما سبق أن قرأته من دون أن تطلب إذنه. يا له من رجل غريب. حتى إنه يخيل إليها أنه قد بدأ يثق بها.

كانت معرفته بميولها الطبيعية كلصّة معلومات أمراً خطيراً. وكانت سالاندر تدرك تماماً أن الوصف القانوني لنوع القرصنة الذي قامت به على المستوى المهني، أو كهواية فقط، هو «خرق غير قانوني للمعلومات» وكان يمكن أن يوجه إليها تهمة مباشرة تُدينها وتمضي بموجبها عقوبة السجن لسنتين. لم تكن ترغب في أن تحتجز حريتها. والحكم بالسجن في حالتها لم يكن يقتصر على زجها وراء القضبان وحسب، بل يعني كذلك مصادرة أجهزة الكومبيوتر التي كانت تمتلكها والقضاء بالتالي على المهنة الوحيدة التي تجيد القيام بها فعلاً. لم تكن تخبر آرمانسكي قط بكيفية حصولها على المعلومات التي يدفعون لها كي تعثر عليها.

باستثناء «بلاغ» وعدد ضئيل من الناس على شبكة الإنترنت الذين كرسوا أنفسهم مثلها للقيام بأعمال القرصنة على المستوى المهني. كان «بلومفيست الخارق» هو الوحيد الذي عرف سرها صدفة. حتى إن الآخرين كانوا يعرفونها باسمها المستعار فقط Wasp دون أن يدركوا هويتها الأصلية أو أين تعيش فعلاً. وما كان لبلومفيست أن يفضَحَ أمرها أو يأتي إليها لولا اقترافها خطأً فاضحاً لا يقدم عليه ابن اثنتي عشرة سنة بل والذي لا يمكن أن يدل إلا على أن عقلها أكلته الديدان وأنها تستحق الضرب بالسوط. لكنه بدلاً من أن ينتقدها بقسوة ويستشيط غضباً منها وظَّفَها لديه وأوكل إليها القيام بمهمة بحث خطرة.

لذا لم تكن منزعجة منه إلاّ قليلاً قليلاً.

أثناء تناولهما وجبة خفيفة قبل الذهاب إلى النوم فاجأها بأن سألها ما إذا كانت لصة معلومات جيدة.

وقد دهشت من نفسها وهي تجيب: «العلي الأفضل على الإطلاق في كافة أنحاء السويد. قد يكون هناك شخصان أو ثلاثة آخرون يتمتعون بالمستوى والحرفية التي وصلت إليها.»

لم تكن تشك في دقة الإجابة التي قدمتها مطلقاً. «بلاغ» كان يوماً أفضل منها لكنها تفوقت عليه منذ زمن بعيد.

لكن، من جهة أخرى، كانت مضحكةً. إذ لم يسبق لها أن تفوهت بمثل هذا من قبل. كما لم يسبق لها أن أجرت هذا النوع من الحديث مع أي دخيل. وقد استمتعت في الواقع لرؤيته متأثراً بمهاراتها. إلا أنه قضى على مثل هذه المتعة حين أردف سؤاله الأول بآخر يستجوبها حول كيفية قيامها بتعليم نفسها حرفة الهاكر.

ما الذي يسعها أن تقوله؟ بماذا تجيب؟ *لطالما كنت قادرة على فعل ذلك*. لكنها اختارت بدلاً من ذلك أن تذهب إلى الفراش من دون أن تتمنى له نوماً هنيئاً أو تتفوه بكلمة واحدة.

وقد زاد حدّة انزعاجها منه عدم صدور أي ردّ فعل فوري من قبله على تصرفها. استلقت في الفراش تصغي إلى وقع خطواته وهو يتحرك في المطبخ منظفاً الطاولة وغاسلاً الصحون. لطالما كان يظل مستيقظاً حتى وقت متأخر، لكن من الواضح أنه كان سيأوي إلى الفراش باكراً هذه الليلة حيث كان في طريقه إلى غرفة نومه كذلك. سمعت صوت حركته في الحمام قبل أن يذهب إلى الغرفة ويغلق الباب وراءه. وبعد برهة سمعت صوت صرير السرير وهو ينزل في الفراش، الذي لا يبعد عن فراشها سوى ياردة واحدة على الجهة الأخرى من الحائط.

إنها تشاركه منزله منذ أسبوع ولم يقم بمغازلتها مرة واحدة. كان يعمل معها ويسألها عن رأيها ويقوم بضربها مداعبة على مفاصل أصابع يدها عندما تكون على المسار الخاطئ في تحليل الأمور، ويعترف أنها

على صواب حين تصحح له أمراً أخطأ الحكم عليه. لقد كان يعاملها ككائن حيّ، عليه اللعنة.

خرجت من السرير ووقفت بجانب النافذة تحدق في الظلام باضطراب. الأمر الأكثر صعوبة بالنسبة إليها كان أن تظهر أمام الآخر بجسدها العاري للمرة الأولى. كانت على قناعة تامة أن نحولها مقيت، مثير للاشمئزاز. وأن ثدييها مثيران للشفقة وأردافها ممسوحة لا تستحق الحديث عنها أصلاً. لم يكن لديها ما تقدمه. إلا أنها كانت امرأة طبيعية كأي امرأة أخرى تتمتع بالرغبات والشهوات الجنسية ذاتها. بقيت مسمّرة في مكانها طوال عشرين دقيقة قبل أن تحسم قرارها.

كان بلومفيست يقرأ رواية للكاتبة سارة باريتسكي حين سمع صرير قبضة الباب فرفع نظره ليرى سالاندر واقفة أمامه.

لم يكن يلف جسدها سوى غطاء أبيض وهي تقف بباب غرفة نومه.

سألها: «هل أنت بخير؟»

هزت له رأسها.

«ما الأمر؟»

اقتربت منه في السرير وأخذت الكتاب من يده ووضعته على الطاولة بجانبه. ثم انحنت فوقه وطبعت قبلة على شفتيه. سرعان ما تسللت في الفراش بقربه وأخذت تلامس جسمه. ألقت راحة يدها على الغطاء فوق بطنه ولما لم يعترض انحنت وأخذت حلمة ثديه في فمها.

أصيب بلومفيست بالذهول. أمسك بكتفيها وأبعدها عنه قليلاً بحيث يتمكن من رؤية وجهها وقال لها: «اسمعي ليزبث... لا أعرف إن كانت تلك فكرة سديدة. علينا أن نعمل معاً.»

«أريد ممارسة الجنس معك. وليست لدي أي مشكلة في العمل معك. لكن سيكون لدي الكثير من المشاكل إن طردتني من هنا.»

«لكننا بالكاد نعرف بعضنا.»

«لم تكن لتسمح لشيء كهذا بأن يقف في طريقك من قبل. في الواقع ما لم أذكره في تقريري عنك أنك لا تستطيع مقاومة النساء أو إبعاد يديك عنهن. ما الخطب إذاً؟ ألا أتمتع بمواصفات تثيرك بما يكفي؟»

هز بلومفيست رأسه وحاول التفكير في شيء ذكي يجيب به. ولما لم يفعل سحبت الأغطية عنه وجلست فوقه.

اعترف قائلاً: «لا أملك واقيات ذكرية.»

«انسَ أمرها.»

حين استيقظ في الصباح سمع وقع خطواتها في المطبخ. لم تكن الساعة قد بلغت السابعة صباحاً. لعله لم ينم سوى ساعتين فقط فبقي في السرير وأكمل نومه إذ غلبه النعاس.

لقد صعقته هذه المرأة تماماً. لم يصدر عنها إطلاقاً ولو لمرة واحدة فقط أي إشارة مهما تكن تدل على أدنى اهتمام به.

نادته وهي تقف عند الباب قائلة: «صباح الخير.» حتى إنه لاحظ طيف ابتسامة على ثغرها.

«مرحباً.»

«لم يعد لدينا حليب، سأذهب إلى محطة الوقود. تفتح أبوابها عند السابعة.» ورحلت.

سمعها تخرج من الباب الأمامي وأغمض عينيه ليتابع نومه. ثم ما لبث أن سمع الباب الأمامي يفتح من جديد ورآها بعد لحظات تقف عند المدخل. لكنها لم تكن تبتسم هذه المرة.

قالت له بصوت أجش غريب: «يستحسن بك أن تأتي لترى ذلك.»

نهض بلومفيست فوراً من السرير وسرعان ما كان يقف على قدميه بكامل نشاطه يرتدي سرواله الجينز.

لقد قدم أحدهم ليلاً إلى الكوخ في زيارة غير مرحب بها. وترك

على الشرفة في منتصف الطريق، جثة هرة مهشّمة. لقد تم قطع رأس الهرة وقدميها وسلخ جلدها وأخرج الأمعاء ورميها إلى جانب الجثة التي يبدو أنها تعرضت للنيران. كان رأس الهرة سليماً لم يصب بأذى وكان قد وضع فوق مقعد دراجة سالاندر الهوائية. سرعان ما تعرّف إلى الفرو البني المائل إلى الحمرة.

الفصل الثاني والعشرون

الخميس، 10 يوليو

تناولا الفطور في الحديقة بصمت مطبق وشربا القهوة من دون حليب. كانت سالاندر قد أحضرت كاميرا Canon رقمية والتقطت بعض الصور للمشهد الجنائزي المروع قبل أن يحضر بلومفيست كيساً للنفايات وينظف الأرض. وضع الهرة في صندوق سيارة الفولفو للتخلص منها. كان يفترض به أن يحضر إلى مخفر الشرطة للإبلاغ عن حصول حادثة اعتداء وحشي على الهرة ومحاولة للترهيب، لكنه فكّر في أنه لن يرغب في شرح الأسباب التي أدت إلى حادثة الترهيب.

عند الساعة الثامنة والنصف كانت إيزابيلا فانغر تمشي بمحاذاتهما في طريقها إلى الجسر لكنها لم ترهما أو تظاهرت بعدم رؤيتهما على الأقل.

سألها بلومفيست: «كيف حالك؟»

نظرت إليه سالاندر مرتبكة وقالت: «أنا بخير.»

حسناً *إذاً، هو يتوقع أن أكون محبطة*. وتابعت: «حين أضع يدي على الحقير الذي قام بتعذيب هرة بريئة حتى الموت لمجرد أن يرسل لنا تحذيراً سأشبعه ضرباً بعصا كرة المضرب.»

«أتظنينه تحذيراً؟»

«وهل لديك تفسير آخر لما حصل؟ لا بدّ أنه يعني شيئاً ما.»

«مهما كانت حقيقة ما جرى، فإننا قد أثرنا قلق أحدهم بما يكفي ليقوم بعمل دنيء كهذا. إلا أن هناك مشكلة أخرى.»

«أعلم ذلك. إنه نوع من التضحية بالحيوان الذي يعود نمطه إلى العامين 1954 و1960 ومن غير المعقول كما يبدو لي أن يكون شخص ناشط في هذا المضمار منذ خمسين عاماً هو ذاته من ترك جثة الحيوان المهشّمة على باب منزلك اليوم.»

وافقها بلومفيست الرأي وقال: «الشخصان الوحيدان المتّهمان في هذه الحالة بالقيام بمثل هذه الجريمة هما هارالد فانغر وإيزابيلا فانغر. هناك عدد من الأقرباء المتقدمين في السن الذين يناصرون جوهان فانغر لكن أحداً منهم لا يقيم في هذه المنطقة.»

أطلق بلومفيست تنهيدة وتابع يقول: «إيزابيلا عجوز بغيضة قادرة حتماً على قتل هرة، لكنني أشك في أنها كانت تتجول في المكان وتقتل النساء في الخمسينيات. أما هارالد فانغر... فلا أعلم، يبدو عاجزاً تماماً حتى بالكاد يمشي ولا يسعني أن أتخيله متسللاً إلى هنا الليلة الماضية ممسكاً بالهرة فاتكاً بها على هذا النحو.»

«إلا إذا كان الأمر يتعلق بوجود شخصين اثنين، أحدهما عجوز والآخر أصغر سناً.»

سمع بلومفيست هدير محرك سيارة تمر بالجوار ورأى سيسيليا خلف المقود تجتاز الجسر. أخذ يفكر في نفسه قائلاً، *أهما هارالد وسيسيليا*؟ لكن لا يكاد أحدهما يتحدث إلى الآخر. وعلى الرغم من وعد مارتن فانغر التحدث إلى سيسيليا، فهي لا تزال تتجاهل الرسائل الهاتفية ولا تردّ عليها.

قالت له سالاندر قبل أن تقف من مكانها وتدخل المنزل: «لا بد أنه شخص يعلم أننا نقوم بهذا العمل وأننا نحقق تقدماً.» حين عادت كانت قد ارتدت ملابسها الجلدية.

«سأذهب إلى ستوكهولم، وأعود الليلة.»

«ما الذي ستفعلينه هناك؟»

«سأجلب بعض الحاجيات. وإن كان أحدهم من الجنون بما يكفي

ليقتل هرة بتلك الطريقة الشنيعة فهي أو هو قد ينقضّ علينا نحن المرة المقبلة. أو يشعل النار بالكوخ بينما نحن نائمون. أريد منك أن تذهب إلى هيدستاد اليوم وتشتري مطفأتيْ حريق، وجهازَيْ إنذار ضد الدخان. إحدى مطفأتي الحريق يجب أن يكون مركباً من مادة الهالون.»

ومن دون أن تنطق بكلمة أخرى وضعت خوذتها وأدارت الدراجة النارية وانطلقت مغادرة كالريح فوق الجسر.

أخفى بلومفيست الجثة والرأس والأمعاء في سلة للمهملات بالقرب من محطة الوقود قبل الذهاب إلى هيدستاد لإنجاز بعض الأعمال. قاد السيارة إلى المستشفى حيث كان قد ضرب موعداً للقاء فرود في الكافيتيريا وأخبره بما حصل معه في صباح ذاك اليوم. امتقع وجه فرود تماماً لسماع الخبر.

«لم أكن أتخيل أن تأخذ القصة مثل هذا المنحى يا ميكائيل.»

«لم لا؟ فالمهمة كانت تقتضي البحث عن القاتل في النهاية.»

«لكن ما جرى لاإنساني ومثير للاشمئزاز. إن كان هناك ما يتهدد حياتك أو حياة السيدة سالاندر بالخطر، فسوف نتوقف عن العمل. دعني أتحدث إلى هنريك بالأمر.»

«كلا، لن تفعل ذلك مطلقاً. لا أريد أن أجازف بإصابته بنوبة قلبية أخرى.»

«إنه لا يكفّ يسألني عن مسار تطور الأحداث.»

«أبلغه تحياتي أرجوك وأخبره أني أحرز تقدماً.»

«ما الخطوة التالية إذاً؟»

«لدي بضعة أسئلة أود طرحها. حصلت الحادثة الأولى بعد إصابة هنريك بالنوبة مباشرة وكنت أمضي نهاري في ستوكهولم. اقتحم يومها أحدهم مكتبي. كنت قد طبعت نسخاً من آيات الإنجيل وكانت صور حديقة جارنفاغسفاتان على الطاولة. أنت وهنريك كنتما على علم بالأمر.

ومارتن كذلك كان يعرف جزئياً بما يحدث لأنه الشخص الذي تدبّر أمر دخولي إلى مكاتب صحيفة *Courier*. فكم من شخص آخر كان على علم بالقضية؟»

«حسناً، لا أعلم مع من عساه مارتن تحدث لكن كل من سيسيليا وبيرجر كانا على اطلاع. كانوا يناقشون فيما بينهم قصة تعقّبك للصور الموجودة في الأرشيف. ألكسندر أيضاً كان على علم بما يحدث إضافة إلى غونار وهيلينا نيلسون اللذين عرفا بطريقة ما. كانا قد مرا لإلقاء التحية على هنريك وشاركا في الحديث الدائر. آنيتا فانغر تعلم بالأمر أيضاً.»

«آنيتا؟ تلك التي تعيش في لندن؟»

«أجل، شقيقة سيسيليا. وقد عادت معها حين أصيب هنريك بالنوبة القلبية لكنها بقيت في فندق، ولم تأت إلى الجزيرة مطلقاً على حدّ علمي. تماماً مثل سيسيليا، فهي لم تكن ترغب في رؤية والدها. لكنها عادت إلى لندن بالطائرة لدى معرفتها بنجاة هنريك وخروجه من قسم العناية الفائقة.»

«أين تقيم سيسيليا؟ لقد رأيتها هذا الصباح وهي تقود سيارتها على الجسر. لكن منزلها مظلم دائماً.»

«إنها عاجزة عن القيام بأمر كهذا، أليس كذلك؟»

«كلا، لا تسئ فهمي، أسألك أين تقطن على سبيل الفضول فقط.»

«إنها تقيم مع أخيها بيرجر. منزله لا يبعد كثيراً من هنا ويمكن الذهاب منه سيراً على الأقدام لزيارة هنريك.»

«هل تعلم أين هي في الوقت الراهن؟!»

«كلا، إنها لا تزور هنريك مطلقاً، على أي حال.»

شكره بلومفيست على الإجابة ونهض من مكانه ليغادر.

كانت عائلة «فانغر» تحوم حول مستشفى هيدستاد. رأى بيرجر فانغر يجتاز منطقة الاستقبال في طريقه إلى المصاعد. انتظره بلومفيست إلى أن

رحل قبل أن يذهب بدوره إلى ردهة الاستقبال في المستشفى. لكنه بدلاً من اللقاء به صادف مارتن فانغر عند المدخل، في المكان ذاته تقريباً حيث التقى سيسيليا في المرة السابقة. تبادل الرجلان التحية وصافح أحدهما الآخر.

«هل صعدت للأعلى لزيارة هنريك؟»

«كلا، بل صُودف أن التقيت ديرك فرود هنا.»

بدا مارتن متعباً غائر العينين. خطر لميكائيل أنه كبر كثيراً خلال الأشهر الستة التي عرفه فيها. سأله: «كيف تسير الأمور معك ميكائيل؟»

«تزداد تشويقاً مع كل يوم يمر. آمل أن أرضي فضول هنريك حين يشعر بتحسّن.»

كان منزل بيرجر فانغر المغطى بالحجارة البيضاء لا يبعد سوى خمس دقائق عن المستشفى. كان يُطلّ على البحر وعلى مرفأ هيدستاد. لم يجب أحد حين رنّ بلومفيست جرس الباب كذلك لم يلق أي ردّ حين اتصل على هاتف سيسيليا الخلوي. جلس في السيارة لبرهة يضرب بأصابعه على المقود. بيرجر فانغر كان هو الطائر الغريب الوحيد الذي يغرّد خارج سرب عائلة «فانغر» وقد ولد في العام 1939 أي كان بعمر العشر سنوات عند مقتل ريبيكا جاكوبسون وسبعة وعشرين عاماً عند اختفاء هارييت.

وفقاً لما أخبره به هنريك بالكاد كان كل من بيرجر وهارييت يرى أحدهما الآخر. لقد ترعرع في أحضان العائلة في أوبسالا ولم يأت إلى هيدستاد إلا للعمل في المؤسسة. خرج من إطار المؤسسة العائلية بعد بضع سنوات من دخولها ليدخل معترك السياسة ويكرّس نفسه لهذا العالم. لكنه كان في أوبسالا عند حصول جريمة «لينا أندرسن».

حادثة الهرة ولّدت لديه شعوراً ينذر بالسوء ويبلغه أن الوقت كاد ينفد منه.

أوتو فالك كان بعمر ستة وثلاثين عاماً عند اختفاء هارييت. إنه يبلغ الآن اثنين وسبعين عاماً، أي إنه أصغر سناً من هنريك إنما بحالة عقلية أكثر سوءاً. ذهب بحثاً عنه في دار «اسفالان» للعجزة حيث يتماثل للشفاء، وهو مبنى من الحجارة الصفراء لا يبعد سوى مسافة قصيرة عن نهر «هيدي» على الطرف الآخر من البلدة. عرّف بلومفيست عن نفسه لموظف الاستعلامات وطلب إليه أن يسمح له بالتحدث إلى راعي الأبرشية فالك وشرح له أنه كان يعرف أن الراعي يعاني من حالة الزهايمر وطالبه بمعرفة الحدّ الذي يتمتع به من صفاء التفكير في الوقت الراهن. أجابته إحدى الممرضات بأنه تم تشخيص حالة الراعي فالك منذ ثلاث سنوات واكتشف لديه المرض الذي تطوّرت مراحله سريعاً واتخذ منحىً حاداً. أُبلغ بلومفيست أنه يمكن لفالك التواصل مع الآخرين لكنه يعاني من ذاكرة ضعيفة جداً على المدى القصير وأنه لا يستطيع التعرف إلى كافة أقربائه. كان بشكل عام يغرق في ظلال النسيان أكثر فأكثر. كما كان عُرضَةً لنوبات من القلق والاضطراب إذا ما طُرحت عليه أسئلة لا يعرف لها إجابة.

كان فالك يجلس على أحد مقاعد الحديقة مع ثلاثة مرضى آخرين وممرض شاب. أمضى بلومفيست ساعة كاملة يحاول استدراجه لمبادلته الحديث.

كان يتذكر هارييت فانغر تماماً. حتى إن وجهه أشرق عند ذكر اسمها ووصفها بأنها فتاة ساحرة. لكن سرعان ما أدرك بلومفيست أن الراعي كان غافلاً تماماً عن حقيقة أنها مفقودة منذ سبعة وثلاثين عاماً. لقد كان يتحدث عنها وكأنه رآها منذ فترة غير بعيدة حتى إنه طلب من بلومفيست أن يبلغها تحياته ويحثّها على المجيء لرؤيته. ووعده بلومفيست أن يفعل.

من الواضح أنه لم يكن يتذكر الحادثة على الجسر. لم يرد أي شيء مهم بينهما طوال فترة الحديث حتى نهايته حين قال الراعي أمراً شدّ انتباه بلومفيست.

عندما وجّه الصحافي دفة الحديث نحو اهتمام هارييت بالشأن الديني

بدا فالك فجأة متردداً. وامتقع وجهه وكأن غيمة سوداء مرّت فوقه. جلس فالك مترنّحاً إلى الأمام والوراء برهة قبل أن يرفع وجهه إلى بلومفيست ويسأله من يكون. عاد الأخير يعرّف عن نفسه مجدداً وأخذ الرجل العجوز يفكر برهة. وقال بعد صمتٍ طويل: «إنها لا تزال تبحث. عليها أن تنتبه جيداً لنفسها وعليك أن تحذّرها.»

«ما الذي يجب أن أحذرها بشأنه؟»

بدا الانفعال فجأة على ملامح فالك الذي أخذ يهز رأسه ويقطب جبينه.

«عليها أن تقرأ *sola scriptura* (أي الكتاب المقدس فقط) وتفهم الـ *sufficientia scripturae*. إنها الطريقة الوحيدة التي يمكنها من خلالها الحفاظ على sola fide (أي الإيمان فقط أو عقيدة التبرير بالإيمان). سوف يستثنيهم جوزف حتماً. لم يكن ليتم القبول بهم يوماً في القانون الكنسي.»

لم يفهم بلومفيست شيئاً مما قاله الراعي إلا أنه دوّن حرفياً ما سمعه. ثم انحنى فالك مقترباً منه وهمس في أذنه يقول: «أعتقد أنها كاثوليكية. وهي تحب الأعمال السحرية ولم تجد إلهها بعد. إنها تحتاج إلى الإرشاد.»

من الواضح أن كلمة «كاثوليكية» لم تكن تحمل معنى إيجابياً بالنسبة للراعي فالك.

«أظنها كانت مهتمة بأمر الحركة الخمسينية البروتستنتية، أليس كذلك؟»

«كلا، كلا، إلا الحركة الخمسينية. إنها تبحث عن الحقيقة المحرمة. إنها ليست مسيحية صالحة.»

بدا الراعي فالك بعدئذ غير واعٍ إطلاقاً لوجود بلومفيست بجانبه وأخذ يتحدث إلى المرضى الآخرين.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية من بعد الظهر حين عاد إلى جزيرة هيديبي. مشى إلى منزل سيسيليا فانغر وطرق الباب دون أن يلقى جواباً كالعادة. اتصل مجدداً على رقم هاتفها الخلوي لكنه لم يلق أي إجابة.

ألصق أحد جهازَيْ الإنذار من الدخان على الحائط في المطبخ وآخر عند باب المدخل. كما وضع إحدى مطفأتَيْ الحريق بالقرب من الموقد بجانب باب غرفة النوم وأخرى بجانب باب الحمام. ثم أعدّ لنفسه طعام الغداء الذي تألف من القهوة والسندويشات وجلس في الحديقة حيث قام بطباعة الملاحظات التي دونها أثناء محادثته مع الراعي فالك. وحين انتهى من ذلك، رفع عينيه ونظر باتجاه الكنيسة.

كانت دار أبرشية هيديبي الجديدة عبارة عن مسكن عادي حديث الطراز يبعد بضع دقائق عن الكنيسة ويمكن الوصول إليه سيراً على الأقدام. طرق بلومفيست الباب عند الساعة الرابعة من بعد الظهر، وشرح للقسيسة راعية الأبرشية مارغريتا ستراند أنه قد أتى طلباً لنصيحتها حول مسائل لاهوتية. ومارغريتا ستراند تلك امرأة سوداء الشعر بعمره تقريباً تلبس سروال جينز وسترة قطنية. كانت حافية القدمين وأظافرها ملونة. كان قد التقاها سابقاً بضع مرات عند مقهى «سوزان» الواقع على الجسر وتكلم معها حول راعي الأبرشية السابق فالك. رحّبت به بطريقة ودّية ودعته للدخول وأجلسته في الحديقة الخلفية.

أخبرها بلومفيست أنه سبق له أن التقى أوتو فالك شخصياً وأبلغها بما أخبره به الرجل العجوز. أصغت إليه راعية الأبرشية ستراند وطلبت إليه أن يعيد الحديث حرفياً كما سمعه.

«أُرسلتُ للخدمة هنا في هيديبي منذ ثلاث سنوات فقط، ولم يسبق أن التقيت راعي الأبرشية شخصياً. لقد استقال قبل بضع سنوات لكنني أؤمن أنه رجل ملتزم بالكنيسة إلى حدٍّ بعيد. ما قصده بقوله حول «الالتزام بنص الإنجيل» أو *sola scriptura* هو ذاته *sufficientia scripturae*. أما التعبير الأخير فهو الذي يعني كفاية الالتزام بالنص الديني بين المؤمنين

الحقيقيين. أما sola fide فتعني الإيمان وحده أو الإيمان الحقيقي.»

«فهمت.»

«كل تلك هي عقيدة أساسية مبدئية إذا جاز التعبير. عموماً، إنها أساس الكنيسة ولا شيء غير اعتيادي بالمرة. كل ما كان يقوله ببساطة: '*اقرأ الإنجيل- فهو سيزودك بالمعرفة الكافية ويكفل وصولك إلى درب الإيمان الحقيقي*.'»

شعر ميكائيل بنوع من الحرج.

قالت له: «والآن عليّ أن أسألك عن الإطار الذي جرى فيه هذا الحديث.»

«كنت أسأله عن شخص التقاه منذ عدة سنوات، شخص أكتب عنه.»

«هل هو مريد ديني؟»

«شيء من هذا القبيل.»

«حسناً. أظنني فهمت الإطار العام. أخبرتني أن القسيس فالك قال أمرين آخرين- *إن جوزف سوف يستثنيهم حتماً- وإنه لن يتم القبول بهم يوماً في القانون الكنسي*.' هل يمكن أن تكون قد أسأت فهم المعنى وأنه قال 'جوزيفوس' بدلاً من 'جوزف'؟ إنهما في الواقع يعبّران عن الاسم نفسه.»

قال لها بلومفيست: «هذا ممكن. لقد سجّلت الحديث كله على شريط إن كنت ترغبين في الاستماع إليه.»

«كلا، لا أظن هذا ضرورياً. فهاتان الجملتان تعنيان ما كان يلمح إليه بما لا لبس فيه. فجوزيفوس هو مؤرخ يهودي وجملة '*لم يتم القبول بهم يوماً في قانون الكنيسة*' قد تعني أنه لم يتم القبول بهم في قانون الكنيسة العبرية.»

«وماذا يعني ذلك؟»

أطلقت ضحكة وقالت: «الراعي فالك يقول إن ذلك الشخص كان

مفتتناً بالمصادر الباطنية المقتصرة على فئة معينة. لا سيما الأبوكريفا أو الكتابات المشكوك بصحتها. التعبير اليوناني هو *apokryphos* ويعني 'الخفي' والأبوكريفا بالتالي تعني الكتب الخفية التي يعتبرها البعض مثيرة للجدل إلى حدٍّ بعيد والبعض الآخر يعتقد أنه يجب دمجها بكتب العهد القديم. وهي كتب توبياس، وجوديت، وإستير، وباروخ، وسيراخ (بن سيرا)، وكتب المكابيين وبعض الكتب الأخرى.»

«اغفري لي جهلي، لقد سمعت عن كتب الأبوكريفا من قبل لكن لم يتسنَّ لي قراءتها قط. ما المميز بشأن هذه الكتب؟»

«ليس هناك ما يميّزها على الإطلاق سوى أنها ظهرت إلى العلن بعد ظهور بقية كتب العهد القديم بفترة. وقد حذفت كتب الأبوكريفا من الإنجيل العبراني، ليس لأن المثقفين اليهود لم يثقوا بمضمونها بل لأن كتابتها ببساطة تمت بعد اختتام الكتب الموحى بها من الله. في حين تدخل كتب الأبوكريفا من ناحية أخرى في الترجمات الإغريقية القديمة للإنجيل. ولا تعتبر مثيرة للجدل في قانون الكنيسة الكاثوليكية على سبيل المثال.»

«فهمت.»

«إلا أنها تثير جدلاً وخلافاً واسعَي النطاق في أوساط الكنيسة البروتستنتية. خلال عهد الإصلاح اهتم علماء الدين بالإنجيل العبري القديم. قام مارتن لوثر بإلغاء كتب الأبوكريفا من إنجيل الإصلاحيين ليعلن كالفن بعدئذ أنه لا يجوز مطلقاً لكتب الأبوكريفا أن تعتمد كأساس العقيدة الإيمانية. وهكذا يكون مضمونها بالتالي يعارض أو يخالف بطريقة ما يسمى بالـclaritas scripturae أو وضوح النصوص.»

«وأصبحت بالتالي كتباً خاضعة للرقابة.»

«تماماً. تزعم كتب الأبوكريفا على سبيل المثال أنه يمكن ممارسة السحر وأن الكذب في بعض الحالات مسموح به. وقد أحزنت مثل هذه العبارات طبعاً مفسّري النصوص العقائديين.»

«إذا كان أحدهم بالتالي يتمتع بشغف الاطلاع على الدين فمن الوارد أن ترد كتب الأبوكريفا على قائمة القراءات المقترحة أو أن يكون شخص مثل القس فالك قد شعر بالحزن حيال ذلك.»

«بالضبط. إن الوقوع على كتب الأبوكريفا أمر لا يمكن تفاديه إن كنت تدرس الإنجيل أو تتطلع على العقيدة الكاثوليكية، كما أنه من الممكن على صعيد موازٍ أن تقع بين يدي أي شخص مهتم بالعلوم الباطنية عموماً فيطّلع عليها.»

«يصادف أنك لا تملكين نسخة من كتب الأبوكريفا، هل أنا محق؟»

أطلقت مجدداً ضحكة ودودة خفيفة وقالت: «بالطبع أملك نسخة منها. لقد تم نشر كتب الأبوكريفا في الواقع كأحد تقارير الدولة الصادرة عن لجنة الكتاب المقدس في الثمانينيات.»

تساءل آرمانسكي ما الذي كان يحدث حين طلبت سالاندر التحدث إليه على انفراد. أقفل الباب وراءها وأشار إليها بالجلوس في كرسي الزائرين. أخبرته أن المهمة التي أوكلت القيام بها لصالح ميكائيل بلومفيست قد أنجزت وأن المحامي سيدفع لها قبل نهاية الشهر، لكنها قررت أن تمضي متابعة هذا النوع الخاص من التحقيقات، وأن بلومفيست قد عرض عليها أجراً أكبر بكثير مقابل متابعة العمل لديه لشهر واحد إضافي.

أضافت سالاندر: «أنا أعمل لحسابي الخاص. لم أتسلّم حتى الآن عملاً لم توكلني أنت القيام به وفقاً للاتفاق القائم بيننا. ما أود معرفته هو ما الذي سيحصل للعلاقة القائمة بيننا إذا قمت بعمل لحسابي الخاص.»

هز آرمانسكي كتفيه قائلاً: «أنت تعملين بدوام حر ويسعك القيام بأي عمل تريدين وأن تحددي الأجر الذي ترينه مناسباً. أنا مسرور لأنك تستطيعين كسب عيشك بنفسك. غير أنه سيكون من الخيانة أن تأخذي الزبائن الذين تعرفت إليهم من خلال شركتنا.»

«لست أنوي القيام بذلك. لقد أنجزت المهمة وفقاً لنص العقد الذي وقّعناه مع بلومفيست. كل ما في الأمر أني أود متابعة القضية. حتى إنني مستعدة للمضي بها من دون مقابل.»

«إياك أن تقومي بأي عمل من دون مقابل.»

«أنت تعلم ما الذي أعنيه. أريد أن أعلم إلى أين تسير الأمور. لقد أقنعت بلومفيست أن يطلب إلى المحامي أن يبقيني كمساعدة باحثة له.»

مرّرت نص الاتفاق إلى آرمانسكي الذي قرأه بسرعة.

«بالرغم من أنهم يدفعون لك هذا المبلغ فلا تزالين كأنك تقومين به مجاناً. أنت تتمتعين بالموهبة ليزبث. لست مضطرة لأن تعملي مقابل أجر زهيد. تدركين أنك تستطيعين جني أكثر مما تكسبينه الآن بأضعاف إن قبلت العمل معي بدوام كامل.»

«لا أريد أن أعمل بدوام كامل. لكنني أدين لك بالولاء يا دراغان. لقد كنت رائعاً معي منذ بدأت العمل هنا. أريد أن أعلم إن كان عقدٌ كهذا يناسبك، وأنه لن تكون هناك من حساسية بيننا.»

فكر آرمانسكي للحظة وقال: «فهمت. إنه يناسبني تماماً. أشكرك لأنك أطلعتني على الأمر. إن استجدّت حالات كثيرة مثل هذه في المستقبل أود منك إبلاغي بها كذلك كي لا يحصل بيننا أي حوادث سوء فهم.»

أخذت سالاندر تعيد التفكير في ما إذا كان لديها شيء تضيفه. ثم نظرت طويلاً إلى آرمانسكي من دون أن تتفوه بكلمة واحدة واكتفت بأن أومأت ووقفت ورحلت كالعادة من دون قول أي كلمة وداع.

لقد حصلت على الإجابة التي كانت تريدها، وفقدت فوراً كل اهتمام لها بآرمانسكي. ابتسم في سره مفكراً أن مجرد قدومها إليه لطلب النصيحة يعتبر تقدماً لافتاً في مسيرة التعاطي الاجتماعي.

فتح ملفاً يحوي تقريراً أمنياً حول أحد المتاحف حيث سيفتتح قريباً معرض ضخم للرسامين الانطباعيين الفرنسيين. إلا أنه عاد ووضعه من يده

على طاولة المكتب أمامه ونظر إلى الباب الذي غادرت منه سالاندر للتو. خطر له كيف كانت تضحك برفقة بلومفيست ذاك اليوم في مكتبها وتساءل ما إذا كانت قد كبرت في النهاية أو أن بلومفيست نفسه يشكل مصدر ضحكها وانجذابها. وانتابه كذلك شعور غريب بالاضطراب والارتباك. لم يتمكن يوماً من التخلص من الشعور بأن ليزبث سالاندر تشكل الضحية الأمثل. وها هي الآن تطارد رجلاً مجنوناً من الماضي السحيق.

في طريق عودتها إلى الشمال مجدداً انعطفت سالاندر من دون سابق تخطيط لتسلك طريق آبلفيكن كي ترى أمها. عدا زيارتها ليلة عيد منتصف فصل الصيف لم تكن قد رأت أمها منذ ليلة عيد الميلاد وشعرت بالذنب لعدد زياراتها الضئيل. قيامها بزيارة ثانية في غضون بضعة أسابيع كان أمر غير اعتيادي على الإطلاق.

كانت والدتها تجلس في القاعة الكبرى لتمضية النهار. مكثت سالاندر ساعة كاملة برفقتها وأخذتها في نزهة إلى حديقة البط في أسفل المستشفى. كانت والدتها لا تزال تخلط بينها وبين أختها. وكالعادة لم تكد تكون حاضرة ذهنياً، لكنها بدت منزعجة من الزيارة.

لم تشأ والدة سالاندر أن تترك يد ابنتها حين ودّعتها. إلا أن ليزبث وعدتها بزيارتها مجدداً في وقت قريب، مع ذلك ظلت أمها تنظر إليها وعلى ملامحها أمارات الحزن والقلق.

بدا وكأن لديها هاجساً يحذّرها مسبقاً من اقتراب كارثة ما.

أمضى بلومفيست ساعتين في الحديقة خلف كوخه يقرأ كتب الأبوكريفا من دون أن يحصل على إشارة واحدة. إلا أن فكرة ما خطرت له. إلى أي حدّ كانت هارييت فانغر متديّنة؟ اهتمامها بدراسة كتب الإنجيل لم يبدأ فعلياً إلا قبل عام واحد من اختفائها. وقد قامت بربط عدد من الآيات الواردة في الكتاب المقدس بسلسلة من جرائم القتل، ولم تكتف

بعد ذلك بالاطلاع على الإنجيل بل قرأت كتب الأبوكريفا أيضاً وأظهرت اهتماماً بالكاثوليكية.

هل أجرت فعلياً التحقيقات ذاتها التي يقوم بها كل من بلومفيست وسالاندر قبل سبعة وثلاثين عاماً؟ هل كان السعي وراء معرفة القاتل ما أثار اهتمامها أو أنه عمل تقوى؟ أشار القسيس فالك إليها على أنها في نظره تشكل أكثر من مريد وأقل من مسيحية ملتزمة صالحة.

قاطع تفكيره اتصال من برجر على هاتفه الخلوي.

«أردت أن أخبرك فقط أني وغريغر سنذهب في عطلة طويلة الأسبوع المقبل. سأغادر لمدة أربعة أسابيع.»

«وإلى أين تذهبين؟»

«إلى نيويورك. يقيم غريغر معرضاً هناك وقد خطر لنا أنه بعد انتهاء المعرض سنذهب إلى الكاريبي. حظينا بفرصة استعارة منزل في أنتيغوا من أحد أصدقاء غريغر حيث سنمكث لأسبوعين.»

«يبدو هذا رائعاً. امضي وقتاً ممتعاً. وأبلغي غريغر تحياتي.»

«العدد الأول انتهى ونكاد ننهي العمل على العدد المقبل. أتمنى لو تستطيع أن تتولى منصبك كمحرر، لكن كريستر قال إنه سيتولى الأمر.»

«يمكنه الاتصال بي إذا احتاج إلى أية مساعدة، كيف تسير الأمور بينه وبين جان دالمان؟»

ترددت في إعطاء الإجابة.

«لقد ذهب في عطلة هو أيضاً. لقد دفعت بهنري ليكون مدير التحرير التنفيذي. وطلبت منه ومن كريستر أن ينتبها للمخزن.»

«حسناً.»

«سأعود في السابع من أغسطس.»

حاول بلومفيست في وقت مبكر من المساء الاتصال خمس مرات

بسيسيليا فانفر. وأرسل لها نصاً هاتفياً يطلب منها الاتصال به، إلا أنه لم يلقَ أي إجابة.

وضع كتاب الأبوكريفا جانباً وارتدى ملابس الرياضة وأقفل أبواب المنزل جيداً قبل أن ينطلق في رحلته الرياضية المعتادة.

اتّبع الممر الضيق على طول الشاطئ ثم انعطف نحو الغابة. شق طريقه عبر الأشجار الكثيفة وحول الأشجار المتزوعة من الجذور بأسرع ما استطاع من وقت ووصل الى القلعة منهكاً ونبضات قلبه تتسارع. توقف عند إحدى بطاريات المدفعية القديمة وتمطّى لسبع دقائق.

سمع فجأة صوت قرقعة قوي وانفجر الحائط الإسمنتي القريب من رأسه. ثم شعر بوخزات الألم من شظايا القطع الإسمنتية تصيب جمجمته. وقف بلومفيست مشلولاً، عاجزاً عن القيام بأية حركة لفترة بدت له دهراً. ثم رمى بنفسه في أحد خنادق المدفعية فارتطم بقوة على كتفه وشعر بالهواء ينفد من رئتيه. سرعان ما كان هناك رشقة أخرى من الشظايا حالما وقع أرضاً. واخترقت إحدى الرصاصات الموجهة الحائط الإسمنتي.

وقف على قدميه مجدداً وأخذ ينظر من حوله. كان وسط القلعة تماماً. إلى يمين الممرات الضيقة المكسوة بالأعشاب فناء عميق يؤدي إلى ساحة البطاريات التي تمتد على خط بطول مئتين وخمسين ياردة. بدأ يركض في المنخفض إلى الناحية الجنوبية متجهاً نحو المتاهة.

تخيّل أنه يسمع فجأة صدى صوت النقيب أدولفسون الذي لا يضاهى آتياً من أيام المناورات الشتوية التي كانوا ينفذونها في مدرسة المشاة في كيرونا. كان الصوت يقول له، *ابق رأسك اللعين منخفضاً يا بلومفيست إن لم تكن راغباً أن يطير عن كتفيك.* سنوات عديدة مرت ولا يزال يتذكر التدريبات العسكرية الإضافية التي كانت تجري عادة بقيادة النقيب أدولفسون.

توقف عن الركض قليلاً ليلتقط أنفاسه وكان قلبه ينبض بقوة هائلة.

كان عاجزاً عن سماع أي شيء إلا وتيرة تنفّسه. *العين البشرية ترصد الحركة أسرع مما ترى الأشكال والأشخاص. وبشكل أكثر بطئاً أثناء القيام بالاستكشاف.* أخذ بلومفيست يسترق النظر على مهل رافعاً رأسه أعلى بقليل من حافة البطارية المضادة للصواريخ.

كانت الشمس أمامه مباشرة فاستحال عليه تبيان التفاصيل لكنه مع ذلك لم يرصد وجود أي حركة.

خفض رأسه من جديد وركض باتجاه البطارية الثانية. *لا أهمية لمدى جودة سلاح العدو. إن كان عاجزاً عن رؤيتك فهو عاجز عن إصابتك. اختبئ. اختبئ. اختبئ. واحرص على ألا تظهر نفسك.*

كان يبعد مسافة ثلاثمئة ياردة من حافة مزرعة «أوسترغاردن». وعلى بعد خمسين ياردة من مكان ركوعه كانت توجد أجمة من الأشجار الكثيفة المتشابكة التي بالكاد يمكن اختراقها. لكن الوصول إليها يتطلب ركضاً سريعاً وتدحرجاً فوق منحدر من الأعشاب انطلاقاً من بطاريات المدفعية مما سيعرضه لأن يكشف نفسه للعدو تماماً. لكنها كانت الطريق الوحيدة المتاحة للخروج، فالبحر من ورائه والمنحدر المغطى بالأعشاب من أمامه.

شعر فجأة بألم حاد في صدغه وأدرك أنه كان ينزف بقوة وأن سترته القطنية مبلّلة بالدماء. *جراح فروة الرأس لا تتوقف عن النزيف.* كان هذا ما خطر له قبل أن يعود إلى التفكير في موقعه. يمكن لرصاصة واحدة أن تكون قد انطلقت بشكل عرضي ليس إلا، لكن توجيه رصاصتين كان لا بدّ يعني أن أحدهم يحاول قتله. لم يكن هناك من سبيل أمامه ليعرف ما إذا كان الرجل البارع في الرماية بانتظار ظهوره مجدداً من مخبئه.

حاول أن يبقى هادئاً ويفكر بطريقة عقلانية. كان أمامه خياران، إما أن ينتظر حيث هو أو يجازف بالخروج من مخبئه ويحاول النجاة بحياته. إن كان الرامي لا يزال هناك، فإن الخيار الأخير ليس بالفكرة الجيدة حتماً. إذا انتظر حيث هو، فإن الرامي سيمشي بهدوء إلى حيث هو في

القلعة، ويقوم بإطلاق رصاصة عليه من على مسافة قريبة.

لا يمكن للرامي (او الرامية؟) أن يعرف إن ذهبتُ يميناً أو يساراً. ربما القاتل يحمل بندقية، وقد تكون مزودة ربما بمناظير تلسكوبية. مما يعني أن الرامي لديه منظار رؤية محدود إن كان يراقب ميكائيل من خلاله.

إن كنت في منطقة ضيقة محاصرة، اتخذ المبادرة. هذا أفضل من الانتظار. أخذ يراقب المشهد ويصغي إلى الأصوات لدقيقتين قبل أن يتسلق خارجاً من البطارية بجهد ويبدأ بالركض نزولاً فوق المنحدر بأسرع ما يمكن.

كان قد بلغ منتصف الطريق حين انطلقت رصاصة ثالثة لكنه لم يسمع سوى ضربة عنيفة غير واضحة المصدر خلفه. رمى بنفسه فوق الأجمة وأخذ يتدحرج فوق بحر من نبات القراص اللاسع. ثم قفز واقفاً على قدميه وابتعد هارباً عن مصدر إطلاق النار، وكان يربض تارةً وينحني طوراً ويركض ويتوقف كل خمسين ياردة ويصغي للأصوات من حوله. سمع صوت غصن يتكسر في مكان ما بينه وبين القلعة وسرعان ما سقط على بطنه.

«ازحف على بطنك مستخدماً مرفقيك» كانت أحد التعابير المفضلة لدى النقيب أدولفسون. قطع بلومفيست مسافة مئة وخمسين ياردة زاحفاً على ركبتيه ورؤوس أصابع قدميه ومرفقيه يشق طريقه عبر الأشجار القزمية الكثيفة. كان يدفع جانباً الأغصان النابتة وفروع الأشجار. مرتين سمع صوت قرقعة مفاجئ في الأجمة خلفه. الصوت الأول بدا قريباً جداً منه. ربما لم يكن يبعد سوى عشرين خطوة إلى اليمين. تسمّر في مكانه متجمداً. ورفع رأسه بعد برهة بحذر تام ونظر من حوله إلا إنه لم يتمكن من رؤية أحد. بقي في مكانه لفترة طويلة متيقظاً تماماً متنبهاً لأدنى حركة، على أهبة الاستعداد للهرب أو القيام ربما بمحاولة يائسة لرد الهجوم إذا ما قَدِمَ العدو إليه. صوت القرقعة التالي كان صادراً من مسافة أبعد، تلاها صمت مطبق.

هو يعلم أني هنا. هل اتخذ موقعاً له في مكان ما منتظراً أن أقوم بحركة ما، أو أنه ارتد متراجعاً؟

تابع بلومفيست زحفه عبر الغطاء النباتي الكثيف إلى أن وصل إلى سياج حديقة «أوسترغاردن».

تلك كانت اللحظة الحاسمة التالية. كان هناك ممر داخل السياج. تمدد بجسده على الأرض يراقب الوضع من حوله. كانت المزرعة تبعد حوالى أربعمئة ياردة نزولاً عند آخر المنحدر. إلى يمين المنزل كانت الأبقار ترعى العشب. *لماذا لم يسمع أحدهم أصوات طلقات الرصاص ويخرج لاستطلاع مصدر الصوت؟ إنه فصل الصيف. ربما لا أحد يقطن المنزل في الوقت الراهن.*

لم يكن هناك من مجال لتجاوز المرج المغطى بالأعشاب، حيث لا يمكنه الاختباء في أي مكان إطلاقاً. الممر المستقيم بجانب السياج كان المكان الذي قد يختاره هو نفسه كمساحة مكشوفة لإطلاق النار. تراجع نحو الأجمة إلى أن خرج من الجهة الأخرى المنفتحة على مساحة مزروعة بعدد قليل من أشجار الصنوبر.

اتبع الطريق الطويل ملتفاً حول حقول أوسترغاردن وسودربيرجيت للوصول إلى منزله. حين تجاوز أوسترغاردن استطاع أن يرى أن السيارة قد اختفت. توقف فوق تلال سودربيرجيت ونظر إلى الأسفل نحو جزيرة هيدبي. في أكواخ الصيد القديمة القائمة بالقرب من حوض السفن كان هناك بعض زوار فصل الصيف حيث نساء بملابس السباحة يجلسن ويتحدثن. اشتم رائحة شيء ما يطهى فوق شواية في الخارج. أما الأولاد فكانوا يرشون قطرات المياه بالقرب من المراكب الراسية في الحوض.

كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة بدقائق معدودة، وكانت خمسون دقيقة قد مرّت على إطلاق الرصاص. كان نيلسون يقوم بريّ المرجة الخضراء يرتدي سروالاً قصيراً لكنه كان عاري الصدر. تساءل بلومفيست

في نفسه منذ متى وأنت هنا؟ منزل فانغر كان خالياً إلا من آنا. بدا منزل هارالد فانغر مهجوراً كما دائماً. ثم رأى إيزابيلا فانغر في الحديقة الخلفية لمنزلها. كانت تجلس هناك تتحدث إلى أحدهم بشكل واضح. استغرق بلومفيست لحظة ليدرك أنها كانت تتكلم إلى غيردا فانغر السقيمة التي ولدت عام 1922 وتعيش مع ابنها ألكسندر في واحد من المنازل التي تقع خلف منزل هنريك. لم يسبق أن التقاها يوماً إلا أنه رآها بضع مرات. منزل سيسيليا فانغر بدا خالياً أيضاً لكن ما لبث ميكائيل أن لاحظ وجود حركة ما في مطبخها. *إنها في منزلها. هل كانت التي أطلقت النار امرأة؟* كان يعلم أنه يمكن لسيسيليا أن تحمل مسدساً. واستطاع أن يرى سيارة مارتن فانغر متوقفة في المرأب أمام منزلها. وتساءل في نفسه مجدداً منذ متى وهي *في المنزل؟*

أو لعله شخص آخر لم يسبق له أن فكر فيه من قبل؟ أهو فرود؟ أو ألكسندر؟ كان هناك العديد من الاحتمالات.

انحدر فوق تلال سودربيرجيت واتبع الطريق المؤدي إلى القرية. وصل إلى منزله الخاص من دون أن يصادف أحد. أول أمر لاحظه أن باب الكوخ كان مفتوحاً جزئياً. ربض عندئذ في مكانه بشكل غريزي. ثم اشتم رائحة القهوة ورأى سالاندر من خلال نافذة المطبخ.

سمعت وقع خطواته يدخل عبر الباب الأمامي للمنزل، فالتفتت تنظر إليه. لكنها سرعان ما تصلّبت. كان وجهه يبدو مرعباً، ملطخاً ببقع من الدماء كانت قد بدأت تتخثر وتجف. الجهة اليسرى من سترته كانت قرمزية اللون. كان يحمل في يده فوطة مبللة بالأحمر.

قال لها بلومفيست قبل أن تتمكن من سؤاله: «إني أنزف كثيراً، لكن الأمر ليس خطيراً.»

استدارت في مكانها وتناولت عدّة الإسعافات الأولية من خزانة المطبخ. كانت تحتوي على علبتين من الضمادات المطاطية، ودواة

للسعات البعوض، ولفافة صغيرة من شريط يستعمل في العمليات الجراحية البسيطة. نزع عنه ملابسه وتركها تقع أرضاً قبل أن يذهب إلى الحمام.

الجرح في صدغه كان من العمق بحيث يمكن انتزاع قطعة كبيرة من الجلد. لم يكن النزيف قد توقف والجرح بحاجة إلى تقطيب، لكن خطر له أن الجرح قد يلتئم بمجرد وضع لاصق عليه. بلل منشفة بالماء البارد ومسح بها وجهه.

كان لا يزال يضع المنشفة على صدغه وهو واقف تحت رشاش مغمض العينين. ثم ما لبث أن خبط الحائط أمامه بقبضته بأقوى ما استطاع حتى دميت مفاصل أصابع يده. وفكر في نفسه قائلاً *اللعنة عليك ايا كنت سأعثر عليك وأنال منك*.

حين لامست سالاندر ذراعه قفز من مكانه وكأنه تلقى صعقة كهربائية وحدق فيها بعينين يملأهما غضب عارم جعلها تتراجع خطوة إلى الوراء. سلّمته الصابون وعادت إلى المطبخ دون أن تنطق كلمة واحدة.

ألصق ثلاث قطع من الشريط المستعمل في العمليات الجراحية البسيطة، ثم دخل غرفة النوم وسحب سروال جينز نظيفاً وسترة قطنية جديدة، وأخذ الملف الذي يحوي الصور المطبوعة معه. كان غاضباً إلى حد أنه كان يرتجف تقريباً.

صرخ قائلاً: «ابقي هنا يا ليزبث.»

سار إلى منزل سيسيليا فانغر ورن جرس الباب. انتظر نصف دقيقة قبل أن تفتح له الباب.

قالت له: «لا أريد أن أراك.» ثم رأت وجهه حيث قطرات الدماء بدأت تتسرب من تحت الشريط اللاصق.

«دعيني أدخل. علينا أن نتحدث.»

ترددت قليلاً قبل أن تقول: «لا شيء بيننا نتحدث عنه.»

«بل بات لدينا الآن ما نتكلم عنه. ويسعنا مناقشته هنا فوق الدرج أو في المطبخ.»

كانت نبرة بلومفيست من التصميم بحيث لم يكن أمام سيسيليا من خيار سوى التنحي جانباً والسماح له بالدخول. جلست على كرسي المطبخ.

سألته: «ما الذي فعلته؟»

«تزعمين أن عملية البحث عن الحقيقة التي أجريها بخصوص حادثة اختفاء هارييت فانغر أحد أشكال المداواة بالانشغالات العقيمة لهنريك. هذا ممكن، ولكن منذ ساعة واحدة فقط شخص دموي كاد يرديني برصاصة موجهة إلى رأسي. وخلال الليلة الماضية، ولعله الشخص الهازئ ذاته، قد ترك هرّة مهشّمة بوحشية عند عتبة منزلي.»

فتحت سيسيليا فمها لتقول شيئاً لكنه سرعان ما قطع الحديث عليها قائلا: «اسمعي يا سيسيليا، لا آبه مطلقاً بعُقَد حياتك الماضية ولا بالأمور التي تقلقك أو بحقيقة أنك أصبحت فجأة تكرهين رؤيتي. لن أقترب منك مجدداً ولن يكون عليك أن تقلقي بشأن أن أزعجك أو ألاحقك. في هذه اللحظة تماماً أود لو أنني لم أسمع يوماً عنك أو عن أي شخص آخر من عائلة 'فانغر'. لكنني أطالب بأجوبة عن أسئلتي. وكلما سارعت في الإجابة عنها تتخلصين مني بشكل أسرع.»

«ما الذي تريد معرفته؟»

«الأمر الأول: أين كنت منذ ساعة؟»

تجهم وجه سيسيليا. «منذ ساعة كنت في هيدستاد.»

«هل يمكن لأحد أن يثبت أنك كنت هناك فعلاً؟»

«ليس هناك شخص على وجه التحديد ولست مجبرة على تبرير مكان تواجدي أمامك.»

«الأمر الثاني الذي أود معرفته منك: لماذا قمت بفتح النافذة في غرفة نوم هارييت يوم اختفائها؟»

«ماذا تقول؟»

«سمعت ما قلته لك، طوال تلك السنوات وهنريك يحاول أن يتعرف

إلى هوية الشخص الذي فتح نافذة هاريت خلال تلك الدقائق الحاسمة. الكل أنكر إقدامه على فتحها. أحدهم كان يكذب.»

«وما الذي يجعلك تظن أني ذاك الشخص بحق السماء؟»

رمى بلومفيست بالصورة المشوشة على طاولة المطبخ وقال: «هذه الصورة.»

اقتربت من الطاولة وأخذت تعاين الصورة عن كثب.

ظن بلومفيست أنه كان يستطيع أن يقرأ ملامح الصدمة على وجهها. رفعت نظرها إليه وشعر بقطرة دماء تسيل فوق وجنته وتنسكب على سترته.

قال لها: «كان هناك ستون شخصاً على الجزيرة في ذلك اليوم. ثمانية وعشرون من هؤلاء كنّ من النساء. خمس أو ست نساء من بينهن يملكن شعراً أشقر يمتد حتى مستوى الكتف. امرأة واحدة فقط من بينهن كانت ترتدي ثوباً فاتح الألوان.»

أخذت تمعن في الصورة بشكل أدق. «وهذا ما يجعلك تفترض أن تلك المرأة هي أنا؟»

«إن لم تكن المرأة أنت، أريد منك أن تخبريني من عساها تكون. لم يكن أحد يعلم بشأن هذه الصورة من قبل. لقد حصلت عليها منذ بضعة أسابيع ومنذ ذلك الحين وأنا أحاول التكلم معك بشأنها. قد أكون أحمق لكني لم أُطلع هنريك ولا أي شخص آخر عليها لأني أخشى إلى حدٍّ بعيد أن أثير الشكوك حولك أو أخطئ بحقك. لكن عليّ أن أحصل على إجابات عن أسئلتي.»

حملت الصورة وقربتها منه تقول: «سوف تحصل على الإجابة. لم أذهب إلى غرفة هاريت في ذلك اليوم. والشخص الذي في الصورة ليس أنا. لا علاقة لي من بعيد أو قريب بحادثة اختفائها.»

ذهبت إلى باب المنزل الأمامي.

«لقد حصلت على الإجابة، إرحل الآن من فضلك. لكني أظن أنه يجدر بك الذهاب إلى طبيب ليعاين جرحك.»

قادت سالاندر السيارة لتوصله إلى مستشفى هيدستاد. لم يتطلب الجرح إلا قطبتين وضمادات معقّمة تساعد على التئامه. تم إعطاؤه مرهم الكورتيزون لمعالجة الطفح الجلدي الناجم عن لسعات القراص على رقبته ويديه.

بعد مغادرته المستشفى جلس بلومفيست وقتاً طويلاً يتساءل ما إذا كان عليه الذهاب إلى مركز الشرطة. كان بإمكانه التنبؤ بالعناوين التي يمكن أن تتصدر الصحف لتقول: *الصحافي المتهم بالتشهير يتعرض لإطلاق النار*. هز رأسه وقال لها: «لنعد إلى المنزل.»

كان الظلام قد حلّ عندما وصلا إلى جزيرة هيدبي وكان ذلك مناسباً لسالاندر تماماً. رفعت حقيبة رياضية ووضعتها على طاولة المطبخ.

«لقد استعرت هذه الأغراض من شركة 'ميلتون للأمن' وقد حان الوقت للاستفادة منها.»

زرعت أربع أدوات كشف حركة تعمل على البطارية حول المنزل وشرحت له كيف أنّه في حال اقترب أحدهم مسافة تقلّ عن عشرين قدماً ستنطلق إشارة صوتية إنذاراً على شكل زقزقة خفيفة تسمع في غرفة بلومفيست. ووضعت في الوقت نفسه كاميرتي فيديو تتحسسان على الضوء في شجرتين إحداهما عند مدخل الكوخ والأخرى في الحديقة الخلفية، وهاتان ترسلان إشارات إلى جهاز الكومبيوتر الشخصي الذي وضعته في خزانة المطبخ عند مدخل المنزل. قامت بتمويه الكاميرتين بقطعتي قماش سوداويتي اللون.

ثمّ وضعت كاميرا ثالثة في قفص العصفور فوق الباب، وقامت بحفر ثقب في الحائط لتمرير الكابل. ووجهت عدسة الكاميرا إلى الطريق والممر من البوابة وصولاً إلى الباب الأمامي. التقطت صوراً قليلة

الوضوح لكل لحظة وحفظتها جميعاً على القرص الصلب على جهاز كومبيوتر خاص آخر موجود في الخزانة.

ومن ثم وضعت ممسحة أرجل تتحسس على الضغط في المدخل. إذا نجح أحدهم في التملص من أدوات الكشف التي تعمل على الأشعة ما دون الحمراء، ووصل إلى داخل المنزل، تنطلق صفارة إنذار بقوة مئة وخمسة عشر ديسيبيل. أوضحت له سالاندر كيف يطفئ أدوات كشف الحركة بواسطة مفتاح صندوق موجود في الخزانة. كانت قد استعارت كذلك من الشركة منظاراً ليلياً.

قال لها بلومفيست وهو يسكب لها القهوة: «أنت لا تفسحين الكثير من المجال لدخول المنزل.»

«شيء آخر بعد. لن تقوم بممارسة هواية الركض إلى أن نحل القضية ونكشف الفاعل.»

«لقد فقدت كل رغبة لي في الركض صدقيني.»

«لست أمزح معك. قد تكون المسألة بدأت بحل لغز تاريخي. لكن بوجود هرة مقتولة وأشخاص يحاولون قتلك يمكن أن نكون واثقين أننا دسنا على طرف أحدهم.»

تناولا وجبة عشاء متأخرة. سرعان ما شعر بلومفيست بتعب شديد وبألم حاد في الرأس. بالكاد بات قادراً على متابعة الحديث وأوى إلى الفراش.

أما سالاندر فظلت مستيقظة تقرأ التقرير حتى الساعة الثانية من بعد منتصف الليل.

الفصل الثالث والعشرون

الجمعة، 11 يوليو

أفاق بلومفيست عند الساعة السادسة صباحاً على تسلل أشعة الشمس من فتحة في الستارة على وجهه مباشرة. كان يشعر بألم حاد في الرأس، وازداد الألم حدّة عندما لامس الشريط اللاصق. كانت سالاندر تنام على بطنها بجانبه وترمي إحدى ذراعيها فوقه. نظر إلى وشم التنين المرسوم فوق عظمة كتفها.

أخذ يعدّ الأوشام المنتشرة على جسدها. إضافة إلى وشم الدبور على عنقها كان هناك وشم يصور أنشوطة حول كاحل قدمها وآخر حول عضلة ذراعها اليسرى ورمز صيني على وركها وزهرة على إحدى ربلتي ساقها. خرج من السرير. أحكم إغلاق الستائر وذهب إلى الحمام ثمّ عاد ينزل في الفراش بهدوء محاولاً ألا يوقظها.

سألها بلومفيست بعد بضع ساعات بينما كانا يتناولان طعام الفطور: «كيف لنا أن نحل هذه الأحجية؟»

«نقوم بجمع الحقائق التي بين أيدينا. ونحاول أن نجد المزيد منها.»

«بالنسبة إليّ، السؤال الوحيد الذي يطرح نفسه هو: لماذا؟ هل لأننا نحاول أن نحل المعضلة المتعلقة باختفاء هارييت أم لأننا كشفنا النقاب حتى هذه اللحظة عن أحد القتلة المتسلسلين المجهولين؟»

أجابته سالاندر: «هناك علاقة ما بين السببين. إن أدركت هارييت وجود قاتل متسلسل، فلا بد أنه شخص تعرفه. وإذا ألقينا نظرة على لائحة

شخصيات الستينيات في أوساط العائلة نجد أن هناك بضع عشرات من المرشحين المحتملين على الأقل. بالكاد بقي منهم اليوم هارالد فانغر الذي يستبعد أن يكون الشخص المتجول بخفة في أرجاء غابات فروسكوغن حاملاً مسدسه وهو بعمر يناهز الثلاثة والتسعين. وكل من تبقى إما هو أكبر سناً من أن يكون في دائرة الخطر اليوم أو أصغر بكثير من أن يكون قد ولد أيام الخمسينيات. هكذا نكون قد عدنا إلى نقطة البداية.»

«إلا إذا كان هناك شخصان آخران يعملان بالتكافل والتضامن، فيتعاون الأكبر سناً مع شخص أصغر سناً منه.»

«أتقصد هارالد وسيسيليا؟ لا أعتقد ذلك. أظن أنها كانت تقول الحقيقة عندما أخبرتك أنها ليست الشخص الذي كان موجوداً عند نافذة هاريت في الصورة.»

«من كان ذلك إذاً؟»

أدارا جهاز الـ iBook الخاص ببلومفيست وأمضيا ساعة كاملة يعاينان مجدداً بالتفصيل كافة الأشخاص الذين يظهرون في صور الحادث على الجسر.

«لا يسعني سوى أن أفترض أن كل من في القرية كان حاضراً في المهرجان. يشاهد العروض بحماسة. جرى الاحتفال في سبتمبر لذا كان الجميع يرتدي سترات أو قمصاناً ذات أكمام طويلة. امرأة واحدة فقط ذات شعر أشقر طويل كانت ترتدي ثوباً زاهي الألوان.»

«تظهر سيسيليا فانغر في عدد من الصور. يبدو أنها في كل مكان. لقد تنقلت بين المباني والأشخاص الذين كانوا يتفرجون على الحادث. ها هي هنا تتحدث إلى إيزابيلا، وتظهر في هذه الصورة واقفة إلى جانب القسيس فالك، راعي الأبرشية. ومع غريغر فانغر الأخ الأوسط هنا.»

قال لها بلومفيست: «انتظري لحظة، ما الذي يحمله غريغر في يده؟»

«غرض مربع الشكل، يبدو كصندوق أو شيء من هذا القبيل.»

«إنها 'هاسيلبلاد' سويدية الصنع. هو أيضاً كان يحمل كاميرا إذاً.»

قلّبا في الصور مرّة أخرى. كان غريفر يظهر في معظمها مع أن صورته كانت غير واضحة دائماً. إلا أن إحداها أظهرته يحمل صندوقاً مربع الشكل.

«أعتقد أنك محق. إنها حتماً كاميرا.»

«مما يعني أننا سنذهب في رحلة في عالم الصور مجدداً.»

قالت له سالاندر: «حسناً، لكن لندع هذا جانباً في الوقت الحاضر. واسمح لي أن أقترح نظرية ما.»

«تفضلي.»

«ماذا لو كان أحدهم ممن ينتمون إلى الجيل الأصغر سناً يعلم أن شخصاً ما من الجيل الأكبر سناً قاتل متسلسل لكنه لا يريد أن يعلم الجميع بالأمر لأسباب تتعلق بشرف العائلة وما إلى هنالك من تفاهات. هذا يعني تورط شخصين بالأمر، دون أن يعني تورطهما معاً بأعمال القتل. يمكن للقاتل أن يكون قد مات منذ عدة سنوات في حين لا يريد منا إله الانتقام سوى التغاضي عن القضية برمّتها ونسيان الأمر والعودة إلى منازلنا.»

«لكن لماذا في هذه الحالة، يتركون هرة مهشمة عند مدخل منزلي؟ إنها إشارة واضحة لا لبس فيها إلى الجرائم المرتكبة.» عاد بلومفيست يربت على كتاب الإنجيل الخاص بهارييت ويقول: «إنها مجدداً محاكاة للنصوص التي تتحدث عن تقديم الأضاحي المحروقة بالنار.»

استندت سالاندر إلى الخلف ورفعت نظرها إلى الكنيسة وهي تردد أحد نصوص الإنجيل وكأنها تتحدث إلى نفسها أكثر مما تتلو شيئاً على مسمع بلومفيست.

«ويذبحه على جانب المذبح إلى الشمال أمام الرب ويرشّ بنو هرون الكهنة دمه على المذبح مستديراً. ويقطعه إلى قطع مع رأسه وشحمه ويرتبهن الكاهن فوق الحطب الذي على النار التي على المذبح. وأما الاحشاء والأكارع فيغسلها بماء ويقرب الكاهن الجميع ويوقد على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب.»

لكن ما لبثت أن عادت إلى صمتها مدركة أن بلومفيست يراقبها وقد علت وجهه أمارات التوتر. فتح الكتاب المقدس على الأصحاح الأول من سفر اللاويين وسألها: «وهل تعرفين الآية الثانية عشرة غيباً؟»

لم تقدم سالاندر أية إجابة.

بدأ تلاوة الآية وهو يومئ لها قائلاً: «ويذبحه...»

كانت نبرة صوتها جليدية وهي تردد: «ويذبحه *على* جانب *المذبح إلى الشمال أمام الرب* ويرش بنو هرون *الكهنة* دمه *على المذبح* مستديراً. ويقطعه *إلى* قطع مع رأسه وشحمه ويرتبهن *الكاهن* فوق *الحطب الذي على النار التي على المذبح*.»

«وماذا عن الآية التالية؟»

وقفت من مكانها فجأة.

قال لها بلومفيست متعجباً: «أنت تتمتعين بذاكرة بتصويرية يا ليزبث. لهذا السبب تستطيعين قراءة صفحة كاملة من ملف التحقيق في غضون عشر ثوانٍ فقط!»

كاد ردّ فعلها يكون أوضح تعبير عن سرعة الانفعال. إذ اتسعت عيناها ترمقان بلومفيست نظرات ملؤها الغضب على نحوٍ أصابه بالذهول. لكن سرعان ما تغيرت ملامحها لتصبح أكثر ميلاً للكشف عن الإحباط، ثم استدارت على عقبيها وأخذت تركض نحو البوابة الرئيسية.

ناداها بلومفيست: «سالاندر.»

إلا أنها كانت قد اختفت على الطريق.

حمل بلومفيست جهاز الكومبيوتر الخاص بها إلى الداخل وأدار أجهزة الإنذار وأقفل الباب الأمامي قبل أن ينطلق للبحث عنها. عثر عليها بعد عشرين دقيقة على رصيف الميناء عند مراسي السفن. كانت تجلس هناك وقد غطست رؤوس أصابع قدميها بالماء وأشعلت سيجارة. سمعت وقع خطواته وهو يقترب منها وشعر بكتفيها تتصلبان. توقف على بعد

بضع خطوات منها وقال: «لا أعلم ما الذي فعلته لكني لم أقصد إزعاجك.»

ثم جلس إلى جانبها واضعاً راحة يده بتردد على كتفها.

«أرجوك ليزبث، تحدثي إليّ.»

التفتت نحوه ونظرت إليه وأجابت: «ليس هناك ما نتحدث عنه. فأنا لست سوى شخص شاذ غريب الأطوار ليس إلا.»

«كنت لأكون في قمة المتعة لو أنني أتمتع بالذاكرة التي تملكين.»

غمست طرف السيجارة في المياه.

جلس ميكائيل وقتاً طويلاً في مكانه بصمت يتساءل في سره، *ما الذي يفترض بي قوله؟ أنت فتاة طبيعية بالكامل. وماذا لو كنت مختلفة قليلاً عن الآخرين؟ ما نوع الصورة التي ترسمينها لنفسك بأي حال؟*

قال لها أخيراً: «اعتقدت أن هناك أمراً مختلفاً حولك لحظة رأيتك. وتعلمين ماذا؟ لقد مضى وقت طويل لم ينتابني خلاله أي شعور جيد ولا سجلت فيه انطباعاً أولياً جيداً حول أحدهم بشكل عفوي كما حصل لي معك؟»

خرج بعض الأولاد من الكوخ القائم على الجهة الأخرى من المرفأ وأخذوا يقفزون في المياه. أما الرسام المدعو أوجين نورمان فكان جالساً في كرسي خارج منزله ينفخ في غليونه ويراقب كلاً من بلومفيست وسالاندر. لم يكن قد سبق لبلومفيست أن تبادل مع الرجل كلمة واحدة.

قال لها: «أود أن أصبح صديقك حقاً، إذا سمحت لي بذلك. لكن الأمر يعود لك وحدك في النهاية، سأعود إلى المنزل لأعدّ القهوة، تعالي حين ترغبين في ذلك.»

ثم وقف وتركها بسلام. لم يكن قد ابتعد سوى نصف المسافة صعوداً على طريق التل حين سمع وقع خطواتها تتبعه. سارا طوال الطريق إلى المنزل من دون أن يتفوه أحدهما بكلمة واحدة.

ما إن وصلا إلى البيت حتى أوقفته قائلة: «كنت قد بدأت بوضع

نظرية ما... وقد سبق أن تكلمنا حول واقع المحاكاة من الإنجيل. صحيح أن القاتل قد عمد إلى تقطيع وتشويه هرة لكني أفترض أنه يصعب الحصول على ثور. إلا أنه يلتزم مع ذلك بالنص الديني. كنت أتساءل في نفسي ما إذا...» وعادت ترفع نظرها إلى الكنيسة مجدداً وتتابع بالقول:

«ويرش بنو هرون الكهنة دمه على المذبح مستديراً...»

مشيا على الجسر باتجاه الكنيسة. حاول بلومفيست فتح الباب لكنه كان مقفلاً. قاما بجولة حول الكنيسة المشرفة على شواهد القبور إلى أن وصلا إلى المعبد الذي يقع على مسافة قريبة من المياه في الأسفل. اتسعت عينا بلومفيست فجأة. لم يكن ما رآه معبداً بل سرداباً. استطاع أن يقرأ فوق الباب اسم «فانغر» منحوتاً في الحجر، مرفقاً بآية مدونة باللغة اللاتينية لم يتمكن من فك رموزها.

قالت سالاندر من خلفه: «نوم حتى آخر الزمان.»

استدار بلومفيست ونظر إليها فقالت: «يصادف أني رأيت مثل هذه الآية في مكان ما من قبل.»

انفجر بلومفيست ضاحكاً. تصلبت قليلاً وبدت غاضبة في البداية إلا أنها استرخت مجدداً حين أدركت أنه كان يضحك ساخراً من الحالة الهزلية التي كانا يعيشانها.

حاول فتح الباب لكنه وجده مقفلاً. فكر لحظة وطلب إلى سالاندر أن تبقى في مكانها وتنتظره. كان قد ذهب لرؤية آنا نيغرن وطرق باب المنزل حيث تتواجد. شرح لها أنه يود أن يلقي نظرة عن قرب على سرداب العائلة وكان يتساءل أين عساه هنريك يبقي المفاتيح. بدت آنا مرتابة للوضع إلا أنها جلبت له المفاتيح من مكتب فانغر.

ما إن فتحا الباب ودخلا حتى أيقنا أنهما كانا على حق. فرائحة الجيف النتنة المحروقة البقايا المشوهة كانت تملأ المكان. إلا أن معذِّب الهرة لم يكن يضرم النار. وكان هناك في إحدى الزوايا موقد لحام من النوع الذي يستعمله المتزلجون لإذابة الشمع عن مزالجهم. أخرجت

سالاندر الكاميرا من جيب تنورة الجينز وبدأت تلتقط الصور. ثم وبحذر شديد رفعت موقد اللّحام.

قالت له: «يمكن استعماله كدليل. قد يحمل بصمات شخص ما.»

ابتسم لها بلومفيست قائلاً: «آه، طبعاً. يعني أن أتخيل أننا نطلب إلى أفراد عائلة فانغر الوقوف صفاً متراصاً لأخذ بصمات أصابعهم. أود مراقبتك وأنت تطلبين من إيزابيلا القيام بذلك.»

أجابته سالاندر: «هناك دائماً طريقة ما للوصول.»

كان هناك قدرٌ هائلٌ من الدماء التي تلطخ أرض السرداب. ولم يكن كله جافاً. كما عثرا على سكين قاطع افترضا أنه استعمل في فصل رأس الهرة.

نظر بلومفيست من حوله. أحد التوابيت الحجرية القائمة كان يعود إلى ألكسندر فانغرسيد إضافة إلى أربعة نواويس أخرى في الأرض تضم بقايا أفراد عائلة «فانغر» الأولين. من الواضح أن عائلة «فانغر» قد عمدت مؤخراً إلى إحراق جثث الموتى حيث توزعت على الحائط حوالى ثلاثين مشكاة تحمل أسماء أسلاف الجماعة. اقتفى بلومفيست أثر تاريخ العائلة بدءاً بالتاريخ الأقدم وصولاً إلى الأحدث متسائلاً في نفسه أين عساهم كانوا يقومون بدفن أفراد العائلة الذين لم تتسع المساحة لدفنهم داخل السرداب، أولئك الذين لم يكونوا على قدر كاف من الأهمية.

قال بلومفيست وهما يعودان أدراجهما على الجسر: «بتنا على علم الآن أننا نلاحق قاتلاً معتوهاً بالكامل.»

«ما الذي تعنيه بذلك؟»

«إن كان من نسعى وراءه مجرد معتوه تافه يحاول إخافتنا كان ليأخذ الهرة إلى القبو في الأسفل أو يذهب بها إلى الغابة. لكنه جلبها إلى السرداب. هناك شيء قهري بخصوص هذه العادة، فكّري بالمخاطر التي يمكن أن يكون قد تعرض لها. فهذا فصل الصيف، الناس يتجولون

ويملأون الشوارع ليلاً. والطريق التي تمر عبر المقبرة تعتبر رئيسية إذ تربط شمال هيديبي بجنوبها. حتى لو كان قد أقفل الباب وراءه فلا بدّ للهرة أن تكون قد أصدرت ضجيجاً، ولا بدّ أن تفوح رائحة الشواء.»

«ترجع للقاتل على أنه 'هو'؟»

«لا يسعني أن أتخيل سيسيليا فانغر تتسلل إلى هنا ليلاً حاملة موقد لحام معها.»

هزت سالاندر كتفيها بلامبالاة وقالت: «لا يمكن لي أن أثق بأي منهم أياً كان، بمن في ذلك فرود وصديقك هنريك. يشكلون جميعاً جزءاً من عائلة تلجأ إلى غشك وابتزازك فيما لو أتيحت لها فرصة القيام بذلك. إذاً ماذا لدينا الآن؟»

أجابها بلومفيست: «لقد اكتشفت الكثير من الأسرار التي تخصك؟ كم من الأشخاص الذين يعرفون أنك هاكر مثلاً؟»

«لا أحد.»

«لا أحد سواي تقصدين.»

«ما الذي ترمي إليه؟»

«أريد أن أعرف ما إذا كنت على ما يرام معي. ما إذا كان يسعني الوثوق بك.»

تأملته لبرهة وكانت هزة كتفيها الإجابة الوحيدة التي قدمتها في النهاية.

«لا يسعني فعل شيء حيال ذلك.»

عاد بلومفيست يسألها بإصرار: «هل تثقين بي؟»

قالت: «في الوقت الحاضر، أجل.»

«جيد، فلنذهب لرؤية فرود إذاً.»

كانت تلك المرة الأولى التي تلتقي فيها زوجة فرود بسالاندر. اتسعت عيناها تماماً لرؤيتها لكنها منحتها في الوقت عينه ابتسامة لائقة.

أشرق وجه فرود عندما لمحها ووقف من مكانه ليرحب بهما.

قال لها: «تسرني رؤيتك. أشعر بالذنب لأنه لم يتسن لي أن أعبّر لك في ما مضى عن مدى امتناني للعمل الرائع الذي قمت به سواء في الشتاء الفائت أو الآن في فصل الصيف.»

حملقت فيه سالاندر بارتياب واضح.

أجابته: «لقد نلت أجر ما قمت به.»

«النقطة ليست هنا. كنت قد وضعت بعض الفرضيات حولك حين رأيتك للمرة الأولى. وأود أن تتكرمي بالعفو عني بالمقابل.»

شعر بلومفيست بالدهشة لما يحدث. لقد تمكن فرود من طلب المغفرة من فتاة في الخامسة والعشرين من العمر مليئة بالأوشام والثقوب مقابل أمر لا يستأهل العفو. ارتفع مقام المحامي قليلاً في نظر بلومفيست. إلا أن سالاندر حدقت إلى البعيد تتجاهله وكأنها لا تراه أصلاً.

«ما الذي فعلته برأسك؟»

جلس الجميع. أوجز بلومفيست تطور مسار أحداث الساعات الأربع والعشرين الماضية. ما إن وصف له كيف أطلق أحدهم النار عليه قرب القلعة في محاولة لقتله، قفز فرود يقف على قدميه. ثم توقف في مكانه وركز نظره على بلومفيست وقال: «هذا جنون مطبق. أنا آسف، لكن على هذا أن يتوقف. لا يسعني تحمّل الأمر. سوف أتحدث إلى هنريك وأفسخ العقد.»

قال له بلومفيست: «اجلس.»

«لكنك لا تفهم...»

«ما أفهمه هو أنني وليزبث قد اقتربنا كثيراً من الحقيقة بحيث إن الشخص الذي يقف وراء كل تلك الأحداث أياً كان، يتصرف بدافع الرعب بشكل مشوّش. لدينا بعض الأسئلة، السؤال الأول: كم مفتاح يوجد لسرداب عائلة 'فانغر' ومن يملكها؟»

قال له فرود: «لا تقع هذه المسألة ضمن نطاق معرفتي، لا أملك أدنى فكرة حول ذلك. أفترض أن عدداً من أفراد عائلة 'فانغر' يمكنهم الوصول إلى السرداب. أعرف أن هنريك يملك مفتاحاً، وأن إيزابيلا تذهب أحياناً إلى هناك، لكن لا أعرف ما إذا كان لديها مفتاح خاص بها أو أنها تستعيره من هنريك نفسه.»

«حسناً. أنت لا تزال تحتفظ بمقعد في مجلس إدارة الشركة الأساسية. هل هناك من أرشيفات خاصة بالمؤسسة؟ هل هناك من مكتبة ما أو شيء من هذا القبيل حيث يحتفظون بقصاصات من الصحف القديمة ومعلومات حول الشركة على مدى السنوات؟»

«أجل، هناك مكان ما كهذا، إنه في المقر الرئيسي لمكاتب الشركة في هيدستاد.»

«نحتاج إلى الوصول إلى هناك. هل هناك من نشرات أو تقارير عن الطاقم القديم أو شيء مشابه لذلك؟»

«علىّ أن أعترف مجدداً أني لا أعرف. فأنا لم أدخل إلى قسم الأرشيف منذ ما يقارب ثلاثين عاماً. تحتاجان إلى التحدث بهذا الشأن مع امرأة تدعى بوديل ليندغرين.»

«هل يمكنك أن تتصل بها وتتفق معها على دخول ليزبث إلى قسم الأرشيف في وقت ما من بعد ظهر هذا اليوم؟ إنها بحاجة إلى كافة التقارير المتعلقة بمؤسسة 'فانغر'.»

«لا مشكلة في ذلك. هل من شيء آخر؟»

«أجل. غريغر فانغر كان يحمل في يده كاميرا من نوع 'هاسيلبلاد' يوم وقوع الحادث على الجسر. مما يعني أنه ربما قام بالتقاط بعض الصور يومئذ. أين يمكن أن تكون الصور قد أصبحت بعد وفاته؟»

«من المنطقي أن تكون مع أرملته أو مع ابنه. دعني أتصل بألكسندر وأسأله.»

سألته سالاندر وهما في طريق العودة إلى الجزيرة: «ما الذي سأبحث عنه؟»

«النشرات الصحفية والتقارير المتعلقة بهيئة الإدارة. أريد منك أن تقرئي كل ما يتعلق بالتواريخ التي ارتُكبت خلالها جرائم فترة الخمسينيات والستينيات. دوّني ملاحظات حول كل ما يلفت نظرك. الأفضل أن تقومي بهذا الجزء من العمل. يبدو أن ذاكرتك...»

لكزته في خاصرته.

بعد مرور خمس دقائق كانت سالاندر على دراجة الكاوازاكي التي تقعقع بجلبة على الجسر.

صافح بلومفيست ألكسندر فانغر الذي كان يمضي معظم الوقت الذي مكث فيه بلومفيست هناك بعيداً عن الجزيرة. وكان في العشرين من عمره عند اختفاء هارييت.

«أخبرني ديرك أنك تود الاطلاع على الصور القديمة.»

«والدك كان يقتني كاميرا 'هاسيلبلاد' على ما أعتقد.»

«هذا صحيح. إنها لا تزال هنا، لكن لا أحد يستعملها.»

«أفترض أنك تعلم أن هنريك قد طلب إليّ أن أبحث مجدداً في قصة اختفاء هارييت.»

«هذا ما فهمته. وهناك كثيرون ممن لا يفرحهم الأمر.»

«هذا واضح. ويسعك بالطبع ألا تسمح لي بالاطلاع على كافة الصور الملتقطة.»

«أرجوك... ما الذي تود رؤيته بالضبط؟»

«الصور التي التقطها والدك للحادث الذي حصل يوم اختفاء هارييت.»

ذهبا معاً إلى عليّة المنزل. استغرق ألكسندر عدة دقائق للتعرف إلى صندوق يحوي عدداً من الصور غير المرتبة.

وقال له: «يمكنك أن تأخذ الصندوق كله، فإن كانت هناك أية صور للحادث فستكون هنا.»

كان صندوق غريغر فانغر يحتوي بعض الأحجار الكريمة الحقيقية فيما يتعلق بالرسوم التي توضح تاريخ عائلة «فانغر» حيث تضمن عدداً من صور غريغر مع سفين أولوف ليندولم، القائد النازي السويدي الكبير خلال الأربعينيات. وقد وضع تلك الصور جانباً.

وقعت يداه على مغلفات تحوي صوراً التقطها غريغر في مناسبات اجتماع العائلة إضافة إلى العديد من صور العطلات النموذجية، كرحلات الصيد إلى الجبال ورحلة إلى إيطاليا.

عثر على أربع صور للحادثة على الجسر. على الرغم من أن الكاميرا التي كانت بحوزة غريغر استثنائية المواصفات، كان هو نفسه مصوراً بائساً. هناك صورتان التقطتا من مسافة قريبة لشاحنة النقل نفسها، وصورتان للحشد المتفرج على الأحداث من الخلف. وجد صورة واحدة فقط تظهر فيها سيسيليا فانغر بالوضعية النصفية للجسم ذاتها التي وردت في الصور التي بحوزته.

قام بنسخ الصور على الرغم من يقينه أنها لا تجلب إليه أي جديد. أعاد كل شيء إلى الصندوق وتناول سندويشاً على الغداء بينما يعيد التفكير في الأمور. ثم ذهب لزيارة آنا.

«هل تعتقدين أن هنريك يملك ألبومات صور أخرى عدا تلك التي جمعها في ملف التحقيق بحادثة اختفاء هارييت؟»

«أجل، لطالما كان هنريك مهتماً بفن التصوير، منذ كان في ريعان الشباب كما أخبروني. لديه الكثير من ألبومات الصور في مكتبه.»

«هلا تسمحين لي برؤيتها؟»

كان ترددها في قبول طلبه جلياً. إن إعارة بلومفيست مفتاح سرداب العائلة حيث الله يقوم برعاية المكان يختلف تماماً عن السماح له بدخول

مكتب هنريك فانغر. فالمكان لا يدخل في وصية الله. اقترح بلومفيست على آنا الاتصال بفرود. وقد وافقت أخيراً على السماح له بدخول المكتب. كانت ألبومات الصور تحتل حوالى ثلاثة أقدام من الرف الأسفل. جلس على كرسي المكتب وفتح الألبوم الأول وأخذ يتصفح الصور.

كان فانغر يحتفظ بكل صورة التقطت للعائلة. من الواضح أن عدداً من تلك الصور كان مأخوذاً قبل أن يولد بزمن حيث تعود الصور الأكثر قدماً إلى العام 1870، ويظهر فيها رجال أشداء جلفين ونساء قاسيات الملامح. كانت هناك صور لوالدي فانغر. وكان والده في إحداها يحتفل بعيد منتصف فصل الصيف مع مجموعة من الأشخاص المرحين في ساندهامن وذلك في العام 1906. صورة أخرى من ساندهامن تظهر كلاً من فريدريك فانغر وزوجته أولريكا إضافة إلى أندرز زورن وألبرت إنغشتروم يجلسون جميعاً إلى الطاولة. كانت هنالك العديد من الصور الفوتوغرافية الأخرى التي يظهر فيها عمال المصانع يقومون بأعمالهم وآخرون يجلسون وراء مكاتبهم. حتى إنه رأى صورة الكابتن أوسكار غراناث الذي نقل فانغر وحبيبته إديث لوباخ إلى بر الأمان في كارلسكرونا.

صعدت آنا إلى الطابق العلوي تحمل فنجان قهوة. شكرها على ضيافتها، وكان قد وصل في مشاهدة الألبومات إلى الصور الأكثر حداثة حيث كان يتصفح الصفحات التي تعكس لقطات لفانغر أيام شبابه وهو يفتتح المصانع ويصافح «تاج إيرلندر» وأحد أفراد عائلة «فانغر» وماركوس والنبرغ حيث ينظر كل من الرأسماليين الكبيرين إلى الآخر بتوجم.

وجد في الألبوم نفسه صفحة كان فانغر قد دوّن عليها بقلم رصاص «اجتماع العائلة 1966». صورتان ملونتان يظهر فيهما الرجال يتحدثون وينفخون السيجار. وقد تعرّف فيهما إلى كلٍّ من هنريك وهارالد وغريغر والعديد من أصهرة عائلة جوهان فانغر. صورتان أخريان تظهران العشاء

الرسمي حيث يجتمع أربعون رجلاً وامرأة حول المائدة وينظرون إلى عدسة الكاميرا. لقد التقطت الصور بعد انتهاء الأحداث الدرامية للكارثة على الجسر لكن قبل أن يدرك أحد اختفاء هارييت. كان يعاين كلاً من الوجوه الظاهرة في الصورة ويتفرس بها. إنه العشاء الذي كان من المفترض أن تحضره. هل كان أي من الرجال على علم بحادثة اختفائها؟ لم توفر له الصور أي إجابات تذكر.

إلا أنه وفجأة أشرق وهو يرتشف القهوة واستقام في الكرسي الذي يجلس فيه.

عند طرف الطاولة كانت تجلس سيسيليا فانغر بثوبها الزاهي الألوان تبتسم للكاميرا. وبجانبها كانت امرأة أخرى ذات شعر أشقر طويل وثوب مطابق. كانت الأختان تتشابهان كثيراً لدرجة أنه يمكن اعتبارهما توأماً. وهكذا وجدت قطعة الأحجية مكانها. الشخص الذي كان يظهر عند نافذة هارييت لم يكن سيسيليا فانغر بل أختها آنيتا، التي تصغرها بسنتين وتقيم في لندن حالياً.

ماذا قالت له سالاندر ذات مرة؟ *سيسيليا فانغر تظهر في عدد من الصور.* ليس صحيحاً على الإطلاق. كانت هناك فتاتان وبداعي الصدفة المحضة لم تتواجد كلاهما في صورة واحدة قط. في الصور الملتقطة من مسافة بعيدة بالأبيض والأسود كانتا تبدوان متطابقتين. من المفترض أن فانغر كان يجيد التفريق بينهما لكن بالنسبة لبلومفيست وسالاندر كانت الفتاتان متشابهتين إلى درجة اعتبارهما شخصاً واحداً. ولم يسبق لأحدهم أن صوّب لهما هذا الخطأ كما لم يسبق للسؤال أن خطر لهما أصلاً.

قلب بلومفيست الصفحة وشعر كأن شعرات رقبته تقف من مكانها وكأن ريحاً قوية قد عصفت في الغرفة.

كانت هناك صور التقطت في اليوم التالي للحادثة حين كانت عمليات البحث عن هارييت قد بدأت. المحقق الشاب موريل كان يعطي التعليمات لفرق البحث المؤلفة من ضابطين بلباس الشرطة وعشر رجال آخرين

ينتعلون الأحذية المطاطية وهم على وشك الانطلاق في عملية البحث. فانغر كان يرتدي معطفاً شتوياً حتى مستوى الركبة ويضع قبعة إنكليزية الطراز ذات حرف ضيق.

إلى يسار الصورة كان يقف شاب بدين نوعاً ما ذو شعر طويل قليلاً فاتح اللون يرتدي سترة مبطنة قاتمة اللون مع رقع حمراء على الكتفين. كانت الصورة بغاية الوضوح. وقد تعرف بلومفيست إلى الشاب في الصورة الذي يرتدي سترة فوراً، إلا أنه وعلى سبيل المزيد من التأكيد نزع الصورة من الألبوم ونزل السلالم ليسأل آنا ما إذا كانت تتعرف إليه كذلك.

«أجل، بالطبع أعرفه، إنه مارتن.»

كانت سالاندر منكبة على المقالات الواردة في الصحف عاماً بعد عام وقد اتبعت المضي بها وفقاً للترتيب الزمني. بدأت من العام 1949 وتابعت التقدم سنة تلو أخرى. كان الأرشيف ضخماً جداً. وكان يتم ذكر الشركة في الإعلام على نحو يومي تقريباً خلال تلك الفترة، ولا يقتصر ذلك على الإعلام المحلي بل يتخطاه إلى وسائل إعلام عالمية. كانت هناك ملفات تتعلق بالتحليلات المالية، والمفاوضات في اتحاد التجارة، والتهديدات بالإضراب عن العمل، وأحداث افتتاح المصانع وإقفالها، والتقارير السنوية، والتغييرات الطارئة على المدراء، وإطلاق منتجات جديدة... وإلى ما هنالك. كان هناك فيض من المعلومات. وكان دماغها أشبه بآلة تعمل بسرعة قياسية وهي تركز على المعلومات الواردة على الصفحات الآخذة بالاصفرار.

بعد مرور عدة ساعات، خطرت لها فكرة ما. سألت مديرة قسم الأرشيف ما إذا كان هناك جدول أو رسم بياني يظهر الأمكنة التي كانت تتواجد فيها شركات مؤسسة «فانغر» ومصانعها خلال الخمسينيات والستينيات.

نظرت بوديل ليندغرين إلى سالاندر ببرود واضح. لم تكن سعيدة

فقط بمنح تلك الغريبة تماماً حق دخول عرين أرشيف الشركة والاطلاع على أسرارها، ولا باضطرارها السماح لها بالبحث في ما يحلو لها من ملفات. أضف إلى أن الفتاة كانت تبدو مجرد شخص فوضوي في الخامسة عشرة من عمره، معوّق عقلياً. إلا أن السيد فرود قد زودها بتعليمات واضحة لا تقبل التأويل. كان بإمكان هذه الفتاة البلهاء أن تبحث بحرية في كل ما يحلو لها. وكانت ملحّة تطلب الأمور على عجل. أحضرت التقارير السنوية المطبوعة للسنوات التي أرادت سالاندر الاطلاع على الملفات الخاصة بها. كل تقرير كان يحتوي على جدول يبين أقسام الشركة في كافة أنحاء السويد.

ألقت سالاندر نظرة على الجداول المعروضة أمامها فلاحظت أن للمؤسسة مصانع ومكاتب وأسواق تصريف كثيرة. في كل موقع ارتكبت فيه جريمة كانت توجد إشارة حمراء وأحياناً أكثر تدل على مؤسسة «فانغر».

وجدت الرابط الأول عام 1957. راكيل لاند من لاندسكرونا وجدت ميتة بعد يوم واحد من فوز «شركة V&C للبناء» بمناقصة تبلغ قيمتها بضعة ملايين من الكورونات من أجل تشييد أحد الغاليريات في المدينة. V كانت تعني «فانغر» أما حرف C فكان اختصاراً لكلمة «كارلن»، أي شركة «كارلن» للبناء. كانت الصحيفة المحلية قد أجرت مقابلة مع غوتفريد فانغر الذي قدم إلى المدينة لتوقيع العقد.

تذكرت سالاندر أمراً قرأته في محاضر الشرطة الموجودة في سجلات المقاطعة في لاندسكرونا. راكيل لاند التي كانت تمتهن تنظيف المكاتب كانت تعمل كعرّافة في أوقات فراغها. وكانت تعمل لحساب «شركة V&C للبناء».

عند الساعة السابعة مساءً اتصل بلومفيست بسالاندر عشرات المرات إلا أن هاتفها النقال كان مغلقاً دائماً. لم تكن تشاء أن يزعجها أحد.

أخذ يذرع أرض المنزل ينتابه شعور بالقلق العميق. وعاد ينبش الملاحظات التي دوّنها فانغر حول نشاطات مارتن أثناء الفترة التي اختفت فيها هاريت.

كان مارتن يتابع السنة الدراسية الأخيرة له في المرحلة الإعدادية في أوبسالا في العام 1966. *لينا أندرسن شابة في السابعة عشرة من عمرها، طالبة في المدرسة الإعدادية، رأسها مفصول عن جسدها.*

كان فانغر قد ذكر هذه العبارة في ملاحظاته في مكان ما لكن على بلومفيست أن يعود إلى الملاحظات التي دوّنها بنفسه كي يعثر على الفقرة التي ترد فيها الجملة. مارتن كان ولداً يتصف بالانطواء على الذات. وكانوا يشعرون بالقلق حياله. بعد حادثة غرق والده قررت إيزابيلا إرساله إلى أوبسالا كنوع من التغيير حيث أعطي غرفة وإقامة مع هارالد فانغر. *هارالد ومارتن؟* بالكاد يبدو الأمر منطقياً.

لم يكن مارتن في السيارة التي تقل هارالد إلى الاجتماع العائلي في هيدستاد، وقد فوّت موعد القطار. وصل في وقت متأخر من بعد ظهر ذلك اليوم وكان بالتالي في عداد الأشخاص العالقين على الجهة الأخرى من الجسر. ولم يصل إلى الجزيرة إلا بواسطة مركب حيث كانت الساعة قد تجاوزت السادسة مساءً تقريباً. استقبله فانغر نفسه إضافة إلى آخرين. وكان هنريك قد وضع اسم مارتن في آخر لائحة الأشخاص الذين لهم أدنى علاقة في حادثة اختفاء هاريت.

قال مارتن إنه لم يرَ هاريت في ذلك اليوم. لقد كان يكذب. لقد وصل إلى هيدستاد في وقت أبكر ذلك اليوم وكان في حديقة جارنفاغسغاتان بمواجهة أخته مباشرة. يمكن لبلومفيست إثبات زيف ادعائه بواسطة الصور التي كانت مدفونة لما يزيد على أربعين عاماً.

هاريت فانغر رأت أخاها وأصيبت بالصدمة لذلك. وقد خرجت إلى جزيرة هيدبي وحاولت التحدث إلى هنريك لكنها كانت قد اختفت قبل أن تتمكن من إجراء أي حديث مع أحد. *ما الذي كنت تفكرين في إخباره*

به؟ عن حادثة أوبسالا؟ لكن لينا أندرسن التي من أوبسالا لم تكن واردة ضمن الأسماء الموجودة على اللائحة. ما كان يمكن لك أن تعرفي بقصتها.

كانت أحداث القصة لا تزال غير منطقية بالنسبة لبلومفيست. هارييت قد اختفت عند الساعة الثالثة تقريباً من بعد الظهر، ومارتن كان بما لا يقبل الشك على الجهة الأخرى من الجسر في ذلك الوقت. يمكن ملاحظة وجوده في الصورة التي التقطت من على التل حيث الكنيسة. لا تزال إحدى قطع الأحجية مفقودة. *هل كان هناك من شريك مساعد على تنفيذ الجريمة؟ أهي آنيتا فانغر؟*

لاحظت سالاندر، بناءً على المعلومات الواردة في ملفات الأرشيف، أن منصب غوتفريد فانغر قد تبدّل كثيراً على مدى سنوات عمله ضمن إطار المؤسسة. ففي العام 1947 وبعمر العشرين كان قد التقى إيزابيلا التي سرعان ما أصبحت حاملاً منه. ولد مارتن فانغر في العام 1948. ولم يكن هناك من مفر إثر ولادته من أن يتزوج الثنائي. حين بلغ غوتفريد الثانية والعشرين من عمره، تم استدعاؤه إلى مكاتب الفرع الرئيسي لمؤسسة «فانغر» من قبل هنريك فانغر نفسه. من الواضح أنه كان موهوباً وكفؤاً ولعلهم كانوا يعدّونه لأن يتسلّم إدارة المؤسسة. تمت ترقيته إلى احتلال مقعد في مجلس إدارة الشركة بعمر الخامسة والعشرين، برتبة مساعد رئيس قسم التطوير. كان نجماً صاعداً من دون شك.

إلا أنه في مرحلة ما من أواسط الخمسينيات بدأ نجمه يخبو بسرعة. *أخذ يشرب الكحول. كان زواجه من إيزابيلا على حافة الانهيار. أما الولدان مارتن وهارييت فلم يكونا يليان حسناً. إلى أن قام هنريك بوضع حدٍّ له.* كانت مسيرة غوتفريد المهنية قد وصلت إلى الذروة. ففي العام 1956 حصل تعيين آخر، حيث استقدم مساعد إضافي لرئيس قسم التطوير في الشركة. وأصبح هناك مساعدان للرئيس: أحدهما يقوم بالعمل بينما يكون غوتفريد ثملاً ومتغيباً عن مكاتب الشركة لفترات طويلة.

إلا أن غوتفريد كان لا يزال واحداً من أفراد عائلة «فانغر» إضافة إلى أنه كان يتمتع بشخصية ساحرة وبطلاقة لسان قلّ نظيرها. بدءاً من العام 1957، بدا أن نطاق عمله قد اشتمل على التجوال في مختلف أنحاء البلاد من أجل افتتاح مصانع جديدة للشركة، والقيام بحل النزاعات الداخلية ضمن المؤسسة، والعمل على نشر انطباع عام يصور إدارة الشركة على أنها تهتم فعلاً لأمر موظفيها. *إننا نرسل أحد أبنائنا ليستمع إلى مشاكلكم. وإننا نأخذكم على محمل الجدّ.*

وجدت سالاندر رابطاً آخر. كان غوتفريد فانغر قد شارك في المفاوضات التي جرت في كارلستاد حيث قامت مؤسسة «فانغر» بشراء شركة لتصنيع الأخشاب. في اليوم الذي تلا عملية الشراء وُجدت ماغدا لوفيسا سيوبرغ، زوجة الفلاح مقتولةً.

ما لبثت سالاندر أن عثرت على الرابط الثالث بعد خمس عشرة دقيقة فقط. في اليوم ذاته من حادثة اختفاء ليا بيرسون، قامت إحدى الصحف المحلية بإجراء مقابلة مع غوتفريد فانغر حول توسع محتمل للشركة على الميناء.

عندما أرادت السيدة ليندغرين إقفال المكتب والعودة إلى المنزل عند الساعة الخامسة والنصف، أبلغتها سالاندر بنبرة قاسية أنه لا يزال أمامها بعد وقت طويل قبل الانتهاء من العمل على ما بين يديها. وأنه يسعها الرحيل إلى المنزل شرط أن تترك المفتاح مع سالاندر التي ستقوم بإقفال المكتب بنفسها عندما تنتهي من العمل. إلا أن مديرة قسم الأرشيف كانت قد بلغت أقصى غضبها في تلك الأثناء ولن تسمح لفتاة مثل هذه أن تملي عليها ما يجب أن تفعل. فسارعت إلى الاتصال بالسيد فرود مشتكية، ولكنه أبلغها أنه يمكن لسالاندر المكوث الليل بطوله إن رغبت. وطلب إلى السيدة ليندغرين أن تتكرم وتعلم الحراس بأن يسمحوا لسالاندر بالخروج من المكتب ساعة تشاء.

بعد مضي ثلاث ساعات تقريباً ومع حلول الثامنة والنصف مساءً

كانت سالاندر قد توصلت إلى نظرية مفادها أن غوتفريد فانغر كان في محيط حدوث خمس جرائم من أصل ثمانية، إما قبل يوم أو بعد يوم من حصول حدث ضخم. كانت لا تزال تنقصها معلومات تتعلق بالجريمتين اللتين وقعتا عامَيْ 1949 و 1954. أخذت تتمعن في إحدى الصور الفوتوغرافية الملتقطة له. كان رجلاً نحيلاً أنيقاً ذا شعر أشقر غامق اللون. كان شبيهاً بالممثل كلارك غيبل في فيلم Gone with the Wind، «ذهب مع الرّيح».

في العام 1949، كان غوتفريد في العشرين من عمره. وكانت الجريمة الأولى قد حصلت في نطاق مكان إقامته في هيدستاد. والضحية كانت ريبيكا جاكوبسون التي كانت تعمل في تنظيف مكاتب المؤسسة. أين التقى أحدكما الآخر؟ بماذا وعدتها؟

عضت سالاندر شفتها السفلى. المشكلة أن غوتفريد قد مات في العام 1965 غرقاً وهو بحالة ثمل تام، في حين أن الجريمة الأخيرة قد وقعت في فبراير من العام 1966 في منطقة أوبسالا. وتساءلت ما إن كانت قد أخطأت في حين أضافت اسم «لينا أندرسن» ذات السبعة عشر عاماً إلى اللائحة. كلا، لعل الجريمة لا تحمل التوقيع ذاته، لكنها المحاكاة ذاتها للإنجيل. لا بدّ أن هناك علاقة ما.

كان الظلام قد حلّ تماماً عند الساعة التاسعة. كان الهواء بارداً وكانت تمطر رذاذاً. كان ميكائيل جالساً يضرب بأصابعه على الطاولة حين اجتازت سيارة الفولفو الخاصة بمارتن فانغر الطريق وانعطفت نحو المنطقة التي يريد الذهاب إليها. فكانت تلك النقطة التي أوصلت الأمور إلى حدّها.

ما كان يعلم ما الذي ينبغي له فعله. كان كيانه كله يلتهب برغبة طرح عدد لا ينتهي من الأسئلة، أي سؤال لبدء المواجهة بينهما. إن كان بالفعل يشتبه في أن مارتن فانغر هو القاتل المجنون الذي يتعقبه وأنه فعلاً

الشخص الذي قتل أخته وتلك الفتاة في أوبسالا، ومن كاد ينجح تقريباً بالتخلص منه، لم يكن ذلك بالتأكيد سلوكاً منطقياً. لكن مارتن كان كالمغنطيس الذي يجذبه. لم يكن هناك من داعٍ لأن يعلم بأن بلومفيست على علم بأي شيء، ويمكن له الذهاب لرؤيته بحجة أنه حسناً... يريد إعادة مفاتيح كوخ غوتفريد إليه.

أقفل بلومفيست باب المنزل خلفه متجهاً إلى هدفه.

كان منزل هارالد فانغر معتماً كالعادة. في منزل هنريك كانت جميع الأنوار مطفأة عدا ضوء الغرفة المواجهة للحديقة الخلفية. كانت آنا قد أوت إلى الفراش. منزل إيزابيلا كان معتماً أيضاً وسيسيليا لم تكن في البيت. الأنوار كانت مضاءة في الطابق العلوي لمنزل ألكسندر لكنها كانت مطفأة في المنزلين حيث يقيم أشخاص لا ينتمون لعائلة «فانغر». لم يرَ كائناً بشرياً واحداً طوال الطريق.

وقف متردداً خارج منزل مارتن فانغر وأخرج هاتفه الخلوي من جيبه وضغط أزرار رقم سالاندر. لم يلقَ أي ردّ. ثم عاد وأطفأه كي لا يرن ويصدر صوتاً.

رأى الأضواء في الطابق السفلي للمنزل. مشى بلومفيست عبر الممر الضيق وتوقف على بعد عدة ياردات من نافذة المطبخ لكنه لم يرَ أحداً. تابع جولته حول المنزل متوقفاً عند كل نافذة، لكنه لم يلمح أي أثر لمارتن إلا أنه اكتشف أن الباب الجانبي للمرآب كان مفتوحاً قليلاً. *لا تكن أحمقاً*، قال في نفسه. لكنه لم يستطع مقاومة الرغبة في أن يرى ماذا يوجد في الداخل.

أول ما رآه على المقعد الخشبي كان صندوقاً مفتوحاً يحتوي على ذخيرة بندقية. ثم رأى علبتين مليئتين بالوقود على الأرض تحت المقعد. *هل تستعد للقيام بزيارة ليلية ثانية يا مارتن؟*

«أدخل ميكائيل، لقد رأيتك على الطريق.»

كاد قلب بلومفيست يتوقف عن الخفقان، إلا أنه أدار رأسه على مهل

ورأى مارتن فانغر يقف في الظلام بالقرب من الباب المؤدي إلى داخل المنزل.

«لم تستطع البقاء بعيداً ببساطة، أليس كذلك؟»

أتى صوت بلومفيست هادئاً أو بالكاد ودوداً وهو يقول: «مرحباً، مارتن.»

كرر مارتن القول: «ادخل، من هنا.»

تقدم خطوة إلى الأمام ثم مال جانباً يمدّ يده اليسرى في إشارة مرحبة. وقد رفع يده اليمنى إلى الأعلى بحيث تمكن بلومفيست من رؤية انعكاس الأداة الحديدية التي يحملها.

«أحمل مسدساً من نوع 'غلوك' في يدي، لذا لا تقم بأي عمل أحمق. لا يمكن أن أخطئ في التصويب عليك من هذه المسافة.»

اقترب منه بلومفيست على مهل. وحين وصل بجانب مارتن وقف ونظر في عينيه وقال: «كان عليّ المجيء إلى هنا. لديّ الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى إجابات.»

«فهمت. ادخل من هذا الباب.»

دخل بلومفيست المنزل فقاده الممر إلى غرفة صغيرة بجانب المطبخ. لكن وقبل الوصول إلى تلك المرحلة، أوقفه مارتن فانغر وهو يضع إحدى يديه فوق كتفه وقال: «كلا، ليس من هنا، بل إلى اليمين. افتح الباب.»

إنه الطابق السفلي. عندما كان بلومفيست في منتصف الطريق، ضغط مارتن بعض الأزرار فاشتعلت الأنوار. إلى يمينه كانت غرفة البخار. كان يمكن لبلومفيست أن يشم رائحة الغسيل أمامه. قاده مارتن يساراً إلى غرفة التخزين حيث قطع الأثاث القديمة والصناديق، والتي يوجد في مؤخرتها باب سري من الحديد مع قفل أمني محكم.

مدّ مارتن يده إليه حاملاً رزمة من المفاتيح وقال له: «هيا، افتحه.»

فتح بلومفيست الباب.

«زر الإضاءة موجود إلى اليسار.»

بهذا يكون بلومفيست قد فتح الباب على الجحيم.

حوالى الساعة التاسعة مساءً ذهبت سالاندر لتناول فنجان قهوة وسندويش تحصل عليهما من آلة موجودة في الرواق خارج مكتب الأرشيف تعمل عند إدخال القطع النقدية فيها. ظلت تتصفح الملفات القديمة تبحث عن أثر لغوتفريد فانغر في كالامار عام 1954. إلا أنها لم تجد شيئاً على الإطلاق.

فكرت في الاتصال ببلومفيست لكنها قررت البحث بين أوراق النشرات التي تعود لمجموعة الموظفين قبل أن يطلع النهار.

كانت مساحة المكان تقيس عشرة أقدام عرضاً وخمسة عشر قدماً طولاً. افترض بلومفيست أنها غرفة تقع على طول الجانب الشمالي للمنزل. كان مارتن فانغر قد خطط بعناية تامة تفاصيل غرفة التعذيب الخاصة به. فإلى اليسار كانت توجد السلاسل المعدنية، وثقوب معدنية في الأرض والسقف وطاولة مع أحزمة جلدية حيث يستطيع تقييد ضحاياه. كما كانت هناك معدات الفيديو واستديو تسجيل. وفي مؤخرة الغرفة كان قفص حديدي للضيوف. إلى يمين الباب كان هناك مقعد وسرير وجهاز تلفزيون في الزاوية والعديد من أشرطة الفيديو على الرف القريب.

ما إن دخلا الغرفة حتى وجّه مارتن فانغر المسدس إلى بلومفيست وأبلغه أن ينام على بطنه أرضاً. لكن بلومفيست رفض الانصياع.

قال له مارتن: «حسناً، سأصوب رصاصة إذاً إلى عظمة ركبتك.»

صوب المسدس. فأذعن بلومفيست مدركاً أن لا خيار أمامه.

كان يأمل أن يخفف مارتن من شدة مراقبته له ولو لعشر من الثانية فقط. كان يعلم أنه سيغلبه في أي نوع من العراك. لقد حظي بشبه فرصة في الممر في الطابق العلوي حين وضع مارتن يده على كتفه إلا أنه تردد.

لم يقترب منه مارتن بعد ذلك مطلقاً. إن أصيب برصاصة في ركبته فسوف يخسر فرصته تماماً. استلقى على الأرض.

اقترب منه مارتن من الخلف وأمره أن يضع يديه وراء ظهره. وقام بتقييده. ثم ركل بلومفيست على المنفرج بين رجليه وأخذ يسدد إليه لكمات شرسة متكررة.

بدت الأحداث التي حصلت بعد ذلك أشبه بالكابوس. أخذ مارتن يتأرجح بين العقلانية والجنون المطبق، كان يبدو للحظة هادئاً ثمّ يثور في اللحظة التالية ويذرع الغرفة ذهاباً وإياباً كالحيوان الهائج داخل قضبان القفص. وقد سدد عدداً من الركلات إلى بلومفيست الذي لم يكن أمامه سوى أن يقوم بحماية رأسه وتلقي الضربات بجسده.

مرت نصف الساعة الأولى قبل أن يتفوه مارتن بكلمة واحدة حيث بدا عاجزاً عن التواصل تماماً. لكنه بدا مسيطراً على الأمور في ما بعد. وضع سلسلة حول عنق بلومفيست وربطها إلى قفل موجود في ثقب في الأرض تبرز منه حلقة معدنية نصف دائرية. وترك بلومفيست وحيداً لما يقارب خمس عشرة دقيقة. كان يحمل ليتراً من المياه عند عودته. جلس على الكرسي وأخذ ينظر إلى بلومفيست ويشرب.

سأله بلومفيست: «هل لي بالحصول على بعض الماء؟»

انحنى مارتن فوقه وسمح له بتناول جرعة كبيرة من المياه التي ابتلعها بنهم.

«شكراً لك.»

«لا تزال تتصرف بتهذيب تام 'بلومفيست الخارق'.»

سأله بلومفيست مجدداً: «لماذا كل هذا الركل واللكم؟»

«لأنك تغضبني حقاً وتستحق العقاب. لماذا لم تعد إلى ديارك وحسب؟ هم بحاجة إليك في مجلة 'ميلينيوم'. كنت جاداً حين قلت لك إننا كنا نستطيع أن نجعل منها مجلة عظيمة. كان بإمكاننا العمل معاً لسنوات.»

قطب بلومفيست جبينه وحاول اتخاذ وضعية أكثر راحة. كان عاجزاً عن القيام بأي دفاع عن النفس ولم يكن يملك سوى صوته.

قال له: «أفترض من كلامك أن الفرصة قد فاتت.»

أطلق مارتن فانغر ضحكة مدوية.

«آسف يا ميكائيل، ولكنك تدرك بالطبع كيف أنك ستموت هنا.»

أومأ بلومفيست له.

«كيف عثرتما عليّ بحق السماء أنت وتلك النحيلة المصابة بمرض فقدان الشهية التي أقحمتها في القضية؟»

«لقد كذبت بشأن المكان الذي كنت تتواجد فيه يوم اختفاء هارييت. لقد كنت في هيدستاد تتابع استعراض مهرجان عيد الطفل. لقد التقطت صورة لك هناك، وأنت تنظر إلى هارييت.»

«ألهذا السبب ذهبت إلى نورسجو؟»

«للحصول على الصورة أجل. وقد التقطها ثنائي صُودف أنه كان يمضي فترة شهر العسل هنا في هيدستاد.»

هز مارتن رأسه وقال: «إن هذه لكذبة.»

أخذ بلومفيست يشحذ تفكيره: ما الذي عساه يقوله كي يؤجل عملية إعدامه؟

«وأين هي الصورة الآن؟»

كذب عليه بسهولة قائلاً: «تعني النيغاتيف؟ إنه في صندوق للأمانات محفوظ في مصرف 'هاندلسبانكن' هنا في هيدستاد... لم تكن تعلم أن لدي صندوقاً للأمانات، أليس كذلك؟ وهناك نسخ من هذه الصورة في عدة أماكن. في جهاز الكومبيوتر الخاص بي وبالفتاة. وفي الشبكة الأم لكل من مجلة 'ميلينيوم' وشركة 'ميلتون' للأمن حيث تعمل.»

انتظر مارتن قليلاً محاولاً أن يعرف ما إذا كان بلومفيست يخدعه أو لا.

«ما مدى عمق المعلومات التي تعرفها الفتاة؟»

تردد بلومفيست قليلاً قبل أن يجيب. فسالاندر كانت تمثل له الآن الأمل الوحيد بالخلاص. ما الذي عساها تفكر فيه حين تعود إلى المنزل ولا تجده هناك؟ لقد وضع الصورة التي يظهر فيها مارتن فانغر مرتدياً السترة ذات الرقعتين الحمراوين على طاولة المطبخ. فهل تقوم بربط الأمور بعضها ببعض؟ هل ستدق جرس الإنذار؟ *لن تقوم بالاتصال بالشرطة.* الكابوس الأسوأ سيكون أن تأتي إلى منزل مارتن وتطرق بابه مطالبة بمعرفة مكان بلومفيست.

أمره مارتن بنبرة جليدية: «أجبني.»

«إني أفكر. إنها تعرف بقدر ما أعرف تقريباً بل أكثر بقليل ربما. أجل، أراهن أنها تعرف أكثر مما أعرف أنا شخصياً. إنها حادّة الذكاء. هي من ربطت اسمك بقضية 'لينا أندرسن'.»

أجاب مارتن مذهولاً: «لينا أندرسن!»

«الفتاة التي عذبتها وقتلتها في أوبسالا في العام 1966. لا تقل لي إنك نسيت.»

بدا للمرة الأولى خائفاً، فقال: «لا أعلم ما الذي تتكلم عنه.»

كانت تلك المرة الأولى أيضاً التي يقوم فيها أحدهم بربط الأحداث على هذا النحو، إذ إن لينا أندرسن لم تكن واردة ضمن دفتر مذكرات هارييت.

قال بلومفيست محاولاً أن تبدو نبرته واثقة قدر المستطاع: «اسمع يا مارتن، يمكنك أن تقتلني الآن، لكن الموضوع انتهى، الكثيرون على علم بأمرك.»

عاد مارتن يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً.

عليّ أن أتذكر أنه ليس عاقلاً تماماً. الهرة. كان يمكن له أن يجلب الهرة إلى هنا، لكنه ذهب بها إلى سرداب العائلة.

توقف مارتن عن الدوران، وقال: «أعتقد أنك تكذب. أنت وسالاندر الوحيدان العارفان بالأمر. من الواضح أنك لم تتحدث إلى أحد

بعد، وإلا لكانت الشرطة هنا الآن. يكفي حريق يأتي على الكوخ الصغير بأن يطمس أي دليل.»

«ماذا لو كنت مخطئاً؟»

«إن كنت مخطئاً فعلاً، فإن الأمر لم يته بعد حقاً. لكني لا أظن أني مخطئ. أراهن أنك مخادع تكذب عليّ. ما الخيارات الأخرى المتوفرة أمامي مع ذلك. سأفكر في الأمر قليلاً. إنها السافلة الصغيرة المصابة بمرض فقدان الشهية التي تشكل الحلقة الأضعف.»

«لقد ذهبت إلى ستوكهولم لتناول الغداء.»

دوى ضحك مارتن الذي أجاب: «كفّ عن الخداع ميكائيل، لقد أمضت طوال فترة المساء في مكاتب أرشيف مؤسسة 'فانغر'.»

كاد قلب بلومفيست يتوقف عن الخفقان. *لقد علم، إنه يعلم بكل شيء منذ البداية.*

قال بلومفيست: «هذا صحيح، لقد خططنا لأن تزور قسم الأرشيف قبل أن تذهب إلى ستوكهولم. لم أكن أعلم أنها مكثت طوال ذلك الوقت في مكاتب المؤسسة.»

«توقف عن الكذب وقول التفاهات يا ميكائيل، اتصلت بي مديرة قسم الأرشيف لتبلغني أن ديرك قد سمح للفتاة البقاء حتى وقت متأخر كما يحلو لها. مما يعني أنها ستكون الآن في المنزل حتماً، سيتصل بي المراقب الليلي حالما ترحل.»

الجزء الرابع

الاستيلاء العدواني

11 يوليو حتى 30 ديسمبر

92% من النساء اللواتي تعرضن للاعتداء الجنسي
لم يبلغن الشرطة عن آخر حادثة حصلت لهن.

الفصل الرابع والعشرون

الجمعة، 11 يوليو - السبت، 12 يوليو

انحنى مارتن فانغر فوق ميكائيل وأخذ يفتش جيوبه وأخذ منه المفتاح.

وقال له: «كان من الذكاء أن تقوم بتغيير أقفال الأبواب، سأهتم بعشيقتك عند عودتها.»

تذكر بلومفيست أن مارتن مفاوض متمرس ذو خبرة اكتسبها من العراق في مجال الصناعة. وقد سبق له أن لاحظ كذبته.

«لماذا؟»

«لماذا ماذا؟»

أشار بلومفيست إلى ما حوله بغموض وسأله: «لماذا كل هذا؟»

انحنى مارتن مجدداً ووضع يده تحت ذقن بلومفيست ورفع له وجهه حتى تلاقت نظراتهما، وقال له: «لأن ذلك سهل جداً. النساء تختفي طوال الوقت وما من أحد يفتقدهن. جميع أصناف النساء، من مهاجرات وعاهرات من روسيا وآلاف الناس الذين يدخلون السويد كل عام.»

ترك رأس بلومفيست ووقف في مكانه. كان وقع كلماته كالصفعة في الوجه.

يا إله السموات. ليس هذا لغزاً تاريخياً. مارتن فانغر لا يزال يقتل النساء حتى اليوم. وما أنا أجول مباشرة في قلب...

«من قبيل المصادفة أن لا ضيفة لدي في الوقت الحاضر. لكن قد

يهمّك أن تعرف أنه بينما كنتما تثرثران كالحمقاوين أنت وهنريك طوال فترتي الشتاء والربيع كنت أحتجز فتاة هنا، تدعى إيرينا من بيلاروسيا. وفيما كنت تتناول العشاء بضيافتي كانت هي محتجزة في قفص هنا. كانت أمسية ممتعة على ما أتذكر، أليس كذلك؟»

جلس مارتن على الطاولة تاركاً رجليه يتأرجحان في الهواء. أما بلومفيست فأغمض عينيه وقد شعر فجأة بسكين في حلقه وكان يبتلع ريقه بصعوبة. بدا الألم في معدته وأضلاعه آخذاً في التفاقم.

«وماذا تفعل بالجثث؟»

«لدي مركب يرسو في حوض السفن بالأسفل. آخذ الجثث إلى أعماق البحر. أنا، وخلافاً لأبي، لا أخلف آثاراً ورائي. لكنه كان ذكياً أيضاً. لقد وزّع ضحاياه على كافة أنحاء السويد.»

بدأت قطع الأحجية تتخذ مكانها الصحيح.

غوتفريد فانغر، من العام 1949 حتى العام 1965. ومن ثم مارتن فانغر بدءاً بأول جريمة له في أوبسالا.

«أنت معجب بوالدك.»

«لقد كان هو من علّمني. لقنني المبادئ حين كنت في الرابعة عشرة من عمري.»

«أي حين ارتكبت جريمة 'أوديفالا'، وقتلت الضحية ليا بيرسون.»

«ألست شخصاً ذكياً؟ بلى أنت كذلك. أجل، كنت هناك، لقد راقبت فقط لكني كنت موجوداً هناك فعلاً.»

«وسارة ويت عام 1964 في رونباي.»

«كنت في السادسة عشرة حينئذ، وكانت المرة الأولى لي مع امرأة. كان أبي من علمني. وكنت أنا من قمت بخنقها.»

إنه يتباهى بنفسه. يا إلهي كم أنها عائلة مقززة.

«لا يسعك أن تتصور كم يدل هذا العمل على خبول.»

«أنت لست سوى إنسان عادي تافه يا ميكائيل. لن تتمكن من فهم الإحساس السلطوي الذي يمكن أن تتمتع به حين تتمتع بالقدرة المطلقة على التحكم بحياة الإنسان أو موته.»

«أنت تستمتع بتعذيب النساء وقتلهن يا مارتن.»

«لا أظن أن هذا ما هو الأمر عليه فعلاً. إن أجريت تحليلاً فكرياً لحالتي ستجد أني مغتصب متسلسل أكثر مني قاتل متسلسل. أظن أنه ينطبق عليّ في الواقع وصف الخاطف المتسلسل. أما القتل فليس سوى نتيجة طبيعية حتمية للأمور، إذ عليّ أن أخفي جريمتي. أفعالي ليست مقبولة اجتماعياً طبعاً، إلا أن جريمتي أولاً وأخيراً تنافي أعراف المجتمع. لا يأتي الموت إلا مع نهاية زيارة الضيفات إلى هذا المكان وبعد أن أشعر بالسأم منهن. من المذهل دائماً أن ترى خيبة أملهن.»

«خيبة أملهن؟»

«تحديداً، خيبة *أملهن*. يتصورن أنهن إذا قمن بإرضائي سأتركهن على قيد الحياة. ويخضعن بالتالي لقوانيني. يبدأن بالثقة حتى إنهن يطوِّرن نوعاً من الصداقة الحميمة معي أملاً منهن أنها قد تعني لي شيئاً أو أنها قد تؤدي إلى مكان ما. أما خيبة الأمل فتحل حين يدركن في نهاية المطاف أنه تم استغلالهن وحسب.»

مشى مارتن حول الطاولة واستند إلى القفص الحديدي وقال: «إنك كرجل حامل كل أعرافك البرجوازية لن تستوعب ما أقول إطلاقاً، لكن الإثارة تأتي من التخطيط لعملية الخطف. إذ إنها لا تتم تلقائياً من دون سابق تصميم، ذلك النوع من الخاطفين غالباً ما يتم القبض عليهم. إنه علم ينطوي على آلاف التفاصيل التي يفترض بي التفكير فيها جيداً. عليّ أن أتعرف إلى الفريسة وأستطلع تفاصيل حياتها، من هي ومن أين تأتي وكيف يمكنني الاتصال بها وما الذي يفترض بي فعله لأكون وحدي مع الفريسة من دون الإفصاح عن اسمي أو الكشف عنه في أي من تحقيقات الشرطة التي تجري لاحقاً.»

فكر بلومفيست في نفسه يقول *اخرس بحق السماء لو تخرس.*

«هل أنت مهتم فعلاً بكل ما أقول يا ميكائيل؟»

انحنى فوقه وأخذ يربت على وجنته. كادت لمسته تكون رقيقة.

«أنت تدرك أنه لا يمكن للأمور إلا أن تنتهي بهذه الطريقة، أليس كذلك؟ هل يزعجك أن أدخن سيجارة؟»

أجابه: «حتى إنه يمكنك أن تقدم لي واحدة.»

أشعل مارتن سيجارتين ووضع إحداهما بعناية بين شفتي بلومفيست وسمح له بأن يأخذ سحبة عميقة.

قال له بلومفيست بشكل تلقائي: «شكراً لك.»

أطلق مارتن فانغر ضحكة مدوية أخرى.

«أرأيت، ها قد بدأت تتأقلم مع مبدأ الخضوع الذي أفرضه. أنا أحكم القبضة على حياتك بين يدي يا ميكائيل. أنت تعلم أني أستطيع إعدامك والتخلص منك في أي لحظة الآن. لقد تضرعت إلي كي أحسّن نوعية حياتك وقد فعلت ذلك باللجوء إلى المنطق والقليل من حسن التصرف. وقد كوفئت على ذلك.»

أومأ له بلومفيست ودقات قلبه تتسارع وتضج في مسمعه حتى كادت لا تطاق.

عند الساعة الحادية عشرة والربع شربت ليزبث سالاندر ما تبقى من مياه في قنينة الـPET بينما تقلّب الصفحات التي بين يديها. خلافاً لبلومفيست الذي كاد يختنق بالقهوة في وقت سابق من اليوم ابتلعت رشفة المياه بشكل طبيعي وهي تقيم رابطاً آخر إلا أن عينيها اتسعتا بشدة!

لقد وجدتها!

لم تحرز على مدى ساعتين إلاّ تقدماً بطيئاً وهي تفتش بين أوراق النشرات الخاصة بهيئة الموظفين وتحيط بالمعلومات الواردة فيها من كافة

النواحي. النشرة الأساسية كانت تختص بالمعلومات حول الشركة. وكانت تحتوي على شعار شركة «فانغر» وهو عبارة عن راية تلوحها الريح حيث نقطة حرف الفاء تشكل سهماً متجهاً للأعلى. من المفترض أن قطاع الإعلانات في الشركة هو من وضع مثل هذه النشرة المليئة بالمعلومات التي من شأنها أن تجعل الموظفين يشعرون بأنهم أفراد عائلة كبيرة واحدة. بحلول موسم عطلات الرياضات الشتوية من فبراير في العام 1967، قام هنريك فانغر بمبادرة تنم عن كرم بدعوة خمسين موظفاً من الشركة الأم وعائلاتهم لتمضية عطلة نهاية الأسبوع في التزلج في هارجيدالن. كانت الشركة قد حققت أرباحاً عالية السنة السابقة. وكان قسم العلاقات العامة حاضراً كذلك ووضع تقريراً بالصور.

كانت العديد من الصور المذيّلة بعبارات ظريفة قد التقطت من فوق المنحدرات. بعضها كان يظهر المجموعات الموجودة في الحانة حيث الموظفين يتبادلون أنخاب الجعة تعلو وجوههم الضحكات. كانت هناك صورتان فقط لأحد الاجتماعات الصباحية التي تخللها إعلان هنريك فانغر «أولللا بريت مورغن» أفضل موظفة للعام، وتم منحها علاوة بقيمة خمسة آلاف كورون ومزهرية زجاجية.

أقيم حفل الإعلان على إحدى شرفات الفندق في وقت من الواضح أنه يسبق التفكير في العودة إلى منحدرات التزلج. عشرون شخصاً تقريباً كانوا يظهرون في الصورة.

عند أقصى اليمين خلف هنريك مباشرة يقف رجل ذو شعر أشقر طويل. كان يرتدي سترة قاتمة مبطنة تميزها رقعات على الكتفين. وبما أن الإعلان كان منشوراً بالأبيض والأسود لم يكن بالإمكان تحديد اللون تماماً لكن سالاندر كانت مستعدة لأن تراهن بحياتها على أن الرقعة على الكتفين كان حمراء اللون.

كانت الملاحظة المدونة أسفل الصورة توضح الارتباط... *إلى أقصى اليمين مارتن فانغر (19 عاماً) يتابع دراسته في اوبسالا. سبق ان*

تم التداول باسمه على أنه أحد الذين يتمتعون بمستقبل واعد في إدارة الشركة.

قالت سالاندر بصوت منخفض: «ها قد أمسكت بك.»

أطفأت نور المصباح الموجود على الطاولة وتركت التقارير مكدسة بعضها فوق بعض حيث هي... كعمل تسلي الساقطة ليندغرين بالقيام به غداً.

خرجت إلى موقف السيارات تعبر الباب الجانبي. ما إن أغلقته وراءها حتى تذكرت أنها وعدت المراقب الليلي بإبلاغه بساعة خروجها من المكتب. توقفت وأخذت تجول بناظريها فوق سيارات المرأب. كان مكتب المراقب عند الناحية الأخرى من المبنى مما يعني أنها كانت مضطرة من أجل أن تبلغه برحيلها القيام بدورة كاملة حول المبنى من جديد. لكنها عادت وقررت في النهاية، *أن لا تزعج كلب حراسة نائم.*

قبل أن تضع الخوذة على رأسها أدارت هاتفها الخلوي وحاولت الاتصال ببلومفيست إلا أنها أبلغت رسالة مفادها أنه لا يمكن الاتصال برقم المشترك المطلوب. ولاحظت أنه حاول أن يتصل بها ما لا يقل عن ثلاث عشرة مرة بين الساعة الثالثة والنصف من بعد الظهر والساعة التاسعة مساءً وأنها لم تتلق منه في الساعتين الأخيرتين أي اتصال.

حاولت سالاندر الاتصال به على رقم الكوخ لكنها لم تتلق أي إجابة كذلك. قطبت جبينها وأحكمت ربط حزام الكومبيوتر المحمول حولها ووضعت الخوذة على رأسها ثم أدارت محرك الدراجة النارية. لم تستغرق الرحلة من مكاتب الشركة الأم الكائنة عند مدخل منطقة هيدستاد الصناعية إلى جزيرة هيديبي أكثر من عشر دقائق. كان النور مضاءً في المطبخ.

نظرت سالاندر من حولها. الفكرة الأولى التي راودتها هي أن يكون بلومفيست قد ذهب لزيارة فرود، لكنها سبق أن لاحظت عند مرورها على الجسر أن المنزل القائم على الجهة الأخرى من المياه كان معتماً. نظرت إلى ساعة يدها، إنها الساعة الحادية عشرة وأربعين دقيقة. دخلت الكوخ

وفتحت خزانة الملابس. وتناولت جهازي الكومبيوتر المحمولين اللذين كانت تستعملهما لحفظ صور المراقبة من الكاميرات التي سبق أن قامت بتركيبها. استغرقها الأمر فترة قبل أن تطلع على مسار الأحداث.

عند الساعة الثالثة وثلاث وعشرين دقيقة، دخل بلومفيست الكوخ.

وعند الساعة الرابعة وثلاث دقائق تناول فنجان قهوته في الحديقة. كان يحمل ملفاً في يده ويقرأه. أجرى ثلاثة اتصالات قصيرة خلال الساعة التي أمضاها في الحديقة. كانت أوقات الاتصالات الثلاث تتطابق تماماً مع الاتصالات الواردة على سجل هاتفها التي لم ترد عليها.

عند الساعة الخامسة وإحدى وعشرين دقيقة، غادر بلومفيست الكوخ. وعاد بعد أقل من ربع ساعة.

عند الساعة السادسة وعشرين دقيقة ذهب إلى البوابة ونظر باتجاه الجسر.

عند الساعة التاسعة وثلاث دقائق خرج من المنزل ولم يعد.

اطّلعت سالاندر بسرعة على الصور المحفوظة على جهاز الكومبيوتر الآخر، التي تحفظ صور البوابة والطريق خارج الباب الأمامي. كان بإمكانها أن ترى السيارات التي مرت بالمكان خلال فترة النهار.

عند الساعة السابعة واثنتي عشرة دقيقة عاد نيلسون إلى المنزل.

وعند الساعة السابعة والدقيقة الثانية والأربعين مرت سيارة من نوع Saab تعود لشخص ما من أوسترغاردن متوجهة إلى هيدستاد.

وعند الساعة الثامنة ودقيقتين كانت السيارة ذاتها عائدة.

عند الساعة التاسعة تماماً مرت سيارة مارتن فانغر بالمكان. بعد مرور ثلاث دقائق تحديداً، غادر بلومفيست المنزل.

عند الساعة التاسعة وخمسين دقيقة ظهر فانغر على عدسة الكاميرا. وقف عند البوابة لأكثر من دقيقة ينظر إلى المنزل، ثم استرق النظر إلى الداخل عبر نافذة المطبخ. صعد إلى العتبة الأمامية وأخرج مفتاحاً من جيبه وحاول فتح الباب بواسطته. لا بدّ أنه اكتشف أنهم قد وضعوا أقفالاً

جديدة لأبواب المنزل. ظل واقفاً في مكانه لبرهة قبل أن يستدير على عقبيه ويغادر المنزل.

شعرت سالاندر بخوف ارتعدت له أوصالها.

عاد مارتن فانغر يترك بلومفيست وحيداً. وكان لا يزال على الوضعية غير المريحة ذاتها. إذ كانت يداه خلف ظهره وعنقه مربوط بالحلقة الرفيعة الناتئة من الأرض. حرك يديه داخل الأصفاد محاولاً التحرر لكنه كان يعلم أنه لن يستطيع ذلك. كانت الأصفاد محكمة بشدة بحيث شعر بالخدر في يديه.

لم تكن أمامه أيّ فرصة متوفرة للنجاة. أغمض عينيه بشدة.

لم يكن يعلم كم من الوقت قد مرّ حين سمع وقع خطوات مارتن مجدداً. ظهر أمام بلومفيست تغطي ملامحه مشاعر قلقة.

سأله: «هل تشعر بالانزعاج؟»

أجابه بلومفيست: «كثيراً.»

«ليس عليك سوى أن تلوم نفسك لهذا. كان عليك العودة إلى ستوكهولم.»

«لماذا تقتل يا مارتن؟»

«إنه خيار اتخذته. يمكنني مناقشة النواحي الفكرية والأخلاقية لما أقوم به، يسعنا التحدث الليل بطوله، لكن ذلك لن يغير شيئاً. حاول النظر إلى الموضوع من هذه الزاوية: الكائن البشري عبارة عن صدفة مصنوعة من الجلد لحماية الخلايا والدم والمركبات الكيميائية وإبقائها في مكانها. قليلون هم الذين ينتهي الأمر بهم في كتب التاريخ. معظم الناس يموتون ويختفون من دون أن يتركوا أي أثر.»

«لكنك تقتل النساء.»

«هؤلاء بيننا الذين يقتلون للمتعة، إذ إنني لست الوحيد الذي يتمتع بهذه الهواية، يعيشون حياة كاملة.»

«لكن لماذا هارييت؟ لماذا أختك؟»

انقض عليه مارتن عندئذ وشده من شعره.

«وما الذي حصل لها أيها السافل اللعين، هيا أخبرني.»

شهق بلومفيست يأخذ نفساً عميقاً ويسأل: «ما الذي تقصده؟»

حاول أن يدير رأسه كي يخفف من حدة الألم على فروة رأسه. إلا أن الشريط اشتد حول رقبته.

«ما الذي توصلتما إليه أنت وسالاندر؟»

«دعني بحق السماء، نحن نتحدث ليس إلا.»

رفع مارتن يده عن شعر بلومفيست وجلس قبالته وثنى ساقاً فوق أخرى. سحب سكيناً من جيب سترته وفتحه. وضع رأس السكين على الجلد مباشرة تحت عين بلومفيست الذي أجبر نفسه على النظر في عيني مارتن. «ما الذي حلّ بها على وجه التحديد أيها الحقير؟»

«لا أفهم ما الذي تقوله، اعتقدت أنك أنت من قتلها.»

حدق مارتن ببلومفيست لفترة طويلة. ومن ثم استرخى ونهض من مكانه وأخذ يذرع أرض الغرفة مستغرقاً في التفكير. رمى السكين على الأرض وانفجر ضاحكاً قبل أن يعود لمواجهة بلومفيست.

«هارييت، هارييت، دائماً هارييت. حاولنا... التحدث إليها. حاول غوتفريد تعليمها. ظننا أنها كانت واحدة منا وأنها ستقبل القيام بواجبها، لكنها لم تكن سوى أنثى... عادية. كنت قد سيطرت عليها أو بالأحرى ظننت أني فعلت، لكنها كانت تخطط لإخبار هنريك، فأدركت أني لا أستطيع أن أثق بها. فعاجلاً أو آجلاً كانت ستخبر أحدهم عني.»

«فقتلتها.»

«أردت أن أقتلها. وفكرت في الأمر، لكني وصلت متأخراً جداً. لم أتمكن من الوصول إلى الجزيرة في الوقت المحدد.»

كان دماغ بلومفيست يلاقي صعوبة في محاولة فهم هذه المعلومات، لكنه شعر أن رسالة ما ظهرت على شاشة دماغه تقول «حِمل زائد من

المعلومات». لم يكن مارتن فانغر يعرف ما الذي حلّ بأخته.

فجأة، سحب مارتن هاتفه الخلوي من جيبه ونظر إلى الشاشة ثم وضعه على الكرسي بجانب المسدس.

«حان الوقت للتوقف عن الحديث حول كل ذلك. سيكون عليّ أن أتخلص من عشيقتك الساقطة المصابة بمرض فقدان الشهية الليلة أيضاً.»

تناول شريطاً جلدياً رفيعاً من الخزانة ووضعه حول عنق بلومفيست على شكل أنشوطة. أرخى السلسلة التي تقيده على الأرض وسحبه ليقف على قدميه ودفعه بقوة نحو الحائط. أدخل طوقاً جلدياً في عقدة فوق رأس بلومفيست وشدّها إلى الأعلى بحيث أصبح مضطراً للوقوف على رؤوس أصابع قدميه.

«هل هي مشدودة كثيراً؟ أتستطيع التنفس؟» أرخى العقدة قليلاً وربط الطرف الآخر من الطوق في حلقة أسفل الحائط، قائلاً: «لا أريدك أن تختنق دفعة واحدة.»

كانت الأنشوطة تحز في عنق بلومفيست بشكل موجع لدرجة كان عاجزاً عن نطق أي كلمة. نظر إليه مارتن باهتمام.

فجأة، قام بفك سحابة سروال بلومفيست وسحبه إلى الأسفل إضافة إلى ملابسه التحتية. بينما هو يسحب ملابسه من قدميه فقد بلومفيست توازنه إذ لم يجد موطئاً لقدمه وتأرجح في الهواء للحظة متدلياً من الحبل قبل أن تلامس رؤوس أصابعه مجدداً الأرض. ذهب مارتن إلى الخزانة الصغيرة وتناول منها مقصاً. قص قميص بلومفيست ورمى بالخِرَق على الأرض ثم وقف على بعد مسافة من ميكائيل وأخذ يراقب ضحيته.

قال مارتن بنبرة جدية: «لم يسبق لي أن تعاملت مع ذَكَر. ولم يسبق لي أن لامست رجلاً من قبل في الواقع... إلا أبي. كان ذلك بدافع الواجب.»

كان صدغا بلومفيست يضجان حتى كاد يحس بهما ينفجران. لا يمكنه وضع كل ثقله على قدميه من دون أن يختنق. حاول استعمال

أصابعه للإمساك بأي شيء صلب ناتئ من الجدار خلفه لكنه لم يجد ما يتمسك به.

قال له مارتن فانغر: «لقد حان الوقت.»

وضع يده على الطوق وسحبه للأسفل. سرعان ما شعر بلومفيست بالحبل يكاد يقطع عنقه.

«لطالما تساءلت كيف يكون مذاق الرجل.»

زاد الضغط على الأنشوطة حول عنق بلومفيست وانحنى فوقه ليقبّله على شفتيه في اللحظة التي سمع فيها صوتاً بارداً يملأ الغرفة ويقول: «مرحباً، أيها السافل الحقير. في هذه الزريبة المقيتة أنا الآن أحتكر قواعد اللعبة هنا.»

سمع بلومفيست صوت سالاندر بعيداً وكأنه آتٍ من خلف الضباب. نجح في أن يركز نظره قليلاً فرآها تقف بالباب. كانت تنظر إلى مارتن ووجهها يخلو من أي تعبير مقروء.

قال بنبرة تشبه النعيب: «كلا...»

لم يتمكن من رؤية التعبير على وجه مارتن لكنه استطاع أن يشعر جسدياً بالصدمة التي انتابته حين استدار ورأى سالاندر. توقف الزمن للحظة عالقاً في أجواء الغرفة إلى أن مدّ مارتن يده وتناول المسدس الذي تركه على الكرسي.

قامت سالاندر بثلاث خطوات سريعة إلى الأمام ورمت في الهواء عصا الغولف كانت قد أخفتها بجانبها. طارت العصا الحديدية في نصف دائرة وضربت مارتن على الترقوة بالقرب من كتفه. أحدثت الضربة زخماً هائلاً وسمع بلومفيست خبطة شيء ما قبل أن يصدر مارتن صوتاً أشبه بالعواء.

سألته سالاندر: «هل أحببت الشعور بالألم أيها الحقير؟»

كان صوتها خشناً كورق الزجاج. لن يتمكن بلومفيست أن ينسى

تعابير وجهها وهي تنفذ الهجوم ما دام فيه عرق نابض. كانت تكشف عن أسنانها كوحش ينقضّ على فريسته. كانت عيناها السوداوان كالفحم تلتمعان شراً. كالعنكبوت الذئبي كانت تتحرك بسرعة البرق وتصب كل اهتمامها على فريستها بينما توجّه العصا إلى مارتن مجدداً وتصيبه في أضلعه.

تعثر فوق الكرسي ووقع أرضاً. سقط المسدس من يده عند قدمي سالاندر فركلته بعيداً.

ثم وجهت إليه الضربة الثالثة تحديداً في اللحظة التي كان مارتن فانغر يهمّ بالوقوف على قدميه. كانت الضربة عنيفة جداً على وركه بحيث انطلقت صرخة فظيعة من أعماق حنجرته. الضربة الرابعة أتته من الخلف مصيبة المنطقة التي بين كتفيه.

شهق بلومفيست: «ليز...»

كان على وشك الإغماء وكان الألم في صدغيه لا يحتمل.

التفتت إليه فرأت أن وجهه أحمر بلون الدماء وعينيه متسعتان ولسانه ممدود خارج فمه.

نظرت من حولها فرأت السكين على الأرض. ثم التفتت نحو مارتن فانغر الذي كان يحاول الابتعاد عنها ساحباً إحدى ذراعيه إلى جانبه. لن يتمكن من التسبب بأي مشكلة لها لبضع ثوان أخرى فوضعت عصا الغولف من يدها والتقطت السكين. كان له رأس حادّ جداً إنما حافته كانت تحتاج لأن تشحذ. وقفت على رؤوس أصابعها وأخذت تقطع الأنشوطة بسرعة. استغرق الأمر بضع ثوان قبل أن يسقط بلومفيست أرضاً. إلا أن الأنشوطة كانت لا تزال مشدودة بإحكام حول عنقه. نظرت سالاندر إلى مارتن فانغر مجدداً. كان قد وقف على قدميه لكنه كان لا يزال ضعيفاً، خائر القوى. حاولت أن تدس أصابعها في البداية من تحت الأنشوطة، لأنها لم تتجرأ بداية أن تقطعها لكنها غرزت في النهاية رأس السكين الحاد فخدشت رقبة بلومفيست قليلاً وهي تحاول توسيع عقدة

الأنشوطة التي تمكنت من إرخائها أخيراً وبدأ بلومفيست يأخذ، لاهثاً، بضعة أنفاس متقطعة.

شعر بلومفيست للحظة أن جسده يتّحد مع روحه. صار نظره ثاقباً بحيث تمكن من رؤية كل ذرة غبار في الغرفة. حاسة السمع لديه صارت ممتازةً أيضاً بحيث كان يرصد كل نفس وكل همسة لحفيف الملابس، وكأنها أصوات تدخل أذنيه عبر سماعات. حتى أنه بات مدركاً لرائحة عرق سالاندر ورائحة الجلد التي تفوح من سترتها. لكن سرعان ما انقضى الوهم مع بدء تدفق الدماء إلى رأسه.

أدارت سالاندر رأسها في اللحظة التي اختفى فيها مارتن وراء الباب. وقفت على قدميها وتناولت المسدس وتحققت من مخزن الرصاص فيه ونقرت صمام الأمان. نظرت من حولها وركزت على مفاتيح الأصفاد التي تركت على الطاولة في مكان واضح للعيان.

قالت له وهي تركض نحو الباب: «سأتخلص منه.» التقطت المفاتيح وهي تمر بمحاذاة الطاولة ورمتها من خلف ظهرها فرست على الأرض بالقرب من بلومفيست.

حاول أن يصرخ ويناديها لتتوقف وتنتظره لكن كل ما تمكن من إصداره صوت خفيف أجش أشبه بالصرير وكانت قد اختفت من الغرفة.

لم يغب عن بال سالاندر أن مارتن فانغر يملك بندقية في مكان ما فتوقفت عن السير تحمل المسدس في يدها أمامها في وضعية جاهزة لإطلاق النار بينما تصعد السلالم نحو الممر الذي يقع بين المرأب والمطبخ. تسمّرت في مكانها وأخذت تصغي لكنها لم تسمع شيئاً ينبئها بموقع الضحية. تقدمت خلسة نحو المطبخ وكادت تصل حين سمعت هدير محرك سيارة في الحديقة الخلفية.

تمكنت من رؤية الأنوار الخلفية للسيارة تمر من أمام منزل هنريك فانغر وتنعطف للمرور على الجسر، وأخذت تركض بأسرع ما تستطيع

قدماها. دست المسدس في جيب سترتها ولم تعبأ بوضع الخوذة على رأسها قبل أن تدير محرك الدراجة النارية. وبعد مرور لحظات كانت هي أيضاً تجتاز الجسر.

لعله لم يمر سوى تسعين ثانية حين وصلت إلى الممر الدائري عند مدخل الـE4. لم تتمكن مع ذلك من رؤية سيارته. داست على المكابح وأطفأت المحرك لتصغي لما يحدث.

كانت السماء ملبّدة بالغيوم. واستطاعت أن تلمح أولى خيوط الفجر تنبثق في الأفق. ثم سمعت صوت محرك ورأت الأضواء الخلفية عند الـE4 تتجه جنوباً. أدارت سالاندر المحرك بسرعة وانطلقت بأقصى سرعة تشق الطريق تحت الجسر. كانت تسير بسرعة أربعين ميلاً في الساعة وهي تنعطف حول الرصيف المنحدر للمدخل. لم تشاهد أي زحمة سير فضغطت على دواسة السرعة وطارت بالدراجة النارية. حين أخذت الطريق تلتوي على طول سلسلة التلال كانت تسير بسرعة تسعين ميلاً في الساعة، وهذه أقصى سرعة استطاعت دراجتها النارية الخفيفة التي تلاعبت بفعالية محركها أن تصل إليها صعوداً. بعد نحو دقيقتين، رأت الأضواء على بعد ستمئة وخمسين ياردة أمامها تقريباً.

حلّلي العواقب. ما الذي ينبغي فعله الآن؟

خففت السرعة إلى خمسة وسبعين ميلاً في الساعة وتابعت مطاردتها له. كانت تفقد أثره بضع لحظات عند المنعطفات القاسية. ثم استقامت الطريق أمامها وكانت لا تبعد عنه سوى مئتي ياردة فقط.

لا بدّ أنه رأى ضوء دراجتها النارية وزاد سرعة السيارة حين وصل إلى منعطف آخر. زادت هي أيضاً من سرعة المحرك لكنها لم تستطع أن تضاهيه عند المنعطفات.

رأت أضواء شاحنة تقترب تماماً كما رآها مارتن فانغر. زاد من سرعة المحرك أكثر واندفع مباشرة نحو الممر الضيق أمامه. رأت سالاندر الشاحنة تنحرف وتشعل الأنوار وتطفئها، إلا أن الاصطدام كان حتمياً. قاد

مارتن السيارة نحو الشاحنة مباشرة وكان صوت الاصطدام فظيعاً.

داست سالاندر على المكابح. رأت المقطورة وقد بدأت تتلوّى عبر الممر أمامها. ونظراً للسرعة التي كانت تسير فيها، لم تستغرق سالاندر سوى بضع لحظات لاجتياز المسافة والوصول إلى موقع الحادث. زادت سرعتها أكثر واتجهت إلى حافة الطريق لتتفادى الاندفاع الارتدادي للشاحنة وتبقى بعيدة مسافة ياردتين فقط وهي تجتازها. لاحظت بطرف عينها ألسنة النيران تتصاعد من مقدمة الشاحنة.

تابعت القيادة وأخذت تفكر وقد داست على المكابح لتخفف من السرعة. استمرت تقود الدراجة لمسافة مئة وخمسين ياردة قبل أن تتوقف وتنعطف لتعود أدراجها.

رأت سائق الشاحنة يخرج من المقصورة من جهة المقعد بجانب السائق. عادت تضغط على دواسة السرعة. في أكربي أي على بعد ميل جنوباً تقريباً، انعطفت يساراً وسلكت الطريق القديم عائدة إلى الشمال على خطٍ موازٍ لـE4. قادت الدراجة صعوداً على درب التل متجاوزة مشهد الحادث. كانت سيارتان قد توقفتا في المكان فيما ألسنة النيران تتصاعد ملتهمة بقايا سيارة مارتن المهروسة تحت الشاحنة. أحد الرجال كان يُخمد النيران بمطفأة حريق صغيرة.

سرعان ما كانت تجتاز الجسر مجدداً ببطء. أوقفت الدراجة أمام الكوخ وذهبت إلى منزل مارتن فانغر سيراً على الأقدام.

كان بلومفيست لا يزال متعثراً بفك الأصفاد. كانت يداه خدرتين جداً بحيث لم يتمكن من إحكام قبضته على المفاتيح. ساعدته سالاندر على فك قفل الأصفاد وأمسكت به جيداً ريثما تعود الدماء تسري في عروق يديه. قال بصوت أجش: «ومارتن؟»

«لقد مات. اصطدمت سيارته بشاحنة على بعد بضعة أميال جنوب E4.»

أخذ بلومفيست يحدق بها. لم تكن قد غابت عن عينيه سوى بضع دقائق.

همس قائلاً: «علينا أن... نتصل بالشرطة.» وانتابه سعال حادّ.

سألته سالاندر: «ولماذا؟»

ظل بلومفيست عاجزاً عن الوقوف لمدة عشر دقائق كاملة. كان لا يزال ملقىً على الأرض عارياً، مستنداً إلى الحائط خلفه. أخذ يقوم بتدليك رقبته وتناول قنينة المياه بيدين مرتجفتين. انتظرته سالاندر بصبر ريثما يبدأ يستعيد الإحساس بيديه. أمضت تلك اللحظات تفكر.

«ارتدِ سروالك.»

استعملت قطع قميص بلومفيست الممزقة لمسح بصمات الأصابع عن الأصفاد والسكين وعصا الغولف. وتناولت قنينة مياه الـPET الخاصة بها.

«ما الذي تفعلينه؟»

«ارتدِ ملابسك بسرعة. بدأ النهار يطلع في الخارج.»

وقف بلومفيست على قدمين مرتجفتين، وتمكن بعد جهد من ارتداء ملابسه الداخلية وسروال الجينز. انتعل حذاءه الرياضي. ودسّت سالاندر الجوربين في جيب سترتها وأوقفته عن السير وسألته: «ما الذي قمت بلمسه تحديداً هنا؟»

نظر بلومفيست من حوله وحاول أن يتذكر. قال لها أخيراً إنه لم يلمس شيئاً سوى قبضة الباب والمفاتيح. وجدت سالاندر المفاتيح في جيب سترة مارتن فانغر المعلقة فوق الكرسي. مسحت قبضة الباب وزر الضوء وأطفأت الأنوار. ساعدت بلومفيست على صعود السلالم وطلبت إليه أن ينتظرها في الممر بينما كانت تعيد عصا الغولف إلى مكانها المناسب. حين عادت كانت تحمل قميصاً داكناً يعود لمارتن فانغر.

«ضع هذا عليك لا أريد أن يراك أحد الليلة تفر راكضاً من هنا بصدرٍ عارٍ.»

كان بلومفيست يعيش حالة صدمة وذهول. وكانت سالاندر قد تولّت زمام الأمور وهو يلتزم بتعليماتها طائعاً. قادته إلى خارج منزل مارتن وكانت تسنده طوال الوقت. ما إن وصلا إلى الكوخ حتى أوقفته مجلداً وقالت له: «إذا سألك أحدهم ما الذي كنا نفعله في الخارج الليلة فستقول إننا خرجنا للقيام بالنزهة الليلية المعتادة وقد مارسنا الجنس هناك.»

«ليزبث، أنا لا أستطيع...»

«ادخل واستحمّ فوراً.»

ساعدته على خلع ملابسه ودفعته إلى الحمام. ومن ثم وضعت مياهاً في الإبريق لإعداد القهوة وحضّرت نصف دزينة من سندويشات خبز الجودار مع الجبن وسجق الكبد ومخلل الشبث. كانت جالسة إلى طاولة المطبخ مستغرقة في التفكير حين عاد بلومفيست يعرج. أخذت تتمعن بالخدوش والكدمات المنتشرة على جسمه. كانت الأنشوطة مشدودة بإحكام حول عنقه تاركة علامات حمراء داكنة. وقد خلّف السكين جرحاً بليغاً في الجهة اليسرى.

قالت له: «اذهب إلى الفراش.»

أحضرت الضمادات على عجل وغطت الجرح بواسطة كمادات مؤقتة. ثم سكبت له القهوة وأعطته سندويشاً.

قال لها: «لست جائعاً حقاً.»

أمرته سالاندر: «حسناً، لا آبه البتة إن كنت جائعاً أو لا، كل وحسب.» ثم تناولت قضمة كبيرة من سندويش الجبنة الذي تحمله.

أغمض بلومفيست عينيه للحظة ثم جلس في السرير وتناول قضمة بدوره. كانت حنجرته تؤلمه كثيراً بحيث كان لا يكاد قادراً على ابتلاع اللقمة.

خلعت سالاندر السترة الجلدية عنها وجلبت من الحمام علبة تحوي نوعاً من البلسم الحارق. «دع القهوة تبرد قليلاً واستلقِ على بطنك.»

أمضت خمس دقائق تدلك له ظهره وتفركه بالمرهم. ثم قلبته على ظهره وقامت بتدليك مماثل لمنطقة الصدر.

«ستعاني من كدمات وخدوش مؤلمة لبرهة من الزمن.»

«علينا أن نتصل بالشرطة ليزبث.»

«كلا.» كانت إجابتها من العنف والحدّة بحيث اتسعت عينا بلومفيست ذهولاً. وتابعت تقول: «إن اتصلت بالشرطة فسوف أرحل. لا أريد أي علاقة لي بهم. مارتن فانغر قد مات. لاقى حتفه في حادث سير وانتهى الأمر. كان وحده في السيارة وهناك شهود على ذلك. دع الشرطة أو أي شخص آخر يكتشف غرفة التعذيب المقيتة تلك. أنت وأنا نجهل وجودها تماماً كأي شخص آخر في هذه القرية.»

«لماذا؟»

تجاهلت سؤاله وأخذت تدلك عضلات فخذيه المتشنجة.

«ليزبث، لا يسعنا ببساطة...»

«إذا مضيت في تذمرك فسأعيدك إلى كهف مارتن وأقيّدك من جديد.»

وبينما تقول له ذلك، غطّ بلومفيست في النوم بسرعة وكأنه قد أغمي عليه.

الفصل الخامس والعشرون

السبت، 12 يوليو ـ الاثنين، 14 يوليو

استيقظ بلومفيست عند الساعة الخامسة فجراً على كابوس وهو يحك عنقه ويشد بشيء ما للتخلص من الأنشوطة. دخلت سالاندر الغرفة وأبعدت يديه وأبقته هادئاً. فتح عينيه ونظر إليها وكأن على عينيه غشاوة.

أطبق عينيه مجدداً وقال لها: «لم أكن أعرف أنك تلعبين الغولف.»

جلست معه لبضع دقائق إلى أن اطمأنت إلى أنه نام مجدداً. وبينما هو نائم عادت سالاندر إلى الطابق الواقع تحت الأرض من منزل مارتن فانغر من أجل أن تماين مسرح الجريمة وتلتقط بعض الصور. بالإضافة إلى أدوات التعذيب، عثرت على مجموعة من المجلات الإباحية التي تحتوي على مشاهد عنف، وعدد هائل من الصور الكبيرة الحجم من نوع Polaroid ملصقة داخل ألبومات.

لم تكن هناك من مفكرة. إلا أنها وجدت ملفات تحتوي على أوراق طباعة بحجم A4 مع صور عن جواز السفر وملاحظات مدونة بخط اليد حول النساء. وضعت الملفات داخل كيس من النايلون مع جهاز كومبيوتر من نوع Dell المحمول يعود لمارتن بعد أن وجدته على الطاولة في غرفة الاستقبال في الطابق العلوي. وبينما بلومفيست يغط في نوم عميق، تابعت سالاندر التفتيش في ملفات جهاز كومبيوتر مارتن. كانت الساعة قد تجاوزت السادسة مساءً حين أطفأت الكومبيوتر وأشعلت سيجارة راحت تدخّنها.

كانت هي وميكائيل بلومفيست مقتنعين بما ظناه عملية تعقب قاتل متسلسل من الماضي. لكن ما عثرا عليه كان مناقضاً بشكل مذهل. لم تكد تستطيع أن تتخيّل الفظاعات التي كانت ترتكب في الطابق السفلي من منزل مارتن فانغر وسط مكان ساحر عالي التنظيم كهذا.

حاولت أن تفهم ما الذي يجري.

كان مارتن يقوم بقتل النساء منذ الستينيات، وعلى مدى الأعوام الخمسة عشر الماضية بمعدل ضحية أو ضحيتين في العام. كانت عمليات القتل تنفذ بشكل منفصل ويتم التخطيط لها جيداً بحيث لم يكن أحد يعي أن هناك قاتلاً متسلسلاً يقتل النساء على نحو منَظّم. كيف كان هذا ممكناً؟

لم تؤمّن الملفات سوى إجابة جزئية عن السؤال المطروح.

غالباً ما كان يتم اختيار الضحايا من الوافدين حديثاً إلى البلاد، من الفتيات المهاجرات اللواتي ليس لهن أصدقاء أو لا تربطهن أي علاقات محلية داخل السويد. كان هناك أيضاً من بين الضحايا عاهرات ومنبوذات ممن يعانين الإدمان على المخدرات أو آتيات من بيئة حافلة بالمشاكل.

قرأت سالاندر كل الدرسات والأبحاث التي وقعت تحت يديها حول السادية الجنسية، كانت كلّها تشير إلى أن هذا النوع من المجرمين عادة ما يجمع تذكارات من ضحاياه. كانت مثل هذه التذكارات تؤدي وظيفتها بإبقاء الذكرى حية بحيث يتمكن القاتل من الرجوع إليها ساعة يشاء لإعادة خلق بعض المتعة التي اختبرها عند تنفيذ عملية القتل. لقد طوّر مارتن فانغر هذه الهواية عبر الاحتفاظ بما أسماه «كتاب الموت». كان يدوّن أسماء ضحاياه في فهرس ويصنّفهن وفق ترتيب معيّن. كان يصف عذاباتهن بالتفصيل ويوثّق عمليات القتل التي يقوم بها على شرائط وبالصور.

العنف والقتل كانا الهدف، إلا أن سالاندر استنتجت أن عملية الاصطياد كانت تحتل أولى اهتمامات مارتن فانغر. كان قد خلق على جهاز الكومبيوتر الخاص به قاعدة معلومات تتكون من لائحة تضم أسماء

أكثر من مئة امرأة. كان من بين هؤلاء موظفات يعملن في مؤسسة «فانغر»، ونادلات من المطعم الذي اعتاد أن يتناول الطعام فيه، إضافة إلى عاملات الاستقبال في الفنادق التي اعتاد الإقامة فيها، وموظفات من مكتب الخدمة المدنية، وسكرتيرات شركائه في العمل، وعدد كبير من النساء الأخريات. بدا أن مارتن فانغر كان يوقع بكل امرأة يجري معها اتصالاً من أي نوع كان.

لم يعمد عملياً إلى قتل جميع أولئك النساء، غير أن كل امرأة موجودة في محيط مارتن فانغر كانت على الأرجح هدفاً ممكناً له. كانت الفهارس التي وضعها تتميز بأنها تمنحه صفة الهاوي الذي يمارس هوايته بشغف كبير. لا بدّ أنه كان يخصص ساعات لا تحصى لممارستها.

كان يملأ استمارة تجيب عن الأسئلة التالية: *هل هي عزباء أو متزوجة؟ هل لديها عائلة أو أولاد؟ أين تعيش؟ أي نوع من السيارات تقود؟ بأي مستوى من التعليم تتمتع؟ ما لون شعرها؟ ما لون بشرتها؟ وكيف هو شكلها؟*

لا بد أن عملية جمع المعلومات الخاصة بالضحايا المحتَمَلات كانت تشكل جزءاً مهماً من أحلام مارتن فانغر الجنسية. إذ كان مطارِداً في المقام الأول قبل أن يكون قاتلاً.

حين فرغت سالاندر من القراءة، اكتشفت مغلّفاً موجوداً داخل أحد الملفات. سحبت منه صورتَيْ Polaroid أخريين باهتتي اللون. تظهر في الصورة الأولى فتاة ذات شعر قاتم اللون تجلس إلى طاولة. كانت الفتاة ترتدي سروال جينز غامق اللون وصدرها عارٍ تماماً يكشف عن نهدين صغيرين مستدقي الرأس. كانت تدير وجهها بعيداً عن عدسة الكاميرا وكانت بصدد رفع إحدى ذراعيها في محاولة لمنع تصويرها على ما يبدو، وكأن المصور قد باغتها وقام بتصويرها على حين غرة. وكانت الصورة الثانية تُظهرها عارية بالكامل، وكانت ممددة على بطنها فوق غطاء سرير أزرق اللون. وكان وجهها لا يزال غير واضح على عدسة الكاميرا.

دست سالاندر المغلف مع الصور في جيب سترتها. حملت بعد ذلك الملفات إلى الموقد وأشعلت عود ثقاب. حين خمدت النيران التي أتت على الملفات، أخذت تحرك الرماد. كانت الأمطار غزيرة جداً عندما قامت بنزهة قصيرة. وبحركة مقصودة جثَتْ على ركبتيها كأنها تربط أنشوطة حذائها، وألقت بشكل خفي جهاز الكومبيوتر الخاص بمارتن فانغر في المياه تحت الجسر.

حين دخل فرود عبر الباب المفتوح عند الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم كانت سالاندر تجلس إلى طاولة المطبخ تدخّن سيجارة وتشرب القهوة. كان وجه فرود شاحباً وبدا أنه استيقظ على خبر مقيت.

سألها: «أين ميكائيل؟»

«لا يزال نائماً.»

جلس فرود متثاقلاً على أحد كراسي المطبخ فسكبت سالاندر له فنجان قهوة ودفعته باتجاهه.

«إنه مارتن. . . لقد علمت صباحاً فقط أن مارتن قد قُتِلَ في حادث سيارة الليلة الماضية.»

أخذت سالاندر رشفة من قهوتها وقالت: «هذا مؤسف.»

رفع فرود نظره إليها بداية من دون أن يفهم ما الذي يحدث، إلا أنه عاد وفتح عينيه ذهولاً.

«ماذا؟ . . .»

«لقد توفي في حادث تحطم سيارة، يا له من أمر مؤسف.»

«ما الذي تعرفينه عن ذلك؟»

«كان يقود السيارة متجهاً نحو الشاحنة مباشرة. لقد انتحر. الضغط النفسي الذي كان يعيشه، والتقدم المتعثر الذي تحرزه الأمبراطورية المالية، وإلى ما هنالك، كان ذلك كله أكبر من أن يتمكن من احتماله. هذا على الأقل ما أفترض أنه سينشر في الإعلام.»

بدا فرود وكأنه على وشك الإصابة بجلطة دماغية. نهض من مكانه مسرعاً وهرع راكضاً إلى غرفة النوم.

زجرته سالاندر بشراسة: «دعه ينام.»

نظر فرود إلى بلومفيست النائم، فرأى العلامات الزرقاء والسوداء على وجهه والكدمات المنتشرة فوق صدره. ومن ثم لاحظ الخط الملتهب حيث كانت الأنشوطة تلتف حول عنقه. سحبت سالاندر فرود من ذراعه وأغلقت الباب وراءهما. عاد فرود إلى المطبخ وغرق في الكرسي من جديد.

أخبرته ليزبث سالاندر بإيجاز مطلق عن أحداث الليلة الماضية وعن غرفة التعذيب الرهيبة لدى مارتن فانغر وعن كيفية إيجادها لميكائيل بلومفيست والحبل ملتفاً حول عنقه والرئيس المدير العام لمؤسسات «فانغر» واقفاً أمام جسده العاري. أخبرته بما وجدت في ملفات أرشيف الشركة في اليوم الفائت وكيف أنها توصلت إلى إقامة علاقة محتملة بين والد مارتن والجرائم المرتكبة بحق سبع نساء على الأقل.

لم يقاطع فرود كلامها سوى مرة واحدة. وحين توقفت عن الكلام، ظل جالساً بصمت مطبق لمدة دقائق قبل أن يأخذ نفساً عميقاً ويقول: «ما الذي سنفعله؟»

أجابته سالاندر: «ليس أنا من عليها أن تعرف ذلك.»

«ولكن. . .»

«بالنسبة لي، فأنا لم أطأ هيدستاد مطلقاً.»

«لا أفهم ماذا تقصدين.»

«لا أريد لاسمي، وتحت أي ظرف كان، أن يزجّ في محاضر الشرطة. ولا تربطني أي علاقة مهما كانت بأي شيء مما يحصل. إذا ورد اسمي متصلاً بأي من أحداث القصة، فسأنكر تماماً أني كنت هنا وسأرفض الإجابة عن أي سؤال.»

أخذ فرود يرمقها بنظرات متسائلة.

«لست أفهم.»

«لا داعي لأن تفهم.»

«ما الذي ينبغي أن أفعله إذاً؟»

«عليك أن تستنتج ذلك بنفسك. دعني أنا وميكائيل خارج الموضوع فقط.»

كان وجه فرود أشبه بوجوه الموتى.

«انظر إلى الأمر من هذه الناحية، كل ما تعرفه هو أن مارتن فانغر قد قتل في حادث سيارة. لا تملك أدنى فكرة عن أنه كان مجنوناً حتى، أو أنه كان قاتلاً متسلسلاً مقرفاً. وأنك لم تسمع يوماً بغرفة التعذيب الموجودة أسفل المنزل.»

وضعت المفتاح على الطاولة بينهما.

«لديك متسع من الوقت قبل أن يصل أحدهم ويقوم بتنظيف منزل مارتن فانغر ويكتشف أمر الغرفة الموجودة أسفل المنزل.»

«علينا أن نبلغ الشرطة بهذا الخصوص.»

«ليس نحن. يمكنك الذهاب إلى مخفر الشرطة بنفسك والإبلاغ عن الأمر إذا رغبت. القرار يعود لك وحدك.»

«لا يمكن إخفاء الأمر تحت ورقة تين.»

«لست أقترح إخفاءه تحت أي شيء. كل ما أطلبه إبقائي وميكائيل خارج اللعبة. حين تكتشف أمر الغرفة وتصل إلى نتائجك الخاصة، تستطيع أن تقرر من هي الجهة التي تود إبلاغها.»

«إن كان ما تقولينه صحيحاً، فهذا يعني أن مارتن كان يخطف النساء ويقتلهن... لا بدّ من وجود عائلات يائسات لمعرفة مصير بناتهن. لا يمكننا ببساطة أن...»

«ما تقوله صحيح. لكن هناك مشكلة واحدة. الجثث قد اختفت.

لعلك تجد جوازات سفر الضحايا أو بطاقات التعريف عنهن في أحد الأدراج. لعله يمكن التعرف إلى بعض الضحايا على شرائط الفيديو المصورة. لكنك لست مضطراً لاتخاذ القرار بهذا الشأن اليوم. أعد التفكير في الموضوع.»

ظهر الرعب على ملامح فرود.

«يا إله السموات. ستكون تلك الضربة القاضية للشركة. فكري في عدد العائلات التي ستخسر باب رزقها إذا تبين أن مارتن...»

أخذ فرود يترنح إلى الأمام والوراء تتقاذفه أمواج الأزمة الأخلاقية المستجدة.

«هذا من جهة. ومن جهة أخرى إن كانت إيزابيلا فانغر سترثه فعليك أن تفكر أنه من غير المناسب أن تكون أول من يكشف الستار عن هواية ابنها.»

«عليّ أن أذهب وأرى...»

قالت له سالاندر بحدة: «أظن أن عليك البقاء بعيداً عن تلك الغرفة اليوم، لديك العديد من الأمور لتقوم بها. يجدر بك الذهاب إلى هنريك فانغر وإطلاعه على الأمر، كما عليك أن تدعو لعقد اجتماع خاص لمجلس الإدارة للقيام بكل ما يترتب عليكم القيام به حين توافي المنية الرئيس والمدير العام للشركة.»

أخذ فرود يفكر في ما قالته وشعر بدقات قلبه تتسارع داخل صدره. إنه محامي العائلة العتيق وحلّال المشاكل الذي يُتوقّع منه التقدم بخطة جاهزة ترتقي إلى مستوى الحالة وتناسب أي احتمال مطروح، غير أنه كان يشعر بأنه مكتوف اليدين، عاجز تماماً عن القيام بأي خطوة. سرعان ما خطر له أنه يقف هناك يتلقى الأوامر من مجرد بنت صغيرة. لقد تمكنت بطريقة ما من السيطرة على زمام الأمور، وبدأت تعطيه الإرشادات والتوجيهات التي كان يعجز عن صياغتها بنفسه.

«وماذا عن هاريت...؟»

«لم ننته أنا وميكائيل بعد من العمل على القضية لكن يسعك أن تخبر السيد فانغر أننا سنحل المسألة في وقت قريب.»

تصدّر خبر وفاة مارتن فانغر غير المتوقعة عناوين أخبار الساعة التاسعة على إذاعات الراديو عندما استيقظ بلومفيست. لم يتم ذكر أي خبر يتعلق بالأحداث التي حصلت ليلاً سوى أن الصناعي اجتاز بسرعة جنونية، وبشكل لا يمكن تفسيره، الجهة الخاطئة من الـE4 بينما هو متجه جنوباً. وقد كان وحده في السيارة.

الإذاعة المحلية نشرت خبراً يتعلق بالقلق حيال مستقبل مؤسسة «فانغر» والعواقب التي ستجرّها هذه الوفاة على الشركة.

وصدر في آخر أخبار وكالة الأنباء عنوان تم وضعه على عجل يقول «أجواء الصدمة تخيم على البلاد». وقد أورد الخبر بشكل مقتضب المشاكل التي تمر بها مؤسسات «فانغر»، كما لم يغب عن بال أحد أن حوالى ثلاثة آلاف شخص من بلدة هيدستاد التي يبلغ تعداد سكانها واحداً وعشرين ألف نسمة يعملون كموظفين في مؤسسات «فانغر» أو يعتمدون بشكل من الأشكال على ازدهار الشركة وتطورها. رئيس الشركة ومديرها العام الحالي توفي أما المدير السابق فهو طريح فراش المرض بعد إصابته بنوبة قلبية حادة. لم يكن هناك من وريث شرعي للعائلة. كل هذا في وقت يعتبر من أكثر الفترات حَرَجاً في تاريخ الشركة.

كان الذهاب إلى مخفر شرطة هيدستاد والإبلاغ عن حدث الليلة الفائتة خياراً مطروحاً أمام بلومفيست إلا أن سالاندر كانت قد بدأت العمل على مسارٍ آخر تماماً. ونظراً لعدم إقدامه على إبلاغ الشرطة بالأمر فوراً بات التعامل مع القضية يزداد صعوبة مع كل ساعة تمرّ. أمضى طوال فترة الصباح مصرّاً على الصمت المطبق والوجوم الكلي، جالساً على كرسي المطبخ مراقباً من النافذة الأمطار الغزيرة التي تهطل في الخارج. قرابة

الساعة العاشرة صباحاً هبّت عاصفة أخرى لكن مع حلول فترة الغداء، كان المطر قد توقف وسرعة الهواء قد تضاءلت نسبياً. خرج من المنزل وجلس في الحديقة يشرب القهوة. كان يرتدي سترة ذات ياقة عالية تغطي عنقه بالكامل.

من المؤكد أن موت مارتن المفاجئ قد ألقى بظلاله الثقيلة على مسيرة الحياة اليومية في هيديبي. بدأت السيارات تتوقف أمام منزل إيزابيلا فانغر حيث اجتمعت العائلة لتقبّل التعازي. راقبت سالاندر مسار الأحداث وهي تفتقد أي مشاعر.

سألته في النهاية: «كيف تشعر؟»

أجابها: «أظن أني لا أزال تحت تأثير الصدمة. لقد كنت عاجزاً بالكامل. كنت مقتنعاً على مدى ساعات طوال أني سأموت. شعرت بالخوف من الموت وما كان بيدي أي حيلة ألجأ إليها.»

مدّ يده ووضعها على ركبتها قائلاً: «شكراً لك، لولاك لكنت ميتاً الآن.»

التوت شفتا سالاندر عن ابتسامتها الماكرة المعتادة.

«لكن، وعلى الرغم من ذلك... لست أفهم حتى الآن كيف أنك كنت من الغباء لدرجة الذهاب إليه ومواجهته وحدك. كنت مقيداً إلى الأرض هناك أصلّي أن تري الصورة وتقومي بربط الأمور وتتصلي بالشرطة.»

«لو أنني انتظرت قدوم الشرطة، لما كنت حياً الآن. لم أكن لأسمح لمثل ذلك المعتوه بقتلك.»

«لماذا لا تريدين التحدث إلى الشرطة بالأمر؟»

«أنا لا أتعاطى مع السلطات مطلقاً.»

«ولِمَ لا؟»

«هذا شأن يعنيني وحدي. لكن في مثل حالتك، لا أظن أنها ستكون خطوة مهنية صائبة أن تنتشر أخبارك على أنك الصحافي الذي تعرّى على

يد مارتن فانغر، القاتل المتسلسل الشهير. فإذا كنت لا تحب لقب 'بلومفيست الخارق' ينبغي عليك التفكير الآن في لقب آخر كلياً. إياك أن تلغي هذا الفصل من سيرة حياتك الحافلة بالبطولات.»

رمقها بلومفيست نظرة متسائلة قبل أن يقرر تغيير موضوع الحديث.

قالت له: «لكن لا تزال أمامنا مشكلة.»

أومأ بلومفيست وقال: «ما الذي حصل لهارييت، أجل، هذا ما يجب معرفته.»

وضعت سالاندر صورتَي الـPolaroid أمامه على الطاولة وشرحت له كيف عثرت عليهما. عاين بلومفيست الصورتين لفترة عن كثب قبل أن يرفع نظره إليها أخيراً: «قد تكون هذه هي. لا أستطيع أن أجزم بذلك. ولكن شكل جسمها وشعرها يذكرانني بالصور التي رأيتها لها.»

جلسا معاً في الحديقة لساعة كاملة يجردان التفاصيل. وقد اكتشف كل منهما بشكل مستقل وكلٌ من جهة مختلفة أن مارتن فانغر كان يشكل الحلقة المفقودة في القضية.

لم تعثر سالاندر قط على الصورة التي تركها بلومفيست على الطاولة. توصلت إلى أنه قام بعمل أحمق بعد أن شاهدت الصور التي التقطتها كاميرات المراقبة. لقد ذهبت إلى منزل مارتن فانغر عن طريق الشاطئ واسترقت النظر عبر كافة النوافذ دون أن ترى أحداً. وجربت فتح كافة أبواب الطابق الأرضي ونوافذه. وتسلقت أخيراً إلى الطابق العلوي عبر باب شرفة مفتوح. استغرقت وقتاً طويلاً وهي تتحرك بحذر فائق متنقلة في أرجاء المنزل تفتش كل غرفة على حدة. هكذا عثرت على السلالم المؤدية إلى الطابق الموجود تحت الأرض. كان مارتن عديم الانتباه إذ ترك باب غرفة الرعب مفتوحاً قليلاً وقد تمكنت من أن تكوّن فكرة واضحة عن الوضع في الداخل.

سألها بلومفيست إلى أي مدى أصغت للحديث الدائر بينهما والكلام الذي قاله له مارتن، فأجابت: «لم أسمع الكثير، وصلت إلى هناك حين

كان يسألك عما حدث لهارييت، وذلك قبل أن يعلّقك على حبل المشنقة. غادرت لبضع دقائق وذهبت بحثاً عن سلاح يفيدني.»

قال لها بلومفيست: «لم يكن مارتن يملك أدنى فكرة عما حدث لهارييت.»

«وهل تصدقه؟»

أجاب بلومفيست من دون تردد: «أجل، أصدقه. مارتن كان شخصاً معتوهاً أكثر منه فأر خيل مقيت الرائحة مصاب بالزهري، من أين آتي بمثل هذه التشابيه بحق السماء؟ لكنه مع ذلك اعترف أمامي بكافة جرائمه بقصد التباهي والتأثير عليّ ربما. لكن حين وصل بالحديث إلى هارييت كان متلهفاً كما هنريك فانغر ليكتشف ما الذي حلّ بها.»

«إذاً... إلى أين يقودنا ذلك؟»

«نعلم أن غوتفريد كان مسؤولاً عن السلسلة الأولى من الجرائم التي حصلت بين الأعوام 1949 و 1965.»

«حسناً. وقد قام بتدريب مارتن الصغير على يديه.»

قال بلومفيست: «نحن نتحدث هنا عن عائلة مختلة بالكامل. لم يكن أمام مارتن أي فرصة.»

رمقته سالاندر بنظرة غريبة.

«ما أخبرني به مارتن على الرغم من عدم ترابطه هو أن والده بدأ بتدريبه بعد بلوغه سن الرجولة. لقد شهد مقتل ليا من أوديفالا في العام 1962. كان في الرابعة عشرة من عمره حينئذ بحق السماء. كما حَضَرَ مقتل سارة عام 1964 وقد شارك بتنفيذ الجريمة فعلياً عندئذ. كان يومها يبلغ السادسة عشرة.»

«وماذا بعد؟»

«أخبرني أنه لم يسبق له أن لمس أي رجل عدا والده. وقد دفعني ذلك للتفكير في أن... حسناً، في أن والده قد اغتصبه. مارتن كان يصف الأمر بـ'الواجب'. لا بدّ أن الاعتداءات الجنسية دامت لفترة

طويلة. ذلك أن والده قام بتربيته على حدّ تعبيره.»

أجابت سالاندر بنبرة قاسية: «يا لهذا الهراء.»

نظر إليها بلومفيست بذهول تام. وقد رأى في عينيها تصميماً وعناداً على موقفها. ولم يكن في صوتها أي أثر للشفقة.

«كانت تتوفر لمارتن الفرصة كما الجميع. لكنه لجأ إلى أعمال الاغتصاب والقتل لمجرد اللذة.»

«لست أقول العكس. إلا أن مارتن كان ولداً يعاني من الكبت، ويقع تحت تأثير والده، تماماً كما كان غوتفريد يروّع على يد أبيه النازي.»

«أنت تفترض إذاً أن مارتن كان منزوع الإرادة وأن الناس جميعاً ينشأون وفقاً للطريقة التي تتم تربيتهم على أساسها.»

افتر ثغر بلومفيست عن ابتسامة حذرة وسألها: «هل هذا موضوع حساس بالنسبة لك؟»

اشتعلت عينا سالاندر غضباً، فسارع بلومفيست إلى متابعة الحديث قائلاً: «جلّ ما أقوله هو أن تربية الفرد تلعب دوراً مهماً. ظل والد غوتفريد يضربه لسنوات من غير شفقة أو رحمة. وهذا يترك آثاره.»

قالت سالاندر مجدداً: «هذا هراء. لم يكن غوتفريد الولد الوحيد الذي تُساء معاملته. وهذا لا يمنحه الحق بتعذيب النساء وقتلهنّ. كان هو من اتخذ هذا القرار بنفسه. والأمر ذاته ينطبق على مارتن.»

رفع بلومفيست يده في الهواء في حركة تدل على استسلام، وقال لها: «هل لنا ألا نتجادل؟»

«أنا لا أجادلك. بل أوضح رأيي وهو أنه من المثير للشفقة أن يتوفر دائماً للمنحرفين من يلقون باللوم عليه.»

«إنهم يتحملون مسؤولية شخصية عما حصل. سنعرف ذلك في وقت لاحق. ما يهم أن مارتن كان بعمر السابعة عشرة حين توفي غوتفريد ولم يعد لديه من يرشده ويعلمه. حاول السير على خطى أبيه في فبراير من العام 1966 في أوبسالا.»

مدّ بلومفيست يده وتناول سيجارة من علبة سالاندر.

«لن أمعن النظر في الرغبات التي كان غوتفريد يحاول إرضاءها أو أطيل التفكير في كيفية شرحه لما كان يقوم به. يرد في الكتاب المقدس نوع من الكلام الغامض حول العالم النفسي. إنه أمر يتعلق بالعقاب والتطهّر بالمعنى المجازي للكلمة. لا يهم ما هو الأمر فعلاً، لقد كان ببساطة قاتلاً متسلسلاً محترفاً.»

«كان غوتفريد يريد أن يقتل النساء ويلبس أفعاله الشنيعة نوعاً من الهراء الديني المغلوط. مارتن لم يدّع أي عذر يبرر أفعاله. كان شخصاً منظّماً يقدم على فعل القتل بطريقة منهجية. كما كان ينفق أموالاً من أجل ممارسة هوايته. إنه أكثر دهاءً من والده. فقد كان غوتفريد يترك كل مرة وراءه جثة مما يؤدي بالشرطة إلى فتح تحقيق بالأمر والمخاطرة بأن تقود الأدلة إليه أو ربط اسمه بعدد من الجرائم المتفرقة على الأقل.»

قالت سالاندر بعد طول تأمل: «لقد بنى مارتن منزله في السبعينيات.»

«أعتقد أن هنريك ذكر أنه بني في العام 1978. على الأرجح أنه طالب ببناء غرفة آمنة من أجل حفظ الملفات أو لهدف شبيه. وقد كان له ما أراد فعلاً، فحصل على غرفة عازلة للصوت، من دون نوافذ، مزودة بباب حديدي.»

«كانت هذه الغرفة لديه منذ خمسة وعشرين عاماً.»

غرق كلاهما في صمت مطبق وراح بلومفيست يفكر في أشكال الفظاعات والأعمال الوحشية التي كانت تقع هناك على مدى ربع قرن من الزمن. لم تكن سالاندر بحاجة إلى التفكير في الأمر، إذ سبق لها أن شاهدت أفلام الفيديو التي تصوّر تلك الفظاعات. لاحظت أن بلومفيست يلامس عنقه.

«غوتفريد كان يكره النساء وقد علّم ابنه أن يكرههنّ وكان يغتصبه في الوقت عينه. لكن هناك أيضاً نوع من المعنى الباطني لأفعاله... أعتقد أنه

كان يخيّل لغوتفريد أن أولاده يجب أن يشاركوه نظرته المنحرفة للعالم، إذا أردنا تبسيط الأمور. حين سألت مارتن عن أخته هارييت قال بالحرف الواحد: 'حاولنا أن نتكلم معها. لكنها لم تكن سوى أنثى عادية. وكانت تخطط لإخبار هنريك بالأمر.'»

«لقد سمعته يقول ذلك. وهذا يعني أننا نعلم الآن ما كان سيكون عليه حديثها مع هنريك، الحديث الذي أجهض قبل أن يتم.»

قطب بلومفيست جبينه وقال: «ليس تماماً. فكري في مسار الأحداث وفقاً للتسلسل الزمني. لا نعرف متى قام غوتفريد باغتصاب ابنه لأول مرة، لكنه اصطحب مارتن معه حين قتل ليا بيرسون في أوديفالا عام 1962. وغوتفريد نفسه غرق في العام 1965. لقد حاول هو ومارتن قبل ذاك الوقت التحدث إلى هارييت وإقناعها بالانضمام إليهما. إلى أين يقودنا ذلك؟»

«لم يكن مارتن الوحيد الذي اعتدى عليه غوتفريد جنسياً. بل أظن أنه اعتدى على هارييت أيضاً.»

«غوتفريد كان الأستاذ. ومارتن كان التلميذ. فماذا كانت هارييت تمثل لهما؟ أكانت لعبتهما؟»

أشارت سالاندر إلى صورتَي الـPolaroid وقالت: «غوتفريد علّم مارتن أن يمارس الجنس مع أخته. يصعب تحديد موقفها من الأمر من خلال هاتين الصورتين لأننا لا نستطيع أن نرى وجهها لكنها تحاول الاختباء من الكاميرا.»

«لنقل إن الأمر كله قد بدأ حين كانت هي في الرابعة عشرة من عمرها أي في العام 1964. لقد دافعت عن نفسها حين حاولت التهرّب من تصويرها، بمعنى أنها لم تتقبل ما يحدث كما يقول مارتن. هذا ما كانت تهدد بإخبار هنريك به. مما لا شك فيه أنه لم يكن لمارتن أي رأي بهذا الخصوص إذ كان ينفذ ما يطلبه إليه والده. لكنه هو وغوتفريد كانا قد شكلا نوعاً من... الحلف، وقد حاولا ضم هارييت إليه.»

قالت له سالاندر: «لقد دوّنت في دفتر ملاحظاتك أن هنريك قد سمح لهاربيت بالانتقال إلى منزله في شتاء العام 1964.»

«كان بإمكان هنريك أن يلاحظ وجود خطب ما في عائلتها. كان يظن أن المشاحنات والاحتكاكات بين غوتفريد وإيزابيلا هي السبب. واستقبلها بناءً على ذلك في بيته على أمل أن تنعم ببعض الهدوء والسلام من أجل متابعة دراستها.»

«وتلك كانت عقبة غير متوقعة بالنسبة لكل من مارتن وغوتفريد. إذ لن يتمكنا من الوصول إليها بسهولة أو التحكم بمسار حياتها. لكن، أين كانت تتم عملية الاعتداء بالتالي؟»

«لا بدّ أنها كانت تحصل في كوخ غوتفريد. أكاد أكون جازماً أن تلك الصور قد التقطت هناك. سيكون التحقق من الأمر ممكناً. يقع الكوخ في مكان مثالي، فهو بعيد عن القرية ومعزول. ومن ثم فقد ثمل غوتفريد لمرة واحدة وأخيرة ومات بأكثر الطرق تفاهة.»

«أظنّ أن والد هاربيت قد حاول ممارسة الجنس مع ابنته لكنه لم يدفعها لارتكاب جرائم قتل.»

أدرك بلومفيست أن طرحه كان ركيكاً. فهاربيت قد دوّنت لائحة بأسماء ضحايا غوتفريد وذيلتها بمقتطفات من الإنجيل. إلا أن اهتمامها بالإنجيل لم يظهر إلا قبل عام واحد من اختفائها. وكان غوتفريد قد مات حينئذ. توقف عن الكلام قليلاً في محاولة تأمّل للتوصل إلى شرح منطقي للأحداث. ثم قال: «في وقت ما اكتشفت هاربيت أن غوتفريد لم يرتكب سفاح القربى وحسب بل كان قاتلاً جنسياً متسلسلاً.»

«لا نعلم متى كان الوقت الذي اكتشفت فيه جرائمه. قد يكون ذلك قبل حادثة غرق غوتفريد مباشرة. لعلها اكتشفت ذلك بعد حادثة الغرق إن كان قد احتفظ بمفكرة ما أو كان يحتفظ بقصاصات من الصحف والمنشورات. أظنّ أن شيئاً ما وضعها في طريقه.»

قال لها بلومفيست: «لكن ليس هذا ما كانت تهدد بإخبار هنريك به.»

أجابت سالاندر: «لقد كان الأمر يتعلق بمارتن. والدها كان ميتاً، لكن مارتن كان سيعتدي عليها.»

«تماماً.»

«لكن عاماً مضى عام قبل أن يقدم على أي خطوة.»

«ما الذي قد تفعلينه إن اكتشفت أن والدك كان قاتلاً يقوم باغتصاب أخيك؟»

«سأقتل هذا اللعين.» أتت نبرة سالاندر متزنة مقنعة جعلت بلومفيست يصدّقها. تذكّر ملامح وجهها وهي تهاجم مارتن فانفر فافتر ثغره عن ابتسامة لا تعبّر عن الفرح.

«حسناً. لكن هارييت لم تكن مثلك. وقد مات غوتفريد قبل أن تتمكن من القيام بأي شيء. هذا منطقي أيضاً. حين مات غوتفريد عمدت إيزابيلا إلى إرسال مارتن إلى أوبسالا. من المرجح أنه كان يعود إلى الديار لتمضية فترة الميلاد والعطلات الأخرى، لكنه خلال العام الذي تلا مقتل أبيه لم يلتق هارييت كثيراً. كانت قادرة على البقاء على مسافة معينة منه.»

«وقد انكبت على دراسة الإنجيل.»

«وفي ضوء ما نعرفه حتى الآن، لم تكن الخطوة ناجمة بالضرورة عن أسباب دينية. لعلها أرادت أن تعرف ما الذي كان يخطط له والدها وحسب. وظلت منكبة على مطالعته إلى أن حل احتفال عيد الطفل في العام 1966. ولمحت أخاها فجأة في جارنفاغسفاتان وأدركت أنه قد عاد. لا نعلم ما إذا تحدث أحدهما إلى الآخر، أو إن كان قد قال لها شيئاً. لكن مهما كان الذي حصل فقد كان لدى هارييت دافع قوي للعودة إلى المنزل والتحدث إلى هنريك.»

«ومن ثم اختفت.»

صمت كل من بلومفيست وسالاندر معاً.

بعد أن راجعا تسلسل الأحداث، لم يكن يصعب عليهما فهم ما تبقى

من الأحجية وما كانت لتبدو عليه. رتّب كل من بلومفيست وسالاندر حقائبه. وقبل أن يغادرا، اتصل بلومفيست بفرود وأبلغه أن عليه وسالاندر المغادرة لفترة من الزمن وأنه يرغب حتماً في رؤية هنريك فانغر قبل أن يرحلا.

أراد بلومفيست أن يعرف ما الذي قاله فرود لهنريك. بدا الرجل على الهاتف تحت وطأة ضغط نفسي كبير بحيث شعر بلومفيست بالقلق حياله. أخبره فرود أن كل ما قاله لهنريك هو أن مارتن قد مات في حادث سيارة.

كان الرعد قوياً مجدداً حين ركن بلومفيست السيارة أمام مستشفى هيدستاد، وكانت السماء ملبدة بالمزيد من الغيوم المحملة بالأمطار. وقد أخذ يعدو بسرعة لاجتياز مرآب السيارات حين بدأت السماء تمطر.

كان هنريك يرتدي برنساً ويجلس في كرسي بالقرب من نافذة غرفته. كان المرض قد ترك علاماته بوضوح عليه إلا أن فانغر كان قد استعاد بعض اللون إلى وجنتيه ويبدو أنه على طريق الشفاء. تصافح الرجلان، وطلب بلومفيست من الممرضة أن تدعهما على انفراد لبضع دقائق.

قال له فانغر: «لقد كنت تتفادى لقائي.»

أومأ له بلومفيست قائلاً: «لقد تعمدت ذلك. لم تكن عائلتك ترغب أن آتي إلى هنا إطلاقاً. لكن الجميع اليوم في منزل إيزابيلا يتقبّلون التعازي.»

قال له فانغر: «يا لمارتن المسكين.»

«اسمع يا هنريك، لقد أوكلت إليّ مهمة البحث عن الحقيقة لمعرفة ما الذي حصل لهارييت. هل توقعت أن تكون الحقيقة غير مؤلمة؟»

نظر إليه الرجل العجوز للحظة قبل أن تتسع عينيه.

«أهو مارتن؟»

«إنه جزء من القصة.»

أغمض هنريك عينيه.

أكمل بلومفيست: «لدي سؤال أطرحه عليك.»

«هات أخبرني.»

«هل ما زلتَ تريد أن تعرف ما الذي حصل؟ حتى لو كشفت الحقيقة عن أمور موجعة وتبين أنها أسوأ مما كنت تتخيل.»

نظر هنريك إلى بلومفيست مطولاً ثم قال له: «أريد أن أعرف. ذلك كان هدف المهمة التي أوكلتها إليك.»

«حسناً، أظنني أعرف ما الذي حصل لهاربيت، إلا أن هناك قطعة أخيرة بعد مفقودة من الأحجية قبل أن أستطيع الجزم.»

«قل لي ما هي.»

«كلا، ليس اليوم. ما أريد منك فعله في الوقت الحاضر هو الراحة. يقول الأطباء إن الأزمة قد انتهت وإنك سوف تتحسن.»

«لا تعاملني كأنني طفل أيها الشاب.»

«لم أنته من العمل على القضية بعد. كل ما أملكه هو نظرية ليس إلا. سوف أعثر على القطعة الأخيرة من الأحجية. المرة المقبلة التي تراني فيها ستكون لدي القصة كاملة. قد يتطلب الأمر بعض الوقت لكن ما أريد منك أن تعرفه هو أني سأعود وأنك ستعرف الحقيقة.»

غطت سالاندر دراجتها النارية بقطعة من القماش المشمع وتركتها عند الناحية المظللة من الكوخ، ثم دخلت سيارة بلومفيست المستعارة. كانت العاصفة قد عادت بقوة مضاعفة متجددة وكانت الأمطار جنوب غافلي من الغزارة بحيث كان بلومفيست لا يكاد يرى الطريق أمامه. توقف عند إحدى محطات الوقود لمجرد الحفاظ على سلامتهما وانتظر إلى أن تهدأ العاصفة قليلاً. هكذا، لم يتمكنا من الوصول إلى ستوكهولم حتى الساعة السابعة مساءً. أعطى بلومفيست الرمز الأمني للمبنى الذي يقيم في إحدى شققه لسالاندر وأوقفها عند محطة القطار. بدت شقته غير مألوفة عند وصوله إليها.

كنس الأرض بالمكنسة الكهربائية وأزال الغبار في حين ذهبت

سالاندر لرؤية «بلاغ» في صانديبرغ. وصلت إلى شقة بلومفيست عند منتصف الليل تقريباً وأمضت عشر دقائق كاملة في تفحص كل زاوية وركن فيها. ثم وقفت عند النافذة لوقت طويل تتأمل المشاهد المواجهة لقناة سلاسن. ثم تجردا من ملابسهما وناما.

وفي ظهيرة اليوم التالي حطت بهما الطائرة في مطار غاتويك في لندن. كانت الأمطار الغزيرة في استقبالهما كذلك. حجز بلومفيست غرفة لهما في فندق «جايمس» بالقرب من هايد بارك. وهو فندق ممتاز مقارنة ببقية فنادق النجمة الواحدة في بايسووتر حيث اعتاد أن ينتهي به الأمر في رحلاته السابقة إلى لندن.

عند الساعة الخامسة من بعد الظهر كانا يقفان في الحانة حين اقترب منهما شاب صغير السن بعض الشيء شبه أصلع مع لحية شقراء. كان يرتدي سروال جينز وسترة كبيرة عليه.

«'واسب'؟»

سألته: «ترينيتي؟»

أومأ أحدهما إلى الآخر ولم يسأل الشاب عن اسم بلومفيست.

تم التعريف عن شريك ترينيتي على أنه «بوب ذا دوغ». وكان متوقفاً في حافلة من نوع فولسفاكن قديمة في الزاوية. دخل الجميع عبر الأبواب الجرارة وجلسوا إلى كراسي مثبتة بالطاولة. أخذ بوب يتأمل زحمة سيارات الشارع بينما شرع واسب وترينيتي يتحدثان.

«قال 'بلاغ' إن للأمر علاقة بالأعمال الخطرة.»

«أي التنصت على المكالمات الهاتفية والتحقق من البريد الإلكتروني الوارد على الكومبيوتر. قد تسير الأمور بسرعة أو قد تتطلب بعض الوقت وفقاً للمجهود الذي يضعه في العمل.»

أشارت ليزبث بإصبعها إلى بلومفيست وسألته: «هل تستطيع القيام بذلك؟»

سألها ترينيتي: «وهل في الكلاب بعرض؟»

كانت آنيتا فانغر تعيش في منزل ذي شرفات في إحدى الضواحي الفخمة لسانت ألبانز التي تبعد حوالى ساعة شمالاً في السيارة. رأوها من الحافلة وهي تصل إلى منزلها وتفتح الباب عند الساعة السابعة والنصف مساءً تقريباً. انتظروا إلى أن ترتاح وتتناول العشاء. كانت جالسة قبالة التلفزيون قبل أن يرن بلومفيست جرس الباب.

فتحت له الباب نسخة شبيهة بسيسيليا فانغر تعلو وجهها ملامح التساؤل غير الوقح.

«مرحباً آنيتا، أدعى ميكائيل بلومفيست. لقد طلب إليّ هنريك فانغر المجيء لرؤيتك. أفترض أنك سمعت الأخبار المتعلقة بمارتن.»

تغيرت ملامح وجهها من الدهشة إلى القلق. كانت تعلم تماماً من هو ميكائيل بلومفيست. لكن اسم هنريك كان يعني أنها مجبرة على فتح الباب والسماح له بالدخول. دعته وقادته إلى غرفة الجلوس. لاحظ وجود قطعة حجرية من توقيع أندرز زورن فوق الموقد. وكانت الغرفة بمجملها مذهلة.

«سامحيني على إزعاجك على هذا النحو من دون سابق إنذار لكن صُودف أني كنت موجوداً في سانت ألبانز وحاولت الاتصال بك عدة مرات خلال النهار.»

«فهمت. أرجو أن تخبرني ما الأمر بالضبط.»

«هل تخططين لحضور جنازة مارتن؟»

«كلا، لست أنوي الذهاب في الواقع. مارتن وأنا لم نكن مقربين بأي حال، أضف إلى أنه لا يسعني مغادرة البلاد في الوقت الراهن.»

لقد ظلت آنيتا فانغر بعيدة عن هيدستاد لمدة ثلاثين عاماً. بالكاد وطئت قدماها جزيرة هيديبي بعد أن عاد والدها للعيش فيها.

«أريد أن أعرف ما الذي حلّ بهارييت فانغر يا آنيتا. لقد حان وقت الاعتراف بالحقيقة.»

«ماذا، هاريـيت؟ لا أعرف ما الذي تتكلم عنه؟»

ابتسم بلومفيست لدهشتها المصطنعة وقال: «لقد كنت الصديقة الأكثر قرباً من هاريبت في العائلة. كنت أنت من لجأت إليه وأخبرته بقصتها الفظيعة.»

أجابته آنيتا: «لا أستطيع أن أتخيل ما الذي تتحدث عنه.»

«لقد كنت في غرفة هارييت ذلك اليوم يا آنيتا. لديّ صور تثبت ما أقول على الرغم مما ادّعيت به أمام المحقق موريل. في غضون أيام سأخبر هنريك بالأمر وسيحصل على الإثبات، لذا من الأفضل لك أن تخبريني عما حصل بنفسك.»

وقفت آنيتا فانغر في مكانها.

«اخرج من منزلي في هذه اللحظة.»

وقف بلومفيست أيضاً.

«ستضطرين للتحدث إليّ عاجلاً أو آجلاً.»

«ليس لدي ما أقوله لك لا الآن ولا في ما بعد.»

قال لها بلومفيست: «مارتن قد مات الآن. وأنت لم تحبيه يوماً. أظن أنك انتقلت للعيش في لندن ليس من أجل أن تتفادي رؤية والدك وحسب بل كي لا تضطري لرؤية مارتن كذلك. هذا يعني أنك تعلمين بأمره أيضاً، والوحيدة التي يمكن أن تكون قد أخبرتك بحقيقته هي هارييت. السؤال الذي يطرح نفسه هو: ما الذي فعلته بهذه المعرفة؟»

صفقت آنيتا فانغر الباب بوجهه.

افترّ ثغر سالاندر عن ابتسامة رضا وهي تفك الميكروفون الصغير من السترة التحتية.

قالت له: «لقد رفعت سماعة الهاتف بعد حوالى عشرين ثانية من اقتلاع الباب من مكانه وهي تصفقه بوجهك.»

قال ترينيتي وهو يضع سماعات الأذنين من يده على الطاولة الصغيرة

في الحافلة: «رمز البلد أستراليا. أحتاج لأن أتحقق من رمز المنطقة.» ضغط زر جهاز الكومبيوتر المحمول أمامه: «حسناً، لقد اتصلت بالرقم التالي، وهو رقم هاتف في بلدة تعرف بتينانت كريك تقع شمال شلالات 'أليس' من المقاطعة الشمالية. هل تريدان الاستماع للحديث الذي جرى أثناء المكالمة؟»

أومأ له بلومفيست وسأله: «ما هو الوقت الآن في أستراليا؟»

«حوالى الساعة الخامسة فجراً.» قام ترينيتي بتشغيل الآلة وأوصلها إلى مكبر للصوت. عدّ ميكائيل ثماني رنات قبل أن يرفع أحدهم سماعة الهاتف. جرت المكالمة باللغة الإنكليزية.

«مرحباً. هذه أنا.»

«حسناً أعلم أني الشخص الذين تتصلين به صباحاً ولكن...»

«فكرت أن أتصل بك بالأمس... مارتن مات. يبدو أن سيارته اصطدمت بشاحنة في الأول من أمس.»

سادت فترة من الصمت. ثم بدا أن أحدهم تنحنح على الهاتف لعله كان يقول: «جيد.»

«لكن لدينا مشكلة صغيرة. صحافي مثير للاشمئزاز، نبشه هنريك من مكان ما، قد طرق باب منزلي للتو هنا في سانت ألبانز. إنه يطرح أسئلة عما حدث في العام 1966. إنه يعرف شيئاً ما.»

عاد الصمت ليخيم من جديد، قبل أن يقول الصوت بلهجة الأمر: «آنيتا. أقفلي الخط الآن. لا يسعنا التواصل عبر الهاتف لفترة.»

«ولكن...»

«اكتبي لي رسالة. وأخبريني بما يحصل.»

ومن ثم انتهت المكالمة.

قالت سالاندر: «يا لها من محتالة فطنة.»

عادا إلى الفندق الذي حجزا فيه قبل الساعة الحادية عشرة. ساعدهما موظف الاستقبال المسؤول على حجز مقعدين على متن أقرب رحلة إلى

أستراليا. سرعان ما أكدا الموافقة على الحجز على متن تلك الرحلة عند الساعة السابعة وخمس دقائق من مساء اليوم التالي. الوجهة ملبورن التبديل في سنغافورة.

كانت تلك الرحلة الأولى لسالاندر إلى لندن. وقد أمضيا فترة الصباح يمشيان من حديقة كوفنت إلى سوهو. وتوقفا لتناول القهوة بالحليب في شارع أولد كومبتون ستريت. حوالى الساعة الثالثة من بعد الظهر عادا إلى الفندق لترضيب أمتعتهما. بينما كان بلومفيست يدفع الفاتورة، أدارت سالاندر هاتفها المحمول، كانت هناك رسالة لها.

«يطلب آرمانسكي أن أتصل به في الحال.»

استعملت الهاتف الموجود في ردهة الفندق. لاحظ بلومفيست الذي كان يقف على مسافة قصيرة من سالاندر تغييراً حاداً في ملامح وجهها. وسرعان ما عاد يقف إلى جانبها.

«ما الأمر؟»

«أمي توفيت. عليّ العودة إلى الديار.»

بدت سالاندر غاية في الحزن إلى درجة أنه وضع ذراعه حول كتفيها. لكنها أبعدته عنها بسرعة.

كانا يجلسان في حانة الفندق حين قال لها بلومفيست إنه قد يلغي الحجز إلى أستراليا ويعود معها. لكنها عبّرت بحزم عن رفضها للفكرة. وذهبا لتبديل حجز سالاندر.

قالت له: «كلا، لا يمكن أن نفسد الأمر الآن. عليك أن تذهب بمفردك.»

افترقا أمام مدخل الفندق وكل منهما يسير في وجهة مختلفة نحو المطار المناسب.

الفصل السادس والعشرون

الثلاثاء، 15 يوليو - الخميس، 17 يوليو

استقل بلومفيست الطائرة من ملبورن إلى شلالات «أليس». وكان عليه بعد ذلك أن يختار بين الطائرة أو استئجار سيارة لاجتياز مسافة المئتين وخمسين ميلاً المتبقية من الرحلة. لكنه اختار السيارة.

شخص مجهول الهوية يوقّع باسم «جوشوا» التوراتي، لعله كان جزءاً من شبكة الاتصالات الدولية الغامضة لـ«بلاغ» أو ربما لـ«ترينيتي». كان هذا الشخص قد ترك له مغلفاً عند طاولة الاستعلامات في مطار ملبورن.

الرقم الذي اتصلت به آنيتا يعود إلى مكان يدعى مزرعة كوشران. لقد كانتْ مزرعة للغنم. وقد زودته مقالة عن الإنترنت بالدليل المصوَّر.

أستراليا: عدد السكان ثمانية عشر مليون نسمة، عدد أصحاب مزارع الغنم ثلاثة وخمسون ألفاً، حوالى مئة وعشرين مليون رأس غنم. تبلغ صادرات الصوف ما يقدر بحوالي ثلاثة مليارات دولار ونصف سنوياً. تصدّر أستراليا سبعمئة مليون طن من لحم الضأن والخراف إضافة إلى جلود تصنيع الملابس. يشكل إنتاج اللحوم والصوف مجتمعين إحدى أضخم صناعات البلاد وأكثرها أهمية...

تشكل مزرعة كوشران، التي تأسست عام 1891 على يد جيريمي كوشران، خامس أكبر المشاريع الزراعية في أستراليا، وتضم حوالى ستين ألف رأس غنم من نوع «ميرينو» (التي يعتبر صوفها من أجود الأصواف الجيدة). تحتوي المزرعة كذلك على الماعز والخنازير والدجاج. تصدّر

مزرعة «كوشران» إنتاجها إلى كل من الولايات المتحدة الأميركية واليابان والصين وأوروبا.

السيرة الذاتية الشخصية لأصحاب المزرعة كانت مذهلة.

لقد انتقلت المزرعة عام 1972 من رايموند كوشران إلى سبنسر كوشران الحاصل على شهادة من جامعة أكسفورد. توفي سبنسر عام 1994، وتولت إدارة المزرعة أرملته. وجد بلومفيست صورة غير واضحة لها محملة عن موقع مزرعة كوشران الإلكتروني. وكانت تظهر امرأة ذات شعر أشقر قصير. وجهها مغطى جزئياً وهي تجز صوف أحد الخراف.

وفقاً لما كان وارداً في الملاحظة التي تركها جوشوا، كان الثنائي قد تزوج في إيطاليا في العام 1971.

اسم المرأة كان آنيتا كوشران.

توقف بلومفيست حتى صباح اليوم التالي في بلدة جافة باسم متفائل مزيّف هو «وانادو». وتناول في حانتها لحم الضأن المشوي مع ليتر ونصف من المشروب برفقة بعض المحليين هناك الذين نادوه جميعاً باسم «الرفيق».

آخر ما فعله قبل الذهاب إلى الفراش كان أن اتصل بإريكا برجر في نيويورك.

«أنا آسف يا ريكي، كنت منشغلاً جداً بحيث لم يتوفر لي الوقت للاتصال بك.»

انفجرت على الهاتف قائلة: «ما الذي يحدث بحق السماء؟ اتصل بي كريستر وأخبرني أن مارتن قد قُتِلَ في حادث سيارة.»

«إنها قصة طويلة.»

«ثم لماذا لا تردّ على اتصالاتي؟ إني أحاول الاتصال بك كالمجنونة على مدى اليومين السابقين.»

«لا يعمل الهاتف هنا.»

«أين تعني بـ 'هنا'؟»

«أنا في الوقت الحالي على بعد مئة وخمسة وعشرين ميلاً تقريباً شمال شلالات 'أليس' في أستراليا.»

كان بلومفيست ينجح في إصابة برجر بالدهشة. وقد بقيت هذه المرة صامتة إثر ما سمعته لما يقارب العشر ثوانٍ.

«وما الذي تفعله في أستراليا؟ إذا سمحت لي بالسؤال.»

«إنني أنهي العمل على القضية، سأعود في غضون بضعة أيام. اتصلت بك فقط لأخبرك أن العمل الذي أقوم به لصالح هنريك فانغر قد شارف على الانتهاء.»

وصل إلى مزرعة كوشران قرابة ظهر اليوم التالي ليخبروه أن آنيتا كوشران كانت تعيش في مزرعة غنم بالقرب من مكان يدعى ماكاواكا الذي يبعد خمسة وسبعين ميلاً غرباً.

كانت الساعة الرابعة من بعد الظهر حين وجد ميكائيل طريقه إلى هناك عبر الطرقات المغبرة الوعرة. توقف عند إحدى البوابات حيث اجتمع بعض المزارعين على غطاء سيارة من نوع Jeep لتناول القهوة. خرج بلومفيست من السيارة وشرح لهم أنه يبحث عن آنيتا كوشران. التفت الجميع نحو شاب مفتول العضلات من الواضح أنه كان صاحب القرار بين أفراد المجموعة. كان عاري الصدر بني البشرة إلا في الأماكن التي تغطيها سترته عادة. كان يضع قبعة ذات إطار عريض.

أجابه مشيراً له بإبهامه: «الرئيسة تعيش على بعد ثمانية عشر ميلاً بهذا الاتجاه.»

ثم رمق سيارة بلومفيست بنظرة مريبة وقال له إنها ليست بالفكرة السديدة أن تذهب إلى هناك بتلك السيارة اليابانية الشبيهة بدمى الأطفال. ثم اقترح صاحب الجسم الرياضي ذو البشرة السمراء بأن يصطحب

بلومفيست معه إذ كان متوجها إلى المكان نفسه. شكره ميكائيل على عرضه. حمل جهاز الكومبيوتر الخاص وذهب معه.

عرّف الرجل عن نفسه على أنه جيف، وقال إنه «المسؤول عن خيول السباق» في المزرعة. طلب إليه بلومفيست أن يشرح له ما الذي يعنيه بقوله، فنظر جيف إليه نظرة جانبية طويلة مستنتجاً أن بلومفيست ليس من تلك الأنحاء. وشرح له أن المسؤول عن خيول السباق يوازي المدير المالي في المصرف على الرغم من أنه يعمل في مزرعة للغنم ليس إلا. وقال له إن التعبير الذي يستعمل للدلالة على مزرعة المواشي في أستراليا يختلف عن الكلمة المتعارف عليها عادة.

تابع الرجلان حديثهما بينما كان جيف يقود سيارة الجيب ذات الدفع الرباعي بمرح بسرعة عشرة كيلومترات في الساعة على طول طرقات أودية تنحدر بنسبة عشرين درجة. شكر بلومفيست حظه الجيد لأنه لم يحاول قيادة السيارة التي استأجرها في هذا المكان. سأل عما يوجد أسفل تلك الوهاد فأخبره إنها مراعٍ.

«كما علمت، فإنّ كوشران مزرعة كبيرة في البلاد.»

أجابه جيف بنبرة تنمّ عن كبرياء: «إننا نعتبر إحدى أكبر مزارع الماشية في كافة أنحاء أستراليا. نقوم بتربية ما يقارب تسعة آلاف رأس من الغنم هنا في منطقة ماكاواكا لكننا نملك مزارع أخرى في كل من نيو ساوث وايلز وجنوب أستراليا. لدينا ما يزيد على ستين ألف رأس من الماشية.»

خرجا من الطرق الوعرة للأودية إلى منطقة كثيرة التلال لكنها أقل وعورة. ما لبث بلومفيست أن سمع إطلاق نار. رأى جيف الخراف والمواقد الكبيرة وعشرات الأيادي العاملة في المزارع. بدا أن عدداً من الرجال يحملون البنادق. من الواضح أنهم كانوا يصطادون الخراف لذبحها.

جنح تفكير بلومفيست لاإرادياً إلى الخراف التي تتم التضحية بها حسبما ورد في الإنجيل.

ثم رأى امرأة ذات شعر أشقر قصير ترتدي سروال جينز وقميصاً لونه أحمر وأبيض على شكل مربّعات. توقف جيف على بعد عدة ياردات منها.

قال لها: «مرحباً أيتها الرئيسة، لدينا سائح هنا.»

خرج بلومفيست من الجيب ونظر إليها. رمقته بدورها بنظرات متسائلة.

قال لها باللغة السويدية: «مرحباً هارييت، لقد مرّ وقت طويل.»

لم يفهم أي من الرجال الذين يعملون لصالح آنيتا كوشران كلمة مما قيل لكنهم رأوا جميعاً ردّ فعلها. تراجعت خطوة إلى الوراء وقد أخذت منها الدهشة كل مأخذ. لاحظ الرجال كيف استجابت لكلامه فتوقفوا عن المزاح واستقام كل منهم في مكانه على أهبة الاستعداد للتدخل ومواجهة هذا الرجل الغريب. الودّ الذي كان جيف يظهره له تبخر فجأة وقد تقدم الرجل من بلومفيست خطوة محذّرة.

كان ميكائيل على يقين تام بالموقف الهش الذي يعيشه. كلمة واحدة من آنيتا كوشران ويقضى عليه بالكامل.

مرت لحظات الصدمة بطيئة. ولوّحت هارييت بيدها تشير إليهم بأن يهدأوا فتراجعوا جميعاً إلى الوراء. اقتربت من بلومفيست ونظرت في عينيه مباشرة. كان وجهها متّسخاً يتصبب عرقاً. وشعرها الأشقر كان بنيّاً عند فروة رأسها. كان وجهها ناحلاً وفيه ملامح تدل على تقدم في السن. إلا أنها كبرت لتصير امرأة جميلة كما أوحت الصور.

سألته: «هل التقينا سابقاً؟»

«أجل، التقينا. أدعى ميكائيل بلومفيست وقد كنت لي بمثابة الأخت الصغرى في أحد فصول الصيف حين كنتُ في الثالثة من العمر. كنتِ أنتِ حينئذ في الثانية عشرة أو في الثالثة عشرة من عمرك.»

استغرقت ملامح هارييت المذهولة بضع ثوانٍ لتتغير، قبل أن يلاحظ أنها تذكرته فعلاً. بدت مندهشة تماماً.

«ما الذي تريده؟»

«اسمعي يا هارييت، أنا لست عدوّك. ولا جئت إلى هنا كي أسبب لك المشاكل، كل ما أريده هو أن أتحدث إليك.»

التفتت إلى جيف وطلبت إليه تولّي العمل عنها وأشارت إلى بلومفيست ليتبعها. مشيا بضع عشرات من الخطوات نحو مجموعة من الخيام البيضاء القائمة وسط بستان من الأشجار. أشارت إليه بأن يجلس على كرسي من دون ظهر أو ذراعين، تستعمل في المخيمات عند إحدى الطاولات المتزعزعة وسكبت الماء في حوض قريب. غسلت وجهها وجففته ودخلت خيمة أخرى لتبدّل قميصها. أحضرت معها قنينتي جعة من البراد الصغير.

«هيا إذاً تحدث.»

«لماذا تطلقين النار على الخراف؟»

«لدينا داء معدٍ. قد تكون معظم تلك الخراف بصحة جيدة لكن لا يسعنا المخاطرة بانتشار الداء. سنضطر لقتل ما يزيد على ستمئة رأس غنم الأسبوع المقبل، لذا لست في مزاج جيد.»

قال لها بلومفيست: «اصطدمت سيارة أخيك بشاحنة منذ بضعة أيام وتحطّمت. ومات على الفور.»

«سمعت ذلك.»

«من آنيتا التي اتصلت بك.»

تمعّنت به لحظة امتدت طويلاً ثم أومأت. كانت تعلم أنه لا جدوى من إنكار الحقيقة.

«كيف عثرتَ عليّ؟»

فكر بلومفيست أنه ما من داعٍ ليكذب فقال لها: «لقد تنصتنا على المكالمة الهاتفية لآنيتا. رأيت أخاكِ قبل بضع دقائق من موته.»

قطبت هارييت فانغر جبينها وتلاقت نظراتهما. ثم نزع عنه الوشاح السخيف الذي كان يلف به عنقه وقلب الياقة للأسفل وسمح لها أن ترى الندبة التي خلفها حبل الشنق. كان أثره لا يزال أحمر اللون ملتهباً، لعل الندبة لن تختفي أبداً وستبقى لتذكره بمارتن فانغر.

«علّقني أخوك على حبل المشنقة لكن بفضل الله وصلت شريكتي في الوقت المناسب وأنقذت حياتي.»

سرعان ما شعرت هارييت بعينيها تحرقانها.

«أظن أنه من الأفضل لك لو تخبرني القصة من البداية.»

استغرق حديثه أكثر من ساعة كاملة. أخبرها من يكون وما العمل الذي كان يقوم به. ووصف لها كيف انتهى به الأمر ليتسلّم المهمة التي أوكلها إليه هنريك فانغر. شرح لها كيف أن تحقيقات الشرطة وصلت إلى طريق مسدود، وأخبرها عن التحقيق الطويل الذي قام به هنريك نفسه. وأخبرها أخيراً كيف أن الصورة التي التقطتها مع صديقاتها في جارنفاغسغاتان في هيدستاد أدت إلى الكشف عن المآسي التي تقف خلف لغز اختفائها وعواقبه المريعة التي انتهت بانتحار مارتن.

حلّ الغسق بينما هو يتحدث إليها. انتهى يوم عمل الرجال فغادروا وأشعلت النيران وبدأت الأوعية تغلي. لاحظ بلومفيست أن جيف كان يبقى على مسافة قريبة من معلمته وهو يبقي عيناً عليه تراقب تحركاته. قدم لهما الطاهي طعام العشاء. وتناول كل منهما المزيد من الجعة. حين انتهى من تناول العشاء كانت هارييت تجلس في مكانها بصمت.

قالت له في النهاية: «كنت سعيدة جداً لأن أبي قد مات وانتهت بموته حوادث العنف. لم يخطر ببالي مطلقاً أن مارتن... أنا سعيدة لموته.»

«يمكنني أن أفهمك.»

«قصّتك لا تشرح كيف توصلت إلى أني لا أزال على قيد الحياة.»

«بعد أن أدركنا ما الذي حصل، لم يكن تصور الباقي بالأمر الصعب. من أجل أن تختفي، كنتِ بحاجة إلى المساعدة. آنيتا كانت أمينة أسرارك والوحيدة التي كنت يهمّك أمر وجودها في العائلة أصلاً. كنتما صديقتين حميمتين وقد أمضت فصل الصيف معك. كنتما تخرجان إلى كوخ أبيك وتمضيان وقتاً فيه. إن كان من أحد تثقين به فلا بد أن تكون هي، كما أنها كانت قد حصلت لتوها على رخصة القيادة.»

نظرت هارييت إليه تعلو ملامحها تعابير عجز عن تفسيرها.

«إذاً، بما أنك أصبحت الآن تعرف أني حية، ما الذي ستفعله؟»

«سأخبر هنريك بالأمر. هو يستحق أن يعرف.»

«ومن ثم؟ أنت صحافي.»

«لا أفكر في أن أفضح أمرك. لقد خرقت ما يكفي من قوانين السلوك المهني في خضم هذه الورطة المحزنة إلى حد أن نقابة الصحافة ستطردني من دون أدنى شك إذا علمت بما فعلت. خرق واحد إضافي لن يحدث أي فارق ثم إني لا أريد أن أغضب شقيقة الطفولة.» كان يحاول أن يستخف بالأمر ويجعله مضحكاً.

لم تبدُ هارييت مستمتعة بما يجري.

«كم شخص يعرفون الحقيقة؟»

«حقيقة أنك على قيد الحياة؟ في الوقت الراهن، كل منا أنا وأنت، وآنيتا وشريكتي. محامي هنريك يعرف بثلثي القصة لكنه يظنك متّ في الستينيات.»

بدت هارييت فانغر تعيد التفكير في أمر ما. كانت تحدّق إلى الظلام. انتاب ميكائيل مجدداً شعور بعدم الارتياح، إنه في وضع حساس وقد تذكّر أن بندقية هارييت فانغر الخاصة كانت على سرير المخيم على بعد ثلاث خطوات منها. إلا أنه ارتعش في مكانه وتوقّف عن تخيل الأمور. وغيّر الموضوع.

«لكن كيف انتهى بك الأمر لتصبحي صاحبة مزرعة مواشي في أستراليا؟ علمت سابقاً أن آنيتا تولت تهريبك من جزيرة هيديبي، في صندوق سيارتها كما أفترض حين أعيد فتح الجسر في اليوم الذي تلا الحادث.»

«لقد استلقيت في الواقع على المقعد الخلفي في سيارتها وقد وضعت غطاءً فوقي. لكن أحداً لم يفتش هناك. ذهبت إلى آنيتا حين وصلت إلى الجزيرة وأبلغتها أنه عليّ أن أهرب. كنت محقاً في تخمينك أني كنت أثق بها. لقد قدمت لي المساعدة وكانت صديقة وفية على مدى تلك الأعوام.»

«لكن لماذا أستراليا؟»

«مكثت في غرفة آنيتا في ستوكهولم بضعة أسابيع. كان لآنيتا مالها الخاص الذي أقرضتني إياه بسخاء. كما أعطتني جواز سفرها. إننا نبدو متشابهتين كثيراً. كل ما كان عليّ فعله هو أن أصبغ شعري بلون شعرها. عشت على مدى أربع سنوات في أحد الأديرة في إيطاليا. لم أكن راهبة بالطبع. فهناك أديرة حيث تستطيع استئجار غرفة بسعر زهيد لتنعم بالسكينة والهدوء وتتأمل وتفكر. ومن ثم التقيت سبنسر كوشران، كان يكبرني ببضع سنوات. كان قد حصل لتوه على شهادة من إنكلترا، وأحبّ أن يقوم بجولة في أوروبا. وقعت في حبه وهو كذلك. كان هذا كل ما في الأمر، وهكذا تزوجت آنيتا فانغر منه عام 1971. لم أندم على ما فعلت مطلقاً. كان رجلاً رائعاً. لكن وللأسف توفي منذ ثماني سنوات وأصبحت أنا مالكة المزرعة.»

«لكن ماذا عن جواز سفرك، لا بد أن يكون أحدهم قد اكتشف أن هناك شخصين باسم آنيتا فانغر.»

«كلا، ولماذا عسى أن يكتشف أحد الأمر؟ فتاة سويدية تدعى آنيتا فانغر متزوجة من سبنسر كوشران، لا فرق سواء كانت تعيش في إيطاليا أو في أستراليا. المرأة التي في لندن كانت زوجة سبنسر كوشران التي

انفصلت عنه. أما التي في أستراليا فهي زوجته الحالية. لا يقومون بمقارنة ملفات الكومبيوتر بين كانبيرا ولندن. أضف إلى أنني سرعان ما حصلت على جواز سفر أسترالي باسمي الجديد بعد الزواج. كان ترتيباً مناسباً جداً. الأمر الوحيد الذي كان يهدد بإفساد القصة هو زواج آنيتا. كان على زواجي عندها أن يتسجل في سجلات الدولة السويدية.»

«لكنها لم تفعل مطلقاً.»

«هي تدّعي أنها لم تجد بعد من ترتبط به. لكنني أعلم أنها فعلت ذلك من أجلي. إنها صديقة حقيقية.»

«ما الذي كانت تفعله في غرفتك؟»

«لم أكن عاقلة جداً ذلك اليوم. كنت خائفة من مارتن. طالما كان في أوبسالا كنت أستطيع أن أدفع بالمشكلة جانباً، وأنزعها من تفكيري. لكن مع مجيئه إلى هيدستاد أدركت أني لن أكون بأمان طوال حياتي. ترددت كثيراً بين إخبار العم هنريك وبين الهرب. لما لم يجد هنريك الوقت للتحدث إليّ صرت أسير في البلدة على غير هدى. كنت أعلم بالطبع أن حادثة الجسر تطغى على كل شيء آخر بالنسبة للجميع هناك، لكن ليس بالنسبة لي. كانت لدي مشاكلي الخاصة ولم اكد أنتبه لوقوع الحادث. بدا كل شيء غير حقيقي. ثم صادفت آنيتا التي كانت تمكث في كوخ الضيوف في المجمع مع كل من غيردا وألكسندر. كانت تلك اللحظة التي اتخذت فيها قراري. بقيت معها طوال الوقت ولم أجرؤ على الذهاب إلى الخارج. لكن كان هناك شيء واحد يجب أن آخذه معي، كنت قد دوّنت كل ما حصل في مفكرة، كما كنت بحاجة إلى بعض الملابس. وقد أحضرتها لي آنيتا.»

فكر بلومفيست للحظة ثم قال: «أفترض أنها لم تستطع أن تقاوم النظر من النافذة إلى مشهد الحادث. ما لا أفهمه هو لماذا لم تذهبي إلى هنريك كما كنت تنوين أن تفعلي وتخبريه بكل شيء؟»

«لماذا برأيك؟»

«لا أعرف حقاً. كان هنريك ليساعدك بالتأكيد. كان ليزيح مارتن جانباً، لعله كان ليرسله هو إلى أستراليا لتلقّي أحد أنواع العلاج أو الرعاية.»

«لم تفهم ما الذي حصل.»

حتى تلك اللحظة كان بلومفيست يشير إلى اعتداءات غوتفريد الجنسية على مارتن ويغفلها هي تماماً.

لكنه عاد وقال بحذر: «غوتفريد قام بالاعتداء على مارتن، وأشك في أنه كان يقوم بالأمر ذاته معك.»

لم تحرك هارييت فانغر عضلة واحدة بل تسمّرت في مكانها. ثم أخذت نفساً عميقاً ودفنت وجهها بين يديها. لم يستغرق جيف سوى خمس ثوانٍ ليكون بجانبها ويسألها ما إذا كان كل شيء على ما يرام. نظرت هارييت إليه وافتر ثغرها عن طيف ابتسامة. إلا أنها أدهشت بلومفيست حين وقفت وضمت المسؤول عن خيول السباق لديها بقوة وطبعت قبلة على وجنته. ثم التفتت إلى بلومفيست ولا تزال تحيطه بذراعيها، وقالت: «جيف، هذا ميكائيل، صديق قديم... من الماضي. لقد جلب معه المشاكل والأخبار السيئة، لكننا لن نطلق النار على الرسول. ميكائيل، هذا جيف كوشران، ابني البكر، لدي أيضاً ابن وابنة.»

وقف بلومفيست من مكانه ليصافح جيف قائلاً إنه يشعر بالأسف لجلبه الأخبار السيئة والتسبب بالحزن لأمه. تبادلت هارييت بضع كلمات مع جيف فتركهما وذهب. عادت تجلس على الكرسي وقد بدا أنها اتخذت القرار.

«لا أريد مزيداً من الكذب. أتقبل أن كل شيء قد انتهى الآن. بطريقة ما، إني أنتظر حلول هذا اليوم منذ العام 1966. لقد عشت على مدى سنوات حالة من الرعب وأنا أخاف أن يأتي أحدهم إليّ ويناديني

باسمي الحقيقي. لكن، أتعلم ماذا؟ ما عدت أشعر أني أهتم بالأمر الآن. فالجريمة التي ارتكبت سقطت بفعل قانون التقادم. ولا أبالي البتة بما يفكره الناس عني.»

قال لها ميكائيل مندهشاً: «جريمة؟»

أخذت تنظر إليه بإلحاح لكنه لم يكن يفهم مع ذلك ما الذي تقصده أو تتحدث عنه.

«كنت في السادسة عشرة من عمري وكنت أشعر بالخوف الشديد والعار. كنت يائسة جداً ووحيدة. الشخصان الوحيدان اللذان كانا يعرفان الحقيقة هما آنيتا ومارتن. كنت أخبر آنيتا عن الاعتداءات الجنسية التي أتعرض لها لكني لم أكن أملك من الشجاعة لأقول لها إن والدي كان أيضاً قاتل نساء. لم تعرف آنيتا بهذا الأمر قط. لكني أخبرتها عن الجريمة التي ارتكبتها أنا شخصياً. كان الأمر غاية في الفظاعة حيث إني لم أجرؤ على إخبار هنريك به. صليت كثيراً وتضرعت لأن يغفر لي الله واختبأت في الدير لمدة سنوات.»

«هارييت، والدك كان مغتصباً وقاتلاً. ولم يكن ذلك ذنبك.»

«أعلم هذا. فأبي ظل يعتدي عليّ ويضايقني على مدى عام كامل. فعلت كل شيء لتفادي... لكنه كان أبي ولم أستطع أن أقطع أي علاقة به من دون أن أبرر السبب وراء ذلك. لذا كنت أكذب وأدّعي أن كل شيء على ما يرام. كنت أحرص على أن يكون معنا طرف ثالث حين أراه. كانت أمي على علم بما يفعل لكنها لم تكن تأبه.»

«هل كانت إيزابيلا على علم بالأمر؟»

ازدادت نبرة هارييت حدة.

«بالطبع كانت تعلم. لم يكن يحدث شيء في أوساط العائلة لا تعرف إيزابيلا به. لكنها كانت تتجاهل كل ما لا يرضيها أو يظهرها بصورة سيئة. كان يمكن لوالدي أن يغتصبني في غرفة الجلوس أمام عينيها مباشرة

من دون أن تنظر إلى ما يجري إطلاقاً. كانت عاجزة عن الاعتراف بأن هناك خطباً في حياتها أو حياتي.»

«لقد سبق لي أن التقيتها. لم أكن محبّاً إليها.»

«لطالما كانت كذلك طوال حياتها. لطالما كنت أتساءل عن علاقة والديّ أحدهما بالآخر. أدركت أنهما لا يكادان يقيمان، أو ربما لم يقيما أي علاقة فيما بينهما بعد أن وُلدت. كان والدي يقيم علاقات كثيرة مع النساء لكنه ولسبب غريب كان يخشى إيزابيلا. كان يبقى بعيداً عنها لكنه لم يتمكن من الحصول على الطلاق يوماً.»

«ما من أحد في عائلة 'فانغر' يستطيع الحصول على الطلاق أصلاً.»

ضحكت عندئذ للمرة الأولى.

«كلا، لا أحد يفعل. لكن النقطة الأساسية هنا هي أني لم أتمكن من دفع نفسي للبوح بأي شيء، لم أجرؤ على ذلك. لو فعلت لكان العالم بأسره علم بقصتي. زملائي في المدرسة، أقاربي...»

«أنا آسف جداً لما حصل يا هارييت.»

«كنت في الرابعة عشرة من عمري عندما تمّ اغتصابي للمرة الأولى. وظلّ خلال العام التالي يصطحبني معه إلى كوخه. كان مارتن ينضم إلينا أحياناً ويجبرنا نحن الاثنين على القيام بأمور معه. كان يمسك بذراعي حين يقوم مارتن... بممارسة الأمر معي. حين مات والدي كان مارتن يريد لعب دوره، كان يتوقع مني أن أصبح عشيقته وظن أن من الطبيعي جداً أن أخضع لرغباته. لم يعد أمامي في ذلك الوقت من خيار. كنت مجبرة على تنفيذ ما يطلبه مارتن مني. كنت قد تخلّصت من معذّب لأقع بين فكي آخر. كل ما تمكنت من فعله هو أن أحرص على ألا تجمعني به أي مناسبة نكون فيها نحن الاثنين وحدنا...»

«كان هنريك لـ...»

«ما زلت لا تفهم.»

رفعت صوتها بوجهه ولاحظ بلومفيست أن عدداً من الرجال في

الخيمة الأخرى كانوا ينظرون إليه. لكنها سرعان ما عادت تخفض صوتها وتقترب منه قائلة: «باتت كافة الأوراق الآن مكشوفة أمامك على الطاولة، وعليك أنت أن تستنتج الباقي.»

نهضت من مكانها وذهبت لتحضر المزيد من الجعة. وحين عادت، لم ينطق بلومفيست إلا كلمة واحدة: «غوتفريد.»

أومأت وقالت: «في أغسطس من العام 1965 أجبرني والدي على الذهاب معه إلى الكوخ. كان هنريك خارج البلدة، وكان أبي في غاية الثمل، حاول القيام بذلك معي لكنه لم ينتصب فأخذ يستشيط غضباً، كان ذلك غضب الثمل. لطالما كان... قاسياً وعنيفاً معي حين نكون معاً، لكنه هذه المرة تخطى كل الحدود. لقد بال عليّ. وبدأ يخبرني عما سيفعله بي. أخبرني في تلك الليلة عن النساء اللواتي قام بقتلهن. كان يفاخر بنفسه. ويقتبس كلاماً وآيات من الإنجيل. ظلت الأمور على تلك الحال لساعة من الزمن. لم أكن أفهم نصف ما كان يقول. لكنني أدركت حينئذ أنه كان مريضاً ومختلاً بالكامل.»

تناولت جرعة من الجعة وتابعت: «في وقت ما عند منتصف الليل أصيب بنوبة أخرى. صار مجنوناً بالكامل. كنا في غرفة النوم في الدور العلوي. وضع سترة حول عنقي وأخذ يشدها قدر ما استطاع. صار لوني أسود. ما كان ينتابني أدنى شك أنه كان يحاول قتلي فعلاً، وقد تمكن للمرة الأولى تلك الليلة من إنهاء عملية اغتصابه لي.»

نظرت هاريت إلى بلومفيست. كانت عيناها تتوسلانه أن يتفهمها.

«لكنه كان من الثمل بحيث تمكنت من الهرب والإفلات منه بطريقة ما. قفزت من الغرفة في الدور العلوي وهربت. كنت عارية تماماً وركضت من دون أن أفكر. انتهى بي الأمر على رصيف السفن بالقرب من المياه. تبعني هو مترنحاً يتهاوى.»

تمنى بلومفيست فجأة لو أنها لا تخبره المزيد.

«كنت من القوة بما يكفي لأدفع برجل ثمل في الماء. استعملت

مجدافاً لأبقيه تحت الماء إلى أن توقف عن النزع، لم يكن الأمر صعباً ولم يستغرق وقتاً طويلاً.»

حين توقفت عن الكلام كانت قوة الصمت الذي خيم على المكان تصم الآذان.

«حين رفعت نظري، رأيت مارتن واقفاً هناك. بدا مرتعداً إلا أنه كان يكشر في الوقت ذاته مبتسماً. لا أعلم كم من الوقت مضى على وجوده خارج الكوخ وهو يسترق النظر إلينا. وأصبحت منذ تلك اللحظة واقعة تحت رحمته. اقترب مني وشدني من شعري وأعادني إلى داخل الكوخ، إلى سرير غوتفريد. قيدني إلى السرير واغتصبني بينما جثة والدنا لا تزال تعوم فوق المياه. ولم أتمكن حينئذ من إظهار أي مقاومة.»

أغمض بلومفيست عينيه. كان يشعر بالعار وتمنى لو أنه ترك هارييت تعيش بسلام. لكن نبرة صوتها كانت قد ارتدت حلّة من القوة لم تكن موجودة من قبل.

«منذ ذلك اليوم صرتُ تحت رحمته أخضع لقوته. كنت أفعل ما يطلب مني القيام به. شعرت أني مشلولة القوى، عاجزة بالكامل، إلا أن قرار هنريك أو إيزابيلا بضرورة أن يقوم مارتن بتغيير الأجواء التي يعيشها بعد وفاة والده المفجعة وإرساله للعيش في أوبسالا، أنقذني وأبقى على سلامة عقلي. أتى ذلك القرار بالطبع لأنها كانت تعلم ما الذي يفعله بي وكانت تلك طريقتها في حلّ المشكلة. يمكنك أن تراهن على إصابة مارتن بالخيبة لمعرفته بالقرار. خلال العام التالي عاد إلى الديار لتمضية عطلة عيد الميلاد فقط. وقد تدبرت أمري ونجحت في البقاء بعيدة عنه. ذهبت مع هنريك في رحلة إلى كوبنهاغن بين فترتي عيد الميلاد ورأس السنة. وخلال العطلة الصيفية كانت آنيتا هناك معي. كنت أثق بها وظلت تلازمني طوال الوقت وتحرص على ألا يقترب مني.»

«إلى أن رأيته في جارنفاغسغاتان.»

«كان أحدهم قد أخبرني أنه لن يحضر الاجتماع العائلي وأنه سيبقى

في أوبسالا. لكن من الواضح أنه غيّر رأيه، وفجأة كان هناك على الجهة الأخرى من الشارع يحدق بي ويبتسم لي. شعرت فجأة أني أعيش حلماً فظيعاً. كنت قد ارتكبت جريمة بحق أبي لأدرك أني لن أتحرر من أخي أبداً. في تلك اللحظة فكرت في قتل نفسي، إلا أني عدت واخترت الفرار.» رمقت بلومفيست بنظرة تدل على الارتياح وختمت بالقول: «إنه لشعور رائع أن تعترف بالحقيقة. ها أنت قد صرت تعرفها كلها الآن.»

الفصل السابع والعشرون

السبت، 26 يوليو ـ الاثنين، 28 يوليو

أقل بلومفيست سالاندر من أمام باب منزلها في لونداغاتان عند الساعة العاشرة صباحاً وذهبا معاً إلى محرقة «نورا» للجثث. ظل إلى جانبها طوال فترة الجنازة. كانا لوقت طويل الحاضرين الوحيدين إضافة إلى القسيس، راعي الأبرشية، لكن حين بدأت المراسم الفعلية للجنازة ظهر آرمانسكي. أومأ باقتضاب لبلومفيست ووقف خلف سالاندر يضع يده برفق فوق كتفها. أومأت له بدورها حتى دون أن تنظر إليه حتى وكأنها تعلم من الذي يقف هناك، ولكنها سرعان ما تجاهلت كليهما.

لم تكن سالاندر قد أخبرته شيئاً عن أمها، إلا أن القسيس على ما يبدو قد تحدث إلى شخص ما من مأوى العجزة حيث توفيت. وفهم بلومفيست من فحوى الحديث أن الوفاة كانت ناجمة عن نزيف في الدماغ. لم تنبس سالاندر بأي كلمة أثناء مراسم الجنازة. فقد القسيس مرتين تركيزه وهو ينظر إليها مباشرة. وقد كانت سالاندر تنظر في عينيه تماماً من دون أن يظهر على وجهها أي تعبير مقروء. حين انتهت الصلاة استدارت على عقبيها ورحلت من دون أن تتفوه حتى بكلمة شكر. أخذ كل من بلومفيست وآرمانسكي نفساً عميقاً ونظر أحدهما إلى الآخر.

قال آرمانسكي: «إنها تشعر بالألم فعلاً.»

أجاب بلومفيست: «أعلم ذلك. كان لطفاً منك أن تأتي.»

«لست واثقاً جداً من ذلك.»

سمّر آرمانسكي بلومفيست بنظرات ذات معنى.

«إن كنتما أنتما الاثنين ستوجهان جنوباً مجدداً أبقِ عيناً عليها وانتبه لها جيداً.»

وعده أن ينفذ طلبه. ودّع أحدهما الآخر وألقيا التحية على القسيس على باب الكنيسة. كانت سالاندر قد سبقتهما إلى السيارة حيث كانت تنتظر.

كان عليها أن تعود معه إلى هيدستاد لتستعيد درّاجتها والأغراض التي استعارتها من شركة «ميلتون» للأمن. ظلت صامتة طوال الطريق إلى أن وصلا إلى أوبسالا، حينئذ كسرت جدار الصمت وسألته كيف سارت الأمور في رحلته إلى أستراليا. كانت طائرة بلومفيست قد حطّت في وقت متأخر من الليلة الفائتة في أرلاندا ولم يكن قد حصل إلا على ساعات قليلة من النوم. أخبرها قصة هارييت فانغر على الطريق. جلست سالاندر صامتة نحو نصف ساعة قبل أن تفتح فمها مجدداً.

قالت: «يا لها من عاهرة.»

«مَن؟»

«هارييت فانغر اللعينة. لو أنها فعلت شيئاً عام 1966، لما كان مارتن فانغر تابع عمليات القتل والاغتصاب على مدى سبعة وثلاثين عاماً.»

«كانت هارييت تعلم أن والدها كان يقوم بقتل النساء، لكن لم تكن لديها أدنى فكرة أن لمارتن علاقة بالأمر. لقد هربت من أخ اغتصبها وكان يهدد لاحقاً بفضح أمرها والكشف عن أنها كانت هي من أغرقت والدها إن لم تنفّذ له ما يطلب.»

«هراء.»

بعد ذلك الحديث جلس كلاهما بصمت طوال الطريق إلى هيدستاد. كان بلومفيست قد تأخر على موعده فأنزلها عند المنعطف المؤدي إلى جزيرة هيدبي وطلب إليها أن تتكرم وتكون هناك حين يعود.

سألته: «هل تفكر في البقاء حتى صباح الغد؟»

«أعتقد ذلك.»

«وهل تريد مني أن أكون هناك؟»

خرج من السيارة واستدار إلى الجهة الأخرى وطوّق سالاندر بذراعيه فأبعدته عنها بحركة تدل على العنف نوعاً ما.

«أنت صديقتي يا ليزبث.»

«هل تريد مني البقاء كي يكون عندك مَنْ تمارس معه الجنس الليلة حين تعود؟»

نظر إليها بلومفيست مطولاً. ثم استدار وعاد إلى السيارة وأدار المحرك. أنزل زجاج النافذة فرأى ملامح عدائية واضحة تعلو تقاسيم وجهها، وقال لها: «أريد أن أكون صديقك. إذا لم ترغبي في ذلك، فلا حاجة لأن تكوني في المنزل لدى عودتي.»

كان هنريك جالساً بكامل أناقته حين قام ديرك فرود بدعوة بلومفيست لدخول غرفة المستشفى.

«إنهم يفكرون في السماح لي بالخروج غداً لحضور مأتم مارتن.»

«ما مدى المعلومات التي أطلعك ديرك عليها؟»

أخذ هنريك ينظر إلى الأرض أمامه.

«لقد أخبرني بما كان كل من مارتن وغوتفريد يقومان به. وكان أسوأ بكثير مما تصورت يوماً.»

«أنا أعلم ما الذي حصل لهارييت؟»

«أخبرني، قل لي: كيف ماتت؟»

«هي لم تمت، بل إنها حية ترزق. وإن أحببت فإنها ترغب كثيراً في رؤيتك.»

أخذ الرجلان ينظران إليه بذهول وكأن العالم قد انقلب رأساً على عقب.

«لقد استغرقت بعضاً من الوقت لأقنعها بالمجيء لكنها حية وتبلي

حسناً، وهي هنا في هيدستاد. لقد وصلت إلى هنا هذا الصباح وستكون هنا في غضون ساعة من الآن. إذا أردت أن تراها فسيكون لك ما تريد.»

كان على بلومفيست أن يروي القصة من البداية حتى النهاية. قاطعه هنريك بضع مرات فقط إما ليطرح عليه سؤالاً أو ليطلب إليه أن يعيد شيئاً. لم ينطق فرود بكلمة واحدة قط.

حين فرغ من سرد القصة، جلس هنريك بصمت مطبق. خشي بلومفيست أن تكون الرواية أقسى مما يستطيع الرجل العجوز تحمّله، إلا أنه لم تصدر عن هنريك أي إشارة تدل على انفعال عاطفي عدا أن نبرة صوته كانت أكثر خشونة حين كسر الصمت وقال: «يا لهارييت المسكينة، المسكينة. يا ليتها كانت قد أتت إليّ وأخبرتني.»

نظر بلومفيست إلى الساعة فرأى أنها كانت تشير إلى الرابعة إلا خمس دقائق وسأله: «هل تريد أن تراها؟ إنها تخشى ألا تكون راغباً في ذلك بعد أن تكتشف ما فعلته.»

سأله هنريك: «ماذا عن الأزهار؟»

«طرحت عليها هذا السؤال على متن الطائرة التي كانت تقلنا إلى الديار. كان هناك شخص واحد في العائلة تحبه عدا آنيتا وهو أنت. لقد كانت هي بالطبع من يرسل الأزهار. قالت إنها كانت تأمل من ذلك أن تفهم أنها حية وأنها تبلي حسناً من دون أن تضطر للظهور والكشف عن نفسها. لكن بما أن مصدر معلوماتها الوحيد كان آنيتا، التي سرعان ما انتقلت للعيش في الخارج بعد أن أنهت دراستها، ولم تعُد لزيارة هيدستاد مطلقاً، فقد كانت معرفة هارييت بما يجري هنا محدودة جداً. لم تكن تعرف كم عانيت ولا أنك كنت تفكر أن قاتلها هو من يهزأ بك.»

«أفترض أن آنيتا كانت الشخص الذي يرسل الأزهار بالبريد.»

«كانت تعمل لحساب شركة طيران وتجوب كافة أنحاء العالم. وكانت ترسل الزهرة بالبريد حيثما كان البلد الذي تتواجد فيه.»

«لكن كيف علمت أن آنيتا كانت الشخص الذي ساعدها؟»

«إنها هي التي كانت موجودة عند نافذة هارييت.»

«لكن كان يمكن المزج بينها وبين... كان يمكن أن تكون هي القاتل. كيف اكتشفت أن هارييت لا تزال على قيد الحياة؟»

نظر بلومفيست إلى هنريك مطولاً. وابتسم للمرة الأولى منذ عودته إلى هيدستاد.

«كانت آنيتا على علاقة باختفاء هارييت لكن لا يمكن لها أن تكون هي من قتلها.»

«كيف يمكن لك أن تكون واثقاً من ذلك؟»

«لأن تلك ليست إحدى قصص لغز الغرفة المغلقة في الأدب البوليسي. لو كانت آنيتا قد قتلت هارييت لكنت قد وجدت جثتها منذ سنوات. لذا فإن الأمر المنطقي الوحيد هو أن تكون قد ساعدت هارييت على الهرب والاختفاء. هل تريد أن تراها؟»

«بالطبع أريد أن أراها.»

لاقى بلومفيست هارييت عند المصعد في ردهة المستشفى. لم يتعرف إليها في البداية.·فبعد أن افترقا عند مطار أرلاندا الليلة الماضية عادت تصبغ شعرها باللون البني. كانت ترتدي سروالاً أسود وقميصاً أبيض وسترة رمادية أنيقة. كانت تبدو مشرقة وانحنى بلومفيست فوقها ليمنحها غمرة تشجيعية.

نهض هنريك عن كرسيه حين فتح بلومفيست الباب وأخذت هي نفساً عميقاً.

قالت له: «مرحباً هنريك.»

أخذ الرجل العجوز يتأملها من رأسها حتى أخمص قدميها. ثم ذهبت هارييت إليه وطبعت قبلة على وجنته. أومأ بلومفيست لفرود وأغلق الباب وراءهما.

لم تكن سالاندر في الكوخ عند عودة بلومفيست. معدات الفيديو ودراجتها النارية كانت قد اختفت كذلك. لم تكن هناك الحقيبة الإسفنجية والحقيبة الأخرى التي تحتوي على ملابسها الإضافية. بدا الكوخ خالياً، غريباً، لا ينتمي إلى عالم الواقع. نظر إلى كدسات الورق الموجودة في المكتب وكان يفترض به إعادة ترتيبها في صناديق وإرسالها إلى منزل هنريك، لكنه لم يحتمل القيام بالمهمة. قاد السيارة إلى المتجر وجلب الحليب والخبز والجبن وشيئاً ما للعشاء. حين عاد إلى الكوخ وضع الماء على النار لإعداد القهوة وخرج إلى الحديقة وقرأ الصحف الصادرة مساءً من دون أن يفكر في أي أمر آخر.

عند الخامسة والنصف فجراً رأى سيارة أجرة تجتاز الجسر. وبعد ثلاث دقائق عادت من حيث ذهبت. لمح بلومفيست طيف إيزابيلا في المقعد الخلفي.

قرابة السابعة صباحاً، غلبه النعاس فنام في كرسي الحديقة قبل أن يأتي فرود ويوقظه.

سأله: «كيف تسير الأمور بين هارييت وهنريك؟»

أجاب فرود بابتسامة مكبوتة: «كان لسحابة التعاسة جانبها المشرق. لن تصدق أن إيزابيلا أتت على وجه السرعة إلى غرفة هنريك في المستشفى. من الواضح أنها لاحظت عودتك فجنّ جنونها. كانت تصرخ بوجهه وتقول إنه لا بدّ أن تكون هناك نهاية للضجة الهائلة حول قصة اختفاء هارييت. وأضافت أنك أنت هو الشخص الملام الذي يتحمل المسؤولية في دفع ابنها للموت بسبب تفتيشك المتطفل.»

«حسناً، إنها محقة نوعاً ما.»

«أمرت هنريك بأن يصرفك من العمل فوراً ويطردك من البلدة نهائياً، وأن يوقف وللأبد عملية البحث عن الأشباح.»

«رائع!»

«حتى إنها لم تنظر إلى المرأة الجالسة بقرب السرير تتحدث إلى

هنريك. لا بد أنها ظنتها إحدى العاملات. لن أنسى أبداً اللحظة التي وقفت فيها هارييت من مكانها وقالت: 'مرحباً، أمي'.»

«ما الذي حصل؟»

«اضطررنا لاستدعاء الطبيب ليتحقق من سلامتها. إنها في الوقت الحاضر ترفض أن تعترف أن الفتاة هي هارييت. إنها تتهمك بجلب دجّالة مشعوذة.»

كان فرود في طريقه لزيارة سيسيليا وألكسندر وإبلاغهما بأن هارييت قد قامت من بين الأموات. فغادر كوخ بلومفيست على عجل تاركاً إياه لوحدته وأفكاره.

توقفت سالاندر عند محطة جنوب أوبسالا لملء خزان دراجتها بالوقود. كانت تقود بثبات وعناد ولا تنظر إلا أمامها. دفعت سريعاً وعادت تركب الدراجة. أدارت المحرك وقادت إلى مخرج البلدة حيث توقفت مترددة.

كان مزاجها لا يزال بحالة فظيعة. وكانت تشعر بغضب عارم حين غادرت هيديبي، لكن فورة غضبها أخذت تهدأ تدريجاً مع قيامها بالرحلة على الدراجة. لم تكن قادرة على اتخاذ القرار بشأن سبب غضبها من بلومفيست أو إن كان هو فعلاً الشخص الذي يُشْعِرها بالغضب. فكرت في مارتن فانغر وهارييت فانغر اللعينة وديرك فرود اللعين وكافة أفراد عائلة «فانغر» اللعينين القابعين في هيدستاد، المسيطرين على زمام أمور أمبراطوريتهم الصغيرة، المتآمرين بعضهم على بعض. كانوا بحاجة إلى مساعدتها لهم. من الطبيعي ألا يلقي أحدهم التحية عليها لو رآها في الشارع، فكيف بالحري أن يأتمنها على أسراره البغيضة.

يا لهم من جماعة من الحثالة الملاعين جميعاً.

أخذت نفساً عميقاً وفكرت في أمها التي أودعتها رماداً في صباح اليوم نفسه. لن تتمكن من إصلاح الأمور مطلقاً. وفاة أمها كانت تعني أن

جرحها لن يلتئم أبداً، إذ إنها لن تتمكن من الحصول على إجابات عن الأسئلة التي أرادت أن تطرحها.

فكرت في آرمانسكي الذي كان يقف خلفها في محرقة الجثث. كان يجدر بها أن تقول له شيئاً ما، أن تصدر عنها إشارة تبلغه من خلالها أنها كانت تشعر بوجوده هناك. لكنها لو فعلت لكان استغلّ ذلك واتخذ منه ذريعة للتدخّل في حياتها. لو أعطته إصبعها الصغيرة لأخذ ذراعها كلها وما كان ليفهمها.

فكرت في المحامي بيورمان الذي كان لا يزال وصياً عليها والذي كان في الوقت الراهن على الأقل في موقع الضعف، ينفّذ كل ما يُطلب إليه.

شعرت بكراهية لا تعرف الصفح وصرّت أسنانها.

وفكرت في ميكائيل بلومفيست وتساءلت ما عساه يكون رأيه إذا علم أنها مجرد قاصر موضوعة تحت حراسة المحكمة وأن حياتها بأسرها كانت قائمة على الوشايات اللعينة.

خطر لها أنه ليس هو من كانت غاضبة منه. لقد كان الشخص الذي صبّت عليه جام غضبها وحسب في حين أن جل ما أرادته هو قتل أحدهم بل قتل عدة أشخاص. الشعور بالغضب منه لا جدوى منه ولا يؤدي إلى أي مكان.

كانت تشعر بتردد غريب نحوه.

كان يحشر أنفه في شؤون الآخرين ويقحم نفسه في أمور حياتها و... لكن... مع ذلك كانت تستمتع بالعمل معه. حتى هذا كان شعوراً غريباً، من الغريب أن تحب العمل مع أحدهم. لم تكن معتادة على ذلك لكن هذا الشعور أتى على نحو غير مؤلم على نحو غير متوقع. لم يعبث معها قط. لم يحاول أن يملي عليها طريقة حياة.

كانت هي من مارست الإغراء عليه وليس العكس. ومع ذلك كانت التجربة مرضية تماماً.

لكن لماذا كانت تشعر أنها تود لو تركله في وجهه؟

أطلقت تنهيدة ورفعت نظرها بحزن وسمعت أزيزاً مدوياً على طريق E4.

كان بلومفيست لا يزال في الحديقة عند الثامنة مساءً حين أثار انتباهه هدير محرك دراجة نارية تجتاز الجسر ورأى سالاندر على متنها متوجهة نحو الكوخ. أوقفت الدراجة في مكانها ونزعت الخوذة عن رأسها واقتربت من الطاولة في الحديقة وتحسست إبريق القهوة فوجدته فارغاً بارداً. وقف بلومفيست من مكانه يحدّق فيها بذهول. لكنها تناولت إبريق القهوة وتوجهت إلى المطبخ. كانت قد خلعت عنها سترتها الجلدية حين عادت فلاحظ أنها ترتدي سروال جينز وقميصاً قطنياً مكتوباً عليه الشعار التالي «يمكنني أن أكون عاهرة منتظمة، جربني وسترى». قال لها: «ظننت أنك ستكونين قد وصلت إلى ستوكهولم في هذا الوقت.»

«لقد عدتُ أدراجي من أوبسالا.»

«يا لها من نزهة طويلة.»

«أشعر بالحزن والألم.»

«لماذا عدت؟»

لم يلقَ أي إجابة. ظل ينتظرها أن ترد على سؤاله بينما يحتسيان القهوة. أجابت بعد عشر دقائق بلامبالاة: «تعجبني رفقتك.»

لم تكن تلك الكلمات قد خرجت من فمها من قبل ولم يسمعها أحد تعترف بذلك قط. وأضافت: «لقد كان العمل معك على تلك القضية... ممتعاً.»

قال لها: «أنا استمتعت بالعمل معك أيضاً.»

«هممم...»

«لم يسبق لي في الواقع أن عملت مع باحثة لامعة مثلك. حسناً، أعلم أنك هاكر وتتسكعين ضمن أوساط مثيرة للشبهة تمكنك من إقامة

شبكة غير شرعية للتنصت على الهاتف في لندن في غضون أربع وعشرين ساعة، ولكنك تحصلين على النتائج.» كانت تلك المرة الأولى التي تنظر فيها إليه منذ أن جلست إلى الطاولة. كان يعرف الكثير من أسرارها.

«هكذا هي الأمور ببساطة، أنا أعرف الكثير عن عالم الكومبيوتر. لم أجد يوماً صعوبة في قراءة نص أو فهم ما يقول.»

قال بنبرة هادئة: «إنك تتمتعين بذاكرة تصويرية.»

«أعترف بذلك. لا أملك أدنى فكرة كيف ينجح الأمر، إنه لا يتعلق فقط بشبكات الكومبيوتر والهواتف وحسب، بل بالمحرك الموجود في دراجتي النارية وبأجهزة التلفزيون والمكانس الكهربائية والعمليات الكيميائية والصيغ المتعددة في الفيزياء الفلكية. أنا حالة تستحق الدرس. أعترف أني شخص غريب الأطوار.»

قطب بلومفيست جبينه وجلس بصمت مطبق لوقت طويل.

فكر أنها قد تكون مصابة بمتلازمة أسبرجر أو اضطراب طيف التوحد أو شيء من هذا القبيل وهي مهارة في ملاحظة الأنماط وفهم الأمور المجردة التي لا يدركها الآخرون.

كانت سالاندر تحدق في الطاولة أمامها.

«يمكن للمرء أن يدفع الكثير للتمتع بمثل هذه الموهبة.»

«لا أريد التحدث بالأمر.»

«حسناً، لن أتكلّم عنه. هل أنت سعيدة بعودتك؟»

«لا أعلم، لعلها كانت غلطة.»

«ليزبث، هل لك أن تشرحي لي معنى كلمة صداقة؟»

«هذا يحصل حين يعجبك أحدهم.»

«بالطبع، لكن ما هي الأمور التي تجعل أحدهم يعجبك؟»

هزت كتفيها.

«الصداقة، وفقاً لتعريفي الخاص، تبنى على أمرين، هما الاحترام والثقة. يجب توافر كلا العنصرين ويجب أن يكون ذلك متبادلاً. يمكن أن

تكنّي الاحترام لأحدهم من دون أن تثقي به. هنا تتزعزع أسس الصداقة وتنهار.»

ظلت صامتة.

«أفهم أنك لا تريدين مناقشة أمورك الخاصة معي، لكنك ستضطرين في أحد الأيام أن تقرري ما إذا كنت تثقين بي أو لا. أريد أن نكون صديقين لكني لا أستطيع القيام بذلك وحدي.»

«أحب ممارسة الجنس معك.»

«ليس للجنس علاقة بالصداقة. يمكن للأصدقاء طبعاً ممارسة الجنس معاً. لكن إن كان عليّ أن أختار بين الصداقة والجنس في ما يتعلق بك، فلا شك مطلقاً في الخيار الذي سأقوم به.»

«لم أفهم ما الذي قلته. هل تريد ممارسة الجنس معي أم لا؟»

تمتم قائلاً: «ليس من المستحسن ممارسة الجنس مع من تعملين، فإن ذلك يولد المشاكل.»

«هل يفوتني شيء ما هنا لا أفهمه، أم أنه ليس صحيحاً أنك وإريكا برجر كنتما تمارسان الجنس كلما سنحت لكما الفرصة؟ وقد كانت متزوجة كذلك.»

«بين إريكا وبيني... تاريخ طويل يعود إلى ما قبل بدئنا العمل معاً. أما حقيقة زواجها فأمر لا يعنيك.»

«آه، فهمت. لقد أصبحت أنت فجأة من لا يريد مناقشة أموره الخاصة. وها أنا بين يديك أتعلم أن الصداقة مسألة ثقة.»

«ما أقصده هو أني لا أناقش أموراً تخص أحد الأصدقاء من وراء ظهره. لأني أكون بذلك خائناً للثقة. كذلك لا أناقش موضوعاً يعنيك مع إريكا من وراء ظهرك.»

فكرت سالاندر في الأمر فوجدت أنه أصبح حديثاً خطراً صعب المراس، وهي لم تكن تحب الأحاديث الخطرة.

قالت له: «أنا أحب ممارسة الجنس معك.»

«وأنا أحب ذلك أيضاً. . . لكنني لا أزال مع ذلك في سنّ تخولني أن أكون والدك.»

«لا أبالي البتة بشأن عمرك.»

«كلا، لا يمكنك تجاهل فارق العمر بيننا. لا يشكل ذلك أي نوع من الأسس التي تبنى عليها الصداقة التي تدوم.»

سألته سالاندر: «ومن أتى على سيرة الصداقة المعمرة؟ لقد أنهينا لتونا العمل على قضية يلعب فيها رجال مضطربون جنسياً الدور الأبرز. إذا خيرت لمحوت مثل هذا الصنف من الرجال دون أن أبقي على أحد منهم.»

«حسناً، إنك لا تساومين هنا على الأقل.»

التوت شفتاها عن شبه ابتسامة ماكرة وقالت: «كلا، لكنك على الأقل لست مثلهم.» نهضت من مكانها: «سأدخل الآن وأستحم، وأظن أني سأنام في ما بعد في سريرك عارية بالكامل، إن كنت تظن نفسك عجوزاً إلى هذا الحد فعليك أن تنام في سرير المخيم.»

مهما كانت الصفات التي تتمتع بها سالاندر فإن التواضع لا يشكل أحدها حتماً. كان يخسر كل جدال يخوضه معها. قام بعد برهة بغسل أدوات شرب القهوة وذهب إلى غرفة النوم.

استيقظا في العاشرة من صباح اليوم التالي واستحما معاً وتناولا طعام الفطور في الحديقة. اتصل ديرك فرود عند الساعة الحادية عشرة ليبلغهما أن موعد الدفن سيكون عند الساعة الثانية من بعد الظهر. وسأله ما إن كان ينوي حضور الجنازة.

أجابه ميكائيل: «لا أظن أني سأفعل.»

سأله فرود ما إذا كان يستطيع الحضور إلى كوخه في السادسة مساءً للتحدث إليه فأبلغه ميكائيل أن لا مشكلة في ذلك.

أمضى بضع ساعات يوضب الأوراق في العلب ويحملها إلى مكتب

هنريك. لم يبقَ لديه أخيراً سوى دفتر ملاحظاته الخاص وملفين يتعلقان بقضية «هانس-إيريك وينرشتروم» لم يفتحهما منذ ستة أشهر. أطلق تنهيدة عميقة ودسّهما في حقيبته.

اتصل فرود مجدداً ليبلغه أنه سوف يتأخر في المجيء. ولم يصل إلى الكوخ قبل الساعة الثامنة مساءً. كان لا يزال يرتدي البدلة التي حضر بها الجنازة وبدا متضايقاً جداً حين جلس على مقعد المطبخ وقبل بامتنان فنجان القهوة الذي قدمته إليه سالاندر. جلست إلى الطاولة الجانبية تحمل جهاز الكومبيوتر الخاص بها في حين سأل بلومفيست عن وقع عودة ظهور هارييت في أوساط العائلة.

«يمكن القول إنه طغى على موت مارتن. ولا سيما أن الصحافة قد اكتشفت أمرها الآن كذلك.»

«وكيف تشرحون الوضع للجميع؟»

«تكلمت هارييت إلى أحد المراسلين من صحيفة *Courier*. تروي قصتها مبررة أنها هربت من المنزل لأنها لم تكن على اتفاق مع أفراد عائلتها، وأنه من الواضح أنها أبلت حسناً جداً في مسيرتها في العالم بحيث أصبحت ترأس مؤسسة غاية في الأهمية.»

أخذ بلومفيست يصفر إعجاباً.

«اكتشفت أن تربية الغنم في أستراليا تدرّ أموالاً، لكنني لم أكن أعلم أن المزرعة مزدهرة إلى هذا الحدّ.»

«مزرعة الغنم التي تديرها تسير بشكل رائع، إلا أنها لا تشكل المصدر الوحيد لمدخولها. فمؤسسة 'كوشران' تدخل في حقول المناجم والأحجار الكريمة والتصنيع والنقل والعديد من القطاعات الأخرى كذلك.»

«رائع! ما الذي سيحدث الآن إذاً؟»

«صدقاً، لا أعرف. لم تكف الناس عن التوافد طوال اليوم، وإنها المرة الأولى التي تجتمع فيها العائلة منذ سنوات. هناك أشخاص من

طرف كل من عائلتي 'فريدريك' و'جوهان فانغر' وبعض ممن ينتمون إلى الجيل الأصغر سناً، أي الشباب الذين تبلغ أعمارهم العشرين وما فوق. هناك حوالى أربعين شخصاً من عائلة 'فانغر' مجتمعون في هيدستاد هذا المساء. نصفهم يزور هنريك في المستشفى ويرهقه بأسئلته والنصف الآخر في فندق 'غراند أوتيل' يتحدث إلى هارييت.»

«لا بدّ أن يشكل ظهور هارييت نبأً مثيراً. كم من هؤلاء يعلم بشأن مارتن؟»

«لا يعلم بالأمر حتى الآن سوانا أنا وأنت وهنريك وهارييت. مارتن... وقيامك بالكشف عن مسيرة حياته التي لا يصحّ ذكرها يطغيان على كل شيء بالنسبة لنا في الوقت الراهن. لقد أوصل الأزمة الحقيقية التي تعيشها الشركة إلى القمة.»

«أستطيع أن أفهم ذلك.»

«ليس هناك من وريث شرعي، لكن هارييت ستبقى في هيدستاد لفترة. ستعمل العائلة على حصر الإرث وتحديد من يملك ماذا وما شابه من ترتيبات. إنها تملك في الواقع حصة من الشركة كانت لتكون أكثر ضخامة لو أنها بقيت هنا طوال المدة التي انقضت. يا له من كابوس.»

ضحك بلومفيست بأعلى صوته، أما فرود فلم يكن يبتسم حتى.

«أغمي على إيزابيلا أثناء مراسم الجنازة. إنها في المستشفى الآن ويقول هنريك إنه لن يقوم بزيارتها.»

«موقف جيد من قبل هنريك.»

«إلا أن آنيتا ستحضر آتية من لندن. يفترض بي أن أدعو إلى اجتماع عائلي الأسبوع المقبل. إنها المرة الأولى التي تشارك فيها في اجتماع للعائلة منذ خمسة وعشرين عاماً.»

«من سيكون الرئيس والمدير العام الجديد للشركة؟»

«بيرجر يسعى للحصول على المنصب، لكنه خارج إطار التداولات. ما سيحصل هو أن هنريك سيتولى منصب الرئيس والمدير العام للشركة

بالوكالة وسيمارس صلاحياته من على فراش المرض إلى أن نقوم بتعيين أحدهم من خارج الشركة أو من داخلها. . .»

رفع بلومفيست حاجبيه تعجباً.

«هاريت؟ لا يمكن أن تكون جدياً بطرحك هذا.»

«لمَ لا؟ إننا نتحدث هنا عن امرأة كفؤة ومحترمة بما يفوق الوصف في عالم الأعمال.»

«لكن لديها شركة في أستراليا تهتم بها.»

«صحيح، لكن ابنها جيف كوشران يتولى زمام الأمور في غيابها.»

«إنه المسؤول عن خيول السباق في المزرعة. وإن كنت قد فهمت الأمور جيداً، فإن عمله يقتصر على التأكد من أن تتزاوج الخيول والخراف المناسبة بعضها لبعض.»

«إنه حاصل على شهادة في الاقتصاد من جامعة أكسفورد وأخرى في الحقوق من جامعة ملبورن.»

فكر بلومفيست في الرجل الأسمر المتعرق المفتول العضلات الذي كان ينزع عنه القميص حين أقله عبر طرقات الوهاد الوعرة وحاول أن يتخيله مرتدياً بدلة رسمية؟ لمَ لا؟

قال له فرود: «سوف يستغرق تصور الأمور والتوصل إلى نتيجة وقتاً. لكنها ستكون الرئيس والمدير العام الأصلح للشركة. بوجود فريق داعم من الأشخاص المناسبين تستطيع أن تمثل الكثير للشركة.»

«لكنها لا تملك خبرة. . .»

«هذا صحيح. لا يسعها أن تظهر فجأة من أي مكان، وتبدأ إجراء عملية إدارة واسعة للشركة. إلا أن مؤسسة 'فانغر' دولية ويمكننا بالطبع الحصول على رئيس ومدير عام أميركي الجنسية لا يعرف كلمة سويدية واحدة. . . إنه عالم الأعمال وحسب، حيث يقال كل شيء وينفذ.»

«ستضطر عاجلاً أم آجلاً مواجهة مشكلة الغرفة الموجودة أسفل منزل مارتن.»

«أعلم، لكن لا يسعنا أن نقول شيئاً من دون أن ندمر سمعة هارييت. . . أنا مسرور لأني لن أكون الشخص المعني باتخاذ القرار بهذا الشأن. . .»

«اللعنة يا ديرك، لن تتمكن من إخفاء حقيقة أن مارتن قاتل متسلسل.»

«اسمع يا ميكائيل، أنا في موقف حرج جداً.»

«قل لي لماذا.»

«لدي رسالة من هنريك. إنه يشكرك لأدائك عملك بشكل مذهل، ويقول إنك التزمت بكافة بنود العقد. مما يعني أنه يعفيك مما تبقى من واجبات والتزامات ويقول إنك ما عدت مضطراً للبقاء في هيدستاد أو العمل فيها وإلى ما هنالك من أمور. يسري مفعول ذلك فوراً بحيث تستطيع الانتقال إلى ستوكهولم ومتابعة القيام بأمور أخرى.»

«يريدني أن أختفي من الصورة، أهذا ملخص الحديث؟»

«إطلاقاً. يريد منك زيارته والتحدث إليه عن أمور تخص المستقبل. يقول إنه يأمل أن تسير مسألة اضطلاعه بالأعمال في مجلس إدارة مجلة 'ميلينيوم' من دون قيود. لكن. . .»

لم يكن من الممكن أن يكون فرود أكثر انزعاجاً مما بدا عليه.

«لا تقل لي ديرك. . . لم يعد يريد مني أن أتابع العمل على كتابة تاريخ العائلة.»

أومأ له ديرك وسحب دفتر ملاحظات وفتحه ودفعه باتجاه ميكائيل.

«لقد كتب لك رسالة.»

عزيزي ميكائيل

لا أكنّ سوى الاحترام لمصداقيتك ولا أقصد إهانتك مطلقاً عند محاولتي أن أملي عليك ما تكتب. يمكن لك أن تقوم بكتابة ونشر ما تريد، ولن أمارس عليك ضغوطاً من أي نوع كانت.

يبقى العقد الذي وقّعناه ساري المفعول إذا أردت المضي بالتزام بنوده. لديك ما يكفي من المصادر لإنهاء الكتاب المتعلق بتاريخ عائلة «فانغر».

لم يسبق لي طوال حياتي أن توسلت أحدهم لينفذ لي أي خدمة. لطالما كنت أعتقد أنه ينبغي على المرء أن يسير وفقاً لمبادئه وقناعاته. أما هذه المرة فلا خيار لي.

إني أرجوك من خلال هذه الرسالة كصديق وكشريك مساهم في شركة «ميلينيوم» أن تمتنع عن نشر الحقيقة المتعلقة بكل من مارتن وغوتفريد. أعلم أن ذلك ليس عملاً صائباً، لكني لا أرى مخرجاً آخر من هذا النفق المظلم. إني مضطر للاختيار بين أهون الشرّين وليس هناك في هذه الحالة من رابح. فالجميع سيكون خاسراً.

أنا أرجوك ألا تكتب أي شيء يسبب المزيد من الأذى لهارييت. إنك أكثر العارفين ما الذي يعنيه أن تكون محط الحملات الإعلامية. فلقد حصلت بدورك على حصتك من الحملة التي شنت ضدك في الإعلام. يمكن لك أن تتخيل بالطبع كيف سيكون الأمر بالنسبة لهارييت إذا ما خرجت الحقيقة للعلن. لقد تعذبت على مدى أربعين عاماً ولا ينبغي لها أن تعاني من المزيد من أجل أفعال ارتكبها أخوها وأبوها. وإني أتوسل إليك أن تفكر في العواقب التي ستخلفها هذه القصة على آلاف الموظفين العاملين في الشركة. سوف يقضي ذلك عليها ويدمرنا بالكامل.

هنريك

«يقول هنريك كذلك إنك إن كنت تطالب بالتعويض عن الخسائر التي يمكن أن تسفر عن امتناعك عن نشر القصة فإنه منفتح تماماً لمناقشة الأمر معك. يمكن لك أن تضع قيمة التكاليف التي تراها مناسبة.»

«هنريك فانغر يحاول إسكاتي. أبلغه أني أتمنى لو أنه لم يقدم لي هذا العرض مطلقاً.»

«المسألة مثيرة للمتاعب بالنسبة لهنريك تماماً كما هي بالنسبة لك. إنه يحبك كثيراً ويعتبرك صديقاً له.»

أصيب بلومفيست بغضب مفاجئ وقال: «هنريك ليس سوى سافل متذاكٍ يريد السكوت على القصة. إنه يتلاعب بعواطفي ويعرف أني أحبه كذلك. وما يبلغني به كذلك هو أني أتمتع بالحرية لكتابة أي شيء ولكن إن فعلت سيعيد النظر في مساهمته في مجلة 'ميلينيوم'.»

«لقد تغير كل شيء بظهور هارييت على الساحة.»

«وها هو هنريك يخمن الآن كم يمكن أن يكون ثمني. لست أنوي فضح قصة هارييت ونشرها في العلن. لكن على أحدهم أن يقول شيئاً عن النساء اللواتي لاقين حتفهن في غرفة الرعب التي يملكها مارتن في الطابق السفلي لمنزله. ديرك إننا لا نعرف حتى عدد النساء اللواتي قام بتعذيبهن وقتلهن. من ذا الذي سيتكلم باسمهن؟»

رفعت سالاندر نظرها عن شاشة الكومبيوتر أمامها وكاد صوتها يكون غير مسموع وهي تقول لديرك: «أليس هناك أحد في شركتكم سيحاول دفعي إلى السكوت؟»

بدا فرود مذهولاً وقد نجح في تجاهلها مجدداً. إلا أنها تابعت تقول: «لو كان مارتن فانغر حياً حتى هذه اللحظة لكنت علقته على حبل المشنقة وتخلصت منه، وأرسلت كل تفصيل متعلق بحياته إلى أقرب صحيفة تصدر مساءً مهما كان الاتفاق الذي عقدتماه مع ميكائيل. ولو استطعت لوضعته في غرفة التعذيب التي أنشأها بنفسه وقيدته إلى الطاولة وغرزت إبراً في خصيتيه. لكنه لسوء الحظ قد مات.»

التفتت إلى بلومفيست وقالت: «أنا راضية بالحل المطروح، لا يمكن لأي شيء نقدم عليه أن يصلح الأذى الذي تسبب به مارتن فانغر لضحاياه. إلا أن وضعاً مثيراً للاهتمام قد برز على الساحة الآن. إنك في موضع تستطيع المضي فيه بأذية نساء بريئات لا سيما هارييت تلك التي كنت تدافع عنها بحماسة ونحن في طريق العودة إلى هنا. لذا سؤالي

إليك: أيهما أسوأ، هل حقيقة أن مارتن فانغر قد اغتصبها في الكوخ أو أنك ستنشر ذلك؟ أنت تعيش الآن ضياعاً حقيقياً. لعل لجنة المحافظة على الأخلاق الصحفية في نقابة الصحافة ستزودك ببعض الإرشادات وتمد لك يد العون.»

توقفت عن الكلام قليلاً وتمكن بلومفيست من النظر في عينيها مباشرة. كانت تحدق في الطاولة أمامها.

لكنها قالت في النهاية: «لكن أنا لست صحافية.»

سألها ديرك فرود: «ما الذي تريدينه؟»

«لقد صور مارتن فانغر ضحاياه على شريط فيديو. أريدك أن تفعل كل ما بوسعك للتعرف على أكبر عدد منهن وأن تحرص عل أن تتلقى عائلاتهن تعويضات محترمة مناسبة. وأريد أيضاً من مؤسسة 'فانغر' أن تقدم تبرعات بمليوني كورون كل عام وللأبد إلى المنظمة الوطنية لحل أزمات النساء ومراكز معالجة قضايا الفتيات في السويد.»

أخذ فرود يقدر الثمن للحظة ثم أومأ لها.

قالت سالاندر: «هل لك أن تعيش مع ذلك يا ميكائيل؟»

لم يكن بلومفيست يشعر إلا بالخيبة. هو الذي كرس حياته المهنية لكشف النقاب عن أمور يحاول الآخرون إخفاءها لا يستطيع الآن أن يكون جزءاً من الذين يكشفون عن الجرائم الفظيعة التي ارتكبها مارتن فانغر في غرفة الرعب. إنه هو الذي وجه اللوم لزملاء مهنته لعدم إقدامهم على نشر الحقيقة، كان هو نفسه قد جلس وناقش حتى أنه فاوض بشأن أكثر قصص التلفيق الرهيبة التي يمكن أن يسمع بها إنسان يوماً.

جلس صامتاً لوقت طويل ومن ثم أومأ موافقاً على ما قالته.

قال له فرود: «فليكن إذاً. أما بالنسبة لعرض هنريك المتعلق بالتعويض المالي...»

«يمكن له أن يرميه وراء ظهره وأريد منك أن ترحل في الحال يا

ديرك. أفهم موقفك لكنني الآن غاضب جداً منك ومن هنريك على حد سواء بحيث إن بقيت لمزيد من الوقت قد لا نعود صديقين.»

لم يقم فرود بأي حركة تدل على أنه سيرحل.

«لا يسعني أن أرحل. لم أنته بعد. لدي رسالة أخرى أسلمها ولن تحبها كذلك. هنريك يصر على أن أخبرك بالأمر الليلة. يمكنك أن تذهب إلى المستشفى غداً وتنتقده بقسوة وتسلخ جلده حتى في الصباح إذا رغبت.»

رفع بلومفيست نظره إليه وحدق فيه مطولاً.

تابع ديرك كلامه قائلاً: «سيكون ذلك من أصعب الأمور التي قمت بها في حياتي على الإطلاق. لكنني أظن أن الصراحة الكاملة وحدها عبر كشف كافة الأوراق على الطاولة يمكن أن تنقذ الوضع الآن.»

«إذاً إنها الصراحة أخيراً، أليس كذلك؟»

قال له ديرك متجاهلاً سخريته: «حين أقنعك هنريك بتسلّم المهمة في عيد الميلاد الماضي، لم يكن أحد منا لا أنا ولا هنريك نفكر في العواقب التي ستنتج. كان ذلك ما قاله تماماً، لكن أراد أن يمنح القضية فرصة أخيرة. حلل وضعك لا سيما بعد أن قرأ التقرير الذي جمعت فيه الآنسة سالاندر المعلومات عنك. كان يلعب على وتر العزلة التي كنت تعيشها وقدّم لك عرضاً جيداً واستعمل الطعم المناسب لجذبك.»

«وينرشتروم.»

أومأ له فرود مؤكداً.

«لقد كنت تكذب!»

قال له فرود على عجل: «كلا! كلا!»

رفعت سالاندر حاجبيها باهتمام.

«سوف ينفذ هنريك كل ما وعدك به. إنه يرتب لمقابلة حيث سيقدم علناً على اعتداء مباشر على وينرشتروم. يمكنك الحصول على التفاصيل لاحقاً، لكن الوضع باختصار هو كالتالي: حين تمّ توظيف وينرشتروم في

القسم المالي من مؤسسة 'فانغر' أنفق بضعة ملايين من الكورونات في قطاع المضاربة بالعملات الأجنبية. كان ذلك قبل وقت طويل من بدء العملات الأجنبية إعطاء مؤشرات تدل على مستقبل مبهر. كما يلجأ للمضاربة من دون سلطة تخوّله القيام بذلك. صفقة بعد أخرى كانت تجري على نحو سيّئ. ووصل في نهاية المطاف إلى خسارة سبعة ملايين كورون حاول التغطية عليها. كان يحاول إخفاء الأمر جزئياً عبر تزوير السجلات وجزئياً عبر المضاربة بشكل أكبر. لكن أمره انكشف في النهاية وتم صرفه من الخدمة.»

«هل حقق أرباحاً شخصية لحسابه الخاص؟»

«آه، أجل. لقد خرج من الصفقات بمبلغ يقارب نصف مليون كورون أسّس على نحو مثير للسخرية بذور مجموعة 'وينرشتروم'. لدينا الوثائق التي تؤكد كل ذلك. غير أنك تستطيع إستعمال المعلومات كما تشاء. وسيدعم هنريك الاتهامات بشكل علني. لكن...»

قال بلومفيست: «لكن، وهنا يمكن قول 'لكن' كبيرة، إنها معلومات لا قيمة لها، إذ حصل ذلك منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً وأغلق ملف القضية.»

«ستحصل على إثبات أن وينرشتروم مجرد محتال.»

«سيسبب ذلك إزعاجاً لوينرشتروم حين يخرج إلى العلن، لكنه لن يكون أكثر من انزعاج يسببه له مسدس مزيف على شكل لعبة تطلق النار عليه مباشرة. سوف يعمد إلى خلط الأوراق ويصدر بياناً صحفياً مضاداً يقول فيه إن هنريك فانغر ليس سوى عجوز يعيش على أمجاد الماضي ويحاول أن يسلبه بعض الصفقات في عالم الأعمال، ولعله سيدّعي أيضاً أنه كان يعمل وفقاً لأوامر صادرة عن هنريك نفسه. حتى لو لم يتمكن من إظهار براءته سيتمكن من ذرّ الكثير من الرماد ونشر ما يكفي من الغيوم حول الأمر بحيث لا يأخذ أحدهم القصة على محمل الجد.»

بدا فرود حزيناً.

قال له بلومفيست: «لقد تملقتماني وقمتما بخداعي.»

«لم تكن تلك نوايانا.»

«لا أضع اللوم سوى على نفسي. كنت متعلقاً بحبال الهواء في حين كان يفترض بي أن أدرك أن الأمر برمّته كان شيئاً من ذاك القبيل.» أطلق ضحكة مقتضبة وتابع قائلاً: «ليس هنريك سوى قرش عجوز عتيق. كان يحاول أن يبيعني منتجاً وأخبرني ما أردت سماعه وحسب. حان الوقت لتذهب يا ديرك.»

«ميكائيل... أنا آسف...»

«اذهب يا ديرك.»

لم تعرف سالاندر ما إذا عليها الذهاب إلى بلومفيست ومواساته أو تركه بسلام. وقد حلّ لها المشكلة حين قام بارتداء سترته وصفق الباب وراءه.

انتظرته في المطبخ لأكثر من ساعة تشعر بالقلق. كانت تشعر بالسوء لدرجة أنها أزالت الأغراض عن الطاولة ونظفتها وقامت بجلي الصحون، وهي مهمة تتركها لبلومفيست عادة. كانت تذهب إلى النافذة على نحو منتظم لتتحقق مما إذا كان قد أتى. لكنها في النهاية لم تعد تطيق صبراً، كانت من القلق بحيث ارتدت سترتها هي كذلك وخرجت من الكوخ بحثاً عنه.

مشت أولاً إلى رصيف الميناء، حيث الأنوار لا تزال تضيء الأكواخ المحيطة لكنها لم تلمح أثراً له هناك. تابعت الطريق بمحاذاة المياه حيث اعتادا الخروج ليلياً للقيام بنزهة. كان منزل مارتن مظلماً ويبدو مهجوراً. وصلت إلى منطقة الصخور حيث اعتادا الجلوس والتحدث فترات طويلة، ومن ثم عادت إلى المنزل خالية الوفاض. لم يكن قد عاد بعد.

ذهبت بعد ذلك إلى الكنيسة. لم تلمحه هناك كذلك. كانت تعيش حالة ضياع دون أن تعرف ما الذي تفعله. توجهت إلى دراجتها النارية

وتناولت مصباحاً يدوياً من الجراب وانطلقت تسير بمحاذاة المياه. استغرقت بعضاً من الوقت لتخترق الطريق التي تنمو عليها الأعشاب بكثافة، ومزيداً من الوقت لتجد الطريق إلى كوخ غوتفريد. لاح لها الكوخ في الظلام من وراء الأشجار حين كادت تصل إليه. لم يكن جالساً على العتبة أمام الباب الذي كان مقفلاً.

كانت قد قفلت عائدة نحو البلدة مجدداً حين توقفت عن السير وعادت أدراجها طوال الطريق نحو الوجهة التي غادرتها. لمحت طيف بلومفيست في الظلام عند نهاية حاجز الميناء حيث أغرقت هارييت فانغر والدها. أطلقت تنهيدة ارتياح.

سمع وقع خطواتها وهي تقترب منه والتفت نحوها. جلست بجانبه من دون أن تتفوه بكلمة واحدة، لكنه كسر جدار الصمت أخيراً وقال: «سامحيني، لكن كان يجب أن أبقى وحدي لبرهة.»

«أعلم.»

أشعلت سيجارتين وأعطته واحدة. رمقها بنظرة استغراب. فسالاندر كانت أكثر شخص غير اجتماعي صادفه في حياته وعادة ما كانت تتجاهل كل محاولة يقوم بها في التحدث عن أي أمر شخصي. ولم تكن ترضى ولو لمرة واحدة أي تصرف يدل على شفقة. كانت قد أنقذت حياته وها قد تعقبته تحت جنح الظلام إلى حيث يجلس الآن. أحاط كتفيها بذراعه وقال: «بتّ أعرف ثمني الآن. لقد تخلينا عن أولئك الفتيات. سوف يدفنون القصة. وكل ما كان يجري في غرفة الرعب لدى مارتن سيتبخر ويطويه النسيان.»

لم تجب سالاندر بأي كلمة.

تابع قائلاً: «كانت إريكا على حق. كان ليجديني نفعاً أكبر لو أنني ذهبت إلى إسبانيا وأمضيت شهر نقاهة وعدت لمتابعة العمل على قضية 'وينرشتروم' لقد أضعت كل تلك الأشهر سدىً.»

«لو أنك ذهبت إلى إسبانيا لكان مارتن ينفذ جرائمه حتى الآن في غرفة الرعب.»

جلسا حيث هما لوقت طويل قبل أن تقترح عودتهما للمنزل.

غطّ بلومفيست في النوم قبل سالاندر وظلت هي مستيقظة تستلقي بقربه وتستمع لوتيرة تنفسه. ذهبت بعد برهة إلى المطبخ وجلست على المقعد في الظلمة ودخنت عدداً من السجائر مستغرقة في التفكير. كانت تعرف سلفاً أن كلاً من هنريك وفرود يمكن أن يخدعاه. لقد كانت تلك طبيعة متأصلة فيهما. لكن تلك كانت مشكلة بلومفيست أو مشكلتها هي؟ وهل كانت مشكلة أصلاً؟

توصلت في النهاية إلى قرار بهذا الشأن. أطفأت سيجارتها وعادت إلى غرفة النوم، وأضاءت النور. وأخذت تهز بلومفيست ليصحو، كانت الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل.

«ماذا هناك؟»

«لدي سؤال أطرحه عليك. اجلس.»

جلس بلومفيست في الفراش يغلبه النعاس.

«عندما وجهت إليك التهمة في المحكمة، لماذا لم تدافع عن نفسك؟»

فرك بلومفيست عينيه ونظر إلى الساعة.

«إنها قصة طويلة يا ليزبث.»

«لدي كل الوقت لأسمع، هات أخبرني.»

مكث في مكانه فترة طويلة يفكر ما الذي يقوله لها، لكنه قرر أخيراً قول الحقيقة.

«لم يكن لدي أي دفاع أتقدم به. المعلومات الواردة في المقال الذي كتبت كانت مغلوطة.»

«حين تسللت إلى جهاز الكومبيوتر الخاص بك وقرأت رسائل البريد الإلكتروني التي كنت تتبادلها مع برجر، كانت هناك الكثير من المراجع

التي استندت إليها في قضية 'وينرشتروم'، لكن أنتما الاثنين بقيتما تناقشان التفاصيل العملية الخاصة بالمحاكمة دون أن يحصل شيء من ذلك. فما الخطب، ما الذي سار على نحو خاطئ؟»

«اسمعي يا ليزبث، لا يسعني أن أبوح بالقصة الواقعية. لقد وقعت في فخ. لقد كنا واضحين أنا ويرجر أنه إذا أخبرنا أحدهم بما حصل حقاً سيقوض ذلك مصداقيتنا على نحو أكبر.»

«اسمعني أنت يا ميكائيل بلومفيست، لقد كنت أنت من جلس البارحة هناك يعظني عن الصداقة والثقة وكل تلك الأمور التافهة. وأنا لن أنشر القصة التي ترويها على صفحات الإنترنت.»

أخذ بلومفيست يعترض. كان الوقت بعد منتصف الليل. ولا يسعه أن يواجه الأمر برمّته الآن. لكنها بقيت تجلس في مكانها تصر بعناد على سماع القصة إلى أن أذعن لها. ذهب إلى الحمام وغسل وجهه جيداً ووضع إبريق القهوة على النار. ثم عاد إلى السرير وأخبرها كيف أثار فضوله صديق المدرسة القديم روبرت ليندبرغ في مركب Malar-30 الأصفر في مرسى الضيوف في آرهولما.

«أتعني أن صديقك ذاك كان يكذب؟»

«كلا، مطلقاً. لقد أخبرني ما كان يعرفه هو بالضبط. وقد تمكنت من التأكد من صحة كل كلمة قالها في الوثائق التي حصلت عليها من تدقيق الحسابات في الـSIB (لجنة الاستثمارات والضمانات الأمنية). حتى إنني ذهبت إلى بولندة وقمت بتصوير التخشيبة المغطاة بالصفائح المعدنية حيث يفترض أنها كانت شركة 'مينوس' الضخمة. وقد أجريت مقابلات مع عدد من الناس الذين تم توظيفهم في الشركة المزعومة. قالوا جميعاً الأمر ذاته.»

«لست أفهمك.»

أطلق بلومفيست تنهيدة. وأمضى بضع دقائق صامتاً قبل أن يتكلم مجدداً.

«كانت لدي قصة رائعة. لم أكن قد واجهت وينرشتروم شخصياً بعد. لكن القصة كانت مُحكمة تخلو من أي نقطة ضعف. ولو أني قمت بنشرها في تلك اللحظة لكنت ألحقت به انتكاسة. لعل الأحداث لم تكن لتؤدي إلى إلصاق تهمة الاحتيال بي، كان الناشرون قد سبق أن وافقوا على الصفقة لكني كنت لقضيت على سمعته.»

«ما الذي حدث؟»

«في مكان ما سمع أحدهم بما كنت أقحم نفسي فيه وتمت إثارة انتباه وينرشتروم لوجودي. وفجأة بدأت تحصل مجموعة من الأمور الغريبة. لقد تم تهديدي في البداية. وبدأت تردني اتصالات من مجهولين عبر أرقام يستحيل تعقبها. إريكا أيضاً تعرضت للتهديد. إنه الكلام الفارغ نفسه الذي يهددون به عادة كالقول: إكذبا وإلا علقناكما على باب الحظيرة وأمور من هذا القبيل. وقد جنّ جنون إريكا بالطبع وصارت امرأة مشاكسة.»

تناول سيجارة من سالاندر وأخذ يدخنها.

«ومن ثم حصل شيء بغيض جداً. بينما كنت خارجاً من المكتب في وقت متأخر من إحدى الليالي هاجمني رجلان وأوسعانني ضرباً. تورمت شفتاي تماماً ووقعت أرضاً وسط الشارع. لم أتمكن من التعرف إليهما لكن أحدهما بدا مليئاً بالوشوم يرتدي سترة جلدية.»

«إذاً، بعد...»

«لم تسهم تلك الأحداث إلا في زيادة إريكا غضباً وفي زيادتي عناداً وإصراراً. عززنا مجلة 'ميلينيوم' بالمزيد من رجال الأمن. المشكلة هي أن كافة تلك المضايقات لم تكن ذات علاقة بمضمون القصة. لم نتمكن من أن نفهم تماماً سبب كل ما يحدث لنا.»

«لكن القصة التي نشرتها كانت مختلفة عن هذا تماماً.»

«بالضبط. كنا قد أحرزنا تقدماً مفاجئاً في إطار معرفتنا بالأمور. عثرنا على أحد المصادر، كان عميلاً سرياً من حلقة معارف وينرشتروم. كان هذا العميل خائفاً حتى الموت بالمعنى الحرفي للكلمة، ولم يكن

يسمح لنا بلقائه إلى في غرف الفنادق. أخبرنا أن أموال مشروع 'مينوس' قد استعملت في صفقات الأسلحة في حرب يوغوسلافيا. كان 'وينرشتروم' يعقد الصفقات مع حركة 'أوستاشي' اليمينية الفاشية في كرواتيا. ليس هذا وحسب، كان العميل مستعداً لتزويدنا بنسخ عن الوثائق التي تدعم قوله.»

«وهل صدقته؟»

«كان ذكياً جداً. لم يزودنا إلا بما يكفي من المعلومات التي تقودنا إلى المصدر التالي، الذي يؤكد القصة التي سمعنا. لقد أعطينا أيضاً صورة فوتوغرافية لأحد أصدقاء وينرشتروم المقربين يصافح الشاري. كانت تلك معلومات مفصلة تحدث انفجاراً وبدا كل شيء قابلاً للإثبات.»

«وتبين أنه كان مزيفاً.»

«كان كل شيء مزيفاً منذ البداية حتى النهاية. كانت الوثائق كلها مزورة بطريقة محترفة. لقد تمكن محامي وينرشتروم من أن يثبت أن صورة الشخص الذي يرأسه وينرشتروم وقائد حركة 'أوستاشي' كانت عبارة عن مونتاج لصورتين أخريين.»

علقت سالاندر بالقول: «يا له من أمر مذهل!»

«أدركنا متأخرين كم كان التلاعب بنا أمراً سهلاً. قصتنا الحقيقية كانت لتدمر وينرشتروم تماماً. وقد تم إغراق تلك القصة الآن عبر عملية تزوير ذكية. كنا قد نشرنا بدلاً منها قصة يمكن لوينرشتروم أن يفند نقاطها نقطة نقطة ويثبت براءته.»

«ألم يكن بإمكانك أن تتراجع وتخبر الحقيقة كما هي فعلاً؟ ألم تكن تملك مطلقاً أي دليل أن وينرشتروم هو من قام بتزوير الوقائع؟»

«لو أننا حاولنا إخبار الحقيقة واتهام وينرشتروم بالوقوف وراء كل التزوير الحاصل، ما كان لأحد أن يصدقنا. كانت لتبدو محاولة يائسة من قبلنا لتحويل وجهة إلقاء اللوم من غبائنا إلى قائد صناعي بريء.»

«فهمت.»

«كان وينرشتروم يحتمي وراء غطاءين دفاعيين. إذا ما قمنا بالكشف عن زيف القصة الملفقة كان يستطيع الادعاء أنها محاولة من أحد أعدائه لتشويه سمعته. وكنا في مجلة 'ميلينيوم' لنخسر المصداقية مجدداً أمام القراء، بما أننا وقعنا نحن أنفسنا في وهم قصة تبين أنها ملفقة.»

«لذا اخترت ألا تدافع عن نفسك وتقبل أن يحكم عليك بالسجن.»

قال بلومفيست: «كنت أستحق ذلك، لقد ارتكبت فعل التشهير. لقد صرت تعرفين القصة الآن، فهل يمكنني العودة للنوم؟»

أطفأ المصباح بجانبه وأغمض عينيه، واستلقت سالاندر إلى جانبه بهدوء.

«وينرشتروم رجل عصابة.»

«أعلم ذلك.»

«كلا، أعلم أنك تعلم أنه رجل عصابة. إنه يعمل مع الجميع بدءاً بالمافيا الروسية إلى الاتحاد الاحتكاري لمنتجي ومروّجي المخدرات في كولومبيا.»

«ما الذي تعنيه بقولك؟»

«حين قدمت تقريري إلى فرود أوكل إليّ مهمة أخرى. لقد طلب مني أن أحاول معرفة ما الذي حصل فعلاً أثناء المحاكمة، وكنت قد بدأت لتوي العمل على القضية حين اتصل بآرمانسكي وطلب إليه إلغاء المهمة.»

«أتساءل عن السبب وراء ذلك.»

«أفترض أنهما ألغيا التحقيق لحظة قبلت المهمة التي أوكلك بها هنريك فانغر. لم تعد القضية تشكل أولى اهتماماتهما.»

«ثم؟»

«حسناً، أنا لست من النوع الذي يحب ترك الأمور معلّقة. كانت لدي بضعة أسابيع فراغ لا عمل يشغلني... كنت عاطلة عن العمل في فصل الربيع الماضي حين لم تكن لدى آرمانسكي أي مهمة لي. فقمت ببعض أعمال البحث في قصة 'وينرشتروم' بداعي التسلية فقط.»

جلس بلومفيست في الفراش وعاد يضيء المصباح ونظر في عيني سالاندر مباشرة، كانت تبدو مذنبة بالفعل.

«هل وجدت شيئاً؟»

«لدي ملفه الكامل على قرص صلب موجود على جهاز الكومبيوتر الخاص بي. يمكنك الحصول على ما تشاء من معلومات تثبت أنه رجل عصابة.»

الفصل الثامن والعشرون

الثلاثاء، 29 يوليو ـ الجمعة، 24 أكتوبر

أمضى بلومفيست ثلاثة أيام مستغرقاً في قراءة الملفات التي قام بطباعتها عن كومبيوتر سالاندر. المشكلة أن الموضوعات الواردة على الورق كانت تتغير طوال الوقت. صفقات بيع أراضٍ في لندن. صفقة بيع عملات في باريس من خلال وكيل. شركة ذات مكتب بريد يعود عنوانه إلى جبل طارق. تضاعف مفاجئ في أموال أحد الحسابات في مصرف «تشايس مانهاتان بنك» في نيويورك.

ومن ثم كانت هناك كل علامات الاستفهام المحيرة: شركة تجارية يبلغ حسابها مئتي ألف كورون في حساب مصرفي فتح قبل خمس سنوات ولم يتم لمسه في سانتياغو في التشيلي، وهي تشكل واحدة من حوالى ثلاثين شركة مشابهة في اثني عشر بلد مختلف، دون أن يرد أي ذكر من أي نوع عن نشاط تلك الشركات أو نوع عملها. إنها مجرد شركات في طور السبات. تنتظر ماذا؟ هل تشكل واجهة لنوع آخر من النشاطات؟ لم يعط الكومبيوتر أي إشارة عما كان يدور في رأس وينرشتروم أو ما الأمر الذي كان واضحاً تماماً له وبالتالي لم تكن هناك أي صيغة منصوصة في ملف إلكتروني.

باتت سالاندر على قناعة أن أياً من تلك الأسئلة سوف يبقى من دون إجابة على الإطلاق. لقد كان باستطاعتهما رؤية الرسالة، لكن من دون أي مفتاح في أيديهما لن يتمكنا من تفسير معناها قط. كانت أمبراطورية

وينرشتروم أشبه ببصلة حيث تكشف طبقة عن أخرى، كانت بمثابة متاهة من المشاريع أحدها ملك للآخر. كانت تضم شركات وحسابات مصرفية وأموالاً وسندات مالية. كانا يعتقدان أن لا أحد، بمن في ذلك وينرشتروم نفسه، قادر على الحصول على نظرة عامة على الأمور. كان لأمبراطورية وينرشتروم حياة قائمة بذاتها.

لكن كان هناك نمط ما أو على الأقل طيف نمط. كان عبارة عن متاهة من المشاريع التي يملك أحدها الآخر. كانت أمبراطورية وينرشتروم تقدر بقيمة تتراوح بين مئة مليار وأربعة مليارات كورون، تبعاً للشخص الذي تسأل أو الطريقة التي تحتسبها بها. لكن إن كانت الشركات تملك أصول إحداها الأخرى، فكم ستكون قيمتها بالتالي؟

غادرا جزيرة هيديبي على عجل في وقت مبكر من صباح اليوم الذي تلا رمي سالاندر القنبلة التي باتت تشغل كل لحظة من حياة بلومفيست وساعات استيقاظه. قاد السيارة إلى منزل سالاندر وأمضى يومين كاملين أمام جهاز الكومبيوتر الخاص بها بينما هي ترشده في عالم وينرشتروم الواسع. كان لديه كمٌّ هائلٌ من الأسئلة. أحدها كان نابعاً من فضول بحت.

«ليزبث، كيف تستطيعين تشغيل هذا الكومبيوتر من وجهة نظر عملية تامة؟»

«إنه اختراع بسيط ابتكره صديقي 'بلاغ'. يملك وينرشتروم جهاز كومبيوتر من نوع IBM ينفذ عليه كافة أعماله من المنزل والمكتب. ذلك يعني أن كافة المعلومات موجودة على قرص صلب وحيد. لديه شبكة اتصال ذات نطاق عريض مع منزله في الديار. اخترع 'بلاغ' طوقاً إلكترونياً يُطوِّق به الكابل الذي يغطي نطاقاً عريضاً، وأنا أقوم بتجربته له. كل ما يظهر على شاشة وينرشتروم يسجلّه الطوق الذي يقوم بدوره بنقل المعلومات إلى شبكة أم أخرى في مكان ما.»

«أليس لديه نظام أمني حاجز؟»

«بلى بالطبع. لكن النقطة الأساسية هنا أن هذا النوع من الأطواق يقوم مقام الجهاز الأمني ذاته. تستغرق المسألة القليل من الوقت على هذا النحو للوصول إلى المعلومات. لنفترض مثلاً أن وينرشتروم تلقى بريداً إلكترونياً فإنه يذهب أولاً إلى الطوق الذي وضعه 'بلاغ' ويمكننا قراءته حتى قبل أن يخترق النظام الأمني للكومبيوتر الخاص به. لكن المهارة هنا، تكمن في أن الرسالة الإلكترونية تكتب عدة مرات ويضاف إليها كل مرة القليل من وحدات البايت على رمز المصدر. تتكرر العملية كل مرة يقوم بتحميل أي شيء على جهاز الكومبيوتر الخاص به. الوضع أفضل حالاً مع الصور. إنه يلجأ إلى الكثير من البحث على صفحات الإنترنت. وكل مرة يختار فيها صورة إباحية أو يفتح صفحة رئيسية جديدة ما لأحد المواقع نضيف عدة صفوف من رمز المصدر. بعد برهة، وفي غضون بضع ساعات أو أيام تبعاً لمدى استعماله جهاز الكومبيوتر يكون وينرشتروم قد حمّل برنامجاً كاملاً مما يقارب ثلاث وحدات ميغابايت تتصل كل منها بالأخرى.»

«ومن ثم ماذا يحصل؟»

«حين يكتمل تحميل الوحدات في مكانها يتم دمج البرنامج بمتصفح الإنترنت. سيبدو الأمر بالنسبة إليه وكأن جهازه قد توقف مرحلياً عن العمل ويتوجب عليه إعادة تشغيله. أثناء حصول عملية إعادة التشغيل من جديد يتم تحميل برنامج عقل إلكتروني جديد. وهو يستعمل برنامج الدخول إلى الإنترنت Internet Explorer. في المرة المقبلة من لجوئه إلى البرنامج فإنه يعمل في الواقع على برنامج آخر مختلف كلياً غير مرئي على جهازه يشبه برنامج الـExplorer ويقوم بوظائفه تماماً إلا أنه يقوم بالإضافة إلى الكثير من الوظائف الأخرى. أولاً إنه يتحكم بالنظام الأمني ويحرص على أن كل شيء يعمل جيداً. ومن ثم يبدأ بقراءة وتصفح ملفات الكومبيوتر ناقلاً جزيئات من المعلومات كل مرة ينقر فيها زر الـmouse بينما يتنقل بين مواقع وصفحات الإنترنت. بعد فترة من الزمن

وذلك تبعاً أيضاً لمدى فتح صفحات الإنترنت، نقوم بجمع صورة كاملة تعكس كافة محتويات القرص الصلب على جهازه من شبكة أم موجودة في مكان ما. ومن ثم يحين وقت ال إ.ب.»

«ال إ.ب.؟»

«عذراً، 'بلاغ' يسميها كذلك، إنها تعبر عن الاستيلاء بالقوة.»

«فهمت.»

«الأمر الخفي الحقيقي هو ما يحصل في الخطوة التالية. حين تكون التركيبة جاهزة، يكون لدى وينرشتروم قرصان صلبان كاملان أحدهما على جهاز الكومبيوتر الخاص به والآخر على شبكتنا. في المرة المقبلة التي يشغل فيها جهازه لا يبدو أمامه إلا انعكاس لبرامج الكومبيوتر لديه. لأنه لا يعود يعمل فعلاً على جهازه الخاص بل على شبكتنا الأم في الواقع. سيعمل جهازه على نحو أكثر بطئاً نوعاً ما لكنه ليس بالأمر الذي تتم ملاحظته. وحين أكون على اتصال بالشبكة، أستطيع أن ألتقط إرسال جهازه في الوقت الحقيقي. كل مرة ينقر فيها وينرشتروم على زر ما على الكومبيوتر الخاص به أراه أنا على جهازي.»

«وهل صديقك لص معلومات كذلك؟»

«إنه الشخص الذي دبر أمر تعقب الهاتف في لندن. إنه غريب الأطوار نوعاً ما من منظار اجتماعي لكنه أسطورة في عالم الإنترنت.»

قال بلومفيست تلوح على ثغره ابتسامة إذعان: «حسناً، السؤال رقم اثنين: لماذا لم تخبريني عن وينرشتروم سابقاً؟»

«لم تسألني عنه قط.»

«ولنفترض أنه لم يسبق لي أن سألتك عنه بل لنفترض أنه لم يسبق لي أن التقيتك يوماً، هل كنت لتجلسي هنا مكتوفة اليدين وأنت تعرفين أن وينرشتروم رجل عصابة في حين أن مجلة 'ميلينيوم' عرضة للإفلاس؟»

أجابته سالاندر بنبرة العارف: «لم يطلب مني أحد فضح وينرشتروم لما هو عليه فعلاً.»

«حسناً، وماذا لو كان الأمر كذلك؟»
قالت: «لقد سبق أن أخبرتك.»
توقف بلومفيست عن الحديث بالأمر.

نقلت سالاندر محتويات القرص الصلب لجهاز وينرشتروم والتي توازي خمس وحدات جيغابايت تقريباً إلى عشرة أقراص مدمجة. كانت تشعر بأنها بطريقة أو بأخرى قد انتقلت للعيش في شقة بلومفيست. كانت تنتظر بصبر وتجيب عن كافة الأسئلة التي يطرحها.

قال لها مرة: «لا يسعني أن أفهم كيف يمكن له أن يكون بهذه البساطة فيحتفظ بكل غسيله المتسخ على قرص صلب واحد. فلو أنه وقع بين يدي الشرطة...»

«لا يتمتع الناس بكل تلك العقلانية. كان عليه أن يفكر أن الشرطة لن تفكر مطلقاً في مصادرة جهاز الكومبيوتر الخاص به.»

«فوق مستوى الشبهات. أوافقك الرأي أنه كان مجرد سافل مغرور، لكن لا بد أنه كان لديه مستشارون أمنيون يخبرونه كيف يتعاطى مع جهاز الكومبيوتر. هناك معلومات على هذا الجهاز تعود للعام 1993.»

«الجهاز بحدّ ذاته حديث الطراز نسبياً. لقد تم تصنيعه منذ عام مضى فقط. لكنه على ما يبدو قد قام بنقل كافة مراسلاته الإلكترونية القديمة وكل شيء آخر إلى القرص الصلب بدلاً من حفظه على أقراص مدمجة. لكنه يلجأ إلى برنامج تفكيك للرموز على الأقل.»

«مما يعتبر عديم الفائدة بالكامل إن كنت داخل جهازه وتقرئين كلمات السر التي يكتبها كل مرة.»

بعد مرور أربعة أيام على عودتهما إلى ستوكهولم، اتصل مالم ببلومفيست على رقمه الخاص عند الساعة الثالثة فجراً.

«هنري كورتيز كان في الحانة مع عشيقته الليلة.»

«حسناً.» أجابه بلومفيست بصوت ناعس.

«وفي طريقهما إلى المنزل انتهى بهما الأمر في حانة 'سيترالين'.»

«ليس بالمكان الجيد للإغراء.»

«إسمع، داهلمان في عطلة. لقد رآه هنري جالساً إلى طاولة مع شاب آخر.»

«ماذا بعد؟»

«تعرّف هنري إلى الرجل، من الصورة والاسم اللذين يتواجدان عادة تحت المقال. إنه كريستر سودر.»

«لا أظنني تعرفت إلى الاسم ولكن...»

«الشاب يعمل في مجلة *Monopoly Financial Magazine* الاقتصادية التي تملكها مجموعة 'وينرشتروم'.»

جلس بلومفيست في السرير.

«هل لا تزال معي على الخط؟»

«أجل، معك. قد لا يعني هذا شيئاً. سودر صحافي أيضاً وقد يكون الرجلان صديقين قديمين.»

«لعلّي مصاب بجنون العظمة والشك، لكن منذ فترة قصيرة اشترت مجلة 'ميلينيوم' قصة من أحد الصحافيين الذين يعملون بدوام حر. وخلال الأسبوع الذي سبق نشرنا للقصة في المجلة عرض سودر مقالاً يكاد يكون شبيهاً. كانت القصة التي سننشرها تتعلق بمصنع الهواتف المحمولة والقطعة التي تتعرّض لخلل فيها.»

«أسمع ما تقول. لكن مثل تلك الأمور تحدث. هل تحدثت إلى إريكا؟»

«كلا، لن تعود قبل الأسبوع المقبل.»

قال له بلومفيست: «لا تفعل شيئاً. سأعاود الاتصال بك لاحقاً.»

سألته سالاندر: «هل من مشاكل؟»

قال لها بلومفيست: «إنها مجلة 'ميلينيوم'. عليّ الذهاب إلى هناك. هل تودين المجيء معي؟»

كانت مكاتب التحرير خالية من الموظفين. استغرقت سالاندر ثلاث دقائق لتخطي كلمة السر والولوج إلى كومبيوتر داهلمان ودقيقتين أخريين لنقل محتويات جهازه إلى جهاز الـ iBook الخاص ببلومفيست.

لعل معظم رسائل البريد الإلكتروني لداهلمان كانت على جهازه المحمول الخاص وما كان بوسعهما الوصول إليها. ولكن من خلال جهاز الكومبيوتر الموجود في مجلة «ميلينيوم» تمكنت سالاندر من أن تكتشف أن لديه عنواناً بريدياً آخر على موقع Hotmail إضافة إلى البريد الإلكتروني الخاص بالمجلة الذي ينتهي بـ millennium.se. تطلب اختراق الرمز السري ست دقائق وتحميل مراسلات العام الماضي الموجودة عليه. وبعد مرور خمس دقائق كانت بين يدي بلومفيست إثباتات على أن داهلمان كان يقوم بتسريب المعلومات المتعلقة بوضع مجلة «ميلينيوم» ويبقي المحرر في مجلة *Monopoly Financial Magazine* على اطلاع بنوع القصص التي كانت برجر تخطط لإدراجها في الأعداد المقبلة. عملية التجسس كانت تحصل منذ الخريف الماضي على الأقل.

أطفآ أجهزة الكومبيوتر وعادا إلى شقة ميكائيل ليحصلا على بضع ساعات من النوم. اتصل بكريستر مالم عند الساعة العاشرة صباحاً.

«لدي إثبات يجزم بأن داهلمان ذاك يعمل لصالح وينرشتروم.»

«كنت أعلم ذلك. رائع، سوف أطرد هذا الخنزير المقرف اليوم.»

«كلا، لا تفعل. لن تقوم بأي خطوة على الإطلاق.»

«ماذا؟ لا أقوم بأي خطوة؟»

«ثق بي يا كريستر. هل لا يزال داهلمان في عطلة؟»

«أجل، سيعود نهار الاثنين.»

«وكم عدد الموظفين الموجودين في المكتب اليوم؟»

«حوالى النصف.»

«هل يمكن أن تدعو إلى اجتماع عند الساعة الثانية؟ لا تفصح عن السبب، سأحضر.»

كان هناك ستة أشخاص حول طاولة الاجتماعات. بدا مالم متعباً. أما كورتيز فبدا كمن يقع في الحب حديثاً، كان أشبه بشبان سن الرابعة والعشرين المغرومين. نلسون بدت متوترةً، إذ لم يكن مالم قد أخبر أحد بموضوع الاجتماع، لكنها كانت قد أمضت في الشركة ما يكفي من الوقت لتعرف أن هناك شيئاً ما غير عادي يحصل وكانت تشعر بالانزعاج لأن أحداً لم يطلعها على ما يجري. الوحيدة التي بدت على طبيعتها كما هي دائماً أنجيلا أوسكارسون، الموظفة بدوام جزئي، وقد كانت تعمل يومين في الأسبوع مضطلعة بالمهام الإدارية البسيطة كلوائح المشتركين في المجلة وما شابه. لكنها لم تبدُ فعلياً بحالة استرخاء تام منذ أن أصبحت أماً قبل عامين. العاملة الأخرى بدوام جزئي كانت لوتا كريم التي كان لديها عقد مشابه لكورتيز وكانت قد عادت إلى العمل بعد إجازة. كان مالم قد نجح كذلك في إحضار ماغنوسم إلى الاجتماع على الرغم من أنه كان في إجازة كذلك.

بدأ بلومفيست الاجتماع بإلقاء السلام الحار على كل من الموجودين والاعتذار عن غيابه الطويل عن مكاتب المجلة.

«الأمر الذي سنقوم بمناقشته اليوم موضوع لم يسبق لي ولكريستر أن طرحناه مع إريكا. لكني أؤكد لكم أنني في هذا الشأن أتحدث باسمها أيضاً. اليوم سنحدد مستقبل مجلة 'ميلينيوم'.»

صمت قليلاً عن الكلام ليستوعب الجميع ما قاله للتو. ولم يطرح أي منهم الأسئلة.

«العام الماضي كان عاماً قاسياً. أنا متفاجئ وفخور بكم في الوقت

عينه لأن أياً منكم لم يتردد في خياراته أو سعى للحصول على عمل في مكان آخر. عليّ أن أفترض في هذا الإطار أنكم إما مطبقو الجنون أو أنكم مخلصون بشكل رائع وتستمتعون فعلياً بالعمل في هذه المجلة. لهذا السبب سأكشف الأوراق على الطاولة أمامكم وأطلب إليكم بذل مجهود واحد أخير.»

تساءلت نلسون: «مجهود واحد أخير؟ يبدو من كلامك وكأنك تريد إقفال المجلة.»

«بالضبط مونيكا. وأشكرك لما قلت. لدى عودتها من الإجازة ستقوم إريكا بدعوتنا إلى اجتماع تحريري كئيب وتخبرنا أن مجلة 'ميلينيوم' ستقفل أبوابها مع حلول عيد الميلاد وأن الجميع مصروف من العمل.»

بدأ جرس الإنذار يدق بين أوساط الحاضرين. حتى مالم نفسه ظن أن ما يقوله بلومفيست جدي. إلا أنه سرعان ما لاحظ الجميع ابتسامته العريضة.

«ما ينبغي لكم فعله هذا الخريف هو القيام بلعبة مضاعفة. الحقيقة المؤسفة هي أن مدير التحرير العزيز جان داهلمان يقوم بعمل آخر يتمثل بدوره كمخبر لهانس إريك وينرشتروم. وهذا يعني أن العدو يطّلع على نحو مستمر على ما يجري تماماً داخل مكاتب تحرير مجلتنا. وهذا كفيل بشرح عدد من الإخفاقات والنكسات التي شهدناها. أنتم، وخاصة سوني تعلمون بشأن المعلنين الذين يبدون إيجابيين ثم ينسحبون فجأة من دون سابق إنذار.»

لم يكن داهلمان يوماً محبوباً في أوساط المجلة ولم تشكل الأخبار عنه صدمة هائلة للجميع. قطع بلومفيست الطريق على الثرثرة والهمس وبدأ حديثه بالقول: «السبب الذي يدفعني لأخبركم بالأمر هو الثقة العمياء التي أكنها لكم جميعاً هنا. أعلم أن طريقة تفكيركم مطبوعة على الاستقامة. لهذا السبب أعلم كذلك أنكم ستتقيدون باللعبة التي ستجري هذا الخريف. من المهم جداً أن يعتقد وينرشتروم أن مجلة 'ميلينيوم' على

وشك الانهيار. ستكون مهمتكم الحرص على أن يصل إليه ذلك على نحو مقنع.»

قال كورتيز: «ما هو وضعنا الحقيقي؟»

«حسناً، يجب أن تكون مجلة 'ميلينيوم' وعلى جميع الصعد في طريقها إلى القبر. وها إني أمنحكم كلمتي: إن ذلك لن يحصل. 'ميلينيوم' اليوم أقوى مما كانت عليه منذ عام مضى. حين ينتهي هذا الاجتماع سأعاود الاختفاء لمدة شهرين تقريباً. وسأعود إلى المجلة مع نهاية أكتوبر. ومن ثم سنقوم بقص جانحي وينرشتروم.»

قالت له نلسون: «وكيف سنفعل ذلك؟»

«آسف مونيكا، لا أستطيع تزويدك بالتفاصيل، لكني أقوم بكتابة قصة جديدة. وسنفعل الأمر بالطريقة الصحيحة هذه المرة. أنا أفكر في تناول وينرشتروم على العشاء هذا الميلاد بدلاً من حبش الميلاد إضافة إلى العديد من النقاد على التحلية.»

انتشرت أجواء من الفرح في الغرفة. تساءل بلومغيست في سره كيف كان ليشعر لو أنه كان أحد الجالسين المصغين إلى الحديث. كان سيشعر على الأرجح أنه مشكوك فيه ربما؟ لكن من الواضح أنه كان لا يزال يتمتع ببعض الرصيد من الثقة في أوساط مجموعة الموظفين في مجلة «ميلينيوم» الصغيرة. رفع يده في الهواء في إشارة ليصمتوا وقال: «إذا كان الأمر سينجح فمن المهم أن يعتقد وينرشتروم أن المجلة على وشك الانهيار لأني لا أريد منه أن يشنّ أي نوع من الهجوم الانتقامي أو يتخلّص من الدليل الذي نود الكشف عنه. لذا سنبدأ بوضع سيناريو ستتقيدون به في خلال الأشهر القليلة المقبلة. أولاً من المهم جداً ألا يُذكر أي مما سنناقشه اليوم في أي شيء نكتبه، ولا أن تتم الإشارة إليه في البريد الإلكتروني المتداول فيما بينكم. لا نعلم إلى أي مدى يعبث داهلمان بأجهزة كومبيوتر كل منا ولقد تنبهت مؤخراً أنه من البساطة بمكان وبشكل مثير للقلق الولوج إلى بريد الزملاء في العمل وقراءة الرسائل الخاصة. لذا

ستقوم بالأمر شفهياً. إذا شعر أي منكم بالحاجة إلى الاستفسار عن شيء ما فليذهب لرؤية كريستر في المنزل، وبشكل خفي تماماً.»

كتب بلومفيست على اللوح الأبيض «لا بريد».

«ثانياً، أريد منكم أن تتجادلوا فيما بينكم وتشتكوا مني أمام داهلمان. لا تبالغوا في الأمر. فقط أطلقوا العنان للجهة الشريرة الطبيعية منكم. كريستر أريد منك ومن إريكا أن تكونا على خلاف جدي بينكما. استعملوا مخيلتكم وكونوا متكتمين بشأن القضية.»

كتب على اللوح الأبيض «ابدأوا التصرف بشكل شرير».

«ثالثاً، حين تعود إريكا إلى الديار ستكون مهمتها الحرص على أن يعتقد جان داهلمان أن اتفاقنا مع مؤسسة 'فانغر' التي تقدم لنا دعمها الكامل في الواقع، في وضع متعثر بسبب مرض هنريك فانغر الخطير ووفاة مارتن فانغر في حادث سيارة.»

كتب على اللوح الأبيض «معلومات خاطئة مضللة».

سألته نلسون: «لكن الاتفاق قائم على أرض صلبة، أليس كذلك؟»

أجاب بلومفيست: «صدقيني، ستقوم مؤسسة 'فانغر' بخطوات جبارة للتأكد أن مجلة 'ميلينيوم' تصل إلى بر الأمان. وفي غضون بضعة أسابيع، لنقل في أواخر أغسطس ستدعو إريكا إلى اجتماع لتحذركم بشأن إمكانية صرفكم من العمل. تعلمون جميعاً أن الأمر مجرد خدعة، وأن الوحيد الذي سيرحل هو داهلمان. لكن إبدأوا الحديث عن التفتيش عن وظائف أخرى، وقولوا إنه يا له من مرجع قذر أن تضعوا إسم مجلة 'ميلينيوم' في سيرتكم الذاتية.»

سألته ماغنوسم: «وهل تظن فعلاً أن هذه اللعبة ستنتهي بإنقاذ 'ميلينيوم'؟»

«أجزم بأن هذا سيحصل. سوني أريد منك أن تضعي تقريراً شهرياً مزوراً يظهر تراجع مبيعات الإعلانات وتناقص عدد المشتركين في المجلة.»

قالت نلسون: «يبدو هذا مسلياً وهل يجب أن نحصر الأمر ضمن إطار المجلة أو نسربه لباقي الوسائل الإعلامية كذلك؟»

«لنبقي الأمر داخلياً. فإذا ظهرت القصة أينما كان سنعلم من سرّبها ساعتئذ. وفي غضون بضعة أشهر، إن سأل أحد عن الأمر فستتمكن من أن نقول له: كل ما سمعت به إشاعات لا أساس لها من الصحة وأننا لم نفكر يوماً في إغلاق المجلة. أفضل ما يمكن أن يحصل هو أن يذهب داهلمان ويسرب المعلومات للوسائل الإعلامية الأخرى. إذا استطعتم تزويد داهلمان برواية ما منطقية إنما فارغة من الأساس يكون أفضل.»

وهكذا أمضوا ساعة كاملة في وضع المخطط وتقسيم الأدوار فيما بينهم.

بعد انتهاء الإجتماع تناول بلومفيست القهوة مع مالم في مقهى «جافا» في هورنغبتسباكلن.

«اسمعني يا كريستر، من المهم جداً أن تقلّ إريكا من المطار وتبلغها بما جرى من أحداث. عليك أن تقنعها بأن تمضي معنا في اللعبة. أنا أعرفها جيداً ستهرع لمواجهة داهلمان فوراً، لكن هذا لا يجب أن يحصل. لا أريد لوينرشتروم أن يسمع بأي شيء مما يحصل ويتدبّر أمر إخفاء الأدلة.»

«سأفعل.»

«واحرص على أن تبقى إريكا بعيداً عن بريدها الإلكتروني الخاص إلى أن تقوم بتحميل برنامج PGP للتشفير وتتعلم كيفية استعماله. على الأرجح أنه من خلال داهلمان سيتمكن وينرشتروم من قراءة كل بريد نتداوله فيما بيننا. أريد منك ومن كل موظف في مكاتب التحرير أن تقوموا بتحميل برنامج PGP. وافعلوا ذلك بطريقة طبيعية لا تثير الشبهات. احصلوا على اسم أحد الاستشاريين في عالم الكومبيوتر واطلبوا منه المجيء للتحقق من الشبكة وكافة أجهزة الكومبيوتر في المكتب. دعوه

يقوم بتحميل البرنامج وكأنه جزء طبيعي جداً من الخدمات التي يقدمها.»

«سأبذل قصارى جهدي. لكن ميكائيل، ما الذي تعمل عليه؟»

«وينرشتروم.»

«ماذا تحديداً؟»

«في الوقت الراهن يجب أن أبقي الأمر طي الكتمان.»

بدا داهلمان منزعجاً فقال: «لطالما وثقت بك يا ميكائيل، هل يعني ما قلته أنك لا تثق بي؟»

أطلق بلومفيست ضحكة مدوية.

«بالطبع أثق بك. لكنني في الوقت الحالي متورّط بنشاطات تميل إلى أن تكون من النوع الجرمي الخطير والتي يمكن أن تدخلني السجن لسنتين. طبيعة البحث الذي أقوم به تتصف بالالتباس والريبة... إني أتبع الأساليب المخادعة ذاتها التي يتبعها وينرشتروم، لا أريد لك أو لإريكا أو لأي كان في المجلة التورط بالأمر بشكل أو بآخر.»

«إنك تزيد من توتري.»

«ابقَ هادئاً يا كريستر وأخبر إريكا أن القصة المنتظرة ستكون هائلة، هائلة فعلاً.»

«ستصر إريكا على معرفة نوع العمل الذي تقوم به...»

فكر ميكائيل في الأمر للحظة قبل أن يفتر ثغره عن ابتسامة.

«قل لها إنها أوضحت لي تماماً في الربيع حين وقَّعَتْ العقد مع هنريك فانغر من وراء ظهري أنني الآن مجرد موظف بدوام حر لم يعد لديه مقعد على طاولة مجلس الإدارة ولا عاد يملك أي تأثير على سياسة مجلة «ميلينيوم». مما يعني أن لا واجب يفرض عليّ إبقاءها على اطلاع بما يجري. لكنني أعد أنها إذا أحسنت التصرف فسأمنحها أفضليّة نشر القصة.»

أجابه مالم بحماسة: «سوف تستشيط غضباً ويجن جنونها بالكامل.»

كان بلومفيست يدرك تماماً أنه لم يكن صادقاً بالكامل مع مالم. لقد كان يتفادى برجر عمداً. من أكثر الأمور طبيعية هو أن يتصل بها على الفور ويخبرها بالتطورات الحاصلة والمعلومات التي بحوزته. لكنه لم يشأ التحدث إليها. وقف عشرات المرات يحمل الهاتف بيده يريد أن يكلمها. وكان كل مرة يغير رأيه.

كان يعلم ما هي المشكلة تماماً. لم يكن قادراً على النظر في عينيها.

القصة الملفقة التي اشترك فيها في هيدستاد كانت لا تغتفر من وجهة نظر مهنية. لم يكن يملك أدنى فكرة كيف سيشرح الأمر لها من دون أن يكذب عليها، وإن كان هناك أمر لا يفكر اللجوء إليه قط، فهو أن يكذب على برجر.

علاوة على كل ذلك، لم يكن يتمتع بالطاقة الكافية للتعامل مع الأمر بينما هو يعمل على قضية «ويترشتروم». لذا أرجأ مسألة اللقاء بها، وأطفأ هاتفه الخلوي وتجنب الحديث معها. لكنه كان يعلم أن التأجيل ليس إلا مؤقتاً.

مباشرة بعد اجتماع هيئة التحرير في المجلة انتقل ميكائيل إلى كوخه في ساندهامن حيث لم تطأ قدماه منذ ما يزيد على عام كامل. أمتعته كانت عبارة عن صندوقين مليئين بالأوراق المطبوعة والأقراص المدمجة التي أعطته إياها سالاندر. أحضر مخزوناً من الطعام وأقفل الباب على نفسه وفتح جهاز الـ iBook وبدأ الكتابة. كان يقوم كل يوم بنزهة قصيرة ويبتاع الصحف ويشتري الخضار. كان المرسى لا يزال يعج باليخوت. أما الشبان الذين استعاروا قوارب آبائهم كانوا عادة ما يتواجدون في Diver's Bar يشربون الكحول حتى الثمل. بالكاد كان بلومفيست يهتم بما يجري في محيطه. كان يجلس أمام شاشة الكومبيوتر ما إن يفتح عينيه في الصباح ولا يعود لإغماضهما مجدداً إلا حين يأوي إلى الفراش منهكاً.

بريد إلكتروني مشفر

من رئيسة التحرير Erika.berger@millennium.se

إلى الناشر المتغيب mikael.blomvist@millenium.se

ميكائيل، أريد أن أعرف منك ما الذي يجري، كارثة أخرى. لقد عدت من إجازتي لأجد الفوضى العارمة بانتظاري. ماذا عن خبر جان داهلمان وذلك اللعب على الحبلين الذي أتيت به. مارتن فانغر قد مات. هارييت فانغر على قيد الحياة. ما الذي يحصل في هيديبي؟ أين أنت؟ هل هناك قصة؟ لماذا لا تجيب على هاتفك الخلوي؟ /إ

ملاحظة، لقد فهمت التلميحات التي بثها كريستر على مراحل بفرح عارم. ستندم على ما قلته. هل أنت غاضب مني فعلاً؟

ملاحظة، سأضع ثقتي بك في الوقت الراهن، لكن سيكون عليك أن تقدم إثباتاً دامغاً، تذكر ما ينتظرك في المحكمة بشأن «ج.د.»

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى Erika.berger@millennium.se

مرحباً ريكي. كلا، بالله عليك، أنا لست غاضباً منك. سامحيني لعدم إبقائك على اطلاع بما يجري، لكن الأشهر القليلة الماضية كانت مليئة بالاضطرابات. سأخبرك كل شيء حين نلتقي، لكن ليس عبر البريد الإلكتروني. أنا في ساندهامن. وهناك قصة فعلاً لكنها ليست عن هارييت فانغر. سأكون مضطراً للالتصاق بجهاز الكومبيوتر هنا لفترة من الزمن. ومن ثم سينتهي كل شيء. ثقي بي. تحياتي وقبلاتي. م.

من Erika.berger@millennium.se

إلى mikael.blomvist@millenium.se

أنت في ساندهامن؟ سآتي لرؤيتك حالاً.

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى Erika.berger@millennium.se

ليس الآن، انتظري بضعة أسابيع فقط إلى أن أكون نظمت أفكار قصتي على الأقل. ثم إنني أتوقع بعض الرفقة.

من Erika.berger@millennium.se

إلى mikael.blomvist@millenium.se

في هذه الحالة سابقى بعيدة بالطبع. لكن عليّ أن أعرف ما الذي يجري. عاد هنريك فانغر إلى موقع الرئيس والمدير العام للشركة وهو لا يجيب على اتصالاتي. إن كان العقد مع مؤسسة «فانغر» قد فُسِخَ، فأنا بحاجة لأن أعرف حتماً. ريكي

ملاحظة، من هي؟

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى Erika.berger@millennium.se

أولاً وقبل كل شيء، لا مجال لانسحاب هنريك فانغر. لكنه لا يزال يعمل لوقت قصير، وأفترض أن الفوضى التي خلفها موت مارتن وعودة هارييت من بين الأموات تلقي بثقلها على مسار الأحداث.

ثانياً: «ميلينيوم» سوف تنجو. إني أعمل على التقرير الأهم في حياتنا، وحين نقوم بنشره سوف يغرق وينرشتروم مرة واحدة وإلى الأبد.

ثالثاً: حياتي مقلوبة رأساً على عقب في الوقت الحاضر، لكن بالنسبة لي ولك ولـ«ميلينيوم» لا شيء تغير. ثقي بي. قبلاتي/ ميكائيل.

ملاحظة، سأعرّف إحداكما إلى الأخرى حالما تسنح الفرصة.

حين ذهبت سالاندر إلى ساندهامن وجدت بلومفيست غائر العينين غير حليق. وقد منحها ضمة سريعة وطلب إليها إعداد بعض القهوة وانتظاره بينما ينهي العمل على ما بين يديه.

نظرت سالاندر من حولها في أرجاء الكوخ وقررت فوراً أنه يعجبها. كان يقوم بمحاذاة حاجز الميناء مباشرة والمياه لا تبعد عن الباب الأمامي للكوخ سوى ثلاث خطوات. لم تكن مساحته تتخطى ثمانية عشر قدماً طولاً وخمسة عشر قدماً عرضاً لكنه كان عالي السقف بحيث كان يضم طابقاً علوياً. كانت تستطيع الوقوف هناك، فقط بلومفيست كان عليه أن ينحني ويخفض رأسه. أما السرير فكان كبيراً يتسع لكليهما.

كانت للكوخ نافذة كبيرة تطل على المياه بالقرب من الباب الأمامي تماماً. هناك كانت طاولة المطبخ التي تبلغ مساحتها ضعف مساحة طاولة المكتب. على الحائط بجانب المكتب كان هناك رف عليه آلة تشغيل الأقراص المدمجة ومجموعة كبيرة من الأقراص المدمجة التي تعود لإلفيس بريسلي وموسيقى الـ«هارد روك» وتلك لم تكن خيار سالاندر الأول.

في الزاوية كان هناك موقد مصنوع من حجر أملس مع واجهة لماعة. أما بقية الأثاث القليل فكانت عبارة عن خزانة كبيرة للملابس والأغطية، وحوض لغسل الصحون يستعمل أيضاً كركن للاستحمام خلف ستار. بجانب الحوض كانت هناك نافذة صغيرة على أحد جوانب الكوخ. أسفل السلالم اللولبية من الدور العلوي كان بلومفيست قد بنى مرحاضاً هوائياً لا يحتاج إلى الكثير من الماء. الكوخ بشكل عام كان مصمماً وكأنه كوخ عائم على متن مركب، مع صناديق صغيرة مقفلة ذكية لتخزين الأغراض وترتيبها.

خلال تحقيقاتها الخاصة بميكائيل بلومفيست اكتشفت سالاندر أنه هو

من أعاد ترتيب الكوخ وصنع المفروشات الموجودة فيه. وهي خلاصة توصلت إليها من التعليقات التي أدلى بها أحد المعارف الذي أرسل لميكائيل بريداً إلكترونياً بعد قيامه بزيارة لساندهامن يعرب فيه عن إعجابه بالعمل اليدوي. كل شيء كان نظيفاً، بسيطاً، ومتواضعاً إلى حدّ يقارب التقشف. كان بإمكانها أن تفهم الآن لماذا يحب بلومفيست الكوخ في ساندهامن إلى هذا الحد.

تمكنت بعد ساعتين من الوقت أن تشد انتباه ميكائيل بما يكفي فيطفئ جهاز الكومبيوتر بغضب ويحلق ذقنه ويخرج برفقتها في نزهة يكون لها فيها دليلاً. كانت الطقس ممطراً وعاصفاً وسرعان ما عادا إلى الكوخ. أطلعها بلومفيست على ما كان يكتب، وأعطته سالاندر قرصاً مدمجاً يتضمن أحدث المعلومات المأخوذة من كومبيوتر وينرشتروم.

ومن ثم أخذته إلى الدور العلوي ونجحت في نزع ملابسه عنه وإلهائه أكثر. استيقظت في وقت متأخر من تلك الليلة لتجد نفسها وحيدة في السرير. استرقت النظر إلى الأسفل فرأته يجلس محدودباً أمام شاشة الكومبيوتر. استلقت هناك لوقت طويل جداً تتكئ على يدها وتراقبه يعمل. بدا سعيداً، وهي كذلك كانت تشعر بسعادة غريبة من الحياة.

لم تمكث سالاندر سوى خمسة أيام قبل أن تعود إلى ستوكهولم لتقوم بإحدى المهام التي أوكلها آرمانسكي إليها. أمضت أحد عشر يوماً لإنجاز العمل، ووضع التقرير والعودة إلى ساندهامن. كانت كومة الأوراق المطبوعة بالقرب من بلومفيست تزداد ارتفاعاً.

هذه المرة مكثت أربعة أسابيع كاملة. كانا يعيشان روتيناً مملاً. يستيقظان عند الساعة الثامنة صباحاً يتناولان الفطور ويمضيان ساعة معاً. ويمعن بلومفيست بعد ذلك في العمل لوقت متأخر من بعد الظهر حين كانا يخرجان في نزهة معاً ويتحدثان. كانت سالاندر تمضي معظم الوقت في السرير إما تقرأ الكتب أو تتصفح مواقع الإنترنت مستعملة مودم

الـADSL الخاص ببلومفيست. كانت تحاول ألا تزعجه أثناء النهار. عادة ما كانا يتناولان العشاء في وقت متأخر من الليل وقتئذ فقط كانت سالاندر تتخذ المبادرة لإجباره على الصعود إلى غرفة النوم في الدور العلوي حيث كانت تحرص على أن يوليها كل اهتمامه.

بدا الأمر وكأنها الإجازة الأولى التي تأخذها في حياتها.

بريد مشفر من Erika.berger@millennium.se
إلى mikael.blomvist@millenium.se

مرحباً م.، بات الأمر رسمياً الآن. قدّم جان داهلمان استقالته وسيبدأ العمل في مجلة Monopoly Financial Magazine في غضون ثلاثة أسابيع. لقد فعلت ما طلبته مني والتزمت الصمت، وها إن الجميع هنا يمارسون الألعاب البهلوانية. إ.

ملاحظة، يبدو أنهم يستمتعون بالقيام بالأمر، هنري ولوتا تعاركا منذ بضعة أيام وأخذا يرميان بعضهما بأغراض المكتب. إنهما يتلاعبان براس داهلمان بشكل سافر جداً لدرجة أني لا أستطيع أن افهم كيف لا يلاحظ الامر هو نفسه ويفهم أنها مجرد لعبة.

من mikael.blomvist@millenium.se
إلى Erika.berger@millennium.se

تمني له الحظ الموفق على لساني هلا فعلت، ودعيه يذهب مباشرة. لكن اقفلي الباب على كل ما هو ثمين. قبلاتي. / م.

من Erika.berger@millennium.se
إلى mikael.blomvist@millenium.se

ليس لدي مدير تحرير قبل اسبوعين فقط من ظهورنا على الإعلام،

والمراسل المحقق للمجلة يمكث في ساندهامن رافضاً التحدث إليّ. أنا شبه متهارة يا ميك. هل تستطيع المجيء؟ / إريكا

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى Erika.berger@millennium.se

اصمدي بضعة أسابيع أخرى بعد، ومن ثم سنكون أحراراً. وابدئي التخطيط لعدد ديسمبر الذي سيكون مختلفاً عن كل ما سبقه. المقال الذي سيرد في العدد يحتل أربعين صفحة. / م.

من Erika.berger@millennium.se

إلى mikael.blomvist@millenium.se

أربعون صفحة!!!!!! هل جننت؟

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى Erika.berger@millennium.se

سيكون عدداً خاصاً مميزاً. أحتاج إلى ثلاثة أسابيع إضافية. هل تستطيعين أن تقومي بالتالي: 1) قومي بتسجيل شركة للنشر تحت اسم «ميلينيوم». 2) احصلي على رقم ISBN. 3) اطلبي من كريستر أن يضع شعاراً مميزاً لشركة النشر الجديدة الخاصة بنا. و4) اعثري على مطبعة جيدة تستطيع إنتاج كتب بسرعة وبثمن زهيد. وبالمناسبة سنحتاج إلى رأسمال من أجل طباعة كتابنا الأول. قبلاتي/ ميكائيل

من Erika.berger@millennium.se

إلى mikael.blomvist@millenium.se

عدداً خاصاً. ناشر كتب. مالاً. اجل، سيدي هل من شيء آخر استطيع أن اقوم به لاجلك؟ هل تريد أن أرقص عارية في سلاسبلان. / إ

ملاحظة، افترض أنك تعلم ما الذي تفعله. لكن اخبرني، ماذا عساي أفعله بشأن داهلمان؟

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى Erika.berger@millennium.se

لا تفعلي شيئاً بشأن داهلمان. قولي له إنه حر في الذهاب ساعة يشاء وإنك لست واثقة أنك تستطيعين دفع أتعابه بأي حال. Monopoly لن تصمد طويلاً. اجلبي المزيد من المواضيع من الموظفين بدوام حر لهذا العدد. وقومي بتوظيف مدير تحرير جديد بحق السماء! / م.

ملاحظة، بالنسبة إلى سلاسبلان، أهو موعد؟

من Erika.berger@millennium.se

إلى mikael.blomvist@millenium.se

سلاسبلان موعد في أحلامك. لكننا لطالما قمنا بالتوظيف معاً. / ريكي

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى Erika.berger@millennium.se

لطالما توافقنا على من نريد أن نوظف في المجلة. سنفعل هذه المرة كذلك، فلا فرق من يكون الشخص الذي توظفين. سوف نقلب الدنيا فوق رأس وينرشتروم. تلك هي القصة الكاملة. دعيني أنهيها بسلام وحسب. / م.

في مطلع أكتوبر قرأت سالاندر مقالاً على صفحة الإنترنت من نسخة

من عدد Courier Hedestad. وأخبرت بلومفيست عنه. إيزابيلا فانغر توفيت بعد فترة قصيرة من صراعها مع المرض. ترثيها ابنتها هارييت فانغر التي عادت مؤخراً من أستراليا.

بريد إلكتروني مشفر من Erika.berger@millennium.se
إلى mikael.blomvist@millenium.se

مرحباً ميكائيل،

جاءت هارييت فانغر اليوم لزيارتي في المكتب. وقد اتصلت قبل خمس دقائق من موعد وصولها، وكنت غير مستعدة لمقابلتها تماماً. إنها امرأة جميلة ترتدي ملابس أنيقة وذات مظهر هادئ.

أتت لتخبرني أنها ستحل محلّ مارتن فانغر كممثل للشركة في مجلس إدارة المجلة. كانت لبقة وودودة وأكّدت لي أن مؤسسة «فانغر» ليست في وارد التراجع عن اتفاقها معنا. بل على العكس فإن العائلة تساند تماماً الالتزامات التي وضعها هنريك تجاه المجلة. طلبت مني أن أصطحبها في جولة على مكاتب التحرير وأرادت أن تعرف كيف أرى الوضع شخصياً.

أخبرتها الحقيقة. قلت لها إني أشعر أني لا أقف على أرض صلبة وأنك منعتني من الذهاب إلى ساندهامن وأني لا أعرف ما الذي تعمل عليه سوى أنك تخطط لإغراق وينرشتروم. (أفترض أنه لا بأس إن قلت ذلك، فهي في النهاية أحد أعضاء مجلس الإدارة.) رفعت أحد حاجبيها وسألتني ما إذا كنت أشك في أنك ستنجح. ما الذي كان يفترض بي أن أقوله هنا؟ قلت لها إن نومي سيكون أكثر راحة لو أنني أعلم ما الذي تكتبه تماماً. بالطبع إني أثق بك لكنك تقودني إلى حافة الجنون.

سألتها ما إذا كانت هي تعرف ما الذي تكتبه. لكنها أنكرت معرفتها بالأمر لكنها قالت إن لديها انطباعاً بأنك تستند إلى الكثير من المراجع والمصادر، مسلحاً بطريقة تفكير مبتكرة. (تلك هي كلماتها).

أخبرتها أني أظن أن أمراً دراميأً ما قد حصل في هيدستاد وأني لم أكن فضولية جداً في معرفة تفاصيل القصة المتعلقة بهاربييت فانغر نفسها. باختصار، لقد شعرت أني بلهاء. سألتني ما إذا كنتَ فعلاً لم تخبرني بشيء، وقالت إنها تفهم أن علاقة مميزة ما تجمع بيننا، وأنك ستخبرني بالقصة كاملة حين تحظى بالوقت لذلك. ومن ثم سألتني ما إذا كانت تستطيع أن تثق بي. ماذا كان يفترض أن أجيب هنا؟ إنها أحد أعضاء مجلس إدارة مجلة «ميلينيوم»، وأنت تتركني في جهل مطبق بما يحدث.

تفوهت بعد ذلك بشيء غريب. طلبت إليّ ألا أحكم عليك أو عليها بقسوة. وقالت إنها تدين لك بنوع من العرفان بالجميل. وأنها ستحب كثيراً لو نصبح أنا وهي صديقتين. ووعدتني بأنها ستخبرني القصة بنفسها إن لم تفعل أنت. لقد غادرت المكتب منذ نصف ساعة، وما زلت مذهولة لما جرى. أظنها تعجبني لكن من هي تلك؟/ إريكا

ملاحظة، إني افتقدك. لدي شعور أن أمراً بغيضاً قد حدث في هيدستاد. يقول كريستر إن لديك علامة غريبة على عنقك.

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى Erika.berger@millennium.se

مرحباً ريكي. قصة هاربييت فانغر شيء بغيض أكثر مما يمكنك تصوره. سيكون من الرائع لو تستطيع هي أن تخبرك قصتها بنفسها. بالكاد أستطيع أن أجبر نفسي حتى على التفكير فيها.

بالمناسبة، يمكنك أن تثقي بها. لقد كانت تقول الحقيقة حين قالت إنها تدين لي بالعرفان بالجميل. وصدقيني، لن تفعل شيئاً قط لإيذاء مجلة «ميلينيوم». كوني صديقة لها إن كانت تروق لك. إنها تستحق الاحترام كما أنها امرأة أعمال من الطراز الأول. / م.

في اليوم التالي تلقى بلومفيست بريداً إلكترونياً آخر.

من harriet.vanger@vangerindustries.com

إلى mikael.blomvist@millenium.se

مرحباً ميكائيل. إني أحاول منذ عدة أسابيع إيجاد الوقت لأكتب إليك لكن على ما يبدو ليس هناك من ساعات كافية في اليوم الواحد. لقد غادرت هيديبي فجأة لدرجة أني لم أحظ بفرصة لوداعك.

منذ عودتي إلى السويد وأيامي حافلة بالانطباعات المذهلة والعمل الشاق. مؤسسة «فانغر» تعيش حالة من الفوضى العارمة وإني أعمل بجهد مع هنريك لإعادة ترتيب الأمور ووضعها في نصابها. لقد قمت بالأمس بزيارة إلى مكاتب مجلة «ميلينيوم». سأكون ممثلة هنريك في مجلس الإدارة. لقد زودني بكافة التفاصيل المتعلقة بوضع المجلة وبوضعك.

آمل أن تتقبل ظهوري هناك على هذا النحو. إن كنت لا تريد مني الحضور (أو أي شخص آخر من العائلة)، كأحد أعضاء في مجلس الإدارة، سأتفهم، لكنني أؤكد لك أني سأفعل ما بوسعي لدعم «ميلينيوم». أنا أدين لك بالكثير وستكون لدي دائماً أفضل النوايا تجاهك.

التقيت زميلتك إريكا برجر. لست واثقة من رأيها بي وقد تفاجأت لمعرفتي أنك لم تخبرها بقصتي ولم تطلعها على ما حصل.

يسرني كثيراً أن أكون صديقة لك. إن كنت تستطيع أن تحتمل أن يربطك أي شيء بعد بعائلة «فانغر». أطيب التحيات. هارييت

ملاحظة، فهمت من إريكا أنك تحاول التطرق إلى قضية «وينرشتروم» مجدداً. أخبرني ديرك فرود كيف أن هنريك سحب عصاه السحرية بوجهك كما يقولون في أستراليا. ما الذي يسعني قوله هنا؟ أنا آسفة. إن كان هناك من شيء يسعني القيام به، دعني أعلم.

– – – – –

من mikael.blomvist@millenium.se

إلى harriet.vanger@vangerindustries.com

مرحباً هارييت، لقد غادرت هيديبي على عجلة من أمري وها أنا اليوم أعمل على ما كان يُفترض بي تمضية العام الماضي على القيام به فعلاً. ستعلمين قبل وقت طويل من صدور المقال في الإعلام لكنني أظن أنه يسعني القول إن مشاكل العام الماضي سرعان ما ستكون في طريقها للزوال.

آمل أن تصبحا صديقتين أنت واريكا. وبالطبع لا مشكلة لدي أن تكوني أحد اعضاء مجلس إدارة مجلة «ميلينيوم» سأخبر إريكا بما حصل إن كنت تظنين الأمر صائباً. هنريك طلب مني الا ابوح بالامر لاي كان. لنرَ ماذا يحصل، لكن في الوقت الحالي، لا أملك من الوقت والطاقة ما يخوّلني القيام بذلك. أحتاج إلى مهلة ما في البداية.

دعينا نبقى على اتصال. أطيب التحيات / ميكائيل

لم تكن سالاندر مهتمة تماماً بما يكتبه بلومفيست. رفعت نظرها عن الكتاب الذي كانت تقرأه لكنها لم تنتبه بداية لما كان يقوله.

«أنا آسف. كنت أتحدث بصوت مرتفع. كنت أقول إن ذلك فظيع.»

«وما هو الفظيع؟»

«أقام وينرشتروم علاقة مع نادلة في الثانية والعشرين من العمر وصارت حاملاً منه. هل قرأت الرسائل التي تبادلها مع محاميه بهذا الشأن؟»

«عزيزي ميكائيل، ما هو موجود أمامك هو عشر سنوات من مراسلات البريد الإلكتروني والاتفاقيات وترتيبات الرحلات والله يعرف ماذا أيضاً من أمور كلها على القرص الصلب. لا أجد وينرشتروم مذهلاً إلى درجة أن أحشو رأسي بست وحدات جيغا من النفايات. قرأت جزءاً بسيطاً منه لإرضاء فضولي لا أكثر وكان ذلك كافياً ليجعلني أعرف أنه رجل عصابة.»

«حسناً، جعلها حاملاً منه عام 1997. وحين طلبت التعويض أرسل لها محاميه شخصاً ليقنعها بعملية إجهاض. أفترض أن النية كانت بعرض مبلغ من المال عليها مقابل ذلك، لكنها لم تكن مهتمة بالأمر. ومن ثم أفضت عملية الإقناع إلى تغطيسها في حوض الاستحمام إلى أن وافقت على ترك وينرشتروم بسلام. لكن وينرشتروم وبغباء يكتب كل ذلك في رسالة إلكترونية لمحاميه مشفرة بالطبع لكن مع ذلك، لا يدل عمله هذا على مستوى ذكاء عال.»

«وماذا حصل للفتاة؟»

«أجهضت ورضي وينرشتروم عنها.»

لم تتفوه سالاندر بكلمة واحدة طوال عشر دقائق. وقد اسودت عيناها فجأة.

لكنها تمتمت في النهاية وقالت: «رجل آخر يكره النساء.»

استعارت الأقراص المدمجة وأمضت بضعة أيام تقرأ رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بوينرشتروم وملفات أخرى. بينما بلومفيست يواظب على العمل كانت سالاندر في الدور العلوي وجهاز الـPowerBook فوق ركبتيها تتأمل في أمبراطورية وينرشتروم الغريبة.

خطرت لها فكرة وظلّت تدور في رأسها. وظلّت تتساءل لماذا لم تخطر لها الفكرة من قبل.

في وقت متأخر من أكتوبر أطفأ بلومفيست جهاز الكومبيوتر عند الساعة الحادية عشرة صباحاً. صعد إلى الدور العلوي وسلّم سالاندر ما كتبه. ثم غط في نوم عميق. أيقظته مساءً وأعطته رأيها بالمقال.

كانت الساعة قد تجاوزت الثانية بعد منتصف الليل، حين قام بلومفيست بمراجعة أخيرة لما كتب.

وفي اليوم التالي أغلق الستائر والنوافذ وأقفل الأبواب. وصلت عطلة سالاندر إلى النهاية. وقد عادا إلى ستوكهولم معاً.

فتح الموضوع بينما كانا يتناولان القهوة من فناجين ورقية فوق معبر «فاكسهولم».

«ما يحتاج إليه كل منا نحن الاثنين هو اتخاذ القرار بشأن ما علينا إخبار إريكا به. سترفض أن تنشر ذلك إن لم أتمكن من أن أشرح لها كيف حصلت على المعلومات الموجودة بداخله.»

إريكا برجر. رئيسة تحرير بلومفيست وحبيبته القديمة. لم يسبق لسالاندر أن التقتها ولم تكن واثقة أن هذا ما تريده أصلاً. بدت برجر كعنصر مزعج لا يمكن تحديده في حياتها.

«ما الذي تعرفه عني؟»

تنهّد قائلاً: «لا شيء. الحقيقة أني أتفادى لقاءها منذ الصيف الماضي. إنها غاضبة جداً لأنني لم أخبرها بما حصل في هيدستاد. إنها تعلم بالطبع أني كنت في ساندهامن أكتب القصة، لكنها لا تعلم عن أحداثها.»

«هممم....!»

«في غضون بضع ساعات ستكون المسودة بين يديها. ومن ثم ستصنّفني في المرتبة الثالثة. السؤال هو ما الذي يفترض بي إخبارها به؟»

«ما الذي تريد إخبارها به؟»

«أود لو أني أخبرها الحقيقة.»

قطبت سالاندر جبينها.

«اسمعي يا ليزبث، أنا وإريكا نتجادل معظم الوقت تقريباً. يبدو أن ذلك جزء من طريقة تواصل أحدنا مع الآخر. لكنها تستحق الثقة بالطبع. أنت مصدر المعلومات. وهي تفضل الموت على أن تفضح سرك أو من تكونين.»

«كم شخصاً آخر ستخبر؟»

«لا أحد قطعاً. السر سيذهب معي إلى القبر أنا وإريكا. لكني لن أبوح بسرك لأحد إن لم توافقي على ذلك. من ناحية أخرى الكذب على

إريكا ليس خياراً مطروحاً. من غير الوارد ان أخترع لها مصدر معلومات غير موجود.»

ظلت سالاندر تفكر في الأمر إلى أن توقفا في فندق «غراند أوتيل». *تحليل العواقب*. منحت أخيراً وبتردد الإذن لبلومفيست بأن يعرّفها بإريكا. أدار هاتفه الخلوي وأجرى اتصالاً.

كانت برجر تتناول طعام الغداء مع مالين إريكسون التي كانت تفكر في إعطائها وظيفة مدير التحرير. إريكسون كانت في التاسعة والعشرين من عمرها وكانت تعمل في المجال خمس سنوات. لم تواظب يوماً على عمل واحد وبدأت تشك أنها ستقوم بذلك يوماً. اتصلت بها برجر في اليوم الأخير ذاته التي أنهت فيه عملها لتسألها ما إذا كانت تقبل العمل في مجلة «ميلينيوم».

قالت لها برجر: «إنها وظيفة مؤقتة. لكن إن نجحت الأمور وسار كل شيء على ما يرام، قد تصبح وظيفة دائمة.»

«سمعت إشاعات تقول إن 'ميلينيوم' تعيش أوقاتاً عصيبة.»

ابتسمت برجر لسماعها ذلك.

«لا يجدر بك تصديق الإشاعات.»

ترددت إريكسون قبل أن تقول: «داهلمان ذاك الذي أُستَبْدَلُ به سيعمل في المجلة التي يملكها هانس-إريك وينرشتروم...»

هزت برجر رأسها وقالت: «ليس سراً أننا في صراع مع وينرشتروم. وهو لا يحب الأشخاص الذين يعملون في 'ميلينيوم'.»

«بناءً عليه، إن قبلت العمل في المجلة فسأوضع في الخانة ذاتها.»

«من المحتمل جداً أن هذا ما سيحصل.»

«لكن داهلمان نفسه حصل على وظيفة في مجلة *Monopoly Financial Magazine*، أليس كذلك؟»

«يمكنك القول إنها طريقة وينرشتروم في ردّ جميل الخدمات التي تلقاها. هل لا تزالين مهتمة بأمر الوظيفة؟»

«متى عساي أبدأ؟»

في تلك اللحظة اتصل بها بلومفيست.

استعملت مفتاحها الخاص لفتح باب شقته. كانت تلك المرة الأولى التي تلتقيه فيها وجهاً لوجه منذ زيارته الخاطفة للمكتب يوم عيد منتصف فصل الصيف. دخلت غرفة الجلوس لتجد فتاة بالغة النحول وكأنها مصابة بمرض فقدان الشهية ترتدي سترة جلدية مهترئة وتجلس على الأريكة وقدماها ممدودتان فوق الطاولة الصغيرة. ظنت في البداية أن الفتاة لا تتجاوز الخامسة عشرة من العمر ولكن ذلك قبل أن تنظر في عينيها. كانت لا تزال تتأمل ذاك المخلوق حين دخل بلومفيست الغرفة يحمل إبريق القهوة وبعض الكيك.

قال لها: «سامحيني لأني كنت لا أطاق.»

أمالت برجر برأسها ونظرت إليه. كان فيه شيء مختلف، إذ بدا شاحباً، منهكاً وأكثر نحولاً مما تتذكر. كانت عيناه تحملان تعابير الخجل وظل يتفادى نظراتها لبعض الوقت. نظرت إلى رقبته ورأت خطاً أحمر باهت اللون يمكن تمييزه بوضوح.

«كنت أتفاداكِ... إنها قصة طويلة ولست فخوراً بالدور الذي لعبته فيها. لكننا سنتكلم عن ذلك لاحقاً... دعيني الآن أعرّفك إلى هذه الشابة. إريكا هذه ليزبث سالاندر. ليزبث، هذه إريكا برجر رئيسة تحرير مجلة 'ميلينيوم' وأفضل صديقة لي.»

أخذت سالاندر تتأمل ملابس برجر الأنيقة وتصرفاتها الواثقة وحسمت القرار بعد عشر ثوانٍ أنها لن تكون على الأرجح أفضل صديقة لها.

استمر اللقاء خمس ساعات. أجرت برجر اتصالين تؤجل فيهما مواعيد سابقة. وأمضت ساعة كاملة تقرأ أجزاء من مسودة الكتاب الذي وضعه بلومفيست بين يديها. كانت لديها آلاف الأسئلة لكنها أدركت أنه سيلزمها أسابيع قبل أن تحصل على الإجابة.

الأكثر أهميّة كان ما جاء في مسوّدة الكتاب الذي وضعته من يدها أخيراً. إذ لو كان جزءاً بسيطاً من هذه المعلومات يتمتع بالدقة فإن واقعاً جديداً بالكامل على وشك الظهور إلى العلن.

أخذت برجر تحدق ببلومفيست. لم تشك يوماً أنه شخص صادق، لكنها الآن تشعر بالدوار وتتساءل ما إذا كانت قضية «وينرشتروم» قد كسرته وغيّرته، وأن ما كان يعمل عليه ليس شيئاً سوى من نسج خياله. كان بلومفيست في تلك الأثناء يفرغ صندوقين مليئين بالأوراق المطبوعة التي تشكل مادة الكتاب ومراجعه. شحب وجه إريكا. لقد كانت تريد بالطبع أن تعرف كيف وصلت المعلومات إليه وكيف صارت بحوزته.

تطلب الأمر بعض الوقت لإقناعها بأن تلك الفتاة الغريبة الأطوار، التي لم تقل كلمة واحدة منذ بداية اللقاء، هي من تتمتع بحرية الدخول غير المحدود إلى جهاز كومبيوتر وينرشتروم. ولا يقتصر الأمر على هذا وحسب، بل إنها أيضاً دخلت إلى أجهزة كومبيوترات عدد من المحامين العاملين لديه والمقرّبين منه.

تمثّل ردّ فعل برجر الفوري بعدم جواز استعمال المواد المنشورة نظراً للطريقة غير الشرعية في الحصول عليها.

لكن بالطبع يمكنهم استعمالها. هذا ما ردّ به بلومفيست مشيراً إلى أنهما غير ملزمين البتة بالإفصاح عن كيفية الحصول على المعلومات. يمكن لهما كذلك التعامل مع مصدر يمكنه الوصول إلى داخل كومبيوتر بلومفيست ونقل كافة المحتويات الموجودة على القرص الصلب إلى أقراص مدمجة.

أدركت برجر أخيراً نوع السلاح الذي بين يديها. شعرت بأنها

مرهقة. ولكن لا يزال لديها الكثير من الأسئلة لتطرحها، لكنها لم تكن تعرف من أين تبدأ. استندت أخيراً إلى ظهر الأريكة ورمت يديها في الهواء.

«أخبرني يا ميكائيل ما الذي حصل في هيدستاد؟»

رفعت سالاندر نظرها إليه بحدة. أجابها بلومفيست بدوره بسؤال.

«كيف تسير الأمور بينك وبين هارييت فانغر؟»

«بشكل جيد على ما أظن. لم ألتق بها سوى مرتين. ذهبنا أنا وكريستر بالسيارة إلى هيدستاد من أجل حضور اجتماع لمجلس الإدارة هناك، وقد ثملنا من تناول النبيذ.»

«وماذا عن اجتماع مجلس الإدارة؟»

«أبقت على وعدها.»

«أعلم يا ريكي أنك غاضبة لأني أختلق الأعذار دائماً لأتملّص من إخبارك بما حصل. لم يسبق أن أخفى أحدنا سراً عن الآخر. وفجأة هناك ستة أشهر من حياتي... لا أكون مستعداً لإخبارك بما حصل خلالها.»

تلاقت نظرات بلومفيست وبرجر. كانت تعرفه كراحة يدها، لكن ما رأته في عينيه كان أمراً لم تره من قبل. كان يتوسلها ألا تسأله أكثر. كانت سالاندر تراقب الحوار الصامت بينهما. لم تتدخّل.

«هل الوضع سيئ إلى هذا الحدّ؟»

«بل أسوأ. لطالما كنت أخشى حصول هذا الحديث بيننا. أعدك بأن أخبرك به لكني أمضيت عدة أشهر وأنا أكبت مشاعري في حين أن قضية 'وينرشتروم' تحتل كل اهتمامي... لا أزال غير مستعد لإخبارك. أفضل لو أن هارييت نفسها تخبرك بالأمر.»

«ما هذه الندبة حول رقبتك؟»

«كانت ليزبث هي من أنقذت حياتي هناك. لولاها لكنت ميتاً الآن.»

اتسعت عينا برجر وأخذت تحدق بالفتاة المرتدية سترة جلدية.

«وتحتاج في الوقت الراهن أن تصل إلى اتفاقية معها، فهي مصدر المعلومات.»

جلست برجر لبعض الوقت صامتة مستغرقة في التفكير. ومن ثم قامت بأمر أدهش بلومغيست وأصاب سالاندر بالذهول. حتى هي كانت متعجبة من نفسها. كانت الفتاة تجلس طوال الوقت على الطاولة في غرفة الجلوس في منزل ميكائيل وتشعر بعيني إريكا تراقبانها. إنها فتاة كتومة ترسل ذبذبات عدائية.

وقفت برجر من مكانها وذهبت إلى الطاولة ورمت ذراعيها حول الفتاة. تلوّت سالاندر في مكانها وكأنها دودة على وشك أن توضع طعماً على صنارة صيد.

الفصل التاسع والعشرون

السبت، 1 نوفمبر ـ الثلاثاء، 25 نوفمبر

كانت سالاندر تتصفح عالم الإنترنت سارحة في أمبراطورية وينرشتروم. إنها تحدق في شاشة الكومبيوتر منذ ما يقارب إحدى عشرة ساعة. الفكرة التي تبلورت في إحدى زوايا عقلها غير المكتشفة بعد خلال الأسبوع الأخير من إقامتها في ساندهامن صارت هوساً يشكل شغلها الشاغل. لقد عزلت نفسها في شقتها على مدى أربعة أسابيع وتجاهلت أي اتصال مع آرمانسكي. كانت تمضي اثنتي عشرة ساعة في اليوم وربما أكثر في بعض الأيام مسمّرة أمام شاشة الكومبيوتر، وفي خلال الساعات الأخرى التي لا تكون نائمة فيها، كانت تستغرق في التفكير في المشكلة ذاتها.

كان تواصلها خلال الشهر الماضي مع بلومفيست يسير على وتيرة متقطعة. إذ كان هو أيضاً منشغلاً جداً في مكاتب مجلة «ميلينيوم». كانا يتحدثان على الهاتف بضع مرات في الأسبوع فتطلعه على آخر التطورات المتعلقة بمراسلات وينرشتروم ونشاطاته الأخرى.

تفحصت التفاصيل للمرة المئة. لم تكن تخشى أن تكون قد نسيت شيئاً لكنها لم تكن واثقة أنها فهمت تماماً كيف أن التوصيلات المعقدة كانت تلائم بعضها بعضاً.

كانت تلك الأمبراطورية التي كانت محط الكثير من النقاشات أشبه

بكائن حي نابض، لا شكل له ولا يكف عن التحوّل والتبدّل. كان يضم العديد من الحقوق والسندات المالية والحصص والأسهم والشراكات والفوائد على القروض والمداخيل والودائع والحسابات المصرفية والتحويلات المالية وآلاف العناصر الأخرى. كان جزء هائل جداً من الأصول مودعاً في صناديق بريد مكاتب الشركات التي كانت إحداها ملكاً للأخرى.

تحليلات الخبراء الماليين لمجموعة «وينرشتروم» كانت تقدر قيمتها بما يزيد على تسعمئة مليار كورون. كانت تلك مجرد خدعة أو رقم تمّت المبالغة فيه كثيراً على نحو مقصود. على الرغم من أنه من الواضح أن وينرشتروم ليس معدماً. احتسبت قيمة الأصول الحقيقية فوجدتْ أنها تساوي بين تسعين ومئة مليار كورون وهو ليس بالمبلغ المعتبر حقاً. التدقيق الحسابي المعمق في كافة أموال الشركة قد يتطلب سنوات لإنجازه. لقد تعرفت سالاندر بشكل كلي إلى ما يقارب ثلاثة آلاف حساب ورصيد مصرفي منفصل ومختلف موزع في جميع أنحاء العالم. كان وينرشتروم يكرس نفسه لعمليات الاحتيال والتزوير إلى حد هائل لدرجة أنه لم يعد يعدّه عملاً جرمياً بل بات يندرج في إطار عالم الأعمال.

إلا أنه وفي مكان ما من كائن وينرشتروم كان يوجد جوهر. إذ إن ثلاثة من الأصول ظلت تظهر بالتراتبية ذاتها. الأصول السويدية الثابتة كانت حصينة وأصلية، متوفرة أمام التفتيش المالي العام، والميزانيات العامة وتدقيق الحسابات. أما الشركة الأميركية فكانت متينة الأسس، والمصرف في نيويورك كان يقوم مقام السيولة المالية التي تشكل رأس المال. القصة كانت تكمن في صناديق بريد مكاتب الشركات في أماكن مثل جبل طارق وقبرص وماكاو. وينرشتروم كان أشبه بمعرض دائم لتجارة الأسلحة غير الشرعية، وتبييض الأموال للشركات المشبوهة في كولومبيا، والصفقات غير الشرعية إطلاقاً في روسيا.

حساب مصرفي مجهول الهوية في جزر كايمان كان فريداً من نوعه، كان يتحكم به وينرشتروم شخصياً لكنه لم يكن مرتبطاً بأي من الشركات. نسبة مئوية من كل صفقة يقوم بها وينرشتروم كانت تُخْتَلَس إلى جزر كايمان عبر مكاتب صناديق بريد الشركات.

كانت سالاندر تعمل وكأنها في حالة انتشاء. فتضغط مرة على زر الحسابات المصرفية ومرة على البريد الإلكتروني ومرة على صفحة الميزانيات العمومية. كانت تدوّن ملاحظات بشأن آخر التحويلات. تعقبت أحد التحويلات المالية الصغيرة المتجهة من اليابان إلى سنغافورة وعبر سنغافورة إلى اللوكسمبورغ ومن ثم إلى جزر كايمان. كانت تفهم كيف تسير الأمور وكأنها جزء لا يتجزأ من ذبذبات عالم الفضاء الإلكتروني. لاحظت تغيراً طفيفاً في آخر بريد إلكتروني. رسالة مقتضبة صغيرة احتلت شيئاً من اهتمامها أرسلت عند الساعة العاشرة مساءً. برنامج التشفير PGP كان مجرد مزحة لأي شخص اخترق جهاز الكومبيوتر ويمكنه قراءة نص الرسالة بوضوح تام:

«لقد توقفت برجر عن المجادلة بشأن الإعلانات. هل استسلمت في النهاية أم هناك شيء ما يتم التحضير له سراً؟ مصدرك في مكاتب التحرير أكّد لنا أن المجلة على حافة الإنهيار، لكن على ما يبدو قاموا بتوظيف شخص جديد. إعرف لي ما الذي يحصل. بلومفيست كان يعمل في ساندهامن خلال الأسابيع القليلة الماضية لكن لا أحد يعلم عما يكتب. يلاحظ تواجده في مكاتب التحرير مؤخراً. هل يمكن أن ترسل لنا نسخة مسبقة من العدد المقبل؟» / هـ.إ.و/

لا شيء دراماً. دعه يشعر بالقلق. لقد انتهى أمرك أيها العجوز.

عند الساعة الخامسة والنصف فجراً أطفأت جهاز الكومبيوتر وفتحت علبة سجائر جديدة. كانت قد شربت أربع بل خمس زجاجات كولا وها

هي الآن تفتح السادسة وتذهب للجلوس على الأريكة. لم تكن ترتدي إلا سروالاً داخلياً وقميصاً قطنياً مموّهاً يروج لمجلة *Soldier of Fortune* مع شعار يقول *اقتلهم* جميعاً ودع *الله* يتولى *أمرهم*. شعرت بالبرد فتناولت غطاءً ولفّت نفسها به.

كانت تتمتع بمزاج مرح ومعنويات مرتفعة وكأنها تناولت أحد الممنوعات. ركزت نظرها على مصباح الشارع خارج نافذتها وجلست بهدوء بينما عقلها يعمل بأقصى سرعة. أمها، أختها، ميمي، هولجر بالمغرين، أصابع الشر، وآرمانسكي والعمل، وهاريت فانغر، ومارتن فانغر، وعصا الغولف، والمحامي بيورمان، وكل تفصيل دقيق لعين تعجز عن نسيانه حتى لو حاولت.

تساءلت في سرها ما إذا كان بيورمان سيخلع ثيابه مجدداً أمام أي امرأة وإن فعل فكيف سيبرر لها الكلمات المحفورة على بطنه؟ وفكرت أيضاً كيف يمكن له أن يتفادى خلع ملابسه في المرة المقبلة التي يزور فيها الطبيب.

وخطر لها ميكائيل بلومفيست.

كانت تعتبره شخصاً طيباً مع عقدة الخنزير العملي ربما التي تظهر عليه بشكل قليل الوضوح من حين لآخر. كان ساذجاً بما لا يطاق في ما يخص بعض القضايا الأخلاقية الأولية البسيطة. يتمتع بشخصية متساهلة متسامحة تبحث عن التفسيرات والأعذار التي تبرر تصرفات الناس وأفعالهم، دون أن يفهم مطلقاً أن الهوام الطفيلية المؤذية في العالم لا تفهم سوى لغة واحدة. كانت تشعر بالوقائية على نحو أخرق كلما فكرت فيه.

لم تتذكر متى غرقت في النوم، لكنها استيقظت عند الساعة التاسعة صباحاً، مع شعور بالتصلب في عنقها ورأسها يستند إلى الحائط خلف الأريكة. ترنحت في طريقها إلى غرفة النوم وغرقت في النوم مجدداً.

كانت تلك من دون أدنى شك القصة الأكبر في حياتهما. للمرة الأولى منذ عام ونصف، كانت برجر تشعر بسعادة المحرر الذي يعدّ لسبق صحفي مثير. كانت هي وبلومفيست يضعان اللمسات الأخيرة على المقال حين اتصلت به سالاندر على رقمه الخاص.

«لقد نسيت أن أقول لك إن وينرشتروم بدأ يقلق حيال ما تقوم به مؤخراً. وقد طلب أن تأمن له نسخة من العدد المقبل مقدّماً.»

«كيف عرفت... آه، ما أغبى هذا السؤال. هل لديك أي فكرة عما يخطط للقيام به؟»

«لا شيء مطلقاً، مجرّد تخمين منطقي.»

فكر بلومفيست لبضع ثوانٍ. وتساءل قائلاً: «المطبعة».

رفعت برجر حاجبيها تعجباً.

«إن كنت تحكم الطوق على مكاتب التحرير فليس هناك من احتمالات أخرى كثيرة. إلا إذا كان أحد قطاع الطرق لديه قد قرر زيارتك ليلاً.»

التفت بلومفيست إلى برجر وقال: «احجزي مطبعة جديدة لإصدار العدد الجديد. واتصلي بدراغان آرمانسكي، أريد تأمين حماية ليلية هنا طوال الأسبوع المقبل.» وعاد يقول لسالاندر على الهاتف: «شكراً لك.»

«ما قيمة ذلك؟»

«ما الذي تعنيه؟»

«كم تبلغ قيمة الخبر؟»

«ما الذي ترغبين فيه؟»

«أريد مناقشة الموضوع فوراً بينما نشرب فنجان قهوة. الآن فوراً.»

التقيا في مقهى «كافيبار» في هورنسغاتان. بدت سالاندر جدية إلى حدٍّ بعيد حين جلس بلومفيست إلى المقعد بجانبها بحيث شعر بوخز من

القلق. كما العادة دخلت في صلب الموضوع مباشرة: «أحتاج إلى اقتراض بعض المال.»

منحها بلومفيست إحدى أكثر تكشيراته حماقة ومدّ يده إلى محفظته وقال: «بالطبع، كم تريدين؟»

«مئة وعشرين ألف كورون.»

وضع محفظته جانباً: «فعلاً، فعلاً.»

«أنا لست أمازحك، أحتاج إلى اقتراض مبلغ مئة وعشرين ألف كورون لـ. . . ستة أسابيع دعنا نقول. لدي فرصة الدخول في استثمار ما لكن ليس هناك أحد آخر ألجأ إليه. لديك في حسابك المصرفي ما يقارب المئة وأربعين ألف كورون في الوقت الحالي. سوف تستعيد أموالك.»

ما لم يكن يحتاج إلى أي تعليق هو كيفيّة اختراق سالاندر كلمة السر الخاصة بحسابه المصرفي.

أجابها قائلاً: «ليس عليك أن تقترضي المال مني. لم نناقش حصتك بعد لكنها ستكون أكثر من كافية لتغطية المبلغ الذي تريدين اقتراضه.»

«حصتي؟»

«اسمعي يا ليزبث، لدي مبلغ هائل سأحصل إليه من هنريك فانغر وسوف نختم الصفقة مع نهاية العام. من دونك أنت ما كنت لأكون هنا وكانت 'ميلينيوم' لتغرق تماماً. إني أفكر في اقتسام المبلغ الذي سأحصل عليه بيننا أنا وأنت مناصفة.»

رمقته سالاندر بنظرة مستفسرة. وظهرت تقطيبة على جبينها. كان بلومفيست معتاداً على فترات الصمت الطويلة التي كانت تغرق بها. هزت رأسها أخيراً تقول: «لا أريد مالك.»

«ولكن. . .»

«لا أريد كوروناً واحداً منك إلا إذا أتى على شكل هدايا في عيد ميلادي.»

«فكري في الأمر، أنا لا أعرف متى عيد مولدك أصلاً.»

«أنت صحافي، تحقق من الأمر.»

«أنا جدّي يا ليزبث بشأن اقتسام المال.»

«وأنا جدية كذلك، أريد اقتراض المال فقط، وأريده غداً.»

لم تسأله حتى عن المبلغ الذي تقدّر به حصتها. «سأكون سعيداً بالذهاب إلى المصرف معك اليوم وإقراضك المبلغ الذي تحتاجين إليه، لكن ليكن لدينا حديث آخر عن حصتك في نهاية العام.» ثم رفع يده في الهواء وقال: «وبالمناسبة، متى عيد ميلادك؟»

أجابته: «ليلة عيد 'والبورغيس' في الأول من مايو. وهو تاريخ مناسب جداً، ألا تعتقد؟ ذلك حين أتسكّع للمتعة مع مكنسة بين ساقي.»

حطت في زوريخ عند الساعة السابعة والنصف مساءً واستقلت سيارة أجرة إلى فندق «ماترهورن» وحجزت غرفة لها هناك باسم إيرين نسر وعرّفت عن نفسها بالاسم ذاته مستعملة جواز سفر نرويجي. إيرين نسر تلك ذات شعر أشقر يصل إلى حدّ الكتفين. وكانت سالاندر قد اشترت شعراً مستعاراً من ستوكهولم واستعملت عشرة آلاف كورون من المبلغ الذي اقترضته من بلومفيست لتشتري جوازي سفر عبر أحد المعارف في شبكة «بلاغ» الدولية.

ذهبت إلى غرفتها وأقفلت الباب وراءها وخلعت ملابسها. استلقت على السرير وأخذت تنظر إلى سقف الغرفة التي تكلف ألفاً وستمئة كورون لليلة الواحدة. شعرت أنها فارغة من الداخل، كانت قد أنفقت نصف المبلغ الذي اقترضته. مع أنها قد أضافت إليه كل كورن من مدخراتها الخاصة وكانت لا تزال تعيش حالة ضيق مالية. توقفت عن التفكير وغرقت في النوم فوراً.

استيقظت بعد الساعة الخامسة فجراً بقليل. استحمّت وأمضت وقتاً طويلاً تغطي الوشم على رقبتها مستخدمة طبقة سميكة من مستحضر سائل ملون ووضعت فوقه طبقة أخرى من البودرة. النقطة التالية على

لائحة أعمالها كانت أن تحجز موعداً لها في صالون التجميل في ردهة أحد الفنادق الأخرى الأغلى ثمناً عند الساعة السادسة والنصف من ذلك الصباح. اشترت شعراً مستعاراً آخر أشقر اللون إنما أقصر، ثم ألصقت أظافر مستعارة فوق أظافرها الأصلية التي اعتادت قضمها. كما وضعت رموشاً اصطناعية وطبقة من البودرة وأحمر الشفاه والمزيد من التبرّج.

دفعت ثمن كل ذلك بواسطة بطاقة ائتمان باسم مونيكا شولز وأظهرت لهم جواز سفرها البريطاني الذي يحمل الاسم نفسه.

المحطة التالية كانت في دار «كاميل» للأزياء أسفل الشارع. بعد ساعة خرجت ترتدي حذاء طويلاً أسود وتنورة رصاصيّة اللون مع جوربين أسودين ضيّقين وسترة مناسبة تصل إلى مستوى الخصر وقلنسوة. كل من قطع الملابس التي كانت ترتديها كانت تحمل ماركات تصاميم باهظة الثمن. كانت قد سمحت للبائعة أن تختار لها الملابس بنفسها. كما اختارت حقيبة يد جلدية ثمينة وحقيبة «سامسونايت» فاخرة. اللمسات الأخيرة تمثّلت بأقراط صغيرة متحفظة وسلسلة ذهبية بسيطة حول العنق. المبلغ الذي تم سحبه من بطاقة الائتمان بلغ أربعة وأربعين ألف كورون.

للمرة الأولى في حياتها تتمتع سالاندر بمظهر يجعلها تحبس أنفاسها حين تنظر إلى نفسها في المرآة. الصّدر كان مزيّفاً تماماً كما يُفترض أن تكون مونيكا شولز إذ كان مصنوعاً من مادة اللاتكس المطاطية وقد اشترته من كوبنهاغن حيث يقوم المخنثون بالتبضع.

صارت مستعدة للمعركة.

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة صباحاً حين اجتازت شارعين نحو فندق «زيمرتال أوتيل» الموقّر حيث حجزت غرفة لها باسم مونيكا شولز. منحت بقشيشاً سخياً للصبي الذي ساعدها على حمل حقيبتها (التي كانت تضم حقيبة سفرها وأمتعتها). كان الجناح الذي حجزته بقيمة اثنين وعشرين ألف كورون لليوم الواحد. وكانت قد حجزته لليلة واحدة. حين

أصبحت وحدها أخذت تنظر من حولها فرأت أنها كانت تشرف على بحيرة زوريخ. مشهد رائع لم تكن تأبه له البتة. لكنها أمضت ما يقارب من خمس دقائق تعاين انعكاسها في المرآة هناك. بدت غريبة عمّا تعرفه بالكامل. ها هي مونيكا شولز ذات النهدين الكبيرين والشعر الأشقر القصير التي كانت تضج من مستحضرات التجميل أكثر مما كانت ليزبث سالاندر تحلم باستعماله في شهر كامل. بدت... مختلفة.

عند الساعة التاسعة والنصف تناولت الفطور في صالة الفندق، وقد بلغ ثمن كوبين من القهوة وكعك مع المربى مئتين وعشرة كورونات. *هل هؤلاء الناس مصابون بمسّ من الجنون؟*

قبل أن تدق الساعة العاشرة كانت مونيكا شولز قد وضعت فنجان القهوة من يدها وفتحت هاتفها المحمول وأدخلت رقم مودم الإرسال في هاواي. بعد ثلاث رنات بدأت النغمة المرتعشة، مما يعني أن المودم قد تم وصله. أجابت مونيكا شولز بالضغط على رمز من ستة أعداد على هاتفها المحمول وكتبت نص رسالة يتضمن التعليمات للبدء بتشغيل برنامج كانت سالاندر قد وضعته خصيصاً لهذا الهدف.

كان البرنامج قد رأى النور في هونولولو على إحدى الصفحات الرئيسية المجهولة الهوية لشبكة أُمّ موجودة في الجامعة. كان البرنامج بسيطاً. وظيفته الوحيدة كانت تقتصر على إرسال التعليمات للبدء بتشغيل برنامج آخر في شبكة أُمّ أخرى وهي في هذه الحالة ISP تجارية عادية لتوفير خدمات الإنترنت في هولندا. ووظيفة ذلك البرنامج أن يقوم بدوره بالبحث عن انعكاس القرص الصلب الذي يعود إلى هانس-إريك وينرشتروم ويتولى إدارة البرنامج الذي يظهر محتويات حساباته المصرفية التي تبلغ ما يقارب الثلاثة آلاف حساب حول العالم.

كان هناك حساب مصرفي واحد يحوز على اهتمامها. كانت سالاندر قد دوّنت ملاحظة تقول إن وينرشتروم كان يتفقّد الحساب بضع مرات في

الأسبوع. إذا فتح جهاز الكومبيوتر الخاص به ونظر إلى ذلك الملف تحديداً، سيبدو له كل شيء طبيعياً. كان البرنامج يظهر بعض التغييرات الطفيفة المتوقعة بالاستناد إلى التقلبات الطبيعية في الحساب خلال الأشهر الست الماضية. إذا قام وينرشتروم خلال الساعات الثمانية والأربعين المقبلة بالدخول إلى الحساب وطلب أن يُدفع مبلغ من الحساب أو يتم نقله إلى مكان آخر فسوف يقدّم له البرنامج تقريراً يقول إن الطلب قد تمّ بنجاح. بينما في الواقع لم يحصل التغيير إلا على القرص الصلب المنعكس في هولندا.

أطفأت مونيكا شولز هاتفها المحمول لحظة سمعت النغمات الأربع القصيرة التي تؤكد أن البرنامج قد بدأ عمله.

غادرت فندق «زيمرتال» ومشت نحو مصرف «هاوزر جنرال» الواقع على الجهة الأخرى من الشارع حيث كان لديها موعد مع السيد واغنر المدير العام عند الساعة العاشرة. وصلت إلى المصرف قبل ثلاث دقائق من الموعد المحدد وأمضت فترة الانتظار تتخذ وضعيات تصوير مختلفة أمام كاميرا المراقبة التي التقطت صورتها بينما تدخل قسم المكاتب الخاصة بالاستشارات الشخصية.

قالت بلغة إنكليزية ذات لكنة تدلّ على أنها خريجة أكسفورد: «أحتاج إلى بعض المساعدة في عدد من الصفقات المالية.» وقد تعمَّدَتْ عند فتح محفظة الأوراق الجلدية أن توقع القلم الذي حصلت عليه من فندق «زيمرتال» وقد بادر السيد واغنر إلى التقاطه بكل تهذيب وإعادته لها. منحته ابتسامة ملتوية ودوّنت رقم الحساب المصرفي على قصاصة ورقية على الطاولة أمامها.

صنّفها السيد واغنر على أنها فتاة مفرطة الدلال أو ربما عشيقة أحد رجال الأعمال الكبار.

قالت له: «هناك عدد من الحسابات المصرفية في 'بنك كرونتفيلد'

في جزر كايمان. يمكن القيام بالتحويل الإلكتروني عبر رموز تصفية الحسابات المتالية.»

سألها: «سيدة شولز أتوقع أنه من الطبيعي أن تكون لديك كافة رموز المرور، أليس كذلك؟»

أجابته بلكنة ثقيلة بحيث يظهر واضحاً أن مستوى اللغة الألمانية لديها لا يتعدى المرحلة المدرسية: «هذا طبيعي.»

بدأت تعدد عن ظهر قلب بضع مجموعات من الأرقام المتسلسلة المؤلفة من ستة عشر عدداً من دون العودة إلى الأوراق. لاحظ السيد واغنر أن صباحه سيكون طويلاً لكن من أجل الحصول على أربعة بالمئة من الصفقات المعقودة كان مستعداً لأن يفوّت موعد الغداء. كما كان يجدر به أن يعيد النظر بتصنيف السيدة شولز.

لم تغادر مصرف «هاوزر جنرال» إلى أن تجاوزت الساعة وقت الظهر، وهو موعد تأخّر قليلاً عما كان مخططاً له وعادت تمشي نحو فندق «زيمرتال». حرصت على أن يكون حضورها ملحوظاً في ردهة الاستقبال قبل أن تصعد إلى غرفتها في الفندق وتنزع عنها الملابس التي كانت قد اشترتها. أبقت على الثديين المطاطين إلا أنها استبدلت الشعر الأشقر المستعار القصير بشعر إيرين نسر الأشقر كذلك الذي يصل حتى مستوى الكتف. ارتدت ملابس عادية أكثر فانتعلت حذاءً طويلاً ذات كعب عال وارتدت سروالاً أسود وقميصاً عادياً وسترة جلدية سوداء جميلة من مالنغسبودن في ستوكهولم. تفحصت مظهرها في المرآة فلاحظت أنه لم يكن سيئاً لكنها ما عادت تبدو وريثة ثروة ضخمة. قبل أن تغادر إيرين نسر الغرفة رتبت عدداً من السندات المالية ووضعتها في ملف صغير.

عند الساعة الواحدة وخمس دقائق أي بتأخر عن الموعد المحدد ببضع دقائق دخلت مصرف «دورفمان» الذي يبعد ما يقارب سبعين ياردة عن مصرف «هاوزر جنرال». كانت نسر قد حددت موعداً مسبقاً لها مع

السيد هاسلمان. وقد اعتذرت عن التأخير. كانت تتحدث اللغة الألمانية بطلاقة مذهلة مع لكنة نرويجية.

قال لها السيد هاسلمان: «لا مشكلة على الإطلاق سيدتي. كيف لي أن أخدمك؟»

«أود أن أفتح حساباً. لدي عدد من السندات المالية الخاصة التي أود تحويلها.»

وضعت إيرين نسر ملفها على الطاولة أمامه.

تفحص السيد هاسلمان المحتويات بتسرّع في البداية ومن ثم على مهل. رفع أحد حاجبيه وافترّ ثغره عن ابتسامة مهذّبة.

فتحت حسابات مصرفية تبلغ قيمة كل منها رقماً ينتهي بخمسة أصفار يمكنها الوصول إليها عبر الإنترنت التي تعود ملكيتها ظاهرياً لشركة مكتب صندوق بريد في جبل طارق. وقد قام أحد الوسطاء التجاريين بفتحها لها مقابل خمسين ألف كورون من المبلغ الذي اقترضته من بلومفيست. حولت خمسين من السندات إلى أموال وأودعتها في الحسابات المصرفية. كل من الأسهم المالية كان بقيمة توازي مئة مليون كورون.

عملها في مصرف «دورفمان» استغرق أيضاً وقتاً أكثر من المتوقع وصارت أكثر تأخراً الآن عن اللحاق ببقية المواعيد. لم تحظ بفرصة الاهتمام بالتحويل الأخير قبل إقفال المصارف في ذلك اليوم. وهكذا عادت إيرين نسر إلى فندق «ماترهورن» حيث ظلت تتجول لحوالي الساعة كي تجعل حضورها ملحوظاً بين الآخرين. لكنها أصيبت بصداع وأوت إلى الفراش باكراً. اشترت بعض الأسبرين من ردهة الاستقبال وطلبت أن يوقظوها عند الساعة الثامنة صباحاً. وصعدت إلى غرفتها.

كانت الساعة قد قاربت الخامسة من بعد الظهر وكانت كافة مصارف أوروبا قد أقفلت أبوابها أمام صفقات الأعمال. إلا أن المصارف في كل من أميركا الشمالية والجنوبية كانت أبوابها لا تزال مفتوحة. أدارت جهاز

الـ PowerBook واتصلت بشبكة الإنترنت عبر هاتفها المحمول. أمضت حوالى ساعة من الوقت تفرغ الحسابات المصرفية المرقّمة التي كانت قد قامت بفتحها في مصرف «دورفمان» في وقت سابق من النهار.

قسمت المال إلى مبالغ صغيرة واستعملتها لدفع فواتير عدد كبير من الشركات الوهمية الموزعة حول العالم. عندما انتهت من ذلك كان قد تم تحويل الأموال بشكل غريب إلى مصرف «كررننفيلد» في جزر كايمان مجدداً. إلا أنها تحولت هذه المرة إلى حساب مصرفي يختلف تماماً عن الحساب الذي تم سحبها منه في وقت مسبق من النهار.

اعتبرت إيرين نسر المرحلة الأولى تلك آمنة يستحيل تعقبها تقريباً. فقامت دفعة واحدة بسحب مبلغ يقارب مليون كورون تم إيداعه في حساب متصل ببطاقة الائتمان الموجودة في محفظتها. الحساب المصرفي كان يعود لشركات «واسب» المسجلة في منطقة جبل طارق.

بعد بضع دقائق كانت فتاة ذات شعر أشقر قصير تغادر فندق «ماترهورن» عبر باب الحانة. دخلت مونيكا شولز فندق «زيمرتال» وأومأت بلياقة إلى موظف الاستقبال وأخذت المصعد إلى غرفتها.

هناك استغرقت وقتاً طويلاً في ارتداء ثياب عمل مونيكا شولز وقامت ببعض التعديلات على تبرجها فوضعت طبقة من المستحضر السائل فوق بشرتها لتحصل على تغطية أفضل للوشم قبل أن تنزل إلى مطعم الفندق وتطلب صحن سمك هائل للعشاء. طلبت كذلك قنينة نبيذ فاخر لم تسمع به سابقاً مع أن ثمنه يبلغ ألفاً ومئتي كورون. شربت كأساً واحدةً منه وتركت الباقي بلامبالاة قبل أن تذهب إلى حانة الفندق. وزعت بقشيشاً سخياً بحيث تضمن أن لا ترحل من دون أن تلفت الانتباه.

أمضت بعضاً من الوقت تسمح لنفسها بالعبث مع شاب إيطالي ثمل ذو اسم أرستقراطي لم تزعج نفسها بتذكره حتى. وقد تشاركا تناول قنينتي شمبانيا بالكاد شربت منهما مونيكا كأساً واحدة.

قرابة الساعة الحادية عشرة انحنى عاشقها الثمل واعتصر أحد ثدييها بجرأة. أنزلت يده إلى الطاولة وهي تشعر بالرضا. بدا أنه لم يلاحظ مطلقاً أنه لامس قطعة مطاط ناعمة وحسب. كانا يضحكان أحياناً بصوت مرتفع جدّاً بحيث يثيران بعض الانزعاج بين الحاضرين الآخرين. قبل حلول منتصف الليل بقليل حين لاحظت مونيكا شولز أن حارس القاعة يرمقهما نظرة حادة ساعدت صديقها الإيطالي في الوصول إلى غرفته.

حين دخل الحمام سكبت كأس نبيذ أخيرة. فتحت قصاصة ورقية ومزجت النبيذ مع حبة Rohypnol المنوّمة. تكوّر على السرير بشكل مزر في غضون دقائق من شربها النخب معه. فكت له ربطة عنقه ونزعت حذاءه ووضعت عليه غطاءً. مسحت بصمات الأصابع عن القنينة وغسلت الكأسين في الحمام ومسحتهما كذلك قبل العودة إلى غرفتها.

تناولت مونيكا شولز طعام الفطور في غرفتها عند الساعة السادسة صباحاً وخرجت من فندق «زيمرتال» عند الساعة السادسة وخمس وخمسين دقيقة. كانت قبل مغادرة غرفتها قد أمضت خمس دقائق في مسح بصمات أصابعها عن قبضات الأبواب والخزائن والحمام والهاتف والأغراض الأخرى التي لمستها داخل الغرفة.

أما إيرينا نسر فقد غادرت فندق «ماترهورن» عند الساعة الثامنة والنصف صباحاً بعد وقت قصير من تلقّيها اتصال الإيقاظ الصباحي التي كانت طلبته. استقلت سيارة أجرة وتركت حقيبة الملابس في خزانة في محطة القطار. ثم أمضت الساعات القليلة التالية في زيارة تسعة مصارف خاصة حيث قامت بتوزيع بعض من السندات الخاصة التي حصلت عليها من جزر كايمان. وبحلول الساعة الثالثة من بعد الظهر كانت قد قامت بتحويل ما يقارب عشرة بالمئة من السندات المالية إلى أموال نقدية أودعتها في ثلاثين حساباً مصرفياً. أما بقية السندات فقد جمعتها ووضعتها داخل صندوق أمانات.

ستحتاج إيرين نسر إلى القيام بالمزيد من الزيارات إلى زوريخ لكنها لم تكن على عجلة من أمرها.

عند الساعة الرابعة والنصف استقلت سيارة أجرة إلى المطار حيث ذهبت إلى حمام السيدات ومزّقت جواز سفر مونيكا شولز إرباً صغيرة ودفعته في مياه المرحاض. وبواسطة مقصّ قطعت كذلك بطاقة الائتمان ووزّعت الإرب الممزقة على خمسة صناديق نفايات مختلفة إضافة إلى المِقَصّ. بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تكن فكرة جيدة أن تترك أدوات حادة بين أمتعتها.

غادرت إيرين نسر على متن الرحلة رقم GD890 المتجهة إلى أوسلو واستقلت حافلة المطار إلى محطة القطار في أوسلو حيث ذهبت إلى مرحاض السيدات وأخذت تفتش بين ملابسها. رتبت كافة الأغراض التي تعود إلى شخصية مونيكا شولز أي الشعر المستعار والملابس الفاخرة، ووزعتها على ثلاثة أكياس بلاستيكية ودسّتها في ثلاثة صناديق نفايات مختلفة موزعة في أنحاء محطة القطار. ثم وضعت حقيبة الـSamsonite في إحدى الخزائن غير المقفلة في المحطة. السلسلة الذهبية والأقراط كانت من نوع المجوهرات التي تعود لمصمم مشهور ويمكن أن يتم تعقبها. لذا أخفتها في حفرة للصرف الصحي في الشارع.

بعد لحظة من الاضطراب والقلق قررت إيرين نسر الإحتفاظ بالثديين المطّاطيين المستعارين.

ومن ثم لم يعد لديها الكثير من الوقت لذا تزودت ببعض الوقود على شكل همبرغر من «ماكدونالد» بينما تنقل محتويات الحقيبة الجلدية الفاخرة إلى حقيبة أمتعتها الخاصة. وحين غادرت المكان بقيت الحقيبة تحت الطاولة. اشترت بعض القهوة المبيّضة المحلاة من المتجر الصغير وهرعت لتلحق بالقطار المتوجّه إلى ستوكهولم. وصلت بينما الأبواب على وشك الإقفال. وقد حجزت حجرةً خاصةً لها على متن القطار.

حين أقفلت باب حجرتها استطاعت أن تشعر للمرة الأولى خلال يومين أن مستوى الأدرينالين في دمها قد عاد إلى طبيعته. فتحت نافذة الحجرة في القطار وتحدّت قوانين عدم التدخين وأشعلت سيجارة. وقفت هناك تشرب القهوة بينما القطار يسير نحو أوسلو.

مررت نظرها على لائحة الأعمال التي كان عليها أن تقوم بها لتتأكد من أنها لم تغفل أي تفصيل. بعد لحظة من الزمن قطبت جبينها وأخذت تفتش في جيوب سترتها. تناولت القلم الذي حصلت عليه مجاناً من فندق «زيمرتال» وتفحصته لبضع دقائق قبل أن ترميه من النافذة.

بعد ربع ساعة اندسّت في الفراش واستسلمت للنوم.

الخاتمة: كشف حساب أخير

الخميس، ٢٧ نوفمبر - الثلاثاء، ٣٠ ديسمبر

احتلّ مقال بلومفيست الخاص حول هانس-إريك وينرشتروم ستاً وأربعين صفحة من المجلة وانفجر كقنبلة موقوتة في الأسبوع الأخير من نوفمبر.

القصة الأصلية ظهرت تحت اسم كل من ميكائيل بلومفيست وإريكا برجر. لم تعرف وسائل الإعلام كيف تتعامل مع الخبطة الصحفية. قصة مشابهة نشرت قبل عام أسفرت عن إدانة بلومفيست بالتشهير وأدّت بشكل واضح إلى إبعاده عن مكاتب مجلة «ميلينيوم». لهذا السبب كان يتم النظر إليه على أنه لا يتمتع بمصداقية كبيرة. ها هي الآن المجلة ذاتها تعود مع قصة للصحافي نفسه تنطوي على مزاعم أكثر خطورة هذه المرة من المقال الذي ورّطه في الكثير من المشاكل من قبل. بعض من أجزاء التقرير كانت سخيفة لدرجة تتحدى المنطق. ظلت وسائل الإعلام السويدية واقفة تنتظر يملأها عدم الثقة بما جاء في المجلّة.

إلا أنه في ذلك المساء قام برنامج She على محطة TV4 بعرض ملخّص على مدى إحدى عشرة دقيقة يلقي الضوء على اتهامات بلومفيست. كانت برجر قد تناولت الغداء مع مقدمة البرنامج قبل بضعة أيام وزوّدتها بأخبار حصريّة للمحطة.

اكتسح التقرير القاسي اللهجة الذي بثته TV4 أخبار كافة محطات البلاد التي لم تلتحق بالركب إلا بدءاً من الساعة التاسعة مساءً. كانت

وكالة الأنباء في ذلك الوقت أصدرت أول برقية لها يتصدرها عنوان حذر يقول: الصحافي المدان يتهم الرأسمالي بارتكاب جرائم خطيرة. كان نص البرقية إعادة صياغة للقصة التي وردت على محطة التلفزيون. إلا أن واقع تطرُّق وكالة الأنباء للموضوع قد أطلق العنان لكافة النشاطات المحمومة في الصحيفة الصباحية المحافظة وعشرات الصحف الإقليمية الأوسع نطاقاً التي غيّرت عناوين صفحاتها الأولى قبل أن تبدأ المطابع عملها، بعد أن كانت الصحف قد قررت بشكل أو بآخر تجاهل مزاعم مجلة «ميلينيوم».

أصدرت صحيفة *Liberal* الصباحية تعليقاً على السبق الصحفي الذي حققته مجلة «ميلينيوم» في افتتاحية العدد مكتوبة بقلم رئيس التحرير شخصياً في وقت سابق من فترة بعد الظهر. ومن ثم ذهب رئيس التحرير نفسه إلى حفل عشاء بينما تلفزيون TV4 بدأ عرض نشرة الأخبار. وتجاهل بذلك اتصالات سكرتيرته الملحّة بأنه قد يكون هناك شيئاً حول ادعاءات بلومفيست، قائلاً في وقت لاحق: «هراء، لو كان هناك شيء ما لكان مراسلونا المختصون بالشأن المالي قد اكتشفوه منذ فترة طويلة.» وهكذا كان مقال رئيس تحرير صحيفة *Liberal* الصوت الوحيد في البلاد الذي ضرب بادعاءات مجلة «ميلينيوم» عرض الحائط. وقد تضمن المقال الافتتاحي جملاً مثل: *ثأر شخصي، صحافة ضبابية على الصعيد الجنائي*، وطالب المقال كذلك *باتخاذ تدابير تعاقب على إطلاق المزاعم الاتهامية بحق مواطنين شرفاء*. لكنها كانت المقالة الوحيدة المعدة للنشر التي أصدرها رئيس التحرير في خضم المناقشات والمناظرات.

في تلك الليلة كانت مكاتب مجلة «ميلينيوم» تعجّ بالموظفين الذين لم يتغيّب أحداً منهم. وفقاً للخطط التي وُضعت سابقاً كان يُفترض ببرجر فقط والموظفة الجديدة في منصب مدير التحرير مالين إريكسون أن تتواجدا في مكاتب المجلة لتلقّي الإتصالات. لكن مع حلول الساعة العاشرة ليلاً، كان طاقم العمل بأكمله لا يزال هناك وقد انضم إليه ما لا يقل عن أربعة موظفين سابقين وستّة من الموظفين المنتظمين بدوام حر.

ومع حلول منتصف الليل فتح مالم قنينة شمبانيا احتفالاً بالمناسبة. كان ذلك حين أرسل أحد قدامى المعارف مقدماً نسخة من إحدى الصحف الصادرة مساءً تكرّس ست عشرة صفحة لقضية «وينرشتروم» تحت عنوان «المافيا المالية». حين صدرت الصحف في المساء التالي انتشرت في البلاد حُمّى إعلامية قل نظيرها.

توصلت إريكسون إلى خلاصة تقول إنها ستستمتع بالعمل كثيراً في مجلة «ميلينيوم».

خلال الأسبوع التالي أخذت أسواق المال السويدية بالارتعاش مع بدء السلطات الأمنية ورجال شرطة أعمال الاحتيال إجراء التحقيقات، ودخول المدّعين العامين على خط المساءلات وانطلقت أعمال البيع الناجمة عن خوف. بعد يومين من نشر الإعلان أصدر وزير التجارة بياناً يتعلق بقضية «وينرشتروم».

إلا أن الحُمّى الإعلامية لم تكن تعني أن وسائل الإعلام قد ابتلعت ادعاءات مجلة «ميلينيوم» وسلّمت بصحتها من دون أي نقد، فالأمور التي تم الكشف عنها كانت أكثر خطورة من أن يتم تقبّلها ببساطة. غير أنه وخلافاً لقضية «وينرشتروم» الأولى كانت «ميلينيوم» هذه المرة قادرة على إبراز كمّ هائل من الإثباتات والدلائل المقنعة بما في ذلك رسائل البريد الإلكتروني الخاصة بوينرشتروم ونسخ من محتويات جهاز الكومبيوتر التي تضم ميزانيات عمومية من أصول المصارف السرية في جزر كايمان وعشرات الدول الأخرى إضافة إلى الاتفقيات السرية وأخطاء فادحة أخرى كثيرة ما كان ينبغي مطلقاً لمبتزّ حذر أن يتركها على القرص الصلب لجهازه. سرعان ما اتضح أنه إذا انتهى الأمر بادعاءات مجلة «ميلينيوم» في محكمة الاستئناف، وهذا ما يتفق الجميع على حصوله في هذه الحال عاجلاً أم آجلاً، فسيكون ذلك الانفجار الأكبر في عالم المال في السويد منذ انهيار «كروغر» عام 1932. جعلت قضية «وينرشتروم» كلاً من أوضاع

«غوتابنك» المعقدة وعمليات النّصب والاحتيال في «تراسنور» تبدو باهتة مقارنة بفظاعة الخبر. تلك كانت عملية احتيال على مستوى يعجز أيّاً كان عن التجرؤ على تصور عدد القوانين التي انتهكتها.

للمرة الأولى في عالم الصحافة المالية السويدية تظهر عبارات مثل «الجريمة المنظّمة»، و«المافيا» و«أمبراطورية رجل العصابة». بدا وينرشتروم وصغار المضاربين في أسواق البورصة والشركاء ومجموعة المحامين المحصّنين أشبه بعصابة قُطّاع طرق.

خلال الأيام الأولى من انتشار الحمّى الإعلامية، ظل بلومفيست متخفياً عن الأنظار. لم يكن يجيب على رسائل البريد الإلكتروني التي تصله ولا كان يمكن الوصول إليه عبر الهاتف. كافة تعليقات هيئة التحرير الصادرة عن مجلة «ميلينيوم» كانت على لسان برجر من دون سواها التي كانت تموء كالقطة عند إجراء وسائل الإعلام السويدية المحلية والصحف الإقليمية الهامة مقابلات معها. كذلك كانت لديها عدة لقاءات مع مع عدد متزايد من وسائل الإعلام الأجنبية. كل مرة كانت يوجه إليها سؤال حول كيفية حصول المجلة على كل تلك الوثائق الداخلية والسرية كانت تجيب ببساطة أنها لا تستطيع الكشف عن مصادر معلومات المجلة.

عندما سئلت لماذا شكلت فضيحة وينرشتروم العام الماضي هذا القدر من الفشل كانت أكثر تحفظاً. لم تكذب قط على الرغم من أنها لم تكن دائماً تقول الحقيقة كاملة. خارج إطار النشر وحين لا يكون هناك ميكروفون مدسوس تحت أنفها كانت تهمس ببعض العبارات الغامضة السريعة التفشي التي إذا ما تمّ جمعها بعضها مع بعض كانت لتؤدي إلى بعض الخلاصات المتسرعة. هكذا ولدت الإشاعة التي سرعان ما افترضت أبعاداً أسطورية، زاعمة أن ميكائيل بلومفيست قد تعمّد عدم إظهار أي دفاع عن النفس أثناء المحاكمة وخضع طوعاً لحكم المحكمة عليه بالسجن ودفع الغرامة الكبيرة لأنه لو أقدم على إبراز الوثائق التي

بحوزته لأدى ذلك حتماً إلى الكشف عن مصدر معلوماته. لقد تمت مقارنته بنماذج إعلامية يحتذى بها في الإعلام الأميركي قبلت الحكم بالسجن بدلاً من الإفصاح عن مصدر معلوماتها، وتم وصف بلومفيست بالبطل وإطلاق تعابير مادحة غريبة أصابته بإحراج حقيقي. لكن الوقت الآن لم يكن مناسباً لإنكار سوء الفهم.

كان هناك أمر يتفق عليه الجميع: الشخص الذي قام بتسليم الوثائق لا بد أن يكون من دائرة معارف وينرشتروم الأكثر ثقة. وقد أدى هذا الجدال إلى التساؤل عن هوية العميل السري، هل هم زملاء لديهم أسباب وراء استيائهم، أو محامون عاملون لديه. حتى إن ابنة وينرشتروم المدمنة على الكوكايين وأفراد من ضمن العائلة دخلوا دائرة المرشحين المحتملين. لم يُصْدِر أي من بلومفيست أو برجر تعليقاً حول الموضوع.

كانت برجر تبتسم بسعادة مدركة أنهما قد ربحا المعركة حين أصدرت صحيفة مسائية في اليوم التالي لانتشار الحمى مقالاً بعنوان «ردّ ميلينيوم الإنتقامي». أتى المقال على شكل تصوير بارع للمجلة والعاملين يحمل إيضاحات ويقدّم صورة محببة إلى برجر على وجه التحديد. أطلق المقال عليها لقب «ملكة الصحافة الاستقصائية». وهذا أمر يكسبها نقاطاً في تصنيف صفحات التسلية كما جرى حديث عن جائزة الصحافة الكبرى.

بعد مرور خمسة أيام على إطلاق مجلة «ميلينيوم» الدفعة الأولى من النيران، ظهر في المكتبات كتاب بلومفيست بعنوان ***The Mafia Banker*** أو المصرفي المافيوي. وقد كتب بلومفيست الكتاب خلال أيام شهري سبتمبر وأكتوبر المحمومة في ساندهامن، وبسرعة فائقة وتحت غطاء من السرية المطلقة، تمت طباعة الكتاب بواسطة «هالفيغس ريكلام» في مورغونغافا. كان الكتاب الأول الذي ينشر تحت شعار مجلة «ميلينيوم» الخاص. وقد كان مهدى بشكل غريب إلى سالي *التي اظهرت لي فوائد رياضة الغولف*.

كان كتاباً هائلاً يقع في ستمئة وثماني صفحات ذا غلاف ورقي. النسخ الألفان للطبعة الأولى كان يتوقّع لها أن تضمن الخسارة التامة، إلا أن النسخ اختفت من الأسواق في غضون أيام قليلة وطلبت برجر إصدار عشرة آلاف نسخة في طبعة جديدة.

توصل النقاد إلى أنه هذه المرة لا نية لميكائيل بلومفيست التراجع لأن المسألة كانت مرتبطة بنشر مراجع معلومات شاملة وموسعة. وقد كانوا مُحِقِّين في هذا الإطار. إذ كان ثلثا الكتاب يحتوي على فهارس عبارة عن نسخ حقيقية من وثائق مأخوذة من جهاز كومبيوتر وينرشتروم. وفي الوقت الذي نشر فيه الكتاب وضعت مجلة «ميلينيوم» نصوصاً من كومبيوتر وينرشتروم كمصادر معلومات في قسم تحميل ملفات الـPDF على موقعها الإلكتروني.

كان غياب بلومفيست الاستثنائي عن الساحة جزءاً من الخطة الاستراتيجية الإعلامية التي وضعها هو وبرجر معاً. وكانت كل صحف البلاد تبحث عنه. لم يظهر إلا في مقابلة حصرية على برنامج She الذي يبثه تلفزيون TV4 وذلك بعد إطلاق الكتاب. مرة أخرى اكتسحت المقابلة المحطات التلفزيونية المحلية الأخرى. لكن الأسئلة المطروحة أثناء المقابلة لم تتعدّ كونها مجرد أسئلة متملّقة ذليلة.

كان بلومفيست يشعر برضا خاص على أحد مقاطع الحديث المقتضبة الغاضبة حين رأى تسجيل الفيديو للحلقة التي ظهر فيها. تمّ بث المقابلة مباشرة على الهواء في اللحظة ذاتها التي وجدت فيها أسواق البورصة في ستوكهولم أنها في مرحلة السقوط وأنها واقعة بين أيدي حفنة من الجراء الماليين الذين كانوا يهددون برمي أنفسهم من النوافذ. وُجِّه إليه سؤال عن مدى مسؤولية مجلة «ميلينيوم» عن واقع اتجاه اقتصاد السويد إلى الانهيار.

قال بلومفيست: «الفكرة السائدة أن اقتصاد السويد متجه إلى الانهيار مجرد كلام فارغ.»

بدت المذيعة في برنامج She في حيرة من أمرها. لم تتماشَ إجابته

مع السياق الذي توقعته لسير وقائع الحلقة وكانت مجبرة في هذه الحالة على الارتجال. حصل بلومفيست على السؤال الملحق الذي كان يود سماعه، «إننا نشهد على أضخم سقوط في تاريخ البورصة في السويد وأنت تقول لي إنه مجرد كلام فارغ؟»

«عليك أن تميزي بين أمرين، الاقتصاد في السويد والبورصة في السويد. فالاقتصاد السويدي عبارة عن مجموع السلع والخدمات التي تنتجها البلاد يومياً. هناك هواتف من «إريكسون» وسيارات من إنتاج شركة «فولفو»، ودجاج من ماركة Scan، ونقل بحري من كيرونا إلى سكوفد. هذا هو الاقتصاد السويدي وهو اليوم كما كان منذ أسبوع مضى.»

توقف عن الكلام قليلاً ليترك كلامه الوقع المطلوب وشرب بعض الماء.

ثم تابع قائلا: «البورصة أمر مختلف تماماً. ليس هناك من اقتصاد ولا من إنتاج للسلع والخدمات. ليس هناك سوى تصورات تجعل الناس يقررون من ساعة إلى أخرى أن تلك شركة أو سواها تساوي بضعة مليارات. وليس للأمر علاقة بالواقع أو بالاقتصاد في السويد.»

«إذاً أنت تقول إنه ما من مشكلة إن انهارت الأسواق المالية في السويد وسقطت بشكل مدوٍّ.»

أجاب بلومفيست بصوت فيه من القلق والإذعان أظهره بمظهر المتنبئ: «كلا، لا مشكلة على الإطلاق.»

سيتم تكرار كلماته حرفياً عدة مرات خلال العام. ثم تابع حديثه قائلاً: «إنه يعني فقط أن حفنة من المضاربين الكبار في سوق البورصة سيلجأون إلى نقل أسهمهم من الشركات السويدية إلى الشركات الألمانية. إذاً إنهم العفاريت الماليون الذين سيعرِّف عنهم أحد الصحافيين الأشداء ويفضحهم على أنهم الخونة. إنهم هم الذين يقومون على نحو ممنهج، ومتعمد ربما، بتخريب الاقتصاد في السويد من أجل أن يفوا بمطالب وشروط الأرباح على الفائدة لعملائهم.»

ومن ثم ارتكبت مذيعة برنامج She خطأً بطرحها السؤال الذي كان يأمل سماعه تحديداً: «إذاً أنت تظن أن الإعلام لا يتحمل أي مسؤولية؟»

«بل أجل، بالطبع هناك مسؤولية ضخمة تقع على وسائل الإعلام. لأنه على مدى الأعوام العشرين الماضية على الأقل كان الصحفيون الخبراء بالشأن المالي يمتنعون عن وضع هانس-إريك وينرشتروم تحت المراقبة. بل على العكس، لقد ساعدوه على بناء صيت له عبر نشر أمور غبية تتعامى عن الحقيقة. لو كانوا يقومون بعملهم على نحو صحيح لما وجدنا أنفسنا في هذا الوضع اليوم.»

سجل ظهور بلومفيست على شاشات التلفزيون نقطة تحوّل. كانت برجر مقتنعة وإن في وقت متأخر أنه فقط حين ظهر بلومفيست على التلفزيون ودافع عن ادعاءاته بهدوء أدركت وسائل الإعلام السويدية أن قصته هذه المرة حقيقية، على الرغم من أن مجلة «ميلينيوم» وأخبارها ظلت تتصدر العناوين على مدى أسبوع كامل. أقد أطلق سلوكه عجلة التداول بالقصة.

بعد إجراء المقابلة إنتقلت قضية «وينرشتروم» من الشق المالي إلى مكاتب الصحافيين المحققين في الجرائم. في ما مضى، لم يكن المراسلون المختصون بالتحقيق بالجرائم أو بالكاد كانوا يتطرقون إلى الجرائم المالية إلا إذا كانت لها علاقة بالعصابات الروسية أو مهربي السجائر اليوغوسلافيين. لم يكن يتوقع من هؤلاء الصحافيين التحقيق في التفاصيل الدقيقة لتداولات سوق البورصة. إحدى الصحف الصادرة مساءً تبنّت كلام بلومفيست حرفياً وخصصت صفحتين كاملتين لنشر مقالات بالصور عن أهم مقامري مكاتب السمسرة الذين كانوا في طور شراء سندات مالية وضمانات ألمانية. وقد أتت العناوين التي تصدرت الصحف على الشكل التالي: يبيعون وطنهم. كافة السماسرة كانوا مدعوين للردّ على الادعاءات. وقد تراجع كل منهم عن الخطوة التي كان يريد الإقدام

عليها. إلا أن تجارة الأسهم والحصص انخفضت بشكل ملحوظ في ذلك اليوم، وبعض السماسرة الذين أرادوا أن يظهروا بمظهر الوطنيين التقدميين بدأ السباحة عكس التيار. انفجر بلومفيست ضاحكاً للوضع.

لا بد أن الضغط الممارس كان هائلاً ليقوم رجال كتيبون برسم تعابير قلقة على وجوههم وكسر أهم قواعد النادي الاستثنائي الذي يشكل أساس الموارد المالية للسويد. لقد أصدر هؤلاء تعليقات على زملاء لهم. فجأة، ومن دون سابق إنذار كان قادة صناعيون متقاعدون ورؤساء مصارف يظهرون على شاشات التلفزيون ويجيبون عن الأسئلة في محاولة منهم للسيطرة على حجم الخسائر. أدرك الجميع خطورة الوضع، وصارت المسألة تنحصر بإقصاء أنفسهم بأسرع ما يمكن عن مجموعة «وينرشتروم» والتخلي عن أي حصص لهم فيها. وقد توصل الجميع (وبصوت واحد تقريباً) إلى أن وينرشتروم ليس رجل اقتصاد حقيقياً، ولم يتم القبول به فعلياً داخل «نادي رجال الإقتصاد». لقد أشار البعض إلى أنه كان مجرد صبي من الطبقة العاملة في نورلاند ممن شكل لهم نجاحهم غروراً يعميهم عن الواقع. ووصف البعض أفعاله على أنها *تراجيديا* شخصية. واكتشف آخرون أنه لطالما ساورتهم الشكوك بشأن وينرشتروم من قبل إذ كان كثير التباهي والإعجاب بالنفس.

خلال الأسابيع القليلة التالية، ومع التدقيق بالوثائق التي عرضتها «ميلينيوم» وتفحصها كل جزء على حدة وإعادة جمع الأجزاء تم الربط بين أمبراطورية وينرشتروم المؤلفة من شركات غامضة بالمافيا الدولية بما في ذلك المتاجرة غير الشرعية بالأسلحة وتبييض الأموال إلى مروّجي المخدرات في أميركا الجنوبية إلى أعمال الدعارة في نيويورك وحتى المتاجرة بالأولاد واستغلالهم جنسياً في المكسيك. إحدى شركات وينرشتروم المسجلة في قبرص أثارت ضجة هائلة بعد أن اتضح أنها كانت تحاول شراء اليورانيوم المخصب من السوق السوداء في أوكرانيا. مورد وينرشتروم الذي لا ينضب على ما يبدو من الشركات كان يظهر على نحو

غير متوقع أينما كان ويرتبط بكافة المشاريع المريبة.

كانت برجر تعتقد أن العمل الأخير يعتبر أفضل ما أنجز بلومفيست من كتابات. كان متفاوتاً من حيث الأسلوب وأتت الكتابة ركيكة في بعض الأماكن إذ لم يكن هناك من وقت للمراجعة والتنقيح. إلا أن الكتاب كانت تحركه روح غضب عارم لا يمكن لأي قارئ إغفاله.

التقى بلومفيست ويليام بورغ صدفة وهو أحد الخصوم القدامى والمراسل المالي السابق. كان ذلك أمام كفارنن حيث قرر كل من بلومفيست وبرجر ومالم أخذ عطلة مسائية للاحتفال بعيد «سانتا لوسيا» مع بقية موظفي المجلة والشرب حتى الثمالة على حساب الشركة. رفيقة بورغ كانت فتاة بمنتهى الثمل تبلغ عمر سالاندر تقريباً.

كانت كراهية بلومفيست لبورغ واضحة لا يمكن إخفاؤها. قاطعت برجر مشهد العضلات المفتولة وأخذت بلومفيست من ذراعه وقادته إلى داخل الحانة.

قرر بلومفيست حين تسنح الفرصة أن يطلب من سالاندر أن تقوم له بأحد التحقيقات الخاصة حول بورغ. تحسباً فقط.

في خضم العاصفة الإعلامية الهائلة ظلت الشخصية الأساسية في الدراما والمتمثلة بالمالي وينرشتروم متخفية لمعظم الوقت. في اليوم الذي نشرت فيه «ميلينيوم» المقال اضطر الرأسمالي للرد على النص عبر مؤتمر صحفي عقد لغاية مختلفة تماماً. أوضح أن المزاعم الواردة لا أساس لها من الصحة وأن المراجع المذكورة كلها مختلقة ومركبة. وذكر الجميع أن صاحب المقال هو الصحافي نفسه الذي اتهم بالتشهير منذ عام مضى.

بعد هذا الحديث وحدهم محامو وينرشتروم كانوا مخوّلين للرد على أسئلة الصحافة. بعد يومين من صدور الكتاب سرت شائعة متكررة تقول إن وينرشتروم قد غادر السويد. أما الصحف الصادرة مساءً فقد استعملت

تعبير «هرب». وخلال الأسبوع الثاني حين حاولت شرطة مكافحة الاحتيال الاتصال بوينرشتروم لم تعثر عليه في أي مكان. وفي منتصف ديسمبر أكدت الشرطة رسمياً ملاحقة وينرشتروم وفي اليوم الذي سبق ليلة رأس السنة أرسلت مذكرة إلى كافة منظمات الشرطة الدولية. ذلك اليوم تحديداً شهد إلقاء القبض على أحد مستشاري وينرشتروم في أرلاندا بينما كان على وشك الصعود إلى طائرة متوجهة إلى لندن.

بعد مرور بضعة أسابيع نقل أحد السياح السويديين أنه رأى وينرشتروم يدخل في سيارة في بريدجتاون، عاصمة باربادوس. وكإثبات على ادعائه أظهر السائح صورة تم التقاطها من مسافة بعيدة نوعاً ما يظهر فيها رجل أبيض البشرة يضع نظارات شمسية ويرتدي قميصاً أبيض مفتوحاً عند العنق وسروالاً فاتح اللون. لم يتم التأكد من أنه هو تحديداً إلا أن الصحف الصادرة مساءً اتصلت بمراسليها المحليين الذين حاولوا عبثاً تعقب الملياردير الهارب.

بعد مرور ستة أشهر توقفت أعمال التعقب والبحث. إذ وجد وينرشتروم مقتولاً في شقة في ماربيلا في إسبانيا حيث كان يعيش تحت اسم فكتور فليمنغ. وقد أطلقت ثلاث رصاصات في رأسه من مسافة قريبة. كانت الشرطة الإسبانية قد أتت بنظرية تقول وفقاً للوزارة أنه فاجأ أحد السارقين.

لم يفاجئ موت وينرشتروم سالاندر كثيراً. إذ كانت تشك ولأسباب وجيهة أنه لم يعد في الواقع قادراً على الوصول إلى حساباته المصرفية في أحد المصارف في جزر كايمان بحيث كان بحاجة إلى تسديد بعض الديون في كولومبيا.

لو أن أحدهم طلب مساعدة سالاندر في تعقب وينرشتروم لكانت أخبرتهم وعلى نحو يومي تقريباً بكافة تحركاته وأماكن تواجده. لقد تعقبت عبر الإنترنت سفراته عبر عشرات البلدان ولاحظت يأساً متزايداً في رسائل

بريده الإلكتروني. ما كان من بلومفيست نفسه أن يفكر أن الملياردير السابق الهارب كان من الغباء بحيث يصطحب معه جهاز الكومبيوتر المخترق إلى أبعد الحدود.

بعد مرور ستة أشهر تعبت سالاندر من تعقب وينرشتروم. السؤال الذي بقي بحاجة إلى الإجابة هو الحدود الذي يجب أن يصل إليها تورطها في المسألة. لقد كان وينرشتروم من دون شك سافلاً من الطراز الأول لكنه لم يكن عدواً شخصياً لها ولم يكن التورط معه أكثر أو تنصيب نفسها عدوة له من الأمور التي تثير اهتمامها. يمكن لها أن تكشف معلومات سرية بشأنه أمام بلومفيست، لكنه على الأرجح سيكتب قصة حوله لا أكثر. ويمكن لها أن تفضح أمره أمام الشرطة لكن هناك فرصة كبرى أن يتم تحذير وينرشتروم مسبقاً وينجح في الهرب والاختفاء مجدداً. كما أنها وبشكل أساسي لا تتحدث إلى الشرطة.

إلا أن هناك ديوناً أخرى يجب أن تدفع. فكرت في النادلة التي كانت حاملاً يوماً والتي وضعوا لها رأسها تحت الماء في حوض استحمامها الخاص.

قبل أربعة أيام من العثور على جثة وينرشتروم كانت سالاندر قد اتخذت قرارها. أدارت هاتفها الخلوي واتصلت بمحام في ميامي تبين أنه من الأشخاص الذين يبذل وينرشتروم جهداً كبيراً في الإختباء منهم. تحدثت إلى السكريتيرة وطلبت إليها أن تمرر رسالة مشفرة تتضمن اسم وينرشتروم وعنوانه في ماربيلا. فكان هذا كل شيء.

أطفأت جهاز التلفزيون في منتصف الخبر الذي يبث تقريراً درامياً عن وفاة وينرشتروم. أعدت لنفسها بعض القهوة وسندويشاً من معجون الكبد والخيار.

كان كل من برجر ومالم يهتمان بترتيبات عيد الميلاد بينما بلومفيست يجلس في كرسي إريكا يحتسي شراباً وينظر إلى ما يحصل من حوله. كافة

أفراد هيئة التحرير ومعظم الموظفين المنتظمين الذين يعملون بدوام حر سيحصلون على هدايا الميلاد التي ستكون هذه السنة حقيبة كتف مع شعار دار نشر ميلينيوم الجديد. بعد الانتهاء من تغليف الهدايا جلسوا لكتابة وإلصاق حوالى مئتي بطاقة معايدة يرسلونها إلى كل من المطابع والمصورين وزملاء مهنة الصحافة.

حاول بلومفيست لأطول وقت ممكن مقاومة إغراء الفكرة إلا أنه في النهاية سحب آخر بطاقة موجودة وكتب عليها: *ميلاداً مجيداً وعاماً سعيداً. شكراً للجهود الرائعة التي قمت بها خلال العام الماضي*.

وقّع إسمه ودوّن على البطاقة عنوان السيد جان داهلمان مرفقاً إياها بعبارة c/o (وهي عبارة عادة ما تقال لشخص لن يعمل في مكان ما لفترة طويلة)، مكاتب تحرير مجلة *Monopoly Financial Magazine*.

حين وصل بلومفيست إلى المنزل مساء ذلك اليوم وجد قصاصة من الورق عليها ملاحظة تعلمه بأن هناك بريداً ينتظره. ذهب لأخذه في صباح اليوم التالي كي يفتحه في المكتب. كان البريد عبارة عن عصا لطرد البعوض وقنينة شراب مسكر من نوع Reimersholms وبطاقة مكتوب عليها: *إن لم تكن لديك خطط مسبقة فساكون راسياً في مرفا آرهولما ليلة عيد منتصف فصل الصيف*. التوقيع: روبرت ليندبرغ.

عادة ما كانت مكاتب «ميلينيوم» تقفل أبوابها قبل أسبوع من عيد الميلاد وتستمر العطلة حتى ما بعد عيد رأس السنة. هذا العام لم تسر الأمور بالطريقة ذاتها. فالضغط على طاقم العمل كان هائلاً والصحافيون يتصلون من جميع أنحاء العالم بشكل يومي. في اليوم الذي يسبق ليلة الميلاد قرأ بلومفيست عن طريق الصدفة تقريباً مقالاً في *Financial Times* يلخص ما توصلت إليه لجنة المصارف الدولية التي تأسست على عجل للتدقيق في انهيار أمبراطورية «وينرشتروم». ورد في المقال أن اللجنة كانت تعمل على فرضية أنه قد تم إعلام وينرشتروم ربما في الدقائق الأخيرة عن الفضائح التي على وشك أن يكشف عنها.

حسابه في مصرف «كرونفيلد» في جزر كايمان الذي تقدر قيمته بمئتين وستين مليون دولار أي ما يعادل ملياري كورون سويدي ونصف المليار قد تم سحبه تماماً قبل يوم واحد من نشر مجلة «ميلينيوم» الفضيحة.

تم توزيع المال على عدد من الحسابات المصرفية بحيث لا يمكن إلا لوينرشتروم شخصياً إجراء السحوبات. ليس عليه أن يحضر إلى المصرف بنفسه كان يكفي أن يقدم سلسلة من رموز الدخول من أجل نقل المبالغ إلى أي مصرف آخر في العالم. وقد تم تحويل المال إلى سويسرا حيث قامت إحدى المساعِدات الإناث بتحويل الأموال إلى سندات مالية خاصة مجهولة هوية المالك. كافة رموز المرور كانت سليمة.

أطلقت شرطة الإنتربول في أوروبا حملة تفتيش على امرأة استعملت جواز سفر بريطانياً مسروقاً يحمل اسم مونيكا شولز. وقد قيل إن هذه المرأة كانت تعيش حياة بذخ في أحد فنادق زوريخ الأغلى ثمناً. صورة واضحة نسبياً نظراً لالتقاطها عبر كاميرا المراقبة أظهرت فتاة قصيرة ذات شعر أشقر قصير وشفتين عريضتين وصدر بارز ترتدي ملابس أنيقة عصرية لمصممين معروفين ومجوهرات من ذهب.

تمعّن بلومفيست بالصورة بعد أن كان قد رمقها لحظة خاطفة وأخذ ينظر إليها بارتياب. بعد مرور بضع ثوان فتش في درج مكتبه عن عدسة مكبرة وحاول أن يتبين تفاصيل ملامح الوجه في الصورة المعروضة على الصحيفة.

أخيراً وضعها من يده وجلس عاجزاً عن الكلام لبضع دقائق. ومن ثم بدأ يضحك بشكل هستيري بحيث مدّ مالم رأسه من الباب لينظر إلى ما يجري.

في صباح عيد الميلاد ذهب بلومفيست إلى آرستا ليزور زوجته السابقة وابنته بيرنيلا ويتبادل الهدايا معهما. حصلت بيرنيلا على جهاز

الكومبيوتر الذي تريده. كان قد اشتراه لها هو ومونيكا معاً. أما بلومفيست نفسه فقد حصل على ربطة عنق من مونيكا وقصة بوليسية من ابنته للكاتب آيك إدواردسون. وخلافاً للميلاد السابق كان الكل يتمتع بروح معنوية مرتفعة نظراً للدراما الإعلامية التي كانت تعرض حول «ميلينيوم».

تناول الجميع طعام الغداء معاً واسترق بلومفيست نظرة جانبية طويلة إلى بيرنيلا. لم يكن قد رأى ابنته منذ أن ظهرت لزيارته في هيدستاد فجأة. أدرك أنه قد فشل في مناقشة موضوع هوسها بالفرقة الدينية في سكيلفتيا مع أمها. لم يكن بوسعه أن يخبرهما أن معرفة ابنته العميقة بالإنجيل، على ما يتضح، كانت هي التي قادته على المسار الصحيح في ما يتعلق باختفاء هارييت فانغر. ولم يكن قد تحدث إلى ابنته منذ ذلك الوقت.

لم يكن أباً صالحاً.

طبع قبلة على وجنة ابنته مودعاً بعد الغداء والتقى سالاندر في سلاسن. ذهبا معاً إلى ساندهامن. لم يكن أحدهما قد رأى الآخر كثيراً منذ انفجار قنبلة «ميلينيوم». وصلا في وقت متأخر من ليلة الميلاد وبقيا لتمضية العطلة هناك.

كانت رفقة بلومفيست مسلية كما دائماً إلا أن شعوراً بالانزعاج كان ينتاب سالاندر بأنه يرمقها نظرات غريبة حين أعادت له المبلغ الذي اقترضته عبر شك مصرفي بقيمة مئة وعشرين ألف كورون.

مشيا معاً حتى تروفيل وعادا (وهذا ما كانت سالاندر تعتبره مضيعة للوقت) وتناولا عشاء الميلاد في حانة صغيرة قبل أن يتوجها عائدين إلى الكوخ حيث أشعلا الحطب في الموقد ووضع بعض الموسيقى لإلفيس بريسلي وتكرسا لممارسة الجنس. حين كانت سالاندر ترتاح من وقت إلى آخر للحصول على بعض الهواء كانت تحاول تحليل مشاعرها.

لم تكن لديها مشكلة مع بلومفيست كعاشق. فالانجذاب الجسدي

بينهما كان واضحاً. ولم يحاول تلقينها أبداً.

مشكلتها أنها لم تكن قادرة على توضيح مشاعرها حياله. ولا حتى من قبل أن تصل إلى سن البلوغ كانت تتساهل بشأن دفاعاتها وتسمح لأي كان بالاقتراب منها على هذا النحو. لتكن صادقة مع نفسها تقول إنه كانت لديه قدرة على اختراق دفاعاتها وحثّها على الكلام عن أمورها الشخصية ومشاعرها الخاصة. مع أنها كانت تتمتع بحسٍّ كاف لتجاهل معظم أسئلته كانت تتحدث عن نفسها بطريقة لم تتخيل أنها تفعلها مع أي شخص آخر وإن تحت التهديد بالموت. كان ذلك يخيفها ويشعرها بأنها عارية بالكامل وهشة وخاضعة لإرادته.

وكانت في الوقت ذاته حين تنظر إلى مظهره الناعس وتصغي لشخيره تشعر بأنه لم يسبق لها طوال حياتها أن وثقت بمخلوق كما تثق به. كانت تدرك بتأكيد مطلق أن ميكائيل لن يستعمل المعلومات التي يعرفها عنها ليؤذيها. لم تكن تلك طبيعته.

الأمر الوحيد الذي لم يناقشاه كان علاقة أحدهما بالآخر. هي لم تكن تتجرأ على فتح الموضوع ولا بلومفيست تطرق للأمر أيضاً.

في وقت ما من صباح اليوم التالي توصلت إلى إدراك مخيف. لم تكن لديها أي فكرة كيف حدث ذلك أو كيف يفترض بها التكيف مع الوضع. لقد كانت واقعة في الحب للمرة الأولى في حياتها.

لقد كان عمره يبلغ ضعف عمرها تقريباً لكن ذلك لم يكن يسبب لها أي إزعاج. ولا ضايقتها حقيقة أنه يشكل في الوقت الحالي الشخصية التي تستحق الحديث عنها في الأخبار في كافة أنحاء السويد وأن صورته قد احتلت غلاف *Newsweek*، فكل ذلك كان مجرد دراما. إلا أن بلومفيست لم يكن حلماً إباحياً أو مستغرقاً في أحلام اليقظة. لا بد أن يصل الأمر إلى نهاية. لا يمكن له أن ينجح. لماذا يحتاج إليها في حياته؟ لعلها كانت مجرد وسيلة لتمضية الوقت ريثما يجد شخصاً لا تكون حياته مزرية إلى هذا الحد.

ما توصلت إلى إدراكه أن الحب هو تلك اللحظة التي تشعر فيها أن قلبك على وشك أن يتفجر.

حين استيقظ بلومفيست في وقت متأخر من ذلك الصباح كانت قد أعدت القهوة وخرجت لشراء لفائف الفطور. انضم إليها إلى الطاولة ولاحظ فوراً وجود تغيير ما في سلوكها الذي بدا أكثر تحفظاً. حين سألها ما إذا كان هناك خطب ما فرمقته تلك النظرة الحيادية غير المدركة.

في اليوم الأول بين عيدَي الميلاد ورأس السنة استقل بلومفيست القطار وتوجه إلى هيدستاد. كان يرتدي أكثر الملابس بعثاً للدفء وينتعل حذاءه الشتوي المناسب حين لاقاه فرود إلى محطة القطار وهنأه بهدوء على النجاح الذي حققه في الوسط الإعلامي. كانت تلك المرة الأولى التي يزور فيها هيدستاد منذ أغسطس الماضي. وكان قد مضى عام كامل تماماً منذ زارها للمرة الأولى. كانا يتحدثان بلباقة أحدهما إلى الآخر إلا أن أموراً كثيرة ظلت من دون أن تقال وكان بلومفيست يشعر بالانزعاج لذلك.

كان كل شيء قد تم التحضير له، وإنجاز الأعمال مع فرود لا يستغرق سوى بضع دقائق. عرض فرود أن يودع الأموال في مصرف أجنبي مناسب لكن بلومفيست أصر أن يتم الدفع على شكل قسط عادي قانوني لشركته.

وقد قال باقتضاب حين أصر فرود على موقفه: «لا يسعني أن أحتمل طريقة أخرى في الدفع.»

لم يكن هدف الزيارة إلى هيدستاد مالياً وحسب إذ كان بلومفيست قد ترك بعض الملابس والكتب والعديد من الأغراض الشخصية حين غادر هو وسالاندر جزيرة هيدبي على عجل.

كان هنريك لا يزال واهناً بعد إصابته بالمرض لكنه كان قد انتقل للمنزل. كانت تعتني به ممرضة خاصة ترفض السماح له القيام بنزهات طويلة أو صعود السلالم أو مناقشة أي من الأمور التي تسبب له الحزن.

وقد أصيب خلال العطلة ببعض الزكام الطفيف وفُرض عليه البقاء في السرير.

اعترض فانغر بالقول: «كما أن أجرها باهظ.»

كان بلومفيست يدرك تماماً أنه يمكن لفانغر أن يؤمن لها نفقاتها نظراً للمبالغ التي حذفها من الضرائب المتوجبة عليه طوال حياته. رمقه فانغر نظرة متجهمة إلى أن انفجر ضاحكاً.

«كنت تستحق كل كورون حصلت عليه، أعلم أنك كنت تستحقه بحق السماء.»

«لأخبرك الحقيقة لم يخطر لي مطلقاً أني سأتمكن من حل المسألة.»

قال له فانغر: «ليست لدي أي نية لتقديم واجب الشكر لك.»

«لم أتوقع أنك ستفعل. لقد جئت إلى هنا فقط لأقول لك إني أعتبر المهمة أنجزت.»

كوّر فانغر شفتيه وقال: «كلا، لم تنجز المهمة بعد.»

«أعلم ذلك.»

«لم تدوّن تاريخ عائلة 'فانغر' كما اتفقنا مسبقاً.»

«أعرف هذا، ولن أكتبه. لا يسعني في الواقع أن أكتبه وأغفل الحدث المركزي الأبرز الذي طبع العقود الماضية. كيف يمكن لي أن أضع فصلاً عن حقبة مارتن فانغر كرئيس ومدير عام للشركة وادعي أني لا أعرف ماذا يوجد أسفل منزله؟ كما أنه لا يسعني أن أكتب الرواية من دون أن أدمر سمعة هاربيت مجدداً.»

«أفهم حالة الضياع التي تعيشها وأنا ممتن للقرار الذي اتخذته.»

«تهاني لك هنريك، لقد نجحت في إفسادي. سوف أعمد إلى إتلاف كافة الملاحظات والأشرطة المسجلة التي توجد عليها أحاديثنا.»

قال له فانغر: «لا أعتقد أنك تعرضت للإفساد.»

«هذا ما أشعر به وما يبدو الأمر عليه وما أعتقد أنه الواقع.»

«كان عليك أن تختار بين مهنتك كصحافي ودورك ككائن بشري. ما

كنت لأستطيع شراء صمتك قط. وأنا واثق تماماً أنك كنت لتفضح أمرنا لو تبين أن هارييت متورطة بطريقة ما أو إن كنت تظن أني معتل العقل.»

لم يقدم بلومفيست أي إجابة على ذلك.

«لقد أخبرنا سيسيليا القصة كاملة. أنا وفرود سرعان ما سنرحل عن هذه الدنيا وستكون هارييت بحاجة إلى دعم من داخل العائلة. ستلعب سيسيليا دوراً ناشطاً في مجلس الإدارة. هي وهارييت ستتوليان زمام الأمور من الآن فصاعداً.»

«كيف تلقفت الخبر؟»

«لقد أخذت منها الصدمة كل مأخذ. وسارعت في مغادرة البلاد لفترة. حتى إني كنت خائفاً من ألا تعود مطلقاً.»

«لكنها فعلت.»

«كان مارتن أحد أفراد العائلة القلائل الذين تتفق سيسيليا معهم. كان صعباً جداً عليها أن تكتشف حقيقته. وهي باتت على علم الآن بما فعلته أنت بدورك للعائلة.»

هز بلومفيست كتفيه بلامبالاة.

قال له فانغر: «لذا شكراً لك يا ميكائيل.»

«أضف إلى أنه لم يكن باستطاعتي كتابة أحداث القصة لأنه طفح بي الكيل تماماً من عائلة 'فانغر' تلك. لكن هات أخبرني كيف تشعر بعد أن أصبحت رئيساً ومديراً عاماً للشركة من جديد؟»

«إنها مسألة مؤقتة وحسب، لكن... أتمنى لو كنت أصغر سناً. لا أعمل سوى ثلاث ساعات في اليوم. كافة الاجتماعات تعقد في هذه الغرفة وقد عاد ديرك يلعب دور المنفذ لأوامري إذا ما اعترض أحد عليها.»

«لا بد أن المدراء التنفيذيين الصغار ترتعد فرائصهم. لقد استغرقت وقتاً طويلاً لأدرك أن ديرك هذا ليس مجرد عجوز عذب الحديث كمستشار مالي إنما شخص يحل لك أكثر المشاكل تعقيداً.»

«أصبت. لكن كافة القرارات تتخذ مع هاربيت كما أنها الشخص الذي يقوم بالأعمال التي تتطلب الكثير من الحركة والجهد في المكتب.»

«وكيف تسير الأمور معها؟»

«لقد ورثت كلاً من حصتي أمها وأخيها. وهي تسيطر على ما يقارب ثلاثة وثلاثين بالمئة من المؤسسة.»

«وهل هي حصة كافية؟»

«لا أعلم. بيرجر يحاول أن يجعلها ترحل. رأى ألكسندر أن لديه فرصة في إحداث تأثير ما وتحالف مع بيرجر. أخي هارالد مصاب بمرض السرطان ولن يعيش طويلاً. كان هو الشخص الوحيد المتبقي من أصحاب الحصص الكبيرة في المؤسسة إذ تبلغ نسبة أسهمه سبعة بالمئة سيرثها أولاده من بعده. سيسيليا وآنيتا ستكونان في صف هاربيت.»

«ومن ثم سيسيطرون معاً على خمس وأربعين بالمئة من الأسهم.»

«لم يسبق لهذا النوع من تكتل التصويت أن حصل من قبل في أوساط العائلة. العديد من المساهمين الذين يملكون حصصاً بقيمة واحد أو اثنين بالمئة سيصوتون ضدنا. هاربيت ستخلفني في رئاسة وإدارة الشركة في فبراير المقبل.»

«لن يجعلها هذا سعيدة.»

«كلا، لكنه سيكون ضرورياً. سنضطر عندئذ أن نتخذ لأنفسنا بعض الشركاء الجدد ونضخ دماً جديداً في الشركة. كما توجد أمامنا فرصة هائلة للتعاون مع شركتها في أستراليا. هناك العديد من الاحتمالات المطروحة على الطاولة الآن.»

«وأين هي هاربيت اليوم؟»

«لست محظوظاً. إنها في لندن. لكنها كانت لتسر كثيراً برؤيتك.»

«سأراها في اجتماع مجلس الإدارة في يناير إن كانت ستحل مكانك.»

«أعرف ذلك.»

«أظن أنها تدرك أني لن أناقش مطلقاً ما حصل لها في الستينيات إلا مع إريكا برجر. ولا أفهم لماذا تود إريكا أصلاً أن تعرف بالأمر.»

«هي بحاجة لأن تعرف. أنت شخص يتمتع بالأخلاق يا ميكائيل.»

«لكن أخبرها أن كل ما تفعله من الآن فصاعداً سينتهي بنشره على صفحات المجلة. لن تكون شركة 'فانغر' معفية من أعين المراقبة والتدقيق.»

«سأحذرها بهذا الشأن.»

ترك بلومفيست فانغر حين بدأ الأخير يغط في النوم. وضّب أمتعته في حقيبتين وأقفل باب الكوخ للمرة الأخيرة. توقف قليلاً قبل أن يذهب إلى منزل سيسيليا ويطرق الباب. لم تكن في المنزل. أخرج الروزنامة من محفظته ومزق إحدى أوراقها ودوّن عليها: *أتمنى لك الأفضل. حاولي أن تغفري لي. ميكائيل.* وضع الملاحظة التي كتبها في صندوق الرسائل. مصباح ميلاد كهربائي كان يمكن رؤيته مشتعلاً من نافذة مطبخ منزل مارتن فانغر الخالي.

استقل القطار الأخير المتوجه إلى ستوكهولم.

خلال العطلات، كانت سالاندر تنعزل عن العالم بأسره. لم تكن تجيب على هاتفها المحمول ولا تشغل جهاز الكومبيوتر. أمضت يومين كاملين تقوم بغسل الملابس وتنظيف وترتيب شقتها. فجمعت علب البيتزا والصحف المكدسة على مرور عام كامل وحملتها إلى مستوعب النفايات. قامت في المحصلة بجمع ستة أكياس من النفايات وعشرين علبة ورقية مليئة بالصحف وإخراجها من المنزل. شعرت كأنها تريد البدء بحياة جديدة. فكرت في شراء شقة جديدة، حين تجد شيئاً ملائماً، لكن في الوقت الراهن ستكون شقتها القديمة أكثر نظافة وترتيباً مما كانت تذكر يوماً.

ثم جلست في مكانها وكأنها أصيبت بالشلل واستغرقت في التفكير.

لم يسبق لها طوال حياتها أن شعرت بمثل هذا الاشتياق. أرادت أن يطرق بلومفيست بابَ شقتها الآن. . . ثم ماذا؟ أن يرفعها بين ذراعيه ويدور بها؟ أن يصطحبها إلى غرفة النوم ويجردها من ملابسها بشغف؟ كلا، ما أرادته في الواقع هو أن تكون برفقته. كانت تريد أن تسمعه يقول إنه يحبها لما هي عليه، وإنها شخص مميز في عالمه وفي حياته. أرادته أن يمنحها ما يدل على الحب، ليس فقط على الصداقة والرفقة. فكرت في نفسها تقول، لا بد أنني جننت.

لم تكن لديها ثقة بنفسها. كان بلومفيست يعيش في عالم مليء بالأشخاص ذوي الوظائف المحترمة، أشخاص يعيشون حياة عادية ويتمتعون بالكثير من النضج. وكان أصدقاؤه يقومون بأشياء ويظهرون على شاشة التلفزيون، ويصيغون العناوين. *لماذا يكون بحاجة إليّ أنا؟* أكثر ما كانت سالاندر تخشاه، بل وترتعب منه، هو أن يسخر أحد من مشاعرها. كان ذلك الشعور بالخوف من الضخامة والسوداوية بحيث شكّل لها ما يشبه الرهاب المرضي. وفجأة انهارت ثقتها بنفسها التي بنتها بتأنٍ وإتقان على مدى أعوام طويلة.

كانت تلك هي اللحظة التي اتخذت فيها قرارها. تطلّب منها الأمر عدة ساعات لتستجمع شجاعتها لكن كان عليها أن تراه وتخبره بما تشعر به حياله.

كل شيء عدا ذلك سيكون خارجاً عن قدرتها على الاحتمال.

كانت بحاجة إلى عذر ما كي تطرق باب منزله. لم تكن قد منحته أي هدية بمناسبة عيد الميلاد، لكنها كانت تعلم تماماً ما الذي ستشتريه له. سبق لها أن رأت في متجر للخرداوات عدداً من الشارات الإعلانية المعدنية التي تعود للخمسينيات، مزخرفة ومزودة بنقوش وصور بارزة. إحدى تلك الشارات كانت تظهر إلفيس بريسلي يحمل غيتاراً على وركه وفوق رأسه بالون كرتوني مكتوب عليه Heartbreak Hotel أو «فندق القلوب المحطمة». لم تكن تملك أدنى ذوق في مسائل التصميم الداخلي

لكن حتى شخص فاقد للذوق مثلها يستطيع أن يرى أن تلك الشارة تليق تماماً بأن تكون في كوخ ساندهامن. كلفتها سبعمئة وثمانين كوروناً، وقد ظلت تساوم على السعر حتى خفضت قيمة المبلغ إلى سبعمئة كورون فقط. طلبت من صاحب المتجر أن يغلّفها، ووضعتها تحت إبطها وتوجهت إلى منزل بلومفيست في بيلمانسغاتان.

التفتت صدفة نحو مقهى «كافيبار» في هورنسغاتان فرأت بلومفيست مع برجر وهي تتأبط ذراعه. قال لها شيئاً جعلها تضحك وتضع ذراعها حول خصره وتطبع قبلة على وجنته. اتجها نزولاً نحو برانكيرغاتان متابعَيْن طريقهما نحو بيلمانسغاتان. حركات جسديهما لم تكن لتترك المجال أمام التأويلات الخاطئة، كان ما يخططان للقيام به واضحاً.

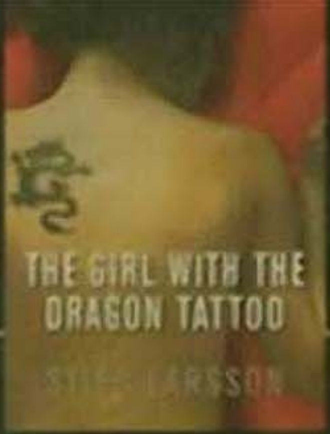
كان الألم الذي شعرت به فورياً وعنيفاً بحيث توقفت في منتصف الطريق عاجزة عن الحراك. جزء منها كان يرغب في اللحاق بهما بسرعة. أرادت أن تأخذ الشارة المعدنية وتستعمل حافتها الحادة لشق رأس برجر إلى نصفين. لم تكن تفعل شيئاً بينما الأفكار تتسارع في رأسها. *تحليل العواقب*. لكنها سرعان ما هدأت.

قالت لنفسها بصوت مرتفع: «يا لك من حمقاء مثيرة للشفقة يا سالاندر.»

استدارت على عقبيها وعادت إلى المنزل، إلى الشقة التي تم تنظيفها حديثاً.

بينما تجتاز زينكنسدام بدأت الثلوج تتساقط على الأرض.

رمت بإلفيس في سلة للمهملات على جانب الطريق.



ستيغ لارسن

فتاة لا يحبها الرجال

"أكثر من مجرّد قصة مشوّقة... إنها رواية مذهلة تحتوي على أفكار هائلة. رواية تتطرق إلى قضايا القوة والفساد والعدالة والبراءة، في الوقت الذي تصحبك فيه داخل التحوّلات والانعطافات لأحداث مثيرة، ..."

هارلان كوبن

"تماماً في الوقت الذي كنت أفكر فيه أن لا شيء جديداً يلوح في الأفق، يظهر ستيغ لارسن مع قصته الجديدة الفريدة من نوعها. لقد سحرتني بالكامل."

مايكل كونيللي

"إنها أشبه بإحدى قصص أغاثا كريستي للكبار... وتكشف عن الجانب القاتم من بلاد غالباً ما ينظر إليها على أنها مثال أعلى للاستقامة... لا يخطر لك حتى أن تتوقف لحظة عن القراءة."

جون بورديت

"... لقد وضع ستيغ لارسن رواية عظيمة أبطالها شخصيات لن تنساهم."

مايكل أونداتشيه

تواجه ليزبث العالم بعزلته وتحوّلاته، بأخلاقه ودناءاته... تواجهه وحدها، محميّة بصدفتها وحذرها الذي تعلّمته من الألم.

ما إن تأخذك ليزبث إلى عالمها، حتى لا يعود بإمكانك التوقف، تلهث ليزبث ويلهث القرّاء معها... هكذا عبّر ملايين القرّاء عن انطباعاتهم حول هذه الرواية.

9 789953 684659

سما للنشر

المركز الثقافي العربي